فاطمة جود اللّه

سورية نبع الحضارات

تاريخ وجغرافية أهم المواقع الأثرية



Syria Source of Civilizations

A guide to the ancient sites in Syria with maps and plans.

The Author: Mrs. Fatima Joudallah.

P. O. Box: 5759 - Damascus - Syria.

Fax - Tel: (963 - 11) 3339783

الإهـــداء

الى نبع الحضارات

ســــوريـــة

مع كل الحب والأماني

لاستعادة أمجاد الماضي.

ناظمة

مقدمة

أعرف أنني أدخل مجالاً محظوراً اختص به علماء الآثار. ولكن ما شجعني على ذلك كوني أجمع معلومات تاريخية وأثرية منذ عام (1965) للاستعانة بها في مجال الإرشاد السياحي الذي أعمل به منذ ذلك الحين.

ولكثرة هذه المعلومات والجهد الذي بذلته للحصول عليها أصبحت كالجواهر الثمنية، أخاف أن تفقد بعد رحيلي فلا يستفاد منها. لذلك بدأت أكتب ببطء وصبر وأراجع وأقارن ما كتب مع كل ما يقع بين يدي من كتب أثرية كي أكون دقيقة وأمينة على ما أفعل. وأصعب شيء كانت التواريخ إذ لم تعتمد المراجع جميعها تاريخاً واحداً بل كل لديه رقم مختلف عن المرجع الآخر. فجعل ذلك مهمتي صعبة مما اضطرني للعمل المكثف لمدة طويلة.

ولقد ذكرت في آخر الكتاب قوائم المراجع التي اعتمدتها حديثاً، إضافة إلى ما كان لدي سابقاً، وهناك مراجع لم أسجل أسماءها في حينها، ومع مرور الزمن نسيت اسم المرجع ومؤلفه. لذلك أطلب ممن أخذت عنه معلومة ولم أدوّن ذلك في قائمة المراجع أن يغفر لي ما هو ليس مقصوداً، وأنا أشكر الكتّاب الأثريين لجهدهم.

وما فعلته هو تجميع ما كتبوه في ملخص بسيط الأسلوب ولكنه غني بالمعلومات. وحاولت جهد المستحيل أن أقتصر على المعلومات وتحاشيت الإنشاء كي يستفيد منه كل من يعتز بحضارات (سورية) علني أقدم لمحة عن

التاريخ المجيد الذي تسدل عليه عمداً ستائر التعتيم والتزوير. إذ أن كثيراً من المستشرقين كانوا مغرضين عندما كتبوا تاريخنا، كما أن بعض مؤرخينا عتّموا جزئياً على مواضيع وأبرزوا مواضيع أخرى حسب رغبة الحكّام.

فاطمة جود الله

العصور التاريخية

اكتشف (لويس وماري ليكي) عام (1978) في شرق (أفريقيا) وقرب بحيرة مواقع فيها آثار قدم ويد وجماجم ومئات الأسنان وآلاف من الأدوات الحجرية البسيطة. كلها تعود إلى بضعة ملايين من السنين.

كانت فجوات الأدمغة في هذه الجماجم بحجم فجوات أدمغة القرود. ولكنها لكائنات منتصبة القامة تمشي كالبشر. ثم اكتشف في (لايتولي ـ تنزانيا) آثار أقدام بشرية لكائنين، واحد بالغ والآخر صغير، وبواسطة التحليل الشعاعي (البوتاسيوم ـ أرغون) تبين أن عمر هذه الآثار تعود إلى (3,6) مليون سنة.

وفي منطقة (عنار ـ أريتيريا)، اكتشف عظم حوض لكائن منتصب القامة ولكنه ليس قرداً. حدد عمره بـ (3) ملايين سنة. ويدعى هذا المخلوق (أسترالبوبيشين). ولم تعرف السلالة التي انحدر منها هذا المخلوق. ويعتبر أول إنسان من البشر. وخاصة أن الفترة بين (3) ملايين و (8) ملايين من السنين واسعة جداً ولم تكتشف مستحاثات دقيقة لتحديد فكرة معينة.

وبعد سلسلة من الاكتشافات المستحاثية وجد بأن الإنسان والشمبانزي يشتركان بما يزيد عن 99٪ من مادتهما الجينية.

ويبدو أن بعض القرود الأوائل ارتفعت ببطء وبالتدريج عبر ملايين السنين إلى إنسان (استرالوبيشين) الذي هو بشر جزئياً وقرد جزئياً. وهو الذي استهل

السلالة البشرية وتدرج الإنسان من إنسان (استرالوبيشيين) إلى (استرالوبيك) ثم إلى الإنسان المنتصب القامة بأنواعه المختلفة ثم إلى إنسان (نياندرتال) وأخيراً الإنسان العاقل (هوموسابينيس) (Homosapines).

وصل الإنسان القديم (هوموازكتوس) منذ مليون سنة قادماً من أفريقيا سالكاً طريقين رئيسيين:

الأول: ساحلي على شاطىء البحر.

والثاني داخلي عبر وديان الأنهار الكبرى وعبر الانهدام الإفريقي السوري على امتداد (البحر الأحمر) ثم وادي (الأردن) وبعده وادي (العاصي).

ويبدو أن الإنسان تمركز طويلاً في حوض (النهر الكبير الشمالي) ونهر (العاصي) قبل انطلاقه إلى (أوروبا) الوسطى والغربية. لأن آثاره وجدت في ترسبات (ست مرخو) قرب (اللاذقية). وهذا الإنسان انتقل بدوره نحو (البادية) و(الفرات)، ووجدت آثاره في (بئر الهمّل) في موقع (الكوم) قرب (تدمر). استمرت إقامته هناك حوالي (100) ألف سنة. وترك ترسبات نباتية وحيوانية، قدّر عمرها بـ (56) ألف سنة.

اختفى الإنسان العاقل من (أوروبا) بشكل مفاجىء بين (40 و 35) ألف سنة قبل الميلاد وبقي إنسان (نياندرتال) الفلسطيني (Neanderthal). وفي عام (1980) اجتمع أكثر من مئة باحث أثري من مختلف أنحاء العالم في جامعة (ليون) بفرنسا، واتفقوا على أن (سورية) تقدم نموذجاً متكاملاً غير منقطع لمسيرة إنسان ما قبل التاريخ منذ مليون عام.

قسمت أحقاب ما قبل التاريخ إلى:

العصر الحجري، والعصر المعدني أو النحاسي ـ الحجري.

أما العصر الحجري فقد قسم بدوره إلى:

العصر الحجري القديم (Palaeolithic) 2.300.000 ق. م.

والعصر القديم الأدنى (Lower Palaeolithic) 1.400.000 ق. م.

والعصر القديم الأوسط (Middle Palaeolithic) 100.000 ق. م.

والعصر القديم الأعلى (Upper Palaeolithic) 40.000 - 35.000 ق. م.

عصر (الهولوسين) (8300 ق. م).

وما بعد هذا التاريخ يكون حسب المناطق.

د. سلطان محيسن أوجز تاريخ الإنسان القديم في (سورية) كما يلي:

1 - عصر منطقة (بكسا) في (اللاذقية). آثارها من (700 ألف سنة).

2 - عصر (اللطامنة) على نهر (العاصي) ثم حوض (الفرات) وحوض (النهر الكبير الشمالي) وآثارها من (500 ألف سنة).

3 - عصر (هنّادي خلّاله) في محافظة (اللاذقية) وآثارها من (300 ألف سنة).

4 - عصر (أبو حمدة) من حوض (الفرات) في محافظة (دير الزور) ومن أحواض (النهر الكبير الشمالي) و (العاصي) وآثارها من (200 ألف سنة).

5 - عصر (بانياس الساحل) آثارها من (150 - 100 ألف سنة).

6 - عصر (الشير) في (النهر الكبير الشمالي) وأحواض (العاصي) و (الفرات) آثارها من (100 - 35 ألف سنة).

العصر الحجري القديم:

وكان العصر الحجري القديم بأقسامه السابقة أطول العصور. بدأ مع ظهور الإنسان حتى نحو (12 ألف سنة ق. م). وقد قسم العلماء العصور إلى

أقسام وفترات متعددة سميت كل فترة باسم المكان الذي وجدت فيه بقايا إنسان ذلك العصر.

وكان الإنسان يعيش على جني ما يجده من ثمار وجذور نباتات. وكان يسكن الكهوف خوفاً من الحيوانات واتقاء للعوامل الجوية.

واكتشف النار فصار يتدفأ بها ويطبخ عليها، ويحتمي بها من هجمات الوحوش الكاسرة. وقد وجدت أقدم قطعة فحم في (فلسطين) في كهف من كهوف (الكرمل) وترجع إلى (150) ألف سنة قبل الميلاد.

وكان يقطع الحجارة لتصبح حادة يستعملها في شؤونه المتعددة. وجعل منها إزميلاً وفأساً ومطرقة وسكيناً ومنشاراً، ثم أخذ يصنع أدوات حجرية مختلفة كالمكاشط والمثاقب وغير ذلك. وعمل بعض الأدوات من العظام والخشب والعاج. وعبّر هذا الإنسان عن أحاسيسه الدينية والسحرية والبطولية بالرسم على جدران المغاور. فكان يرسم الحيوان المفترس مصاباً بالسهم اتقاءً لشره أو رغبة في الفوز عليه.

العصر الحجري الوسيط (الميزوليتيك) (12000 - 7000 ق. م):

هو مرحلة انتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ويعد جزءاً متمماً للقديم. أصبحت أدوات الإنسان الحجرية اكثر دقة وانتظاماً بفضل استخدامه المطرقة. وغدت الفؤوس أقل سماكة ومقاطع حوافها أكثر استقامة.

وأهم نموذج لهذا العصر هو الحضارة (النطوفية) نسبة إلى وادي (نطوف) في (فلسطين). واكتشفت آثارها في كهوف جبل (كرمل) و (أريحا) و (جبيل) و (راس شمرة) و (تل الجديدة).

وكان الإنسان قصير القامة نحيل الجسد مستدير الرأس. وعثر على بقايا بعض الحيوانات كالقنفذ والضبع والجمل.

وامتدت هذه الحضارة من (الفرات) إلى النيل بين (10000 و 8200 ق. م).

ابتنى الإنسان بيوتاً بيضاوية محفورة في الأرض حتى منتصفها ومبنية بعد ذلك بالطين المدكوك، أرضيتها مطلية بالجص أو الكلس كما في (المريبط) من (8500 ق. م) ثم مع الأيام تطورت إلى منازل مستطيلة كما في (أبو هريرة) و (تل الرماد). و (بقرص) في (7700 ق. م). وبدأ الإنسان يزرع الحبوب في (فلسطين) و (جرش) و (دمشق) و (تل أسود) و (الفرات) الأوسط في الألف الثامن. وتطورت مفاهيمه الروحية والفنية وظهر ذلك في تماثيل طينية للآلهة الأم والثور بين الألف الثامن. وكان الإنسان منذ القديم يعبد قوى الطبيعة كالشمس والقمر والرياح والصواعق والأمطار والزوابع. فصار يجسدها في دمى على شكل إنسان أو حيوان أو طير أو نبات ليعبدها بشكل بدائي.

وجدت آثار روحية وفنية في منطقة (الكوم) و (بقرص) و (تل أسود) و (تل الرماد) وكان للإنسان علاقة مع أمواته. لأنه رسم الشكل الإنساني على عظام الموتى.

حتى الآن لم يعرف الإنسان الخزف بل أوانٍ مصنوعة من الحجر الكلسي أو الجبص وعليها بعض الرسوم.

سكن الإنسان (واحة الكوم) في الألف السابع قبل الميلاد بعد أن هجرها منذ العصر الحجري القديم.

كما سكن تل (بقرص) في الألف السابع. ويبعد (40 كم) عن (دير الزور). ووجدت فيه مدينة مساحتها (3 هكتار) منازلها من الطوب غير المشوي وأرضيتها مطلية بالجبص أوالكلس. الغرف فيها طويلة وضيقة وتتصل ببعضها بأبواب. في المنزل مطبخ ومخازن. وجدت فيه رسوم جدارية تمثل النعامة، كما وجدت تماثيل طينية بشرية وحيوانية.

وسكن الإنسان أيضاً كهف (الحاضرية) منذ العصر الحجري القديم والوسيط.

وسكن (تل أسود) ويبعد (35 كم) شرق دمشق. ووجدت فيه أبنية وأدوات حجرية وحلي وأوان حجرية وحصر من القصب. وآثار صيد وزراعة ودمى للربة الأم.

العصر الحجري الحديث (نيوليتيك) (7000 ــ 4500 ق. م):

انتقل الإنسان من مرحلة الصيد وجمع الغذاء إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وتربية الحيوانات. وزرع القمح والشعير والكتان، واخترع المحراث والمنجل وآلات الدراسة والطحن. وظهرت القرى الزراعية وخاصةحول الأنهار والينابيع. وكانت بيوتاً بسيطة من أغصان الأشجار أو القصب أو الطين.

واصطاد الإنسان الأسماك من المياه، والطيور من السماء، والحيوانات آكلة العشب من البراري. واستخدم جلود الحيوانات في مسكنه ولباسه، والخضار المجففة أو الأواني الحجرية أو الجصية لاستعمالاته. وعمل الطوب غير المشوي لبناء منزله، وبدأ تصميم المنازل في القرى يختلف عن تصميم المعابد، وبدأ بصنع الفخار بتجفيفه في الشمس ثم بشيه بالنار. واخترع دولاب الخزاف. وظهر الخزف في الألف السادس قبل الميلاد في منطقتي (رأس شمرة)

وسهل (أنطاكية). كما وجد في (دمشق) وفي (تل الرماد) وفي (تل حلف). وكان الخزف مزخرفاً بمواضيع دينية. كما ظهر خزف حضارة (عبيد) في (سورية) وهي حضارة خليجية.

وللحاجة إلى الأدوات الزراعية والمنزلية والعمرانية بدأ ظهور الصناعة. وكان لا بد من وسطاء بين المزارعين والصناعيين فظهرت فئة التجار.

وتسلط رجال وأسر أقوياء على الضعفاء ونشأت ملكية الأرض وزعامة القبيلة أو القرية. وظهر الحكام والملوك.

وبدأت الكتابة تستعمل في نهاية الألف الخامس.

العصر المعدني (الحجري ـ النحاسي) (الكالكوليتيك) (4500 ـ 3200 ق. م):

دام هذا العصر حتى ظهور الكتابة حوالي عام (3200 ق. م). سمي بالمعدني لأن الإنسان بدأ يستعمل النحاس إلى جانب الحجر. وقد مزجه بالقصدير فأنتج معدن البرونز الصلب. ويعتبر (وادي النيل) وبلاد جنوب غربي (آسيا) موطن صناعة البرونز الأول. وقد توفر في (سيناء) خام (الملاكيت)، كما توفر النحاس والقصدير في شرقي (الأناضول) قرب (ديار بكر).

وزاد التخصص في الصناعة، وتوسعت القرى لتصبح مدناً، وظلت زعامات الأقوياء على الضعفاء، وظهر بعض الملوك ومساعديهم. ونشأت أول أنواع الحكومات، وازداد شعور الناس الديني فبنيت المعابد. وتخصصت كل مدينة بإله يحميها ويمنحها الخير والبركة.

وفي نهاية هذا العصر اخترع الإنسان الكتابة وانتقل بذلك إلى العصور التاريخية.

أقسام العصور التاريخية:

تقسم إلى ثلاثة:

العصور القديمة:

بدأت باختراع الكتابة في حوالي (3200 ق. م). وانتهت بسقوط (روما) عام (476 م).

العصور الوسطى:

ابتدأت حوالي عام (476 م) وانتهت عام (1453 م) عند فتح (القسطنطينية) بيد العثمانيين أو أكتشاف القارة الأميركية عام (1442 م).

العصور الحديثة:

بدأت عام (1453 م) وما زالت مستمرة.

في هذه العصور نشأت الحضارات وقامت إمبراطوريات واستخدمت المعادن في كل المجالات، وتطورت الزراعة ووسائل الري وظهرت القوانين والتشريعات، وتطور الأدب والفن، وانقسم العالم إلى فئات دينية وسياسية وعقائدية.

مواقع إنسان ما قبل التاريخ في سورية:

(500000 ق. م): ست مرخو ـ الشيخ محمد ـ خطاب ـ الرستن ـ اللطامنة ـ الغرماشي ـ أرض حمد ـ موقع العاصي.

(100.000 ق. م): يبرود ـ بئر الهمل أي موقع الكوم ـ الندوية الثانية ـ أم التلال ـ أم قتيبة ـ مشرفة ـ السامون ـ تلال الرفاعي.

(35000 ق . م): جرف العجلة شمال غرب (تدمر) ـ كهف الدوارة شمال شرق (جرف العجلة) ـ الطبقات العليا في أكثر مواقع العصر الانتقالي.

(12000 ق . م): يبرود الثانية ـ الطبقات العليا من كهوف جرف العجلة والدوارة.

(8000 ق . م): الكوم الأول شمال شرق الدوارة ـ الندوية الثانية ـ المريبط الأول ـ صيدنايا ـ يبرود (3) ـ الطيبة.

(5000 ق . م): تل مريبط ـ تل أبو هريرة ـ تل الرماد ـ تل الفريصة ـ راس شمرا ـ قبة الحمام.

(3000 ق . م): تل حلف قرب (راس العين) على (الخابور) ـ تل عقاب ـ تل براك ـ تل حبوبه الكبرى ـ جميل ـ غارودة ـ شمس الدين ـ منيرة ـ شاغاربازار ـ المجامع ـ تل الخزامى.

وصف بعض المواقع:

ست مرخو (900 ـــ 800 ألف سنة):

تقع شمال (أوغاريت) على الساحل. وجدت فيها أدوات حجرية آشولية.

اللطامنة (700 ألف سنة):

تبعد (39 كم) شمال غرب (حما). وتقع بين (حما) وقلعة (المضيق). وجدت فيها أدوات حجرية وعظام من الحضارة الآشولية، وفيها أقدم مسكن مستقر في التاريخ وكان مستديراً، وهناك مثلة في شمال (الأردن).

الغرماش (150 ألف سنة):

عثر فيها على معسكر للصيادين، وآثار رؤوس حجرية، وألواح بسيطة، ومواقد نار.

بئر الهمّل في موقع الكوم (56 ألف سنة):

يبعد (100 كم) عن (تدمر). فيه ترسبات أثرية للإنسان. سماكتها (25 م). كما وجدت مخلفات نباتية وحيوانية.

تل مريبط (9 و 8 آلاف سنة):

يقع شمال غرب (دبسي) قرب (الرقة) مقابل (مسكنة) أي (بالس). قامت بالتنقيب فيه بعثة أميركية ثم فرنسية قبل أن تغمره مياه (سد الفرات). وكشف فيه عن أقدم مستوطنة بشرية في (سورية).

والألفين التاسع والثامن قبل الميلاد هما العصر النطوفي وهذا التل يعود إليه. ولم يتوقّع وجوده في (سورية) لأنه أصلاً كان في (فلسطين) في منطقة (أريحا) وغيرها. وفي منطقة (حلوان) على النيل.

وجدت فيه منشآت سكنية، وأدوات حجرية، وآثار أعمال ري.

ويتصف هذا الموقع بأن الإنسان في (المريبط) عاش على صيد الأسماك والقواقع النهرية. وأنه بدأ الزراعة بالحنطة البرية والشعير البري. وبأنه بدأ ببناء البوت المستديرة الشكل. وهناك ما يدل على أنه عبد الأجداد لأنه دفن جماجم أمواته تحت أرضية البيوت. كما عبد الحيوانات المألوفة لديه لأن تماثيل طينية للثور وجدت في ذلك الموقع. كما عبد الأم لوجود تماثيل من طين للربة الأم، تمثل امرأة عارية تضع يديها على ثدييها.

تل أسود (8 آلاف سنة):

يبعد (35 كم) عن (دمشق). وجدت فيه أبنية وأدوات حجرية للصيد والزراعة، وأوان حجرية، وحصر من القصب، ودمى نسائية (للربة الأم)، وحلي.

تل الرماد (7 ــ 6 ألف سنة):

يبعد (20 كم) جنوب غرب (دمشق) بالقرب من (قطنا). مساحته (3) هكتار. فيه آثار أكواخ مستطيلة. زرع سكانه العدس والقمح والشعير والكتان. وصادوا الغزلان والأيائل وربوا المواشي، وصنعوا تماثيل من الفخار للحيوانات والبشر. وجدت فيه جماجم بشرية وأقنعة من الكلس لهذه الجماجم. وكان لهؤلاء الناس علاقة مع الأموات لأنهم رسموا الشكل الإنساني على عظام الموتى وهذا الإنسان له علاقة بإنسان (نياندرتال).

تل بقرص (7 ــ 6 ألف سنة):

تبعد (40 كم) عن (دير الزور) عند مصب (الخابور). مدينة كبيرة مساحتها (4) هكتار. ومنازلها طويلة وضيقة من اللبن. أرضيتها مغطاة بالجص. مقسمة إلى مطبخ وغرف ومخازن فيها أبواب.ووجدت رسوم جدارية تمثل النعامة كما وجد الخزف الرسوم. ولكن أغلب الأواني كانت من الحجر المصقول أو الجص. وجدت فيه تماثيل من طين وحجر لحيوانات وبشر. ووجدت جمجمتين لامرأتين بين (18 و 20) عاماً من العرق النحيف المتوسطي مطلية بالجبص بعد تعرية الجمجمة من اللحم. وكانوا يأكلون الطرائد دون النباتات.

الحضارة من فجر التاريخ:

حضارة تل حلف (الألف الثالثة):

يقع (تل حلف) قرب (رأس العين) في شمال الجزيرة السورية على نهر (الخابور). وجدت فيه آثار لمملكة (جوزانا) الآرامية.

والحضارةالحلفية عاصرت حضارة (سامراء) وكانت أول حضارة متجانسة عاشت حوالي ألف سنة. من منتصف الألف السادس قبل الميلاد إلى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد. وغطت شمال شرق (الرافدين) حتى (المتوسط) ومن (الأناضول) شمالاً حتى (البقاع) جنوباً.

كانوا يصنعون الفؤوس اليدوية المزدوجة وتماثيل الآلهة أو المتعبدين، كما كانوا يهتمون بالزراعة، وانتقلت حضارتهم إلى الشمال والغرب.

وجدت آثار هذه الحضارة في عدة مواقع:

موقع (شمشارة) في شمال (العراق).

موقع (الأربجية) في وسط (العراق).

منطقة (العمق) و (تل عقاب) و (تل كشكوك) و (شاغاربازار) و (شمس الدين طنيرة) و (تل صبي أبيض) و (رأس الشمرة) في (سورية).

ووصلت تأثيرات هذه الحضارة إلى (بلاد الشام) كلها ومنها إلى (الخليج العربي). واختفت في أوائل الألف الخامس قبل الميلاد دون معرفة السبب.

اتصفت هذه الحضارة بما يلي: في أول الأمر كانت البيوت عبارة عن بيت دائري سقفه مقبب وجدرانه من الطين المدكوك المطلية بالجص الأبيض. للبيت مدخل مستطيل يشبه خلية النحل لذلك سمي باليونانية (ثولوس) ثم أصبحت مستطيلة وكبيرة وخصص بعضها للمعابد.

كانت صناعة الفخار بدائية، زخارفها بسيطة، عبارة عن أشكال هندسية وخطوط ودوائر وطيور وأسماك وثعابين وحيوانات أخرى.إضافة إلى أشكال إنسانية لوّنت بالأحمر والبني. وصنع منها جرار وصحون وأباريق وطاسات عميقة أسماها الأثريون (طاسات القشدة). ثم أصبحت هذه الصناعة للتجارة فتحسنت نوعيتها من حيث الرقة والزخارف والتلوين. كما استعمل الناس الأختام والحلي وأدوات الزينة. وكانت أدواتهم من البازلت والصوان وحجر الأوبسيديان ولهم مراكز ضخمة لتصنيع الصوان. كما جدلوا الحصر والسلال وحاكوا الملابس والمطرزات.

أقاموا منازل لهم فتشكلت القرى وصارت القرى تجمعات سكنية. زرعوا القمح والقنب والشعير ثم زرعوا الكرم والتين والنخيل والزيتون وزراعتهم كانت بسيطة تعتمد على المطر، ودجّنوا الغنم والماعز والخنازير، واصطادوا الثور البري والحمار الوحشي.

ودفنوا موتاهم إما دفناً عادياً أو وضعوا الميت في حفرة على جانبه متمدداً أو مثني الركبتين والرأس نحو الجنوب، ومعه أدوات الزينة والأواني الفخارية. كما دفنوا الجماجم دون الجسم أو أحرقوا الميت أو وضعوه في جرّة ومعه أواني فخارية مزخرفة راقية الصنع. على الأواني صور لنساء لهن شعور طويلة ويحملن أقمشة. أو حيوانات تهاجم الناس. أو مجموعة من الناس تلقي الأحجار والأضاحي في إناء كبير. أما الأطفال فقد دفنوا بشكل عادي مما يدل على أنّ طقوس الدفن اقترنت بمكانة الميت الاجتماعية.

وكان للثور دوراً في معتقداتهم لأنه صور على الأواني كما دفنت جمجمته في بعض المناطق وصنعت له تماثيل صغيرة. ودور الثور الديني بدأ منذ الألف الثامن قبل الميلاد واستمر في الألفين السابع والسادس.

وصنع الحلفيون تماثيل للآلهة الأم على شكل امرأة تزينها خطوط بنية أو حمراء. وهي واقفة أو جالسة بوضعية القرفصاء أو الولادة التي ترتبط بالخصب وتجدد الحياة.

وفي المرحلة الأخيرة من هذه الحضارة صارت هذه التماثيل ترافقها أشكال من الطين تمثل عضو الذكر.

تواريخ هامة في سورية:

وصل الإنسان القديم من نوع (هومواركتوس) (سورية) قادماً من (أفريقيا) وسكنها على النحو التالي:

أحداث ما قبل الميلاد:

1.000000	سكن الإنسان حول (النهر الكبير الشمالي) ونهر (العاصي).
700000	عصر (بكسا) في (اللاذقية) - سكن (الأردن) و (الليطاني) و (العاصي) و (الفرات) - استعمل الفلينت - ابتكر النار بين (700 - 300 ألف).
600000 - 500000	**العصر الحجري القديم.**
600000	سكن في (اللطامنة) على (الفرات) وحول (النهر الكبير الشمالي).
500000	(اللطامنة) + حوض (الفرات) + حوض (النهر الكبير الشمالي).
300000	عصر (هنادي) في (اللاذقية) (بقايا الإنسان في أوروبا).
200000	عصر (أبو حمدة) - (الفرات) + (الكبير الشمالي) + (العاصي).
150000 - 100000	عصر (بانياس الساحل).
100000 - 35000	عصر (الشير) - (نهر الكبير الشمالي) - (العاصي) + (الفرات). (يبرود) - (جرف العجلة) - (كهف الدوارة) - (الكوم). سكن المغاور واستعمل الأدوات.

35000 - 10000 الإنسان العاقل (Homosapian) تماثيل - نحت - زخارف - رسوم - صيد - زراعة - عمران - صناعة - مراحل زمنية - أقاليم جغرافية.

(كهف الحضيرية) في (عفرين) أبعاده (15 X 60 م) (كهف الحضيرية الثاني) - (كهف القرامل) يشبه (الحضيرية الثاني) - (تل أسود).

15000 - **(نهاية العصر الباليوتيكي) أي الحجري:**

(اللطامنة) في (الكوم) و (يبرود).

15000 - 4000 العصر الحجري المتوسط (Mesobithic) - حضارة (ميادين) (ملتقى التجار) (1500 ق. م - 11000 ق. م).

12000 **(ميزوليتيك)** (Mesolithic) **العصر الحجري الوسيط:**

حضارة (كيكاربيان) (Kebarian) (الكوم).

حبوب: قمح - شعير.

أدوات. استقر الإنسان في قرى بدائية.

10000 الحضارة النطوفية (10000 - 8200 ق. م).

امتدت من النيل إلى (الفرات).

قرى للصيادين مساحتها (200 - 300 م^2) - منازل دائرية في حفر أو خنادق بالأرض - محاصيل زراعية - صيد سمك وقواقع - حبوب برية - حيوانات آكلة أعشاب - طيور (مريبط) إلى - (قوم صيادين) (ومريبط 3) = (قرية مزارعين).

8000 بداية الزراعة في (فلسطين) و (جرش) و (دمشق) و (تل أسود) و (المريبط).

بيوت مستطيلة من طين بدلاً عن الدائرية (7700 ق. م).

مساحة القرية (3) هكتار.

صيد سمك ـ صيد حيوانات آكلة الأعشاب ـ صيد طيور.

تماثيل طينية للآلهة الأم وللثور.

7000 **(نيوليتيك) أي الحجري الحديث** (Newlithic):

مزارع وزراعة. تربية ماشية. المنازل مستطيلة ولها عدة تقسيمات. الأرضية مطلية بالكلس أو الجبص.

سكنوا (تل الرماد) ـ (تل بقرص) والطبقة الأخيرة من (رأس شمرة).

سكن مجدداً في (واحة الكوم) التي هجرها الإنسان في العصر الحجري القديم.

6000	خزف (رأس شمرة) ـ (سهل أنطاكية) ـ (العمق) ـ (دمشق) ـ (تل الرماد) ـ (الجزيرة) ـ (الفرات) ـ (ما بين الرافدين).
6500	(رأس شمرة) + (بقرص).
5600	حصل الطوفان.
5500	نشوء الدولة ـ صناعة ـ تجارة ـ زراعة ـ سيراميك (تل حلف) مزخرف، مواضيع رمزية كالآله والثور.
5000	(حضارة عبيد بالخليج) ـ خزف ـ اختلف بناء القرى والمنازل عن الأبنية العامة ـ بدأت الكتابة ـ رأس الشمرة ـ العمق.
3500 ـ 2500	عصر (أوروك) (URUK) وهي (حضارة سومرية). نشوء أول المعابد ـ مستعمرات سومرية في (سورية) ـ (تل براك) ـ (جبل أرودا) ـ (حبوبة الكبرى) ـ (جبيل) ـ (أرواد).
3500 ـ 3200	الأكاديون في (بلاد الرافدين) في (سهل شنعار).
	الآشوريون في شمال نهر (الدجلة).

3000	نهاية الاستعمار السومري وبدء الأكاديين (3000 - 2100 ق. م).
3000 - 2550	(أوروك) - (جمدة نصار) - (كيش).
2900	أول حكم في جنوب (الرافدين) وظهور (إيبلا) و (ماري).
2900 - 2500	السومريون.
2800	(حضارة البرونز)
	الكتابة السومرية - قصور فخمة سومرية في المدن.
	الساميون يشغلون مراكز هامة في المدن السومرية والسورية. قرى محصنة من عصر البرونز.
2750	عصر البرونز القديم.
	معبد وتماثيل في (تل خويرة) في (الرافدين).
2700	الكتابة السومرية في اللهجات السورية.
2600	قصر (ماري) + قبور ملكية في (أور).
2600 - 2350	السلالة الأولى (أور) - (لاجاش) في جنوب (الرافدين) وصلوا إلى المتوسط.
2500 - 2050	الأكاديون.
2500 - 2300	العموريون والكنعانيون في بلاد الشام والفرات الأوسط.
2400 - 1850	الإيبلائيون.
2359 - 2150	الأكاديون في (الرافدين) و (الشام) وقسم من (الجزيرة العربية)، وقسم من (آسية الصغرى) وقسم من (النيل).
2450	قصر (إيبلا).
2300	نهاية (إيبلا).
2250	نهاية (ماري). عصر (أور) الأول.
2200	تهدم قرى البرونز القديم. احتلال (إيبلا) من قبل (نارام شن).

2150 - 2050	العصر الجوتي: قبائل متوحشة من شمال شرق (الرافدين) دمّرت (أكاد).
	العصر السومري الحديث وعاصمة (لاجاش) - طرد الجوتيين.
2100	نهاية (أكاد) - وبدء حكم العهد الثالث لـ (أور) في جنوب (الرافدين). تحرك العموريون في (بلاد الشام) و (الرافدين). حكم (شاكاناك) (ماري).
2050	حكم ملوك (أور) في (ماري) - عهد (أور) الثالث (2111 - 2003).
2000	سقوط العهد الثالث في (أور). بناء (إيبلا) من جديد.
2000 - 539	البابليون.
1950 - 1850	عصر (أي شن) أي (أي زن) و (لارسا = لارزا) في (الرافدين).
1900	حكم العموريون في معظم المدن الهامة. مملكة (إيبلا). (نيقمادو الأول) ملك على (أوغاريت).
1900 - 1600	البابليون.
1900 - 64	الفينيقيون الساحليون والكنعانيون.
1900 - 538	كنعانيو الداخل.
1870 - 1530	البابليون العاصمة (بابل) - (حمورابي).
	ظهور ممالك (آشور) - (ماري) - (يمحاض) - (الألاج) - (قطنا).
1820	العموريون في (ماري). حكم (ليم) العموري في (ماري). (زيمريليم) ملك (ماري). (يمحاض).
1800 - 1276	الشعوب الجبلية من خارج (الرافدين) ومنهم الحوريون والميتانيون في شمال وغرب (الرافدين) - الكاشيون في وسط (الرافدين). حكم (حمورابي).

1800	الحثيون - الهكسوس - العبريون. انتهت (عيلام) - وانتهى العهد البابلي القديم على يد الحثيين.
1759	(حمورابي) البابلي دمّر (ماري) (1792 - 1750).
1700 - 1276	الآشوريون. المصريون في (سورية).
1650	(ياريم ليم) في (يمحاض) (1792 ق. م - 1750 ق. م).
1600	هدم (إيبلا). الهكسوس في (بلاد الرافدين). الاستعمار الحثي ودام بين (1600 - 1200 ق. م). غزا الحثيون (بابل).
1550	الحثيون في (سورية) و (بابل) وملكهم (مورشيلي الأول).
1500 - 1200	نهاية (أوغاريت). نهاية سلالة بلاد البحر جنوب (الرافدين) (1450 ق. م). ظهرت (عيلام) وعاصمتها (سوسا) جنوب غرب (إيران) الحالية حوالي (1180 ق. م). استعادت (آشور) قوتها واستقلت عن (بابل) الكاشية. قضى ملكها (توكولتي نيفورتا) على الكاشيين في (بابل). هجوم الشعوب البحرية على سواحل بلاد الشام.انتهاء الحثيون على يديهم.
1500	الآراميون في (سورية) الوسطى والشمالية.
1490	المصريون والميتانيون يتصارعون على (سورية).
1450 - 1190	الحثيون.
1450	الميتانيون.
1400	دخول المصريون إلى (سورية).
1350	هزم الحثيون الميتانيين. عصر (تل العمارنة).
1300	ذروة مملكة (اوغاريت).

1285 معركة (قادش) بين المصريين والحثيين لاحتلال (سورية).
قيام الآشوريون. مملكة (إيمار). الآشوريون في (ماري). هجوم شعوب البحر على (الرافدين).

1200 مجاعة في (الأناضول) تضعف الحثيين. شعوب البحر تغزو سواحل المتوسط من (الأناضول) حتى (مصر) وخراب المدن الساحلية. الآشوريون في (ماري). انبعاث الحثيون الجدد.

1200 - 732 الآراميون وإنشاء ممالكهم.

1100 الحثيون الجدد في (سورية) وشمال (حما).
(تغلات فلاسر الأول) على الفرس (1117 - 1077 ق. م).

1000 هجوم الآراميين. دخل (تغلات فلاسر الأول) إلى (سورية). بقايا إمارات حثية في شمال (سورية) وجنوب (آسية الصغرى). (آشور) و(بابل). (إسرائيل) + (يهودا). مدن فينيقية بزعامة (صور).

950 آراميون في شمال (سورية) وفي (دمشق).

850 (آشور ناصر بال الثاني) (883 - 859 ق. م) يغزو (سورية). استولى على (تل برسيب) وأصبح ميناءه. اتحاد (إسرائيل) مع (دمشق) ضد (سلماناصر الثالث) (858 - 824 ق. م).

814 أسس الكنعانيون مدينة (قرطاج) قرب (تونس).

800 (أورارتو) في شرق (آسية الصغرى). ظهور الميديين. (Zakur) ملك (حما) الآرامي. نهاية الآشوريين.

750 الآشوريون في (سورية) ملكهم (تغلات فلاسر الثالث 744 - 727 ق. م).

732 الآشوريون في (دمشق).

700	(سنحريب) ملك الآشوريين (704 - 681 ق. م). دمرت (آشور) (أورارتو). ظهور (عيلام) والميديين والفرس. دمرت (آشور) (إسرائيل) و (يهوذا) و (عيلام) و (النيل). بقي على المسرح: الفرس والميديون و(آشور) و(بابل).
650	ملك الآشوريين (آشور بانيبال) (669 - 627).
612	سقوط الآشوريين.
612 - 561 ق. م	الكلدانيون (البابليون الجدد).
605	تحالف الميديون والبابليون والكلدانيون على الآشوريين واحتلوا عاصمتهم (نينوى).
600	البابليون.
(600 - 272 م)	التدمريون.
600	أصبحت (سورية) مقاطعة بابلية.
550	الفرس في (سورية) ملكهم (سيروس) أي (كورش الثاني) (559 - 530 ق. م).
539	(كورش) احتل (بابل) الكلدانية وأنهى الآشوريين.
500	الأنباط في (وادي عربة) (البترا).
332	(الإسكندر) في (سورية) بعد أن هزم الفرس.
323	موت (الإسكندر) واقتسام مملكته. السلوقيون في شمال (سورية) و(الرافدين). أسس (سلوقس نيكاتور) الأول دولة السلوقيين.
250	بناء (أنطاكية).
247	البارثيون في (إيران).
200	(أنطوخيوس الثالث العظيم) (223 - 187 ق. م).
150	حرب أهلية سورية.

146 تهدمت (قرطاج).

100 الإمبراطورية البارثية في (عيلام).

(64 ق. م) - (330 م) الرومان في (سورية) وقائدهم (بومبي).

35 ق. م (أنطاكية) عاصمة المملكة السورية.

أحداث ما بعد الميلاد:

106 م (سورية) مقاطعة رومانية.

106 - 169 النبطيون.

100 - 635 الغسانيون في جنوب (سورية).

150 اللخميون (المناذرة) في جنوب وادي (الفرات).

194 خلق مقاطعة (ما بين الرافدين).

224 الساسانيون محل البارثيون في (إيران).

256 احتل الساسانيون (دورا أوروبوس).

268 غزت (زنوبيا) (مصر) و (آسيا الصغرى).

272 استولى (أورليان) على (تدمر) وأسر (زنوبيا).

330 - 635 البيزنطيون في (سورية).

312 (قسطنطين الأكبر) إمبراطور (روما).

313 حرية الديانة المسيحية وإعلان المسيحية.

330 (بيزنطة) عاصمة الرومان.

333 - 538 الفرس.

345 - 375 احتل الأحباش (اليمن) واستردها الحميريون عام (375 م).

395 انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية.

450 - 635 الساسانيون الفرس.

525 - 628 احتل الأحباش (اليمن) ثانية وحررها العرب المسلمون عام (628 م).

540	احتل (كوروش الأول) (أنطاكية).
570	مولد النبي (محمد).
612	سقطت (دمشق) بيد الساسانيين الفرس.
622	الهجرة.
627	أخرج (هرقل) الساسانيين من (دمشق).
632	وفاة النبي (محمد) في (المدينة).
636	فتح العرب المسلمين (لسورية) وطرد البيزنطيين بعد معركة (اليرموك).
642	فتح العرب المسلمين (العراق) و (إيران) و(مصر).
650	المسلمون في (سورية) و(مصر) و(شمال أفريقية) و(الأندلس).
661 - 750	الأمويون وعاصمتهم (دمشق).
750 - 1258	العباسيون وعاصمتهم (بغداد).
905 - 1004	الحمدانيون في شمال (سورية) و(الجزيرة).
933 - 968	الأخشيديون.
969 - 1075	الفاطميون في (مصر) و(سورية).
1038 - 1157	السلجوقيون في (إيران).
1078 - 1117	السلجوقيون في (إيران) و(سورية).
1095	بدء الحملات الصليبية.
1098	(أنطاكية) عاصمة لإمارة لاتينية.
1099	تأسيس مملكة لاتينية في (القدس).
1100	غزو (القدس).
1109	تأسيس كونتية لاتينية في (طرابلس).
1127 - 1181	الزنكيون في (الجزيرة) و(سورية)، (نور الدين) (1146 - 1174).
1169 - 1250	الأيوبيون في (مصر) و(سورية)، (صلاح الدين) (1174 - 1193).

1250 - 1516 المماليك في (مصر) و(سورية).

1258 - 1260 غزو (المغول) (لسورية) و(إيران).

1260 المماليك لمحاربتهم في (سورية) واستردوا (فلسطين) و(سورية).

1291 نهاية الصليبيين.

1400 - 1401 (المغول) و(تيمورلنك) في (سورية).

1516 - 1918 العثمانيون في (سورية) والشرق الأوسط العربي و(البلقان) و(المغرب العربي) عدا (مراكش).

1931 - 1840 (إبراهيم باشا) في (سورية) بدلاً عن العثمانيين مؤقتاً.

1918 نهاية الحكم العثماني.

1920 الملك (فيصل) ملكاً على (سورية).

1939 (22 - 7) سلم الفرنسيون (الإسكندرون) إلى (تركيا).

1920 - 1946 الانتداب والحكم الفرنسي على (سورية).

1941 استقلال (سورية).

1943 (17 - 8) انتخاب (شكري القوتلي) رئيساً.

1945 (29 - 5) العدوان الفرنسي.

1946 الجلاء.

1949 (30 - 3) انقلاب (حسني الزعيم).

1949 (14 - 8) انقلاب (سامي الحناوي) وتنصيب (هاشم الأتاسي) رئيساً للجمهورية.

1951 (28 - 12) انقلاب (أديب الشيشكلي) على (الأتاسي).

1954 (27 - 2) انقلاب (مصطفى حمدون) على (الشيشكلي) وعودة (الأتاسي).

1955 انتخابات و (شكري القوتلي) رئيساً.

1952 (23 - 7) حركة الضباط الأحرار في (مصر).

1958 (22 شباط) الوحدة بين (مصر) و(سورية).
1961 (28 أيلول) الانفصال عن (مصر).
1963 (8 آذار) ثورة الثامن من آذار.
1966 (23 شباط) حركة 23 شباط.
1967 (5 حزيران) حرب حزيران.
1970 (16 تشرين الثاني) الحركة التصحيحية.
1971 (14 آذار) (حافظ الأسد) رئيساً للجمهورية للمرة الأولى.
1973 (6 تشرين الأول) حرب تشرين التحريرية.
1974 (26 حزيران) تحرير (القنيطرة).
1978 (12 آذار) (حافظ الأسد) رئيساً للجمهورية للمرة الثانية.
1985 (12 آذار) (حافظ الأسد) رئيساً للجمهورية للمرة الثالثة.
1992 (12 آذار) (حافظ الأسد) رئيساً للجمهورية للمرة الرابعة.
1999 (12 آذار) (حافظ الأسد) رئيساً للجمهورية للمرة الخامسة.

سورية

(سورية) مهد لحضارات عديدة أبدعت في مجالات عدة من عمارة وفنون وعلوم. تقع (سورية) على ملتقى طرق ثلاث قارات هي: (آسيا) و(أفريقيا) و(أوروبا). تأسست عليها ممالك. وجرت فوق أرضها حروب. وسكنت منذ مليون عام. وترك إنسان ما قبل التاريخ آثاره فيها. وتعود إلى حوالي مئة ألف عام. حتى الآن اكتشف فيها (33) حضارة مختلفة. و (5000) موقع أثري. من الحضارات: حضارة الأكاديون، الآشوريون، العموريون، الآراميون، الفينيقيون، والعرب.

وغزى أراضيها الفرس، اليونان، الرومان، المغول أي التتار، الأتراك، الصليبيون والصهاينة.

من أشهر ممالكها: (ماري)، (دورا أوروبوس)، (تدمر)، (إيبلا)، (عمريت)، (اوغاريت)، وغيرها... بدأ التنقيب عن الآثار فيها عام (1860 م)، من قبل العالم الفرنسي (آرنست رينان) الذي بدأ (بتدمر) والساحل.

آثارها منوعة تاريخية ودينية من وثنية ومسيحية وإسلامية.

الحضارة السورية:

أحداث التاريخ القديم كانت تجري على أرض (سورية). وهي غنية بالحضارات المتتالية والمستمرة والتي كشفت عنها عمليات التنقيب بعد أن ترجمت الرقم والوثائق التي وجدت في أرضها أو في أرض جاراتها. ومتحفي (دمشق) و (حلب) وبقية المتاحف السورية تعطي برهاناً قاطعاً على تسلسل واستمرارية وأهمية الحضارات التي نشأت في (سورية). ويعتبر رجال العلم

والفكر أن (سورية) لا تخرج عن المثلث الحضاري الذي يضم (اليمن) و (وادي النيل) و (بلاد الرافدين). لأنها جميعها كانت متشابهة في أسسها ومظاهرها وروحها. وتأثرت كل منها بجاراتها كما أثرت فيها. وبفضل ذلك تكونت الحضارة الشرقية ومن ثم الغربية. والصلات بين (سورية) وجميع الأقطار العربية تاريخية حيث كانت كل الدول العربية إمبراطورية واحدة، ودين واحد، ولغة واحدة، رغم اختلاف اللهجات.

كما ارتبطت (سورية) مع بقية الدول العربية بالهجرات والتزاوج والتجارة. وحالياً كل الدول العربية تتكلم اللغة العربية الفصحى ومعظمهم يدينون بالإسلام، ولا بد من وجود مصاهرة بين العوائل في مختلف هذه الدول.

ووجود (سورية) على طرق دولية تربط القارات الثلاث ببعضها (أوروبا، آسيا، أفريقيا) و كونها ممر تجاري بين الداخل والبحر وبين الغرب والشرق وبين حرير (الصين) وتوابل (الهند) ونبلاء الغرب. وكونها طريق الحج لثلاث ديانات سماوية هي الإسلام والمسيحية واليهودية، ساد الطابع الإنساني والفكري حضاراتها وقيل فيها:

(ملياغر): أحد المفكرين القدماء من شمال الأردن: قال: «لا تظنونني غريباً كلنا من وطن واحد هو العالم».

(فيليب حتي) المؤرخ المعروف قال في كتابه (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين): «إن رجال الفكر يعتبرون بلاد الشام معلماً للخصائص البشرية».

(أوبن هايم) الألماني قال: « (سورية) جنة علماء الآثار».

وزير إيطالي قال: أن بلاده تدين بحضارتها الأولية (الإيتروسكية) (لسورية)، لأن (الإيتروسكيين) جاؤوا أصلاً من السواحل السورية الشمالية.

(آندريه بارو) مدير متحف (اللوڤر) قال: «على كل إنسان متمدن في العالم أن يقول أن لي وطنين : وطني الذي أعيش فيه و (سورية) ».

بدأ أول ظهور للإنسان في (أفريقيا) وارتحل مع شاطىء البحر والأنهار إلى الشمال. وكانت (سورية) واحدة من الأماكن التي تواجد بها الإنسان البدائي واستمر بدون انقطاع فيها. وظهرت آثاره في (يبرود) و (أبو هريرة) و (تل مريبط).

امتدت الإمبراطورية العربية من (الصين) حتى (إسبانيا) وبقي العرب في (الأندلس) بين (711 - 1492 م). وقد وجدت في (إسبانيا) أساسات فينيقية لمدينة (مالاقا) مع بعض الجدران. وقطع من البرونز والزجاج والخزف الملون.

وبنى (قدموس) الفينيقي (طيبة) أول مدينة في بلاد الإغريق. عندما كان سكانها همجاً يأكلون لحوم البشر. ونقل إلى جزيرة (مورا) الحضارة والزراعة والأدب والفلسفة والفنون وبناء البيوت. وأخيه (كيليك) أعطى اسمه لمنطقة في شمال (بلاد الشام) وأخته (أوروبا) (عروبة) أعطت اسمها لقارة كاملة.

و(سورية) هي أول من بنى حضارة مكتملة في العالم بكل مؤسساتها الحكومية في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد على يد العموريين.

وفي (سورية) كانت أقدم التجارب العلمية والفنية مدرسة (ماري) للنحت. وفيها أقدم العقائد الروحية والمذاهب الفكرية والقصص المثولوجية وأقدم الفلسفات. وأقدم الكنائس المسيحية (سمعان) (اللوزة) و كنائس المدن الميتة.

لغة المسيح تتكلمها أربعة قرى في العالم كله موجودة في (سورية) هي (معلولا) و (جبعدين) و (بخعة)، و (قلدون) وتبعد (65 كم) شمال شرق (دمشق).

أقدم المحاولات الكتابية وأقدم أبجدية وأقدم نصوص وأقدم الرسومات منذ (4000) وجدت في (سورية).

وكان السوريون أول من استعمل النحاس الطري ثم جمعوا بين النحاس والقصدير واستخرجوا البرونز وبدأت صناعة التعدين من أسلحة وأدوات زراعية وغيرها. ثم استعملوا الحديد منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. وهم الذين

اخترعوا السفن والزجاج ووضعوا نظام الحساب واستخدموا العربات في قتالهم واخترعوا الدواليب، ومهروا في صناعة النسيج وفي تطعيم الأثاث بالعاج والمعادن وصنعوا البيرة.

لا توجد حضارة ارتبط اسمها باللون كالحضارة الفينيقية مع الأرجوان وهي على الساحل السوري.

والفينيقيون هم الذين اخترعوا السفينة ونظام الحساب وكيلاً محدداً للوزن، ونقلوا حضارتنا إلى أوربا. وفي (سورية) اخترعت النواعير.

(دورا أوروبوس) كان فيها (14) معبداً وثنياً لديانات مختلفة إضافة إلى كنيسة وكنيس مما يدل على السماحة الدينية منذ فجر التاريخ حتى الآن.

توجد كنيسة (سورية) صغيرة في شارع (سان جرمان) (بباريس) تدعى (سان جوليان لوبوفر). أقامها التجار السوريون في (فرنسا) لنشر الديانة المسيحية. وكانت من أول الكنائس هناك وكان مطرانها سورياً والقائم عليها سوري من (القلمون) واسمه (الأب نصر الله).

شخصيات سورية هامة:

حكم (روما) بعض الأباطرة السوريين مثل (سبتيموس سيفيروس) وابنه (كاراكالا) و (إيلا جابال) و (إسكندر سيفيروس) و (فيليب العربي).

ونبغ في (سورية) علماء مثل (سلوقس الكلداني) الذي اعتبر ان الشمس هي مركز الكون.

و (زينون) الفينيقي (322 - 264 ق. م) الفيلسوف ومؤسس (الرواقية) وهو من (صيدا). اعتبرته (أثينا) أنبل رجال عصره. وأن حياته كانت نموذجاً اتبعه الجميع لأنه كان يعمل بموجب تعاليمه. وقد كتب الشعر التالي على قبره في (أثينا):

وإذا كانت بلادك الأصلية هي (فينيقيا)

فهل يجب أن يضيرك شيء؟

ألم يأت (قدموس) من هناك
الذي أعطى (لليونان) كتبها وفن كتابتها.
وهناك (تيودور الصوري) الذي اعتبر «الخير العظيم في الفضيلة وانعدام الألم».
و (بوسيدونيوس) الأفامي (135 - 51 ق. م) وهو كاتب ومفكر.
و (آنتيبا) الصيداوي. و (فيلوديموس).
و (ملياغر) من (حدرة = أم قوس) وجمعت دواين شعره في كتاب اسمه (الإكليل).

وهناك المهندس المشهور (أبولودور) (Apollodor) الذي ولد عام (60 م) في (دمشق) وعمل في (روما) في الربع الأول من القرن الثاني الميلادي. واقترن اسمه بالإمبراطور (تراجان). توفي منفياً عام (125 م).
من أشهر أعماله:

عمود (تراجان) في (روما) بناه في بداية القرن الثاني. ارتفاعه (215) ياردة أي حوالي (15 م). وقد عمل (نابليون) عموداً مشابهاً له في قصر (فاندوم) في (باريس) ليسجل عليه انتصاراته (1806 - 1810).

وقوس (تراجان) في (بنيفينتو) (Benevento) الذي صمّمه (أبولودور) عام (117). كما صمم مبنى (البانثيون) وسوق (تراجان) في القرن الثاني ويضم حوالي (250) محلاً تجارياً.

أهم الاختراعات في سورية الطبيعية:

الغناء والموسيقا:

اكتشفت في (أوغاريت) أول نوطة موسيقية مدونة على رقيم. تعود إلى القرن (14 ق. م) قسم من ارقيم عليه كتابة، والآخر عليه أرقام وحروف، وبعد الدراسة تبين أن الكتابة هي أنشودة العبادة الإلهية، ولم يعرف تفسير الأرقام والأحرف حتى اكتشف رقيم من (نينوى) وكان في (المتحف البريطاني). وفيه

وصف وشرح لآلة (كانارا) وأوتارها. وبالمقارنة بين الشرح ورقيم (أوغاريت) عرفت الأستاذة الأمريكية (آن كليمر) أن الأرقام تشير للأوتار، وبعد جهد أعيد بناء النوطة.

وهي أقدم بألف عام من أقدم قطعة موسيقية عرفها الغرب وهي مقطوعة (أوريستيس) المسرحية الموسيقية التي ألفها (يوروبيدوس) أعظم شعراء الإغريق.

في هذا الرقيم أساس علم الموسيقا الغربي الذي أقامه (فيثاغورث) عام (500 ق. م) إذا أنها تقوم على السلم السباعي (الدياتوني).

في هذه القطعة الموسيقية نشيد بين الآلهة. جرى عزفها على قيثارة صنعت خصيصاً لتكون مشابهة لقيثارة ذلك العهد. وكان عالم بريطاني قد اكتشف القيثارة في مدينة (أور). وقام بعزفها الموسيقي (كروكر)، بعد أن استمر بالتعرف عليها والتمرن على عزفها لمدة عشر سنوات. وكان ذلك أمام جمهور كبير بجامعة (بيركلي)، استمعوا لأصول موسيقاهم التي اخترعتها (أوغاريت) قبل (4000) سنة.

كما وجدت نقوش ونماذج لآلات موسيقية محلية منها (الطبلة الكبيرة)، (الناي المزدوج)، (الدف)، (القيثارة) وغيرها.

أقدم شكل لآلة (العود) الحالية وجد على لوحة جدارية في (قصر الحير الغربي) تعود إلى القرن الثامن الميلادي.

كما وجدت أقدم الابتهالات البيزنطية مع موسيقاها في (سورية).

وفيها أقدم تمثال له علاقة بالغناء وهو تمثال (أورنينا). وجد في (ماري) ويعود إلى (4500 ق. م).

الفخار:

ويعود إلى العصور النيوليتية (العصر الحجري الحديث). اكتشف الفخار في مكان ما من شرقنا العربي. وربما في موقع (أبو هريرة) في شمال (سورية) حيث بدأت الزراعة.

وصناعة السلال هي التي أدت إلى صناعة الفخار لأن البيوت كانت تصنع من القصب ثم تغطى بالطين. وتعرّف الإنسان على خصائص الصلصال فاستغنى عن القصب. وربما الصدفة هي التي عرفته على طريقة شوي الفخار ليصبح أكثر مقاومة. وكانت النساء يصنعن من الصلصال: أواني للطبخ وجرار لحفظ الزيت والماء والمؤونة.

وللفخار قيمة تاريخية إذ أن الرسم والنقش عليه يعطينا فكرة عن الطقوس والملابس والعادات التي كان الشعب يتحلى بها. إضافة إلى الكتابة عليه مثل رقم (ماري) و (إيبلا) و (أوغاريت) وغيرها.

وقد زاد من استعماله اختراع عجلة الفاخوري التي صنعت في الألف الخامس قبل الميلاد في مدينة (أور) جنوب (الرافدين).

الدولاب:

لم يعثر على دولاب بسبب تآكل الخشب مع الزمن إلا أن الرسوم والنماذج الطينية، فيما بعد، دلت على أن الدولاب اخترع في (سورية).

وعرف الدولاب لديهم منذ العصر الحجري الحديث أي أكثر من خمسة آلاف عام قبل الميلاد. ثم انتقل إلى السومريين حوالي (3500 ق. م) وانتشر استعماله في كل الاتجاهات في شرق المتوسط. وأدخله (الهكسوس) إلى (وادي النيل) عام (1650 ق. م). وقد ظهر في (الصين) متأخراً عام (1400 ق. م) وفي شمال أوروبا عام (1500 ق. م).

واختراع الدولاب كان له تأثير كبير في النقل والمواصلات التي صارت أسهل وأسرع.

الحياكة:

أقدم الملابس كانت من جلود الحيوانات التي اصطادها الإنسان وقد نقشت رسوم لها وهو يرتديها على جدران الكهوف والمغاور، مثل: مغارة (أم قطفة) وكهوف (بئر السبع) وغيرها، وتعود إلى (35 ألف عام ق. م). ثم

وجدت العالمة الأثرية (كاتلين كينون) تمثال لآلهة الخصب وهي ترتدي عباءة فضفاضة من نسيج معروف في منطقتنا منذ (7 آلاف عام ق. م). وقد استخدم مغزل بدائي هو (مغزل التصليبية) الذي ما زال يستعمل في بعض المناطق. ثم تطور النول إلى شكل آخر يعتمد على تمرير الخيوط بالأصبع بين الخيوط الطولانية المثبتة على النول. ثم تطور إلى النول الأرضي البدائي (المنساج) ويعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد.

الكتابة والأبجدية والمعاجم:

اكتشف عام (1996) حجرة في شمال (سورية) عليها كتابة عمرها (11 ألف) عام.

والكتابة المسمارية في (سورية) تزامنت مع كتابة (بلاد الرافدين). وفي (أوغاريت) اخترعت الأبجدية المسمارية، وتعتبر أول أبجدية مكتوبة بترتيبها الأصلي المتبع حتى الآن. والكتابة اخترعت في منطقتنا نتيجة للثورة الزراعية التي حصلت مبكرة، ونتيجة للتطور العمراني والتجاري وبالتالي الاجتماعي والثقافي والعلمي. ولزيادة الحاجة للأرشفة فكانت الكتابة والتوثيق والأختام المسطحة والأسطوانية.

وجد أقدم قاموس للغتين في (إيبلا). كما وجدت معاجم في (أوغاريت) كتبها (رعبانو) عن الحيوانات والأوزان والمقاييس والآلهة والأمراض وعلاجها وفقه اللغة. ومعاجم للغة أوغاريت وما يقابلها من اللغات السومرية والبابلية. وتعتبر من أقدم المعاجم التي وجدت في (سورية).

اختراع الكتابة

تختلف اللغة المحكية عن الكتابة، لأن الأولى يتعلمها الإنسان من الجماعة لفظاً، أما الثانية فهي اختراع، يتطور مع الزمن، ويلزمه تعلم بشكل جدي. وقد مرت الكتابة بمراحل عديدة، وتطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن. وقد لخص (الدكتور عدنان البني) وغيره من الأثريين ما معناه:

في الألف الثاني عشر قبل الميلاد، كان الإنسان يعيش في مساكن بسيطة بعد أن غادر الكهوف، وأخذ يأكل من ثمار الطبيعة، ومن صيد البحر والنهر.

وفي حوالي الألف التاسع قبل الميلاد، صار يزرع الحبوب، ويدجّن المواشي، ويصنع الفخار، وبدأ التبادل التجاري، مما اضطر الإنسان لاختراع وسيلة يسجل بها تبادل السلع، وما يتعلق بالمعاملات التجارية. من أجل ذلك اخترع علامات ورموز، اختلفت من منطقة إلى أخرى. واستخدم في ذلك كتلاً من الطين المجفف على شكل كرات، أو مكعبات، أو أقراص أو مخاريط أو معينات أو أشكال بيضوية، وغير ذلك. عثر على هذه الأشكال في أماكن عديدة من بلادنا. وقد ارتأت العالمة (د. شماندة بيسيرا). أن هذه الأشكال كانت لتحديد نوع البضاعة وعددها، فالشكل البيضوي يمثل جرة زيت، وشكلان يمثلان جرتان. وصارت هذه الكتل الطينية تحفظ ضمن غلاف طيني لتنقل مع البضاعة الحيوانية أو النباتية. وصارت هذه الأشكال تضغط على طين الغلاف لتعطي فكرة عن المحتوى، وبدأت بذلك الكتابة التصويرية، التي ظهرت في (وادي النيل)، وفي (بلاد الرافدين)، أولاً في بلاد (سومر) ثم انتقلت إلى بقية البلاد الأخرى. وكان ذلك في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد. وفي نفس الوقت كانت كتابة أخرى تظهر في الساحل الفينيقي. قد تكون سابقة للكتابة السومرية لأن الأثري (فلندرز بتري) اكتشف قطعاً فخارية في (سورية) و (إسبانيا) و (وادي النيل) حدد عمرها بسبعة آلاف عام. ويمكن تقسيم مراحل الكتابة إلى:

1 ـ كتابة تصويرية (هيروغليفية):

أي رسم أو نقش الشيء المراد ذكره، على لوح من الطين الطري ليجفف فيما بعد. وهذه الكتابة لا تعبر عن الأفكار، والمعاني المجردة.

وقد اكتشفت كتابات تصويرية أولى في مدينة (الوركاء) أي (أوروك) في (بلاد الرافدين) وكانت على رقم صغيرة تعرف بالبطاقات تعود إلى حوالي

(3200 أو 3100 ق. م) ومعنى هذه الصور غير واضح. ثم أصبحت هذه الكتابة التصويرية أكثر وضوحاً مثلاً:

2 ـ الكتابة المسمارية:

نفس الأشكال السابقة جعلت أفقية بدلاً عن العمودية، وقُرئت من اليسار إلى اليمين. وكانت تحز أو تنقش على الطين بأداة ذات رأس كالمسمار. فأصبحت أشكال الكتابة كالمسامير أو الأسافين، وأطلق الرافديون عليها (خربشة المسامير) أي (تيكيف سانتاكي) ودعيت بالعصر الحديث بالكتابة المسمارية (Cunei Form) وقد اشتقت من كلمة (كوناليوس) باللغة اللاتينية وهي مسامير. وتعود إلى حوالي (2500 - 700 ق. م).

3 ـ الكتابة المقطعية:

مع الأيام صارت الأشكال والعلامات تختلف عن الأصل تدريجياً. ولم تعد الصورة للشكل المرسوم بل أصبحت رمزاً مرة، ومقطعاً مرة أخرى: مثلاً إذا رأينا مقطع (هر) لا ندري إن كان المقصود هو (القط) أو مقطع كلمة يبدأ بنفس الأحرف مثل (هروب). أو هذا المقطع جزء من اسم شخص ما، وصار الجزء من الصورة يعبر عن الكل. مثلاً: الرجل تدل على القدم أو على فعل المشي أو الوقوف. ولم تكن هذه الكتابة تؤدي المعاني المجردة أو الأفكار. وكذلك لم تكن دقيقة في أداء المعنى المقصود. وبالتدريج ابتدأت الكتابة المقطعية من حرف ساكن وآخر صوتي. وصارت المسمارية لغزاً، اقتصر فهمها على كتّاب القصور والمعابد، وكأنها شيفرة يتعامل بها الحكام ورجال الدين والتجار.

وتطورت مع الأيام ببطء شديد، حتى وصلت إلى المرحلة الأخيرة وهي:

4 ـ الأبجدية:

ابتدعها الأوغاريتيون بالكتابة المسمارية وفي (جبيل) بالكتابة الخطية. أي يوضع لكل صوت رمز، ومجموع هذه الرموز يدل على الكلمة المقصودة.

وهذه الرموز هي الحروف الأبجدية. في البداية كانت الأحرف ساكنة ثم أضيفت لها الأحرف الصوتية. ولسهولة الحفظ أعطوا لكل حرف اسماً فينيقياً.

وهذا الترتيب حافظ الجميع على وضعه منذ البداية حتى الآن في جميع دول العالم القديم، والحديث، وقد انتقلت هذه الأبجدية مع الفينيقيين البحارة والتجار إلى سائر بلدان العالم المعروف في ذلك الحين.

هيروغليفية وادي النيل:

ظهرت هيروغليفية (وادي النيل) قبل الكتابة السومرية، بمائتي عام تقريباً. وتختلف عنها ، ولم يتفق العلماء على تحديد تاريخ ظهور المراحل الابتدائية للغتين السومرية والهيروغليفية.

اكتشفت بعثة ألمانية في عام (1993)، كتابة هيروغليفية في إحدى مقابر (أبيروس)، على بعد (500 كم)، جنوب (القاهرة)، وتقع هذه المقبرة على ضفاف (وادي النيل)، غرب مدينة (بلينا)، في محافظة (سوهاج)، بالصعيد. وكانت عبارة عن مئة شكل كتب بالحبر الأسود على أوانٍ فخارية، و (170) نقشاً وإشارة محفورة على رقم طينية.

حافظت الهيروغليفية على أشكال النقوش والكتابة الرسمية على ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام. وقال مفسرها (شامبليون) أنها تصويرية، ورمزية، وصوتية، حتى في الجملة الواحدة، بل تقريباً في الكلمة الواحدة».

في البداية كانت الهيروغليفية تحفر على الحجر، وكان الكاتب يرسم صور الأشياء التي يريد الكلام عنها، طبعاً لم يستطع التعبير عن الأفكار المجردة. وكانت الصور ذات المعاني حوالي (2000)، اختصرت فيما بعد إلى (600)، ثم طورها سكان (وادي النيل)، قبل الفينيقيين بألف عام تقريباً، إلى أبجدية، تحوي (24) حرفاً ساكناً وشبه ساكن، واستعملوها مع مئات من الرموز والعلامات. ثم أصبحت الكتابة برسم الشيء، ليس للدلالة عنه، بل لاستعمال الصوت الناتج عن قراءته. مثلاً يبدأ اسم الطائر بحرف ألف، فيرسم الطائر للدلالة على

حرف (ألف). وبدأ هذا الأمر بأسماء العلم. والهيروغليفية تكتب من الأعلى للأسفل، ومن اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين. وتحدد الاتجاه صور الأشخاص ولتحديد اللفظ جعلت له علامات تمييز بمثابة التشكيل.

في الهيروغلليفية أحرف عربية مثل (الحاء) و (العين) و (الضاد). ولا توجد بها أحرف (ثاء) و (ذال) و (ظاء).

لغة (وادي النيل) القديمة فيها تركيبات جوهرية عربية، لأنها تشتق الكلمة من مصدر واحد، وغالباً ما يتكون من ثلاثة أحرف، وفيها كلمات مشتركة عديدة. كما كانت تلك اللغة، تشترك مع لغات أفريقية، مثل الصومالية، والبربرية.

وصارت الكتابة مع الأيام تعبر الصورة فيها أحياناً عن صوتين أو أكثر، مثلاً الدائرة تمثل بالهيروغليفية صوتي (رع)، في البداية، ثم صارت تمثل حرف (ر) فقط بعد ذلك. وعلامة (مفتاح الحياة) كانت تمثل ثلاث أصوات هي (عنخ)، ومع الأيام صارت تمثل حرف (ع) فقط.

اعتقد المصريون القدامى، أن الإله (تحوت)، إله المعرفة، هو الذي اخترع الكتابة الهيروغليفية، وأطلقوا عليها اسم (مدونتر)، أو (مداد نطر)، أي الكلام المقدس. وسماها اليونانيون (هيروغليغا جراماتيكا)، أي حفر الحروف المقدسة.

وقد شرح الدكتور (أحمد داوود) المعنى بالعربية القديمة بما يلي: تتألف الكلمة من:

(هوري) أو (أوري) = رسم، نقش، زينة، زخرفة، تصوير.

(جليفو) = لوح، طين يابس، ومنها كلمة (الجلف) بالعربي وتعني لوح طين يابس.

وكان للهيروغليفية شكلان من الكتابة هما: (الهيراطيقية) و (الديموطيقية). وكتب سكان مصر القدماء بهذه الهيروغليفية بمفردهم دون الآخرين.

الكتابة السومرية:

ظهرت في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، ومرت بالكتابة التصويرية والمسمارية والمقطعية، ولم تصل إلى الأبجدية. هذه اللغة لا تشبه أية لغة قديمة أو حديثة. وليست لغة تصريف كما اللهجات العربية القديمة أو الأندو- أوروبية، وتحتوي على (15) صوتاً. ولا يوجد فيها بعض الأصوات العربية، مثل (ع - خ - ض) ولكن فيها كلمات عربية.

ولتفسير نطق النصوص السومرية التي توقف استعمال لغتها في الكلام حينما احتل الأكاديون بلاد (سومر)، صار الكتبة الأكاديون يقومون بإعداد قوائم تحتوي على الكلمات السومرية، وطريقة نطقها بالأكادية.

وقد استخدمت الكتابة المسمارية بأشكال عديدة في الأكادية والبابلية والآشورية والإبلادية والفينيقية والعمورية والكلدانية. وكذلك في اللغات الميتانية والحورية والعيلامية والفارسية والأخمينية. وقد انقرض الخط المسماري في نهاية القرن الأول الميلادي.

الكتابة الأكادية:

بعد سقوط دولة السومريين في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، صارت الأقوام العربية في (وادي الرافدين) تستعمل الكتابة السومرية، بعد إدخال علامات إضافية عليها، لم تكن موجودة فيها، وكتبوا أول أنواع القواميس المعروفة في العالم، لتفسير معناها. فكان الكتبة الأكاديون والآشوريون يعملون قوائم لمفردات سومرية وما يقابلها في اللغتين الأكادية والآشورية. كما أنهم ترجموا نصوصاً سومرية، ليدرسها الطلاب. وفي الألف الثاني قبل الميلاد، صارت شعوب (سورية) الطبيعية، تستخدم اللغة الأكادية في كتاباتها، رغم اختلافها عن اللغة المحلية. وفي القرن (16 ق. م)، صارت اللغة الأكادية، لغة الكتابة الرسمية، في (سورية) و (الرافدين) و (وادي النيل) و (آسيا الصغرى). كما صارت الأكادية اللغة الدبلوماسية التي استخدمت في المراسلات الرسمية. ومنها (350) رسالة سميت رسال (تل العمارنة)، وقد وجدتها إحدى

الفلاحات صدفة عند موقع القصر الملكي القديم، في (تل العمارنة)، في (صعيد مصر). وهذه الرسائل موزعة حالياً بين متاحف (برلين) و (لندن) و (القاهرة).

وتعود هذه الرسائل إلى فترة حكم (أمنحتب الثالث) وابنه (أخناتون) في النصف الأول من القرن (14 ق. م). وهي رسائل تبادلها ملوك (وادي النيل) مع ملوك البلاد المجاورة، ومع المندوبين عنهم المقيمين في (سورية). وبينها (30) لوحاً على شكل قاموس، يوضح طريقة هجاء قائمة من الكلمات. وبعض قطع من أدب الكلدانيين. وقد ظهر الاختلاف في طريقة نطق الشعوب للغات غيرها، فكلمة (رع) تحولت إلى (ريا) في جنوب (سورية)، واسم (أمنحتب رع الثالث) أي (نب مات رع) في و (وادي النيل) صار (نموريا). وصار للكلمة الواحدة مرادفات، واحدة لكل منطقة، مثلاً (ملك) الكنعانية صارت (زار) الأكادية. و (نب) في (وادي النيل). وكلمة (أدون) الكنعانية، صارت (رب) الأكادية، و (أمير) في (وادي النيل).

كانت شعوب (الرافدين) تتكلم لغة (سامية) شمالية مشرقية، بينما كانت (بلاد الشام) تتكلم لغة (سامية) شمالية غربية، وصارت اللغة الأدبية والدبلوماسية خليطاً من هذه اللهجات إضافة إلى لهجة (وادي النيل)، وتكتب بالأكادية المسمارية.

أبجدية أوغاريت:

تعتبر أقدم (أبجدية) في العالم، وتعود إلى القرن (14 ق. م). في (14) مايس عام (1929) عثر على أول رقيم آجري كتب بالمسمارية بلغة غير معروفة في (أوغاريت) وتوالى العثور على الرقم. وخلال حفريات عامي (1948 و 1949)، وفي قاعة أمانة السر بالقصر الملكي، عثر على رقيم صغير من الآجر، نقشت عليه تلك الأبجدية، لتكون نموذجاً للكتبة المبتدئين. وتتألف من (30) حرفاً مسمارياً (cuneiform).

تطورت الأوغاريتية من الكتابة التصويرية والمقطعية حتى توصلت إلى الأبجدية. وكانت من (29) حرفاً مسمارياً منها ثلاثة ألف (أَ و أُ و إ) وحرف

(السين) يكتب بشكلين. وعدّلت إلى (22) حرفاً. يفصل بين الكلمات حرف مسماري عمودي. وكانت تكتب من اليسار إلى اليمين، وبعدها اقتبسوا الكتابة من اليمين إلى اليسار من الآراميين، حينما التجأوا إليهم هرباً من هجمات شعوب البحر.

يعتقد بعض العلماء أن الهيروغليفية أثرت على أبجدية (أوغاريت). وبعضهم يرى أن ثمانية أحرف أبجدية أوغاريتية تشبه مقاطع من الكتابة المسمارية البابلية أي (الأكادية ـ الأمورية). وقد اكتشف رقيم عليه أبجدية أوغاريتية حروفها تتبع ترتيب الأبجدية العربية الجنوبية: (هـ ل ح م ق غ). وكل هذا يؤكد التواصل الحضاري بين كل من الجنوب وبين الرافدين والساحل الفينيقي.

وجدت نصوص أوغاريتية في كل من (أوغاريت) أي (رأس شمرة)، وفي (أوغاريت البحر)، أي (بيريت) في رأس (ابن هانىء). وكذلك نصوص متفرقة في (سورية) و (لبنان) و (فلسطين) و (قبرص). وكلها مكتوبة على رقم طينية، وكانت هذه النصوص باللهجة الفينيقية، وكانت عن الميثولوجيا والأعمال الإدارية والمكتبات الخاصة. أما المراسلات الخارجية فكانت بالأكادية ـ العمورية، أي البابلية.

أبجدية جبيل:

بعد قرن من أبجدية (أوغاريت)، أي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، استطاعت (جبيل) الفينيقية أيضاً أن تبتدع الأبجدية الخطية البدائية، بدلاً من المسمارية. وصارت هذه الأبجدية تتطور مع الأيام. ووجدت أقدم كتابة لهذه الأبجدية على قبر الملك (أحيرام بيبلوس) (متحف بيروت الوطني). وعاش في القرن (11 ق. م). ومضمونها يهدد اللصوص بالمصائب التي تنتظرهم إن اقتربوا من القبر. واستعمل كتبة (جبيل) رموزاً لكل الصور، واستغنوا عن الكتابة الهيروغليفية والمقطعية واتبعوا نفس الترتيب الهجائي. ولكن حروفهم كانت (22) وكلها ساكنة. وسافرت هذه الأبجدية إلى اليونان مع التجار والتجارة،

حوالي عام (800 ق. م).

واستخدم الحبر وورق البردي، فأخذت الكتابة شكلاً خطياً، وليس مسمارياً. وكل حرف من حروفها صار له اسماً وهو مطلع كلمة فينقيية.

حرف الألف = ألفا = رأس ثور

حرف الباء = بيتا، ويعني بيت.

حرف الجيم = جاما، ويعني جمل.

حرف الدال = دلتا، ويعني باب الخيمة، أو شكل المثلث.

تطورت أبجدية (جبيل) وصنفت إلى قديمة من القرن (12 ق. م - 9 ق. م) ووسطية من (9 ق. م - 6 ق. م) ومنها تطورت (البونيتية) في مملكة ومستعمرة (قرطاج). والحديثة التي تعود إلى ما بين القرن (5 ق. م و 1 م).

استخدم الآراميون أبجدية (جبيل) في كتابة لهجتهم التي عمت العالم القديم. ونقل (قدموس) الفينيقي، هذه الأبجدية إلى (اليونان)، كما تقول الأسطورة. وبذلك نعرف بأن اليونانيون اقتبسوا أبجدية (جبيل) واستخدموها في كتابة لغتهم بعد إدخال الحروف الصوتية عليها،لأن أبجدية (جبيل) ومن بعدها (الآرامية) ومن قبلها (الأوغاريتية) كانت جميعها ساكنة عدا حرف الألف في (الأوغاريتية) الذي يعتبر نصف ساكن.

ومن (اليونان) انتقلت الأبجدية بنفس نظام ترتيبها، إلى أنحاء (أوروبا) القديمة، وصارت قاعدة لكل الأبجديات العالمية عدا (الصينية).

ولفظة (جبيل) (بيبلوس) لدى الغرب أخذت من كلمة (ورق) القديمة (بابيروس) (Papyrus) أي (بوبلوس) (Bublos) باليوناني. وهذا يعني أن كلمة (بابيروس) لم تؤخذ من ورق (البردي) من (وادي النيل)، بل من الساحل الفينيقي، و من (بيبلوس) تحديداً. ومجموعة أوراق تدعى (بيبليون) (Biblion) ومنها (كتاب) بالإنكليزي (Book) وكلمة (إنجيل) (Bible) والكلمة اليونانية (تابليا) (Tabblia)، تعني مجموعة معينة من الكتب.

الكتابة الآرامية:

منذ حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، بدأت كتابة (جبيل) تتفرع لتكتب بها لهجات أخرى، كالموؤابية والآرامية والعبرية، كما كتبت بها اللغة اليونانية. وقد انتشرت بحراً بفضل مدينة (صور) و (قرطاج). أما الفرع الآرامي فقد انتشر براً، حتى وصل حدود (الصين). كان للآراميين دوراً ثقافياً فريداً، لأن الآرامية أصبحت لغة التجارة والدبلوماسية. وغدت أكثر اللغات انتشاراً في العالم القديم، خلال الألف الأول قبل الميلاد. واغتنت وتفرعت إلى ما يسمى (الآرامية الإمبراطورية أو الدولية) التي سادت في عهد الإمبراطورية الآشورية الحديثة. وكذلك الكلدانية (612 ـ 539) كما كانت اللغة الرسمية للإمبراطورية الفارسية ـ الأخمينية بين عامي (539 ـ 333 ق. م). ثم آرامية العهد القديم التي كتبت بها (التوراة). والآرامية الفلسطينية، والفلسطينية ـ المسيحية، والآرامية السامرية، والبابلية التي كتبت بها (التلمود)، والآرامية المندعية أو الصائبة ومنها التدمرية، والحضرية نسبة لمدينة (الحضر) قرب (الموصل). والسريانية بمختلف تفرعاتها، إضافة إلى اللهجات الحديثة التي ظلت مستخدمة في بعض مواضع من (بلاد الشام)، إلى وقت غير بعيد.

أما الكتابة (الآرامية) فهي مقتبسة مباشرة عن أبجدية (جبيل). وهناك شكل ثانٍ، هو الشكل المربع، الذي وجدت أقدم نماذجه في جزيرة (الألفانتين) في (مصر) وكتبت به النبطية والتدمرية، والحضرية، والعبرية. وتطورت الكتابة الآرامية، بأشكالها اللينة، إلى الكتابة السريانية الشطرنجيلية، وغيرها، ومنها أو من النبطية كتبت الخطوط العربية الشمالية. وكان الفرس الساسانيون يكتبون الكلمات بالآرامية ويلفظونها بالفارسية فإذا رأوا كلمة (ملك) لفظوها (شاه) وإذا رأوا كلمة (يوم) لفظوها (روز).

أهمية الأبجدية:

كانت من أوائل المراحل الديمقراطية، وحققت المساواة بين الأفراد، إذ مكنت الجميع من التعلم، والتثقف. وكان لها أهمية تعادل أهمية اختراع الطباعة، بعد ثلاثة آلاف سنة، لأنها نظام كتابي بسيط، يستطيع الطفل تعلمه

بسهولة، وبذلك كثر عدد المتعلمين.

وتدرّس اللغة الأوغاريتية، في أربعين جامعة، في أنحاء العالم حالياً، وقد ذكرها المؤرخ اليوناني (هيرودوت) في القرن (5 ق. م) بما معناه: إن الفينيقيون نقلوا مع تجارتهم إلى اليونان كتابتهم المتطورة عن الأوغاريتية.

وسائل الكتابة البدائية:

أقدم الكتابات كانت بواسطة النقش على الصخور بالعيدان أو الحجارة، ثم صنع السومريون ألواحاً من الفخار كتبوا عليها بعيدان خشبية (المسمارية). أما سكان (وادي النيل) فقد كتبوا على (ورق البردي) واستعملوا (القصب). وكانت القصبة عريضة أو رفيعة تمتص الحبر. والبردي، نبات خاص كان المصريون القدامى يصنعون من جذوعه رقائق، تحاك متصالبة، وهي رطبة، ثم تترك لتجف، فتصبح صحائف، تشبه الورق. وكان الحبر من (السخام) الممزوج بالماء ومادة لزجة كالصمغ، وإذا أضيف له تلويناً ترابياً صار لونه أحمر. وهذه الكتابة ثابتة تدوم آلاف السنين. وكتب المصريون القدامى أيضاً على ألواح من الشمع، بواسطة آلات حادة، وتمحى بالحف.

كما استعمل الرق (البرشمان) للكتابة. وهو مصنوع من جلود الماشية، بعد أن طوروا دباغتها. ورغم تطور الرق، إلا أن ورق البردي، كان أكثر استعمالاً للكتابة.

لم يعرف تاريخ بدء عمل الكتب. وأول ما عرف عنها كان في القرن الرابع الميلادي. وكان عن مواضيع دينية، وتأخرت صناعة الكتب لصعوبة الكتابة على الوجهين. وبعد استعمال الورق تطور الكتاب. وتصنع الكتب تقريباً على نفس المبدأ منذ (1700 سنة) دون تطور يذكر.

وللكتابة، طور الإغريق أدواتها، فابتكروا قلماً مصنوعاً من القصب، متعدد الاستعمالات وأكثر صلابة من الريشة المصرية، كما أضافوا للريشة شقاً رفيعاً، يسهل عملية انسياب الحبر. كما استعملت للكتابة ريشة من القصب، تطورت إلى ريش الطيور و (ريشة الإوز) أي (اليراع) وهي صلبة، ودقيقة. دام

استعمال ريش الطيور حتى القرن (19 م)، حينما أدخلت الريشة المعدنية للكتابة.

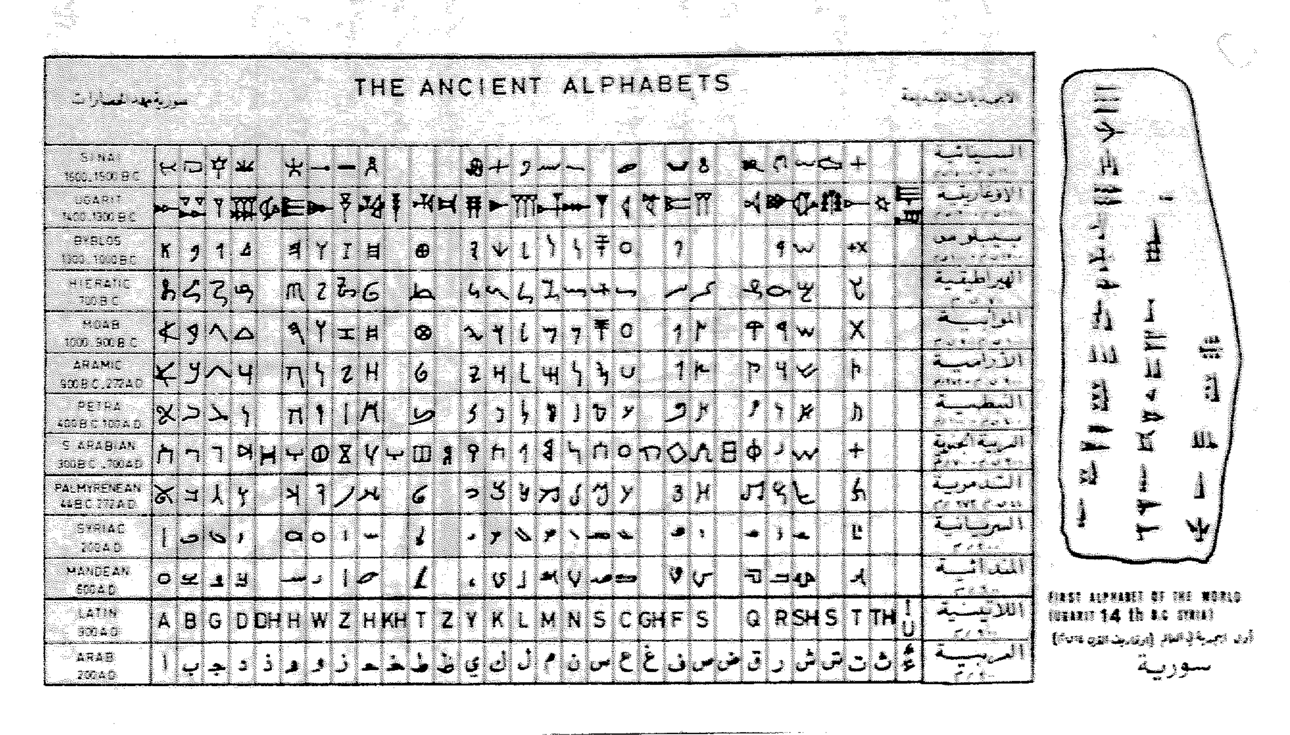
مساهمة العرب في الكتابة:

تتألف الأبجديات العربية القديمة من (22) حرفاً وكلها ساكنة. أضاف العرب لها ستة أحرف سموها (الروادف) وهي: (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ). فصارت أبجديتهم (28) ومع (لا) تصبح (29). كما أدخل العرب الحروف الصوتية. (الحركات): الكسرة والضمة والفتحة وسموها (أبعاض الحروف). كما أضافوا علامات خاصة هي الضوابط مثل: الشدّة، والمدة، وعلامة الوصل، والسكون، وعلامة الوقف (النقطة). وكذلك أدخلوا الهمزة.

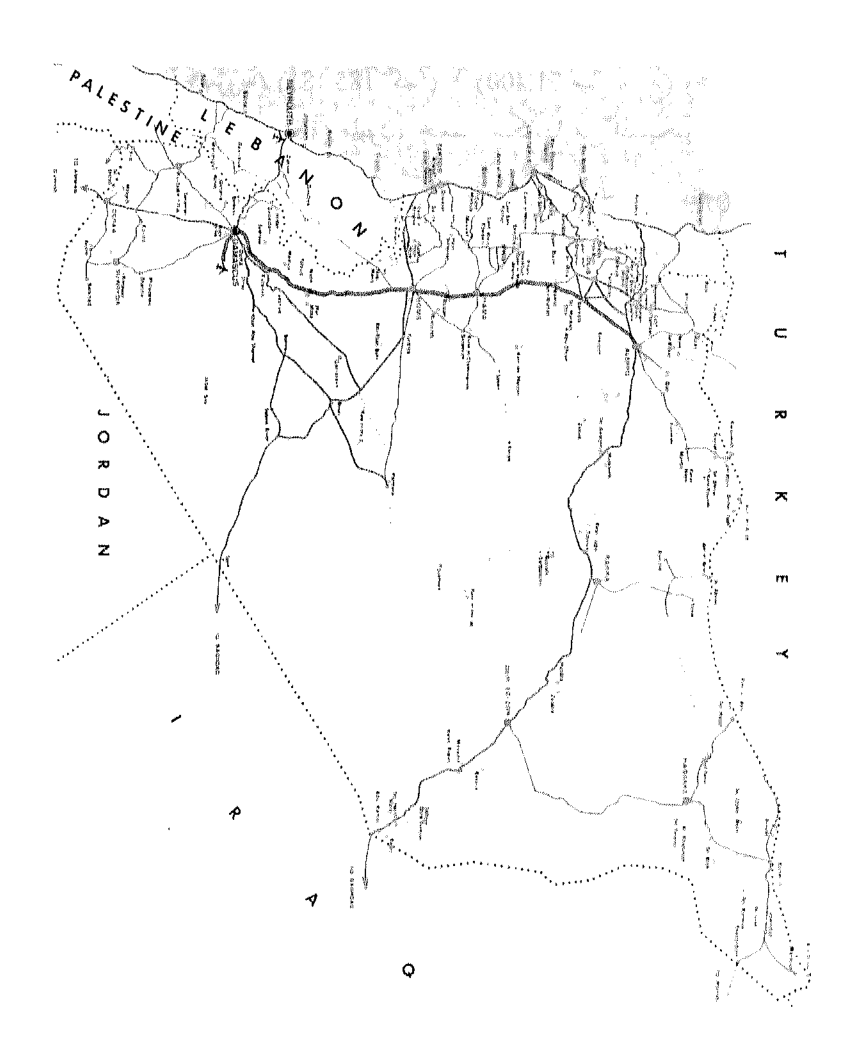
الأبجدية اللاتينية:

طور الإغريق أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين. وأضافوا إليها الأحرف الصوتية. حوالي عام (403 ق. م) صارت لهم أبجديتهم العملية التي أصبحت أساساً للأبجدية في الغرب. كانت هذه الأبجدية هندسية الشكل لأنها كانت تحفر على الحجر، ثم صارت لينة حينما صارت تخط باليد.

أخذ الرومان الأبجدية عن الإغريق، حينما صارت اليونان جزءاً من الإمبراطورية الرومانية عام (146 ق. م). وصارت اللغة الإغريقية، لغة العلوم في كافة أرجاء الإمبراطورية. وحينما سيطرت الإمبراطورية الرومانية على بلاد الغرب، صارت اللغة اللاتينية والأبجدية الرومانية هي المسيطرة. وهذه الأبجدية مع بعض التعديلات البسيطة لم تزل قيد الاستعمال حتى اليوم.



الأبجديات القديمة



خريطة سورية الحديثة

جغرافية سورية

مساحة (سورية) (185.181 كم^2) = (71.400 ميل مربع) وعدد سكانها في عام (1999) حوالي (18) مليون، خمس سكانها من المسيحيين وفيها أقلية يهودية.

تقسم إلى (15) محافظة هي: مدينة (دمشق)، ريف (دمشق)، (حمص)، (حماة)، (حلب)، (اللاذقية)، (طرطوس)، (الحسكة)، (الرقة)، (دير الزور)، (إدلب)، (القنيطرة)، (درعا)، (السويداء)، و(إسكندرون) التي وهبتها (فرنسا) (لتركيا) عام (1923 م) حسب معاهدة (لوزان) بعد استفتاء صوري لعدد السكان العرب والأتراك.

مساحة محافظة (إسكندرون) (5408 كم^2) وتقع على البحر الأبيض المتوسط، في الزاوية الشمالية الغربية من (سورية). وأراضيها خصبة، رائعة الجمال.

طول الساحل السوري (183 كم) مع (إسكندورن) وبدون (لبنان)، و (160 كم) بدون (إسكندرون) وبدون (لبنان). وطول الحدود (2413 كم). يحدها من الشمال (تركيا) وحدودها (845 كم)، ومن الشرق (العراق) والحدود (596 كم) ومن الغرب (لبنان) وطول الحدود (359 كم)، والبحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب (الأردن) وحدودها (356 كم) و (فلسطين) والحدود (470 كم).

عاصمة (سورية) مدينة (دمشق). وتعتبر أقدم مدينة لا تزال مأهولة بدون انقطاع في العالم كله.

جغرافية (سورية) منوعة، فيها غابات في الشمال الغربي وبادية في الوسط، وسهول ضيقة في الغرب، وسهول منبسطة في الشمال والشمال الشرقي، وسهول متفرقة في الداخل.

الأنهار:

(الفرات): وينبع من جبال (تركيا) في هضبة (الأناضول) ويمر في (سورية) و (العراق)، ثم يصب في (خليج العرب). ويبلغ طوله الإجمالي (2230 كم) وطوله في (سورية) (600 كم). وله روافد هي (الخابور) وطوله في (سورية) (442 كم) و (البليخ) وطوله (116 كم)، و (الساجور) وطوله (108 كم)، و (جغجغ) وطوله (124) كم.

(العاصي): وينبع من جبال (لبنان) الشرقية ويسير نحو الشمال عكس كل الأنهار لذلك سمي (بالعاصي). يشكل نهر (العاصي) بحيرة - (قطينة) وسد (الرستن) ويدير نواعير (حما) ويرويها. كما يسقي أراضي (الغاب) من (شيزر) و(العشارنة) وغيرها. وبعد ذلك يخترق محافظة (الإسكندرون). ويصب في البحر الأبيض المتوسط. طوله الأجمالي (464 كم) وفي (سورية) (310 كم) بدون محافظة (الإسكندرون).

(بردى): ينبع من سهل (الزبداني) ويصب في بحيرة (العتيبة) طوله (80 كم). وهو الذي جعل من (دمشق) مدينة مأهولة لمدة ستة آلاف عام على الأقل. وأحاطها بالغوطة والمزارع والحدائق. وروى خضارها وثمارها.

(نهر الأعوج): يروي الغوطة الغربية وينبع من (جبال لبنان الشرقية) ويصب في بحيرة (الهيجانة).

(عفرين): في الشمال الغربي من (سورية) ينبع من الأراضي التركية. طوله الإجمالي (149 كم) في (سورية) (85 كم). ويصب في بحيرة (العمق) (بلواء الإسكندرون).

(نهر الكبير الشمالي): وهو نهر ساحلي ينبع من الجبال الساحلية الشمالية. ويصب قرب (اللاذقية) في البحر الأبيض المتوسط. طوله الإجمالي (80 كم). وفي (سورية) (56 كم).

الجبال:

سلسلة الجبال الساحلية: وتدعى (الأنصارية). ارتفاعها يتراوح بين

(1200 - 1600 م).

سلسلة جبال (لبنان) الشرقية: (Lebanon - Anti) وأعلاها قمة (موسى) (2659 م).

جبل (الشيخ) أو (حرمون): في الجنوب الغربي، أعلى قممه (2814 م).

جبل الزاوية: وهو أقل ارتفاعاً من الجبال الساحلية. ويقع في الشمال الغربي من (سورية).

سلسلة جبال (تدمر): في الوسط.

جبل (البلعاس): في (البادية).

جبال (القلمون).

جبال (الجزيرة).

جبال (حلب).

جبل العرب (الدروز سابقاً).

وتوجد تلال عديدة لمدن ميتة في أنحاء (سورية).

البحيرات:

بحيرة (الأسد): وهي بحيرة اصطناعية في شمال (سورية) على نهر (الفرات). مساحتها (630 كم). سعتها (12 مليون م^3) ماء. وتروي (640 ألف هكتار).

بحيرة قطينة: قرب (حمص) على نهر (العاصي). مساحتها (60 كم^2).

بحيرة الرستن: شمال (حمص) على نهر (العاصي). مساحتها (19 كم[2]). تحتوي على (14 مليون م^3) ماء.

السدود:

سد (الفرات)، سد البعث، سد الرستن، سد السن، سد محردة، سد قطينة، سد تشرين، وغيرها.

السهول:

سهول العاصي: وهي سهول منخفضة، خصبة تقع على طرفي (نهر العاصي)، ويتضمن (الغاب) و (الروج) و (العمق.)

سهول (الجزيرة) العليا والدنيا ووادي (الفرات): وهي سهول واسعة تصلح للزراعات الآلية الضخمة لمساحاتها الكبيرة ولأراضيها المنبسطة.

سهل الحسكة: وهو من السهول الشمالية التي تصلح للزراعات الآلية.

سهل دمشق: وهي الغوطة التي يرويها نهر (بردى) وفروعه الستة.

سهل حوران: خصب يصلح للزراعات الآلية. وكان سابقاً يموّن الإمبراطورية الرومانية بالحبوب.

وهناك سهل حلب، وسهل حماة، وسهل حمص، البادية والحماد، الزبداني، وهضبة الجولان.

الثقافة:

في (سورية) (4) جامعات هي: جامعة (دمشق) في (دمشق)، جامعة (حلب) في (حلب)، جامعة (تشرين) في (اللاذقية)، جامعة (البعث) في (حمص) و (حماة).

وهناك عدد من المعاهد المتوسطة في بعض المحافظات.

الصناعة:

وهي صناعات آلية تغطي حاجة البلد، سواء بالتصنيع المحلي أو بالتجميع. أسواقها مليئة بالصناعات اليدوية التقليدية:

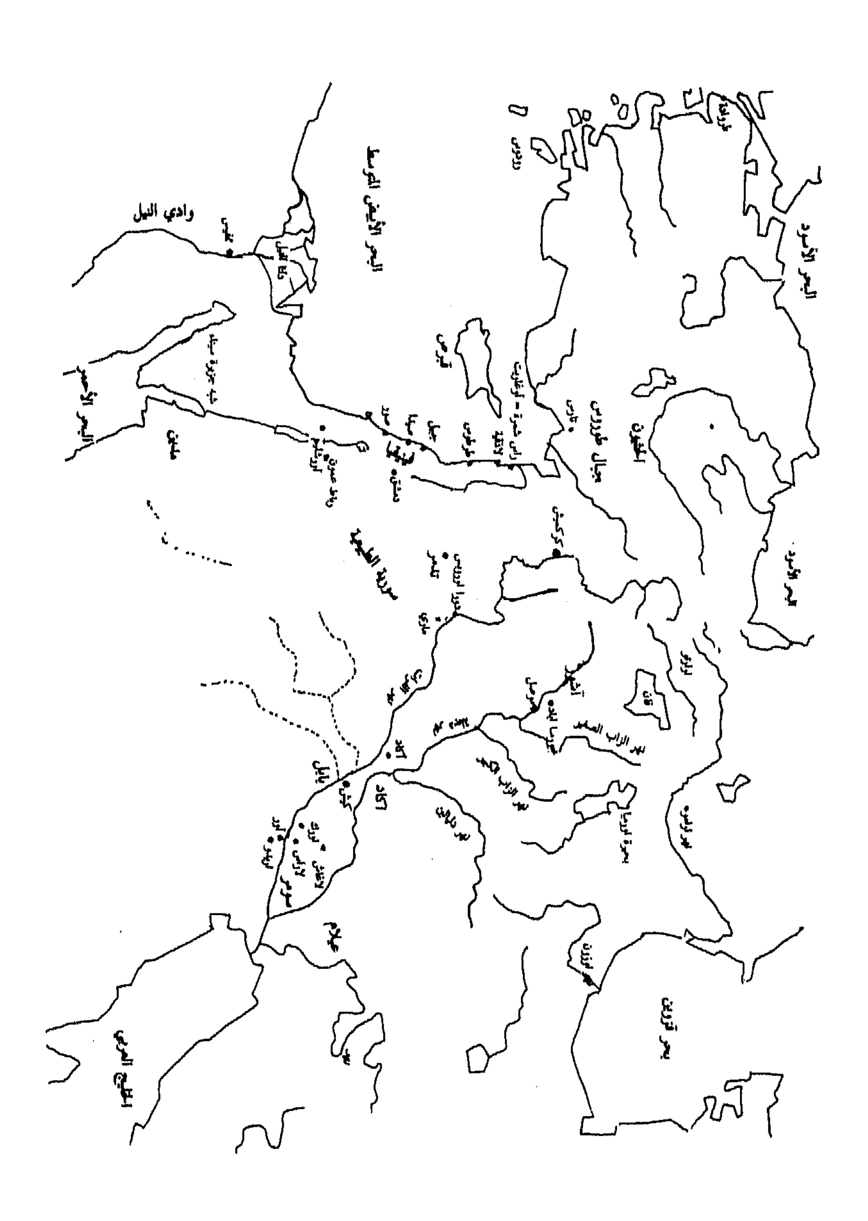
الحفر على الخشب، تطعيم العاج والفضة والمعادن الأخرى، التنزيل بالذهب والفضة، الصناعات الزجاجية والمعدنية والنحاسية والجلدية، الفسيفساء (الموزاييك الزجاجي)، صناعة الفخار والخزف والسجاد، وصياغة الحلي الذهبية والفضية والصناعات النسيجية وأهمها: بروكار وهو من الحرير البلدي قد تنسج

معه خيوط من الذهب أو الفضة أو القصب، وله أشكال مختلفة وزخارف بديعة. وهناك الدامسكو والأغباني والديما والآلاجا والكشمير وغيرها.

التجارة:

أهم صادرات سورية:

الحبوب، الفوسفات، البترول، الفواكه، الخضار، الزيتون وزيته، القطن، والأنسجة القطنية.



خريطة العالم العربي القديم

لمحة تاريخية عن الأقوام التي مرت على سورية الطبيعية

السومريون

كلمة (سومر) أو (شومر) أو (سومرو) أو (شومرو) تعني بلاد (الماريين) نسبة إلى (مارو) أي بلاد (السادة) أو (أرض الأرباب). لأن كلمة (شو) تعني (المدى أو المجال) وهي (شأو) و (سأو) الحالية. وكلمة (مرو) تعني (السادة) إذن: (سومرو) = (أرض السادة). و (سومرو) مرادفة لـ (عمرو) ولـ (مارو).

أوجد السومريون حضارة مزدهرة حوالي عام (3500 ق. م) في جنوب بلاد الرافدين، وتمتد من (بغداد) الحالية إلى (الخليج العربي) وهي سهول لحقية خصبة مساحتها حوالي (25000 كم^2) وكانت عاصمتهم (نيبور) التي اكتشفت عام (1889 م). وجدت آلاف من الرقم الفخارية تظهر هذه الحضارة. مواضيعها مختلفة عن الحيوان والنبات والمعادن والرياضيات والتشريع والأدب، وأشهر قطعهم الأدبية هي (جلجامش). ويعتبر تشريعهم أقدم ما ظهر في العالم حتى الآن. وكان لديهم محاكم ومجالس للشورى وبرلمان، وهم أول من شكّل وحدات سياسية دينية هي (حكومات المدن) أي كل مدينة هي مستقلة ولها ملك كاهن. وكانت (أوروك) أول مدينة في العالم من حوالي (1600 ق.م). وكان لكل مدينة مجموعة من الآلهة تقدم لها القرابين. تتألف حكومة المدينة من العاصمة مع بلدان وقرى وبساتين ومزارع ومراعي تعود لها. مساحتها بين (1000 و 3000 كم 2). وكانت المدن مسوّرة ولها شوارع ومجارير، ومعبد واحد على الأقل، وفوقه برج عالي هو الزاقورة، حيث هيكل الإله المعبود. ويتألف البيت من طابق واحد من الطوب فيه باحة مكشوفة وعدد

من الغرف حولها. والأثاث من خشب، وأدوات المطبخ من النحاس والفخار والحجر والسلال وصناديق من الخشب أو القش. وكان البيت صغيراًوفيه مقبرة للعائلة يدفن الميت مع بعض الأغراض للاستعمال في العالم الآخر. وكانوا بارعين في بناء المعابد والبيوت وزخرفوا الأبنية بالصور الملونة وصنعوا لها التماثيل الجميلة.

والسكان أحرار وعبيد والزواج له شروط ويمكن الطلاق والزواج بامرأة ثانية مع زوجته الأولى.والأولاد عبيد لوالديهم يمكن حتى بيعهم.

وكانت الأراضي مقسمة إلى:

1 ـ أرض الرب: ويعمل الجميع فيها من أجل المعبد.

2 ـ أرض القوت:ويعمل الجميع من أجل الكهنة.

3 ـ أرض المحراث:وتعطى للمرابعين وحصتهم فيها (7/1) أو (8/1) من المحصول). وتعود البقية للمعبد.

وكانت البلاد خيّرة والدخل وافر فازدادت الحركة التجارية والاقتصادية مما اضطر إلى الإدارة والتنظيم واختراع الكتابة.

وهم الذين اتخذوا النظام الستيني في حساب الوقت للساعة والدقيقة والدائرة. واخترعوا التقويم وبرعوا في الفلك والموسيقى والطب، وكانوا صناعاً مهرة عملوا في الخزف والمعادن. وصنعوا الحلي من الذهب والفضة.واستخدموا الأختام الأسطوانية، وبرعوا في الزراعة. واخترعوا المحراث لتجره الثيران. وكان لهم نظام ري في طول البلاد وعرضها،كما كان لديهم في مدنهم نظام صرف ومجاري. وبنوا الأقنية والسدود. وكان لديهم مدارس لتعليم الزراعة والصناعة بأنواعها. اخترعوا السلاح مما أدّى لاستعمال المعدن. فاستخدموا النحاس والقصدير وصنعوا منهما البرونز كما عرفوا الحديد وصنّعوه. استخدموا عربات في قتالهم واخترعوا لها الدواليب. ومهروا في صناعة النسيج، وفي تطعيم الأثاث بالعاج والمعدن وصنعوا البيرة، كما اخترعوا المراكب لنقل بضائعم عبر البحر والأنهار. واندمجوا مع البابليين حوالي عام (2200 ق. م).

من مدنهم: (أريدو) و (لارسا) و (أور) و (لاغاش) و (خفاجة).

الأكاديون

قامت هذه الدولة في سهل (شنعار)، في وسط (العراق)، في القسم الشمالي من أراضي (سومر). وهي أول دولة عربية.

وكانت عاصمتهم (أكادو) ولم يكشف عن موقعها بعد، ودعاها السومريون (أجادي) أو (أجادو). أشهر ملوكهم كان (سرجون) وحفيده (نارام سن). اللذان هاجما مملكة (إيبلا) وقضيا عليها، كما ضم (سرجون) أرض (سومر) إليه. وأسس سلالة دام حكمها لأكثر من مئة عام. امتد نفوذ (سرجون) على كل من (الهند) و (بلاد ما بين النهرين) و (بلاد الشام) وصولاً إلى (الحبشة).

(سرجون) أي (شاروكين) الذي حكم بين (2350 - 2300 ق.م). ولدته إحدى خادمات المعبد في (كيش) في دولة (سومر) وعاش دون أن يعرف أباه.

(سرجون) هو لقبه باللهجة العمورية السومرية الآشورية، والكلمة مؤلفة من (سار) وتعني الملك والسيد، و(ساره تعني الملكة والسيدة). و (غون) وتعني العادل. وباللهجة العمورية الغربية (شاروكينو) وتعني الملك العادل.

تلقى علومه في المعبد، وتعرف على حقيقة حياة رجاله، ونقاط الضعف والقوة في تلك المؤسسة، وحينما صار ساقي للملك، تعرف على واقع جماهير الشعب، من الفلاحين، والرعاة، والصنائع، والبحارة، والتجار. وتعرف على أساليب الابتزاز، التي يزاولها الحكام والقائمين على المعبد، على أفراد الشعب. كان ذو مواهب قيادية وسياسية وعسكرية، واستطاع بذكائه الوصول إلى ثقة ملك (كيش) (أوزبابا) مما جعله مقرباً إليه، وعينه أميراً لإحدى المدن التابعة له.

في الوقت الملائم خرج (سرجون) على سيده، وخلفه، وجلس بدلاً عنه على عرش (كيش) السومرية، ونقل عاصمته من (كيش) إلى (أغادة) أو (أجادو). وهو أحد الآباء العرب القدامى الذين تقدسوا، وما تزال كلمة جد بالعربية الحديثة تحافظ على معنيين هما الأب الأعلى، والحظ الطيب. وقد ارتبط اسمه بالخصب أيضاً، و (أغادة) أو (أجادو) هي (أكاد) وقصة حياتها خلدها أحد الشعراء فقال.

إن مسقط رأسه هو (أزوبيراتو) على (الفرات).

ولدته أمه سراً، ووضعته في سلة القصب ورمته في النهر.

وجده (عاكي) البستاني، فأخذه ورباه، وجعله ابناً له. ثم صار بستانياً.

(القصة تشبه قصة (موسى) إلا أنها أقدم منها بألف عام ونيف).

ويبدو من الشعر أن أباه معروفاً إلا أنه تخلى عن أمه. لأن الشعر يذكر أن أعمامه أحبوا التلال وسكنوها، وربما هم من أبناء (باسل)، أو (باشل بن آشور بن سام بن نوح)، والذين سكنوا المرتفعات بين (آشور) و (نينوى)، في منطقة (الموصل) حالياً.

تبنى الأكاديون كل مقومات الحضارة السومرية وأعطوها أسماء وتعابير لهجتهم. وكان الشعبان السومري والأكادي يعيشان سوية. وشاركوا السومريين في طرق حياتهم وثقافتهم وديانتهم. والفرق الوحيد بينهما كان الفرق اللغوي.

وكانت الزراعة والتجارة مزدهرة في زمنهم، واستعملوا البرونز للأسلحة.

كانت الكتابة الأكادية بابلية مسممارية، عدد رموزها يزيد عن (160).

كل رمز فيها يدل على مقطع من كلمة. والكلمة مركبة من مقطع أو أكثر. وكانت هذه الكتابة شائعة في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، (في بلاد الرافدين) و (بلاد الشام) و (إيران) و (آسيا الصغرى).

بعض أسماء الأشهر الحالية هي من أصل أكادي مرتبة كالآتي: نيسانو -

أيارو ـ سيمانو ـ ودأوزو ـ آبو ـ أولولو ـ تشرينو ـ أرخ سمار ـ كيسليمو ـ تبيتو ـ شباطو ـ آدارو.

ونيسان هو أول السنة عندهم.

العموريون أو الآموريون

سكنوا (بلاد الشام) وكان اسمها بلاد (آمورو) نسبة للآموريين (العموريين) بينما سكن الفينيقيون سواحلها من (أنطاكية) حتى جنوب (صور) وهم السكان الأصليون للوطن العربي السوري القديم. والذي كان يشمل (شبه جزيرة العرب) و (بلاد الشام) وشمال (أفريقيا) و (بلاد الرافدين).

العموريون عرب وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى جدهم الأكبر (عمرو) الذي كان يكتب بالأبجدية المسمارية (أمرا) أو (عمرا) أو (أمرو) أو (عمرو) وهم من العماليق (الجبابرة).

الأصل العربي للكلمة (أمرا) هو (مر) بعد تجريدها من الأحرف الصوتية التي أدخلت عليها لاحقاً. وهذا الأصل يعني بجميع اللهجات العربية (السيد). ومؤنثه هو (مرت) و (مري) وتعني السيدة. وبعد إضافات الأحرف الصوتية تقرأ كلمة (مر) (مار) و (مور).

ولفظة السيد في التقليد العربي القديم كان يطلق على الأب المميز، أو على الحاكم ثم على الإله، وتشمل معاني عديدة: رب البيت ـ الأب ـ السيد ـ أب القبيلة ـ الحاكم ـ الملك ـ الحاكم الديان ـ ومن كلمة (مر) العربية جاء في العربية الحديثة كلمة (مرء) و (مرأة). (أمار) و (أمور) بالإبدال تصبح (عمار) و (عمور) وتعني مقام السيد ـ مقام الرب ـ بيت السيد ـ بيت الرب ـ عرش السيد ـ عرش الرب ـ أبناء السيد ـ أبناء الرب.

لأن كلمة بيت ارتبطت بكلمة مقام، وصارت تعني أولاد، لأنهم صورة عن والدهم، وصارت عبارة بيت فلان تعنيه وجميع أولاده. وهكذا ارتبطت كلمة بيت دينياً (بالمقام) ودنيوياً بالأولاد.

وهكذا صارت (أمرو) أو (عمرو) باللهجة العمورية الغربية بعد إضافة الصوت (و) إلى نهاية الاسم وأحياناً (وم) تعني مقام السيد ـ مقام الرب ـ بيت السيد ـ بيت الرب ومنها اشتقت (ماري) عاصمة العموريين وتعني (السيدة). و (عمريت) وتعني مقام السيدة أو مقام الربة و (بيت مري) مثلها. ومنها أسم (مريم) وتعني السيدة أو الربة باللهجة الآرامية والعمورية، ومنها اشتقت كلمة (العمرة) وتعني زيارة مقام السيدة أو بيت الرب. وكلمة لعمري، وهي قسم يعني وحق مقام السيدة.

كانت الإمبراطورية العمورية محاطة بقبائل وبشعوب بدائية في الشمال والشرق، وكانت تهدد أمنها واستقرارها وتنقض على مدنها فتدمر وتقتل وتنهب ثم تعود إلى معاقلها خلف الجبال المنيعة.

أما المنطقة التي سكنها العموريون فكانت متنوعة في جغرافيتها كما كانت واسعة شاسعة، وتقع على ملتقى ثلاث قارات هي (آسيا) و (أوربا) و (أفريقيا). وعلى أهم بحار العالم القديم التجارية وهي:

الخليج العربي والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط الذي كان يدعى (بحر آمور العظيم). وكانت أراضيها غنية وخصبة وفيها تنوع مناخي ونباتي وزراعي.

وفيها أهم الطرق الدولية التجارية، منها: طريق بين (دلتا النيل) و (جزيرة سينا) حيث مناجم الفيروز والنحاس. وطريق بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى بلاد البخور والعاج والأبنوس. ومنه إلى (عُمان) حيث النحاس أيضاً، ومنه فرع يذهب إلى سواحل (الهند) وآخر إلى (نينوى) و (ماري) ثم يذهب غرباً ليلتقي بطريق دولي آخر يأتي من (العقبة) مع الساحل السوري. ومنه فرع يحاذي الشاطىء وبقية المدن الساحلية. وآخر يذهب إلى الداخل ليعبر (الأردن) ثم إلى (دمشق)، ومن هناك يذهب منه فرع إلى (بادية الشام) مروراً (بتدمر) و (سومر) و (بابل) و (نينوى).

ويتابع الطريق الأساسي من (دمشق) نحو الغرب ليمشي مع (العاصي) نحو الشمال. ويتفرع عنه طريق يتجه نحو وادي (النهر الكبير الشمالي) ثم إلى

الساحل ليلتقي مع الطريق الدولي الذي يمر من المدن الساحلية. وفي (الأمانوس) و (كيليكية) يلتقي مع الطريق الآتي من (الخليج العربي) و (وادي دجلة) و (نينوى).

كانت هذه الطرق التجارية تمر منها كل منتجات العالم القديم كالعاج والذهب من (أفريقيا)، والمر والبخور والتوابل من (الهند) وجنوب (بلاد العرب). والكهرمان والحرير من (آسيا الوسطى) و (الصين)، والحبوب والأخشاب والخمور والزيوت والمنسوجات والأرجوان والأسلحة والقصدير والنحاس والبرونز والفخار من سهول (سورية) وجبالها.

من أهم المدن العمورية:

ماري: وتقع على (الفرات) وكان ملوكها من السلالة العاشرة بعد الطوفان، انتهت على يد (حمورابي) البابلي في السنة (34) من حكمه.

يمحاض أي (حلب): اكتشفت فيها رقم مسمارية من عهد الملك (ياريم ليم)، المعاصر (لحامورابي) البابلي، واشتهر بالدهاء السياسي. وكان قصره الفخم من أشهر وأجمل القصور، في ذلك العهد.

قطنا (المشرفة): وتقع شرق (حمص).

وهناك مدن أخرى مثل:

أريدو ـ نيبور ـ كيش ـ لغش ـ أور ـ أوروك ـ لارسا ـ سوسا ـ إيبلا ـ حما ـ حمص ـ دمشق ـ حران ـ جرابلس أي كركميش ـ أفاميا.

ومن مدنهم التي حكمها الفينيقيون العموريين:

أوغاريت ـ صيدا ـ صور ـ جبيل ـ عمريت ـ صور ـ صيدون ـ جبلة ـ عروة (شرقي البحر الأحمر).

استعمل العموريين البرونز لأسلحتهم ومارسوا الزراعة والصناعة والتجارية وبنوا المساكن.

انتهت دولة العموريين بسقوط الدولة البابلية الجديدة (الكلدانيين) على أيدي الفرس الأخمينيين.

الفينيقيون

الفينيقيون مثل الكنعانيون عرب عموريون. سكنوا الساحل السوري. أتوا أصلاً من العماليق (الجبابرة). وهم سكان منطقة (الخليج العربي) و (البحرين) و (عمان). حينما حصل الطوفان انتشروا في بلدان عدة واستقر الفينيقيون على الساحل السوري، بينما سكن الكنعانيون على الساحل الشرقي (للبحر الأحمر) ثم عبروا غرباً إلى (وادي النيل).

الفينيقيون تسمية عربية تعني المرفهين، المتنعمين، المتمتعين، أصحاب العيش الرغيد، وفي اللغة العربية القديمة السريانية والفينقيية كان فعل (فنِق: نعّم، رفّه، دلّل، متّع، عظّم)، (فونيقو: منعم، مدلل، رغيد، مجيد). وفي قاموس محيط المحيط نجد (فنق وفَنِق = نِعَم). و (عيش مفانق: عيش ناعم ورغيد)، (و الجواري الفنق: الجواري الناعمات).

كتب المؤرخ السوري كتابه «تاريخ فينيقيا» في الألف الثاني قبل الميلاد، أي قبل وجود أي إغريقي على وجه الأرض،لأن المسستشرقين ادعوا أن تسمية الفينقيين أتت من الإغريق، وتعني الحمر، لأنهم تاجروا بصباغ الأرجوان. كما أن (فينق) كان أحد أولاد الملك (آجينور) ملك (صور). وهو أخو (قدموس) و (كيليك) و (أوروبا)، (عروبه) التي أعطت اسمها لقارة (أوروبا). و (قدموس) كان أول من بنى مدينة في بلاد الإغريق، عندما كان سكانها همجاً. ونقل إلى شبه جزيرة (مورة) الحضارة والزراعة وبناء البيوت، والأدب، والفلسفة، والفنون. و (كيليك) أعطى اسمه إلى منطقة في شمال (سورية) هي (كيليكيا).

أُطلق على سكان الساحل السوري اسم فينيقيين أو سوريين. وهم عرب

عموريون استقروا عل الشريط الساحلي (لبلاد الشام) في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد. وكانت (طرابلس) العاصمة الساحلية ومقر اجتماع المجلس العام الفينيقي. وكانت المدن الفينيقية تشكل اتحاداً تتولى زعامته إحدى المدن الفينيقية، فكانت (أوغاريت) الزعيمة في القرن السادس عشر قبل الميلاد، و (جبيل) في القرن (14 ق. م) و (صيدا) في القرن (12 ق. م). و (صور) في القرن (10 ق. م) و (طرابلس) في القرن (5 ق. م).

ووصلوا ذروة حضارتهم بين (1200 و 800 ق. م)، مهنتهم الأساسية كانت الملاحة من أجل التجارة. تاجروا بخشب الأرز، والصباغ الأحمر الأرجواني، والمنسوجات، والزجاج، والصناعات المعدنية، والتوابل، والعطور.

غزاهم (الفرس) في القرن السادس قبل الميلاد، وقضوا عليهم، وأخذوا ملاحيهم وضموهم للبحرية الفارسية. كان الكنعانيون في وقت ما، حلفاء لملوك (وادي النيل). ولكن حينما انصرف (أخناتون) إلى تأملاته تخلى عنهم، فازداد نفوذ وسيطرة الحثيين في عهد ملكهم (شوبيلوليوما)، كما ازدادت سيطرة العموريين على مناطق واسعة، فعقد ملك (أوغاريت) (نقمادو) معاهدة مع الملك العموري (عزيزو). وبعد الصلح بين الحثيين وملوك (وادي النيل) صار الفينيقيون في موقف جديد. ثم هاجمتهم (شعوب البحر) وقضت على (أوغاريت) إحدى مدنهم الهامة عام (1191 ق. م). وما أن استردوا قواهم حتى هاجمتهم جيوش الفرس في القرن الرابع قبل الميلاد. ولكنهم ثاروا ضد خلفاء (داريوس) عام (351 ق. م) في (طرابلس) وغيرها، وأصبحت (صيدا) مركزاً لثورة وطنية في عهد ملكها (تينيس) وحرقوا سفن الفرس، ولكن هذه الصراعات بينهم وبين الفرس أدت إلى تأخر في المجالات الاقتصادية فضعفت موارد البلاد وتحصيناتها مما شجع الإغريق على غزو الشرق. وجرت بينهم وبين الفرس وكان ملكهم (داريوس الثالث) (336 - 330 ق. م) معركتي (إيسوس) و (آربيل) هُزم الفرس فيهما واستولى الإغريق وعلى رأسهم (الإسكندر المكدوني) على بلاد شرق الأبيض المتوسط ولكن (صور) و (غزة) صمدتا أمام هجماته. وبدأ العصر اليوناني أي الإغريقي.

النص الفينيقي المكتشف على صخرة « بارايبيا » في البرازيل وترجمته إلى العربية الحديثة . يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد ، اي إلى ما يقرب من الفي سنة قبل كريستوف كولومبس .

مما جاء في النص : « ... وبفضل مقاومة الرجال في البحر تمكّنا في عشرة مراكب من أن ندور حول أرض حام (افريقيا) لمدة سنتين ، لكن عاصفة من يد بعل فرقتنا ، ولذلك انفصلنا عن رفاقنا ، وجئنا إلى هنا ، ونحن اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء إلى ساحل جديد بإشرافي انا الأميرال . ونرجو من الآلهة ان يترأفوا بنا (أن ينعموا علينا) » .

كان الفينيقيون تجاراً بارعين يجوبون البحر الأبيض المتوسط. وصلت سفنهم إلى كل جزره وسواحله ومنها إلى سواحل (بريطانيا)، وتجاوزوها إلى المحيط الأطلسي، ثم وصلوا إلى (البرازيل). ووجد نص فينيقي على صخرة (بارايبيا) في (البرازيل) من الألف الأول قبل الميلاد أي (2500) عام قبل

(كريستوفر كولومبوس). وهناك آثار مدينة في أعالي نهر (بارنا هيبا) اسمها (فورترويا) وهي تسمية سورية قديمة تعني سلالة (طروادة). وكانوا أثناء سفرهم يقيمون خياماً لعرض بضائعهم للبيع، وحينما ينتهون يقوضونها، ويرحلوا. ثم بدأوا ينشؤون قرى دائمة تحولت مع الزمن إلى مدن ومستعمرات.

وكانت أول مستعمرة لهم هي (أوتيغا) عام (1100 ق. م)، حالياً هي مدينة (قادس) (Cadiz) شمال (إسبانيا). ثم أنشؤوا مدينة (قرطاج) (Carthage) في (تونس) عام (950 ق. م). تحدت بقوتها (اليونان) و (الرومان) و (الأتروسكان) (Etruscan). وتقول الأسطورة أن أميرة (صور) واسمها (Dido) أي (أليسار) هربت بعد أن قتل زوجها، بيد أخيها، وابتنت (قرطاج) التي دمرتها الحروب عام (146 ق. م). وبنى الفينيقيون مدينة (مونيكار) أي (المنكب) وهي في (إسبانيا)، وجدت فيها آثار فينيقية، ويعتبر أهلها أنفسهم أحفاد الفينيقيين وهي أول مدينة احتلها (عبد الرحمن الداخل) في (الأندلس). ومن مدنهم أيضاً (أوغاريت) و (أرواد) و (طرطوس) و (عمريت) و (بيروت) و (صيدا) و (صور) و (عكا) و (طرابلس) و (البترون) و (جرش) و (غزة) و (القدس) وغيرها. وكانت كل واحدة من مدنهم تتولى الزعامة على البقية لفترة معينة للضرورة الأمنية. ووصلوا ذروة الحضارة بين (1200 - 800 ق. م).

كان الفينيقيون يمتصون عناصر الحضارات المجاورة، ويضيفون عليها من عندهم، ثم ينقلونها إلى غيرهم، أثناء سفرهم، وتجوالهم في العالم القديم، حول البحر الأبيض المتوسط.

كانوا يحبون الحياة والمتع، والزينة، والألوان الفرحة، والملابس المزخرفة، وعبادتهم وثنية، مارسوا فيها شعائر خليعة، وقدموا أضاحي من الحيوانات والبشر لآلهتهم المحبة للجنس والدم. وكان لهم أدب أخذ العهد القديم عنه الكثير من الأساطير، مما يدل على تطور الأدب، وخاصة الديني منه. اشتهر الفينيقيون بالصباغ الأرجواني، ويدعى الأرجوان الملكي أو الصوري نسبة إلى

مدينة (صور). وكانوا يحصلون عليه من صدفة تفرزه هي (Murex Shellfish)، وكسبوا الكثير من المال والشهرة من تجارتهم به. وكانوا في الألف الأول قبل الميلاد أشهر من أنتج الصناعات التزيينية. وصلت تجارتهم إلى ذروتها خلال عصور الظلام في (أوروبا)، التي لم يكن فيها صناعة أو فن أو أدب. كما أنهم اكتشفوا الزجاج صدفة.

أهم ما يؤرخه التاريخ عنهم أنهم اخترعوا الأبجدية في القرن (14 ق. م)، في (أوغاريت)، وفي القرن (13 ق. م) في (جبيل)، ونقلوها مع تجارتهم إلى العالم القديم.

وقال المؤرخ اليوناني (هيرودوت) (أبو التاريخ) الذي عاش في القرن (5 ق. م) بأن الفينيقيين نقلوا مع تجارتهم إلى (اليونان)، كتابتهم المتطورة عن الأوغاريتية، وبالتالي اقتبس اليونانيون ترتيب الأبجدية الأوغاريتية، وأضافوا إليها الأحرف الصوتية الضرورية للغتهم، والتي لم تكن موجودة بالأوغاريتية، لعدم الحاجة إليها. ومن (اليونان) انتقل نظام الأبجدية إلى الرومان ومن ثم إلى الأمم الأخرى.

الكنعانيون

الكنعانيون كما اتفق عليهم (ابن الأثير) في كتابه (الكامل في التاريخ) وكذلك (الطبري) في تاريخه، وأيضاً (ابن إسحق) في كتبه أنهم: الجبابرة أو العمالقة، أولاد (عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح). أسلافهم من أبناء (سر) الذين صعدوا من أرض (همازي) (الجبابرة). وهي أراضي (دلمون) الخصيبة لأن منسوب البحر ارتفع عند الطوفان. ونقلوا معهم فنون الزراعة والري والتعدين والكتابة كما تحدث (برعوشا) المؤرخ البابلي.

وهناك قبيلة (كنعان بن نوح) التي سكنت (بابل) وكانت تعمل في زراعة الأرض، أطلق عليها اسم (الجبابرة) واسم (السريان). وحينما حصل الطوفان حوالي عام (5600 ق.م) قضي على قسم كبير منها والناجون نزحوا إلى أرض (بابل). وانتشروا على شواطىء (الخليج العربي) و (نجد) و (الحجاز) و (البحر الأحمر). وكانوا يتكلمون اللغة العربية النقية بعد أن تخلوا عن لهجتهم المشوبة (السريانية) المحلية. في (الشام) كان اسمهم (الجبابرة). أو الكنعانيين. وكانوا عرباً ولغتهم عربية.

وهناك أيضاً (كنعانيون حاميون) ينتسبون إلى (كنعان بن حام بن نوح) سكنوا سواحل (النوبة) و (الحبشة) والشاطىء الغربي (للبحر الأحمر) وسلالة (مصراييم بن حام بن نوح) هم (القبط) و (البربر).

سار (قوط بن حام بن نوح) إلى (الهند) و (السند) وسكنها، وأسماء (سام) و (حام) و (يافث) هي أسماء قبائل على اسم رب العائلة التي أسسها.

أتى ذكر الكنعانيين في رسائل (تل العمارنة) مدينة (أخت آتون) التي أسسها الملك (أمنحوتب الرابع) الذي عرف باسم (اخناتون) (1375 - 1368

ق.م). وجد في خرائبها (1300) رقيم تعود إلى القرن (15 ق.م). وتشتمل على السجلات الملكية، ومراسلات بين (اخناتون) وأبيه (امنحوتب الثالث) من جهة وحكام المقاطعات الآسيوية الخاضعة لنفوذها من جهة أخرى.

أرض (كنعان) حسب الوصف التوراتي:

هي القسم الجنوبي من بلاد الشرق والتي استولى عليها (تحوتمس الثالث) في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وتقع شرق (بلاد النيل) أي (البحر الأحمر) و(شبه الجزيرة العربية). وليس (سوريا) أو (لبنان) أو (فلسطين).

وفي هذه المنطقة توجد بلدة (الفلشة) وسكانها بالكنعانية القديمة (فلشتيم). والباء والميم في آخر الكلمة تعادل الياء والنون في اللغة العربية الحديثة أي (فلشتيم = فلشتين) وإبدال الشين بالسين وبالعكس في الكنعانية القديمة، تصبح (فلشتين = فلستين). وقد دخل قسم منهم في الدين اليهودي، وحينما احتل (نبوخذ نصر) الكلداني بلدهم، نفاهم إلى (أثيوبيا) وعرفوا باليهود (الفلاشة).

انتشر الكنعانيون في (البحرين) و (عمان) و(اليمن) و (شبه الجزيرة). وسكنوا الساحل الشرقي (للبحر الأحمر). ثم عبروه إلى (وادي النيل). وأقاموا مراكز فيه وامتزجوا مع سكانه الأصليين حتى صاروا شعباً واحداً بين (4000 و 3000 ق.م). وسافرت سفنهم على الساحل الشمالي الأفريقي وبنوا فيها مواقع حصينة للبحارة والسفن ليتزودوا بالمؤن والمياه، ما لبثت أن أصبحت مستوطنات.

قبل الطوفان أنشأوا مدناً تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد في مناطق الخليج العربي الشرقية. اختفى بعضها تحت مياه الخليج أثناء الطوفان، واستمر بعضها لمدة أطول، وبقي البعض حتى الآن.

والكنعانيون لدى المؤرخين الغربيين هم سكان ساحل (بلاد الشام) الجنوبي أي (فلسطين) حالياً.

الآشوريون

ينتسب الآشوريون إلى (سام بن نوح) وقامت دولتهم في شمال (بلاد الرافدين). ظهروا في الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد كانت عاصمتهم (آشور) على نهر (الدجلة)، ثم صارت (نينوى) وهي قرب (الموصل) الحالية. أخذوا اسمهم من اسم إلههم الكبير (آشور). وصلوا ذروة عظمتهم بين حوالي عامي (1950 و 1750 ق. م). ولكن دولتهم ضعفت مع الأيام. ثم استردت قوتها وحيويتها وبدأت بالتوسع في حوالي عام (1500 ق. م). واستولت على (بابل) حوالي عام (1300 ق. م). وأصبحت دولة بيروقراطية ذات قوانين صارمة بين عامي (1116 و 1078 ق. م). ولكنهم في عام (612 ق. م) احتل عاصمتهم (نينوى) الملك الكلداني (نبوخذ نصر) وقضى عليهم.

كان الآشوريون متفوقون عسكرياً. واشتهروا بقسوتهم. استخدموا الخيول والمركبات والدروع. وبنوا الزاقورات وهي المعابد العالية. وكانوا يخلون البلدة التي يحتلونها وينفون أهلها إلى بلدة ثانية، كانوا قد احتلوها سابقاً.

وجدت لوحات مسمارية آشورية في (دور كتليمو) أي (تل الشيخ أحمد)، تعود إلى القرن (13 ق. م). كتابتهم كانت مسمارية مقطعية تشبه البابلية. وتبنوا اللغة الآرامية والكتابة بالأبجدية الفينيقية المسمارية. وقد وجدت آثارهم في (تل أحمر).

أشهر ملوكهم:

(شلمناصر الأول) (1240 ق.م).

(تغلات فلاصر الأول) (1117 - 1077 ق.م).

(آشور ناصر بعل الثاني) (883 - 859 ق.م)، في زمنه صار الجيش الآشوري آلة حرب ورعب.

(شلمناصر الثالث) (858 - 824 ق.م)، انتصر على (حزائيل) ملك (دمشق) الآرامي، في معركة (قرقر) عام (853 ق. م)، ودمر (حما) و (السلمية) و (درعا)، وأخذ الفدية من المدن الفينيقية.

(تغلات فلاصر الثالث) (744 - 727 ق.م) أو (739 - 727 ق. م)، بنى مدينة (آشور)، وفتح بلاد الشام، ودمر (دمشق) عام (732 ق. م) ، وقضى على الممالك الآرامية، واحتل وادي النيل، ووصل إلى (أرمينيا) وهاجم مملكة اليهود، وفشل في احتلال (القدس) كما فشل في حصار (صيدا) و (صور).

(سرجون الثاني) (721 - 705 ق. م)، قضى على المملكة اليهودية، ونفى أهلها إلى (بابل)، واحتل (دمشق).

(سنحاريب) (704 - 681 ق. م).

(آشور أخ الدين) (671 ق. م)، هاجم (وادي النيل)، واحتل (ممفيس) بين (671 و 668 ق. م).

(آشور بانيبال) (باني بعل) (669 - 627)، وهو آخر الآشوريين، هاجم (صيدا) ولم يحتلها.

الحثيون

ينسبهم الغربيون إلى أقوام (هندو ـ أروبية). حضارتهم نشأت في (آسيا الصغرى) في وسط (أناضوليا) وامتدت حتى شمال ووسط (سورية). تكونت في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد وحوالي (2500 ق. م) وجدت آثارهم في (جرابلس ـ حما ـ قادش ـ كركميش ـ وتل حلف)، وتأثرت بالفن السوري. الكتابة الحثية قريبة من الهيروغليفية. أي كل رمز يشير إلى كلمة بكاملها. ثم تطورت فصارت قريبة من الأبجدية. انتشروا نحو الغرب والجنوب حوالي (2300 ق. م) وسيطروا على شمال (سورية) وحوض (الفرات) وقضوا على البابليين عام (1595 ق.م).

الغوطيون (الغوثيون)
(شعوب البحر)

هم أولاد (غوط بن سام بن نوح)، سكنوا حوض (السند) في (الهند) واشتغلوا بالزراعة أو اختلطوا مع القبائل الهمجية المحلية التي تعمل بالرعي والسطو وكانوا يهيمون ما بين سلاسل الجبال والصحارى الممتدة ما بين حوض (السند) وجبال (زاغروس) والجبال المطلة على ساحل البحر صعوداً إلى الشاطىء الشرقي للخليج العربي، وكانت جبال (غوتّا) معقلهم. لم تكن لهذه القبائل اسم قبل انضمام بعض الغوثيون إليها.

أصل اسم (الغوط) هو (غوث) وحرف الغين يلفظ جيماً مصرية. أي أن هذه القبائل كانت تغطي مناطق تمتد من جبال (غوثا) المطلة على حوض (السند) إلى صحراء (طحلب) فصحراء (لوط) فجبال (زاغروس)، (فعيلام) فوادي (الرافدين). وكانوا يسلكون منطقة السواحل ذات السهول والمراعي الخصيبة وسفوح الجبال المطلة عليها ما بين صحراء (طحلب) و (بلوخستان)، فالشاطىء الشرقي للخليج العربي المقابل (لعمان) و (البحرين)، وصولاً إلى الزاوية الجنوبية الشرقية من (عيلام). ليفاجؤوا سكان (عيلام) مرة من وراء الجبال ومرة أخرى من خلف الطرف الشمالي الشرقي لرأس الخليج.

كانت هذه القبائل تنتظر الفرص للانقضاض على (عيلام) ومنها إلى (سومر) و (أكاد)، مدة حكمهم على بعض المدن كانت تمتد قرناً من الزمان مما جعلهم يقتبسون الكتابة والإدارة منها. سجّلوا أسماء بعض زعمائهم، ومنهم (21) ملكاً، ترك خمسة منهم بعض الكتابات.

أصول هذه القبائل مختلف عليها إلا أنهم قبائل رعوية همجية تتحرك بنسائها وقطعانها. كانوا يقومون بالغزو لحسابهم أو كانوا يعملون جنوداً مرتزقة في المدن السورية القديمة. دام حكمهم في (العراق) بين (2221 و 2120 ق. م) وفي قول آخر (2230 و 2330 ق. م). قضوا على الدولة الأكادية في نحو (2212 ق. م).

اقتبسوا من الحضارة السومرية الأكادية وتكلموا باللغة الأكادية وكتبوا بها. دمروا (أكاد) واحتلوا (نيبور). ولكن (لغش) بقيت على حضارتها واستقلالها رغم احتلالهم لها. وفي نحو (2130 ق. م) حرر (أوتوهيجال) (أنزي) و (أوروك) في بلاد (سومر) من النير الغوطي. كانوا يأتون للغزو أحياناً عبر شرق الخليج العربي ليظهروا في (عيلام) مع مواشيهم وكأنهم أتوا من البحر لذا سماهم السكان (شعوب البحر). وكان زعيمهم يسمي نفسه ملك بلاد البحر وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على الأراضي العربية التي تطوق الخليج من الشمال والغرب والشرق.

هاجم ملك بلاد البحر من الجنوب المدن السومرية فتصدى له (شمشو - إيلونة). ولكن القبائل الهمجية استطاعت أن تحرق وتدمر مدن (سومر) وتنهي حضارتها فتحولت إلى خرائب.

الكاشيون

قبائل رعوية هبطت من جبال في آسيا الوسطى إلى جبال (زغروس) هاموا بعيداً عن موطنهم. انقضت قبائل الكاشيون على جنوب وادي الرافدين ونهبوا ودمروا المدن البابيلة، وهم قوم سكنوا حدود (بورما) وجنوب (بنغلاديش) إلى (ليبن). كانوا يتكلمون لغة هي خليط من أهل (تيبت) و (بورما). احتلوا (بابل) بقيادة زعيمهم (كنداش) وأسسوا الدولة الكاشية التي ورثت الدولة البابلية القديمة. تجمعهم بالقبائل المغولية المتوحشة سمات مشتركة كثيرة من حيث الملامح الفيزيائية والتكوين النفسي ونمط العيش، والتراكيب اللغوية.

الحوريون

أقوام هندو ـ أوروبية. انحدروا من المناطق الجبلية الشمالية والشرقية وهم قبائل جبلية قفقازية. موطنهم الأصلي (أوراراتو) (أرمينيا الحالية) أو الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق من بحيرة (وان). تحركوا نحو بلاد (آشور) في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وأقاموا شمال غرب (بلاد الرافدين) وأعالي (الخابور). تحركهم عاصر تحرك الكاشيين إلى العراق. حيث تمكن الحوريون من تأسيس إمارات في (آسيا الصغرى) ثم اتحدوا مع الميتانيين باسم (المملكة الحورية الميتانية) استمرت بين (1500 و 1335 ق. م).

الميتانيون

هم أيضاً أقوام هندو - أروربية. عاشوا في (ما بين الرافدين). أسسوا مع الحوريون (المملكة الحورية الميتانية). عاصمتها كانت مدينة (واشوكاني) وتقع على نهر (الخابور)، بالتعاون مع ممالك (يمحاض) و (أكاد). وكانوا يضغطون على الحثيين، فصارت بلاد الشام تحت ثلاثة ضغوط وادي النيل، الحثيون، والميتانيون، ولكن الميتانيون تصاهروا بالزواج مع أعدائهم في أواخر القرن (14 ق. م).

جاء ذكرهم ومكان تواجدهم شمال في (بلاد الرافدين) في الرقم المسمارية من رسائل (تل العمارنة) في (وادي النيل) وهي من القرن (14 ق. م) كما وجدت رقم تبادل فيها الميتانيون الرسائل بينهم وبين (بابل) و (آشور). هزمهم ملك (وادي النيل) (تحوتمس الثالث) في القرن (15 ق. م). وفعل نفس الشيء الملك (أمنحوتب الثاني).

ضعفت المملكة الحورية الميتانية في القرن (14 ق. م) وأصبحت بعد ذلك تحت سيطرة الحثيون عام (1370 ق. م) ثم احتلها ودمرها الآشوريون عام (1250 ق.م) وقضوا عليها.

البابليون (الدولة البابلية الأولى)

كانت تعرف باسم (سومر وأكاد). وأهم مدنها (بابل) و (أور). خلفت الدولة الأكادية التي كانت (بابل). عاصمتها ومن قبلهم كانت عاصمة السومريين. سيطر السومريون على بلاد (بابل) عام (2300 ق. م). وفي عام (1900 ق. م) بدأوا السيطرة التدريجية على بلاد الرافدين. وحينما تولى السلطة (حمورابي) (Hammorabi) وحكم بين (1692 و 1750 ق. م) احتل (ماري) عام (1759 ق. م) وقضى على الملك (زيمريليم) . وكانت (ماري) مركز التوازن بين مملكة (بابل) ومملكة (يمحاض) أي (حلب) كما ضم بلاد (عيلام) أي (إيران). وسمى نفسه حاكم (سومر وأكاد) وجهات العالم الأربع.

وضع (حمورابي) أقدم القوانين في تاريخ الإنسانية، وصارت فيما بعد مرجعاً للتشريع في العالم. وكانت واجبات الملك كما يلي: توزيع الخير على الشعب، نشر العدالة على الأرض، القضاء على الشر والشريرين، منع سيطرة القوي على الضعيف.

اعتقد القدماء أن الشرائع من وحي الإله. وهناك لوحة في (اللوفر) تمثل (حمورابي) وهو يستلم التشريع من (شمش) إله النور والعدل والشمس.

في عام (1530 ق. م) دمر الحثيون (بابل). وأسس (الكاشيون) فيها مملكة استمرت حوالي (400) عاماً، ثم خضعت للآشوريين.

الآراميون

يرجعون بنسبهم إلى (آرام بن سام بن نوح). وهم عرب لهجتهم الأصلية هي السريانية. والسريان الحاليون هم بقايا الشعب الآرامي. ولغتهم هي التطور النهائي للآرامية، التي تغيرت مع المناطق التي حلوا بها ما بين السريانية الشرقية والعرباء النقية والعمورية الغربية. وهم بدو رعاة نزحوا أصلاً من منطقة (بابل).

أول ذكر لهم كان في وثائق الملك الأكادي (نارام سن) (2270 - 2233 ق. م). وهي باللغة البابلية والكتابة الأكادية، تذكر انتصار (نارام سن) على شيخ (آرام) في (خرشامتكي) في شمال (سورية). وحتى القرن (17 ق.م). كانت الوثائق فقيرة بالمعلومات فيها أسماء قد تكون آرامية. ولكن منذ القرن (14 ق. م) كثرت الوثائق التي تتحدث عنهم.

ظهر الآراميون والعبريون في زمن واحد هو القرن (14 ق. م). وكانت بينهما علاقات سياسية واقتصادية وكان (يعقوب) أي (إسرائيل) يدعى (الآرامي التائه). (الأحلامو) هم الآراميون وذكروا في نصوص (تل العمارنة) وكانت (طيبة) عاصمة (وادي النيل) في عهد (أخناتون). وبقيت تسمية (أحلامي آرامي) حتى القرن (12 ق. م) وحلّ محلها (آرامي) فقط. أسسوا عدة ممالك في شمال وجنوب (سورية) الطبيعية.

استوطن الآراميون منذ القرن (11 ق. م) وادي (العاصي) الشمالي ووادي (الليطاني) وجنوب (سورية). ولم يقاومهم السكان العموريون ولا الفينيقيون بسبب ضعفهم وتشتتهم.

وكانت (آرام) أي (دمشق) أقواها. وهي التي أسسها الآرامي (روزون بن

اليدع) بعد أن انفصل عن مملكة (حدد عزر) وكان ذلك في بداية الألف الأول قبل الميلاد. حصن (دمشق) وبنى قصراًملكياً وأنشأ مصنعاً للأسلحة والعربات الحربية. وقد ادعى (شلمنصر الثالث) أنه قضى في معركة (فرفر) عام (853 ق. م) على (1200) عربة و (1200) حصان وعشرين ألف مقاتل آرامي من جيش ملك (دمشق). وسموا (دمشق) (دارميسق) أي الأرض المسقية أو الدار المسقية. واستطاعت أن تسيطر على غيرها. وأن تضم عدداً من الإمارات والمشيخات الآرامية. كما أسسوا مملكة (آرام صوبا) في (سهل (البقاع). وكلمة (صوبا) من صهوبة أي أحمر أو نحاس. ويظن أنها (كالسيس) (Chalcis) أي (عنجر). كما أسسوا غيرها أيضاً من الممالك. وكان هناك عداء مستمر بينهم وبين العبرانيين حتى أنهم دفعوا جزية من الذهب والفضة لملك (دمشق) (حزائيل). انتهى الآراميون على يد الآشوري (تغلات فلاسر الثالث) عام (732 ق. م) وأصبحوا ضمن الإمبراطورية الآشورية.

آثارهم في (دمشق):

معظم آثارهم في منطقة (تل السماكة) الذي يشطره الشارع المستقيم، ارتفاع الشارع الحالي (4 م) عما كان عند إنشائه. ويرتفع التل (15 م) عن قاعدة المدينة التي ارتفاعها (695 م) عن البحر. وكانت المدينة الآرامية بين معبد (حدد) أي (الجامع الأموي) الآن، وبين القصر الملكي الواقع على (تل السماكة) والذي كان فخماً ورائع الزخرفة.

وقناة (بانياس) التي شقت من نهر (بردى) هي آرامية.

وقد وجد نقش (لأبي الهول) منحوتاً على لوح من الحجر البازلتي (متحف دمشق) في أساسات الجدار الشرقي للجامع الأموي. فوق رأس التمثال تاج يمثل (النيل) الأعلى و الأسفل، وذلك لتأثر فن الآراميين بفن (وادي النيل).

ووجد لوح من العاج نقش عليه حيوانان مجنحان لهما رأس كبش متوج بتاج النيل الأعلى والنيل الأسفل بينهما شجرة نخيل.

آثارهم خارج (دمشق):

(حلب): وجدت مسلة عليها نقش إله الشفاء الفينيقي (ملقارت) أيام ملك (دمشق) (باد حدد الأول).

(أرسلان طاش): في شمال (سورية)، وجدت حشوات من العاج كانت تزين سرير ملك (دمشق) (حزائيل) الآرامي، (متحف حلب).

وهناك آثار بسيطة في كل فخيرية ـ شاغر بازار ـ تل حلف ـ تل براك ـ عين دارة، شمأل (زنجرلي) ـ طور عابدين ـ بيت زماني ـ بيت لاتي ـ بيت آغوشي ـ أوباد ـ حما ـ حمص ـ تل رفعت (أرفاد) قرب رأس العين ـ بيت عديني (تل برسيب) في وادي (البليخ) ـ بيت بحياني (جوزانا) وأحياناً (سيكاني) ـ الجولان ـ دان وتل القاضي.

صنف الفن الآرامي خطأ تحت اسم الفن الحثي لأن الثقافتين تداخلتا وتمازجتا. مثلاً لا يوجد أي دليل في مدينة (حما) على وجود ملوك حثيين فيها.

في (جوزانا) أي (تل حلف) على نهر (الخابور) وجدت مجموعة تماثيل ونقوش متأثرة بالفن الميتاني.

في (زنجرلي) و (ساكجاكوتزي) شمال (سورية)، وجدت قطع تأثرت بالفن الحثي والآشوري.

في (حما) اكتشفت مسلة بازلتية كانت قرباناً جنائزياً، في أعلاها نسر له رأسان، متأثران بالفن الحثي.

في (مجدّد) و (الناصرة) و (نمرود) وجدت قطع تأثرت بالفن الإيجي والفينيقي وفن (وادي النيل).

الدين:

حينما كان الآراميون بدواً لا يوجد ما يشير إلى معتقداتهم الدينية. ولكن فيما بعد تبنوا معتقدات البلاد التي احتلوها. من آلهة الرافدين والفينيقيين وغيرهم. وكانوا يؤمنون بالخلود بعد الموت.

أهم آلهتهم:

حدد: إله العواصف والأعاصير وهو (بعل) و (جيوبتير) و (تيشوب).

أركارغاتيس: قرينة (حدد) وهي (عشتارت) عند الفينيقين و (عشتار) في بلاد الرافدين و(عنات) عند الكنعانيين.

سيبوس: إله الشفاء أي (ملقارت) و (أشمون) الفينيقيين.

إل: إله بابلي.

شمش: إله الشمس والعدالة.

سِنْ: إله القمر.

نوسكو: ابن سِنْ كان له معبداً في مدينة (حرّان).

نيكال: زوجة (سِنْ).

رشف: إله النور أي (سيت) في (وادي النيل)، و (أبولون) عند الإغريق.

وير أو مير: إله العواصف وهو أيضاً (بعل شامين) إله السماء وقد تقمص كليهما.

إيلون: أو (عليون) الكنعاني أي (بعل شامين).

وهناك عدد من الآلهة الأخرى.

أهم معابدهم:

معبد الشمس، (هيروبوليس) في مدينة (منبج).

الكلدانيون (الدولة البابلية الثانية)

قضى الملك (نبوخذ نصر) (Nebuchadnezzar) الذي حكم بين (605 و 562 ق. م) على البابليين عام (626 ق. م) وهدم عاصمتهم (نينوى) عام (613 ق. م). وبمساعدة الفرس المديين أنهى الإمبراطورية الآشورية وأسس الدولة الكلدانية على أنقاض الآشورية والبابلية. وأصبح أول ملوكها. وكانت في جنوب (بلاد الرافدين) عند (شط العرب) حالياً. وملكهم كان (نيخاو) حكم بين (609 - 593 ق. م). سيطر على بلاد الرافدين كلها، ثم تغلب على جيوش (وادي النيل) الذين تحالفوا مع الآشوريين وانتصر عليهم في موقعة (كركميش) عام (605 ق. م). وبعد حصار طويل استولى على (صيدا) وأخذ سكانها أسرى. ثم قضى على مملكة اليهود، ودمر عاصمتها (أورشليم) وحمل اليهود الأسرى إلى (بابل) وكان ذلك بين عامي (597 و 586 ق. م). كما اكتسح (بلاد الشام) واحتلها بين (605 و 539 ق. م)، وكذلك احتل بلاد (عيلام). ولكن الدولة البابلية الثانية (الكلدانيين) ضعفت بعد أن أصبح ملوكها مترفين ومهملين، مما شجع الفرس الميديون للهجوم والقضاء عليها. واستولى ملكهم (كورش) (Cyrus) على (بابل)، وأعاد اليهود من (بابل) إلى بلادهم. وقضى على الكلدانيين نهائياً حوالي (538 ق. م). ملكهم (نابونيدس) وحكم بين (556 و 538 ق. م) اعتاد أن يقيم في واحة (تيماء) شمال (الحجاز) تاركاً تصريف شؤون الدولة لابنه (بيلشاصر).

اكتشفت في (نينوى) مكتبة الملك (آشور بانيبال) الآشوري وفيها عشرات الألوف من الألواح الفخارية، تعود إلى حوالي سنة (884 - 859 ق. م). ذكر فيها الملك (آشور بانيبال)، وحبه للمطالعة والترجمة وعن شبابه. كما

ذكر فيها الملك (نبوخذ نصر) (هازم أورشليم) وعن أعماله السلمية. ووصفت فيها (بابل) وشوارعها وقنواتها وقصورها ومعابدها وحدائقها المعلقة، وهي إحدى عجائب الدنيا السبع، بناها (نبوخذ نصر). كما أعاد بناء معبد الإله (مردوك).

في أيام اليونان والسلوقيين أهملت (بابل) وهجرت نهائياً قبل ميلاد السيد (المسيح).

الفرس

من العرق الآري. واسم بلادهم القديم هو (عيلام). كان لهم حضارة في حوالي عام (4000 ق.م). سكنوا جنوب البلاد في حوالي الألف الثاني قبل الميلاد.

الميديون:

آريون أيضاً، استقروا في شمال غرب (عيلام) في الألف الأول قبل الميلاد. جرت بينهم وبين الآشوريين حروباً في القرن التاسع قبل الميلاد. وفي القرن السابع قبل الميلاد، أصبح لهم مملكة قوية، فقاموا بغزو (آشور) حوالي عام (613 ق.م) ، بعد تحالفهم مع (نبوخذ نصر) الكلداني. وقضوا سوية على الإمبراطورية الآشورية ثم انتصر الميديون على الكلدانيين . في عام (539 ق.م) وأنهوا دولتهم بزعامة ملكهم كورش (560 ـ 529 ق.م). وتابع ابنه (قمبيز) (529 ـ 521 ق.م) سياسة أبيه، وهاجم (وادي النيل)، ولكن شعبه ثار عليه.

الأخميون:

أسسها خلفاء (كورش) وأصبحت إمبراطورية واسعة انتهت على أيدي اليونانيين عام (333 ق.م) حينما هزم (الإسكندر) ملكهم (داريوس الثالث) في معركة (أيسوس) ثم في معركة (أربيل) عام (331 ق.م). وهذه الدولة غطت من (وادي النيل) حتى (البنجاب)، ومن (سمرقند) حتى (الدردنيل) و (بلاد الشام).

ديانتهم كانت (الزراداشتية) ولها إله للخير وإله للشر وصراعهما دائم،

كانت لدولتهم أنظمة وتشريعات معينة. تأثرت فنونهم (ببابل) وبفن (وادي النيل). أعظم ملوكهم كان (داريوس) (526 – 486 ق.م). سكت النقود الفضية والذهبية باسمه (النقود الدارية) واعتمد على الفينيقيين في الملاحة بالبحر.

البارثيون:

انفصلوا عن الأخميين، وشكلوا إمبراطورية واسعة في الشمال الشرقي من (عيلام) وذلك في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد.

الساسانيون:

أصبح الحكم لهم بين عامي (222 ق.م - 641 م). وبعدها انتشر الإسلام بينهم بعد الفتح الإسلامي لبلادهم.

خلال الحكم الأموي لبلاد (فارس) نشطت وازدهرت بلادهم. وخلال الحكم العباسي وخاصة عصر السلاجقة الأتراك، بين القرنين (10 و 13)، ازدهر الأدب والشعر والفلك والعلوم والرياضيات والفلسفة. ولكن (جنكيز خان) المغولي استولى على بلادهم عام (1220 م). وابتدأ الانحدار في دولتهم، حتى استلم (الصفويون) الحكم عام (1502).

تأثرت (بلاد الشام) بالفن الفارسي قبل الإسلام. وهناك عناصر هندسية فارسية بسيطة في (عمريت) على الساحل.

اليونان الهلنستيون

ولد (الإسكندر) المكدوني في بلاد (اليونان) عام (356 ق.م). غزا (بلاد الشام) في عام (333 ق.م) وكان الفرس يحكمونها منذ عام (500 ق.م). وانتصر على جيش ملك الفرس (داريوس الثالث) في معركة (إيسوس). وتابع فتوحاته شرقاً. كما غزا (بلاد النيل) عام (332 ق.م) ثم هزم الفرس ثانية في (أربيل) عام (331 ق.م). واحتل بلاد فارس (حتى وصل إلى البنجاب) في (الهند)، بين عامي (327 و 325 ق.م).

بعد اغتيال (داريوس) نصح (أرسطو) (الإسكندر) وكان أستاذه، بأن مصاهرة العدو تنهي الخلاف والحرب. لذا تزوج (الإسكندر) من الأميرة الفارسية (روكسانا)، كما تزوج قائده (سلوقس نيكاتور) الأميرة (أفاميا).

وحينما عاد إلى (بابل) أصيب بالحمى ومات فيها عام (323 ق.م).

السلوقيون

بعد وفاة (الإسكندر)، اقتسم قواده ملكه، فكانت (الشام) تحت حكم (اليوميدون) المكدوني عام (323 ق.م)، ثم تحت حكم (أنتيغونوس) المكدوني عام (321 ق.م) ثم حكم (سلوقس الأول) ولقب (نيكاتور) أي (الظافر) وحكم بين (312 حتى 280 ق.م).

ودامت سلالة السلوقيين في الحكم منذ (312 حتى 64 ق.م) حينما احتل الرومان (بلاد الشام) بقيادة (بومبي).

تابع (سلوقس) الفتوحات بدءاً من (بابل) متجهاً نحو الشرق. واحتل (الهند) حتى نهر (الهندوس) في عام (302 ق.م). وحينما حاول الملك المكدوني (أنتيغوس الأول) استرجاع (الشام) جرت بينهما معركة (إيبسوس = فريجيا) في عام (301 ق.م) وانتصر (سلوقس نيكاتور). وأصبحت (بلاد الشام) و (آسيا الصغرى) تحت حكمه حتى وفاته عام (280 ق.م).

وكانت (دمشق) وجنوب (بلاد الشام) تحت حكم (بتولمي) أي (بطليموس) (Sotre-Ptolemy). كما كانت (بلاد النيل) تحت حكمه أيضاً من السابق. وبذلك تشكلت دولة (السلوقيين) وتضم: (بلاد الشام) الشمالية وآسيا الصغرى وبلاد (فارس). وجزء من (الهند). بينما دولة (البطالمة) كانت تضم: جنوب (بلاد الشام) و (وادي النيل).

بنى (سلوقس) عدداً من المدن أطلق عليها أسماء أفراد عائلته منها: (أنطاكية) نسبة إلى أبيه (أنطيوخوس)، وكان قائداً في جيش الملك (فيليب) والد (الإسكندر). وصارت هذه المدينة، فيما بعد، عاصمة ملكه.

و (اللاذقية) على اسم والدته (لاوديسيا Laodicia).

و (دورا أوروبوس Dura Ewropos)، على اسم مسقط رأسه (أوروبوس).

و (أفاميا Aphamia) نسبة إلى زوجته، وكانت عاصمته الحربية.

كما بنى (سلوقية) على اسمه، وهي على مصب نهر (العاصي) واسمها (سويدا) حالياً.

وبنى مدناً فرعية مثل (سيروس = Chyrrhus) و (كاليس = Chalcis) و (بلوم = Belum) أي (قنسرين) حالياً. و (بيرويا = Beroia) أي (حلب). و (أرادوس = Arados) و (هيرابوليس = Hirapolis) أي (منبج).

ولأن عناصر الجيش الهلنستي كانت قليلة العدد لا تتجاوز الخمسين ألفاً لذا أعطوا عدداً من المدن استقلالاً محلياً، وكأنها جمهوريات تابعة لهم.

في عام (198 ق.م) احتل السلوقيين جنوب (بلاد الشام). وأخذوه من (البطالمة). وكان ذلك على يد الملك (انطيوخوس الثالث ميغاس) أي (العظيم) (Antiochus III Megas). وحكم بين (223 و 187 ق.م). أثناء حكمه، احتل الرومان بلاد اليونان حوالي عام (189 ق.م) وفرضوا معاهدة عام (188 ق.م) تنص على التنازل للرومان عن كل البلدان التي بعد جبال (طوروس). فسلم خليفته (أنطيوخوس) (Antiochus IV Epiphanos) (بلاد النيل) للرومان عام (168 ق.م).

وكانت (بلاد الشام) السلوقية في القرن الأول قبل الميلاد محاطة بالآراميين العرب من الشمال، والبارثيين الفرس من الشرق، والنبطيين العرب من الجنوب.

وكان تأثير هذه الحضارة كبيراً على المنطقة، إذ انتشرت اللغة اليونانية، وأفكار الفلاسفة اليونان، وثقافتهم التي غرف منها السوريون، وترجموها إلى العربية، مما أغنى الثقافة العربية كثيراً. وحينما أتى الرومان إلى هذه المنطقة،

استمروا باستعمال اللغة اليونانية في كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وطغت على اللغة اللاتينية (الرومانية) حتى في العصر البيزنطي، إلا أنها ضعفت مع الأيام، واضمحلت، وخاصة خلال القرنين (4 و 5 م) حينما كانت (أوربا) غارقة في ظلمات الجهل. ثم بدأت تتفتح لنور الثقافة الذي شعّ من (إسبانيا) وهي تحت حكم العرب.

كان الفن اليوناني الشرقي يدعى (الفن الهلنستي). والفن اليوناني الغربي يدعى (الفن الهيليني). وبالنسبة لكليهما كانت رسالة الفن هي الجمال مع الفائدة. كل شيء مفيد يجب أن يكون جميلاً، وبالعكس. وكان فن النحت لديهم كلاسيكي يقلد الطبيعة.

للأسف لم يبق من آثار اليونان الهلنستيين شيئاً في (دمشق). وهناك آثار متفرقة في أنحاء (سورية) منها: (رأس ابن هانيء) و (سيروس) و (هيرابوليس) و (دورا أوروبوس) و (أفاميا) وغيرها..

البطالمة

أسسها القائد المكدوني (بطليموس الأول Ptolemy I) بعد وفاة (الإسكندر الكبير). بدأ حكمه عام (305 ق.م)، ولقب بـ (سوتر) (Soter) أي المخلص. بعده أتى (بطليموس الثاني)، الذي غزا (سورية) وساحلها. وبعده أتى (بطليموس الثالث)، الذي غزا (سورية) أيضاً، ووصل إلى (الهند)، و (آسيا الصغرى) وشرق (اليونان). أما (بطليموس الرابع)، فقد انتصر على الملك السلوقي (أنطيوخوس الثالث)، عام (217 ق.م). واحتل قسماً من (سورية). ولكن (أنطيوخوس) استعاد ما خسره ونال لقب (الكبير). وكانت (سورية) مسرحاً للحروب بين البطالمة والسلوقيين، تتبع المنتصر منهما. حتى الاحتلال الروماني عام (64 ق.م).

الأرمن

حينما دب الخلاف بين الأمراء السلوقيين في (سورية)، احتل ملك (أرمينيا) (ديكران الثاني)، عام (82 ق.م)، شمال (سورية)، وساحلها، وأصبحت تحت الحكم الأرمني. وأطلق القنصل الروماني (شيشرون) على (ديكران)، لقب (ملك آسيا العظيم)، ولقب (ملك الملوك). استمر حكم (ديكران الثاني) (لسورية)، منذ عام (82 ق.م)، حتى عام (67 ق.م)، حينما احتل (بومبي) الروماني، (أرمينيا)، وأنهى نفوذها في (سورية).

البيزنطيون

أعاد الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول) بناء مدينة (بيزنطة) أي (إستانبول). التي كانت العاصمة الثانية بعد (روما)، وغيّر اسمها إلى (القسطنطينية) نسبة إليه. وجعلها عاصمة للإمبراطورية الرومانية. ونقل إليها كل الدوائر الرسمية التي في (روما)، وجعل الديانة المسيحية رسمية للدولة جميعها. ولكن هذه الإمبراطورية المترامية انقسمت إلى شطرين بعد وفاة إمبراطورها (ثيودوسيوس الأول) عام (305).

حكم كل شطر واحد من أولاده فأخذ (هونوريوس) القسم الغربي، وعاصمته (روما)، بينما أخذ (أركاديوس) القسم الشرقي وعاصمته (القسطنطينية). القسم الغربي بقي اسمه الإمبراطورية الرومانية، بينما الشرقي صار اسمه الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو الإمبراطورية البيزنطية. أثناء حكم (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosuis II)، وحكم بين (408 و 450) استقرت البلاد. ودعم السلام مع الساسانيين. وكانت اللغة حينئذٍ هي اليونانية، إلى جانب اللاتينية الرسمية. وامتد نفوذ الإمبراطورية البيزنطية حتى غطى (آسيا الصغرى)، وشبه جزيرة (البلقان)، و (مصر)، و (سورية). وفي عهد (جوستينيان) الذي حكم بين (527 و 565 م)، توسعت الإمبراطورية حتى شمال (أفريقيا) وإلى حدود (إيطاليا). وقام بإصلاحات عديدة في (سورية) بتأثير من زوجته (تيودورا) وهي سوريّة من (منبج).

وبدأت المشاكل مع الفرس الساسانيين، الذين صاروا يهاجمون (سورية)، إضافة إلى سلسلة من الزلازل المدمرة. كما بدأت الصراعات الدينية في الكنيسة، في القرن الرابع (الأريانية) (Arian). وفي القرن الخامس

(النسطورية) (Nestorianism)، والانقسامات كانت حول طبيعة المسيح، هل هو إله (Monophysitism)، أم إله وبشر. واستمرت بين القرنين (5 و 6). وظل الانتعاش الاقتصادي في (سورية) التي بقيت تتاجر مع البلدان الصديقة وخاصة زيت الزيتون في ما يسمى الآن بالمدن الميتة، والحبوب في (حوران). في بداية القرن (7)، لم تعد (سورية) قادرة على مقاومة الفرس الساسانيين، وملكهم (كورش الثاني) (Choroes II)، الذي هاجم (أنطاكية) وقتل سكانها. وحاول الإمبراطور (موريس) (Mourise) الذي حكم بين (582 - 602)، الحلول السياسية ولكنها خابت بسبب الصراع بين قواده، واستمر الضعف ينخر في مفاصل الحكم الروماني في (سورية)، بسبب المجاعات، والزلازل، والطاعون، والحروب بين الرومان والفرس حتى وصلت الجيوش العربية بقيادة (خالد بن الوليد) و (أبي عبيدة بن الجراح)، لتضع حداً لحكمهم فيها عام (632م).

انتعشت الحضارة البيزنطية ووصل الفن، والأدب، والعمارة، والموسيقى إلى الأوج. ولكن (القسطنطينية) سقطت بيد الأتراك العثمانيين وعلى رأسهم السلطان (محمد الثاني) الملقب بالفاتح عام (1453 م). بينما بقيت (سورية) تحت الحكم البيزنطي حتى الفتح العربي الإسلامي عام (636 م = 150 هـ).

آثارهم:

كنيسة (حنانيا) - كنيسة (دورا أرووبوس) (232 م) - كنيسة (أم الجمال) في (بصرى) (344 م) - كاتدرائية (بصرى) (513 م) - دير الراهب (بحيرا) القرن (3 أو 4 م) - كنيسة القديس (جرجس) (جورج) في (إزرع) (410 م) - الكنيسة الكبيرة في (السويداء) القرن (6 م) - كنيسة وكاتدرائية (أفاميا) من القرن (6 م) - كنائس (قرمانين) و (رويحة) و (قلب اللوزة) - كنيسة القديس (سمعان) (476 م) - كاتدرائية وكنيسة القديس (سرجيوس) بـ (الرصافة) القرن (6 م) - رواق الأعمدة القائم أمام الجامع الأموي تيجان القبة الشرقية في صحن المسجد الأموي.

استعمل البيزنطيون الأقواس فوق الأعمدة (Arcacle) وحلت محل

الجسور الساقفة للأعمدة لدى اليونان، والرومان. واستعملوا التاج المزدوج فوق الأعمدة وزخرفوا الأبنية بالفسيفساء والرخام.

ورث الفن البيزنطي الحضارتين الرومانية، واليونانية وتأثر بالمعتقدات المسيحية.

الغساسنة والمناذرة

عرب من (قحطان)، جدهم الملك (الأزد)، جاهلي من (اليمن)، ومن (التبابعة)، وهو من أعظم ملوك (مأرب). حينما تغلب بدو (كهلان) على أرض (سبأ)، هدموا السد، فهاجرت قبيلة (الأزد)، ونزل (عمرو بن فريقياء) بمجموع منهم بماء يقال له (غسان) في سهول (تهامة)، فسموا باسمه. ثم سكنوا مشارف (الشام) و غوطة (دمشق) و (حوران) وبقوا حتى الفتح العربي الإسلامي.

عدد ملوكهم (37) ملكاً، أولهم (جفنة بن عمرو)، وآخرهم (جبلة بن الأيهم). حكموا لمدة (616) عاماً، وفي عهد (عمر بن الخطاب) سقطت دولتهم بشكل نهائي. وكانت المعارك قائمة بينهم وبين المناذرة حلفاء الفرس. ومن أشهرها معركة (حليمة). أعانهم على الحكم، ملك روماني اسمه (نسطوروس)، وقد حكموا (الشام) حتى (الفرات) و (الأردن) و (اليرموك)، وكانت عاصمتهم الرسمية (دمشق)، وإقامتهم كانت في مدينة (الجابية)، وتقع بين (دمشق) و (مزيريب).

ثم تبعت دولتهم الإمبراطورية البيزنطية وكان ذلك خلال حكم الإمبراطور (أنسطاس) بين عام (491 - 518 م). وتوسعت من (البتراء) حتى (الرصافة)، وشملت (حوران)، و (الصفا) و (البلقاء). وصارت (بصرى) عاصمتهم، وبنوا فيها كاتدرائية، عام (512 م).

وصلت هذه الدولة أوجها خلال القرن السادس الميلادي. ومن أشهر ملوكها، (الحارث الثاني بن جبلة)، وحكمه كان بين (529 - 569 م). وآخر

ملوكها هو (جبلة بن الأيهم)، وكان يقاتل مع الروم ضد العرب المسلمين، بقيادة (خالد بن الوليد) في معركة (اليرموك).

أما (المناذرة) فهم (اللخميون) سكنوا شرق (الغساسنة) على (الفرات) ومن مدنهم (الحيرة).

تأثر المناذرة والغساسنة بالحضارة الرومانية ثم بالبيزنطية التي كانتا تحكمان المنطقة كلها بالتتابع. وقصة البنّاء الروماني (سنمار) الذي بنى (للنعمان الأول) من (بني المنذر) قصر (الخورنق) في (20 عاماً) معروفه إذ جازاه بالموت وما زال المثل القائل (جزاء ستّمار) قائماً حتى الآن.

وكانت (المناذرة) حلفاء للفرس إلا أنهم خالفوهم دينياً فاعتنقوا المسيحية بينما (الفرس) كانوا من أتباع الزرادشتية المجوسية.

أما (الغساسنة) فقد خالفوا حلفاؤهم (الرومان) ومن بعدهم (البيزنطيين) بأن اعتنقوا (مذهب اليعاقبة) القائل بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح كإله. مع أن حلفاؤهم كانوا يعتنقون المذهب الملكي القائل بالطبيعتين للسيد (المسيح) فهو إله وبشر.

الأنباط

قبائل رحل عربية، من شمال جزيرة العرب سكنوا (بلاد الشام) في بدء القرن (6 ق. م)، كما استقروا في شمال شرق (جزيرة سيناء)، في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد. وأسسوا دولة الأنباط، بعد أن تركوا حياة البداوة وأخذوا يتعاطون بالزراعة والتجارة، واتخذوا من (بترا) أي (سالع) عاصمة لهم. وكانت على طريق التجارة من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، فاغتنت وازدهرت، وبلغت درجة عالية من الحضارة والرقي.

امتدت هذه الدولة من (فلسطين) حالياً شمالاً إلى (الحجاز) جنوباً. إلى (بادية الشام) شرقاً، فجزيرة (سيناء) غرباً.

تاريخهم مجهول قبل عام (169 ق. م). عاصروا السلوقيين في (سورية)، والبطالمة في (مصر) وبعدهم الرومان. في عام (312 ق. م) هاجم الملك السلوقي (أنطيوخوس) (بترا) وفشل. وحينما أعاد الكرة فشل أيضاً.

وفي عام (90 ق. م)، احتل ملك الأنباط (عبادة الأول) جنوب شرق (سورية)، بما فيها (حوران) و (جبل العرب). ومن أشهر مدنهم إضافة إلى (بترا) (جرش) و (عمان) وكانت (بصرى) عاصمتهم لأنها أقصر طريقاً من (بترا) إلى المدن الهامة. وفي عهد ملكهم (الحارث الثالث)، بلغت دولة الأنباط أقصى قوتها.

وفي العهد الروماني منذ عام (64 ق. م)، ظلت دولة الأنباط قائمة، حتى

عام (105 م)، حينما قضى عليها الإمبراطور الروماني (تراجان)، وجعل من منطقتهم ولاية رومانية، عرفت باسم الولاية العربية الرومانية. وكانت تضم (حوران) و (الأردن) و (سيناء).

وكان النبطيون وثنيين وأهم آلهتهم:

ذو الشارة: وهو إله الشمس، و (الشارة) اسم جبل يقع شمال شرقي (بترا) ويرمز له بحجر أسود وضع في كعبة صغيرة.

العزى: آلهة الزهرة. وكانت أعظم آلهة (قريش)، وفي (تدمر) اسمها (عزيزو) وهو إله كوكب الزهرة، وعبده الأنباط وأهل (سبأ).

مناة: آلهة المصائر والأقدار. كانت قبائل العرب كلها تعبدها وكان لها صنم منصوب بين (مكة) و (المدينة) تقدم له الأضاحي.

هبال: أي بخار أو روح وكان من أهم آلهة الكعبة في (مكة).

اللات: آلهة القمر. وكانت كبيرة الآلهة لدى الصفويين وعبدها الأنباط.وعند التدمريين كانت آلهة الحكمة ومثلوها بـ (أثينا) اليونانية التي كونت مع الإله (شمس) والإله (رحيم) مجمع (الآلهة الطيبة).

ذكرها (هيرودوتوس) في القرن (5 ق. م) وجعلها مثيلة (لأورانيا). و (اللات) عند العرب تمثلها صخرة مربعة بالطائف. شيدوا لها بناء وكانت (قريش) قبل الإسلام تطوف بالكعبة وتدعو: «واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. كأنهن الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى». وهؤلاء الثلاث هنّ (بنات الله وهنّ يشفعن إليه).

وفي حرم (اللات) منع قطع الأشجار والقتل والصيد.

العرب المسلمون

بعد موت النبي (محمد) (صلعم) في (حزيران عام 632) وعمره (63) عاماً، أصبح (أبو بكر الصديق) خليفة على المسلمين. وفي عام (633 م = 12 هـ) بدأت الفتوحات الإسلامية (لبلاد الشام). تألف الجيش من ثلاثة سرايا، الأولى على رأسها (عمرو بن العاص) والثانية (يزيد بن أبي سفيان). أما الثالثة فكان (شرحبيل بن حسنة). وأتى جيش (خالد بن الوليد) من (العراق)، والتقى بالجيش العربي قرب (بصرى)، وأصبح قائداً له. وجرت معركة (أجنادين) بين المسلمين والبيزنطيين. انتصر فيها المسلمون وكانت في (30 تموز 634 م).

سقطت (بصرى) أولاً عام (634 م = 13 هـ) ثم (دمشق) بعد أن انهزم القائد البيزنطي (باناسز) في (مرج الصفا) جنوب (دمشق) وانسحب يحتمي بأسوار (دمشق)، فحاصرها المسلمون لمدة ستة أشهر ثم دخلها (خالد بن الوليد) حرباً من الباب الشرقي، و (أبو عبيدة بن الجراح) سلماً من الغرب أي باب (الجابية). وكان ذلك في عام (635 م = 13 هـ). ولكن الخليفة (عمر بن الخطاب)، عزل (خالد بن الوليد) عن قيادة الجيش، وولى (أبو عبيدة بن الجراح) بدلاً عنه.

وتتابعت الفتوحات خلال السنوات (635 و 636)، وفيها حصلت معركة (اليرموك) بين البيزنطيين والجيش العربي، وكان (خالد بن الوليد) قائده ثانية.

وحرر (أبو عبيدة) (حمص) و (حما) و (شيزر) و (بعلبك). كما حرر (شرحبيل) مدن الساحل. و (عياض بن غنم) حرر غرب (الفرات). و (عمرو

بن العاص) حرر (مصر). وهكذا انتصر العرب المسلمون وفتحوا ما بقي من (سورية) عام (637 م = 16 هـ).

لم تقاوم المدن السورية الغزو الإسلامي لأن السكان كانوا يعانون من حكم البيزنطيين القاسي، ومن الخلافات المسيحية الدينية. وكان لديهم خياران: إما أن يدخلوا الإسلام بدون ضغوط، أو يدفعوا الجزية، ويرتاحوا من مسؤولية الحكم والدفاع. لذلك رحبوا بحكم المسلمين.

ولقد قيل: «ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب.»

بعد (أبو بكر) الذي دام حكمه بين (632 ـ 634 م) أتى (عمر بن الخطاب)، وكان حكمه بين (634 و 644)، ثم (عثمان) (644 ـ 656)، ثم (علي) (661 ـ 666)، ثم (معاوية بن أبي سفيان).

الأمويون

أسسها (معاوية بن أبي سفيان) في عام (41 هـ = 661 م) وصار خليفة المسلمين، وجعل (دمشق) عاصمتها. وجه (معاوية) اهتمامه نحو الشرق الحضاري وأهمل الغرب لأنه كان في عصوره المظلمة. وبدأ ببناء دولته على أسس متينة وإدارة حازمة.

بعد موت (معاوية) تولى الخلافة ابنه (يزيد). وحكم بين (680 و 683). في عهده جرت معركة (كربلاء) في جنوب (العراق) عام (10 محرم 61 هـ = 680 م).

وفي عهد (عبد الملك بن مروان) تم تعريب الدواوين والنقود وكانوا يستعملون اللغة والنقود اللاتينية. وقويت الإمبراطورية اقتصادياً وعسكرياً وخاصة الأسطول الذي انتصر في معركة (ذات الصواري) عام (655) على البيزنطيين. وحرر (عقبة بن نافع) شمال أفريقيا، ووصل (موسى بن النصير) و (طارق بن زياد) إلى (الأندلس). وذهبت حملة بحرية إلى القسطنطينية بقيادة (فضالة بن عبيد الأنصاري) عام (668) أما (قتيبة بن مسلم الباهلي) و (نصر بن يسار) و (محمد بن القاسم)، فقد وصلت جيوشهم إلى (كاشغر) في (الصين). وجيوش (عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي) وصلت إلى (تولوز) جنوب (فرنسا).

تولى الحكم (الوليد بن عبد الملك) سنة (85 هـ = 805 م) وفي عهده فتح (موسى بن النصير) أفريقيا و (طارق بن زياد) الأندلس. و (قتيبة بن مسلم) (بخارى)، و (سمرقند) و (فرغانة) في جمهورية (أوزبكستان) و (تاديبكستان)

حالياً. وكان ذلك في عام (712)، ووصل (محمد بن القاسم) إلى (السند) وجزء من (الهند) حتى حدود (الصين). كما شيد الجامع الأموي في (دمشق).

ثم تولى بعده أخوه (سليمان بن عبد الملك) عام (96 هـ = 614 م) ثم أخوه (هشام بن عبد الملك) في عام (105 هـ = 723 م). وبنى في عهده قصري (الحير) الشرقي والغربي و (رصافة هشام) وكلها في (بادية الشام).

كان (هشام بن عبد الملك) (724 - 743) آخر الخلفاء العظماء من الأمويين، لأن الضعف استشرى في جسد الإمبراطورية من بعده. وذلك بسبب الشيعة والهزائم المتتالية في (آسية الصغرى) وفي شمال (أفريقيا).

سقطت (دمشق) في أيدي العباسيين عام (132 هـ = 750 م) في عهد (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية.

ازداد العمران في زمن الأمويين، وخاصة تحت حكم (عبد الملك بن مروان) (685 - 705) و (الوليد بن عبد الملك) (705 - 715). واقتبسوا العناصر الفنية من اليونانيين والرومان والبيزنطيين والفرس، وأضافوها إلى فنهم العربي الآتي معهم من الجزيرة العربية، ومع الأيام ابتعدوا عن الفنون العربية الأخرى لينفردوا بفن خاص بهم.

تأثر فنهم بالدين بسبب مواسم الحج والتجارة مع دول العالم الإسلامي الأخرى واتصفت فنونهم بـ: القناطر والتنويع، الكتابة الكوفية للتزيين والتأريخ.

أهم آثارهم:

القصر الأموي في جبل (أسيس) يبعد (105 كم) جنوب شرق (دمشق).

قصر (الحير) الغربي والشرقي و (الرصافة) وكلها في البادية.

أقام (معاوية) في (دمشق) (قصر الخضراء). وأصبح مقراً لملوك بني أمية.

وكان في (دمشق) ميدانين: (ميدان الحصى) في حي (الميدان) الحالي. و (المرج الأخضر) في أرض المعرض الآن.

جدد (يزيد بن معاوية) قناة نهر (يزيد) وهي على سفح جبل (قاسيون)، فمدت قريتي (حرستا) و (القابون) بالماء.

وبنى (الحجاج بن عبد الملك) قصره خارج السور عند (باب الجابية). الجامع الأموي. جامع المصلى. مقبرة باب توما (الشيخ رسلان). مقبرة الباب الصغير. مقبرة باب الفراديس.

الأمويون في الأندلس

قضى العباسيون على الأسرة الأموية عدا (عبد الرحمن بن معاوية) حفيد (هشام بن عبد الملك) الذي نجا من الموت وكان عمره (19 سنة). اختبأ في مضارب البدو على ضفة (الفرات)، ثم انتقل سراً إلى (الأندلس). وكانت الرحلة طويلة دامت (5) سنوات. أسس في (الأندلس) دولة للأمويين دامت من (19 تموز 711 - 1462 م) أي حوالي ستة قرون. حينما سقطت (غرناطة) عام (1492) بيد الإسبان. وانتهى حكم العرب من (الأندلس).

حينما وصل (عبد الرحمن الداخل) إلى (قرطبة) عام (756 م). بدأ بإنشاء جامع (قرطبة) عام (785 م). وتعاقب على تزيينه (80) أمير وملك عربي لمدة تزيد على (200 عام).

من أهم آثار الأمويين في الأندلس قصر الحمراء في (غرناطة).

العباسيون

أتى عدد من الخلفاء الأمويين الضعفاء المهملين إضافة إلى ثورات في بلاد (فارس) و (العراق)، مما جعل (أبو العباس) يسير إلى (دمشق) مع جيشه عام (750) لاحتلالها فانتقلت الخلافة من (دمشق) إلى (بغداد) في عام (762 م) وصارت (سورية) مهملة جزاء لها على دعمها للأمويين.

حينما دخل العباسيون (دمشق) وعلى رأسهم (عبد الله العباسي) وكان ذلك في عهد أخيه الخليفة (أبي العباس السفاح) في عام (132 - 750) أعمل السيف بالأمويين ونبش قبور خلفائهم وأحرق جثثهم وخرّب قسماً من سور المدينة ودمر مباني الأمويين كلها.

واتخذ (المنصور) (بغداد) عاصمة لحكمه على نهر (دجلة). وكانت هندستها مستديرة الشكل.

أهم خلفاء العباسيين:

هارون الرشيد وحكم (786 - 809 م) وصادق (شارلمان Charllmagne) الذي حصل على حق رعاية وحماية الحجاج المسيحيين وهم في طريقهم إلى (القدس). وفي عهده وصلت الإمبراطورية العباسية أوجها. وفي عهد ابنه (المأمون) انتعشت الثقافة والتأليف والترجمة وشجعت العلوم والفنون. وبنيت في زمنه قناة نهر (منين) بين النبع ومعسكره في (دير مرّان) على سفح جبل (قاسيون). كما أمر ببناء مرصد فلكي هو (قبة السيّار).

وصار الخلفاء العباسيون يعتمدون على عناصر غير عربية من المماليك الأتراك السلاجقة، وأصبحوا شبه رهائن في قصورهم (ببغداد) بيد حماتهم من

الأتراك السلاجقة، وكانت (الموصل) معقلهم.

قامت في (سورية) نزاعات بين السنة والشيعة ومنهم الإسماعيليين فلجأت بعض الشيع إلى الجبال والصحاري. وفي نفس الوقت اتخذ (الموارنة) ملجأ لهم في جبال (لبنان).

في منتصف القرن (9) أصبحت الإمبراطورية العباسية مفككة، وكل منطقة صارت شبه مستقلة يتقاسمها أمراء وقادة السلاجقة فكان:

الطولونيون في (مصر) بعد (868 م).

والفاطميون في (مصر) بعد (905 م).

والساسانيون في بلاد (فارس) بعد عام (874 م).

والحمدانيون في شمال (سورية) عام (944 م)، وكانت (حلب) عاصمتهم.

وحكم (سورية) الفاطميون ثم البدو المرداسيون بين (1023 - 1079). ثم أخذ السلجوقيون الأتراك الحق بحكم شمال (سورية) من الخليفة، وصار (ألب أرسلان) (1070 - 1072) ملكاً عليها.

الإمبراطور البيزنطي (نيكفوروس فاكاس) (Nicepharus phacas) (963 - 969) والإمبراطور (جون إيتزيمسيس) (John Itzimisces) (969 - 976) أرادا استغلال فرصة الضعف في كيان الإمبراطورية فأخذا يشنان الغارات على (سورية) ونتج عن ذلك معاهدة تعطي الحق للفاطميين بحكم (سورية) عام (997).

آثارهم

أدخل العباسيون التقاليد والفنون الفارسية الشرقية بينما كان الأمويون يزاوجون بين الشرق والغرب، بين الفن العربي واليوناني والروماني.، واتجه الفن نحو النعومة والرشاقة، وملأ الفنان الفراغات بالزخارف.

لم يترك العباسيون آثاراً كثيرة لأن (سورية) أهملت في زمنهم، وبقي من آثارهم مدينة (الرافقة) وهي (الرقة) حالياً. والتي شيدها (أبو جعفر المنصور). كما عمّر (هارون الرشيد) (هرقلة) بين (الرافقة) و (بالس) (مسكنة) و (قصر البنات)، وقصور وجوامع (الرقة). وبنى (المأمون) مدينة (رحبة مالك بن طوق) وفيها قلعة ومباني. وتقع قرب (الميادين).

وفي (دمشق) توجد خزنة الجامع الأموي، ومحراب مسجد (فلوس)، وزاوية (الرفاعي)، وضريح السيدة (فاطمة)، وضريح السيدة (سكينة) في مقبرة باب الصغير، و (قبة السيّار) على جبل (قاسيون).

ومن أشهر شعراء عهد العباسيين: (أبو تمام) و (البحتري) و (المعري) و (ديك الجن) و (الأوزاعي البعلبكي). وأشهر شعراء (بني حمدان) (المتنبي) و (أبو فراس الحمداني).

ومن علماء ذلك العصر: (المقدسي) وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

الطولونيون

احتل (أحمد بن طولون) (سورية) وأسس الدولة الطولونية فيها، ودامت بين (264 هـ و 292 هـ) أي بين (877 م - 905 م). وكان (أحمد بن طولون) أميراً على (مصر) في العهد العباسي أيام الخليفة (المعتمد بالله). وحكم من (مصر) حتى (الفرات). ثم عادت (سورية) إلى الحكم العباسي من جديد.

الإخشيديون

سيطر الإخشيديون المصريون على (بلاد الشام) عام (330 هـ = 941 م)، عندما احتلها (محمد بن طفج بن جف بن بلتكين). وكان مملوكاً تركي الأصل. وصار الحكم من (القاهرة). وعندما احتل سيف (الدولة الحمداني) (حلب) عام (333 هـ 944 م)، خرج الجيش الإخشيدي بقيادة (كافور) وجرت معركة بينهما عند (الرستن)، هزم فيها الإخشيدي واحتل (سيف الدولة) (حمص) وبعدها (دمشق). ثم تمت معاهدة بني الطرفين على أن تبقى (حلب) و (أنطاكية) للحمداني، وبقية (سورية) الطبيعية للإخشيد. وعندما دخل الجيش الفاطمي (مصر) بقيادة (جوهر الصقلي) عام (358 هـ = 969 م) انتهت الدولة الإخشيدية.

الفاطميون

بعد (مصر) ذهب (جوهر الصقلي) بجيشه لاحتلال (سورية) عام (359 هـ = 969 م). وخلال عام استطاع احتلال معظم المدن السورية. وخطب للخليفة (المعز لدين الله الفاطمي) من (حلب) و (حمص). وفي عام (365 هـ = 975 م) صار الحكم للخليفة (أبو منصور نزار العزيز) الفاطمي. و (القاهرة) كانت عاصمة الحكم.

وبدأ الحكم بالضعف بعد (435 هـ + 1043 م)، حتى أتى (صلاح الدين الأيوبي) وخلع الخليفة (العاضد الفاطمي) في (مصر) عام (567 هـ = 1171 م) واستولى هو على الحكم. وكان مذهبهم شيعي، وحكمهم متمم للعهد العباسي، رغم استقلالهم (بتونس) و (مصر) و (فلسطين) والقسم الأكبر من (سورية). وكانت عاصمتهم (القاهرة) تنافس (بغداد).

كان عصرهم عصر ظلام، فيه احترق (الأموي) وانتشر الطاعون. وصارت (دمشق) حارات وأزقة من أجل التعاضد، والتعاون ضد الأخطار. وكان ذلك وفقاً للنزعات الدينية أو العرقية أو الصناعية. وصارت للأسواق والحارات أبواب تغلق ليلاً. ومن أهل الحارة، شكّل لها شرطة وجيش ودفاعات.

تفنن الفاطميون فزخرفوا أبنيتهم بالكتابة الكوفية والحفر على الخشب وصور النبات والحيوان والأشكال الهندسية والرسوم الآدمية.

آثارهم:

محراب في (زاوية الرفاعي)، صخرة في الربوة عند منطقة (المنشار)

نقشت عليها كتابة كوفية ذكر فيها اسم الخليفة الفاطمي (المستنصر) عام (444 هـ = 1052 م). وتعرف هذه الصخرة باسم (اذكريني دائماً) وهي جملة كتبت عليها. وهناك ضريح السيدة (فاطمة بنت أحمد السبطي) المتوفاة عام (439 هـ = 1047 م). وهو من الحجر المزين بكتابة كوفية في مقبرة (الباب الصغير). ومحراب جامع (فلوس) في (الميدان) تكسوه زخارف جصية وخط كوفي مشجر. وهناك القليل من الآثار العمرانية في (بصرى) و (صلخد) و (السلمية) وغيرها. وأعاد الفاطميون بناء سور (دمشق) الذي هدمه العباسيون وكان سيء التنفيذ. كما أقيمت في (دمشق) أحياء جديدة مثل (العقيبة) شمال (بردى) و (الشاغور) جنوبه.

السلجوقيون

هم بدو رحل من أواسط آسيا. دخلوا (سورية) قبل (463 هـ = 1070 م) واحتل (ألب أرسلان) (بلاد الشام) وصارت (حلب) له. ثم احتل قائده (اتسز) (القدس) وأخذها من الفاطميين. ثم استولى على (دمشق) عام (468 هـ – 1075 م) بعد أن اشتبك مع البيزنطيين وعلى رأسهم الإمبراطور (رومانوس الرابع ديوجين) (Romanus IV Diogene) الذي أسر في المعركة. وفي عام (1078) احتلوا (القدس) ثم صار (تتش بن ألب أرسلان) ملكاً على (حلب) وخلفه ولداه (رضوان) كملك (لحلب) خلال (488 ـ 507 هـ) أي (1095 ـ 1104 م). بينما صار (دقاق) ملكاً على (دمشق) بين (488 هـ ـ 497 هـ) أي (1095 م ـ 1104 م) وحدثت حروب وصدامات عدة بين الأخوين غير الشقيقين.

وفي نهاية القرن (11) وتحت حكم (ألب أرسلان) و (ملك شاه الأول) الذي حكم بين (1072 ـ 1092) قاوم السلاجقة محاولات الفاطميين لاحتلال جنوب (سورية) الطبيعية.

عهد السلاجقة لم يكن قوياً لأنهم كانوا يتولون حكم بعض المدن بينما قوادهم (الأتابك) يتولون بعضها الآخر، مما جعل الطمع يستشري وينخر في كيان الدولة. وبدأ القواد يستقلون مما أدى إلىظهور دويلات الأتابكة، وانتهى السلاجقة حوالي (511 هـ = 1117 م).

اقتبس السلاجقة الفن من (إيران) و (العراق). واستعملوا الأواوين التي تطل على باحة سماوية. وبنوا البيمارستان وهو مستشفى ومعهد طبي.

وهناك عدد من الآثار السلجوقية في (بلاد الشام) خاصة في (دمشق) و (حلب).

الأتابكة والزنكيون

الأتابكة: مماليك سلاجقة عرفوا بالزنكيين نسبة إلى (زنكي بن آق سنقر) وحكمهم كان امتداداً للسلاجقة أيضاً. حينما استقل كل أمير أتابكي بمقاطعته وجعلها دولة.

كانت دولة (عماد الدين زنكي بن آق سنقر) في مدينة (الموصل) شمال (العراق) عام (521 هـ = 1127 م). ثم احتل (حلب) عام (522 هـ = 1128 م). وضمها لمملكته. وهو الذي حرر (الرها) أي (أديسا) من الصليبيين عام (539 هـ = 1144 م). امتد نفوذهم حتى (إيران) و(آسيا الصغرى)، وأبطلوا مذهب الشيعة.

وكانت هناك دويلات أتابكية أخرى ولكنها أقل شأناً.

النوريون

بعد اغتيال (عماد الدين بن زنكي) أمام قلعة (جعبر) عام (541 هـ = 1146 م)، تولى الحكم ابنه (نور الدين محمود). وجعل (حلب) عاصمته، وعرفت باسم (النورية) نسبة إليه.

وكان من أهم السلاطين الزنكيين، ولد في (حلب) عام (1117 م) أي (511 هـ) وتوفي في قلعة (دمشق) بمرض الخنّاق. ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى تربة مدرسة الحنفية في (سوق الخياطين). وكان والده (عماد الدين زنكي) ابن الأتابك (آق سنقر) حاكماً في (حلب) وأتابكاً أي مربياً لسلطان (بغداد) السلجوقي. كان عابداً عالماً فقيهاً عادلاً. لم يلبس ما حرمّه الشرع. وإن أراد الصرف، أحضر القضاة والفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحل له. ومن ثم يأخذ ما أفتوه بأنه حلال.

غزا وفتح ونشر العدل، واستولى على (دمشق) بعد ثلاث محاولات، وأصبح ملكها، فحصن سورها، وبنى فيها المدارس، والمشاهد، ونشر العلم، وبنى دار الحديث، وهي أول دار من نوعها، ووقف كتباً كثيرة. كما بنى الجوامع، والبيمارستانات، وأزال المكوس، واستمع إلى المظالم، وأوقف حصيلة غلال قرية (داريا) للفقراء والأيتام والمساكين.

واستولى على قسم كبير من (بلاد الشام) عدا المناطق التي كان الصليبيون يسيطرون عليها. وذلك في عام (549 هـ - 1154 م). وفي عام (559 هـ - 1174 م) خلفه ابنه (الصالح إسماعيل) وكان عمره (11) عاماً فضعفت الدولة. فأتى (صلاح الدين الأيوبي) ليضم (بلاد الشام) إلى (مصر) التي تحت حكمه.

تمازجت فنون الأتابكة الزنكيون مع طراز البناء في (العراق) و (فارس) وبنوا المستشفيات. وأضافوا هندسة البناء الأواوين ، الفناء السماوي، المصلى، غرف صغيرة، مقرنصات حجرية في زوايا القباب. الأسقف كانت معقودة فصارت قباب، النقش على الجصّ الحفر على الخشب والحجر، الخط النسخي. كما ظهرت فنون قديمة مثل كسوة الجدران بالرخام الملون ونماذج من الفسيفساء الرخامية التي ازداد ازدهارها بالعصر المملوكي.

آثارهم:

قلعة (دمشق). هدمها الأيوبيون فيما بعد وأعادوا بناءها، أبراج سور (دمشق) المستديرة، (باب السلام)، (باب الفرج)، (المدرسة النورية)، (دار العدل) (هدمت)، (حمام نور الدين) (البزورية)، حي (الصالحية)، حي (العقيبة)، تربة (نور الدين) في (سوق الخياطين). البيمارستان النوري (1154 م)، وكان من أشهر المستشفيات في العصور الوسطى اقتبس فكرتها الفرنجة في بلادهم.

كان (نور الدين) خلال حكمه الطويل بين (1146 = 1174 م) يشيد ويبني فترك الكثير من الآثار العمرانية في (دمشق) و (حلب). وفي عهده تقدمت العلوم والفنون والصناعة والتجارة. وأصبحت المنتوجات الشامية ذات شهرة عالمية كالحرير، والنحاس المطعم بالفضة، والزجاج المزخرف بالميناء، وذكرت المينا في لوائح أثاث ملوك فرنسا واعتبرتها كاتدرائيات (أوروبا) من نفائس كنوزها.

أقام (نور الدين) عند كل باب من أبواب سور (دمشق) مسجداً ومئذنة، وخارج الباب (باشورة) أي (سوق صغيرة). وبنى سوراً بيضوي الشكل حول (دمشق) عام (618 هـ) دعمه بأبراج نصف دائرية.

اتسعت ضواحي (دمشق)، منها شارع (النصر) و (البرامكة) و (الصالحية)، نسبة إلى مسجد (أبي صالح) الذي نزل فيه اللاجىء (الفلسطيني) الهارب من الصليبيين فابتنى هو وأسرته حول هذا المسجد حياً صغيراً على

ضفاف قناة (يزيد).

وشيد (الظاهر بيبرس) قصر (الأبلق) جانب المرج الأخضر (التكية السليمانية) اليوم. وعمّر (المرجة).

كما بنيت ضاحية (السويقة) جنوب غرب (دمشق) على طريق (صور) و (عكا) و (مصر) وسميت (سوق صاروجا) نسبة إلى الأمير (صارم الدين صاروجا) وسكنها الضباط والجنود لقربها من القلعة.

وضاحية أخرى في الشمال على طريق (الصالحية - بيروت). وهي ضاحية (الصالحية)، التي بدأت في العهد الأيوبي وأصبحت مدينة بالعهد المملوكي. وكان لها والي تبع نائب السلطان في بلاد الشام المقيم في القلعة. وكانت نظيفة لها مجاري مالحة في أقنية عميقة فوقها أقنية المياه النقية. وكانت مياه البرك والبحيرات في داخل المنازل وخارجها تصرف في شبكة المجاري المالحة، وتسوق مياهها لسقاية البساتين خارج المدينة. علماً بأن معظم النفايات كانت عضوية وقلوية. كما كان للأزقة أرصفة للمشاة.

الأيوبيون

تولى ولاية (مصر) عام (565 هـ = 1169 م) (صلاح الدين الأيوبي) في عهد الخليفة الفاطمي (العاضد). وفي عام (567 هـ = 1171 م) قام بخلعه وأنهى الخلافة الفاطمية، وأرجع للخليفة العباسي (المستضيء) حكمه عليها. وحينما استتب له الحكم في (مصر)، وتوفي (نور الدين محمود زنكي) في (سورية) عام (569 هـ = 1174 م)، أعلن (صلاح الدين) استقلاله (بمصر) واستولى على (سورية) الداخلية عدا الساحل بعد أن هزم (الصالح إسماعيل بن نور الدين) الذي كان صبياً عمره (11) عاماً. وفي عام (471 هـ = 1175 م) أصدر الخليفة العباسي أمراً بتولي (صلاح الدين) السلطة في (سورية) الداخلية، و(النوبة) و (مصر)، و (المغرب)، و (الجزيرة العربية). وبعد عشر سنوات استولى على (الموصل) وبعض الدويلات ثم بدأ حربه مع الصليبيين.

في عام (583 هـ = 1187 م) حدثت بينه وبينهم موقعة (حطين) انتصر فيها وحرر (القدس) وأنهى المملكة اللاتينية الصليبية فيها. وفي عام (584 هـ = 1188 م) حرر (صافيتا) وقلعة (يحمور) وقلعة (العريمة) واحتل (طرطوس) عدا قلعتها ثم فتح (مرقية) و (بانياس) و (جبلة) و (اللاذقية). وبعد رجوعه استرجعهم الصليبيون ثانية. فأخرجهم السلطان المملوكي الملك الناصر (ناصر الدين قلاوون) من قلعة (المرقب) عام (684 هـ = 1285 م) ثم من (اللاذقية) عام (686 هـ = 1287 م) ومن (طرطوس) عام (69 هـ = 1291 م) وبقيت (أرواد) تحت سيطرة (فرسان الهيكل) الصليبيين ولكنه طردهم منها عام (702 هـ = 1303 م). وبعدها بدأت الحملة الصليبية الثالثة التي استعادت (عكا) بعد حصار سنتين من (585 - 587 هـ) = (1189 - 1191 م).

صلاح الدين الأيوبي:

هو الملك الناصر (صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب) ولد عام (1138 م = 532 هـ) في (تكريت) (Takrit) على (الدجلة) من أبوين أكراد. ومات بداء الحمى في قلعة (دمشق) في (16 صفر 588 هـ = 4 آذار 1193 م) وعمره (56) عاماً. دفن في الدار التي مرض فيها بالقلعة، ثم نقله ابنه (العزيز عثمان) إلى ضريحه في (المدرسة العزيزية) التي بنيت بسرعة.

حضر أبواه وهو رضيع إلى (دمشق)، وحينما شبّ دخل الجيش وصار عاملاً على (بعلبك). ثم أرسله (نور الدين) مع أمراء جيشه لمهاجمة (مصر). ولأنه كان شجاعاً، ارتفع قدره لدى (نور الدين). ثم رافق عمه (أسد الدين شيركوه)، الذي كان يعمل تحت إمرة (نور الدين) أيضاً لمحاربة الصليبيين وكبح الفاطميين في (مصر). وصار (صلاح الدين) نائب (نور الدين) في (مصر)، وعمره (33) عاماً أي في عام (1161 م).

بعد موت (نور الدين) استقل (صلاح الدين) (بمصر) وحكمها، ثم أخذ (الشام) وعمل أول وحدة بين (مصر) و (سورية) عام (1168 م) وحارب الصليبيين بإصرار منذ (1097) حتى أواخر القرن (13). وهزمهم في معركة (حطين) (بفلسطين) عام (1177 م). واستسلمت له (القدس) عام (1187 م - 583 هـ). وكان رؤوفاً بالناس وعفا عن الأسرى. ثم احتل قلعة (الحصن) وقلعة (صهيون) أي (قلعة صلاح الدين) عام (1188 م).

احترمه أعداءه وأحبوه، لأنه كان مثالاً للشهامة والفروسية، كما كان ديّناً كريماً وصبوراً. وحينما توفي عام (1193 م) كان لديه سبعة عشر ابناً وابنة خلّف لهم (47) درهماً وحرام واحد من الصوف.

حينما توفي (صلاح الدين الأيوبي) توزعت ذريته المملكة وبدأ الانشقاق والضعف حتى قضى (هولاكو) على آخر الملوك الأيوبيين وهو (الملك الناصر

يوسف) عام (659 هـ - 1261 م). وبدأ عهد المماليك.

ترك الأيوبيون آثاراً عديدة في (دمشق) و (حلب) وغيرها من المدن يغلب عليها التقشف بسبب الحروب مع الصليبيين.

من آثارهم في (دمشق):

(قلعة دمشق) أيوبية وكانت قصراً وحصناً بعد خراب (قصر الخضراء) على أيدي العباسيين. وخلال حكم الأيوبيين بنيت حوالي (100) مدرسة للتعليم مجانية. وكان الطالب يعطى معاشاً في بعض الأحايين.

وكذلك حي (الأكراد) الذي نزل فيه الأكراد الذين أتوا مع الأيوبيين لخوض معركة الشرف ضد الفرنجة. وتخيروا ذلك الموضع الأجرد لأنهم لم يكونوا ملاكاً ولا مزارعين بل مجاهدين. وكان عهد النوريين والأيوبيين عهد نضال وعلم. وفي زمنهم انتشر الطب والثقافة الدينية.

مدارس المرشدية والجهاركسية والصاحبة والشبلية والركنية والشامية ـ جامع الحنابلة والماردانية في (الجسر الأبيض) وجامع الجراح في (الشاغور) وجامع التوبة في (العقيبة) وجامع المصلى في (الميدان) ـ البيمارستان القيمري ـ المدرسة العادلية الصغرى والكبرى ـ المدرسة البادرائية والقبكجية والعزيزية والإقباليتين الحنفية الشافعية ـ وكل المدافن والترب التي في مسجد أو مدرسة ـ حدائق الصوفيين ـ سوق الصاغة القديم الذي احترق عام (1959) ـ وضريح صلاح الدين.

نهضة المسلمين:

أول من قام ضد الصليبيين (حلب) وكانت تحت حكم (عماد الدين زنكي) وابنه الثاني (نور الدين) (1146 ـ 1174) وكانوا تابعين للسلطان السلجوقي في (الموصل) ومن خلاله إلى الخليفة في (بغداد). السلاجقة أخذوا في استعادة أهمية السنة وأرجعوا ما كسب الفاطميون والإسماعيليين من مواقع وصار هناك مراكز دينية للتعليم. استعاد الزنكيون (أديسا) من الصليبيين في

(1144) وأقلقوا وجود الصليبيين في (وادي العاصي) وفي (1154) تحكموا بالسيطرة على (دمشق) وأعلنوا الجهاد.

وبعد ذلك صارت (مصر) و (سورية) تحت حكم (صلاح الدين). وكان قد أخذت الحكم من (الصالح إسماعيل) ابن (نور الدين)، كما أنهى الفاطميين في عام (1171) في (القاهرة) مستعيداً للخليفة العباسي الحكم على مصر. وشكل بعد ذلك حكماً مستقلاً بين (1176 - 1260) وحكم (دمشق) و (القاهرة). استعاد (حلب) في (1183). وفي عام (1187) حارب ضد (جاي) (Guy) ملك (القدس) في معركة (حطين) في (الجليل) وسقطت (القدس) له، وهزم الصليبيين.

رغم أن (صلاح الدين) سيطر على (القدس) إلا أن حملاته ضد الصليبيين في (كراك) و (المرقب) و (طرطوس) و (اللاذقية) و (أنطاكية) لم تكن ناجحة. بعد موته عام (1193) وزعت مملكته بين أبنائه، وأخذ الأمر (9) سنوات حتى استطاعت الأرض الأيوبية أن تتوحد تحت حكم أخيه (العادل) سلطان (دمشق) (1196 - 1218). وفي (القاهرة) (1200 - 1218) (الكامل ناصر الدين) الذي خلف (العادل) في (القاهرة) (1218 - 1238) أرجع (القدس) للصليبيين بمعاهدة مع (فريدريك) (Frederick II) في عام (1229) مما أغضب وأثار أهل (دمشق). فاستعادها المسلمون بعد أن سقطت بيد جيش تركي في (1244). انتهت سلالة الأيوبيين عام (1260) لضعف من أتى بعد (صلاح الدين) واحد منهم فقط كان جيداً هو (الظاهر غازي) حاكم (حلب) (1193 - 1215).

الصليبيون

طالب البابا (Urban II) (1088 - 1099) في مجلس (Chermont - Ferrand) في عام (1095) بحمل السلاح والذهاب لحماية الأماكن المسيحية في بلادنا، فجاءت الجيوش إلى (سورية) عام (1097). ولكن السلاجقة يحكمونها وكان ينقصهم التوحد وتنظيم المقاومة. ورغم أن الجيوش الصليبية لم تكن متوحدة أيضاً بل كانت تعاني من مشاكل القيادة والتكنيك، إلا أنهم وبعد (9) أشهر من الحصار أخذوا (أنطاكية) التي كان معظم سكانها من (الأرثوذوكس) اليونان (Greek Orthodox).

انقسمت الجيوش الصليبية تحت إمرة قوادهمْ وهم (بالدوين البولوني) (Baldwin of Boulogne) الذي ذهب إلى (أديسا) أي (الرها) (Edessa) شرق (تركيا) لينشيء إمارته هناك. و (بوهيموند) (Bohemond) الذي صار أمير (أنطاكية). و (ريموند) (Raymond) أي (كونت تولوز) (Count of Toulouse) الذي ذهب إلى (القدس) مع ما تبقى من الجيش ومروا في (معرة النعمان) حيث قاموا بمذبحة فظيعة فيها، ولم يقاومهم المسلمون قط.

ومشى الصليبيون من (المعرة) إلى جانب (العاصي) جنوباً ثم ذهبوا إلى الشاطيء من خلال فوهة (حمص). وأخذوا القلعة الكردية التي صارت (قلعة الفرسان) فيما بعد. ثم (طرابلس) التي قاومتهم بعنف لمدة عشرة سنوات. بينما تابع الجيش لاحتلال (القدس) في (1099). وأخذت منهم السيطرة على الساحل السوري الكثير من الوقت. (فطرابلس) فتحوها عام (1109) بينما سقطت (اللاذقية) و (طرطوس) والمناطق الجبلية مثل (مصياف) قبل (طرابلس). ولم يكن الاحتلال الصليبي قوي القبضة على المناطق، لأن أمراء الصليبيين

توزعوا الحكم في كل مكان. (كونت تولوز رايموند) في (طرابلس)، (بوهموند) وبعده (تانكريد) (Tancred) في (أنطاكية)، (بالدوين) في (أديسا). والخلافات بينهم وعدم توحيد جهودهم سهلت على السوريين مقاومتهم.

بقي الاحتلال الصليبي مدة قرنين تقريباً. ادعوا أنهم يريدون تأمين الحجاج المسيحيين في الديار المقدسة لكنهم أتوا للتملك والاستعمار وليس من أجل الدين.

سيطر الصليبيون على السهول التي حصرت بين الجبال والمتوسط، وكانوا قد أعطوا (فرسان المستشفى) (الهوسبيتاليز) و (فرسان المعبد) و (التمبلر) مقاليد الأمور بعد (1150). ولكن وفي الداخل لم يستطيعوا التأثير على المراكز الإسلامية الهامة. وساعدهم المسيحيون المحليون قليلاً وأغلبهم من أتباع مذهب (الأرثوذوكس اليونان) الذين لا يحبون الغربيين. وكانت مراكز السنة قد قويت في كل من (دمشق) و (حلب).

الحروب الصليبية

أسبابها سياسية بقالب ديني.

السبب السياسي: طمع الأمراء والإقطاعيين بأملاك جديدة وموارد جديدة.

السبب الديني: سوء تصرف بعض الولاة مع الحجاج المسيحيين القادمين إلى الأراضي المقدسة.

لذلك شن الصليبيون خمس حملات:

1 ـ الأولى وكانت بقيادة (غودفروا دي بولون). في (آسية) الوسطى حاربوا السلجوقيين وانتصروا عليهم وأنشأوا إمارة على (الفرات) هي (الرها) أي (أديسا). ثم استولوا على (أنطاكية) في (3 ـ 4 ـ 1098) بعد حصار ثمانية أشهر. وتابعوا إلى الساحل اللبناني ومروا بالمدن الساحلية بدءاً من (طرابلس) وانتهاء (بصور) ولم يتعرضوا لأحد بسوء.

وحاصروا (القدس) التي سقطت بين أيديهم عام (1099) بعد جهد وعناء كبيرين. ثم فتحوا (عسقلان). وحينما مات (غودفروادي بويون) خلفه أخوه (بودوين الأول) أمير (الرها)، ولقب نفسه ملك (أورشليم) (1100 ـ 1118 م). ثم تابعوا فتوحاتهم إلى (قيصرية) و(عكا) و(طرابلس) (1109)، ثم (بيروت) و (صيدا) ثم (صور) عام (1142 م). في عهد (بودوين الثاني). وفي كل مدينة جعلوا حاكماً صليبياً عليها، ليحصنها ويدير شؤونها. (دمشق) و (بعلبك) و (حمص) و (حما) و (حلب) لم يستطيعوا فتحها ففرضوا عليها الجزية. مثلاً فرضوا على سهل البقاع (3/1) غلاله من الحبوب.

2 ـ الحملة الثانية (541 ـ 544 هـ) = (1147 ـ 1149 م). بعد سقوط (الرها) بيد (عماد الدين زنكي) سنة (1144)، أتى (لويس السابع) ملك (فرنسا) بجنوده و (كونراد الثالث) إمبراطور (ألمانيا) بجيشه وحاصروا (دمشق) ولم يتمكنوا من فتحها فعادوا إلى بلادهم.

3 ـ الحملة الثالثة: (585 ـ 588 هـ) أي (1189 ـ 1192 م): حرر (صلاح الدين) (القدس) عام (583 هـ = 1187 م) فأتت الحملة الثالثة وكان قائدها (فيليب الثاني) ملك (فرنسا) و (ريتشارد الأول) ملك (بريطانيا) و (فريدريك بارباروس) ملك (ألمانيا) ورجع (فيليب الثاني) إلى بلاده في (589 هـ = 1196 م) لأن الفرنسيين والإنكليز كانوا على خلاف. وبعد استيلاء الصليبيين على (عكا) تمت هدنة بين المسلمين والإنكليز عام (589 هـ = 1193 م) تقضي بحرية الحج إلى الديار المقدسة للأوروبيين.

4 ـ الحملة الرابعة: احتلت (القسطنيطينية) بين (598 ـ 601 هـ) = (1202 ـ 1204 م).

5 ـ الحملة الخامسة: فشلت في احتلال (مصر) بين (615 ـ 618 هـ) أي (1228 ـ 1229 م). عملت معاهدة تنص على أن (القدس) و (بيت لحم) و (الناصرة) يسمح بزيارتها للحجاج المسيحيين.

7 ـ الحملة السابعة:

بقيادة (لويس التاسع) ملك (فرنسا) بين (646 ـ 652 هـ) أي (1248 ـ 1354 م) وقع أسيراً في (مصر) ثم أطلق سراحه.

8 ـ الحملة الثامنة: بقيادة (لويس الرابع) أيضاً وكان يرغب باحتلال (تونس) إلا أنه توفي فيها في (668 ـ 1270 م) حرر العرب الساحل السوري عام (1690 هـ = 1291 م). وآخر ما حرر كان جزيرة (أرواد) على يد (الناصر قلاوون) عام (702 هـ = 1303 م) وكانت تحت حكم (فرسان الهيكل) الصليبيين.

آثارهم:

قلعة الحصن، قلعة صلاح الدين، قلعة المرقب.

المغول أو التتار

في بداية القرن الثاني قبل الميلاد تجمعت في غرب (الصين) وشمالها قبائل بدوية رحل من الأتراك والمغوليين. وصارت تقوم بغارات للسلب والنهب. وأشهر قادتها كان (جنكيز خان) الذي سيطر على (منغوليا) عام (603 هـ = 1245 م). هاجموا (بغداد) ولكنهم رجعوا فاشلين. ثم أتى (هولاكو) عام (656 هـ = 1358 م) فاحتلها وقضى على (المستعصم بالله) آخر العباسيين وهدّم وحرق ودمّر ورمى الكتب التي في مكتبتها بنهر (دجلة) فصارت مياهه سوداء لمدة ثلاثة أيام. وبذلك قضى حتى على التراث العلمي الثمين، وعاد إلى بلاده تاركاً قائده (كتبغا) بدلاً عنه الذي ذهب إلى (حلب) عام (658 هـ = 1260 م) وفظّع فيها وحاصر قلعتها لمدة شهر، وبالحيلة استولى عليها وخربها وقتل من فيها.

ثم اتجه إلى (دمشق) وكان (الملك المظفر قطز) المملوكي في (مصر) قد استلم الحكم فاتفق مع (الظاهر بيبرس) على جر (المغول) إلى منطقة (عين جالوت) بين (بيسان) و (نابلس) في (فلسطين) الحالية، على أن يختبىء القسم الأكبر من الجيشين في الغابات والوهاد. بينما قسم صغير من الجيش يناوش (المغول) وهذا ما حصل فهجم القسم الأكبر المختفي على (المغول) وانتصر عليهم. وكانت معركة فاصلة حمت ما تبقى من الحضارة الإسلامية من تدمير (التتر) كما طردهم من البلاد وبهذا يكون المماليك قد استولوا على الأراضي الممتدة من (الفرات) حتى (النيل).

ثم أغار (المغول) ثانية على (حمص) و (حلب) في عام (659 هـ = 1261 م) وهزموا في موقعة (حمص) عند (الرستن) وانسحبوا. وفي محاولة ثالثة

عام (671 هـ = 1272 م) هزموا في موقعة (الفرات) على يد الملك (الظاهر بيبرس). ومحاولة رابعة في عام (680 هـ = 1281 م) انتصر عليهم المماليك في معركة قرب قبر (خالد بن الوليد) في (حمص). ومحاولة خامسة في عام (699 هـ = 1299) دخلوا فيها (دمشق) ومكثوا مئة يوم فدمروها ثم غادوروها خوفاً من المماليك. ومحاولة سادسة في عام (700 هـ = 1300 م) وكانوا بقيادة ملكهم (فازان محمد) الذي خسر في معركة (مرج الصفر) أمام المملوكي السلطان (محمد بن قلاوون) والتي جرت قرب (دمشق) عام (702 هـ = 1303 م). وفي محاولة سابعة تمكن ملكهم (تيمورلنك) عام (803 هـ = 1401 م) من احتلال (حلب) و (حما) و (حمص) و (دمشق) ورحل عنها بعد ثمانين يوماً بعد أن جعلها أنقاضاً وقبوراً. وأخذ معه خيرة الصّناع والفنانين إلى عاصمته (سمرقند). فانحطت الصناعة وانتهت الفنون. وبنى من رؤوس قتلى سكان (دمشق) برجاً عبرة لمن يعتبر (برج الروس) حالياً وهو في منطقة (القصّاع).

السلاجقة والأتابكة والأيوبيون أرجعوا (دمشق) لمذهب السنة وحاربوا البدع الدينية كما حاربوا الحشاشين كتنظيم سري شعوبي. وصدوا الصليبيين منذ عام (1097).

المماليك

نشأ المماليك حينما أراد الملك الأيوبي (الصالح بن كامل) أن يؤلف فرقة عسكرية خاصة في (مصر) عام (637 هـ = 1239 م). فاشترى ألف مملوك تركي، ودربهم تدريباً خاصاً، وكانوا في البداية المماليك البحرية، أي التركية، ثم أتى بعدهم المماليك البرجية، أي الشراكسة. هؤلاء المماليك قتلوا السلطان (طوران شاه) الأيوبي ووضعوا أمه (شجرة الدر) مكانه في عام (648 هـ = 1250 م). ثم (عز الدين إيبك). وبعده أتى الملك (المظفر سيف الدين قطز) عام (657 هـ = 1259 م) الذي حارب (المغول) في (بلاد الشام) في معركة (عين جالوت) في (3 أيلول 1260 م) وانتصر المماليك فيها واحتلوا (دمشق) وقضوا على العهد الأيوبي. وذلك في زمن (الناصر الثاني يوسف) آخر سلاطينهم وأصبحت (سورية) للماليك. وصاروا يحاربون (المغول) والصليبيين فيها.

أهم سلاطينهم كان (الظاهر بيبرس) الذي حارب الصليبيين لمدة عشر سنوات. أما (ناصر الدين مخمد بن قلاوون) وحكمه كان بين (1280 و 1290) فقد أخرج الصليبيين من (اللاذقية) عام (1287) ومن (طرابلس) (1289) ومن (طرطوس) عام (1291) وأخيراً من (المرقب) ثم جزيرة (أرواد) عام (702 هـ = 1305 م) وهزم (المغول) في معركة (مرج الصفر) قرب (دمشق) في نفس العام.

وبعده أتى الملك (الظاهر بيبرس) المملوكي. وحكمه كان بين (1260 ـ 1277 م).

حينما أتت جيوش العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول (922 هـ =

1016 م) انتصر على آخر المماليك (قانصوه الغوري) وقتله في معركة (مرج دابق) شمال غرب (حلب) وأنهى بذلك حكم المماليك ليبدأ حكم العثمانيين.

وسبب الهزيمة كانت الخيانات (كخاير بيك) والي (حلب) و (جانبرد) والي (دمشق)، وانضمام فرق من جيش المماليك للعثمانيين واستعمال العثمانيين للسلاح الناري (البنادق).

وصلت (دمشق) إلى عصرها الذهبي ثانية في عهد المماليك مع أن العاصمة كانت (القاهرة). وصارت هي العاصمة الثانية لهم في أوائل القرن (14). وترك المماليك تراثاً عمرانياً ثميناً في (دمشق) و (حلب) وبقية المدن المهمة في (سورية).

واعتنى (بدمشق) أوائل السلاطين المماليك وبنوا فيها حوالي (171) من الأبنية الهامة. وكان حكامها جيدين وقديرين. أهمهم كان (تنكز) (1312 ـ 1339). واستتب الحكم والأمن للمماليك، ولكن بعد عام (1380) أخذ الصليبيون ثم التتار يهاجمون البلاد. وبعد آخر غزو (للمغول) عام (1400) وعلى رأسهم (تيمورلنك) (Timur) أي (تيمور الأعرج) (Tamerlaine) لم يستطع المماليك استرجاع وضعهم الأول. في عام (1390) حكم المماليك البحريين (1260 ـ 1382) وغالبيتهم أتراك ومغول. ثم أخذ مكانهم الشراكسة (Circassians) وسمُّوا المماليك البرجيون (1382 ـ 1516) ووصلوا ذروتهم في عهد السلطان (قايتباي) (Qait Bey). ولكن شمسهم غابت حينما احتل (سورية) الجيش العثماني عام (1516).

آثارهم:

المدرسة الظاهرية ـ دار العدل (تهدمت فيما بعد) ـ دار الحديث التنكزية ـ تربة زوجة الأمير تنكز ـ المدرسة الخيضرية ـ المدرسة الجقمقية ـ المدرسة الجوهرية ـ مئذنتي هشام والقلعي في (سوق الصوف) من القرن (15 م) ـ سبيل الخزنة ـ جامع السقيفة (باب توما) ـ مسجد الأقصاب (باب السلام) (14 م) ـ جامع الجوزة والمعلق (العقيبة) ـ جامع المؤيد ـ جامع يلبغا ـ جامع سنجقدار ـ جامع

تنكز (حكر السمان غرب دمشق) - جامع أفرم (غرب الصالحية) - جامع التيروزي (باب سريجة) - وجامع ملاصق له - جامع منجك والكريمي (الدقاق) - التينبية (الميدان) - الورد (صاروجا) - حي الميدان والقبيبات - حي باب السريجة - المدرسة الصابونية من القرن(15) - المدرسة التكريتية من القرن(13) - المدرسة السيبائية (في باب الجابية) من القرن(16) - المدرسة الرشيدية - المدرسة القتشالية - التربة العادلية (قرب ضريح عدنان المالكي) - والمدارس بين باب الجابية والميدان.

كانت الحياة الاقتصادية في عهدهم رخية وبيئتهم مترفة ومدة حكمهم طويلة.

إبداعهم الفكري والأدبي كان ضئيلاً. ومع ذلك جمعت آدابهم في موسوعات ضخمة. من كتبهم: نهاية الأرب للنويري - وصبح الأعشى للقلقشندي.

كانت لهم مصانع للخزف العادي والخزف المعدني، ومصانع أسلحة مكلفة بالذهب أو الفضة، واستخدموا النحاس في الثريات والأبواب، واستعملوا الزجاج الملون والمذهب والمزخرف في الكؤوس والقناديل، وانتعشت صناعة النسيج وخاصة الدامسكو في عهدهم.

اهتم المماليك بتحصين البناء. فجملوه بالزوايا والقباب والعقود والأبواب والنقش على الجص وحفر الخشب رغم التقشف الذي ساد بسبب الحروب الصليبية.

استعملوا في البناء الخشب واللبن والآجر مع واجهات من الحجر بلونين متناوبين. وقل استعمال الحجارة المنحوتة وأصبحت قاصرة على الواجهة الرئيسية للبناء، كما صغرت مقاييسها. واستعملوا الأحجار الصغيرة بالمداميك.

وصارت الأبواب عالية وضخمة وعليها نصف قبة مزينة بالمقرنصات والمتدليات المنحوتة وعلى جانبي الباب مصاطب حجرية. زخرفوا الجدران بالفسيفساء الرخامية الملونة التي يتخللها الصدف أو العاج متأثرة بالفن المصري.

أصبحت السقوف مستوية من الخشب المدهون بدلاً من السقوف المعقودة. واستعملت الفسيفساء الزجاجية استعملت بشكل ضئيل كما في مدفن (الظاهر بيبرس). وفي طاسة محراب مدفن الأمير (تنكز).

واستعملوا القاشاني لأول مرة في (جامع التيروزي)، وللزينة استعملوا الحشوات المطعمة بالرخام والخزف الفيروزي. وقلت الزخارف الجصية. والزخارف كانت أشرطة كتابية وأطاريف منحوتة وشرفات ومشربيات وأحجار معشقة بالألوان على الكلسة الجدارية. وفي التربة التكريتية نماذج تشبه الزخارف الأندلسية. وكانت العناية بالمظاهر على حساب التصميم الهندسي. وصارت المدارس أصغر والباحات أقل مساحة. وخير مثال على الطراز المملوكي هو المدرسة الجقمقية.

العثمانيون

احتل العثمانيون معظم (آسيا الوسطى) بما فيها (القسطنطينية) وأخذوها من البيزنطيين في عام (1453). ثم تحركوا نحو (سورية). وبعد معركة (مرج دابق) دخل السلطان (سليم الأول) إلى (حلب). وكان برفقته الخليفة العباسي (المتوكل على الله) الذي انضم إليه بعد أن كان صديقاً (لقانصوه الغوري) المملوكي. ولقب السلطان (سليم) بخادم الحرمين الشريفين. وبعد (حلب) احتل (حما) و (حمص) و (دمشق) وباقي المدن السورية. ثم احتل (مصر) في عام (923 هـ = 1517 م) وقضى على دولة المماليك.

وفي عهد (سليمان القانوني) (The Magnificent) الذي حكم بين (1520 - 1566). كان هناك ثلاثة من الولايات في (سورية) هي: (دمشق) و (حلب) و (الرقة). وقد تولى الحكم فيهم مسؤولون محليون جعلوا من الحج مورداً للاقتصاد التجاري، وتبادل المعاهدات التجارية بين (تركيا) والدول الأوروبية، فانتعشت التجارة وخاصة في (حلب) بينما (دمشق) شاركت بالقليل. وكان الوالي ويدعى (باشا) من السكان المحليين فكانت ولايته تطول طالما يمد (الباب العالي) بأموال الضرائب. ولاستقرار الأوضاع تقبّل أتباع السنة أن يكون الخليفة من العثمانيين.

وكانت الأقليات الدينية سعيدة بالوضع وخاصة المسيحيين الذين لعبوا دوراً هاماً كوسطاء في التجارة مع (أوروبا).

وفي القرن (18) بدأ الاقتصاد السوري يتراجع بسبب افتتاح طرق تجارية في الشمال وعبر البحر إلى (آسيا). وكان القرن (19) قرن اضطرابات في (سورية).

في عهد السلطان العثماني (أورخان الأول) وحكم بين (726 - 761 هـ) أي (1326 - 1360 م). أنشئت (الإنكشارية) أي العسكر الجديد وكانوا من أول بلقانيين أسروا بعد الاحتلال العثماني. وتدربوا تربية عسكرية جعلتهم مقاتلين أشداء. وبفضلهم توسعت الإمبراطورية العثمانية. ولكن الفساد والعصيان أخذ يجتاح الانكشارية منذ عهد السلطان (مراد الثالث) وكان حكمه بين (982 - 1003 هـ) أي (1574 - 1595 م)، حتى صار تمردهم في ذروته في عهد السلطان (محمود الثاني) الذي قضى عليهم في (1241 هـ = 1825 م).

أراد (محمد علي) والي (مصر) أن يعطيه السلطان العثماني (محمود الثاني) (سورية) مع (مصر) طامعاً في إيراداتها. وعندما لم يتحقق الأمر تذرع برفض (عبد الله الجزار) والي (عكا) إعادة اللاجئين المصريين إليه، فأرسل ابنه (إبراهيم باشا) مع حملة عسكرية بحرية وبرية (لبلاد الشام) لاحتلالها عام (1247 هـ = 1831 م). فاحتل (غزة) ثم (يافا) و (حيفا) وحاصر (عكا) ثم تابع إلى (دمشق) فاحتلها، وبعدها (حمص) و (حما) و (حلب) وصارت بلاد الشام تحت سيطرته.

وحينما توفي (محمود الثاني) (1255 هـ = 1839 م) خلفه (عبد المجيد). تدخلت الدول الأجنبية وضغطت على (محمد علي باشا) فسحب جيوشه من (بلاد الشام) وعادت السيطرة العثمانية عام (1256 هـ = 1840 م).

ثم حصلت مشاكل بين الدروز والمسيحيين في (لبنان) وبين المسلمين والمسيحيين في (دمشق)، مما أتى بالفرنسيين إلى شواطى (لبنان).

انبعثت المشاعر العربية لوجود مطبعة باللغة العربية ولم يكن في (دمشق) جريدة بتلك اللغة حتى عام (1897). كما كان (مدحت باشا) (1878 - 1880) والياً متفتحاً، بنى أول طريق معبد بين (بيروت) و (دمشق) في عام (1863) وأنشأ قطاراً من بيروت إلى (سورية) فحوران. وافتتحه عام (1894) ومنه خط فرعي من (الرياق) نحو (حمص) و (حلب) شيد بعد ذلك. وفي عام (1908) بنى الألمان (محطة الحجاز) لوصل (دمشق) (بالمدينة المنورة).

في عام (1909) قامت ثورة تركية ضد السلطان (عبد الحميد الثاني) ولكن الحكم التركي بقي في (سورية) مع رغبة قوية في تتريك العرب.

وفي عام (1914) شبت الحرب العالمية الأولى وكانت (تركيا) حليفة للألمان. وصارت (دمشق) مركز انطلاق الجيوش الألمانية والتركية في (سورية) و (لبنان) و (فلسطين). وثارت النعرة العربية في (دمشق)، وكانت الحرب العالمية الأولى فرصة لذلك وخاصة مع وجود المجاعة والأمراض وغضبة الشعب وسَوق الشاب إلى الجيش ومجازر (جمال باشا السفاح). فاندلعت أول ثورة في (10 حزيران 1334 هـ أي 1916 م) وكانت برئاسة (الشريف حسين) أمير (مكة) وكان ذلك في عهد السلطان (محمد رشاد الخامس). فاحتل (مكة المكرمة) و (الطائف) و (جدة) و (المدينة المنورة). وكانت (تركيا) حليفة للألمان في الحرب العالمية الأولى فآزر الحلفاء (الشريف حسين) وأعطوه الكثير من الوعود لمتابعة الثورة ضد العثمانيين فدخل الأمير (فيصل بن الحسين) (دمشق) في تشرين الأول عام (1336 هـ = 1918 م). وكان ذلك في عهد السلطان (محمد السادس مجيد الدين) فانسحب الجيش التركي من (دمشق) ثم من كافة المدن السورية.

نقل العثمانيون أمهر الصناع من (سورية) إلى (الآستانة) ومزجوا الفن العربي بالبيزنطي، وأخذوا عن الأوروبيين فن (الباروك) الإيطالي و(الروكوكو) الفرنسي.

خالفت الجوامع العثمانية طراز (الجامع الأموي) لأول مرة، وصار المصلى مربع له قبة على أربعة أركان، وأجنحة صغيرة مسقوفة بالقبيبات، ورواق مسقوف يطل على الصحن. والمآذن صارت ممشوقة لها عدة أضلاع، يعلوها مخروط مصفح بالرصاص. وفي المباني العثمانية تيجان مقرنصة وأقواس فارسية مؤلفة من منحنيات متعاكسة غير مألوفة.

وظهرت الخانات، والتكية بدلاً من المدرسة، وصار فيها مدرسة ومسجد وغرف ومطابخ ومطاعم وصحن مكشوف فيه حديقة وبركة ماء مستطيلة، وأروقة تحيط به وبها قباب صغيرة. وأحضر السلطان (سليم) فنانين من (إيران)

من أجل القاشاني الذي عرف سابقاً في (سورية) و (فارس) و (شمال أفريقيا) و (الأندلس). وزينوا به مبانيهم.

كما كسوا الجدران والسقوف بالخشب وهو ما يعرف بالأسلوب العجمي ثم التركي. وزينوا الجدران بنطاق خشبي فيه أبيات من الشعر. ولم يعد في السقوف جسور. ونزّلوا الخشب وحفروه وطعموه. واستعملوا الأبلق. وهو الحجر المليء بالمعجونة الملونة كفسيفساء للزينة.

وكانت الأخشاب فيها زخارف نباتية وقناطر طبيعية، وأحيطت الحلقة العليا بنطاق من الأبيات الشعرية. وكانت العروق النباتية تملأ قبل دهنها بمعجونة من الجص لتبدو نافرة. والسقوف صارت خالية من الجسور ومحلاة بالمقرنصات والمدليات ومزخرفة بالزخارف الهندسية المدهونة بالألوان.

كما تحسنت صناعة النحاس والخشب المحفور والمطعم بالصدف أو المدهون.

آثار العهد العثماني:

تكية وجامع الشيخ محي الدين ـ التكية السليمانية من القرن (16) ـ جامع ومكتب ومدفن وسبيل الدرويشية (16) ـ في باب الجابية جامع (السنانية) (16) ـ تكية (مراد باشا) جامع النقشبندية (بالسويقة) على طريق (الميدان) ـ تكية الدراويش (المولوية) غرب جامع (تنكز) ـ خان الجوخية في (سوق الخياطين) ـ تكية جنوب القلعة في (سوق الحميدية) ـ سوق الحرير وفيه خان الحرير وحمام القيشاني ـ سوق القيسارية عند (باب بريد) ـ جامع العسالي (بالقدم) ـ مدرسة العظم في (سوق الخياطين) ـ خان سليمان باشا ـ خان أسعد باشا (18) ـ حي المهاجرين ـ سوق الحميدية (19) ـ سوق مدحت باشا (19) ـ الثكنة الحميدية (جامعة دمشق) ـ السرايا ـ القصر الجمهوري (بالمهاجرين) ـ المستشفى الوطني ـ دار المعلمين (قرب التكية) ـ بناء مياه عين الفيجة من عام (1924) ـ محطة الحجاز ـ شارع النصر ـ شارع خالد بن الوليد ـ بيت السباعي (18) ـ قصر العظم (18).

الانتداب الفرنسي

دخل الحلفاء مع قوات عربية (دمشق) في (1 تشرين الأول 1918) بعد أن انسحبت القوات التركية منها قبل يوم.

تشكلت حكومة برئاسة الفريق (رضا باشا الركابي) وفي (8 آذار 1920 - 1338 هـ) نودي بالأمير (فيصل) ملكاً على (سورية). ولكن الحلفاء في معاهدة (فرساي) قسموا بلاد الشام إلى (سورية) و (لبنان) تحت الانتداب الفرنسي و (فلسطين) و (شرقي الأردن) للإنكليز. ولكن الحكومة السورية رفضت ذلك الانتداب. فأتت الجيوش الفرنسية وجرت بينهما معركة (ميسلون) في (24 تموز). وكانت القوات السورية غير مجهزة ولا مدرّبة فلم تستطع مقاومة الفرنسيين الذين دخلوا (دمشق). فغادرها (الملك فيصل) إلى (درعا) (فحيفا). وفي (آب) ذهب إلى (أوروبا)، وبذلك انتهت الملكية التي دامت أقل من ستة أشهر. وصارت (سورية) تحت الانتداب الفرنسي.

تعرضت (فرنسا) لمواجهات مع سكان المدن المقاومين لها. وفي عام (1925) انبعثت ثورات عدة من (حوران) وانتشرت إلى (دمشق) ولتهدئة الوضع اتبعوا فكرة (فرّق تسد) فجعلوا (حوران) ولاية منفصلة و(منطقة العلويين) ولاية ثانية. ثم أعطوا استقلالاً محدوداً في عام (1943). وحينما أتت حكومة (ڤيشي) انتهى الانتداب في نيسان (1945). وكانت (سورية) قد دخلت إلى (الأمم المتحدة). إلا أن الفرنسيين رفضوا المغادرة وقصفوا (دمشق) بالقنابل في الشهر التالي، ثم انسحب الجيش الفرنسي في (17 نيسان) عام (1946) بعد ضغوط دولية قوية.

المواقع الأثرية الهامة في سورية

أرواد

هي الجزيرة الوحيدة المأهولة على الساحل السوري. تبعد حوالي (3 كم) عن الشاطىء. وبالقارب (20 دقيقة) تقريباً. بيضوية الشكل، أقصى أبعادها (300 X 300 م). حاراتها ضيقة وخالية من المواصلات. ولا يوجد بها مزارع ولا حدائق. يعمل سكانها بالصيد والتجارة.

في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، كانت من أشهر المرافىء البحرية، لأنها المرفأ الطبيعي في تلك المنطقة. وكانت تتاجر بالأخشاب، وتملك مساحة كبيرة على الساحل السوري. ذكرها المؤرخ اليوناني (أسترابون) باسم (أرادوس) (Aradus)، وهو الاسم الذي دعاها به اليونان والرومان. كما ذكرت في رسائل (تل العمارنة) في (وادي النيل). وكان اسمها بالفينيقية (أرواد) أي (الملجأ).

وهناك عدد من الأساطير حول اسمها. واحدة تقول بأنه على اسم ملكها. وأخرى على اسم أميرة جميلة، مرضت، فوصف لها الأطباء الطبيعة والوحدة، فأرسلها والدها الملك إلى الجزيرة، وتركها فترة مع الطبيعة بين الصخور والحشائش والأصداف والزهور البرية. وحينما عاد وجدها معافاة. تستمتع بالسباحة في البحر. ففرح كثيراً وأطلق اسمها على تلك الجزيرة.

وأسطورة ثالثة تقول بأن (أرواد) هي ابنة الإله (بعل) وهو إله الأرض. أحبها (يم) إله البحر فذهبت إليه وآثرت البقاء معه. فصار أبيها يناديها ولكنها لم تستجب له. وصار اسم الجزيرة على اسمها.

وأسطورة رابعة تقول ان صياداً ركب البحر للرزق ولم يعد، فقلقت عليه حبيبته، وصارت تسأل عنه، فقيل لها أن جنيات البحر تجاذبنه فغرق. فصارت تبكي بحرقة وألم فعطفت عليها ربة البحر، وأرسلت لها رسالة مع طير الماء، تبشرها برجوع البحار، وبنت لها مسكناً، ليعيشا به وكانت (أرواد).

وأسطورة خامسة تقول بأن جماعة من الصيادين فرّوا من مدينتهم لذنب اقترفوه. ودعيت باسم (أرفادا) أي (المأوى) أو (الملجأ).

تاريخ (أرواد):

أسس الفينيقيون سكان (صيدا) مدينة على الجزيرة في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد. وكان لها قسم آخر على الشاطىء، هو مدينة (عمريت) التي تبعد (3 كم) جنوب (طرطوس). وكانت الجزيرة ملجأ للسكان عند الخطر. يحتمون بأسوار قلعتها الحصينة. بينما كان القسم البري للتجارة مع البلاد المجاورة.

وكان لها أسطول قوي ذكر في رسائل (تل العمارنة) عندما تحالفت (أرواد) و (صيدا) و (بيروت) ضد ملك (جبيل) (رب عدي) وكان حليفاً لـ (تحوتمس الثالث) ملك (وادي النيل) وذلك في القرن (14 ق. م).

ثم صارت تابعة للآشوريين، تدفع جزية من العاج والأخشاب لملكهم (تفلات بلا نصر). ومن ثم للملك (آشور ناصر بال)، الذي حكم بين (884 و 859 ق. م). ثم ضمت إلى مملكتهم عام (612 ق. م). ثم صارت للكلدانيين، وبعدهم أصبحت جزءاً من الولاية الأخميدية الفارسية الخامسة. وصارت قاعدتهم البحرية على المتوسط، بعد معركة (سالاميس) عام (480 ق. م)، كما ذكر (هيرودوتس) (Herodotus).

عندما غزاها (الإسكندر) المكدوني عام (333 ق. م)، قدم له ملكها (غيروستراتوس) (Gerostratos) مفاتيح الجزيرة. واستقلت (أرواد) بالحكم

قليلاً خلال عهد (السلوقيين)، وخاصة حينما احتاجوا لمساعدتها ضد (البطالمة) في (وادي النيل). ثم احتلها الرومان عام (64 ق. م). ونافستها في عهدهم (طرطوس) (Antradus)، واحتلت مكانتها.

أتى بعدهم البيزنطيون. ولكن (معاوية بن أبي سفيان) حررها منهم عام (640 م). ثم تبادلها العرب والبيزنطيون، حتى احتلها (فرسان الهيكل الصليبيون). ولكن العرب استعادوها نهائياً عام (1303 م). ومنها رحل آخر صليبي كان في الأراضي السورية.

أثناء الاحتلال العثماني، كانت مركزاً لأحد قادة الجيش التركي. ثم احتلها الفرنسيون بين عامي (1915 و 1945 م).

مر (بأرواد) القديس (بول)، وهو في طريقه إلى (روما). كما اشتهرت بالتماثيل الرائعة التي تملكها، وكانت من أعمال الشهيرين (فيدياس) (Phidias) و (براكسيتيلس) (Praxiteles).

كان الأرواديون يجمعون مياه المطر من أسطح المنازل في صهاريج. كما كانوا يأخذون المياه العذبة التي تنبع من البحر قرب الجزيرة، وهو أقدم ما عرف في التاريخ عن وجود مثل هذا النبع في البحر المالح. كانوا يضعون عليه بالمقلوب قمعاً ضخماً متصلاً بأنبوب جلدي للحصول على مائه العذب.

آثار أرواد:

يقع المرفأ في الجهة الشمالية الشرقية من الجزيرة، مقابل الساحل السوري، مما حماه من العواصف البحرية. يحيط بـ (أرواد) كلها، عدا المرفأ، سور ضخم فينيقي، بني على حافة الجزيرة، ورمم مع الأيام. حجارته ضخمة، متوضعة على دعائم صغيرة ذات طراز هلنستي. يرتفع إلى (9 أو 10 م). ويفصله عن البحر رصيف مغمور بالماء. تبدو بقاياه في الجهة الغربية والجنوبية الغربية. وقد جدد في أواخر عهد المماليك عام (1302 م).

توجد في (أرواد) قلعتان صغيرتان: الأولى في وسط الجزيرة، وهي من

القرن (13). تتألف من طابق واحد، بنيت بالحجارة الرملية المنحوتة، أرضها صخرية. بابها من جهة الغرب مزخرف بالمرمر والأحجار البيضاء. فيها قاعات، وملاجىء، ومستودعات، وغرف لسكن الجنود. يحيط بالقلعة سور، فيه ثلاثة أبراج مستديرة في ثلاثة من الزوايا. لها شرفات ومرامي ومماشي للحراس. أهمها البرج الأيوبي، ويقع في الجهة الشرقية. ويتألف من طابقين، عثر فيه على مدفع حديدي. استخدمت هذه القلعة أيام الفرنسيين سجناً للشخصيات الوطنية المناوئة للاحتلال.

أما القلعة الأخرى فهي عربية صغيرة تقع إلى جانب المرفأ، وتستخدم حالياً كمتحف.

إزرع

تبعد (80 كم) جنوب (دمشق). و (35 كم) عن (السويداء).

اسمها قديماً (زرانة) ثم صار (إزرع). أحجارها بركانية. ويزرع فيها العنب.

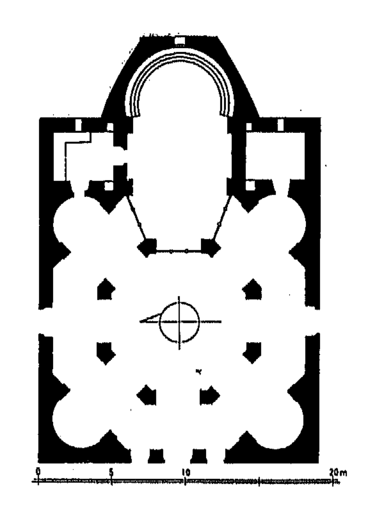
آثارها:

انتشرت الديانة المسيحية بالقرن الأول الميلادي في منطقة (حوران)، وكانت في البداية سرية لأنها محظورة من قبل الرومان والنبطيين الوثنيين. ولكن الإمبراطور (فيليب) العربي شجعها. فانتشرت وأصبحت علنية. ثم أصبحت رسمية للدولة في عهد الإمبراطور (قسطنطين)، فبنى المسيحيون عدداً من الكنائس. وكانت كاتدرائية (بصرى) أهم واحدة لفخامتها ولكونها مقر الأسقف.

وبنيت على نسقها كاتدرائيات (الرصافة) و (الصالحية). وكذلك كاتدرائية القديسة (صوفيا) في (استانبول) (بتركيا)، وكاتدرائية (رافيا) في (ايطاليا).

كنيسة القديس (جورج) أو (الخضر):

واحدة من أقدم الكنائس. وهي أرثوذوكسية، تقع شمال (ازرع). بنيت عام (515 م) بالحجارة البازلتية، تؤرخ ذلك كتابة على الحجر الطويل فوق المدخل. أقيمت مكان معبد وثني. بنيت بعد كاتدرائية (بصرى) بعامين. وكانت نموذجاً مصغراً عنها.



ازرع - كنيسة القديس جورج

وهي من أقدم الكنائس الإيوانية، أي بناء مربع فوقه قبة مرتكزة على مثمن داخلي. زينت بكتابات يونانية وأفاريز مزخرفة بعناقيد وورق الكرمة. وهي الكنيسة الوحيدة التي تظهر فيها المرحلة الانتقالية بين طراز الكنائس الملكي المستطيل، وبين الطراز المربع الذي تعلوه قبة من الحجر مبنية على قاعدة مثمنة.

تبدو الكنيسة من الخارج مستطيلة الشكل، لأنها وسعت عن المربع لبناء الحنية (Apse) والحجرتين الجانبيتين، مدخل واحدة منهما من الحنية، والأخرى من خارجها. من الداخل، يبدو هذا التوسع على شكل ثلاثة أضلاع مسدسة الشكل. أما بقية الكنيسة فهي مربعة. توضعت المحاريب في الزوايا الأربعة. في الكنيسة ثمانية دعامات، تحمل أقواساً، لتشكل مثمناً صغيراً. ارتفعت فوقه قبة قطرها (10 م) بدلاً عن واحدة أقدم منها. وفيها ثمانية نوافذ للإضاءة.

للكنيسة من جهة الغرب ثلاثة مداخل. الأوسط هو الرئيسي والأعلى والأوسع. وهو مفتوح للاستعمال أما الآخران فمغلقان. ويوجد مدخل في الشمال، وآخر في الجنوب، تزين كل منهما صليب من كل جانب. واجهة الكنيسة الغربية، ذات المداخل الثلاثة، مزخرفة بالصلبان، وعناقيد العنب، وورق

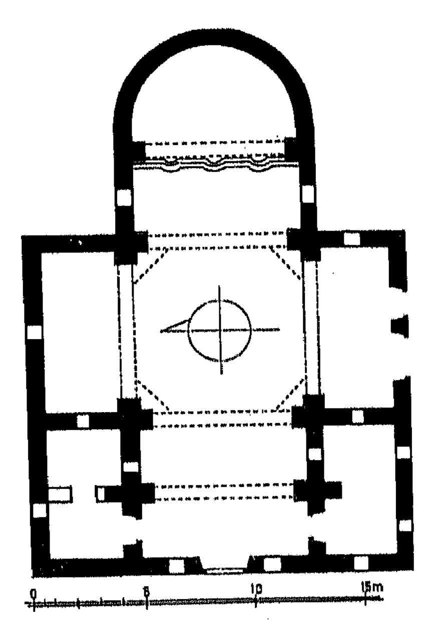
الكرمة، والكتابة اليونانية. أما سقف الكنيسة فهو من الأحجار الطويلة. ويقال أنها تحوي قبر القديس (جورج) (الخضر).

وهناك كنائس أخرى هي:

كنيسة إيوانية: من القرن (4 م). بنيت فوق أنقاض معبد وثني.

وكنيسة إيوانية ثانية: من القرن (5 م) لها أيضاً قبة على رقبة مثمنة.

وكنيسة (العذراء ماري)، تقع وسط القرية، كاثوليكية، تشبه كنيسة القديس (جورج).



ازرع - كنيسة القديس الياس

وكنيسة القديس (الياس) بنيت عام (542)، لها حنية في الجهة الشرقية، وقبة مبنية بدلاً عن الأصلية التي كانت من خشب.

وهناك أبنية من العصر الروماني قرب هذه الكنيسة، كما توجد آثار لمسرح روماني.

أفاميا

تبعد (أفاميا) (60 كم) عن (حما) و (130 كم) عن (حلب).

كانت (أفاميا) تدعى (نيحا أو نيئي). وذكرت بهذا الاسم في النصوص الحثية والأكادية ورسائل (تل العمارنة). ثم صارت تدعى (فارناكه). وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد. وربما كان لهذ الاسم علاقة مع اسم (فارناكه) ابن (مرزبان) الفارسي. ولكن بعد معركة (ايسوس) عام (333 ق. م) أسماها (الإسكندر) (بيلا) وهو اسم مسقط رأسه، وعاصمة ابيه الملك (فيليب). وحينما أعاد بناءها (سلوقس نيكاتور) (Selucus Nicator) (300 - 299 ق. م)، دعاها (أفاميا)، وهو اسم عربي قديم يعني السنية، البهية، المتلألئة، وهو اسم زوجته.

سكنت هذه المنطقة منذ حوالي (50) ألف سنة. ودلت الأسبار على سكناها في العصر الحجري الحديث.

خلال حكم السلوقيين، كانت واحدة من ثلاث مدن كبرى هي: (أنطاكية) على نهر (العاصي). و (سلوقيا) على نهر (الدجلة)، و (أفاميا) قرب (العاصي). وكانت إمبراطوريتهم الواسعة تمتد من شرق (البحر الأبيض المتوسط)، حتى وادي (الهند) (Indus).

أنشئت (أفاميا) على أنقاض مدينة قديمة تقع على تل مرتفع يشرف على (سهل الغاب). حصنت وأحيطت بأسوار منيعة. فأصبحت مركزاً حربياً، فيها جيوش وفرسان ومعدات للقتال. وبنى فيها (سلوقس) أسطبلات ضخمة احتوت على آلاف من البغال والجياد، حوالي (30) ألف فرس و (300) ألف

حصان. وعدد كبير من الجواميس و (500) فيل، وغيرها من الحيوانات. كما أنشأ فيها مدرسة حربية، ومصانع للأسلحة:

كان موقع (أفاميا) استراتيجياً يشرف على منطقة (الغاب)، وعلى الممر الذي يؤدي إلى (البحر الأبيض المتوسط). فصارت (أفاميا) ثانية المدن من حيث الأهمية، والعاصمة الحربية، بينما كانت (أنطاكية) العاصمة السياسية. وصكت نقود خاصة بها في القرن الثاني قبل الميلاد.

أنهى الرومان بقيادة (بومبي) حكم السلوقيين عام (64 ق. م). واحتلوا (أفاميا)، وهدموا قلعتها. ولكنهم رمموها فيما بعد، فاستعادت أهميتها الاستراتيجية. وفي القرن الثاني بنوا طريقاً يمر قربها، يصل (أنطاكية) بـ (دمشق). ويمكن رؤية بقاياه قرب (أفاميا). وأصبح عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة. وجعلوا منها قاعدة لولاية (سورية) الثانية.

حينما احتلها البيزنطيون، صارت (أفاميا) مركزاً لأسقفية مهمة وعاصمة مقاطعة كبيرة.

أصابت (أفاميا) الزلازل، وهدمت أبنيتها عدة مرات في أعوام: (526 و 587 و 1157 و 1170) ميلادية فكانت ترمم لتستعيد صحتها ومكانتها.

وعندما غزاها الفرس في عهد (كسرى) الثاني عام (573)، نهبوها، وحرقوها، وسبوا نساءها وأطفالها، وقتلوا رجالها. ولم يبق منها إلا قلعتها. ثم استرجعها البيزنطيون.

وحينما دخلها العرب المسلمون صلحاً بقيادة (أبو عبيدة بن الجراح) عام (638 م = 17 هـ)، وجدوا المدينة أنقاضاً فصالحوا أهلها على الجزية والخراج، وأخذوا قلعتها. وسكنتها قبائل (عذراء) و (بهراء) فيما بعد.

جاء ذكر (أفاميا) في العصر (العباسي)، وذلك لحادثة جرت فيها، وهي أن واليها انتحر في بحيرة (أفاميا). وشهدت هذه المدينة الحروب التي دارت بين البيزنطيين والحمدانيين. وفي عام (422 هـ) احتلها البيزنطيون، إلّا أن السلجوقيين استردوها (عام 475 هـ) وعلى رأسهم ملكهم (ملكشاه بن ألب

أرسلان)، وكان قد استولى على (حلب)، و (اللاذقية)، و (شيزر).

ثم احتلها الصليبيون بقيادة (تانكريد) أمير (أنطاكية). ومنها كانوا يهاجمون العرب المعتصمين بقلعة (شيزر) و (حماه). وفي عام (504 هـ)، انتزعها (نور الدين الزنكي) من الصليبيين.

تهدمت القلعة في زلازل عام (559 هـ). إلا أن (نور الدين) رممها، وأعاد تحصينها، وصارت للأيوبيين من بعده. وحينما مات (صلاح الدين الأيوبي)، أصبحت القلعة بإمرة (عز الدين إبراهيم بين المقدم). ثم انتقلت إلى أخيه. وأخيراً صارت صلحاً لملك (حلب) (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي). وأصبحت مركزاً لقيادة جيوشه التي كانت تحارب الصليبيين في (أنطاكية) عام (666 هـ).

وفي عهد الملك (قلاوون) كانت القلعة بيد الأمير الثائر (سنقر الأشقر)، صاحب (دمشق). وفي العهد العثماني فقدت قلعة (أفاميا) أهميتها وبدأ الناس يسكنونها. وأصبحت قرية صغيرة.

اهتمت مديرية الآثار السورية بمدينة (أفاميا) وبدأت التنقيبيات فيها بعثة بلجيكية منذ عام (1928). ثم توقفت لتعاود عام (1965)، تحت رئاسة (جان بالتي) (Jean Balty) البلجيكي بالتعاون مع مديرية الآثار السورية. ثم ابتدأ ترميم شارعها المستقيم الذي أخذ يستعيد شكله الرائع.

أماكن هامة قرب أفاميا:

على مسافة (15 كم) من (أفاميا)، مقابل قرية (حوير) تقع مغارة (أفاميا)، وفيها الصواعد والنوازل الرائعة.

كما توجد (قناة العاشق) قربها وقد اندثرت ولم يبق منها إلا القليل. بناها اليونانيون لتأمين مياه الشرب للقلعة.

وتقول الأسطورة:

كان أمير (السلمية) يحب ابنة ملك (أفاميا) وكان صداقها هو جر الماء

من (السلمية) إلى (أفاميا). تبدأ القناة عند (عين زرقا) غرب (السلمية) على شكل ساقيتين لقناة واحدة. تلتقيان بعد (1.5 كم) في ساقية واحدة تتجه نحو الغرب، وتمر بالقرى والجبال والسهول والأودية لتصل (أفاميا). أقيمت عليها جسور للعبور. والقناة جعلت تحت الأرض، وبنيت جدرانها بالحجارة، وطليت من الداخل بمزيج من الكلس والقصرمل لتمنع نفوذ المياه. وغطيت بأحجار مستطيلة، تركت فيها فتحات للتهوية والتنظيف، ولأخذ الماء منها. وكانت المياه تفيض من فتحاتها حينما تمتلىء به.

تروي هذه القناة مدينة (أفاميا) وقرى (الشملة) و (كوزيتا) و (قرعة يرعون). بنيت في القرن الأول الميلادي. طولها من (السلمية) حتى (أفاميا) (150 كم). هدمتها الزلازل عام (552 م)، وجددت فيما بعد لتتهدم ثانية بزلزال (1157 م). فحوّل الملوك الأيوبيون مياهها إلى مدينة (حماه).

وصف المدينة:

بنيت حسب النظام الهلنستي على شكل رقعة الشطرنج. وتغطي حوالي (250 هكتار).

يحيط بها سور حجري، طوله حوالي (7 كم)، وارتفاعه بين (2 و 7 م)، وقد بني على مراحل. قسمه الأسفل يوناني سلوقي، وفوقه الروماني. أما العلوي والأبراج فبيزنطية. وقد عثر على عدد كبير من القبور خارج السور.

يمتد (الشارع المستقيم) (Cardo) من الجنوب إلى الشمال. وطوله حوالي (2 كم)، وعرضه (20.8 م)، ومع الأروقة حوالي (38.08 م).

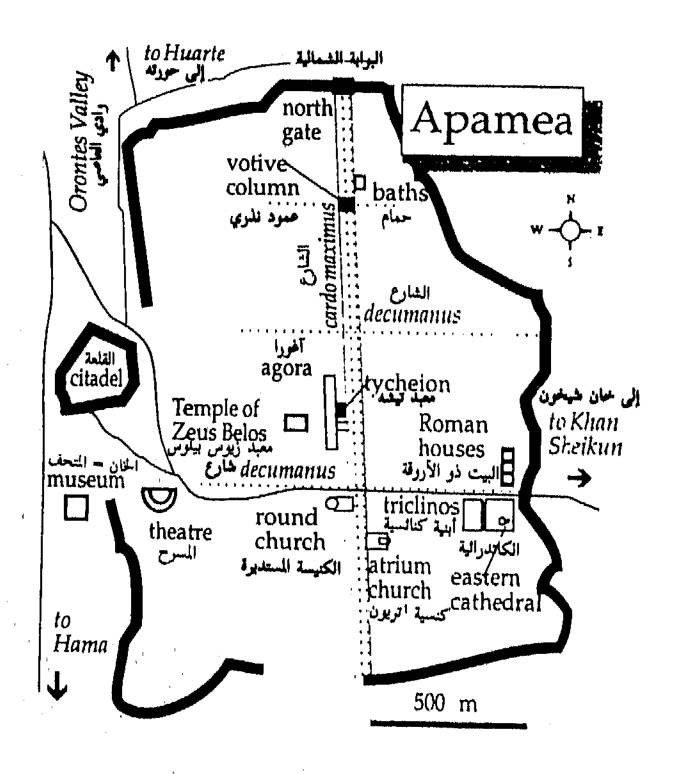
له مدخلان في نهايتيه. لكل واحد باب، له قوس جميل، وبرج على كل جانب.يدعى الباب الشمالي بوابة (أنطاكية)، والجنوبي بوابة (حمص).

على طرفي الطريق المستقيم (Cardo) يوجد رواقان، في كل واحد (600) عمود، تيجانها كورنثية وهي متنوعة الأشكال، منها الملساء، والمخددة، والمحلزنة، والمربّعة، يعتليها افريز فيه أشكال ورموز مهمة.

يعترض الطريق المستقيم طريقان (Decumanus) متعامدان عليه، ومتوزيان. يمتدان من الشرق إلى غرب. ولكل واحد مدخلاً في كل جهة.

آثار الطريق المستقيم:

أمام باب (أنطاكية) الشمالي توجد ساحة واسعة، وشرقاً تقع المخازن، على واجهاتها كتابات يونانية، تذكر اسم صاحب المخزن، ونوع بضاعته، وأسعار خموره. وخلف المخازن تقع الحمامات الرومانية. وفي وسط الطريق عمود تشريفي.



مدينة أفاميا

غرباً، يوجد سبيلي ماء، ثم بروز معماري كان عليه جامع، ثم معبد (فينوس) في الشرق، وأيضاً مدخل معبد (باخوس)، وأمامه يوجد عمود على وجه منه في قسمه الأسفل شجرة، وحيوانات، وفي الأعلى رجل. وعلى وجهه الثاني إله الخمر (باخوس)، مع رمحه وإلى جانبه عنقود عنب. وبالأسفل شجرة وغزالين. وسط الطريق قاعدة لعمود تقاطع الشارعين. إلى الشرق منه وعلى مسافة توجد صوامع الحبوب.

غرباً تقع ساحة (الآغورا) ومخازن البضائع ومعبد (زيوس بيلوس) (Zeus Beles)، ومعبد (تيكه) باليوناني أي (فورتونا) باللاتيني، وهي ربة الحظ وحامية المدينة، ولا يوجد ما يدل على أنه معبدها.

شرق الطريق المستقيم، وعند تقاطعه مع شارع معترض، توجد بحيرة ربة الماء (نمفيوم) التي تتصل بخزانات المياه المالحة. وخلفها شرقاً توجد الفيلا البيزنطية ذات القناصل، وهي من القرن (5 م). وكانت قصراً للحاكم. ومساحتها (4500) متر مربع. فيها باحة يحيط بها رواق، تيجان أعمدته التسعة الباقية كورنثية. ولها قناصل لحمل التماثيل.

تقع الغرف حول الباحة. بينها قاعة رئيسية مرصوفة بالرخام، أطوالها (17.5 X 8.5 م)، تزينها بقايا أفاريز من الفسيفساء، وهي من الحجارة الكلسية الملونة. ولها ثلاثة أبواب، واحد منها عالٍ، فوقه قوس مزخرف، وبابان جانبيان أخفض منه.

يقع باب القصر في الغرب، وأمامه ممر طوله (11 م)، فيه حوض ماء. وحيطان القصر كانت مغطاة بالرسوم. ووجدت فيه فسيفساء (الأمازونيات) نقلت إلى (متحف أفاميا).

غرب الشارع المعترض، وحالياً هو الطريق العام، توجد الكنيسة المستديرة، وهي من القرن (6 م)، من عهد (جوستينيان) ولها باحتان، وفيها أروقة.

وإلى اليسار كنيسة (Atrium)، أي كنيسة لها باحة. من أبنيتها: كنيسة

التعميد، وكنيسة الشهادة. ومعظم هذه الأبنية مغطاة بالموزاييك.

خلفها على مسافة توجد أبنية تابعة للكاتدرائية، من حمامات، وغرف، ومكاتب، وقصر للأسقف. وقد رممت بعد زلزال (526 م). أرضيتها من الرخام الملون والفسيفساء التي ترمز إلى الجدل اللاهوتي، خلال القرن السادس، حول فكرة الطبيعة الواحدة الإلهية للسيد (المسيح). وهو مذهب (اليعاقبة) (Jacobian). وكان أسقف الكنيسة (بولس) من أنصارها. والطبيعة الواحدة هي أن المسيح إله، وليس إلهاً وبشراً بنفس الوقت وكان أسقف الكنيسة (بولس) من أنصارها.

المسرح:

يقع خارج الأسوار القديمة. جنوب غرب الطريق العام الحالي. وهو من العصر الروماني، أي من أواخر القرن الثاني الميلادي. له طبقات متعددة. قطره (139 م). وهو من أكبر المسارح القديمة في (سورية) وربما في العالم. طول واجهته (145 م)، وهي من أطول واجهات المسارح.

قلعة المضيق:

كانت تدعى حصن (أفاميا)، ثم صار اسمها قلعة (المضيق)، وذلك لوجودها بين جبل (شحشبو) والتل الذي بنيت عليه. يعود تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد. بناؤها الحالي أيوبي من القرن (13 م). تشرف غرباً على جبال (اللاذقية)، و(سهل الغاب)، و(وادي العاصي). وشمالاً على (جبل الزاوية)، أما جنوباً وشرقاً فتشرف على سهول (خان شيخون) و (المطار).

تقع على تل كبير هو (الأكروبول)، وقطره حوالي (250 م). وكانت محاطة بخندق، وسور شاهق فيه أبراج مربعة الشكل. أهمها البرج الشمالي الذي يحمل تأريخاً يعود إلى (589 هـ)، أي عهد ملك (حلب) (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي). رصف منحدر التل بالحجارة المنحوتة مثل قلعة (حلب).

يقع مدخل القلعة في الجهة الجنوبية. والباب كبير، له قنطرة، وعلى جانبيه برجان. فوقه كتابة باسم الملك (الناصر يوسف)، حفيد الملك (الظاهر الغازي) (654 هـ).

كما يوجد في القلعة مسجد وطاحونة أثرية.

قرية المضيق:

تبعد (3 كم) عن أنقاض مدينة (أفاميا). لها سور يعود إلى النصف الأول من القرن (13 م). وفيها جامع عثماني من القرن (16 م) أي عام (1524).

خان المضيق:

كان خاناً للحجاج والمسافرين، يقيمون فيه أثناء سفرهم مع حيواناتهم وبضائعهم. بني في عهد السلطان (سليمان خان الأول القانوني)، وعهده كان بين عامي (926 ـ 974 هـ) في القرن (16 م) بناه (محمد آغا قزلار)، وبني قربه قلعة، فيها مسجد ومنارة، وبقيت القديمة بأعلى الجبل.

حالياً هو متحف (أفاميا) منذ (24) تشرين الثاني عام (1982)، ويغطي (7) آلاف متر مربع. ضلعه (83 م) وهو مربع الشكل. يقع مدخله في الضلع الشمالي، وهو واسع على جانبيه مقعدان حجريان، وعلى كل جانب غرفة صغيرة. فيه باحة واسعة، مرصوفة بالبلاط الحجري. وفيها بئر، له درج حجري، عمقه (7 م)، تأتيه المياه عبر أقنية فخارية من البحيرة الواقعة غرب الخان، على بعد حوالي (100 م). والباحة محاطة بالأروقة المسقوفة وتحتوي على معروضات المتحف في الجناح الشرقي، تعرض آثار (أفاميا) الفسيفسائية، مثل لوحة الأمازونيات التي وجدت في الفيلا الرومانية. وخصص للعهد الوثني.

أما الغربي فيحتوي على الآثار البيزنطية والعربية والفسيفساء، التي وجدت حول (أفاميا) مثل (الرستن) و (حورتة) و (طيبة الإمام). أشهر لوحات هذا الجناح فسيفساء (سقراط) وتعود إلى (362 م).

أما الجناح الجنوبي فيبدو أنه تهدم، وبقي منه جزء صغير، وبنيت في

مكان المهدم سبع غرف صغيرة. جميع القاعات مبنية بالحجارة الكبيرة، ومسقوفة بأقبية، تحملها عقود حجرية نصف دائرية ما عدا نقطة تقاطع الجناح الجنوبي، فهي مغطاة بقبو متقاطع. في جميع غرف الخان، وأجنحته، توجد مواقد تتقدمها مصاطب عريضة، كان نزلاء الخان يستعملونها للنوم، وكل مجموعة منهم تختص بموقد لتطبخ فيه. مقابل هذه المصاطب في الجهة الثانية، توجد كوى تنفتح على الباحة لدخول النور إلى قاعات الخان.

أهمل هذا الخان، وتهدمت أقسامه، وامتلأ بئره بالأوساخ، وسكنه بعض الأعراب، وتغطت جدرانه بالدخان واستخدمه بعض الخزافين لصنع الجرار. وتحولت بعض أقسامه إلى اصطبلات للأبقار والأغنام.

ثم قامت مديرية الآثار بإخلائه وترميمه مع المحافظة على شكله القديم، واستعملت مواد الترميم حسب الأسلوب القديم. وأعيدت الحلقات الحديدية التي كانت تربط بها الخيول في فناء الخان، وداخل القاعات إلى أماكنها الأصلية. كما رمم الجامع الأثري الواقع على سفح القلعة، شمال الخان والذي يعود إلى نفس العهد.

أهم موجودات القسم الشرقي:

كتابات وتوابيت حجرية وفسيفساء رائعة أهمها:

فسيفساء (سقراط):

وتقع أمام الباب. عثر عليها تحت بناء الكاتدرائية الكبرى في (أفاميا). وتعود إلى (362 أو 363 م). تمثل (سقراط) وحوله ستة من الحكماء. الجانب الأيمن فيه زخارف هندسية رائعة ضمن إطار نباتي جميل. حول رأس (سقراط) كتب اسمه باليونانية.

إلى يسار المدخل حنية فيها:

تمثال نسر من الحجر الكلسي. عثر عليه في المقبرة الشرقية (بأفاميا). كما عثر على كثير من الشواهد التي تزينها نسور مجنحة في منطقة (منبج) وشمال (سورية).

ويوجد في الحنية شاهدة قبر حجرية تخص رجلاً وزوجته من عام (160 م). عثر عليها في أبراج الأسوار الشرقية. ذكر في السطر الأول العلوي من الكتابة: سنة (444) وهو (التاريخ السلوقي) ويبدأ عام (312 ق. م) في (6) من شهر (ديسيوس). وفي السطر الثاني العلوي (هيرايوس)، المأسوف عليه، وداعاً. ثم سطران في الأسفل. الأول: سنة (472) (حسب التاريخ السلوقي) في (10) من شهر (ديسيوس). وفي الثاني (ميلينا)، الماسوف عليها، وداعاً.

مقابل الباب، عرضت شواهد قبور، وتوابيت حجرية، تحمل كتابات يونانية ولاتينية. رتبت حسب التسلسل التاريخي، ونوع الكتابة، وأسلوب النحت.

التابوت الحجري

من القرن الثاني الميلادي. عثر عليه في المقبرة الشمالية (بأفاميا)، ومعه تابوت آخر، سيذكر فيما بعد. له غطاء يبدو أنه ليس غطاءه الأصلي. لأن التابوت استخدم مرة ثانية ووضع له غطاء آخر أما الأصلي فمفقود. على واجهته منحوتات آدمية ونباتية، تمثل ربة النصر في زوايا التابوت. مع أكاليل الزهور ووجه (الغورغون). كما يوجد طفلان مجنحان يمسكان إطاراً يضم كتابة لاتينية. (والغوريون) هي أخوات ثلاث من الأساطير اليونانية (ميدوزا) و (أوريالة) و (ستينو). ملامحهن مخيفة، وشعورهن أفعوانية الشكل وأنيابهن كالخنازير. وتستطيع عيونهن أن تحول من تنظر إليه من إنسان إلى حجر. وكانت هذه الأخوات يسكن في عالم الظلمات.

بعد العهد اليوناني صارت تعابير (الغورغون) أقل حدة وبشاعة، كما في (غورغون) التابوت الروماني المذكور. وعلى غطاء التابوت، يوجد أسدان متقابلان، يختلف أسلوب نحتهما عن نحت التابوت نفسه لأن التابوت فقد غطاءه الأصلي، وحينما استعمل للمرة الثانية استخدم هذا الغطاء الذي يعود إلى (231 أو 333 م).

والكتابة اليونانية هي: (... الذي عاش (43) سنة و (5) أشهر و (9) أيام،

خدم في الجيش بصفة خيال لمدة أربع سنوات. وحارس لمدة (4) سنوات و (أبتيو) (أي ضابط) (13) سنة، وقائد مائة لسنة واحدة. إن (مارسيا فيفيا كريستنيا) زوجته ووريثته صنعت هذا التابوت لزوجها الفذ).

تابوت حجري آخر:

وهو في الحنية المقابلة للتابوت الأول. عثر عليه بجانب التابوت السابق، وله نفس الأسلوب في صنعته ونحته. ويحمل نفس الزخارف والكتابة عليه هي: «لأنتونيا كارا البالغة من العمر (28) سنة، (4) أشهر. (بروبيوس سانكتوس) قائد المائة في الفيلق البارتي الثاني. قد صنع (هذا التابوت) لزوجته التي لا نظير لها».

ويوجد ثلاث شواهد من الحجر الكلسي: الأولى عثر عليها قرب البوابة الشمالية في (أفاميا) وهي من (231 و 233 م)، على وجهها نقش جندي واقف، وتحته كتابة، فيها اسم وأعمال المتوفى، واسمي وريثيه وأعمالهما. والشاهدة الثانية، وجدت في أحد أبراج السور الشرقي. في أعلاها نقش فارسي، وتحته كتابة لاتينية، زال قسم منها بسبب كسر الشاهدة التي تذكر اسم الميت.

والشاهدة الثالثة، عثر عليها قرب البوابة الجنوبية من بوابات (أفاميا). وهي من (231 و 233 م). في أعلاها نقش نسر باسطاً جناحيه، ضمن مثلث وعلى كل طرف زهرة. وفي الإطار كتابة لاتينية، ذكر فيها اسم الميت، وعمله، وعمره وخدماته، واسم وريثه الذي أقام له القبر.

الجناح الشرقي:

في أرضيته مجموعة من الفسيفساء الرومانية والبيزنطية التي اكتشفت في (أفاميا). توجد مجموعة من الكتابات المنقوشة على حجارة، بعضها كانت قواعد لتماثيل، وبعضها الآخر حجارة تدشين. وهناك تماثيل وتيجان. منها:

حجر تدشين خاص بـ (أغريبا) الأول أو الثاني من القرن الأول الميلادي.

استعمل خلال القرن الثاني. وكان قد وضع لسبيل ماء قرب البوابة الشمالية. قسمه العلوي كسر، بينما الجزء الأسفل من كتابته اللاتينية ما زال موجوداً.

قاعدة تمثال من الحجر الكلسي، من القرن الأول الميلادي. وجد في نفس المكان الذي وجد فيه حجر (أغريبا). من المحتمل أنه كان يحمل تمثالاً برونزياً، وعليه كتابة لاتينية.

تمثال رجل يرتدي وشاحاً، له طيات، يغطي نصفه الأسفل، وكتفه الأيسر. وجد بين أنقاض البيت البيزنطي ذي القناصل. وهو من القرن الثاني أو الثالث الميلادي.

جزء من قاعدة تمثال من الحجر الكلسي، عثر عليه في أساس أحد أعمدة الشارع الرئيسي. عليه كتابة تخص (أغريبا) من عام (116 أو 117 م).

قاعدة تمثال من الحجر الكلسي عليها كتابة لاتينية تخص (أغريبا) من عام (116 م أو 117 م). أعيد استعمالها أثناء عمليات الترميم التي حصلت في القرن السادس الميلادي. وكان قد أعيد نحتها لتصبح ساكفاً لأحد نوافذ الجدار الخلفي في الرواق الشرقي بالشارع الرئيسي، أو في واجهة الحمام الشمالي الذي بناه (أغريبا). وقد عثر عليها في الرواق الشرقي قرب الحمام المذكور، وتذكر الكتابة اللاتينية الأعمال المجيدة التي قام بها صاحب التمثال، والألقاب التي حازها مكافأة له.

حاملة تمثال حجرية، عثر عليها في الرواق الشرقي أمام الحمام الشمالي من عام (116 ـ 117 م). عليها نص لاتيني يذكر اسم صاحب التمثال وهو (لوقيوس يوليوس أغريبا) واسم من أهدى التمثال.

حاملة تمثال من الحجر الكلسي، عثر عليها في الجدار الخلفي للرواق الشرقي بالشارع الرئيسي، ربما كانت في واجهة الحمام الشمالي المفتوحة على نفس الرواق. وتعود إلى (116 ـ 117 م). والكتابة اللاتينية تشير إلى تقدمة تمثال (أغريبا) واسم المهدي.

فسيفساء وجدت في الطبقات السفلى من الكاتدرائية. وهي من عهد (362 ـ 363 م).

قاعدة تمثال مكتوبة: عثر عليها في منصة المسرح الروماني، من (362 ـ 363 م)، تخص الإمبراطور (جوليان المارق)، وعليها كلمة (المعظم).

قاعدة تمثال من الحجر الكلسي: مكسورة إلى قطعتين، وقد عثر عليها في الموقع ذاته التي عثر فيه على القاعدة السابقة. وعليها نص لاتيني تمجد صاحب التمثال.

تمثال امرأة من الرخام:

يمثل امرأة واقفة، ترتدي ثياباً شفافة، تظهر تفاصيل جسدها. للثياب طيات وثنيات وقد أبدع الفنان بإظهار جمالها. رأس التمثال مفقود، وكذلك ذراعه اليمنى، وجزءاً من الذراع اليسرى. عثر على التمثال خلف سبيل الماء الواقع وسط الشارع الرئيسي. ولعله يمثل ربة الصحة، وهو من القرن الثاني أو الثالث الميلادي. وجد في نفس الموقع تمثال رجل هو (اسكلاب) إله الطب، وهو في متحف (حماه).

فسيفساء الحوريات:

وجدت في المبنى الروماني الذي أقيمت فوقه الكاتدرائية الكبرى. أي في الطبقات السفلى للكاتدرائية. وهي من عام (362 ـ 363 م). وتمثل مجموعة من الحوريات في مباراة للجمال. وكتب اسم كل حورية بجانبها. وهن من اليسار إلى اليمين: (اغليز) (Aglais)، (أفروس) (Aphros))، وهو جرذ الماء الشاب ويحمل على ظهره، (ثيتس) (Thetis) أم الحوريات، وهي أجملهن. وتبدو عارية، ثم الحورية (دوريس) (Doris)، تليها (أفروديت) وهي مشوهة تماماً، وكذلك اسمها. ثم (بايثو) (Peitho) وإلى قربها (بيثوس) (Bythos) وهو شيخ البحر العجوز. تليه (كرايسيس) (Krisis) رمز الحفل، إلى جانبها جلست حورية البحر (آميمونة) (Amimone). وكان (بوزيدون) إله البحر قد تزوجها بعد أن أنقذها من العفريت الذي حاول اغتصابها. وإلى جانبها (بوزيدون)

(Posedon) سيد الحفل، يحمل بيده حربته ذات الشعب الثلاث. ويجلس خلف طاولة عليها تاج مرصع الجواهر، هو تاج المبارة. إلى جانبه وقفت إحدى الوصيفات تساعد (كاسيوبة) على خلع ثيابها. أما (كاسيوبه) فتبدو عارية بجسمها الجميل.

في نهاية هذه الفسيفساء نجد الفاتنة التي انتخبت ملكة المباراة تحمل بيدها اليمنى إكليلاً وبيدها اليسرى غصن نخيل. في الحنيتين الموجودتين أمام الفسيفساء ذات الزخارف الهندسية، وفسيفساء الحوريات توجد مجموعة من السرج الفخارية من العصر اليوناني والهلنستي والروماني. وعددها عشرون سراجاً. وإلى جوارها توجد مجموعة أخرى من السرج من العصور البيزنطية والعربية. وعددها (28) سراجاً.

في الحنية التالية توجد مجموعة من السرج والقوالب التي تصنع بواسطتها. وقد وجدت في حانوت لصنع الفخار. عددها (12) سراجاً و (20) قالباً.

بعد تمثال إله الصحة يوجد:

طاولة من الرخام الأبيض: وجدت في البيت البيزنطي المعروف (ببيت الوعل) وفوق فسيفساء إحدى الغرف.

بعد هذه الطاولة توجد مجموعة تيجان حجرية منوعة ومرتبة حسب طرازها وتاريخها. وهي:

تاج ايولي: عثر عليه في الشارع الرئيسي. وهذا التاج لم ينجز صنعه بعد.

تاج ايولي: عثر عليه في الكاتدرائية.

تاجان حجريان: مزخرفان بأوراق نباتية عريضة. عثر عليهما في البيت البيزنطي ذي القناصل.

تاج كورنثي: عثر عليه في البيت البيزنطي ذي القناصل، من القرن

الخامس أو السادس الميلادي، وهو من أجمل التيجان التي وجدت في (أفاميا).

تاج كورنثي: يشبه السابق ومن عهده إلا أنه أصغر منه حجماً. وفي زواياه الأربعة توجد أشكال صلبان.

فسيفساء الوعل: عثر عليها في إحدى غرف البيت البيزنطي المعروف (ببيت الوعل) نسبة لهذه الفسفساء. وتمثل وعلاً جميلاً في وسط اللوحة أرضيته مليئة بعنصر نباتي مكرر. يحيط به إطار فيه زخارف هندسية جميلة.

في النصف الجنوبي من الجناح الشرقي يوجد:

تاج حجري: ذو زخارف على شكل سلة. عثر عليه في البيت البيزنطي ذي القناصل.

تاج كورنثي: عُثر عليه في الكاتدرائية. توجد على وجهه دائرة تضم كتابة يونانية، تحمل اسم الأسقف (بولس) وهو رئيس أساقفة (أفاميا).

تاج حجري على شكل سلة، يشبه السلة الأولى لكنه أكبر منه حجماً. عثر عليه في الكاتدرائية.:

طاولة من الرخام الأخضر: عثر عليها في (بيت الوعل) البيزنطي. وهي محطمة بسبب الحريق الذي تعرض له ذلك البيت.

تاج كورنثي: من القرن السادس الميلادي. وجد في البيت البيزنطي ذي القناصل.

تاج: يوضع عادة في أعلى دعامة المدخل، له إطار كورنثي من القرن السادس الميلادي. عثر عليه في الكاتدرائية.

فسيفساء الكاتدرائية (الأسقف بولس):

وتقع إلى جانب فسيفساء الوعل. عثر عليها في الكاتدرائية. وهي من الربع الثاني للقرن السادس الميلادي.

في الوسط مجموعة من الحيوانات. يحيط بها إطار في زواياه الأربع

أربعة مزهريات جميلة مختلفة الأشكال، بينها حيوانات، منها العنقاء على شكل حيوان مجنح له رأس طائر. وغزال يعض ثعباناً، وحيوانات أخرى. في مركز الفسيفساء توجد دائرة، فيها كتابة يونانية تذكر: هذه الفسيفساء الغنية الألوان... مقدمة... من (بولس) ذي الروح... الغنية والعقيدة السامية.

فسيفساء الأمازونات:

عثر عليها في مبنى (تريكلينوس) وهو قصر الحاكم ذو القناصل وهي من النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. في وسط اللوحة فارستان تمتطيان جواديهما وتصطادان بعض الوحوش. تخرب القسم الأكبر من إحدى الفارستين ولم يبقَ إلا جزء من جوادها. حول اللوحة إطاران من الزخارف الهندسية والنباتية.

والأمازونات في الأساطير اليونانية هن نساء محاربات كن يعشن في (القوقاز) بآسيا الصغرى. كانت لهن ملكة وكن يكوين الثدي الأيمن كي لا يعيق حركة شد السهم. ومن هنا جاءت التسمية (الأمازون = بلا ثدي). وكن لا يقربن الرجال إلا مرة واحدة في العام كي يحافظن على استمرار جنسهن. وكن يقتلن الأولاد الذكور، ويبقين على الإناث.

الجناح الغربي:

وفيه فسيفساء وجدت في (حورته)، وتقع شمال (أفاميا). و (مورك) و (صوران) وهما غرب (أفاميا).

عمود مسافات طريق الغاب:

من الحجر الكلسي. وجد قرب تل (داديس) جنوب (أفاميا). يشير هذا العمود إلى الميل (21) للفريق الروماني بين (أفاميا) و (رقينة) قرب (مصياف) وعليه كتابة لاتينية تشير إلى القيصر (سباسيان).

فسيفساء الكنيسة الكبرى (بحورته):

تبلغ مساحة الكنيسة (26.5 X 15.6 م). وتتكون من كنيستين فوق بعضهما. عثر فيها على ثلاث طبقات فسيفسائية رائعة. والفسيفساء المعروضة هي فسيفساء الطبقة السطحية، التي كانت في الرواق الأوسط والحنية من الكنيسة. زخارف الحنية طيور وحيوانات ضمن دوائر من أشجار الكرمة، ألوانها زاهية. وزخارف الرواق الأوسط هي حيوانات مفترسة كالنمر والفهد والخنزير البري، تطارد حيوانات أخرى كالغزال والماعز والبقر وغيرها.

يحيط بهذه المناظر إطاران: الخارجي زخارفه هندسية والداخلي نباتية. وهي على شكل دوائر تضم مجموعة مختلفة من الطيور.

عثر على ثلاثة كتابات يونانية: الأولى كانت في واجهة المدخل الغربي الرئيسي للكنيسة. وقد نقلت إلى هذا المتحف. وتؤرخ بناء كنيسة (الرب المطهرة) هذه في (20) نيسان عام (483 م). وتذكر اسم رئيس أساقفة (أفاميا) (فوتيوس) والمطران (دوروته)، والقسيس (ستيفانوس)، واسم الشماسين (جاك) و (سيمون).

أما الكتابة الثانية فقد وجدت في غرفة المذبح شمال الحنية. مؤرخة في أيار عام (484 م).

وتذكر المطران والقسيس اللذين كانا يعملان في الكنيسة.

أما الكتابة الثالثة فهي مؤرخة في عام (485 م). وتذكر اسم المطران فقط وتكسرت فضاعت أسماء أخرى.

في الطرف الشرقي من الرواق الجنوبي يوجد:

فسيفساء الرواق الشمالي بكنيسة (حورته) الكبرى:

وكانت تغطي رواقها الشمالي. قسم من هذه الفسيفساء ما زالت في مكانها الأصلي في بيت أحد سكان القرية. بينما جزء صغير منها في هذا المتحف. وهي من عام (483 م). في هذه الفسيفساء وحوش مفترسة تطارد

حيوانات برية مختلفة. وفيها أشجار كبيرة منها رمان مثمر. في أرضية هذه الزخارف تتكرر زهرة جميلة.

فسيفساء المعمودية في كنيسة (حورته):

كانت تغطي أرضية رواق طوله (5.6 م). يقع بين الكنيسة الكبرى و السلم الحجري الذي يوصل إلى المعمودية، وإلى كنيسة (ميخائيل) الصغيرة. تقع هذه الفسيفساء ضمن إطار زخارف نباتية. واللوحة فيها طيور وأشجار وحيوانات منها أسد وغزال وخروف. وقد تخرب القسم الأوسط من هذه اللوحة التي تعود إلى القرن الخامس الميلادي.

فسيفساء (خربة الشيخ مسعود) في (صوران):

تتألف من زخارف هندسية عبارة عن ضفائر متقاطعة تشكل معينات فيها ثلاثة عشر طائراً وحولها إطار من الزخارف الهندسية. وهي من أواخر القرن الرابع، أو بداية القرن الخامس الميلادي.

فسيفساء (خربة المجدلية) في (مورك):

بيزنطية. من القرن الخامس، و بداية القرن السادس الميلادي. فيها طيور مختلفة يتوسطها طاووس وعلى جانبيه طاووسان آخران. وقرب الزوايا (أحدها تخرب) ثور وخروف وغزال. وفي الزوايا الأربعة مزهريات فيها أغصان وأزهار. وفي اللوحة زخارف هندسية وضفائر.

فسيفساء الرواق والحنية في كنيسة (ميخائيل) (الكنيسة الصغرى) (بحورته):

مساحة الكنيسة (13.2 X 20.4 م). وتبعد خمسة أمتار شمال الكنيسة الكبرى (كنيسة فوتيوس). وتتألف من ثلاثة أروقة أوسطها أوسعها. في آخره من جهة الشرق تقع الحنية. تغطي أرضيتها فسيفساء من أواخر القرن الخامس الميلادي (487 م). فيها زخارف نباتية على شكل دوائر تضم مجموعة من الحيوانات والطيور.

ويبدو في فسيفساء الرواق المسيح جالساً على كرسي، وحوله حيوانات

وطيور ووحوش وأفاعي، وفيها كتابة يونانية مخربة. وكانت هذه الفسيفساء في مواجهة الباب الرئيسي الغربي لهذه الكنيسة. عرض في متحف (أفاميا) فسيفساء الحنية والرواق الأوسط والرواق الشمالي. أما فسيفساء الرواق الجنوبي فمعروض في (حديقة المتحف) الوطني في (دمشق).

الجناح الجنوبي الغربي:

وفيه فسيفساء الكنيسة الكبرى (بحورته) كنيسة (فوتيوس). وهي من منتصف القرن الخامس الميلادي. في وسط الفسيفساء مجموعة من الحيوانات المفترسة تطارد حيوانات أخرى. يحيط بها إطار من الزخارف النباتية.

تابوت رخامي للتبرك:

هو تابوت صغير رخامي، عثر عليه عام (1973). وكانت توضع فيه عظام القديسين بعد غمرها بالزيت. لتؤخذ منها قطرات للتبرك. وجد في الكنيسة الكبرى (بحورته) من قبل البعثة الفرنسية المنقبة. وكان في غرفة المذبح الواقعة شمال الحنية. ويعود إلى عام (483 م) أي نفس تاريخ الفسيفساء العليا المكتشفة هناك.

قاعدة التابوت ذات افريز يحيط بقمتها. ويزين واجهتها صليب منحوت بشكل بارز. والتابوت على شكل متوازي المستطيلات. يزين واجهته صليب آخر يشبه الذي على واجهة القاعدة. فوقه غطاء على شكل جملون، في أعلاه فتحة لسكب الزيت. ومن فتحه في طرف التابوت يؤخذ الزيت للتبرك.

وقد عثر على توابيت مشابهة في كنائس (أفاميا) وكنائس شمال (سورية). ولكن هذا التابوت هو أكبرها حجماً وأكثرها إتقاناً.

في نهاية هذا الجناح توجد:

فسيفساء الرواق الشمالي في كنيسة (ميخائيل) أي (الكنيسة الصغرى) (بحورته).

وكانت تغطي أرض الرواق الشمالي في الكنيسة. فيها مجموعة من الحيوانات المفترسة تطارد حيوانات برية أخرى. وقافلة فيها هودج يحمله بغلان

يقود أحدهما شخص يحمل سوطاً. فوقه كتابة يونانية باسم (جورجيوس كلوديوس). يحيط بهذه القافلة طيور وكلاب صيد. وفيها كتابة يونانية مؤلفة من خمسة أسطر تذكر أسماء من في عهدهم رصفت الكنيسة بالفسيفساء.

أوغاريت

تبعد (15 كم) عن مركز مدينة (اللاذقية)، و(4 كم) عن فندق (المريديان). وهي واحدة من المدن الفينيقية، وتقع على ساحل (البحر الأبيض المتوسط). وتعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد. كان لها مرفأ هو (المينة البيضاء) يبعد (800م) عنها، ويعتبر أول ميناء دولي في العالم. منه انطلقت سفن (أوغاريت) وفيها البضائع والفنون والآداب وأول أبجدية في التاريخ لتنشرها في العالم القديم. وكانت تجارتها ناجحة مع البلاد المجاورة (كالأناضول) و (بحر إيجة) و (وادي النيل) والبعيدة مثل (شمال أفريقيا) و (إسبانيا) و (بريطانيا) كما كان لها علاقات ومعاهدات واتفاقيات مع جيرانها الأقوياء. وتدعى بالعربي (رأس شمرة)، والشمرة زهرة صفراء رائحتها قوية، تنمو بغزارة في ذلك الموقع. ذكرت (أوغاريت) في كتابات (ماري) و (تل العمارنة). واسم (أوغاريت) (Ugrt) كما تكتب بالفينيقية قريبة من الكلمة الأكادية (Ygaru) وتعني (الجدار) إما جدار المدينة أو القلعة المحاطة بجدار. كذلك هي قريبة من الكلمة الأكادية (Ugarvu) وتعني حقل، وهي أقل احتمالاً من الأولى.

سكن الإنسان منطقة (رأس شمرة) منذ الألف السابع قبل الميلاد. وأقدم آثارها تقع في القسم الشمالي من (الأكروبول).

في بداية الألف الثاني كان (لأوغاريت) علاقات صداقة وتجارة مع (وادي النيل) وسكان (بحر إيجة). وأصبحت مملكة قوية في النصف الأول من القرن (18 ق. م) كما ذكرتها رقم (ماري). ووصلت ذروة ازدهارها بعد القرن

(16 ق. م). ولكنها خلال النصف الأول من القرن (15 ق. م) كانت تحت حكم ملوك (وادي النيل). في بداية القرن (14 ق. م) كان للملك (أوغاريت) (أميشتامرو) الأول علاقات صداقة مع (وادي النيل). وخلال حكم ابنه (نقمادو) الثاني (Niqmadou II) حوالي (1360 - ، 1330 ق. م) توضح تاريخ (أوغاريت) بفضل الرقم التي وجدت فيها، والتي تغطي تلك الفترة، مما أعطى فكرة واضحة عن المدينة، وعن العادات والتجارة والثقافة والاقتصاد.

ويبدو أن (أوغاريت) حكمت نصف المنطقة الشمالية لمحافظة (اللاذقية). وكان لها ممالك تتبعها مثل (سيانو) أو (شناتو). معظم سكان (أوغاريت) كانوا فينيقيين يتكلمون لهجة قريبة من العربية. وان زلزالاً وحرائق دمّرت نصف المدينة في القرن (14 ق. م)، حوالي (1365 ق. م) ولكنها جددت. وإن الملك (نقمادو) كان يسكن قصراً فخماً. ويدير مملكته بشكل منتظم. وان علاقاته الدبلوماسية قوية مع جيرانه وكان حليفهم ملك النيل (أخناتون) قد انصرف لتأملاته الدينية وتخلى عن الاهتمام بحلفائه الفينقيين فزاد نفوذ الحثيين في عهد ملكهم (شوبيلوليوما) الذي كان قد تبادل رسائل مع ملك (أوغاريت) (نيقمادو) يقول في واحدة منها: «كن عدواً لعدوي وصديقاً لصديقي...».

كانت (أوغاريت) مملكة مستقلة بين قوتين عظيمتين المملكة (الحثية) في الشمال ومملكة (وادي النيل) في الجنوب، فكانت تستعمل اللين حيناً والشدة حيناً آخر، والدهاء مراراً، وذلك بأن تستعين بملك ضد آخر. كما لجأت إلى التزاوج كما فعل الملك (نقمادو الثاني)، الذي تزوج من ابنة ملك (وادي النيل) (أمينوفيس الرابع) (Amenophis IV) والملكة (نفرتيتي) (Nefartiti). ولكن حينما تم الصلح بينهما وزواج (رمسيس الثاني) من أميرة حثية، وإرسال الحبوب للحثيين أثناء المجاعة، أصبح وضع (أوغاريت) حرجاً بين دوليتين عدوتين قويتين أصبحتا صديقتين. لذا لم تظهر (أوغاريت) عداء لأي منهما. حتى أن (نقمادو الثاني) وقف إلى جانب (الحثيين) في صراعهم مع ثلاث دول مجاورة. وحينما تعرضت (أوغاريت) للغزو، أرسل ملك الحثيين نجدة لنصرتها.

وفي بداية القرن (13) أخذ (الحثيون) وعاصمتهم (كركميش) يتدخلون في شؤون (أوغاريت) وأصبح ملوكها مرتبطين بالحثيين بمعاهدات مرغمين أو مختارين.

اسم (حمورابي) الملك الأوغاريتي يؤكد وحدة النسب العربي بين العموريين والفينيقيين. وفي عهد الملك الأوغاريتي (حمورابي) (Hammourabi) كانت نهاية (أوغاريت). إما بسبب زلزال مدمر أو بسبب هجوم شعوب (البحر الأبيض) من (اليونان) و(البلقان) الذين نزلوا شواطىء (سورية) و (وادي النيل)، ودمروا كل ما صادفهم، وذلك في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوالي (1190 ق. م). وكانت (أوغاريت) حينئذ ضعيفة عسكرياً فلم تستطع الدفاع عن نفسها، ولم ينجدها أي من الملوك، لأنهم جميعاً كانوا مهددين بالخطر ذاته، ويريدون الدفاع عن أنفسهم. حتى أنه لم يرد ذكر (أوغاريت) في حولية ملك (أوغاريت) (آشور تغلات فلازر الأول) الذي خلّدت كتابات فتوحاته (لآمورو) أي (سورية).

وبعد الدمار لم تعد الحياة (لأوغاريت) لأن الحالة الاقتصادية كانت متردية. ولأن الشعب كان ناقماً على حكامه. ولكن بعد قرون قليلة، نهضت (أوغاريت) من كبوتها في القرن (6 ق. م)، بعد أن لجأ إلى مرفئها بحارة يونانيون، وكانوا يسمونه (لوكس ليمن) (Lukos Limen)، وسكنوا في التل كما بنوا حياً ساحلياً إلى جوار (أوغاريت).

كانت في (أوغاريت) جالية من كل الشعوب المجاورة، وكان لها دورٌ مهم في نقل المعتقدات واللغة والعادت والآداب والعلوم والفنون والصناعات الخاصة بمنطقتها إلى البلدان المجاورة مع تجارتها. كما كانت تقتبس منهم ما لديهم لتعود به إلى موطنها فكانت وسيطاً فعّالاً للحضارة كما هي للتجارة في العالم القديم.

كان شعب (أوغاريت) يتألف من طبقتين:

1 ـ عامة الشعب وكانوا للعمل والإنتاج.

2 ـ الملك وحاشيته وهم المستفيدون من ذلك الإنتاج.. وكانوا يشرفون على التجارة، والصناعات الحرفية التي تركزت في العصر الملكي، وفي رأس (ابن هانىء). وأهمها صناعة الفخار المزخرف بالرسوم الإنسانية والحيوانية والنباتية والهندسية. وكانت تطلى بالألوان البرّاقة. إضافة إلى صناعة الغزل، والنسيج، والملبوسات الصوفية، والكتانية، المزركشة بالأحجار الثمينة. كما اشتهروا بصناعة الأصبغة القرمزية، وكانوا يهدون أصدقاءهم من الملوك هدايا من الألبسة المصبوغة بالأرجوان الأحمر والبنفسجي. كما قدموها أتاوة لأعدائهم ومكافأة لموظفيهم المخلصين.

وعمل الصياغ المهرة حلياً ذهبية، وزينوها بالأحجار الثمينة. ووجد في (أوغاريت) جرّة فيها الكثير من اللآلىء المستديرة الصغيرة. كما كانوا ينقشون العاج، ويحفرون الأختام التي اقتبسوا صناعتها من بلاد ما بين النهرين. وكانت الصناعة المعدنية في (أوغاريت) متطورة. فاستخدموا البرونز ومنه صنعوا السيوف، والخناجر، والسهام، والفؤوس، والنصال. وكانت الأسلحة منزّلة بالعاج والعظم. ومزخرفة بالكتابات والرسوم. ومطلية بالفضة والذهب. كما عملوا من البرونز تماثيل لملوكهم وآلهتهم، طلي بعضها بالذهب أو الفضة.

أمّا الزراعة فقد اعتنى الأوغاريتيون بزراعة الكرمة والزيتون والحبوب والأشجار المثمرة. وربّوا الطيور والأبقار والأغنام وقطعان الماشية.

اكتُشفت (أوغاريت) صدفة في آذار عام (1928) على يد فلاح يحرث أرضه في (المينا البيضاء) التي كانت المرفأ الطبيعي (لأوغاريت). فتعثر محراثه بحجر، واستنجد بأصدقائه فأزاحوه لتظهر أحجار طويلة مسطحة، تغطي قبراً معقود السقف، فيه كثير من الفخار. وأتى الدكتور (كلود شيفر) (Claude Sehaeffer) الفرنسي للدراسة والتنقيب. وبدأ الكشف عنها في عام (1929) وانقطع بين عامي (1939 و 1948) ثم استمر حتى عام (1970) وأخذت (أوغاريت) تكشف عن روائع أسرارها واحداً بعد الآخر.

وجد في (أوغاريت) خمس طبقات حضارية وأقدمها:

1 ـ الطبقة الخامسة من العصر (النيوليتي) ما قبل الفخاري، أي العصر الحجري الحديث الألف الخامس ق. م. عرفت الأواني الحجرية والفخارية وهي قريبة من ثقافة (شاغار ـ بازار).

2 ـ الطبقة الرابعة: قريبة من ثقافة (تل حلف).

3 ـ طبقة العصر البرونزي المبكر من النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. وجدت أواني فخارية مماثلة لما في (خربة قيدامة). وقد دمر العموريون مستوطنات هذا العهد.

4 ـ طبقة العصر البرونزي المتوسط أي النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. حينما أصبحت (أوغاريت) مركزاً تجارياً هاماً وغنياً. وأقامت علاقات مع (ماري) وبلاد (ما بين النهرين)، و (وادي النيل).

5 ـ طبقة العصر البرونزي الأخير من عام (1450 ـ 1200) قبل الميلاد تقريباً. وهي المرحلة التي غطاها أرشيف (أوغاريت).

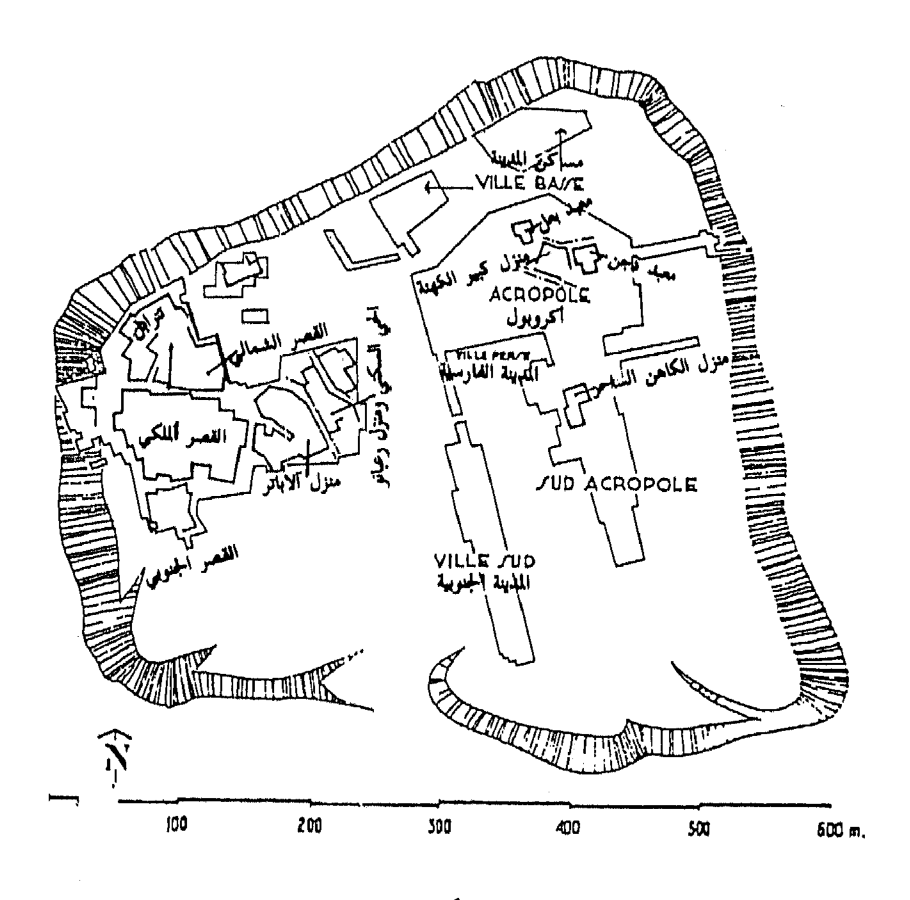
وصف المدينة:

بنيت (أوغاريت) على تل مساحته حوالي (25 هكتار). كان عدد سكانها التقريبي بين (2500 و 3500) نسمة. شوارعها مستقيمة متوازية ومرصوفة بالحجارة تتقاطع عمودياً مع الشوارع الرئيسية في المدينة. عرضها يتراوح بين (3 و 4 م). في بعضها أرصفة جانبية. وتشكل البيوت أحياءً. منازلها مبنية بالحجر المنحوت. وتتألف من طابقين يوصل بينهما درج حجري. وللبيت باحة سماوية مربعة أو مستطيلة، في وسطها بئر ذات جدران حجرية، يعلوه حجر كبير منحوت، ومثبت حول فوهة البئر، وإلى جانبه توجد بركة أو خزان لجمع المياه. يحيط بالباحة رواق محمول على أعمدة، أو ركائز. وتكون الغرف مفتوحة عليها وفيها الحمام والمنتفعات. لكل منزل مقبرة مستطيلة الشكل تقع في الطابق الأرضي.

وفي (أوغاريت) شبكة من المجاري تحت الأرض للمياه المالحة مجهزة بفتحات على مسافات لتنظيفها. وكانت كل فتحة مغطاة بقطعة مثبتة من

الرصاص لحمايتها من الأوساخ. وتتجمع هذه المجاري خارج المدينة لتصب في البحر. وقد اختصت (أوغاريت) بهذه الميزة من دون مدن العالم القديم.

وكانت عقوبة المجرم إلزامه باستخراج الماء من الآبار لتغذية شبكة أخرى من القنوات تجري فيها مياه عذبة. وجدت لوحة فخارية عليها نظام جمع النفايات من المنازل وعقوبة المخالفين من الناس.



مدينة أوغاريت

كان للمدينة أسوار كشف عن أجزاء منها في شمال وغرب المدينة. وكان في بعضها تحصينات وسراديب للمراقبة والدفاع.

أهم تحصينات (أوغاريت) منحدر مرصوف بالحجارة في الجهة الغربية، وفيه مدخل وممر مقنطر معطوف، يعود إلى برج طول ضلعه (14 م) وسمكه (5 م). هذا البرج تهدم قبل خراب (أوغاريت) بمدة طويلة، أي في نهاية القرن (14) أو القرن (13) قبل الميلاد، فاستغنوا عن هذا المدخل، وأقاموا في محله ممر أو جسر، لم يبقَ منه إلا آثاره، كان يمر فوق أطلال البرج، ويصل إلى عتبة ضخمة من أحجار كبيرة موجودة في الجدار الشرقي للبرج المذكور. وكان هذا هو باب المدينة، لم يبق منه إلا قطعة حديدية، كان مصراع الباب يدور عليها.

ضمت أراضي (أوغاريت) (180 إلى 200) مستوطنة. عدد سكان هذه المستوطنات بين (30 و 40) ألف نسمة.

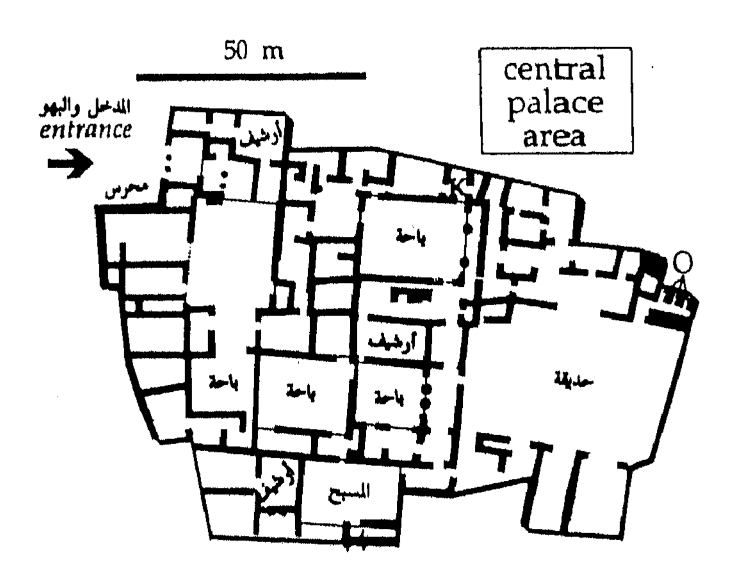
يوجد قرب (أوغاريت) منشأتان أوغاريتيتان هامتان هما (المينة البيضاء) وفيها قصور ضمت مدافن غنية بالأثاث. و (راس ابن هانىء)، وحوله سور، وفيه قصر، يماثل قصر (أوغاريت) الملكي، إلا أنه أصغر حجماً. وفيه مكتبة ومدفناً، هو عبارة عن غرفة مبنية بالحجارة المصقولة.

القصر الملكي الكبير:

من القرن (13 ق. م) أي من عصر البرونز الحديث. اكتشف عام (1939) ونقب فيه بين عامي (1950 - 1955). مساحته هكتار أي عشرة آلاف متر مربع. بني بالحجارة المنحوتة، بينها حشوة خشبية. ارتفاع بعض الجدران حوالي (4 م). أرضه مرصوفة ببلاط من الحجر الكلسي، أو الآجر، على شكل تنظيمات هندسية جميلة.

يتألف القصر من طابقين: العلوي كان لسكن الملك وعائلته. وفيه صالات استقبال. وأما الأرضي، فكان لمختلف الاستعمالات. وفيه ممرات توصل ما بين الغرف. وكان للقصر باب رئيسي في الجهة الشمالية الغربية. خصص

للأعمال الرسمية والاحتفالات. وبابان ثانويان أحدهما في الشمال الشرقي، والآخر في الجنوب الغربي وكانا للاستعمالات اليومية.



أوغاريت ـ القصر الملكي الكبير

الباب الرئيسي في القصر عرضه (3 م)، على جانبيه عمودان. في الجهة اليمنى للمدخل من الخارج توجد فتحتان للتنصت يغطيهما حجران مثلثان. يقود هذا الباب إلى بهو ومنه إلى موزع، يقع على يساره القسم الإداري، وفيه مكتب كبير، وثلاث غرف صغيرة. وجدت في هذا القسم رقماً مسمارية منضدة على صفين (في متحف اللوفر).

إلى يمين المدخل توجد غرفة الحرس. خلفه برج مربع بارز، فيه درج يقود للأعلى. من الموزع وعبر باب يمكن الوصول إلى باحة مبلطة بالحجارة فيها بئر، حفرت فتحته من قطعة حجرية واحدة. وجد بداخله بقايا جرار، ودلو برونزي. أمام الباب المقابل لباب الدخول، كان هناك عمودان من الخشب، أقيما على قاعدة حجرية أسطوانية الشكل.

إلى يمين هذه الباحة توجد أبنية دفاعية. يقود إليها مدخلان، واحد للبرج البارز خلف غرفة الحرس، والآخر لغرفة صغيرة. وإلى اليسار هناك أبواب مختلفة تقود إلى غرف أخرى. بعد ذلك يوجد بهو فيه مقعدان حجريان يرتكزان على الجدران. وفي القصر باحة فيها بحرة سباحة أطوالها (6 X 8) بنيت من الأحجار. سمّيت «بحرة السناتور أوالدبلوماسيين» لاكتشاف رسائل متبادلة بين ملك (قبرص) وملك (وادي النيل) مع ملك (أوغاريت). يأتيها الماء الساخن عبر قناة. وفيها بئر. وكذلك مصرف (بالوعة) مع تمديدات تحت الأرض. على يمين هذه الباحة يوجد فرن وجدت فيه رقماً كانت تشوى حينما دمر الاقصر. وتقع المقبرة الملكية في أقبية قاعتين متجاورتين لجدار القصر الشمالي الذي يطل على الشارع الرئيسي الممتد من الشرق إلى الغرب وتتألف من خمس مدافن نهبت محتوياتها.

في أرض القصر توجد شبكة من المجاري للمياه العذبة والمالحة. واكتشفت فيه حوالي (90) غرفة وصالة و (6) باحات وحدائق داخلية، وبرج، و (12) درج. كما وجد فيه (48) بئراً. أمام كل واحد حوض لجمع الماء الذي يجري في قناة تقوده إلى أقسام القصر كله.

بني هذا القصر على مراحل، وجدد ووسع عدة مرات. وكان ذلك منذ نهاية القرن (15 ق.م) أو (14 ق. م) حتى القرن (13 ق. م) وقد وصفه ملك «بيبلوس» واسمه (ريب آدو) (Rib Addu) في رسالة للملك (وادي النيل) (أمينوفس الرابع) (Amenophis IV) على أن القصر فيه (90) غرفة تطل على حدائقه وباحاته، وان بوابته محصنة بالحجارة الكبيرة.

القصر الشمالي:

يقع شمال القصر الملكي. من عصر البرونز الوسيط، أي القرن (15 ق. م) وهو أقدم من القصرين الملكي والجنوبي الصغير. يتألف القصر من باحة كبيرة، مرصوفة بالأحجار، تحيط بها غرف القصر. ويوجد رواق واسع يوصل بين القسمين الشمالي والجنوبي. ويبدو أن هذا القصر هجر لفترة طويلة لأنه

كان خال من أي أثاث عند اكتشافه.

القصر الجنوبي الصغير:

يقع جنوب القصر الملكي الكبير. ويفصله عنه طريق عام. يعود إلى القرن (13 ق. م) من عصر البرونز الحديث. في جداره الشمالي مدخل له رواق، وعمودان على الجانبين تحول مع الزمن إلى سلم، يؤدي إلى الطابق الثاني. في الجدار الشمالي الغربي، خمسة أبواب، تؤدي إلى الأروقة، وإلى داخل القصر. وفيه غرفة للمحفوظات الاقتصادية، والتجارية المتبادلة مع الموانيء السورية، مما يدل على أن صاحبه، كان المسؤول عن إدارة هذه العلاقات. عثر فيه على قبرين، ووجدت في القبر الكبير آنية من (الألاباستر).

البناء الكبير:

اكتشف في تنقيبات عامي (1975 و 1976). وهو بناء فيه باحتان. لكل واحدة رواق، فيه عمودان، ودرج، يقودان إلى الطابق العلوي. وجد فيه مدفن من غرفة واحدة تحتها القبر الذي تتصل به عبر نوافذ صغيرة في أعلاه.

البيوت الكبيرة:

تقع شرق القصر الملكي الكبير. تخترقها ثلاثة شوارع من الجنوب إلى الشمال. تتألف البيوت من طابق أرضي، وفي بعضها طابق علوي أيضاً. الأرضي كان للخدمات ومخازن المؤن والبضائع، كما كان للاستقبال أيضاً. وفي الأقبية بنيت القبور.

دعمت زوايا البناء بكتل حجرية ضخمة منحوتة لحمل السقف الذي كان من أعمدة خشبية مغطاة بطبقة من التراب المصقول. كانت فيه أقنية آجرية تقود مياه الأمطار إلى بالوعة ثم إلى المجرى العام.

بيت آلاباستر:

يقع شرقي القصر الملكي الكبير ويفصل بينهما شارع. والمنزل على شكل

مثلث رأسه في الجهة الشمالية. وفيه غرف هي ورشات لصناعة وتخزين الزيت، والخمر، والأشياء الثمينة. كما توجد غرف أخرى لحفظ السيراميك، وأواني (الألاباستر)، والمجوهرات. وكان لصاحب هذا البيت علاقات مع (وادي النيل) أو ربما كان هو شخصياً من هناك.

في المنزل حوالي أربعون غرفة. وله عدة أبواب أحدها يقود إلى طريق مسدود، يقع في الشمال. واثنان يؤديان إلى الشارع في الجهة الغربية. وواحد، أو اثنان من الأبواب، موجودة في الجهة الجنوبية. عند مدخل المنزل وضعت خابية ماء.

للطابق الأرض سويتان بينهما درج. ويقود إلى الطابق الأول درجان. كما يقع المطبخ في الزاوية الجنوبية الغربية. وكان فيه فرن كبير وقدور معدنية وآجرية. قرب المطبخ، وجدت مستودعات فيها جرار متعددة الحجوم، للزيت، والزيتون، والخمور.

توجد في الزاوية الجنوبية الشرقية غرف لإدارة أعمال رب المنزل. أما غرف الاستقبال فكانت تقود إلى حمام، فيه حوض ماء قرب مغطس حجري.

وفيه غرفة للعبادة والدفن، وجدت فيها أواني منوعة، وشمعدانات فخارية، وثلاثة أقماع (مسينية) جميلة. كما وجد تمثالان صغيران، أحدهما برونزي للرب (بعل)، والثاني حجري لإنسان من (وادي النيل)، ثبت على قاعدة من (الألباستر). ووجدت كسرة فخار عليها ختم (رمسيس الثاني)، وكانت قطعة من إناء أرسل هدية من (وادي النيل). كما عثر على موس حلاقة من البرونز. ويعتبر كل هذا من الأثاث الجنائزي.

البيوت الجنوبية:

كانت منازل للصياغ ونقاش المجوهرات والسباكين وصناع الأحذية والنجارين. كما كانت ورشات صنعت فيها المنتوجات المحلية من (الألاباستر) وخزف وعاج وغيرها.

وجدت في هذه البيوت أدوات خزفية للاستعمال اليومي. وبضائع وآنية للمياه المقدسة، وأختام مسطحة وأسطوانية لختم العقود، وأدوات مختلفة للحرف اليدوية.

شمال وجنوب الأكروبول:

توجد أحياء سكنية ومحلات للحرف اليومية (حائك، جوهري، نجار...) بيوتها متلاصقة، وحولها شوارع متقاطعة وأزقة ضيقة.

الحي الغربي:

شوارعه من عصر البرونز الحديث، أي القرن (13 ق. م) . فيه القصر الملكي الكبير، وقصور أخرى تعود للشخصيات الهامة. في بعضها مكتبات غنية منها مكتبتي (راشابابو) و (رعبانو). وفيه أيضاً بيت (ألاباستر). في كل قصر منها مدفن أو أكثر للعائلة، كل واحد منها مؤلف من غرفة، وسرداب، له درج حجري. كانت جميعها مهدمة، عثر فيها على لقى، ومقتنيات من (الألباستر)، والعاج والسيراميك، كانت هي الأثاث الجنائزي للمدافن.

منزل ومكتبة (رعبانو) (Rapanon):

من منتصف القرن (13 ق. م). أي العصر البرونزي الحديث. كان (رعبانو) كبير الكتبة، ورئيس الطبقة الوسطى، في عهد الملك (أميشتامرو) الثاني. ولمكانته تلك عومل وكأنه من أصل ملكي. وكانت مكتبته مبنية فوق قبره. وكلاهما كانا في منزله المبني من طابقين وفيه حوالي (34) غرفة مع حمام.

كانت المكتبة مليئة بقواميس عن الحيوان، والأوزان، والمقاييس، والآلهة، والأمراض وعلاجها، وفقه اللغة، ومعاجم اللغة الأوغاريتية، وما يقابلها من اللغات السومرية والبابلية. وفيها أيضاً نصوص دينية، وعقود قانونية، وحسابات، ورسائل تبادلها ملك (أوغاريت) مع ملوك آخرين.

قبر رعبانو:

بني القبر على شكل غرفة حجرية، له درج حجري يقود إلى الأسفل. زوايا السقف وقوس المدخل، منحوتة من قطعة حجرية واحدة. وفي الجدران كتبيات، لوضع حاجات الميت، ومجوهراته، ولويحات من الفخار للقراءة والكتابة. وفي أرض القبر، حفرات لوضع الجرار التي كانت تحتوي على عظام الموتى السابقين. وكان هذا القبر مخصصاً لخمسة أشخاص.

إلى جانب قبر (رعبانو) يوجد قبران أقدم منه.

منزل (راشابابو)

يقع منزل (راشابابو) قرب منزل (رعبانو). وهو رئيس السوق في (أوغاريت)، وجدت مكتبة في بيته لأديب مجهول الاسم.

إلى الشمال من بيت (راشابابو) يوجد أيضاً منزل لصانع أسلحة برونزية وسيوف أوغاريتية، نقش عليها اسم ملك (وادي النيل).

وإلى الجنوب يوجد بيت (باتيلوا) ممثل دولة (الحثيين) في (أوغاريت). وفي جنوب التل يوجد بيت الكاهن الأعلى وهو بنفس الوقت العراف. وفيه وجدت نصوص دينية اكتشفت عام (1961). وكان يمارس العرافة بواسطة كرات ملساء من الطين عليها أشكال لها مدلولات.

المدافن:

كان الأوغاريتيون يؤمنون بالحياة بعد الموت. لذا وضعوا مع الميت في مدفنه قرابين جنائزية، وحاجات شخصية.

كانت المدافن في القرن (12 ق. م) كلها متشابهة في البحر (الأبيض المتوسط)، ولكن تنوعت الهندسة في (اليونان) و (لونوسوس) وفي حزيرة (كريت). فدخلت تلك الهندسة (أوغاريت) بتأثير من الشعب (المسيني) القبرصي.

أقيمت مدافن (أوغاريت) في أقبية البيوت السكنية، وفي القصور. يقود إلى المدفن درج هابط في إحدى الغرف. وتكون أرضه مرصوفة بالحجارة، في وسطها حفرة لوضع الجرة، وفيها جسد الميت. ويبنى القبر، عادة من الأحجار المنحوتة. ويتكون سقفة من بلاطات كبيرة، واحدة منها تغطي فتحة القبر. تزاح عند الدفن ثم تعاد إلى مكانها بعده. ويوضع الميت داخل حجرة، على شكل جنين في رحم أمه. وفي قبره، توضع حاجاته اليومية من طعام، وملابس، وأشياء خاصة.

جميع المدافن نهبت عدا واحداً كان على شكل طابقين نهب الأعلى وسَلم الأسفل. وهو مدفن البناء الكبير. ووجدت فيه لقى كثيرة.

أهم مدافن أوغاريت هي: مدفن جنوب معبد (بعل). ومدفنين في القصر الملكي. ومدفن في القصر الصغير وفيه قبران. والمدفن ذو الطابقين في البناء الكبير. وقبر (رعبانو). وقبر مهدم قرب القصر الشمالي بقيت منه حجارة جدرانه الطويلة.

الآلهة:

عبد الأوغاريتيون عدداً من الآلهة، بما فيها آلهة الشعوب، التي احتكوا بها وأهمها:

إيل: إله عربي قديم وهو أبو الآلهة ورئيسهم. وخالق الكون.

بعل: إله العاصفة والخصب والصواعق والطقس والينابيع. وهو ابن (دجن) وحفيد (إيل). سيد السموات.

رشف: إله الوباء والمرض وأحياناً إله العاصفة والحب والصبا والفروسية. وإله الموت والخصب معاً.

تيشوف: إله الحرب.

عشتارات: أو عانات، إلهة الخصب والجمال والحياة والأمومة وإلهة الحرب.

دجن: رب الخصب والحنطة. يسهر على المجاري المائية ويبشر بالمطر. وهو ابن (إيل). (ودجن بالعربية تعني المطر الغزير ـ السماء الغائمة، الطعام الوفير. وبالفينيقية والأوغاريتية والعربية تعني قمح. والقمح الداجن = يعني القمح النامي).

موت: ابن (بعل)، وهو إله القحط والجحيم والعالم السفلي المظلم والبارد. وإله كل الجماد، عرشه من طين، وطعامه من وحل، وشرابه من كدر الماء. إذا صعد من مملكته السفلية سكن القفار، والأماكن الجافة واليابسة في الصحراء. عمله القضاء على الحياة، يأمر الشمس فتحرق العشب، وتجفف الزرع، وتعجل الحصاد. والحصاد هو رمز الموت.

ملقارت: إله الشمس. وفي (صور) إله البحر. وفي (قرطاجة) إله الموت.

أدون: إله الخصب، وتجدد الطبيعة ولقبه (نعمان) وهو (تموز).

بعل شامين: رب السموات. وهو والد أو زوج (شاماش).

شاماش: ربة الشمس.

يم: إله البحر وهو (بوزيدون) اليوناني.

المعابد:

وجد في (أوغاريت) ثلاثة معابد حتى الآن، اثنان منها تقع في (الأكروبول) شمال المدينة هما:

معبد بعل (Baal):

و (بعل) إله فينيقي آرامي، مقره جبل (الأقرع) (كاسيوس). وهو رب العاصفة والحب والصواعق والطقس والينابيع. والمعبد من الألف الثاني قبل الميلاد (1900 ق. م). يتألف من بناء على شكل برج فيه بقايا درج كبير، يقود

إلى الطابق العلوي. وله مدخل واسع، فيه درجات، تقود إلى باحة مكشوفة، فيها مذبح، لتقديم الأضاحي، ثم هيكل العبادة الداخلي. قرب المعبد، وجد نصب حجري (لبعل) (متحف حلب). كما وجد نقش له على نصب من الحجارة الصغيرة.

في الجهة الغربية من هذا المعبد توجد بيوت سكنية ضمن سور المدينة.

معبد (دجن) (Dagan):

وهو رب الخصب والحنطة، وهو إله عموري من شمال (سورية). وجد اسمه منقوشاً على نصب صغير من الحجر. يعود المعبد إلى الألف الثاني قبل الميلاد. ويقع شرق معبد (بعل) على بعد حوالي (60 م). مخططه يشبه مخطط معبد (بعل). فيه أحواض ماء للشرب والتطهر. وكانت ملوك الأسرة (12) في (وادي النيل) تقدم نذورها للآلهة في هذين المعبدين.

المعبد الحوري:

وهو المعبد الثالث وأصغر من المعبدين الآخرين، ومشابه لهما. في الهيكل، أي الغرفة الداخلية، درج يقود إلى الطابق العلوي، حيث تقام الطقوس الدينية. وجد في هذا المعبد أوانٍ، وسرج، وتماثيل، منها اثنان صغيران طليا بالذهب.

بيت كبير الكهنة:

يقع بين معبدي (بعل) و (دجن). له حائط فيه أربعة صفوف من الحجارة، وباحة تحيط بها غرف مبلطة. يوجد في نهايتها بئر. وفيها درج يقود إلى الطابق الثاني. في البيت مكتبة دينية عثر فيها على أولى النصوص المكتشفة في (أوغاريت)، وكانت دينية، وأساطير لها صلة بمدرسة المعبد. وجدت في ذلك البيت كنوز مخبأة في أماكن سرية. وعثر على مستودع فيه (74) قطعة من السلاح، وأدوات برونزية، قدمت قرابين من صناع البرونز لكبير الكهنة.

وجد عدد كبير من الرقم الفخارية، تغطي المرحلة بين (1350 و 1330 ق. م) في عهد الملك (نقمادو الثاني). احتوى هذا الأرشيف على: وثائق مالية ملكية، جباية ضرائب، مراسلات الملك. كتب معظمها باللغة الأوغاريتية، والباقي باللغتين الأكادية والحورية. كذلك وجدت رسالتان موجهتان إلى الملك الحثي. ومسائل اقتصادية تحوي الصادرات والواردات، ووثائق حول حقوق الملكية والحرمان منها، وأخرى لها علاقة بأمور العاصمة وضواحيها، ووثائق تتعلق بشؤون الإدارة الملكية، ورسائل كلها كتبت باللغة الأكادية.

وعثر على رقم في الفرن، كانت معدة للشوي عندما دمرت المدينة. فيها ترجمة للرسائل الواردة إلى ملك (أوغاريت) من اللغات الأخرى. وسجلات، ووثائق، وواردات وصادرات القصر الملكي.

وأرشيف (راشابابو)، فإنه يعطينا صورة واضحة عن العلاقات الأسرية في بيت (راشابابو). وعن العمليات التي قام بها لامتلاك الأراضي. وكذلك عن نشاطه كرئيس السوق في (أوغاريت).

أما أرشيف (رعبانو)، فكان عن السياسة الخارجية (لأوغاريت). وكذلك وثائق تتعلق بالشؤون العملية الأخرى.

وكانت وثائق (كليرمونتيه)، وهي قليلة العدد، إلا أنها تتعلق بطلاق الملك (أميشتامرو الثاني)، وعن نظام السخرة، ومؤسسات العبادة. هذه الوثائق كتب معظمها باللغة الأروادية، وبعضها بالأوغاريتية، والحثية، والحورية، وبلغة غامضة من لغات حوض بحر (إيجة).

كان الكتبة يعدون إعداداً خاصاً إذ يدرسون قراءة وكتابة اللغة المسمارية الأكادية، وقليلاً من الحورية. وكان النص عادة، يكتب بالأوغاريتية، ثم يترجم إلى الأكادية.

أما الرسائل الواردة من الدول الأخرى، فكانت باللغة الأكادية، التي تترجم إلى الأوغاريتية. مما يدل على أن الملك لم يكن يعرف اللغة الأكادية. ولم يعثر على أية وثيقة لها علاقة بالقوانين الأوغاريتية.

عشر في القصر الملكي على رقيم فيه (30 حرفاً) مسمارياً اعتبر أول أبجدية مدونة حسب الترتيب المتداول عالمياً وجد حتى الآن. ويعود إلى القرن (14 ق.م).

الموسيقى

استعمل الأوغاريتيون عدداً من الأدوات الموسيقية منها: الصنج، القيثارة، الناي، الطبل، القصبة والمزمار، آلة تشبه العود. وقد يكون لديهم فرقاً موسيقية.

وجدت لوحة موسيقية تعود إلى القرن (14 ق.م) في (أوغاريت)، وكانت على شكل رقيم، قسم منه عليه كتابة، والآخر عليه أرقام وأحرف. وبعد الدراسة تبين أن الكتابة هي أنشودة العبادة الإلهية.

وكانت هذه النوطة أساس السلم السباعي الذي بنيت عليه الموسيقى العالمية.

يوجد شرح حولها في الصفحة (39).

إيبلا

تبعد (إيبلا) (60 كم) عن (حلب) و (28 كم) عن (إدلب) و (2 كم) عن الطريق العام. وتدعى (تل مرديخ) والتسمية مجهولة الأصل. سيطرت بموقعها الاستراتيجي على الطريق التجاري بين (الفرات) و(البحر الأبيض المتوسط)، وعلى الممر المؤدي إلى نهر (العاصي)، عبر (جسر الشغور) ثم إلى الساحل.

ورد اسم (إيبلا) في حفريات (سومر) و (أكاد) و (أوغاريت) و (إيمار) أي (مسكنة)، و (الالاخ) أي (تل عطشانة) في سهل (العمق).

كما ذكرت في (أور) السومرية، ضمن كتابة منقوشة على تمثال الملك السومري (غوريا) ملك (ألاجاش) في الألف الثالث ق. م. الذي يعتز باستيراد الخشب من (إيبلا)، والتي كانت بدورها تحصل عليه من جبل (الزاوية) وجبال (اللاذقية) لتصنعه أثاثاً، ثم تصدره للخارج. كما ذكرت في نصوص أخرى بوصفها مركزاً لصناعة النسيج.

وجاء ذكرها أيضاً، في نقوش هيروغليفية، وجدت على أحد أعمدة (الكرنك) في (الأقصر). تقول: «بأن جيش (تحوتمس الثالث) (1500 ق. م)، مر بناحية اسمها (إيبلا) وهو في طريقه إلى (الفرات)».

وذكرت أيضاً في كتابات (سرجون = شاروكين) الأكادي (2340 - 2284 ق. م) «(سرجون) الملك خاشعاً أما (دجن) في (توتول)، الذي أعطاه (البحر الأعلى) أي (المتوسط)، و (يرموتي) و (إيبلا) حتى (غابة الأرز) أي (جبال الأمانوس) و(جبال الفضة) أي (جبال طوروس).

وبهذا يكون قد سيطر على (الفرات) و (بلاد الرافدين) و (سورية الطبيعية حتى (المتوسط).

وبعده ذكرت (إيبلا) في عهد حفيده (نارام سن) الأكادي وحكم بين (2259 و 2223 ق. م). مفتخراً:

«منذ الأزل منذ خلق البشر لم يخضع أي ملك من الملوك (أرمانوم) و (إيبلا) بسلاح (نيرجال) (أي إله الطاعون والعالم السفلي السومري). فتح (نارام سن) القوي الطريق إلى هنا، وأعطاه (أي الإله دجن) (أرمانوم) و (إيبلا)، وأهدى إليه جبل الأرز (أمانوس) والبحر الأعلى (أي المتوسط) ».

ولكن في الحقيقة (سرجون) احتل قبله (ماري) و (يرموتي) و (إيبلا) وجبال (الأمانوس) و (طوروس). وجاء (نارام سن) يتابع الاحتلال، مما يدعو للاعتقاد بأن احتلال (سرجون) لم يكن كاملاً. وبأن (إيبلا) و (أرمانوم) كانتا مدينتين قويتين ولهما أهمية كبيرة.

في نصوص (إيبلا) لم يرد، أبداً، ذكر للإمبراطورية الأكادية. وفي النصوص الأكادية لم يأت ذكر أسباب الحرب بينهما، مما يؤكد أن الأكاديون لم يكونوا قوة عظيمة في عهد أرشيف (إيبلا). وأن (إيبلا) كانت قوة سياسية واقتصادية، ذات نفوذ واسع، وأنها القوة الوحيدة التي كانت تجابه الأكاديين.

حالياً تدعى (تل مرديخ)، وهو واحد من آلاف التلال المنتشرة في سورية، والتي تخبىء في أعماقها آثار ممالك، ومدن، وحضارات، بعضها اكتشف، والبعض الآخر ينتظر دوره. وعادة تكتشف بعض الآثار من فخار أو زجاج أو حجر أو نقد أو أجزاء من تماثيل على يد فلاح أو حيوان فيثار الاهتمام ويبدأ التنقيب.

اعتقد العلماء سابقاً بأن أهم الحضارات التي كانت في الألف الثالثة قبل الميلاد هي حضارة (ما بين النهرين) (Mespotamia) وحضارة (وادي النيل). ولكن اكتشاف (إيبلا) عام (1975) بدّل هذه النظرية لأنها لا تقل أهمية عن تلك الحضارتين.

على تل مساحته حوالي (60 هكتاراً)، وقاعدته هضبة مرتفعة من الصخر الكلسي الأبيض، برزت (إيبلا) أو (عبلاء) أي الصخرة البيضاء، فخورة بكنزها الخالد، من الرقم الطينية، التي شوتها، وحفظتها، نفس النار، التي دمرت المدينة، وحرقت قصر مليكها. هذه الرقم كشفت عن حقبة مجهولة وقدمتها لنا كحضارة رائعة ذات أهمية وشأن كبير.

وبعد احتلال (نارام سن) (لإيبلا). ضعف نفوذها السياسي. ولكن حياتها الاقتصادية بقيت مزدهرة نسبياً بين (200 و 600 ق. م). ومع الأيام استعادت حيويتها. وبُني سورها في هذا العهد وفيه أربعة بوابات، وشيدت المعابد والقصور. وجدد القصرا الملكي الذي أحرقه (نارام سن). وصارت (إيبلا) تحت حكم العموريين.

ولم يرد ذكر (إيبلا) في نصوص (ماري) المعاصرة لهذه الفترة. ربما لأن زعامة (إيبلا) انتقلت إلى (حلب)، التي أصبحت عاصمة مملكة (يمحاض) في شمال (سورية). ثم جاء (الحثيون) ليقضوا على تلك المملكة، ويحرقوا ويدمروا مدنها، بما فيها (إيبلا) نفسها، يقودهم الملك إما (حاتوشيلي الأول) أو (مورشيلي الأول).

مرت (إيبلا) في المراحل التالية: في العصر النحاسي، أي الألف الرابع قبل الميلاد كانت (إيبلا) قرية صغيرة، حوالي (3500 ق. م)، وفي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، توسعت وأصبحت مملكة، ذات شأن كبير، من (2400 و 200 ق. م). وحكمها خلال هذه الفترة، أربعة ملوك هم: (يجرش خلم) (Igrish Khalam)، و (يركب دامو) (Irkab Damu)، و (عيشار دامو) (Ishar Damu)، وملك رابع، مجهول الاسم، وهو الذي هزم أمام (سرجون الأكادي) أو (نارام سن) الذي دمر مدينة (إيبلا). ثم جاءت الفترة التي فقدت فيها (إيبلا) أهميتها. وتبعت مملكة (يمحاض) (حلب) بين القرنين (18 و 17 ق. م). وأخيراً القضاء النهائي عليها على يدي الحثيين عام (1600 ق. م).

وصارت (إيبلا) قرية بسيطة في العهد الآرامي (720 - 353 ق. م)

والعهدين الفارسي والهلنستي (353 - 100 ق. م)، ثم هجرت نهائياً. بعد ذلك أقيم فيها دير بسيط للرهبان (330 - 600 م)، في الجهة الغربية من التل، ثم انقطعت أخبارها حتى الحروب الصليبية في القرن (12 م)، حيثما ذكرت في سجلاتهم باسم (مرديخ هاملت). وحالياً هي أثر سياحي تجري فيها التنقيبات سنوياً للتعرف على حقبة هامة من تاريخ سورية.

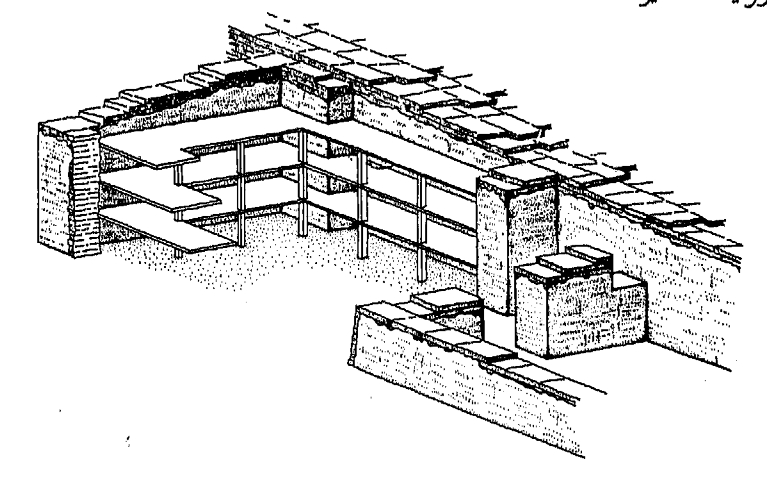
اكتشفت (إيبلا) عام (1955)، صدفة بمحراث فلاح، حينما ظهر جزء من حوض منحوت، ومزين بأشكال نافرة، ربما كان لماء التطهر، جانب منه زين برجال ملتحين، والآخر بسباع فاغرة، ويعود إلى حوالي (1900 - 1850 ق. م). حينها لم يعرف اسمها، وتوالت الاكتشافات عام (1964) على يد البروفيسور (باولو ماتييه). وبدأت آثار (إيبلا) تظهر تدريجياً، دون أن تعرف هويتها.

بعد ذلك، اكتشف تمثال نصفي بازلتي، لرجل ضاع رأسه، وقسم من كتفه. عليه كتابة أكادية سومرية مسمارية، مؤلفة من (26) سطراً. وهذه الكتابة هي أقدم لغة استعملت في بلاد (ما بين النهرين)، ومعروفة من قبل الأثريين، وكانت متداولة في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد تذكر الكتابة، بأن التمثال، هو هبة من ملك (إيبلا) (إيبيت ليم) من (أجرش حيبا) لمعبد (عشتار) في مدينة (إيبلا)، وبذلك عرف اسم المدينة.

ثم اكتشفت بين عامي (1973 و 1975) مكتبة القصر الملكي التي احترقت حينما غزاها (نارام سن) الاكادي، وبالنار التي كانت دماراً للمدينة شويت الرقم الطينية، وأصبحت مقاومة للعوامل الجوية، وبفضلها تعرفنا على حقبة من الزمن غامضة تغطي (150) عاماً بين (2400 و 2250 ق. م). وكانت الرقم مكتوبة بالأحرف المسمارية، ليست سومرية ولا اكادية، ولا أية لغة معروفة، وبعد الدراسة، والمقارنة، والترجمة، وجد أنها لغة جديدة، خاصة بـ (إيبلا)، ومشابهة للغات محلية أخرى. واتضح أنها أقدم من رقم (ماري) بـ (400 سنة) ومن رقم (أوغاريت) بـ (1000 سنة).

والمكتبة ذات أرشيف منظم، ومنسق، بشكل جيد، وكان عددها

(17030) رقم طيني، منها (2000) لوح كامل، والبقية مكسرة. وكانت هذه المكتبة، في الرواق الشرقي لباحة الاستقبال، في القصر الملكي. أطوالها (3.6 X 4 م). حفرت في جدرانها وأرضها ثقوب لتثبيت العوارض الخشبية العمودية، التي كانت تحمل الرفوف الخشبية. طول الرف (250 سم)، وعرضه (80 سم)، وعلوه عن الرف الآخر (50 سم). وكانت الرقم توضع على حرفها، مهما كان حجمها. وكل رف مخصص لموضوع. أما الألواح الكبيرة، فكانت توضع على الأرض مباشرة، تحت الرف الأسفل. وتفاوتت أحجام الألواح، ومساحتها، وشكلها. أصغرها مربع، أو مستطيل، بحجم راحة اليد (5 سم)، والمتوسط (18 سم)، وأكبرها ضلعه (40 سم). وكان أغلبها متوسط الحجم (25 سم). كما توجد ألواح مستديرة، وشكل اللوح يوحي بمضمونه، فالصلوات والأدعية، كانت على ألواح مستديرة صغيرة، والأساطير، على ألواح مستطيلة، والوثائق التاريخية، على ألواح متوسطة، ومستديرة، أو مربعة، مع زوايا مستديرة.



إيبلا ـ غرفة الأرشيف

ولغة (إيبلا) هي الأقدم بين لغات المنطقة وهي السلف العاشر للأوغاريتية والآرامية. تشبه الاكادية ولكنها أقدم منها بجيلين. وبعد الدراسة والترجمة، وجد أن سجلات المكتبة تحتوي على مواضيع سياسية وثقافية واقتصادية

وقانونية وفنية وعلمية ودينية ونصوص إدارية، ومعلومات عن تموين القصر الملكي، وأسماء أشخاص وسفراء، أرسلهم ملوك (إيبلا) إلى الدول المجاورة. وهبات للمعابد، وقوائم بأسماء الأشخاص، الذين فرضت عليهم الضرائب، وقوائم زراعية، وحيوانية، وقوائم عن المعادن، والنسج، وأخرى عن اللازورد، والخشب، وغيرهما، وتقارير عن تصدير كميات من الأثاث الفاخر، وأيضاً عن إرسال كرسي العرش إلى ملك (ماري).

إضافة إلى نصوص لغوية، ومعلومات عن الطيور، والأسماك، وأسماء مدن، وشخصيات، ونصوص تشريعية، وتاريخية، وأوامر ملكية ومراسيم وكتب رسمية، ومعاهدات ملكية، ووثائق زواج، وعقود تجارية، ونصوص أدبية، فيها قصصاً، وأساطير، وترانيم، وأدعية، وملاحم، وفهارس لتعليم اللغة السومرية الأكادية، ونصوص قواعد لغوية تشبه المعاجم، وبذلك يكون أقدم قاموس لأكثر من لغتين عثر عليه في (إيبلا).

تعتبر قوانين (حمورابي) أقدم القوانين؛ إلا أن قوانين (إيبلا) المشابهة لها وضعت قبلها. واكتشفت في (إيبلا) أقدم قصيدة تعود إلى عام (2400 ق.م) وهي أقدم من قصيدة (بلاد الرافدين) التي تعود إلى عام (2200 ق.م)

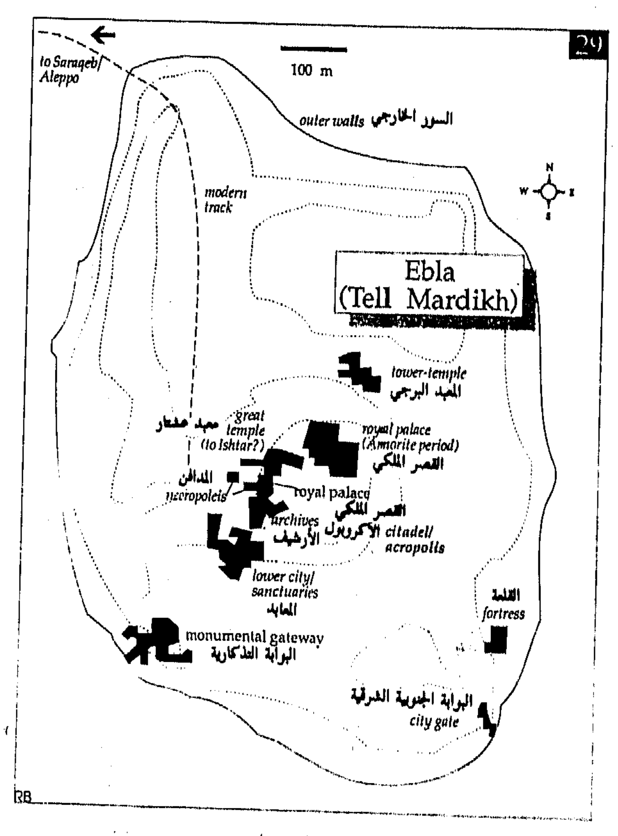
وصف إيبلا:

مساحة (تل مرديخ) أو (إيبلا) حوالي (60 كم^2). في وسطه مرتفع، هو الأكروبول. ويغطي مساحة (3 هكتار). يحيط به جدار تحصيني، توجد بقاياه في الجهة الشرقية يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

يضم (الأكروبول) المباني العامة، والقصور الملكية والمعابد. وحول مدينة (إيبلا) يوجد سور ضخم ترابي يعود إلى حوالي (1950 - 1800 ق.م). يصل ارتفاع السور في الجانب الشرقي إلى عشرين متراً. قاعدته عريضة حوالي (40 م). وسماكة الجدران (30 م). وهذا السور تكوّن من الكميات الهائلة من الأتربة التي أخذت من خنادق واسعة، خارج منطقة الأسوار، إضافة إلى أنقاض

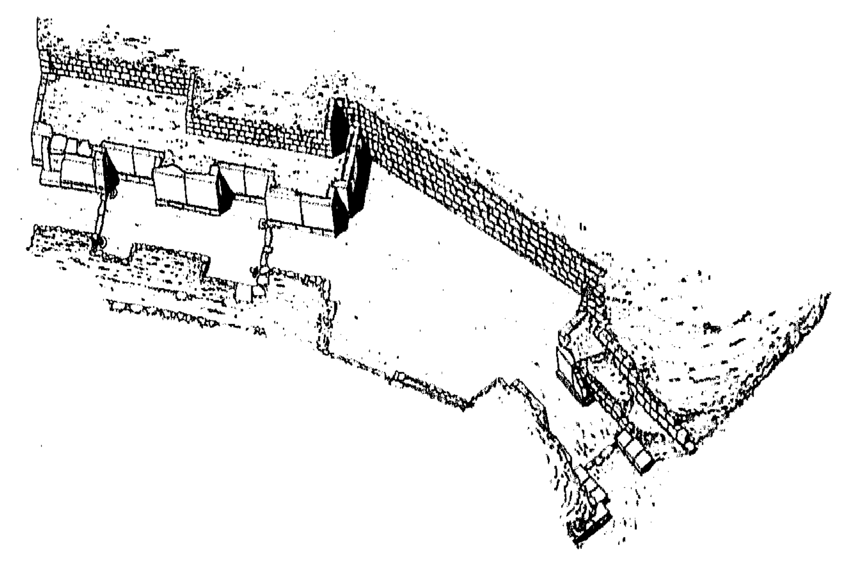
المدينة، التي دمرت في الألف الثالث قبل الميلاد. وكان هذا سبباً في ضياع آثار المدينة.

بني السور على شكل طبقات، من الأتربة، والأنقاض، والحجارة غير المنحوتة. وغطي وجهه من الأسفل بطبقة حجرية، حتى ارتفاع أربعة أمتار. أما الأجزاء العلوية فقد طليت بالجص الأبيض. وكان فيه أبراج مربعة بارزة، كما في الجزء الغربي من السور. وجدت مخازن أسلحة في أعلى السور، من الجهة الداخلية، عند البوابة الغربية، يوصل إليها درج حجري، يتألف المخزن الواحد من بناء مستطيل، مشيد بالحجارة. داخله ستة غرف ليس لها أبواب.



مدينة إيبلا

في السور أربعة بوابات: واحدة في الشمال الغربي، والثانية في الشمال الشرقي، والثالثة في الجنوب الغربي، والرابعة في الجنوب الشرقي. وكل واحدة تحمل اسم أحد الآلهة. وعلى طرف كل واحدة حصنان لهما برجان. لم يبق منها سوى البوابة الجنوبية الغربية، وهي بوابة الإله (رشف). طول البوابة الإجمالي هو (48 م). لها مدخل صغير، يأتي بعده ممر، محصور بين دعامتين مزدوجتين. ثم تأتي فسحة شبه منحرفة، ثم باب يقود إلى دهليزين محصورين بين ثلاثة أزواج من الدعامات. بنيت الجهة الشرقية من البوابة بالحجارة الكلسية الكبيرة والبازلتية. أما الجهة الغربية، فتستند على السور الترابي، وأساساته الحجرية، وتوجد جدران مدرجة. في وسطها جدار من العهد الأيوبي، بني لتحصين المدينة ضد الصليبيين، وعليه كتابة عربية.

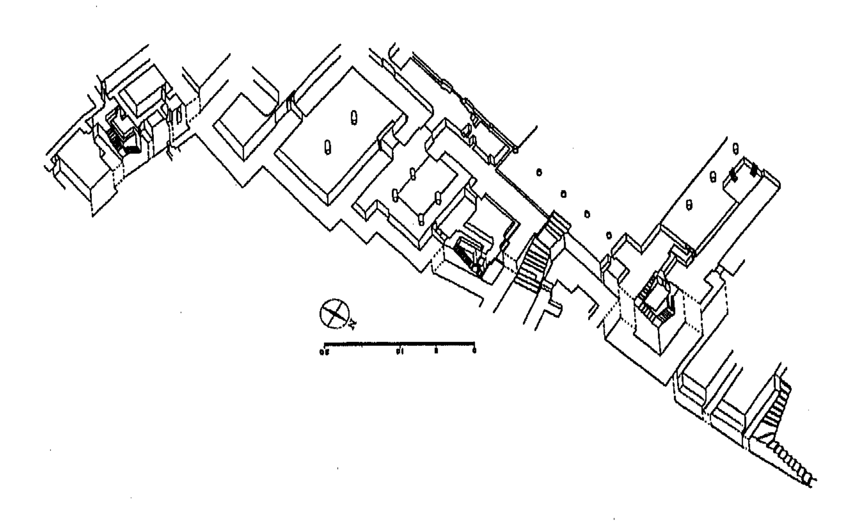


إيبلا ـــ البوابة الجنوبية الغربية

كان في (إيبلا) أربعة أحياء. وعدد سكانها كان حوالي (260) ألف على الأقل. منها (40) ألف يعيشون في المدينة والبقية بالقرى المجاورة. وكان فيها عدد من المرتزقة، ومن أسرى الحروب، والعبيد، والتجار، والمغنين.

القصر الملكي الكبير:

من الألف الثالث قبل الميلاد. يقع على المنحدر الغربي (للأكروبول). وكان قلعة المدينة. فيه قصران واحد في الشمال، والثاني في غرب (الأكروبول). كانت هذه الأبنية مغطاة بأنقاض المدينة التي تهدمت عام (1600 ق.م).



إيبلا ـ القصر الملكي الكبير

يتألف القصر من عدة أقسام أهمها: باحة التشريفات والمراسم، وهي فسحة سماوية، والساحة الرئيسية في المدينة أبعادها (50 X 27 م). جدارها الشمالي، والشرقي، بني من اللبن، على أساسات حجرية. وكان أمام هذين الجدارين رواقان تحملهما أعمدة خشبية كبيرة، وضعت فوقها قطع حجرية ضخمة. في الرواق الشمالي، منصة لعرش بنيت من اللبن المطلي بالكلس. يوجد خلف الرواق الشرقي مدخل، ودرج كبير يوصل بين الساحة وأقسام القصر في الطابق الثاني. وفي الزاوية الشمالية الشرقية من الساحة، يوجد برج أبعاده (11 X 10 م) وسماكة جدرانه (2.8 م). بني البرج حول درج ملتف

يقود إلى الطوابق العليا حيث تسكن الأسرة الملكية.

وتطل الملحقات الإدارية على الباحة، وتقع جنوب الدرج. وفيها غرفة الأرشيف التي احترقت وصارت كنزاً هاماً من الرقم المسمارية.

القصر الغربي أو قصر الأمير:

من الألف الثاني قبل الميلاد بين حوالي (1900 و 1650 ق. م) ويقع غرب (الأكروبول). أجزاؤه الجنوبية اندثرت، وبان الصخر تحتها، وهو مثال لأبنية الحضارة السورية القديمة، فهندسته كنعانية ـ عمورية يشبه قصور (آلالاخ) أي (تل عطشانة) و (قطنة) أي (تل مشرفة) وقصر (زيمري ليم) في (ماري).

وهو قصر شبه مستطيل، يمتد من الشمال إلى الجنوب، أقصى أبعاده (60 X 115 م). فيه وحدات سكنية متجاورة ومتماثلة. وكل وحدة تتألف من باحة سماوية صغيرة مستطيلة الشكل، تفتح عليها غرفتان أو ثلاث مستطيلة أيضاً، ولكنها متعامدة مع جدران القصر الخارجية. في مركزه يقع جناح الاستقبال، وهناك أدراج تقود إلى الطابق الثاني، حيث السكن والمنامة. وهذا مخالف لنظام العمارة لدى الممالك الرافدية، حيث الوحدة السكنية تتألف من باحة مركزية كبرى، منها تنطلق معظم حركة سكان القصر. وتحيط بها غرف مستطيلة وموازية للجدران الخارجية.

للقصر بوابة في الجهة الجنوبية، محمولة على عمودين. وقد رمم القصر، وعُدلت بعض أجزائه في أوائل النصف الثاني من عصر البرونز الوسيط. إذ سدت بعض الأبواب، ورممت الممرات فيه.

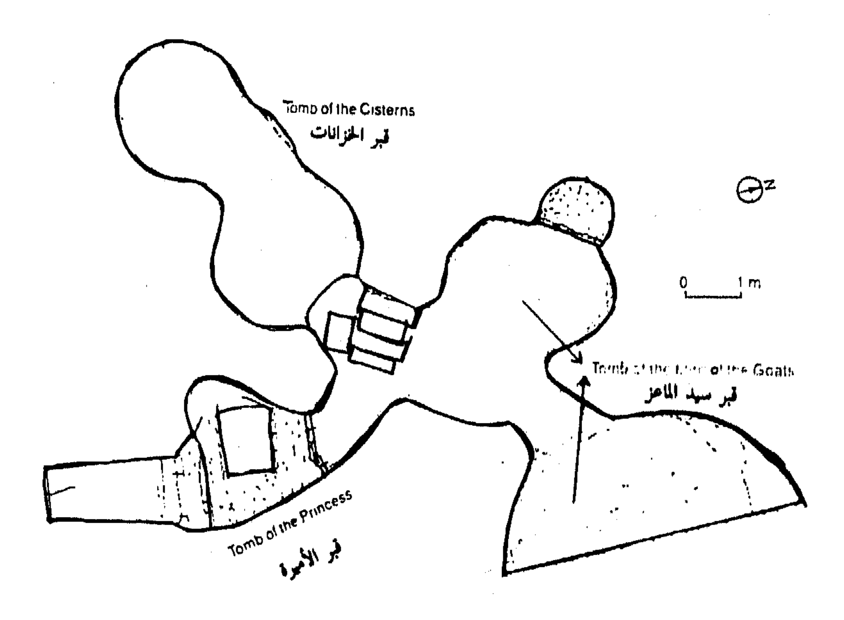
تحت أرضية غرفه، توجد كهوف صخرية، هي قبور أفراد العائلة المالكة. وتقع تحت القسم الإداري. استعملت كمدافن بين (1825 و 1650) وربما كانت لعبادة الأجداد. وجد فيها كثير من الأواني الفخارية والأسلحة والمجوهرات والأواني الحجرية والمنحوتات العاجية.

عدد المدافن ثلاثة بينها ممرات وهي:

مدفن الأميرة، وجدت فيه جثة فتاة شابة مع مجوهراتها وحليها.

مدفن الخزانات: سمي كذلك لقربه من خزانات الماء القديمة.

مدفن سيد الماعز. لوجود تماثيل صغيرة لها شكل رؤوس الماعز. ويعتقد أن (سيد الماعز) هذا هو الكاهن الأكبر للإله (رشف) إله النار، والطاعون، والعالم السفلي ورمزه تيس الماعز. كان هذا المدفن مخصصاً لأحد ملوك (إيبلا)، لوجود كلمتين مسماريتين هما (صاحبها ميا).



إيبلا ـ المدافن الملكية الأرضية في القصر الغربي

كما عثر في الجزء الشمالي من القصر على أختام أسطوانية ورقم مسمارية.

القصر الشمالي الشرقي أو قصر المراسم والاحتفالات الملكية:

من الألف الثاني قبل الميلاد. يقع شمال (الأكروبول). تهدم حوالي عام (1600 ق. م). مساحته الإجمالية حوالي (3500 م^2). اكتشف منه الجناح

الشمالي فقط. تتوسط هذا الجناح باحة مستطيلة. أبعادها (15 X 25 م)، تحيط بها حجرات من الشمال والشرق، ورواق من الجنوب. في القصر قاعة للعرش عثر فيها على بقايا قطع عاجية حفرت عليها شجرة نخيل. ورسم حاكم عجوز يعتمر قبعة بيضاوية الشكل، ويرتدي عباءة فضفاضة، ويمسك كأساً ذات فجوات محلية الأسلوب.

شمال التل توجد أنقاض قصر عموري، تحت أنقاض قصر فارسي، وآخر هلنستي. وعند مدخل (إيبلا) يوجد متحف يحتفظ بما وجد فيها من آثار.

الحياة السياسية:

غطت مملكة (إيبلا) منطقة واسعة حتى (أوغاريت) و (حما) و (قطنة) و (حمص) وجبال (الأمانوس) و (أورشو) على جبال (طوروس) وجبل (الزاوية) و (بادية الشام). أي من (البحر الأبيض المتوسط) إلى (الفرات) الأوسط. ومن سهول (حمص) إلى جبال (طوروس). وامتد نفوذها بشكل غير مباشر على منطقتي (الخابور) و (البليخ).

ايبلا احتلت (ماري) مرتين. كما عقدت معاهدة مع مملكة (أبارسال) وحكمت (ترما) و (توتول) و (إيمار) و (كركميش) و (حران) و (إريتوم). وتحالفت مع (حازوان) و (عرار) و (كاكميوم) وكلها شرق (الفرات). وكان ملك (إيبلا) يتبادل الهدايا مع ملك (خمازي). كما زارت ملكة (إيبلا) مدينة (نجد) شرق (الفرات).

وكانت (لإيبلا) علاقات قوية مع الدول المجاورة والبعيدة. وصلات وزيارات وتجارة مع (كيش) الأكادية، ومع (وادي النيل). كما دفعت (أكاد) الجزية (لإيبلا).

وذكر في رقم (إيبلا) عدد كبير من أسماء مدن تلك الأيام منها: (ماري) - (إيمار) اي (مسكنة - بالس) - (كيش) - (حران) - (جرابلس) - (كركميش) - (صوران) وهي قرب (حما) - (بيبلوس) - (مناريس) وتقع شمال (سراقب) -

(دوجان) ويشبه نطقها اسم تل (طوقان) في منطقة (أبو الظهور) شرق (إيبلا) - و (خمازي) وتقع في مكان ما شرقي (الدجلة) - و (أبارسال) في مكان ما قرب (ماري) - و (إيريتا) قرب (حران).

وما ذكر عن أسماء مدن فلسطينية أشاعها الصهاينة لاستغلال (إيبلا) في حملاتهم الدعائية، لا صحة له، ومرفوض علمياً وتاريخياً لأن (إيبلا) سبقت المملكة العبرانية بألف عام على الأقل.

وكان الحكم في (إيبلا) ملكي. يرث الابن عرش أبيه ويحمل الملك اللقب السومري (إن = EN) ويصبح الملك إلهاً بعد وفاته، تقدم له الأضاحي بانتظام. وكان الملك يقيم في القصر الذي كان سكناً له ومركزاً للحكم والإدارة. وإلى جانب الملك كان هناك مجلس للشيوخ، يعرف باللغة الإبلاوية باسم (أبّو) أي مجلس الآباء أو الشيوخ.

وكان أعضاء هذا المجلس من زعماء العائلات الغنية والمتنفذة في (إيبلا). وجدت مجالس مشابهة له في مدينتي (ماري) و (أوروك). إلى جانب الملك يوجد موظفون كبار، يحملون اللقب السومري (لوجال). وعلى رأس كل مدينة أو قرية يوجد والي أو مشرف يحمل اللقب السومري (أوجولا) (Ugula). وعادة يكون من أبناء العائلة المالكة أو المقربين أو المتنفذين في المملكة.

الحياة الدينية:

كان تنظيم (إيبلا) الاجتماعي قبلي وليس ديني. كان الملك و (15) شخصية من رؤساء القبائل يمثلون الطبقة الحاكمة. لذا كان المعبد للدين دون السياسية والاقتصاد.

عبد سكان (إيبلا) عدداً من الآلهة، بعضها محلي، وبعضها مشترك مع بلاد أخرى. وكان السكان يبنون المعابد لآلهتهم، ويقدمون لها الذبائح والأطعمة كقرابين. ويشرف على كل معبد عدد من الكهنة. وكانوا يهدونها

الفضة والذهب لصنع وترصيع تماثيل الأرباب، وعادة ما يكون تمثال الإله من الذهب أو الفضة. وكانت المعابد تدعى بيوت الآلهة. وهناك ستة من أسماء السنة سميت بأسماء آلهة من (إيبلا). كما أن التقويم الميلادي أصله أكادي من الألف الثالث قبل الميلاد.

النصوص الدينية التي وجدت في (إيبلا) قليلة، إلا أنها ذكرت ما يكفي للتعرف على حياتهم الدينية، وأسماء أربابهم، لأن في تركيب أسماء الأشخاص ، وخاصة الملوك، والأمراء، والشخصيات الهامة، اسم إله ما، مثلاً: (ميكا - إيل) و (آنّا - إيل) و (آنا - دجن). ولكن طقوس العبادة، والشعائر، والصلوات، بقيت مجهولة. وقد استمرت في المنطقة عبادة معظم هذه الآلهة خلال العهود اللاحقة.

المعابد:

يوجد في (إيبلا) عدة معابد، اكتشف منها أربعة. وكلها من الألف الثاني قبل الميلاد.

1 - معبد (شمش) وهو إله الشمس:

ويقع شرق (قصر المراسم والاحتفالات). أي في الجزء الشمالي من المنطقة السهلية. أقيم فوق أنقاض معبد أقدم منه يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. مخطط معبد (شمس) يتألف من هيكل طويل أمامه رواق واسع وردهة أمامية. وأقيمت أساسات المعبد فوق سطح مفروش بألواح اللبن ربما وضعت لتسوية أنقاض المعبد القديم. كما تمت تسوية المنحدر الغربي أسفل المعبد على شكل سطوح مدرجة حددت بكتل من الحجارة الكلسية فصارت فسحة تتقدم واجهة المعبد فيها درج يقود إلى غرف صغيرة كانت للتماثيل النذرية.

2 - معبد (حدد) إله الطقس:

وهو من أهم الآلهة التي عبدت في منطقة (حلب). أبعاده (33.3 X 20 م). ويشبه معابد (فلسطين) ومعبد (توتول) أي (تل البيعة) قرب (الرقة). ويقع

المعبد جنوب (القصر الشمالي)، مقر المراسم والاحتفالات، ولم يبقَ منه إلا القليل.

يحيط بالمعبد سور قوي سماكته شمالاً حوالي (7 كم) وفي الجهتين الشرقية والغربية ما بين (3.9 و 3 م)، وله قاعة طويلة مدخلها في الجهة الغربية لها ردهة أمامية. وتوجد مصطبة (محراب) في الجدار الخلفي.

وجد في هذا المعبد تمثال لرجل جالساً، وآخر بدون رأس، ولامرأة واقفة، وكلاهما من البازلت.

3 ـ معبد (رشف) إله العالم السفلي وإله النار والطاعون:

يقع جنوب شرق (قصر الأمير) في الجزء الغربي من المنطقة السهلية. ملاصق تقريباً لمعبد الأجداد. له ردهة أمامية، فيها مدخل غربي يقود إلى قاعة، في جدارها الخلفي مصطبة (محراب) للطقوس الدينية.

ويعتبر هذان المعبدان مثالاً لهندسة المعابد في (سورية) الطبيعية، في المرحلة الأولى من عصر البرونز الوسيط حوالي (1900 ق. م).

4 ـ معبد الأموات من الملوك والأجداد:

يقع قرب معبد الإله (رشف). جنوب شرق (قصر الأمير)، في منطقة الكهوف الأرضية المخصصة للمدافن. يحيط بالهيكل من جهاته الأربعة غرف صغيرة مختلفة الأشكال والأحجام. تتناوب بصورة غير منتظمة مع غرف مستطيلة أكبر حجماً. بالهيكل منصة من اللبن مستطيلة تقع قرب أحد ضلعي المستطيل القصيرين.

وفي غرفتين صغيرتين وجدت بعض المذابح حيث يوضع تمثال الإله فوق آجرة مركزية ثانية.

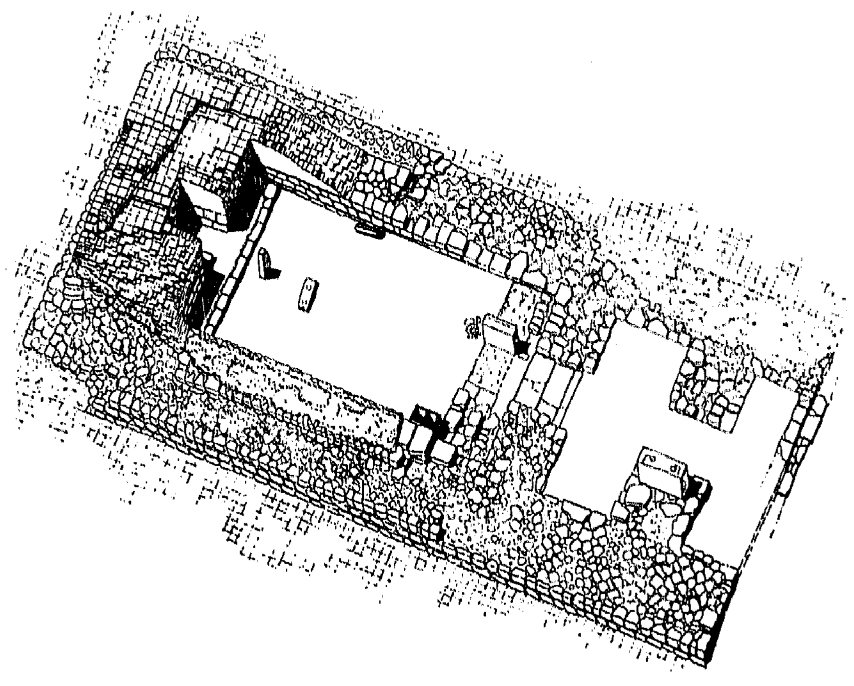
وفي غرفة كبيرة توجد مائدتان كبيرتان بازلتيتان فوقهما حجران من البازلت لطحن الحبوب، وهما للهبات النباتية.

شاعت عبادة الأجداد بين عامي (2000 و 1600 ق. م)..

5 ـ معبد عشتار ربة الخصب والجمال والحرب:

يقع على الحافة الغربية (للأكروبول). وهو نموذج للمعابد المستطيلة ذات الأروقة التي اشتهرت بها المنطقة خلال العصر البرونزي الوسيط.

أبعاده (28 X 7.20 م) وسماكة جدرانه (4 م). وجد في داخله جرن من البازلت مقسم إلى قسمين. أبعاده (0.64 X 0.79 X 1.17 م). على جوانبه الثلاثة منحوتات نافرة لرجال وحيوانات تمثل طقوس عبادة ربة الخصب (عشتار).



إيبلا ـــ معبد عشتار

الآلهة:

كان هناك حوالي خمسمائة إله كبير وصغير يعبد في (إيبلا). وذكرت الرقم أسماء ما يزيد عن الأربعين إلهاً تقدم لها الأضاحي في أوقات معينة. وقد

سموا ثمانية أشهر من تقويمهم بأسماء الآلهة، أو أسماء أعياد لها. شهر السيد أي (دجن) - شهر عيد الرب (أشتابي) - شهر عيد الرب (حدد) - وشهر (عشتار) - وشهر عيد الرب (أداما) - وشهر عيد الرب (كاميش) - وشهر البلدان - وشهر المذبح. كما سموا بوابات مدينتهم بأسماء الآلهة: بوابة (بعل) - بوابة (رسب أو رشف) - بوابة (Be) قراءة الاسم بالابلاوية مجهولة وقد يكون الإله (دجن) وبوابة (أوتو) (Utu)، وهو إله الشمس السومري، ولا يعرف اسمه باللغة الإبلاوية.

من أهم آلهتهم:

عشتار: ربة الحب والجمال والحرب، عثر في معبدها على تمثال (أبيت - ليم).

دجن: إله الغلال، ويرد اسمه في نصوص (إيبلا) باللغة السومرية بلقب (Be)، وهي اختصار لكلمة (بعلوم) أي السيد، وسميت إحدى البوابات باسمه، وعبد حتى في (أوغاريت) و (توتول) أي (تل البيعة) وسمي الشهر الأول من السنة باسمه. وكلمة (دجن) بالفينيقية والأوغاريتية تعني قمح. وبالعربية تعني: السماء الملبدة بالغيوم، المطر الغزير، القمح. وعند القرويين هي العلف والغذاء، والقمح داجن = القمح ناضج.

حدد: إله الطقس في بلاد الشام، ويلفظ بالإيبلاوية (عدا) أو (هدا) وهو إله الحرب والعالم السفلي عند الإيبلاويين.

كاميش: وهو ابن الإله (دجن) سمي أحد أشهر السنة باسمه. ومدينة (كركميش) التي هي (جرابلس حالياً) مؤلفة من (كار - كاميش). و (كار) بالسومرية تعني ميناء، أو سوق، وبذلك تكون (كركميش) تعني (سوق كاميش). في الألف الأول قبل الميلاد صار الإله الرئيسي عند المؤابيين تحت اسم (كاموش).

كورا: إله مجهول الصفات . عبد في (إيبلا)، ومدن أخرى من (سورية). كان له معبد رئيسي في (إيبلا). تقدم له سنوياً هدية من الفضة مقدارها نصف كغ لصنع قناع له. رمز لتجديد نفسه سنوياً. وكان مع الإله (كبكب) ينفذان شروط المعاهدات الدولية التي تعقدها (إيبلا) مع المدن الأخرى.

رشف: إله الطاعون والنار والعالم السفلي أي عالم الأموات. وشعاره القدم، تقوم له الذبائح عند قدميه.

نيداكول: كان يعبد في مدن عديدة، وتقدم له الأضاحي الكثيرة. بعض المدن اقترن اسمها باسمه مثلاً. (نيداكول - اتاني) و (نيداكول أمادو) أي (حما) و (نيداكول أروجاتو)... لم تعرف مكانة أو صفات هذا الإله، قد يكون إله القمر.

حيّوم: هو (أنكي) السومري و (إيا) الأكادي. إله الحكمة والينابيع والماء العذب، اسمه يعني الحياة. ويقابله (موت) الأوغاريتي وهو إله الجدب والفناء.

كبكب: أي كوكب وهو إله الكوكب.

ماليك: الذي يملك كل شيء. عبد في (سورية)، وذكر في (أوغاريت)، وفي الألف الأول قبل الميلاد صار الإله الرئيسي عند العمونيين.

عشتابي: أصله حوري.

مردوك: يعادل بعل رب الأرباب

يم: إله عموري = رب البحر.

بليخا: إله النهر يذكرنا باسم نهر (البليخ).

تيامتوم: أو تيهامتوم: ربة البحر.

بعل: رب الأرباب.

بعلتو: سيدة وهي مؤنث (بعل) وزوجة (نيداكو)، وربما هي لقب يطلق على أكثر من ربة.

أنكي: رب الحكمة السومري.

دامو: يذكرنا بكلمة (دم) المتداولة في معظم اللغات السورية القديمة، ربما هو الإله الحامي للأسرة المالكة، يظهر اسمه في أسماء الأعلام مثلا: (أمور - دامو) و (إكب - دامو) وغيرها.

أداما: إله حوري.

بردو - مادو: القوي البارد أي (الفرات).

إيساتو: ربة النار.

شالاش: ربة وزوجة الإله (دجن).

من الرّبات: أدام - توم. أشخارا حبيات، نيدكاردو،

ومن الأرباب: كاشالو، نيدلا، شاماغان، أوتو، إيداكول، عماريجو، آن أو إيل، جوبي، جراعينو،

الحياة الاقتصادية:

كانت (إيبلا) محطة على طريق الحرير. وكانت قوة (إيبلا) الاقتصادية أكبر من العسكرية، وعلاقاتها الاقتصادية أوسع من رقعتها السياسية. شملت وادي (الفرات) الأوسط حتى (ماري) قرب الحدود العراقية حالياً. ومن منطقة (دجلة) العليا وعاصمتها (كاكلوم)، وبلاد (أكاد)، وشمال بلاد (بابل)، حتى (بغداد) حالياً. وقد ورد ذكر مدينة (كيش) كثيراً في رقم (إيبلا) الاقتصادية لأنها كانت من كبريات مدن ذلك العهد.

اشتهرت (إيبلا) بالمصنوعات المعدنية، والنسيجية، والخشبية، وصنع السيراميك، وتجارة اللازورد. وعثر على كمية كبيرة منه في إحدى قاعات القسم الإداري من القصر تقدر بـ (22 كم) من اللازورد الخام. كما عثر على حلي من اللازورد، وكانت له قيمة كبيرة لذا جعل من الهدايا الملكية. وهناك نصوص عن مقايضته بمواد أخرى.

ووجدت مذكرات استلام وتسليم لبضائع ومواد مختلفة، وعقود بيع وشراء، وقوائم جرد وإحصاء، حول كميات كبيرة من الذهب، والفضة، واللازورد الموجودة في القصر.

وتاجرت بالأخشاب كالصنوبر، والسرو، والأرز، والبقس، والسنديان، والدلب، وذلك لبناء القصور والمعابد.

كانت (إيبلا) تحصل على المواد الخام محلياً، أو تستورده لتصنعه، ومن ثم تستهلكه أو تصدره بالتجارة. فكانت تستورد اللازورد من (بادا خشان) في (أفغانستان)، وبحيرة (بايكال). فكان ينقل من هناك إلى مدينة (أراتا)، وهي حالياً (شهري سوخطة)، وتقع شرق (إيران). ومن ثم إلى (أكاد)، ثم (ماري)، فـ (إيبلا).

وتعاملت (إيبلا) بالفضة التي كانت تستوردها من (جبال طوروس)، أي (جبال الفضة)، كما يسميها (سرجون) ومن (كسب)، التي تقع على أحد جبال (طوروس) واسمها بالأكادية يعني فضة (كسب، كسبوم)، ومن (ملاطية) في (الأناضول).

أما الذهب فكان يأتيها من (وادي النيل). وقد وجدت فيه مناجم في الصحراء الشرقية، وفي (النوبة) وفي (السودان). واستعملت (إيبلا) الذهب، مثل غيرها من المدن القديمة، نقداً لتبادل السلع.

وكانت (إيبلا) تستعمل الأحجار الثمينة، ونصف الثمينة لعمل الحلي لتستهلكه محلياً والبقية كانت تتاجر به مع (وادي النيل). واشتهرت بصنع الخناجر (العمورية) الذهبية والفضية حسب النموذج العموري الشائع في ذلك العصر.

أما النحاس والقصدير فكانا يخلطان ليصبحا برونزاً تصنع منه الأدوات المختلفة في الورشات الخاصة بالقصر. وكان النحاس يستحضر من (قبرص). وكلمة (قبرص) بالعربية القديمة تعني النحاس الجيد. و (كوبروم) عند الرومان يعني نحاس. أما القصدير فكان من شمال غرب (إيران).

عثر في بعض غرف القسم الإداريّ في قصر (إيبلا) الملكي، على أصداف كبيرة وصغيرة. استخدمت الكبيرة كمصابيح، أما الصغيرة فكانت لصنع العقود. وكانت تستورد من (الخليج العربي)، والمحيط الهندي، والقليل منها من (البحر الأبيض المتوسط). وطعم الإيبلاويون الأثاث الخشبي بالصدف.

استوردت (إيبلا) الخشب من جبال (أمانوس)، و (الزاوية)، و (اللاذقية). فكانت تصنعه وتزخرفه وتطعمه بالعاج أو الصدف. وتجعل منه تماثيل، أو أثاثاً منزلياً، ثم تصدره إلى الدول المجاورة.

ازدهرت صناعة النسيج واعتمدت على صوف الأغنام وخاصة الأبيض منه، وصوف (ماري) و (نجر). وكان النسيج في (بيت الصوف) التابع للقصر الملكي. كما زرع الكتان في (إيبلا) فكانت تصدر المنسوجات الصوفية، والكتانية، والمنسوجات الموشاة بالذهب والفضة. وانتقلت براعة النسيج إلى (دمشق) فيما بعد، فكان الدمسق والبروكار.

عاش في (إيبلا) عدد كبير من الحرفيين مثلاً (500) حداد و (140) نجار و (30) مغني و (23) طباخ و (9) عازف قيثارة. كما تبادلت النساجين، والحرفيين، والمغنين، والموسيقيين مع البلاد المجاورة.

والتجارة كانت بأسلوبين:

تجار يعملون في خدمة الملك وموظفيه الكبار، وتجار يعملون لحسابهم الخاص. ووجودهم في (إيبلا) غير مؤكد. وربما كانت التجارة حكراً على الملك والموظفين الكبار. ونظمت التجارة على شكل معاهدة بين بلدين، فكان على التجار أن يلتزموا بمركز تجاري منظم. وأن يدفعوا الضرائب للمدينة الأم وللمدينة الشريكة بالمركز.

في (إيبلا) وحدة وزن اسمها آنذاك (مينا) وتعادل حوالي (470 غ) مقسمة إلى (60) (شيغل) أي مثقال ويعادل (7.38) غرام. وبقيت هذه الأوزان قيد الاستعمال حتى العصر الهلنستي، وهي نفس (مينا) (أوغاريت) في الألف الثاني قبل الميلاد. وتختلف عن (مينا) الأكاديين.

غطت تجارة (إيبلا) مناطق واسعة من العالم القديم، وقد وجدت في (إيبلا) جرة زيت إيطالية من صنع ميناء (برينديزي) وعليها ختم (فيسيلي) (Vesselli)، مما يدل على التبادل التجاري بين (برينديزي) و (إيبلا) قبل الاحتلال الروماني.

واكتشفت أيضاً قطع عاجية تزيينية من (وادي النيل) وذلك للتبادل التجاري بينهما خلال القرنين (18 و 17 ق. م) وما بعد ذلك. كما وجدت آنية من حجر (الديوريت) في قصر (إيبلا) وعليها اسم (خفرع)، وحكم بين (2510 و 2485 ق. م). وعلى غطاء آنية من حجر (الباتر) اسم الملك (بيبي الأول) وحكم بين (2268 و 2228 ق. م). وكلاهما ملكان من (ممفيس) في (وادي النيل). ولأن (خفرع) أقدم من كتابات مكتبة (إيبلا) بـ (200) عاماً. لذا يعتقد بأنها كانت هدية متوارثة.

ووجد أيضاً في المقبرة الملكية في (إيبلا) صولجان قبضته من العظم، والبرونز، والمعادن الثمينة يحمل اسم (حوتب - إب - رع) وهو من ملوك الأسرة الثالثة عشر أي القرن الثامن عشر قبل الميلاد وأصله من بلاد الشام. حكم بين (1770 و 1760 ق. م) وأيضاً على أوانٍ ومصنوعات يدوية بعضها من (الألاباتر) وهي من (وادي النيل).

وعثر أثناء التنقيب على بقايا مائدة خشبية مطعمة بالصدف، وكذلك على تماثيل خشبية، كانت أجزاء تزيينية لأثاث منزلي، وقطع عاجية رقيقة لترصيع أثاث خشبي نقشت عليها أشكال إنسانية، وحيوانية، ورموز دينية. ويبدو تأثير (وادي النيل) واضحاً عليها.

لم يرد اسم (وادي النيل)، أو أي اسم لأحد ملوكه في رقم (إيبلا)، مما

يدل على أن هذه القطع وصلت عن طريق التجارة عبر (أوغاريت) ذات العلاقة الوثيقة مع (وادي النيل).

وعثر في (إيبلا) على كميات من (السبح) أو (بسيديان) والبلور الصخري. كما وجدت فيها ثلاثة أختام أسطوانية من عهد حضارة (أوروك) (3100 - 2900 ق. م).

اهتمت (إيبلا) بتربية الحيوانات، ووجدت وثيقة تشير إلى أن مجموع القطعان كان (676200) حيواناً، و (70 إلى 80) ألف رأس يملكها القصر.

الحيوانات هي: الأغنام، الثيران، والأبقار. وكانت الإدارة الإبلاوية تشرف على تعدادها، كما تستوفي رسوماً وضرائب عن الحيوانات المقتناة.

واعتنت أيضاً بالزراعة فكانت تزرع الحبوب، والخضروات، والزيتون، والكرمة، والكتان، والأشجار المثمرة. وكان لها صلات بغابات المناطق الحلبية، والجبال الساحلية، وغابات (الأمانوس).

وتاجرت (ماري) مع البلدان التالية: (إيمار) أي (مسكنة) على الفرات، ومع (أورسئوم) (Ursaum)، وموقعها غير معروف، ومع (حرّان)، ومع (كيش)،ومع (دلمون) (Dilmun) أي (البحرين). وكانت محطة بحرية هامة خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. حتى أن (إيبلا) كانت تستعمل وزناً هو (الشيغل) (الدلموني) ووزنه غير معروف. كما تاجرت مع (مارتو) (Martu) بالسومرية يعني الغرب. وبالأكادية يعني عموري، وكانت (مارتو) مشهورة بصنع نوع من الخناجر واسمه (جرماتو)، وهو خنجر عموري. كما كانت (إيبلا) مشهورة بصنعه أيضاً. وتاجرت أيضاً مع (إريتوم) (Iritum) وتقع شرق (الفرات) في مكان ما. ومع (كركميش)، ومع (حماة) (du ki - ha - a)، ومع مدن أخرى عديدة أخرى مجهولة الموقع.

الحياة الثقافية:

ارتبطت (إيبلا) بجنوب (بلاد الرافدين) حتى أنها استخدمت الطريقة المسمارية للكتابة مثلها. وكان هناك كثير من التشابه بين حضارة (إيبلا)

وحضارة (كيش) في شمال بلاد (بابل). و (كيش) أي (تل الأحمر) تبعد (80 كم) جنوب شرق (بغداد). وامتدت حضارة (كيش) حتى (ماري) على (الفرات). وسبقت الإمبراطورية الأكادية التي قامت حوالي (2350 ق. م).

وقد أخذت حضارة (كيش) الكثير عن حضارة (سومر) التي كانت في جنوب (بابل). وكان التبادل الحضاري والثقافي بين (سومر)، و (كيش)، و (إيبلا) واضحاً في الألف الثالث قبل الميلاد. ويظهر كل هذا في نظام الكتابة وأسماء الأعلام وفي اللغة المستخدمة. وفي نصوص (إيبلا)، و (تل فارا)، على بعد (60 كم) شرق (الديوانية) وتل (أبو صلابيخ) على بعد (20 كم) غرب (نيبور) السومريتين جنوب (الرافدين).

استخدم الإيبلاويون النظام العشري في الأعداد، وكانت هناك مدارس وتسلسل وظيفي حيث يذكر على الرقيم اسم كاتبه، واسم المعلم، والشيخ. وكان لمهنة الكاتب أهمية كما التاجر والحداد والموسيقى، وكان التعليم ملحقاً بالمعابد والقصور.

أما في الفن والهندسة فقد استقلت (إيبلا) فكانت لها تقنيتها الخاصة.

لغة إيبلا:

هي أقدم لغة معروفة في (سورية) حتى الآن. تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد. أول من استعملها هم السومريون. وعاصرت اللغة الأكادية علماًبأن الكتابة الأوربية بدأت في القرن السابع قبل الميلاد.

والكتابة المسمارية كانت:

1 ـشرقية: وهي الأكادية ولهجاتها.

2 ـ غربية: وهي اللغات الكنعانية والآرامية ولهجاتهما.

3 ـ جنوبية: وهي اللغة العربية والشمالية والجنوبية والإثيوبية.

استخدم الإيبلاويون الكتابة المسمارية أو الإسفينية (Cuneiform) لأنها تشبه المسامير أو الأسافين.

واختراع الكتابة المسمارية كانت تاريخاًاعتمده ا المؤرخون للفصل بين عصور ما قبل التاريخ وعصور التاريخ.

مرت المسمارية بمراحل تطورية متعددة، باختصار هي:

1 ـ المرحلة التصويرية (Pictography) وهي أقدم المراحل. يرسم فيها صورة الشيء أو جزءاً منه، فالسنبلة تعني قمحاً،والريشة تعني طيراً.

وجد منها (1000) رقيم في مدينة (أوروك) القديمة = (الوركاء) حالياً. تعود إلى (3300 ق.م).وكانت حول الشؤون الاقتصادية والإدارية.

كما وجد أيضاًلوحان صغيران من الطين غير المشوي اكتشفا في (تل براك). كما اكتشفت ألواح أخرى في (حبوبة الكبرى).

2 ـ المرحلة الرمزية (Idiogram، Logorpam): أصبحت الصورة رمزاً، أو إشارة مسمارية،تعبر عن الشيء،وعن أفكار أو معانٍ لها علاقة به. مثلاً الشمس تعني الشمس والضوء والحرارة والنهار واليوم. أي كل معنى له علاقة بالشمس.

وجمع إشارتان أو أكثر تعطي معنى جديد مثلاً: فم + خبز = يأكل، رجل + كبير = ملك.

3 ـ المرحلة المقطعية أو الصوتية (Phonetics): يأخذ الرمز صوتاً معيناًبغض النظر عن مدلوله الصوري. وكل رمز يحمل معنى أو أكثر يمكنه أن يؤلف كلمة أو جزءاً منها إن أضيف إلى رمز أو إلى رموز أخرى. وجدت من هذه المرحلة نصوص في مدينة (أور) من (2800 ق.م).

طوّر الأكاديون الكتابة المسمارية من نظام الكتابة إلى نظام كتابة مقاطع ولكن ليس بشكل نهائي.وكانوا يستخدمون ألواح من الطين بأشكال مختلفة للكتابة عليها وهي طرية، ثم تجفف في الشمس أو تشوى في الأفران لتصبح أكثر مقاومة وذلك تبعاً لأهميتها.

استخدم هذه الكتابة:السومريون ـ الأكاديون ـ العيلاميون ـ الحوريون ـ الأورارتيون ـ الإيبلاويون ـ الحثيون. وبلغ عدد الإشارات المسمارية في البداية

حوالي ألف في عام (2800 ق.م) ولكنها تقلصت مع الزمن إلى ما بين (500 - 600) إشارة في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

كتب الإيبلاويون نصوصهم بثلاثة طرق مختلفة:

1 - نصوص كتبت بإشارات مقطعية كما في التعاويذ.

2 - نصوص كتب بإشارات مقطعية مع لوغوغرامات (Logograms) أي إشارة مسمارية (رمز معين) تمثل كلمه واحدة. كما في الرسائل والنصوص التاريخية والمعاهدات والمؤلفات الأدبية.

3 - ونصوص كتبت باللوغرامات مع إشارات مقطعية مثل النصوص الإدارية.

استخدم (اللوغرام) للتعبير عن الأعداد والمقاييس والبضائع وما يتعلق بذلك من تعابير إدارية، كما في إدخال وأخراج استلام البضائع، ومعظم نصوص (إيبلا) هي إدارية تتعلق بالقصر الملكي.

أما الإشارات المقطعية فكانت للضمائر والظروف وأدوات الجر وبعض الأعداد (مئة،ألف،عشرة آلاف) ولأسماء الأعلام والبضائع التي ليس لها ما يقابلها (باللوغوغرام) السومري.

استخدم الإيبلاويون الكتابة المسمارية بطريقة تتناسب مع لغتهم مثلما فعل (الفرس) حينما استعملوا الحروف العربية لتتناسب مع لغتهم.

إيبلا والكتابة:

اكتشفت محفوظات (إيبلا) بين عامي (1974 و 1975) بعد عشر سنوات من التنقيب. تعود المحفوظات إلى حوالي (2400 - 2250 ق. م). وتمثل كتابتها مرحلة من تطور الكتابة التصويرية السومرية إلى المسمارية. ومثلها كتابات اكتشفت في موقعي (فارة) و (أبو صلابيخ) في (العراق). و (تل بيدر) في (سورية)، وهي لهجة من اللهجات العربية القديمة.

نصوص (إيبلا) كتبت بعدد كبير من العلامات السومرية وخاصة

النصوص الاقتصادية والأفعال فيها مستخدمة في صيغتها المطلقة، مثلاً المقطع السومري الذي يلفظ (Gar) يعني وضع أو سكن، ويأتي ضمن مربع، والمربع يضم في العامة جملة تامة، في هذه الجملة، وبسبب هذا المقطع، ندرك أن ثمة ما يتعلق بالسكن، ولكن لا ندري إن كان ذلك تم في الماضي أو في الحاضر أو المستقبل، أو من هو اسم الفاعل ومن هو المفعول به. وليس هناك أدوات للربط، وعناصر الجملة مبعثرة كيفما اتفق. وبهذا الوضع كانت تشبه هيروغليفية (وادي النيل).

البارة

من أكبر المدن الميتة في شمال (سورية) تعود إلى العهد الروماني البيزنطي أي القرون الوسطى. تبعد (93 كم) عن (حلب)، و (35 كم) عن (إدلب)، و (20 كم) عن (معرة النعمان). وترتفع (675 م) عن سطح البحر. اسمها بالسريانية (كفر أوبرتا) ولدى الرومان (كابروبيرا) (Kapropera). وقد وجد هذا الاسم منقوشاً على حجر مرمياً على الأرض، في منطقة الدير، شرق (البارة). وسماها الصليبيون (بارات)، أما العرب فدعوها (كفر بارة) أو قلعة (الدرقس).

تقع (البارة) على السفح الغربي لجبل (الزاوية) في محافظة (إدلب). أبعادها حوالي (3 X 2 كم) وموقعها استراتيجي كطريق وحيد بين (أفاميا) و (أنطاكية). كما أن مياهها غزيرة، ومواسمها سخية، وصناعاتها الغذائية جيدة مما جعلها مزدهرة وغنية.

عرفت (البارة) منذ القرن الثاني قبل الميلاد ووصلت ذروتها في القرنين (5 و 6). كانت (البارة) تحت حكم البيزنطيين حتى مجيء (الفرس) عام (614 م). فتعرضت لغزوهم، ولكنهم غادروا (سورية) عام (628 م). وفي عام (636) غزا العرب (سورية)، وانتصروا في معركة (اليرموك) على الروم البيزنطيين واحتلوا (حلب)، وبعد عام استولوا على (البارة). وبقي السكان النصارى فيها لتسامح المسلمين معهم. وأصبحت (البارة) على الحدود بين العرب والروم، وكانت الحرب سجالاً بينهم.

في عام (964 م)، احتل الروم (أنطاكية) و (البارة). وبقوا فيها حتى عام

(984) حينما استرجعها العرب. وصارت مركزاً للأسقفية حتى عام (1081 م)، حينما ألغي ذلك المركز بسبب الصراع عليه.

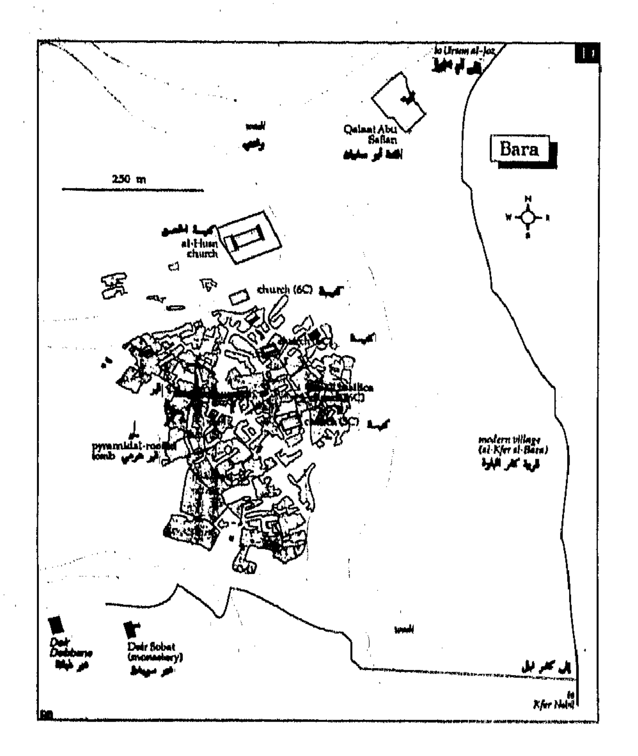
بدأ الصليبيون عام (1097) غزو (البارة) بقيادة (بيموند وروبير دو فلاندر). وفي (25) أيلول (1098) احتلوها بقيادة (كونت تولوز ريموند دوسان جيل) الذي صار (كونت طرابلس) فيما بعد. وكانت (أنطاكية) قد سقطت قبلها بأقل من أربعة أشهر. وجعلوا من (البارة) مركزاً دينياً لاتينياً، وذلك بتنصيب (بطرس الناربوني) رئيساً للأسقفية، منتهزاً فرصة اختفاء الأسقفية الشرقية منها منذ عام (1081 م).

ففي عام (1104 م) أخذ العرب (البارة)، ثم عادت للصليبيين. وبتاريخ (28 حزيران 1119 م)، جرت معركة (السهل الدامي) أمام (تل عقبرين)، حتى (الدانا) قرب (باب الهوى)، بين قوات أمير (حلب) (الغازي)، وبين الصليبيين فأبادهم. وفي شهر حزيران (1123 م) احتل العرب (البارة)، ولكن الصليبيون استردوها. وأصبحت عربية نهائياً، حينما حارب (نور الدين زنكي) الصليبيين وانتصر عليهم في (أيلول 1148 م) على سفوح جبل (الزاوية).

وبسبب هذه الحروب المتواصلة ونتائجها، ضعف اقتصاد (البارة)، وبدأ السكان يغادرونها، كما أصابها زلزال عنيف عام (1157 م)، وهدم المدينة، فهجرها سكانها، لتصبح مدينة ميتة.

اقتصاد البارة:

كانت البارة تزرع أشجار الزيتون والجوز واللوز والتين، والسمسم، إضافة إلى الحبوب بأنواعها. وأهم زراعاتها الكرمة التي كانت تُستخرج منها أشهى الخمور لتصديرها إلى العاصمة البيزنطية (القسطنطينية)، وغيرها. كما عصروا الزيتون، واستخرجوا منه أنقى زيت، استعملوه للغذاء والإنارة، وكانت معاصر الزيت والعنب، تبنى تحت الأرض، لإخفاء العمال خوفاً من سوقهم للحرب.



مدينة البارة

إضافة إلى الزراعة، كانت لديهم صناعة النسيج والحياكة، وصنع الأحذية، والنجارة والخزف. وكانت المحاصيل الزراعية والصناعية تصدر إلى (أفاميا) و (أنطاكية)، بينما كانت تستورد من الأخيرة القرميد والخشب، من أجل بناء البيوت والكنائس والقبور. وصار أهل (البارة) أغنياء جداً، وظهر ذلك فيما تركوه من آثار فخمة.

ثراء سكان (البارة) والتبادل التجاري مع أكبر المدن، جعل سكانها على احتكاك مع ثقافات ومبتكرات الآخرين وأخذوا بها. وتدل كنائسهم الفخمة، والمدارس الملحقة بها، وقاعات الأعراس والاحتفالات على مدى الرفاهية المادية، والاجتماعية، والثقافية التي بلغوها. وكان سكانها حوالي عشرة آلاف نسمة في ذلك الوقت. ورغم كل هذه الفخامة إلا أن المدينة كانت ذات طرق

ضيقة ومساحات صغيرة. وحينما انقطعت الصلة بين (البارة) و (أنطاكية) توقفت عن استيراد القرميد والخشب، فأصبح العمران متواضعاً، وصار السكان يسقفون بيوتهم ببلاطات من الأحجار، يصل طولها أحياناً إلى أربعة أمتار.

آثارها:

تمتد آثار البارة من الشمال إلى الجنوب، وهي:

الكنائس:

يوجد فيها عدد من الكنائس اكتشف منها خمسة فقط، أهمها ثلاثة على شكل (إيواني: بازليكي) أي لها ثلاثة أجنحة سقوفها منهارة وزخارفها بسيطة. وقد نقش اسم المسيح على سواكفها، والكنائس الخمسة هي:

1 ـ كنيسة كبيرة تقع في شرق المدينة وتعود إلى القرن (4 أو 5 م). وأطوالها (17 X 25 م).

2 ـ كنيسة أصغر من الأولى، وقريبة منها. بسيطة البناء وإلى جانبها دير. وقد اكتشف الأب (فوكيه) عام (1862 م) هاتين الكنيستين.

3 ـ كنيسة تقع في الشمال الشرقي من الكنيسة الأولى وتبعد عنها (160 م) قرب محيط المدينة، وهي من القرن (4)، ومن أكبر الكنائس في (البارة) وأفخمها، وأطوالها (36 X 50 م). ويسميها سكان المنطقة (بالحصن). يحيط بها سور طوله (100 م) وعرضه (60 م). وهي غنية بالزخارف والتيجان. ويعتقد أنها بنيت فوق أنقاض معبد وثني. ولها أروقة جانبية وممرات علوية.

4 ـ والرابعة تقع جنوب الكنيسة الثالثة وعلى بعد (50 م). أطوالها (15 X 25 م). وتعود إلى القرن السادس الميلادي. اكتشفها مع الكنيسة الثالثة الأب (ماتيرن).

5 ـ كنيسة أخرى صغيرة الحجم. تبعد (100 م) جنوب الكنيسة الرابعة. والدمار فيها شامل. اكتشفها المهندس (تشالنكو) في (1940 م).

إضافة إلى هذه الكنائس الخمس توجد آثار ثلاثة كنائس مهدمة. كما

توجد أرض واسعة يسميها السكان (الدير)، وتقع شرق (البارة). وهي محاطة ببقايا أعمدة وأحجار أثرية. ويعتقد الأب (ماتيون) أن هذا المكان كان ديراً وكنيسة. وقد اكتشف فيه (برانتايس) عام (1902) حجراً نقش عليه اسم (البارة) الروماني (كابروبيرا).

الفيلات:

يوجد منها عدد كبير، انتشرت في الحي الغربي من المدينة. وكانت سكناً للأغنياء. وتتألف الواحدة من طابقين، يتقدم بعضها رواق. لم يستعمل فيها أي نوع من الملاط. أسقفها من القرميد المستورد، وكان يستند على منجور خشبي، لها أروقة محمولة على أعمدة مزخرفة، وشرفات حجرية، ونوافذ من كل الجوانب، وقد استعملوا العقود والأقواس والأعمدة. وكانت النقوش والشعارات الدينية تزخرفها. فوق الأبواب بلاطات بارزة للحماية من الأمطار. وبعض هذه الفيلات لا تزال بحالة جيدة، بينما الأخرى تهدمت بسبب الزلازل. أفضلها يقع غرب القرية ما زال بحالة جيدة لأن أحجاره لم تقلع كلها ويدعى (دير سوباط).

دير سوباط:

يقع على بعد (400 م) جنوب غرب (البارة). وهو فيلا تعود إلى القرن السادس الميلادي. وتتألف من طابقين: الأرضي ويتضمن أروقة تطل على باحة واسعة مربعة الشكل. فيها غرف كثيرة، وقاعتان واسعتان وغرف طعام مجاورة للمطبخ، وكانت الغرفة الشرقية للقداس. فوق كل باب توجد بلاطة كبيرة مزخرفة على شكل مظلة للحماية من الأمطار. وكان الباب من الحجر السميك المنقوش. ولثقله لا يتمكن سوى الكبار من فتحه، فيبقى الصغار آمنين في الداخل.

وقد ذكر المؤرخان (كانيا) و (شابو)، في كتاب لهما عن الآثار الرومانية، نموذجين للبيت الروماني الريفي في العالم. أحدهما كان فيلا (دير

سوباط) والآخر فيلا في (إنكلترا).

(دير سوباط) هو مزرعة مع ملحقاتها في أقبيتها معاصر للزيت والزيتون. وفوق إحدى المعاصر كتابات لاتينية تشير إلى إله الخمرة اليوناني. رغم أن البناء مسيحي: «هذا الخمر اللذيذ الذي ترونه هو عطاء من (باخوس)، ومن ثمرة كرمة غذتها شمس دافئة». يوجد ديران آخران في جنوب (البارة). الأول دير (دبانة) والثاني (الدير). وكلاهما بحالة سيئة من الخراب.

مساكن عامة الشعب:

يتألف البيت من طابقين أرضي مساحته صغيرة، أبوابه مزخرفة بالشعارات الدينية وكانت المساكن متلاصقة، ولكنها تهدمت بفعل الزلازل.

المدافن والمقابر:

هندسة المدافن نادرة لأنها ضخمة مبنية من الحجر، وتتألف من قاعدة مكعبة وغطاء هرمي. ولها أروقة، وأقواس، وأعمدة، نقوشها متنوعة، وزخارفها جميلة. وفيها نقش صلبان واسم المسيح وتعود إلى القرنين الخامس والسادس.

توجد ثلاثة مدافن هي:

1 ـ مدفن كامل تقريباً: قاعدته مربعة طول ضلعها (6 م) وارتفاعها (2.5 م)، والغطاء الهرمي من الحجر المنحوت، وبأعلى القاعدة شريط زخرفي من أوراق شوكة اليهود (اكانتس). وفيها زخارف مسيحية، وفي الزوايا زخارف كورنثية.

يقع المدخل في الجهة الجنوبية، فوقه فتحتان، وفي الداخل خمسة توابيت (Sacrophagi) مزخرفة، أفضلها حفظاً هو الثاني الصغير.

2 ـ المدفن الثاني: مهدم.

3 ـ المدفن الثالث: وهو أضخمها وأجملها طول ضلع القاعدة (9 م). وهرمه مهدم وارتفاعه الكلي (15 م). يزين جدران القاعدة أطناف ثلاثة، مزخرفة باللبلاب، والنباتات الملتفة. وحولها إطار مزين. وتوجد نوافذ في كل

جانب من القاعدة، ويقع الباب في الجهة الجنوبية.

اكتشف الأب (فوكيه) قبراً تحت الأرض، منقوراً في الصخر، له درجات، كتب على بابه باليونانية: (اكسانتيكوس) من العام (728 م) (مالخوس ابن كوراس). وهذا تقويم يوناني كان متبعاً في ذلك الحين ويقابل (6 نيسان) عام (417 م).

كما توجد في (البارة) قبور حجرية لها أغطية.

المقبرة الإسلامية:

تعود إلى القرنين (5 و 6 هـ = 11 م). وهي متواضعة، وشواهد قبورها مكتوبة بالخط الكوفي.

المعاصر:

كل المدن الميتة البيزنطية مزودة بمعاصر زيتون وعنب. وأغلبها لم تكتشف بعد. ومعاصر (البارة) تختلف عما في المدن الأخرى، لأنها منقورة في الصخر، بباطن الأرض، ولها فتحة، كان العامل يقذف ثمر الزيتون أو العنب فيها، فتتدحرج إلى مكانها في المعصرة، فيوفر بذلك الوقت والجهد.

التحصينات:

لم تكن (البارة) محاطة بالأسوار، بل بأخاديد وعوائق طبيعية. وفي جنوبها الغربي، توجد أبنية كبيرة هي كتلتها الدفاعية كما كانت قريتي (مجليا) و(بترسا)، نقاط دفاعية أخرى وتقع على بعد (4 كم) جنوبها.

قلعة أبو سفيان:

ويسميها السكان (البرج). تقع في الجهة الشمالية الشرقية. وهي من أقدم القلاع، وتعود إلى القرن (11 م). ومن أوائل العمارة العسكرية قبل مجيء الصليبيين.

يحيط بها سور مزدوج، له فتحات على شكل شبه المنحرف. فيه برج ضخم، ارتفاعه (15 م)، وبقايا برجين آخرين.

منشآت عامة:

قسم كبير منها تهدم بفعل الزلازل والحروب، وأخرى لم تكتشف بعد. وقد ذكر الأب (ماتيرن) أن واحدة من الزوايا الإسلامية الخمسة في (البارة) هي قسم من حمام عام، حوّل إلى زاوية للصلاة والتعبد.

مصادر المياه:

سقت (البارة) أراضيها وحقولها من آبار عدة، ومن صهاريج ماء منقورة في الصخر، تخربت أو ردمت فيما بعد. وقد ساعد توفر المطر، ومياه الينابيع، والصهاريج على ازدهار الزراعة فيها.

كشف عن بئر يقع شرق قلعة (أبو سفيان) على حافة الطريق ويسميه السكان (جب علوان). كما يوجد بئر آخر جنوب (البارة)، واسمه (جب مكييرة)، وهناك آبار أخرى في منطقة المغارة، تجري مياهها تحت الأرض.

النصوص:

وجدت في (البارة) نصوص كتابية باللغات اليونانية، والسريانية، واللاتينية، منها النص الذي يمدح جودة نبيذ (البارة)، ونص باللغة العبرية لتواجد مجموعة قليلة العدد من اليهود فيها. وكذلك نصوص عربية كوفية على شواهد القبور، وفي بعض الزوايا الدينية. منها نص هو أقدمها ويعود إلى (451 هـ أي 1059 م). وأقدم نصوص الزوايا يعود إلى (497 هـ = 1103 م).

أماكن هامة قرب البارة:

مريان: فيها مدافن قبوية أمامها أروقة.

دلوزا: قرية تحيطها الآثار البيزنطية.

سرجيلا: بلدة قديمة تشرف على الهضبة الوسطى، شرق البارة على بعد (7 كم). فيها حمام أطواله (8 X 16 م)، أرضه مفروشة بالموازييك، بني عام (463 م) حسب الكتابة اليونانية الموجودة على الباب، ويوجد مرابض ومعالف وحلقات لربط الحيوانات.

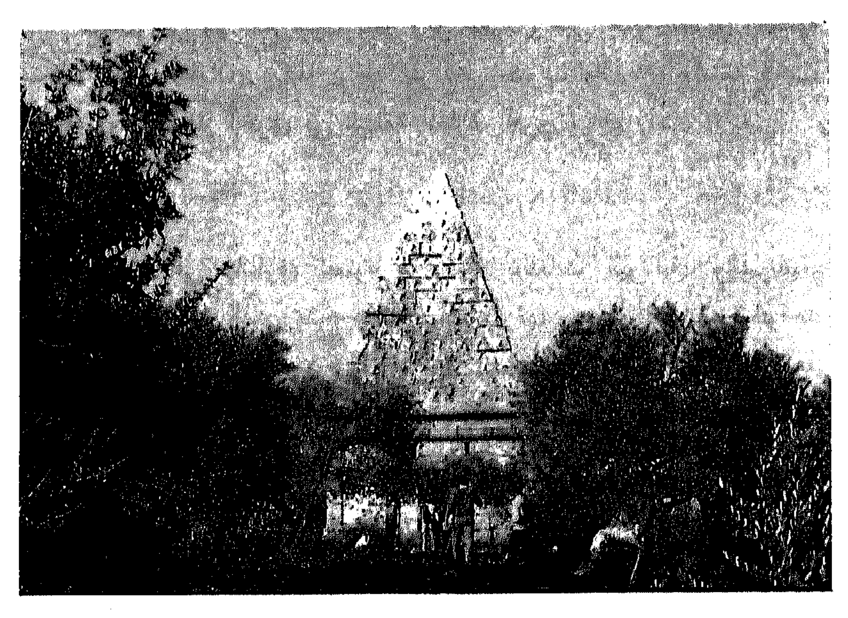
ربيعة: على بعد (2 كم)، جنوب غرب (البارة). فيها (بيت عماد)، وضريح هرمي.

حساس: فيها كنيسة إيوانية، ومدفن هرمي، تبعد (10 كم) عن (البارة).

خربة حساس: فيها ستة كنائس. ومدافن قبوية لها أروقة.

مجليا: على بعد (4 كم) من (البارة) فيها حمام. بقي منه جدران أربعة. أرضية المشلح مفروشة بالموازييك الجميل وفيها رسم سمكة.

كفر رمة: غرب (معرة النعمان)، وآثارها بسيطة وفيها جسر قديم.



البارة ـ قبر هرمي

بصرى

تبعد حوالي (115 كم) عن (دمشق)، عبر (درعا)، وحوالي (125 كم) عن (دمشق) عبر (السويداء)، و (40 كم) عن (درعا)، و (35 كم) عن (السويداء). ترتفع (850 م) عن سطح البحر. تقع في أحد سهول (حوران)، وهو سهل (النقرة) على أطراف (اللجاة)، قرب وادي (الزيدي) شمالاً، ووادي (البطم) جنوباً، وهما من روافد نهر (اليرموك). وكلمة (بصرى) تعني الحصن باللغة العربية القديمة.

ذكرت باسم (Bosrana) في ألواح (تل العمارنة).

سكنها العمالقة العرب منذ أربعة آلاف سنة، أي في عصر البرونز الأول. وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد (323 ق. م) أصبحت تحت حكم (الهلنستيين). وسميت (بوصورا) (Bossora).

وفي القرن الأول قبل الميلاد حكمها النبطيون، وصارت عاصمتهم الشمالية في عهد الملك (رئبال الثاني)، وحكم بين (70 و 106 م)، بينما كانت (بترا) عاصمتهم في الجنوب. وأصبحت مركزاً تجارياً هاماً لأنها كانت على طريق القوافل. ثم نقل (النبطيون) عاصمتهم نهائياً من (بترا) إلى (بصرى) في عهده أيضاً.

وفي عام (105 م) احتلها الرومان بعهد الإمبراطور (تراجان) (Trajan)، وحكم بين (98 - 117 م) بقيادة (كورناليوس). وأطلق عليها اسم (بصرى تراجانا الجديدة) (Nova Trajana Bostra). أعاد الإمبراطور إعمارها لتصبح عاصمة (المقاطعة العربية الرومانية) (Provencia Arabia)، المؤلفة مما يسمى

الآن (حوران)، و (الجولان)، و (شرق الأردن). ووضع فيها حامية مؤلفة من (5000 جندي) هي (الفرقة البرقاوية) التي أنشأها الإمبراطور (هادريان) (Hadrian). كما أنه رصف الطرقات، وجعل فيها محطات للحرس ، ومرابط لخيولهم، وشواهد مسافات، واحدة كل مئة خطوة، ومراكز لتموين القوافل.

وفي عهد (إسكندر سفيروس) (Alexander Severus) وحكم بين (229 و 235 م) ازدهرت زراعياً وتجارياً. وفتح لها طرقاً رئيسية بين (بصرى) و (عمان) حتى (الخليج العربي)، ومن (بصرى) إلى (حيفا) فالبحر، وإلى (دمشق) و (تدمر). ومنحت (بصرى) لقب (مقاطعة بسترا) (Colonia Bostra) ووصلت ذروتها في عهد إمبراطور (روما) (فيليب العربي) (Marcus Juluis Philippus). وأصله من (شهبا). حكم بين (224 و 249). وأصبحت مدينة رئيسية (Metropolis). لها نقدها الخاص، وصارت مركزاً للعلم والصناعة والتجارة. كما أصبحت مخزناً لغلال الإمبراطورية الرومانية، لوفرة سهول (حوران) بالحبوب، من قمح، وشعير، وعدس، وحمّص وغيرها.

بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، حافظت (بصرى) على أهميتها كمحطة على طريق القوافل، كما لعبت دوراً هاماً في بداية المسيحية. وصارت في العهد البيزنطي مقراً للبطركية، وبنيت فيها عدة كنائس. وظهرت حينئذ دولة (الغساسنة)، وأشهر ملوكهم كان (الحارث بن جبلة) الذي اشترك في الحروب بين الفرس الساسانيين والعرب (المناذرة)، كما حارب البيزنطيين للخلافات المذهبية بينهما. إذ كانت أغلب القبائل العربية وعلى رأسهم (الغساسنة) تؤمن بأن للسيد (المسيح) طبيعة واحدة أي (إله) (Monophysitism). وبعضهم الآخر آمن بأن (للمسيح) طبيعتين فهو (إله وبشر). وشارك في هذه الخلافات أساقفة (بصرى) الذين ساهموا في مجمع (أنطاكية) ومجمع (القسطنطينية) ومجمع (أفسس)، ومجمع (خلقيدونيا). وفي مقدمتهم رئيس أساقفة (بصرى) في عام (360 م)

(تيطس)، وكان مثقفاً، وعالماً، وفيلسوفاً.

زارها (محمد) (صلعم) قبل أن يصبح نبياً مرة مع عمه وأخرى بمفرده خلال رحلاته التجارية. وتعرف على (بحيرة) (Baheira) الراهب (النستوري) الذي تنبأ له بالنبوّة. وكانت أول مدينة (سورية) آمنت بالإسلام، عندما دخلها المسلمون عام (632 م)، بعد قتال مع البيزنطيين في معركة (أجنادين)، حينما حاصرها (شرحبيل بن حسنة) أولاً، ثم (خالد بن الوليد)، فاستسلمت له صلحاً، بعد أن قبل حاكمها (رومانوس) شروط الصلح. وأطلق عليها (خالد بن الوليد) اسم ميناء (الشام) و (العراق). وصار السكان يدخلون في الإسلام تدريجياً. وحينما مر بها الخليفة (عمر بن الخطاب)، أمر ببناء أول مسجد في سورية، وسمي بالجامع (العمري) نسبة إليه،وكان آتياً إلى (سورية) لتنظيم شؤون إدارتها.

بعد دخول الإسلام أصبحت (بصرى) ذات أهمية دينية، لأنها كانت على طريق الحج، بين (دمشق) و (مكة). فكان الحجاج يأتون (دمشق) من كل الجهات ليمضوا فيها ثلاثة أيام، ثم ينطلقون إلى (بصرى) بينما كانت قوافل العراق تأتيها عبر (صرخد) أي (صلخد). فيتجمع الحجاج ليبقوا أربعة ليال فيها يتزودون بالطعام والماء ثم يتابعون سفرهم إلى (مكة).

كانت (سورية) تحت سيطرة السلجوقيين في (دمشق) حينما بدأت الحروب الصليبية. و (بصرى) كانت ذات أهمية استراتيجية خلال حكم الأيوبيين ومن بعدهم المماليك. فالملك (العادل أبو بكر بن أيوب) وهو أخو (صلاح الدين الأيوبي) عاهد نفسه على أمرين: الأول أن يحافظ على انتصارات أخيه ضد الصليبيين، والثاني: أن يدافع عن الأراضي العربية المترامية الأطراف. لذلك تم بناء قلعة حول المسرح بين (1147 و 1151 م) مما جعلها حصناً منيعاً. وحينما حاول الملك (بودوان الثالث) الصليبي احتلال (بصرى) عام (1147 م) فشل كما حصل في محاولته الثانية عام (1151 م).

حصّن الأيوبيون القلعة بين عامي (1202) و (1251) بشكل جيد،

وحينما حاصرها الصليبييون عام (1217 م) بقيادة ملك (القدس) (بودوان الخامس) فشلوا أمام تلك التحصينات التي دعمها فيما بعد (الظاهر بيبرس المملوكي، وصد (المغول) عنها عام (1250)، ورمم القلعة والمدينة بعد أن أصيبت بأضرار جسيمة.

اشتهرت (بصرى) في القرن (15) بالعلم ولقب علماؤها (بالبصراوية). وكانت ما تزال مركزاً هاماً على طريق الحج.

وفي عهد العثمانيين أهملت المدينة، والقلعة. فتداعت الأبراج والأسوار، وانهارت السقوف، وتحطمت المدرجات. وفي بداية القرن (19)، أصبحت (بصرى) مجموعة خرائب عدا بضعة بيوت تجمعت حول الباب النبطي وأعمدة السقاية.

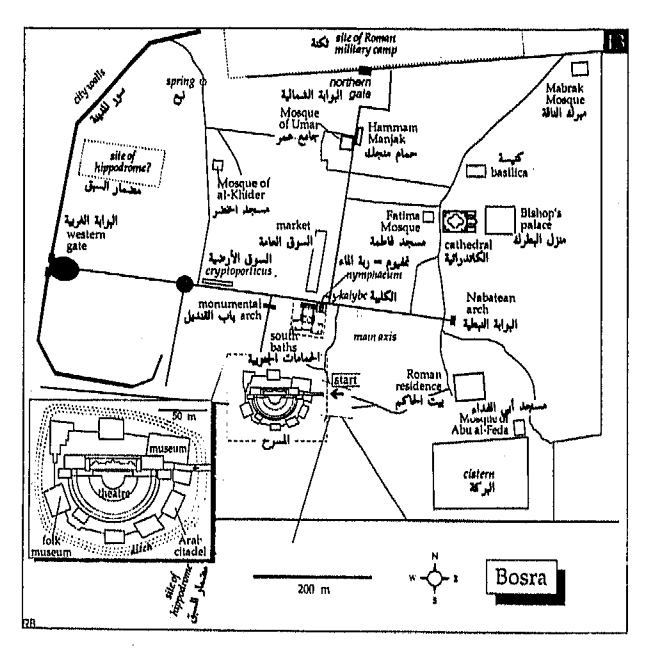
سكنها دروز لبنانيون حينما تركوا بلدهم بعد خلافهم مع المسيحيين بين عامي (1840 و 1860). وفي عهد الاستقلال، استعادت (بصرى) نشاطها، وأصبحت ذات أهمية سياحية، وعلى مسرحها، بعد ترميمه، صارت تقام سنوياً مهرجانات فنية، تشترك فيها فرق عالمية.

وصف المدينة:

مخطط (بصرى) يوناني - روماني، مستطيل، تتقاطع فيه الشوارع المتعامدة، أحاطها سور على شكل قوس، حدبته جهة الشمال، وضع الأنباط أساساته، ارتفاعه (10 م)، وعرضه (4 م). وكانت له أبواب متقابلة عريضة ومزخرفة بالأعمدة والأروقة.

قسمت المدينة إلى أحياء هي: الحي السكني الشعبي، ويقع في الغرب، وهو من العهد الآرامي. والحي الإداري، ويقع في الشرق، ويعود إلى العهد النبطي من القرن (3 و 2 ق. م). والحي الأوسط، ويقع بينهما، يبدأ في الشمال حيث المعسكر، والسكن العسكري، وينتهي في الجنوب. ثم الحي الديني وهو مركز المعابد. وحي التسلية وفيه الحمامات والمسرح، وقاعة الطرب، وميدان

الفروسية في جهة الجنوب. والشارعان الرئيسيان في المدينة هما (دوكيومانوس) (Decumanus) و (كاردو) (Cardo) لهما أروقة معمدة مسقوفة، توضعت خلفها المخازن، والحوانيت، والمنشآت العامة.



مدينة بصرى

آثار بصرى:

باب الهوا:

من القرن (3 م)، بني بعد بناء الأسوار لأنه يختلف بطرازه عنها. عرضه (4 م) وارتفاعه (10.5 م). يتألف الباب من قسمين يعلو أحدهما الآخر. يستندان على ركائز مزينة بمحاريب من الداخل والخارج، وعلى الطرفين برجان. بعد البوابة توجد بقايا ساحة بيضوية الشكل، فيها قواعد وتيجان أعمدة من الطراز الإيوني، كانت جزءاً من رواق الشارع في العهد الروماني. وهناك بقايا للسور الأصلي على طرفي البوابة.

التترابيلون (Tetrabylon):

هي ساحة دائرية، تقع عند تقاطع شارع ممتد من الشمال إلى الجنوب، مع شارع متفرع عن الشارع المستقيم يتجه نحو الجنوب بانحراف قليل. وفي مكان الالتقاء بقايا أربعة أعمدة هي (التترابيلون).

السوق الأرضية (Cryptoportico):

من النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وهو مستودع تحت الأرض. له باب في الجهة الغربية. كانت البضائع تخزن فيه ليلاً، وتغلق عليها الأبواب. أطوال المستودع (4 X 106 م) ارتفاعه (4.5 م) وسقفه معقود. فيه أربع وثلاثون نافذة في الجدار الجنوبي للتهوية والنور. وفي الجدار الشمالي ستة أبواب تفتح على الساحة العامة (الفوريوم) التي أقيمت فيما بعد. وهذا الجدار زين بمحاريب مستطيلة.

كان في الطابق العلوي رواق تطل نوافذه على الساحة الرئيسية (الفوريوم) من جهة الشمال. أما في الجنوب، حيث الشارع المستقيم، فكان هناك رواق آخر. تيجان أعمدة السوق أيونية.

قوس النصر أو باب (القنديل) (Lantern):

من بداية القرن الثالث الميلادي، يقع عند تقاطع الطريق الرئيسي (Decumanus) من الشرق للغرب مع الطريق الرئيسي الآخر (Cardo) وهو من الشمال إلى الجنوب ويقود إلى المسرح. بني على شكل ثلاثة أقواس، الأوسط فيها أعلاها يرتفع (13 م). وعادة ما يحاط هذا القوس بمثلث تزييني (Triangular Pediment). واجهة قوس النصر الشمالية لا بأس بها. بينما تهدمت الجنوبية بفعل الزلازل.

على الواجهة الغربية كتابة يونانية تشير إلى أنه أقيم لذكرى انتصار (جوليوس جوليانوس) قائد الفرقة (البارتية) الأولى المنسوبة إلى (فيليب العربي). وعلى العمود الأيمن فيه توجد كتابة تؤرخ بناءه لذكرى الفرقة الثالثة (III Cyrenaica Legion) التي كانت تعسكر في (بصرى) منذ (123 م) ولذكرى (كورنيليوس بالما) (Cornelius Palma).

أرضية هذا الشارع مبلطة بالحجارة، وفيه رواق أعمدته (إيونية)، من الحجر الكلسي وهي أول ما استعمل في المدينة.

الطريق المستقيم (Decumanus):

طوله (900 م) وعرضه (8 م) وعرض الرواق (5.5 م) وخلفه تقع المخازن والمحال العامة، للأعمدة تيجان إيونية.

معبد حوريات الماء (نمفايوم) (Nymphaeum):

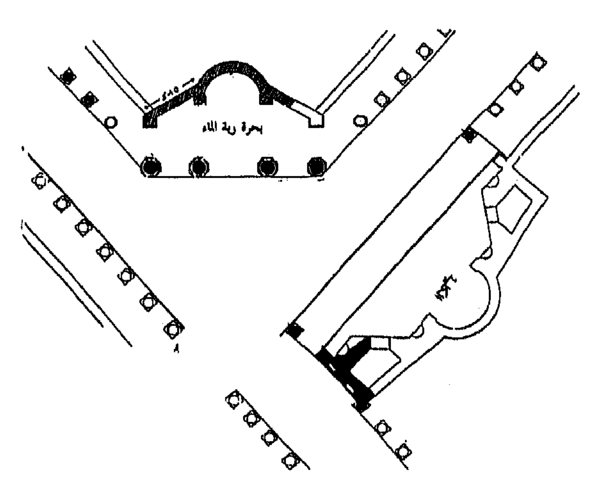
من القرن الثاني. بعد باب (القنديل) يوجد شارع يتعامد مع الطريق المستقيم. أمام الزاوية اليسارية أربعة أعمدة هي بقايا واجهة البركة المائية التي كانت تسقي المدينة وسكانها. محيط العمود (1.2 م) وارتفاعه (14 م) وتاجه كورنثي. قاعدته مثمنة (Octagonal).

الكلبية (Kalybe):

يدعوها الأهالي (سرير بنت الملك). وهو بناء من القرن الثالث الميلادي. وتقع على الزاوية اليمنى مقابل معبد حوريات الماء (نمفيوم) واسم (كليبة) يوناني وهو معبد وثني تحفظ فيه نذور الضباط، وأوسمتهم، وتماثيلهم. ويوجد عدد مثل هذا المعبد في منطقة (حوران).

وهو نصف دائري، على كل جانب حائط فيه محراب. بقي من هذا البناء عمودان، وأجزاء حائط مزخرف.

تقول أسطورة (بنت الملك) أن ملك (بصرى) شيد هذا البناء لابنته الغالية ووضعها فيه لحمايتها من الموت. وكان الطعام يحضر إليها بالسلة. مرة كان مع الطعام عنقود عنب، اختبأ فيه عقرب، وحينما حاولت تناول العنب لدغها العقرب فماتت.



بصرى ــ الكليبة وبحيرة ربة الماء

السوق الرئيسية (الفوريوم) أي (الأغورا):

اسمه الآن (خان الدبس)، وكان سوق المدينة القديم حيث تاجر السكان بالمحصولات والمصنوعات. يتألف السوق من بناء مسقوف وباحة واسعة. مقايسه (20 X 70 م). سقفه معقود بالحجارة. الفناء مزين بمحاريب كبيرة وصغيرة وضعت فيها التماثيل. بعض غرف السوق كانت مخصصة لبيع الثمين من البضائع. وكان جزءاً من الباحة مسقوفاً لحماية الناس من العوامل الجوية.

البوابة النبطية:

من القرن الأول وبداية القرن الثاني. تقع في النهاية الشرقية للشارع المستقيم. وتؤدي إلى المعبد النبطي المهدم. والبوابة هي الأثر النبطي الوحيد في سورية، لا يوجد لها مثيل إلا في (بترا). ويعتقد بأنها مدخل قصر الملك (رئبال الثاني) ملك (الأنباط).

وهي عبارة عن قوس ضخم له فتحة عريضة. من الحجر البازلتي، على كل جانب غرفة مبنية ضمن عضادة القوس، كانت الواجهة مزينة بجبهة مثلثة وزخارف نبطية. وفي كل جانب محاريب علوية عددها ثلاثة في الأعلى وواحد في الأسفل، يحيط به عمودان. والأعمدة كورنثية بسيطة.

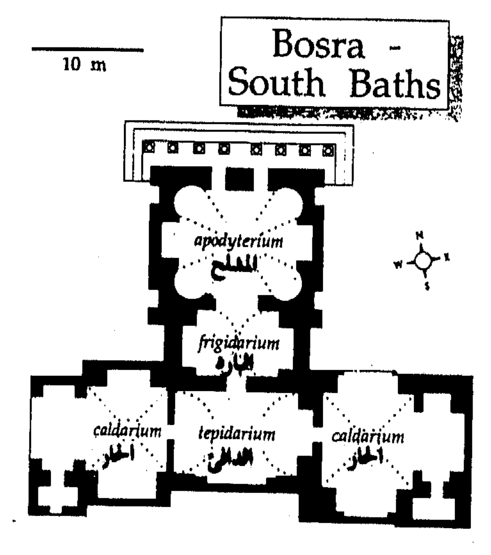
العمود النبطي:

يقع بعد البوابة النبطية على يمين المدخل. وهو عمود له تاج بسيط.

على بعد (100 م) من العمود توجد معابد رومانية، وبقايا أبنية نبطية، وبعض الأعمدة الكورنثية المزينة بالمحاريب.

الحمامات المركزية:

من أواخر القرن (2 م) أو أوائل القرن (3 م). مدخلها الرئيسي من الشارع المستقيم، مواجهة لمعبد (حوريات الماء). وهي على شكل حرف T المقلوب. أمام المدخل يوجد بقايا رواق أعمدته الثمانية أيونية. ثم بهو مثمن (Octagonal) ومزين بثلاثة محاريب مرتفعة. وهوة المشلح (Opodyterium) حيث يخلع المستحمون ثيابهم. ثم صالة مستطيلة هي القسم البارد من الحمام (Frigidarium)، ثم صالات ثلاثة الوسطى هي القسم الدافىء (Tepidarium)، والجانبية هي الحامي (Caldarium). الصالة الوسطى سقفها على شكل قبة مبنية بالأحجار البركانية الخفيفة. وعلى سطح الحمام توجد بقايا تمديدات المياه التي تزود الحمام بالماء.



بصرى ـ الحمامات المركزية

كان الناس في (بصرى) يستحمون دائماً حتى أصبح الاستحمام عادة يومية مسائية تستغرق أربع ساعات. وكان الدخول إلى الحمام لقاء أجر، ثم أصبح مجاناً، تدفع البلدية مصاريفه. وكان الأغنياء يبنون الحمامات ويلتزمون بنفقاتها أيضاً.

المسرح:

كان في مكانه آثار قلعة نبطية لا تزال أساساتها قائمة. هدمها الرومان في بداية القرن الثاني وبنوا المسرح. ثم أقام المسلمون حوله قلعة استعملت لمدة تزيد عن قرن ونصف فحمت المسرح من الهدم والدمار. ويقع في الجهة الجنوبية من مدينة (بصرى). هندسته هلنستيه رومانية. وهو نصف دائري (Theatre - Amphi) جيد الحفظ، وهو الوحيد الكامل في العالم. أقيم في سهل فسيح لا يدعمه تل أو منحدر أو جبل كما في المسارح الأخرى. بني عام (102 م) في عهد الإمبراطور (تراجان). طوله حوالي (102 م) وارتفاع جدرانه حوالي (20 م). يتسع لـ (15) ألف متفرج. في قول آخر: ستة آلاف جلوس واثنان إلى ثلاثة آلاف وقوف. صممه المهندس (فيتروس) (Vitrus). وفي رواية أخرى (أبولودور الدمشقي). تزينه تماثيل وأفاريز منقوشة ويغطيه المرمر الملون. هندسة البناء تساعد على سماع أصوات الممثلين والموسيقى بوضوح في كل أرجاء المسرح. ويفرّغ من المشاهدين خلال (5) دقائق، لوجود أبواب داخلية على مستويات مختلفة في المدرج وممرات معقودة تقودهم إلى الجهة الخلفية من المسرح حيث أبواب ثلاث رئيسية تؤدي إلى الخارج.

المدرج من الحجر البازلتي ويتألف من (37) درجة على شكل مجموعات هي (14) و (18) و (5)، بينها أدراج. يقال بأن المجموعة الأولى كانت لرجال الدولة والشخصيات المهمة والمجموعة الثانية كانت للفرسان أما الثالثة فكانت للنساء. والأماكن المهمة كانت مرقمة باللاتيني. وفي المسرح ممرات وأروقة تيجانها (دوريك) (Doric) لم يبق من الأصل إلا اثنين في الجناح الشمالي. والبقية رممت فيما بعد. جدران المسرح الملساء كانت بدون كسوة، أما الخشنة فكانت مغطاة بالرخام الأبيض.

في واجهة منصة التمثيل ثلاثة صفوف من الأعمدة الكورنثية، ومحاريب لوضع التماثيل، وأبواب ونوافذ علوية بعضها مفتوح وبعضها مغلق. الواجهة مغطاة بالرخام، لم يبق منه إلا القليل، أطوالها (8 X 46 م) أرضيتها كانت مغطاة بالخشب الذي وضع فوق قواعد حجرية مربعة الشكل فتركت فراغاً يسمح بجلوس الملقنين تحتها ويصلون إليها عبر باب في الممشى وراء المنصة. قواعد وتيجان الأعمدة رخامية أما الجذوع فمن الحجر الكلسي. على جانب المنصة يوجد بهوان فوق كل واحد منصة وهو مزخرف بأشكال ورسوم ملونة. وكانت لجنة التحكيم تجلس فيها لتقدير الإنجاز وبالتالي المكافأة. خلف المنصة توجد غرف الممثلين والممثلات لتغيير الملابس. وأروقة وممر ينتظر الممثلون فيه أدوارهم، ثم يدخلون عبر ثلاثة أبواب كبيرة في واجهة المنصة أو من خلال بابين جانبيين. أمام المنصة ساحة نصف دائرية هي الأوركسترا من أجل الموسيقيين، بلاطها أصلي. وكانت تستخدم أيضاً لإقامة الطقوس الوثنية في الأعياد والمواسم.

كان في أعلى المدرج رواق سقفه خشبي محمول على أعمدة (دوريك) (Doric) تحته صفوف من المقاعد الخشبية لجلوس المتفرجين. ويوجد ممر لدخول الحيوانات إما لمصارعتها أو لألعاب السيرك. ولسلامة المتفرجين وضع شبك حديدي ارتفاعه متر بين المدرج والأوركسترا. وكان للمسرح ثلاثة مداخل رئيسية من الخارج يقال بأن: الأول من أجل الغرباء والثاني للشعب والثالث للطبقة العليا منه.

كان المسرح يُغطى بخيمة من الحرير المطبع لحماية الناس من شمس الصيف ومطر الشتاء. وكانت مياه معطرة تغلى في قدور لتصبح بخاراً تحتجزه الخيمة وتجعله ضباباً خفيفاً معطراً، يرطب الجو وينعش المشاهدين. وهناك من يتولى إجلاس الناس في أماكنهم. كما كانت البلدية تمنح الممثلين أجوراً حسب إجادتهم والدخول مجاناً أو بدعوة ترسل على شكل بطاقة فخارية. وكان الناس يدعون من المدن المجاورة للاشتراك بالاحتفالات والألعاب الأولمبية، لأن الأنباط كانوا يقيمون ألعاباً أولمبية كل أربعة سنوات. فكان مندوبون عن

كل مدينة يشاركون بالاحتفال حيث تقدم فيه هدايا لإله النبطيين (دوسارس (Dusares) أي (ذو الشراة). وكانت هذه الاحتفالات تنتهي بعروض على شرف مواطنين تفوقوا بعمل أو بإنجاز أو بفن أو علم فيكافؤون بجائزة، أو يتوجون بالغار أمام المشاهدين.

قصر رئيس الأساقفة:

على بعد أمتار شرق الكاتدرائية. فيه بقايا جدران وأقواس وأعمدة، وبعض الأبواب والنوافذ، وقسم من حائط الطابق العلوي.

القصر (قصر تراجان):

بني في عام (106 م). كان مقراً لحاكم الولاية العربية. يقع بين المعبد النبطي وبركة الحاج. أبعاده (33 X 50 م).

مدخله الرئيسي في الشرق. يتألف من طابقين، له باحة مركزية فيها أروقة معمّدة في الجهة الشمالية والجنوبية. وتقع الغرفة الرئيسية أو غرفة الطعام جنوب القصر. وهي قاعة واسعة كانت مسقوفة بأقواس وعتبات من الحجر. والجدران مكسية بالرخام، وفي كل طرف توجد حنية. لا تزال ثلاثة من الغرف الواسعة المزخرفة بحالة لا بأس بها. واجهة القصر الأمامية مزخرفة بالمحاريب التي كانت توضع فيها التماثيل.

المعابد:

عبد سكان (بصرى) الربة (اللات)، والإله (ذو الشراة). وتوجد عشرة معابد وثنية في (بصرى). وحي المعابد نبطي عربي من القرن (2 و 3 ق. م).

أهم هذه المعابد:

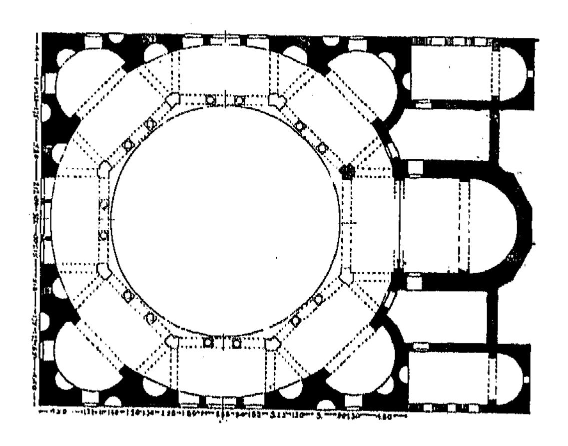
المعبد النبطي، قرب البوابة النبطية. ومعبد إله (الفرقة البرقاوية)، بني في المعسكر الروماني وسمي (معبد روس هامون).

ويوجد في بصرى آلاف من القبور القديمة.

الكاتدرائية:

تأرخ بناؤها باليونانية فوق حجر كان على المدخل الرئيسي بعام (512 و 513 م). وذكره (وادينغتون) (Waddington) في كتاباته ولكنه فقد الآن. كرست للشهداء القديسين (سرجيوس وباخوس وليونتيوس) (Leontuis، Bachus، Sergus) وهم من أشهر القديسين في (سورية) بعد القديس (جريس) (George). قام ببنائها الأسقف (جوليانوس) (Julianus) المشهور باستقامته وشجاعته، طرد من مركزه في عام إنجازها، بأمر من بطريرك (أنطاكية). ولكنه عاد واستلم مركزه بعد وفاة الإمبراطور (أناستاس) الذي كان يساند بطريرك (أنطاكية). ويروى أن خصومه حاولوا تسميمه ولكنه لم يتأثر لأنه كان قد صلى على الطعام.

هندسة الكاتدرائية العمرانية ألهمت المهندسين الإسلاميين طراز بناء جوامعهم. كانت وكاتدرائية (ازرع) أقدم مثال لنمط الكنيسة التي بنيت قبتها فوق مربع. والكاتدرائية من الداخل عبارة عن دائرة محاطة بمربع وشكلت الزوايا فيها محاريب، وتوسعت نحو الخارج من جهة الشرق لبناء الحنية وأربعة غرف اثنتان من كل طرف فأصبحت بذلك مستطيلة الشكل أبعادها (49.54 X 37.32 م). قطر القبة حوالي (36 م) وفيها (50) نافذة. أقيمت القبة على إطار دائري بني فوق ثمانية أعمدة سيئة التنفيذ، مما أدى إلى تداعيها عدة مرات وإعادة بنائها. وكان فيها العديد من الأبواب والنوافذ والمحاريب لوضع التماثيل. جدرانها كانت مطلية ومرسومة وربما كانت مغطاة بالمرمر. أما الجدران الخارجية فبسيطة بدون زينة. فيها ثلاث حنيات أوسطها أوسعها وأعلاها. لم يبقَ من زينتها الداخلية سوى بعض الرسوم للعذراء والملائكة والقديسين. وكانت الجدران مكسوة بالرخام لم يبق منه إلا كسراً قليلة. تهدمت واجهة الكاتدرائية ولم يبقَ إلا قسماً من الزاوية الشمالية الغربية للحائط الخارجي مع محرابه وزخارف افريزه.



بصرى ـ الكاتدرائية

أمر الإمبراطور (جوستينيان) فيما بعد بأن تبنى كاتدرائية القديسة (صوفيا) (Sophia) في القسطنطينية (Conostantinople) وكذلك في (رافينا) على نمط كاتدرائية (بصرى). وتجنب المهندسون أخطاء الكاتدرائية في (بصرى) عند بناء الكنيستين وما تزالا قائمتين حتى الآن. كما بنيت على نسقها كنيسة (الرصافة).

كتب (الكونت دي ڤوغيه) (Conte de Vogue) في كتابه (سورية المركزية) (La Syric Centrale) عن بناء الكاتدرائية وأشار إلى وجود بقايا تمثال للسيدة العذراء في المذبح وهي باسطة ذراعيها.

دير الراهب بَحيرا أو دير نجران:

من القرن (4 م) وفيه أقدم كنائس (بصرى). هندسته شرقية محلية تختلف عن بقية كنائس (بصرى). فيه اجتمع (محمد) قبل النبوة مع الراهب (بَحيرة) الذي تنبأ له بالنبوة. وهو راهب (نستوري). وكان قساً فلكياً عالماً طرده الرهبان فعاش في هذا الدير. وحينما زاره (محمد) وعمه نصحه بأن يعود به ويحاذر من اليهود كي لا يصيبه شر لأنه كائن عظيم.

تتألف الكنيسة من قاعة طويلة في صدرها قوس بيضوي كبير. فوقه ثلاثة نوافذ وفي الجدران الجانبية نوافذ عالية.

كنيسة أم الجمال:

بنيت في عام (344 م).

بركة (الحاج):

من العهد الروماني وجدد بناؤها في العهد الأيوبي. وهي أكبر بركةفي الشرق. تقع جنوب قصر (تراجان). وكانت لسقاية القوافل والحجاج أثناء ذهابهم وإيابهم من (مكة) حيث يمكثون عند الرجوع عشرة أيام في انتظار من تأخر عن العودة من الحجاج. وكذلك كانت تزود القلعة وخندقها بالماء. أطوالها (155 م X 122 م) وعمقها يبدأ بـ (8 م) وينتهي بـ (12 م). تتوسطها ركيزة مربعة الشكل لقياس منسوب الماء.

البركة الشرقية:

هي أقدم خزان مياه موجود في (بصرى). تعود إلى العهد النبطي، من القرن الأول قبل الميلاد وذلك لوجود كتابات نبطية على أحجارها. شكلها مربع تقريباً أطوالها (112 X 11.4 م) وعمقها (6 م). عرض جدرانها حوالي أربعة أمتار، تدعمها ركائز. كانت تمد المدينة بالماء بواسطة أنابيب داخل جدارها الغربي. وكانت المياه تصلها عبر قناة محمولة (Aqueduct) متصلة بالوديان التي تتجمع فيها مياه الأمطار.

كانت البركتان تستمدان مياههما من وادي (الزيدي). وبنيتا فوق مستوى المدينة لتسهيل سيولة الماء عبر أنابيب من الفخار أو الرصاص لتصل إلى المنازل والمنشآت العامة.

الميدان:

يقع جنوب المسرح. وهو بناء مستطيل مغلق من الجهة الجنوبية ومفتوح من الشمالية. طرازه روماني، فيه مدرج عدد درجاته (15) واحدة، بقي القليل من آثاره. كان ميداناً للمباريات الرياضية ولسباق الخيل. والفروسية هي رياضة

العرب المفضلة والتقليدية. فكان هناك موظف مختص يشرف على السباق يتقدم المشاركين بالدخول إلى الميدان والطواف أمام المدرج. ثم يجلس فوق شرفة المدخل ويشير لفتح الباب فتدخل الفرسان بخيولها،لتدور في الميدان ركضاً سبع مرات. وأول من يتجاوز الخط الأبيض المرسوم فوق أرض الميدان يكون هو الفائز. في نهاية كل سباق يضحى بالجواد الفائز ويستعمل دمه في الطقوس الدينية التي تقام لخصوبة الأرض وسعادة الشعب.

المعسكر:

بني أوائل العهد الروماني عند نشوء الولاية العربية. وكانت (بصرى) عاصمة لها. ويقع في شمال المدينة. على الباب الرئيسي برجان واحد من كل طرف. الجدار الشمالي للمعسكر هو سور (بصرى) وفيه تحصينات وأبراج بارزة. وبقية الجهات جدران عادية وفيها أعمدة رومانية، مما يدل على ترميمها عدة مرات في العهد الروماني. سور المعسكر الشرقي طوله حوالي (400 م). والشمالي حوالي (440 م).

يعتبر هذا المعسكر من أكبر المعسكرات التي تمتد كسلسلة من (القسطل) في الشمال حتى (معان) في الجنوب. وعددها كان بين (25 و 30).

من الفرق التي أقامت في المعسكر (الفرقة الثالثة البرقاوية) (وسلاح الهجانة) التدمريون و(الفرسان البرتيون) وغيرهم. كانوا يقيمون مؤقتاً في المعسكر أثناء مرورهم عبر (بصرى).

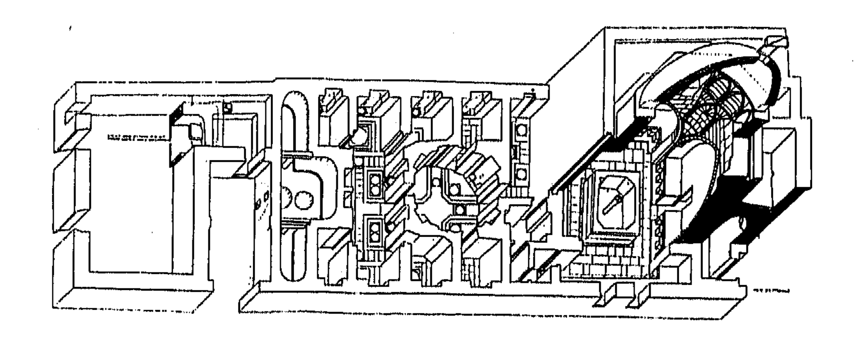
ولكن (الفرقة الثالثة البرقاوية) أقامت فيه لمدة طويلة. وذكر اسمها في عهد (أوغست قيصر) بعد عام (29 م) باسم الفرقة الثالثة. وكانت خفيفة العدة، شديدة التنظيم، مؤلفة من الفرسان والهجانة. وعسكرت في (بصرى) واشتهرت بالفرقة التي لا تقهر. اشتركت في معارك في جنوب (وادي النيل) وساهمت بتعبيد الطريق منها إلى (الحبشة). وحينما ثار اليهود أتت من منطقة (النيل الأعلى) وحاصرتهم في (أورشليم) وقضت على التمرد. ثم نقلت من (وادي النيل)، لتتمركز في (بصرى) عام (119 م). وكان جنودها من المواطنين

المتطوعة والأمن الداخلي والشرطة. يبلغ مجموعهم (5600) جندي مشاة وخيّالة وهجانة. لها قائد مسؤول عن النظام والترفيع والعقوبات والتعيين والنقل والتموين وتوزيع الملابس وصيانة الأسلحة والمعلولية والتقاعد حسب قوانين ثابتة.

عثر في حفريات مدرج (بصرى) على كتابة لاتينية تحمل اسم الإله (جيوبيتر آمون) إله (سيوا) نصها: «إلى (جيوبيتر) العظيم الفائق البهاء إلى ساعي القداسة (آمون). (البيوس تورينوس) أتم نذره». وهذه الكتابة تدل على أن الفرقة من (وادي النيل) نقلوا عبادتهم إلى (بصرى) ومارسوا طقوسهم فيها.

الحمام الإسلامي أو حمام (منجك):

يجاور الجامع (العمري). بناه (منجك اليوسفي) وافتتح عام (773 هـ = 1372 م). وكان نائب السلطان المملوكي (الأشرف شعبان) (764 هـ = 1363 م) حتى (778 هـ = 1376 م) في (سورية). هذا التاريخ نقش على لوح حجري مع شعار (منجك) نزع من الحمام فيما بعد، واستعمل في بناء ما. مساحة الحمام (15 X 45 م). وهندسته دمشقية.



بصرى ــ حمام منجك

يتألف البناء من جناح الاستقبال والحمام وغرف الخدمات. توجد غرفتان كمدخل وممر يقود إلى المرحاض، وغرفة الاستقبال، والتي تتألف من صالة

واسعة لها قبة، في وسطها حوض ماء. حول الغرفة من الداخل توجد مصطبة فيها (31) تجويف لحفظ الملابس، مساحة هذا الجناح (15 X 15 م). يوجد باب في غرفة الاستقبال يقود إلى الحمام. ويبدأ بغرفة كان فيها نوافير ماء. وفيها باب يؤدي إلى غرفة ذات عشرة أضلاع. تحتوي على ستة أماكن للاستحمام. يتفرع منها مكانان للاستحمام الشخصي. شمال هذه الغرفة توجد أخرى مستطيلة فيها ستة أماكن للاستحمام وأربعة أخرى في زواياها القطرية.

جميع هذه الغرف كانت مغطاة بأسقف معقودة من الحجر الأسود الخفيف، أما جدرانها فكانت مكسية بالجص، الإضاءة كانت عبر فتحات زجاجية متوضعة في القباب.

استخدمت الحجارة البيضاء الكلسية ابتداءً من الأرض فالمصطبة حتى بداية القبة. وكان التباين بين اللون الأبيض ولون الحجارة البازلتية السوداء جميلاً ومؤثراً.

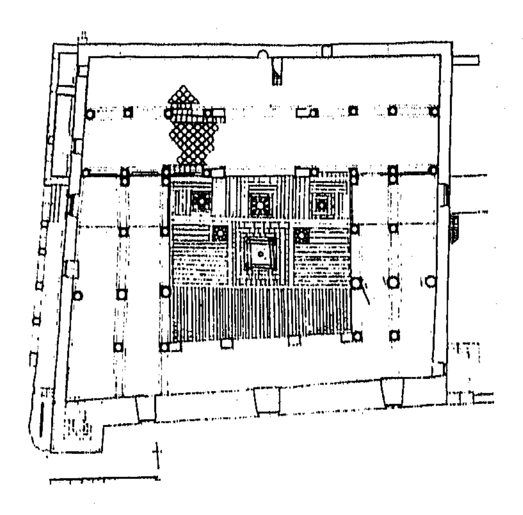
القسم الشمالي من مبنى الحمام فيه غرف الخدمات ولها مدخل واحد على الشارع الرئيسي. وتتألف غرف الخدمات من الفرن، الذي أقيم في باطن الأرض، ومستودع الماء البارد، في الزاوية الشمالية الشرقية، ومستودع أكبر للماء الساخن، وأماكن للتخزين. ويتم توزيع الماء البارد والساخن على أقسام الحمام عبر شبكة من الأنابيب الفخارية المزدوجة. وتوجد أنابيب للماء البارد منفصلة تؤدي إلى النوافير. وإلى المرحاض.

تحت الأرضية توجد ممرات لنقل دخان الفرن الساخن إلى المدخنة في غرفة الاستقبال وذلك للتدفئة. أرضية الحمام كانت مغطاة بأحجار ملونة . وقطع رخامية فسيفسائية، وجعلت مائلة قليلاً لتصريف الماء منها، عبر قنوات تجمعها لتصبها في مجاري المدينة المالحة.

المساجد:

مسجد (عمر) أو العمري أو العروس:

كان في السابق معبداً وثنياً ثم كنيسة. وهو أول مسجد بني في (سورية)، وواحد من ثلاثة مساجد حافظت على البناء الأصلي من أوائل العهد الإسلامي، والآخران هما مسجد (المدينة) في (المدينة المنورة)، ومسجد (الفسطاط) في (القاهرة). أخذ اسمه من اسم الخليفة (عمر بن الخطاب) الذي حكم بين (13 هـ = 634 م) و (23 هـ = 644 م) ورممه (يزيد الثاني) (102 هـ = 720 م) كما رُمم لمرات عدة في القرنين (12) و (13) والقرن (20). أقصى أبعاده (36 X 34 م).



بصرى المسجد العمري

للمسجد ثمانية أبواب تقود إلى السوق والمنازل باحته سقفت الآن. وللمسجد أروقة مزدوجة في الشرق والغرب. ومثلها في الجنوب ولكنها أعرض وهي الحرم. أقيم سقفه على أقواس وأعمدة. وكانت أسقف الأروقة مغطاة بألواح حجرية بازلتية استبدلت الآن بالإسمنت. زين الحرم بزخارف جصية ونقوش فاطمية وآيات قرآنية من القرن (12 م). وفيه نقوش ملونة من العصر العباسي القرن (9 م).

كانت هناك قبة صغيرة فوق بحرة الوضوء. أعمدتها أصلية وعليها

كتابات يونانية ولاتينية ونبطية وعربية من عهود مختلفة لأنها أخذت من أبنية أخرى.

للجامع مئذنة مربعة من القرن (2 م)، تقع في الشمال الشرقي من المسجد، وهي أقدم مئذنة في العالم الإسلامي وارتفاعها (25 م)، تدعى مئذنة (العروس) لعلوها وجمالها، رممت في القرن (13 م) مع الجامع. واكتشف في الجامع لدى ترميمه عام (1947) قطع حجرية مزخرفة، وكتابات يونانية، ولاتينية وعربية وبعض العناصر التي كانت في المعبد الوثني.

تمت عملية توسيع المسجد على مرحلتين: الأولى حصلت أعمال ترميم على الجامع على يد الأمير الأتابكي (عز الدين أبو منصور كمشتكين اسنسلار الأتابك البوري طغتكين) عام (506 هـ = 1112 أو 1113). والثانية عام (618 هـ = 1221 أو 1222 م) على يد الحاج (يحيى بن علي بن همیان). في العهد الأيوبي، حيث أضيف الرواق الشمالي، والمئذنة التي تبرز من الناحية الشمالية الشرقية مقدار (8.5 م). السور الخارجي للجامع أيوبي. وقد نقلت للمسجد أعمدة رخامية بيضاء من المسرح الروماني. له ثلاثة أروقة متوازية، يفصلها صفان من الأعمدة وفيها أقواس تستند على دعائم. جدران الحرم غطيت بالجص. وحنية المحراب والجدار الجنوبي كسيت بزخارف جصية.

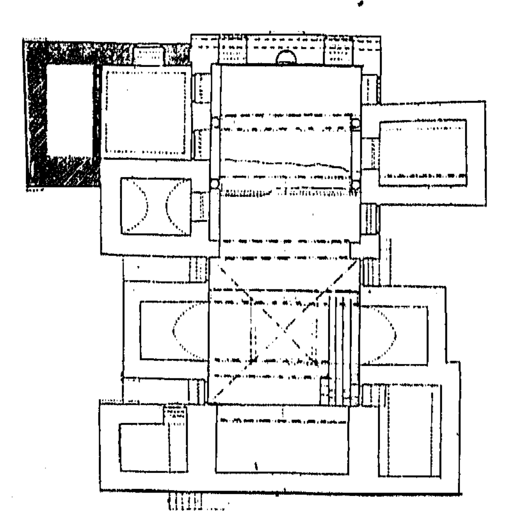
أضيف بناء للجامع في الجانب الشرقي منه مما أدى إلى إغلاق نوافذ المسجد في تلك الجهة. بعد فترة أضيفت بحرة للوضوء شرق المئذنة أنشأها البناء المصري (عبيد بن صمصام المصري) تتصل بمياه (حمام منجك) على الجانب الآخر من الشارع.

جامع أبو الفداء أو مدرسة الدباغة:

أيوبية، تطل على (بركة الحاج). تؤرخ البناء كتابة بارزة على الواجهة الجنوبية تحت إحدى النوافذ (622 هـ = 1225 م). شيده السلطان (الصالح إسماعيل) ابن السلطان (أبي بكر بن أيوب) أيام الأمير (شمس الدين سنقر الحكيمي) ليكون مدرسة لتدريس مذهب (أبو حنيفة النعمان)، ومدفناً له بعد

وفاته. توجد كتابة أخرى فوق الزاوية اليسرى للكتابة السابقة تذكر اسم (مُكنّا بن عبّاد) ربما هو اسم المعماري الذي بنى المدرسة.

هندسة البناء تماثل مدرسة (مسجد مبرك الناقة). أطواله (14 X 19 م). ويتكون من قاعة مستطيلة حولها قاعات ذات أحجام مختلفة. تغطي السقف بلاطات حجرية توضعت على ستة أقواس عالية. في الجهة الجنوبية محراب وثلاثة نوافذ، سقفي الإيوانين الجانبيين وسقف غرفة الزاوية الجنوبية الشرقية معقودة.



بصرى ـ جامع أبو الفداء

المدفن مربع الشكل يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية. وهو عبارة عن غرفة سقفها معقود. بناه الشيخ (صفي الدين) والد الشيخ (أيوب) حسب وصية مؤسس المدرسة. وفي أعلى زوايا المدفن حنايا ركنية تشكل منطقة انتقال للمثمن الذي تقوم عليه القبة. وهذه ظاهرة معمارية منقولة عن عناصر معمارية دمشقية.

للمئذنة درج في الجهة الشمالية من السطح يقود إليها. ولها نافذة

مزدوجة في كل جهة كما في الجامع (العمري) وجامع (فاطمة) وهي من عام (705 هـ = 1306 م).

اكتسبت هذه المدرسة اسم الدباغة ربما لوجود هذه الصناعة قربها وكانت مياه (بركة الحج) تغذيها.

مسجد (كمشتكين) أو جامع (الخضر):

أقيم فوق مبنى آخر أقدم منه عام (1133 م). وطراز عمارته محلي. سمي جامع (الخضر) لأن مدفن (الخضر) يجاوره. فوق مدخل الجامع كتابة تؤرخ ترميمه في عام (528 هـ = 1133 أو 1134 م) بأمر من (الأتابك) أمين الدولة، ووالي (بصرى) (عز الدين أبو منصور كمشتكين).

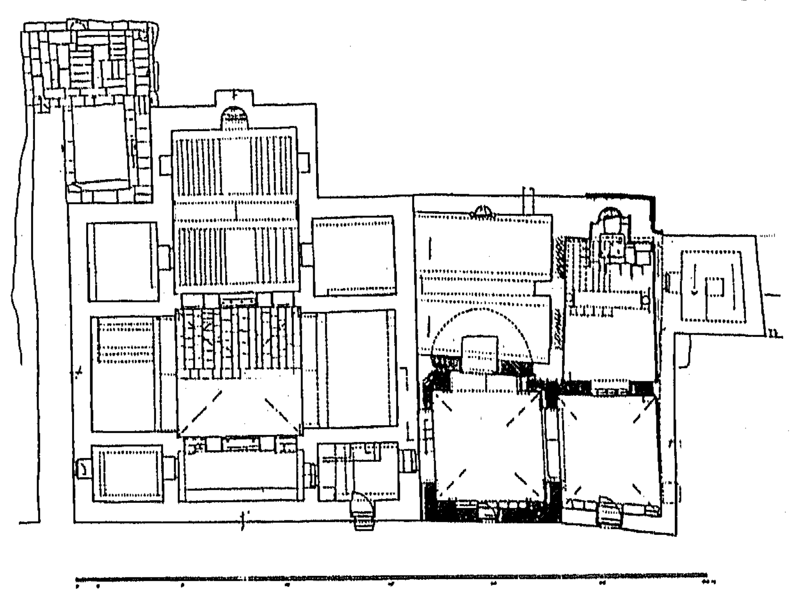
المسجد مربع الشكل ضلعه (7.4 م) ولندرة الخشب في هذه المنطقة، غطي سقفه بألواح وأعمدة من البازلت. مداخل ونوافذ هذا المسجد عبارة عن مصاريع من البازلت وهي بحالة جيدة. وللمسجد ثلاثة أبواب حجرية. مئذنة الجامع منفصلة عنه بممر ضيق مكشوف، وهي مهدمة. ارتفاعها (12 م). وتقع على بعد متر ونصف غرب الجامع. بنيت بعده في القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي.

يوجد غرب الجامع بناء روماني من طابقين وفيه باحتان سماويتان، تحيط بهما غرف صغيرة ودرج يقود للأعلى. داخل الغرفة الوسطى يوجد قبر يعتقد أنه مدفن (الخضر) وهو مزار للمسلمين والمسيحيين. شمال الجامع يقع نبع (الجهير) وجدرانه رومانية. وهناك قبة في الجهة الشمالية الشرقية من النبع تخص حمامات المعسكر الروماني.

مسجد مبرك الناقة:

أقيم حيث بركت ناقة النبي (محمد) (صلعم) وكان مع عمه (أبي طالب) قبل أن يصبح نبياً. يوجد أمام محراب المسجد حجر مربع يحمل عدة فجوات فسرت على أنها آثار ركب الناقة. وفي رواية أخرى أن المسجد أقيم

حيث بركت الناقة التي كانت تحمل أول نسخة من المصحف الشريف إلى (بصرى). ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من (بصرى). وتأثر البناء بالهندسة الإيرانية.



بصرى ـ مسجد مبرك الناقة

أنشىء المصلى فيه أولاً وهو عبارة عن مربع ضلعه (65 م) فيه محراب فوقه كتابة تشير إلى أنه مسجد الرسول. يوجد قوس ترتكز عليه الألواح الحجرية التي تغطي السقف. وتوجد غرفتان مربعتان تقريباً في الصحن الداخلي للمسجد، بنيتا في العصور الوسطى لتزايد المصلين. مئذنة المسجد مربعة ومبنية فوق سور المدينة القديم. ويمكن الوصول إليها عن طريق سطح المسجد. وتوجد أعمدة أربعة حيث بحرة الوضوء، خلفها خزان ماء من القرن (2 م). الأعمدة إيونية فيها بيض وسهام، البيضة رمز الحياة والسهم رمز الموت. مادة الرصاص ألصقت أجزاء الأعمدة ببعضها البعض. كما زينت آية الكرسي جدران المسجد وهي من العهد الفاطمي. وفي الحائط الشمالي زخارف هندسية عربية.

رمم نائب ملك مصر (سعيد باشا) القبة التي تعلو الصحن بين عام (1854

و 1863 م)، وأصلح الإيوانات الجانبية. وجدد بلاط الصحن، وطلى الجدران الداخلية بالجص، ولم يبقَ منه إلا أثر بسيط في المحراب. وسقطت القبة فيما بعد. وتهدمت المئذنة جزئياً، ولكن البناء رمم وأعيد استخدامه.

وكان الجامع ومدرسته مركزاً للأئمة الحنفية حيث عاشوا وعلّموا فيه. منهم الشيخ (صافي الدين أبو القاسم التميمي) وابنه وحفيده.

بنى، فيما بعد، (عز الدين أبو منصور كمشتكين الأتابكي) مدرسة لتدريس مذهب (أبو حنيفة النعمان) افتتحت عام (530 هـ ـ 1136 م) كما هو مؤرخ على الواجهة الشمالية للمدرسة. وجعلها وقفاً على الفقهاء الذين يمارسون العلم، ولإقامة الطلاب، ولحفظ الكتب الدينية فيها.

تعتبر هذه المدرسة من أقدم المدارس في (سورية). تأثر بناؤها بالهندسة الإيرانية واسمها (cruciform). ويعتقد الأثري الفرنسي (سوفاجيه) (Sauvaget) بأنها البناء الوحيد من هذا النمط في (سورية). للمدرسة صحن مربع تحيط به إيوانات أسقفها ألواح بازلتيه. والإيوان الرئيسي فيه محراب بارز عن المبنى وربما كان للصحن قبة من القرميد للوقاية من تقلبات الطقس.

يوجد قبر (محمد باشا) ابن الخديوي (عباس الأول) الذي توفي قرب (بصرى) عام (1270 هـ = 1854 م) خلال رحلة لدراسة بدو (زواله).

مسجد فاطمة (Fatima):

يقع بين الكاتدرائية وكنيسة الراهب (بحيرة). بني في النصف الأول من القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي. أي العهد الأيوبي. فيه مئذنة عليها كتابات قرآنية. ارتفاعها (19 م) بنيت بعد الجامع عام (705 هـ = 1306 م) في عهد السلطان المملوكي (الناصر بن محمد ابن قلاوون) في أعلى كل جانب من جوانبها نافذة مزدوجة الفتحات.

أطوال المسجد حوالي (11 X 13.5 م). ويتكون من غرفة واحدة، فيها

ثلاثة أقواس مستعرضة تحمل ألواح السقف البازلتية.

زيدت منذ مدة مساحة المسجد فأصبح طوله (21 م). وبنيت ثلاثة أقواس إضافية له وغطيت بألواح من البازلت.

استخدم هذا الجامع في بداية القرن التاسع عشر مما يدل على قلة عدد سكان (بصرى) في العهد العثماني.

مسجد ياقوت:

يقع في الجهة الشمالية الشرقية من بركة (الحج) قرب مسجد (أبي الفداء)، أي (مدرسة الدباغة). وهو مستطيل فيه غرفتان. أبعاده (7 X 14 م) غطيت الغرفتان بسقف أقبيته متقاطعة. في الغرفة الغربية محراب وفي الشرقية مقبرة. على المدخل كتابة محفورة على حجر كلسي تشير إلى أنه للحاج (شهاب الدين يوسف بن ياقوت) والي قلعة (بصرى) الذي توفي عام (65 هـ = 1257 م) كما توجد كتابة أخرى فوق نافذة في الجهة لغربية، تؤرخ بناء المسجد في عام (655 هـ = 1257 أو 1258 م) وإن (ياقوت) هو منشىء هذا المسجد وأنه توفي قبل انتهائه.

في مدخل الضريح قوس. وقربه يوجد قبر أيوبي بحالة جيدة. بني هذا المكان قبل الغزو المغولي المدمر عام (658 هـ = 1260 م) وهو آخر ما أنشأه الأيوبيون في (بصرى).

أقيمت مقبرة للمسلمين شرقي بركة الحج في وقت سابق لبناء هذا المسجد.

جامع (يزيد الثاني):

أموي، تؤرخ البناء كتابة على عمود في الحرم بعام (128 هـ = 745 أو 746 م). وكل إصلاح جرى فيه تأرخ فوق واحد من أعمدة المسجد وجميع الإصلاحات حصلت في عهد الأمويين (720 م). حيث أضيفت أعمدة لدعم السقف الحجري المتداعي. كانت تؤخذ من الأبنية القديمة.

المسجد المملوكي:

يوجد على مئذنته كتابة تؤرخ بناءه بأمر من الملك (الناصر محمد بن قلاوون) في عام (705 هـ) أي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي. لم يبق منه إلا ثلاث أقواس حجرية كان السقف يرتكز عليها. وفيه محراب نقل من مكانه الأصلي.

جامع المبارك:

بني فوق أنقاض معبد نبطي. على جداره الغربي كتابة تؤرخ بناءه (305 هـ = 917 م) وأنه جدد في عام (605 هـ = 1217 م).

في المسجد مصلى مسقوف ومحراب مبني بالحجارة. له فناء خارجي. بعض أجزاء البناء وعتبة باب المسجد أخذت من أنقاض المعبد النبطي.

القلعة الإسلامية:

تقع في الجهة الجنوبية من مدينة (بصرى) وهي مبنية بالحجر الأسود البازلتي، وتحيط بالمسرح الروماني فحمته أثناء الحروب من الهدم. وكان قد بني على أنقاض قلعة نبطية لا تزال أساساتها قائمة، هدمها الرومان، وأقاموا المسرح مكانها ثم بنى المسلمون قلعة حوله. كانت القلعة محاطة بسور من الحجارة السوداء، فوقه ممر مستدير، مجهز بفتحات لرمي النبال. وحول القلعة خندق ماء. باب القلعة مصفح بالحديد، يقود إليه جسر بني على ستة قناطر حجرية من عهد (أبو بكر بن أيوب) وحكم بين (592 هـ = 1196 م) و (615 هـ – 1218 م). بعد أن أصبحت القلعة للسلاجقة بعد الفاطميين في عام (468 هـ = 1076 م)، صار البرجان الصغيران اللذان على جانبي منصة التمثيل برجين دفاعيين، وذلك في عام (481 هـ = 1088 م)، بأمر من القائد السلجوقي (شمس الدولة أبو منصور كمشتكين)، وذكر ذلك في نقش كتابي، كما أغلقت جميع منافذ المسرح التي تؤدي إلى الخارج، وأضيف إلى البرج الغربي طابق هو عبارة عن غرفة سقفها ألواح بازلتية، يحمله قوسان.

بعد حوالي ستين عاماً، أمر حاكم (دمشق) (أبو سعيد أبق) (534 هـ = 1140 م)، ببناء برج في الزاوية الجنوبية الغربية من المسرح، وذلك للتحصين ضد الصليبيين.

ثم أمر حاكم (دمشق) الأيوبي، (العادل أبو بكر) (592 هـ = 1196 م) حتى (615 هـ = 1218 م)، ببناء ثمانية أبراج مستطيلة حول المسرح، بينها أنشئت غرف، وممرات داخلية، وتجهيزات دفاعية، منها البرج رقم (4). وبعد ثمانية أعوام بنيت الأبراج (7 و 5 و 9 و 10 و 11). أما البرج رقم (3) فأبعاده (31 X 22 م) وارتفاعه (20 م)، أقيم عام (599 - 1202 أو 1203)، واسمه برج (النصر) المعمور، كما ذكر في نقش كتابي. وأشرف على بنائه المهندس (إبراهيم بن علي بن فهيد) في زمن نائب بصرى (سنقر التكني) وهو بارز بمقدار (6 م). لرمي القذائف والسوائل والنبال من خلال كوتين وفتحات تشرف على الخندق وجدران هذا البرج استنادية مائلة.

انتقلت تأثيرات معمارية من (دمشق) إلى (بصرى) فصارت الأسقف تبنى معقودة، كما في برج البوابة القديم في الزاوية الشمالية الشرقية للمسرح، وذلك في عام (608 هـ = 1211 أو 1212 م)، أبعاده (37 X 25 م). ثم أقيم البرج الدفاعي رقم (8) عام (609 هـ = 1212 م). أستغرق بناؤه ثمانية أشهر، حسب ما ذكر في نقش كتابي فيه. هذا البرجان بنيا في زمن الأمير (ركن الدين منكورش الفلكي). البرج رقم (2) أقيم عام (612 هـ = 1215 أو 1216 م). والبرج رقم (4) أقيم عام (615 هـ = 1218 أو 1219 م). وكلاهما بنيا في زمن الأمير (شهاب الدين غازي بن أيبك الركني). مساحة كل منهما (5 X 20 م). في الطابق الثاني من كليهما بناء فيه صالة استقبال، سقفها معقود ولها أربعة إيوانات مربعة. في الإيوانين الجانبيين أبواب لها ثلاث فتحات. هذه الغرف كانت المقر الرسمي لنائب (بصرى).

البرج رقم (6)، أطواله (21 X 17 م). هو البرج الوحيد الذي ليس فيه نقش كتابي. بني بعد البرج رقم (4)، وانتهى بعد وفاة الأمير الأيوبي (العادل

أبو بكر) عام (615 هـ = 1218 م)، في زمن ابنه (الصالح إسماعيل).

أقام (الصالح إسماعيل) في (بصرى) من عام (615 هـ = 1218 م) حتى عام (644 - 1246) وكان عصرها الذهبي. وكانت القلعة مقراً له. أمر ببناء جامع عام (620 هـ = 1223 أو 1224 م) فوق منصة المسرح، وكذلك خزان ماء، في مكان الأوركسترا، على شكل مستطيل، أبعاده «25 X 31 م»، سقفه معقود، تأتي مياهه عبر أنابيب فخارية من بركة الحج. وتمتد هذا الأنابيب تحت مدخل القلعة موازية للجسر، حتى تصل إلى الخزان، ومنه كانت المياه تنساب إلى الحمام في الجانب الشرقي من المسرح. وكانت القنوات المحيطة بحوض الماء مرصوفة بالفسيفساء الملونة على شكل أسماك وطيور. أزيل هذا الحمام أثناء الكشف عن المسرح الأثري. ونقلت بعض قطعه إلى متحف (بصرى) المقام في البرج رقم (5).

في عام (625 هـ = 1227 أو 1228) بنيت قاعة مستطيلة معقودة السقف فوق خزان الماء. وفي عام (629 هـ = 1231 أو 1232 م) بني طابق آخر لتخزين السلاح تدعى (زردخانة). وفي عام (640 هـ = 1242 أو 1243 م) بني مخزن للمنتجات الزراعية. واشرف على هذه العمارات الأمير (بدر الدين داوود بن أيدكين).

في عام (638 هـ = 1240 أو 1241 م)، أمر (الصالح إسماعيل) ببناء جدار على الأبراج (4) و (9) و (10). وأحاط البرج رقم (6) ببرجين أصغر منه حجماً.

في زمن حاكم (دمشق) الأيوبي (الصالح أيوب) توسع البرج رقم (5) وكانت مساحته (15 X 10 م) فأصبحت (19 X 12 م) في عام (647 هـ = 1249 م) على يد الأمير (شجاع الدين عنبر).

في زمن حاكم دمشق الأيوبي (الناصر يوسف الثاني)، وتحت إشراف (ياقوت) والي القلعة، زيدت مساحة البرج رقم (7)، وكانت (18 X 11 م) فأصبحت (24 X 18 م). وكان ذلك إثر تهديد (المغول) بالاحتلال. ومع ذلك

سقطت القلعة بيدهم. حتى هزمهم السلطان (الظاهر بيبرس)، عام (658 هـ = 1260 م).

وبدأت الإصلاحات والترميمات في القلعة. وتركت فيها قوة عسكرية، لحماية المنطقة من الهجمات. ثم أهملت وبدأت بالتهدم في عهد العثمانيين.

بدأت الترميمات الحديثة فيها عام (1946 إلى عام 1970). كما بدأت الاحتفالات السنوية تقام على المسرح سنوياً، وتشترك فيها فرق عالمية وعربية ومحلية.

أقيم متحف في القلعة في البرج رقم (7) و (5). فيه لقى أثرية هامة. واستخدمت الفسحة أمام البرج (11) لعرض بعض التماثيل القديمة، والنقوش الأثرية التي وجدت في أطلال مدينة (بصرى). وصار البرج (11) مقصفاً للزوار.

أماكن هامة قرب (بصرى):

المزيريب:

تبعد (12 كم) غرب (درعا). فيها بحيرة واسعة، وطواحين ماء قديمة، ومقاصف، ومطاعم حديثة.

زيزون:

منطقة شلالات، تطل على أودية جميلة، فيها كثير من المقاصف والمتنزهات.

شلالات تل شهاب:

على بعد (17 كم) غرب (درعا) فيها شلالات وطواحين ماء رومانية، لا تزال تستعمل حتى الآن.

مزار جبريل:

يقع فوق الجبل، وجدت فيه مقبرة رومانية.

تل المسيح:

يقال بأن المسيح قضى ليلة فيه، حينما ذهب إلى (القدس).

في عام (1937) بنى الفرنسيون قلعة على جبل يمكن رؤيتها قرب المسرح. كما يوجد طريق روماني مرصوف بالحجارة بين (بصرى) و (صلخد)، ومن (بصرى) إلى (شهبا) مروراً (بالسويداء) و (سليم).

تدمر

لؤلؤة الصحراء السورية تقع وسط واحة وارفة. من أوائل الأماكن التي سكنها الإنسان القديم في الشرق. وواحدة من أشهر مدن القوافل على طريق الحرير، الذي يبدأ من الشرق الأقصى ويعبر الشرق الأوسط ثم ينتهي في (أوروبا). تبعد عن (دمشق) (210 كم)، عبر الصحراء وعن (حمص) (150 كم). وترتفع (400 م) عن سطح البحر.

اشتق اسم (بالميرا) (Palmyra) من شجر التمر (Palm Tree) لدى اليونان والرومان وأطلق الآراميون عليها اسم (تدمر) أو (تدمرتا) وتعني بلغتهم الأعجوبة. وقال (المتنبي) أن اسمها من المصدر (دمار) ومحلياً (تدمر) تعني (تطمر) لأنها كانت مطمورة بالرمال.

سكن الإنسان القديم منذ (160) ألف سنة ق. م منطقة (نبع الكوم) قرب (تدمر). ووجدت هناك ترسبات جيولوجية سمكها (25 م) تغطي آثار سكن دائم فيها. وبعد إجراء عمليات كيميائية وفيزيائية وجد أن الموقع هو من أقدم ما سكن الإنسان في العصور الحجرية. واكتشفت فيه أقدم أدوات صوانية على شكل فؤوس تعود إلى (10 آلاف سنة). واعتبر الدكتور (كارلتون) أن الإنسان العاقل (موسابيانز) كان يسكنه.

وذكر اسم أحد التدمريين وهو (بوزر عشتار) في رقيم آشوري اكتشف في (كبادوكيا) (Capadocia) (بالأناضول) من القرن (19 ق.م). كما ذكرت (تدمر) في رقيمين وجدا في (ماري) من القرن (18 ق. م). وفي رقيم من (مسكنة) أي (إيمار) على (الفرات) من القرن (14 ق. م) أو (13 ق. م) وفيه

وجدت أول طبعة لختم تدمري. وأتى اسمها في حوليات الملك الآشوري (تغلات فلازر) من القرن (11 ق. م). ويعتقد أن (تدمر) القديمة التي ذكرت في هذه الوثائق مطمورة تحت معبد (بل).

سكنت (تدمر) أقوام عدة، منها (الفينيقيون) الذين أدخلوا إليها عبادة الإله (بعل)، وسكنها (العموريون) في الألف الثاني قبل الميلاد. و(الآراميون) في أوائل القرن الأول الميلادي. ثم (السلوقيون) حوالي عام (40 ق. م) ثم أصبحت تابعة (لروما) وسميت (بالميرا).

تدمر في العهد السلوقي:

خلال عهد السلوقيين في القرن (4 ق. م) وأثناء بناء (اللاذقية) و (أفاميا) و (سلوقيا) بأمر من (سلوقس نيكاتور) (Selucus Nicator). كانت (تدمر) مدينة مزدهرة. وفي القرن الثاني قبل الميلاد كانت (تدمر) إمارة عربية مثل (بترا) و (حمص). ذكر المؤرخ (بوليب) أنه في معركة (رافيا)، التي جرت بين السلوقيين والبطالمة عام (217 ق. م)، كان يساعد الملك السلوقي (أنطيو خوس الثالث) شيخ عربي اسمه (زبدي) تحت إمرته عشرة آلاف مقاتل. وهو اسم تدمري.

تدمر والرومان:

في حوادث عام (41 ق. م) ذكر المؤرخ (أبيان): أن (كليوباترة) عادت بحراً إلى (وادي النيل) وأن (مارك أنطونيو) أرسل فرسانه إلى (تدمر). وأمرهم بنهبها إرضاء لهم. لأنها غنية تشتري من (فارس) و (الهند) و(بلاد العرب) وتبيع الرومان. وأن الحملة فشلت لأن أهل (تدمر) أخلوا مدينتهم والتجأوا مع أموالهم إلى نهر (الفرات). ومنه صاروا يحاربون جيش (أنطونيو) بسهامهم المشهورة.

ويذكر المؤرخ (بلين الأكبر) «أن (تدمر) تمتاز بموقعها وغنى أرضها وطيب مائها، فيها بساتين، تحدق بها الرمال الممتدة من كل الجهات وقد عزلتها الطبيعة

عن بقية العالم. وجعلها قدرها قائمة بين إمبراطوريتي (الرومان) و (الفرثيين) وكل منهما يفكر بها أول ما يفكر مذ يبدأ النزاع بينهما». هذا يدل على ان (تدمر) في منتصف القرن الأول قبل الميلاد لم تكن تابعة للرومان مع أن الفتح الروماني يعود لعام (64 و 63 ق. م) مما يثير الجدل حول تبعية (تدمر) (لروما).

في كتابات عن (تدمر) في القرن الأول الميلادي وقبل تبعيتها (لروما) كان نظام الحكم فيها يتألف من مجلس للشيوخ ومجلس للشعب عل الطريقة الإغريقية. ولكن دور العشيرة كان هاماً جداً. فكان خليطاً نصفه حضري ونصفه قبلي وهذا الحكم لم يتغير كثيراً بعد الوصاية الرومانية على (تدمر).

بعد التحاقها (بروما) صارت تدفع لها الجزية ويتحكم بأمرها الرومان. وبدأ تأثير العمارة الرومانية يحل محل الإغريقية والفرثية التي اقتبسته (تدمر) من (بابل) وظهر واضحاً في عمارة حرم معبد (بل).

المصالح المشتركة بين (تدمر) والرومان من جهة، وبينها وبين الفرس (البارثيين) من جهة ثانية، جعلت من موقعها الاستراتيجي أمراً هاماً . كما كانت الطرق تمر بها، والقوافل التجارية تعبر واحتها، وحينما حاول (أنطونيو) (Antony) الروماني غزوها عام (41 ق. م) هجرها أهلها مع أموالهم وذهبوا إلى منطقة (حلبية) و (زلبية) مما أنقذ التدمريين من الاحتلال ولكن (أغسطوس) (Augustus) استطاع أن يجعل (تدمر) حليفة (لروما). وبقيت كذلك في عهد (تيبريس) (Tiberius) وحكم بين (14 - 37 م). وفي عهد (نيرون) (Nero) وحكم بين (54 و 68 م) أصبحت ضمن المقاطعة السورية وتحت حكم (روما).

لم تكن (تدمر) حينئذ على طريق القوافل الذي كان يذهب شمالاً، والذي تغير بعد الاضطرابات التي قضت على حكم السلوقيين في القرن الأول الميلادي. وحينما أنشىء طريق قصير بين (حمص) و (تدمر) ازدهرت الثانية وأصبحت غنية. وتاجرت مع الفرس البارثيين (Parthian) ووصلت قمة ازدهارها في القرن الثاني الميلادي وصارت تنافس (أنطاكية) اقتصادياً.

حتى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي كانت (تدمر) تحمي نفسها بجيشها من فرسان ومشاة وهجانة ورماة مهرة ولم يكن بها أية حامية رومانية. وكان (تراجان) وحكم بين (98 و 117 م) اول من أسس فيها فرقة نظامية تدمرية لتساعد الجيش الروماني. وأقام أول حامية رومانية في (تدمر).

وحينما مر بها الإمبراطور (هادريان) ودام حكمه بين (117 و 138 م) استقبل بحفاوة ومنحها لقب المدينة الحرة (Civitos Libera) وذلك في عام (129 م). مما أعطاها الحق بفرض وجباية الضرائب الخاصة بها وبإدارة حكمها الذاتي. وصارت باسم مجلس الشيوخ والشعب تقرر وتحكم وتدير شؤونها الخاصة. وكان فيها مندوب روماني يمثل الإمبراطور يدعى (Curator) يراقب صادرات وواردات الخزينة. وكان هناك فوج من خيالة الجيش الروماني يعسكر خارج المدينة يراقب الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية. وتكريماً لـ (هادريان)، أطلقت (تدمر) على نفسها لقب (تدمر الهادريانية) (Hadriana Palmyra). وكان قد أمر ببناء المعابد الرئيسية: معبد (بل) و(نبو) و (بعلشمين) و (اللات). وأضاف أرضاً واسعة للسوق العامة (أغورا) (Agora). وأنشئت مساكن حديثة يحددها الشارع الرئيسي بدلاً من أبنيتها القديمة. وعظم شأن (تدمر) التجاري واعتنى بها سكانها بعد القضاء تجارياً على (بترا) منذ عام (106 م) وصارت قوافل الحرير بين (الصين) و (روما) تمر (بتدمر).

في عهد الإمبراطور (سبتيموس سفيروس) وهو من أصل فينيقي تزوج من (جوليا دومنا) ابنة كاهن الشمس في (حمص) انتعشت (تدمر) لأنه اعتنى بها. وفي عهد ابنه الإمبراطور (كاراكالا) (Caracala) منحت (تدمر) عام (212 م) لقب (المستعمرة الرومانية) (Colonia Romana) مما أعفاها من الضرائب كما هي (روما). وأصبح سكانها مواطنين رومان لهم نفس الحقوق فازدادت بذلك ازدهاراً وثروة. وزادت حركة البناء فيها فمدّ الشارع الرئيسي حتى معبد (بل). وبني قوس النصر، وكثير من (المدافن ـ البيوت) الفخمة. ولكن هذا الازدهار توقف لأن الساسانيون وملكهم (أردشير) (Ardashir) الفارسي احتلوا مصبات

(دجلة) و (الفرات) عام (228 م). ومنعوا التجارة عن (تدمر) من جهة المحيط العربي. فحاولت (تدمر) الاستعانة بـ (روما) التي كانت في أزمة فلم تنجدها. فالتف، عندئذ، التدمريون حول أسرة عربية تدمرية من أفرادها (سبتيموس حيران) الملقب بـ (راس تدمر) وهو والد (أذينة) (Odenathus) (252 - 267) أو أخوه. وتألف حكم ذاتي موال للرومان. وصار (أذينة) عام (258) حاكماً لولاية (سورية) الفينيقية. وكان ذلك في عهد الإمبراطور (فاليريان) (Valerian) وحكم بين (253 و 260). عندما أسر الفرس الساسانيون هذا الإمبراطور عندما اجتاحوا سورية بقيادة (سابور) (Shapur) استطاع (أذينة) أن يقطع عليه خط الرجعة مما اضطره إلى الذهاب إلى ما وراء (الفرات) عام (260) وبذلك بقيت سورية الفينيقية بصف (روما) فأنعم إمبراطور (روما) الجديد (غاليانوس) (Gallienus) على (أذينة) (Odenathus) لقب (دوكس) (Dux) (ومصلح الشرق كله). وكان (أذينة) قد اتخذ لنفسه لقب (ملك الملوك). وبهذا يكون عام (260 م). هو بدء الملكية في (تدمر)، لأن (أذينة) انتصر على مغتصبي الإمبراطورية الرومانية (مارسيانوس) و (باليستا) الذي قتل في معركة (حمص)، كما حمل (أذينة) رتبة قائد عام للجيوش الرومانية في (سورية) (Dux Roman Arum) ولقب (Imperator) ولم ينقصه ليصبح إمبراطوراً إلا لقب (أوغست) (Augustus) وصار يتصرف على أنه إمبراطور الشرق، ولكنه حكم (تدمر) بما يتوافق مع مصالحها. وفي عامي (262 و 267) حارب الفرس الساسانيين ليستعيد مكانة (تدمر) التجارية.

قتل (أذينة) مع ولي عهده (هيروديان) في (حمص) حوالي عام (267) أو (268) وقد يكون قتل معهما ابنه الآخر (حيران). وكان للكثير مصلحة في قتله منهم: (معني (Malomus)) ابن أخيه الذي يرغب باستعادة ملك أبيه. وبعض الموالين للساسانيين في (تدمر) للقضاء عليه. وأيضاً الرومان أنفسهم للتخلص من قوته وسيطرته. أو (زنوبيا) واسمها بالآرامية هو (بات زابي) زوجته الثانية أو الثالثة التي تريد أن يحكم ابنها الصغير (وهب اللات). وأصبح (معني) ملكاً لبضعة أيام ثم تخلص منه أهل (حمص) فقتلوه وصار (وهب اللات بن أذينة)

من (زنوبيا) ملكاً وهو دون سن الرشد وعمره عشر سنوات. فأصبحت أمه وصية عليه. وكانت قد اتخذت لابنها (وهب اللات) لقب قنصل ثم لقب (دوكس) «Dux Romanorum» ثم «Imperator» وكلها كانت ألقاب أبيه (أذينة). ولكنه بقي يعترف للإمبراطور الجديد (أورليان) بلقبي (أوغست) و (قيصر).

وفي عام (268 م) صارت الظروف مواتية للاستقلال عن (روما) لأن البرابرة كانوا يهددون الإمبراطورية الرومانية، بينما القراصنة كانوا يهددون (وادي النيل). لذلك، أرسلت (زنوبيا) قائدها (زبدا) مع الجيوش التدمرية لاحتلال (وادي النيل) وكان قد صار طريقاً تجارياً (لتدمر) عبر (البحر الأحمر)، بعد أن أغلق الساسانيون طريق (الخليج العربي).

وفي (29 آب 27 م) سكت عملة في (سورية) و (الإسكندرية) يظهر فيها ابنها (وهب اللات) متوجاً بإكليل ذو أشعة وعليها لقب (الإمبراطور قيصر وهب اللات). كما حملت هي لقب (سبتيما زنوبيا أوغستا). وأعلنت استقلالها عن (روما). ثم أرسلت جيشها إلى (الأناضول). فاحتلها حتى (مضيق البوسفور) وبذلك سيطرت على كل الثغور التجارية الهامة في المنطقة وأيضاً على المصادر الرئيسية لتموين (روما). وصارت تحكم (سورية) الطبيعة و (وادي النيل) و (آسية الصغرى). وجعلت (تدمر) محطة هامة للتموين والتجارة. وكان لبعض التجار التدمريين سفناً تجوب المحيط الهندي وتمخر مياه نهر (الفرات) وازدهرت (تدمر) وأصبح تعداد سكانها حوالي ثلاثون ألفاً.

كان (أورليان) مشغولاً خلال ذلك بتأمين حدود إمبراطوريته على (الدانوب). وحينما أنجز ذلك، ذهب بجيشه إلى الشرق واحتل بعض المدن في (الأناضول) حتى وصل إلى (أنطاكية). في الوقت ذاته كان قائد روماني آخر هو (بروبوس) قد استعاد (وادي النيل) وصار إمبراطوراً فيما بعد. عند (أنطاكية) وعلى (العاصي) تقابل جيش (زنوبيا) وعلى رأسه القائد (زبدا) مع جيش (أورليان) «Aurelian» صيف عام (272 م) وانتصر الرومان في المعركة وتراجع

(زبدا) إلى (أنطاكية) ثم إلى (حمص). فدخل (أورليان) (أنطاكية) وأخذ ينتظر وصول الإمادات ليلحق بجيش (زنوبيا) وحينما وصل سهل (حمص) في (آب 272 م) كان (زبدا) في انتظاره ولكن (أورليان) انتصر عليه. فانسحب جيش (زنوبيا) إلى (تدمر) بينما دخل (أورليان) (حمص) منتصراً. فزار معبد المدينة وقدم الهبات لربه. ثم تابع إلى (تدمر) فوصلها بعد أسبوع بسبب غارات الأعراب ووعورة الطريق. وكانت (زنوبيا) قد حشدت جيوشها وحصنت مدينتها ووضعت مهرة الرماة حتى في المدافن البرجية. حاصر (أورليان) (تدمر) وقطع عنها الإمدادات العسكرية والتموينية وحدثت بعض المناوشات بالسهام ومراسلات طريفة بين (زنوبيا) و (أورليان) ذكرت بالتفاصيل بالمصادر الرومانية.

قررت (زنوبيا) أن تلجأ إلى ملك الفرس (سابور) الساساني لينجدها، فوصلت (الفرات) إلا أن الرومان قبضوا عليها وأخذوها إلى معسكر (أورليان). أسر الملكة، وقلة المؤونة والإمدادات، ورغبة الاستسلام عند البعض، أدى إلى هزيمة (تدمر) فدخلها الرومان وسلبوها وأحرقوها. ثم ذهب (أورليان) إلى (أنطاكية) تاركاً حامية في (تدمر). وعند مروره (بحمص)، قتل بعض القادة والشيوخ التدمريين مع أتباعهم وأعوانهم وكان منهم (لونجينوس) مستشار (زنوبيا). ومن المحتمل أنه قتل قائد جيشها (زبدا).

لم تعرف حقيقة نهاية (زنوبيا)، البعض يعتقد بموتها وهي في طريقها إلى (روما) مرضاً أو امتناعاً عن الطعام. والبعض الآخر أن (أورليان) حينما وصل (روما) (274 م) أقام موكباً سار فيه الجنود وأعضاء مجلس الشيوخ والوحوش الضارية والأسرى. وكانت (زنوبيا) في ذلك الموكب في أجمل حليها مقيدة بسلاسل ذهبية في عنقها وأطرافها. وقيل أنه أطاح برأسها بعد موكب النصر. كما قيل أنها عاشت حتى بعد مقتل (أورليان). وتزوجت أحد أعضاء مجلس الشيوخ، وقضت بقية أيامها في فيلا ببلدة (تيبور)، على بعد عشرين كيلو متراً من (روما)، قرب قصر (هادريان) في منطقة (تيفولي). وكان لها بعض الأحفاد في القرن الرابع الميلادي.

كان مجلس الشيوخ الروماني يسخر من الإمبراطور (أورليان) ومن انتصاره على امرأة، فكتب إليهم يقول: «لو علمتم أي نوع من النساء هي (زنوبيا) لما فعلتم ذلك».

كانت الملكة (زنوبيا) سمراء البشرة، براقة العينين، مهيبة الطلة، أنيقة الملبس والزينة، ذكية، مثقفة، تتكلم عدة لغات منها الآرامية واليونانية. أحاطت نفسها بالنخبة من مثقفي عصرها ومنهم الفيلسوف اليوناني (لونجينوس) (Longinus) وكان مستشارها، ومعلمها.

كما كانت حازمة، شجاعة، وقوية الشخصية، تحكم بالعدل والديمقراطية، ورغم أن التدمريون كانوا يعبدون عدة آلهة إلا أنها تعاطفت مع الدين المسيحي، فكانت تسأل وصيفتها المسيحية عن ذلك الدين. كما كانت رزينة وحازمة مع جنودها وصبورة على الشدائد.

حينما رجع (أورليان) إلى (روما)، ثارت (تدمر) بقيادة (أبسوس) (Apsoeus) وقتلت الحاكم الروماني والحامية المؤلفة من ستمائة جندي. وعين (أبسوس) أحد أقرباء (زنوبيا) أو ربما أباها واسمه (أنطونيوس) ملكاً، وفي قول آخر أنه عين شخصاً اسمه (أخيل) ملكاً على (تدمر).

انضم (وادي النيل) إلى (تدمر) وهددا (روما) بالمجاعة. وعلم (أورليان) بذلك من (مارسيلينوس) حاكم (بلاد الرافدين). فعاد فوراً إلى (تدمر)، ودخلها في ربيع (273 م). وتركها لجنوده يسلبون ويقتلون ويدمرون. ثم عاد إلى (روما) في العام التالي.

وبعده أتى (ديوكليتيان) (Diocletian) وحكم بين عامي (282 و 1305) وحصن (تدمر) ولمنع خطر الساسانيين أقام حامية قوية فيها.

تدمر في أواخر العهد الروماني والعهد البيزنطي:

تصالح (ديوكليتان) مع الفرس عام (297 م) واستعادت (تدمر) مركزها التجاري لأنه أمر ببناء طريق (ستراتا ديوكليتيان) أي ط (طريق ديوكليتيان)

الذي كان ممتداً من جنوب (سورية) إلى (الفرات) مروراً (بتدمر). كما بني في (تدمر) معكسر (ديوكليتيان).

وقد حكم الرومان (تدمر) لمدة حوالي (400) عام أما الإمبراطور (جوستينيان) البيزنطي الذي حكم بين (527 و 565) فقد وجد (تدمر) خراباً، فرمم الأسوار وأضاف برجاً مستديراً بين كل ثلاثة أبراج مربعة كما رمم بعض الأبنية والأقنية المندثرة كقناة (أبي الفوارس). وأقام معسكره على أنقاض قصر (زنوبيا).

وأصبحت (تدمر) مقراً للأسقفية. وأسقفها هو (ماران). كما أصبحت معابدها: (بعل وبعل شامين واللات) كنائس مسيحية.

تدمر بعد الإسلام:

بعد الإسلام دخلها القائد العربي (خالد بن الوليد) صلحاً عام (634 م). وازدادت أهميتها في العهد الأموي وذلك لوجودها بين قصري (الحير الشرقي والغربي) اللذين بناهما (هشام بن عبد الملك) في عامي (727 و 728). وحينما دخلها الخليفة (مروان بن محمد) آخر الأمويين عام (745 م) ليهدأ ثورة سكانها عليه، هدّم قسماً من سورها وأخمد الثورة. وفي العهد العباسي أهملت، وأصابتها الزلازل في القرن العاشر.

وفي العهد الأيوبي والمملوكي رممت قلعتها التي صارت قلعة (فخر الدين المعني)، وكذلك جدران (معبد بل) فأصبح محصناً، وتحول الهيكل إلى مسجد.

وقد اكتشف حديثاً عدة مساجد ومعاصر زيت وأفران للفخار و الزجاج تعود إلى هذه الفترة أي القرن (11 حتى 15 م).

وحينما دخل (تيمورلنك) في أواخر القرن الرابع عشر (تدمر) هدمها، ووضع نهاية لأهميتها وتجارتها.

وفي عهد العثمانيين كانت (تدمر) مهملة ومغمورة ثم بدأ الاهتمام

بأمرها في عهد الانتداب الفرنسي (1919 - 1946, وفي عهد الاستقلال دبت الحياة فيها وبدأت الترميمات والاكتشافات الأثرية تجري بها حتى الآن.

بادية تدمر:

بادية (تدمر) هي هضبة ارتفاعها بين (400 - 1400 م). على سطحها سلسلتان جبليتان تتفرعان قرب (دمشق) عن سلسلة جبال لبنان الشرقية. أعلى قمة فيها (جبل البلعاس) (حوية الرأس) ارتفاعها (1400 م). وبين السلسلتين سهل (الدّو).

تتوضع بعض القرى والواحات على الينابيع مثل (تدمر، السخنة، أرك، الكوم، الطيبة). وفيها وديان تصبح أنهاراً لبضعة أيام عند هطول المطر الغزير من الأودية وهي: (وادي الأبيض، وادي عبيد، وادي اللاطوم، وادي المياه، وادي التياس، وادي حجار، وادي الأحمر، وادي السوق، وادي صواب). وعبر الهوة بين سلسلتي جبال (لبنان) عند (طرابلس) و (حمص) تأتيها رياح غربية وغربية جنوبية ماطرة لأنها قادمة من البحر (الأبيض المتوسط) والثلج فيها نادر. ولكن الجليد يدوم بضعة أيام أحياناً.

أما الرياح الشمالية الغربية فتحمل إلى (تدمر) البرد والصقيع. والرياح الشرقية والشمالية الشرقية باردة شتاءً وحارة جافة صيفاً. وحينما تنهمر الأمطار تصبح البادية بساطاً من الأعشاب والأزهار البرية. وتمتلىء الآبار بالمياه وتزداد مياه الينابيع. وتجري المياه بالوديان. وتصبح البادية مرعى للمواشي وأرضاً خصبة لزراعة الحبوب.

في العصر الحجري القديم كان في حوض (تدمر) بحيرة دائمة في موقع (الملاحة) حالياً. وكانت جبال البادية ووديانها مكسوة بالأشجار، نجد بقاياها في أعالي الجبال مثل التين والبربريس والبطم.

وكان فيها غزلان وفهود منقطة انقرضت مع الأيام. ومن الوحوش حالياً الضبع، الثعلب، الأرنب، وابن آوى وعدد من الطيور الكاسرة أو المهاجرة.

واحة (تدمر) كانت محطة للقوافل بين الشرق، و (الخليج العربي)، والغرب، والبحر (الأبيض المتوسط). وسكنت هذه الواحة منذ العصر الحجري القديم (باليوليتيك). وجدت في مغارات (جرف العجلة) و (ثنية البيضاء) و (الدوارة) آثار ذلك الإنسان الحجري.

أول المساكن التي أقامها الإنسان في الواحة كانت قرب النبع في الألف السابع قبل الميلاد أي في العصر الحجري الحديث (نيوليتيك). ووجدت في التلال الركامية كثير من آثاره وتتألف من أدوات صوانية كان يستعملها في حياته اليومية.

تحيط (بتدمر) الجبال التدمرية. وفيها نبع معدني هو (أفقا) أي (النبع) بالآرامية. وتتوضع في قلب (واحة) (Loisis) من شجر النخيل والرمان والتين. مساحتها حوالي (3000 هكتار). تشرب (تدمر) من نبع يبعد عنها (22 كم) غرباً. وكان في (تدمر) ينابيع عديدة جفت مع الأيام. مساحة المدينة (800 هكتار) وعدد سكانها الحالي حوالي (50 ألف نسمة) ويقع قربها سد (حربقة) وهو من القرن الأول الميلادي.

ولبناء (تدمر) استعملت أحجار كلسية جلبت من مقالع تبعد حوالي (12 كم) شمالها. فكانت الأحجار تقطع بالفأس أو بوضع قطع خشبية في شقوق الأحجار ثم تسقى بالماء حتى تتشبع فتتوسع وتتشقق الحجارة مهما كانت ضخمة. فيسهل تقطيعها ومن ثم نقلها إلى (تدمر).

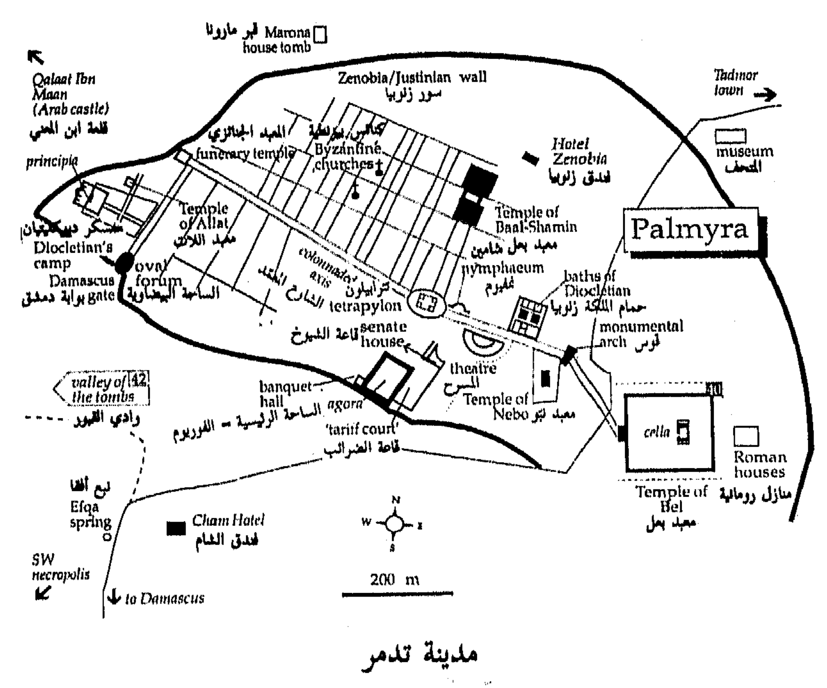
حصل انهيار عام (1987) على طريق (حمص). فظهر مدفن يعود إلى عام (98 م) عثر فيه علىمنحوتات رائعة منها سرير جنائزي.

على بعد (31 كم) جنوب شرق (تدمر) يوجد حصن روماني من القرن (2 م) يدعى حالياً (خان الحلابات). وهو بناء مربع الشكل وفي زواياه أبراج دائرية. رمم عام (1978).

مدينة تدمر:

تصميم المدينة القديمة يوناني - روماني. ومهندسها كان (أبولودور

الدمشقي) (Apollodore) رئيس مهندسي الإمبراطور (تراجان) (Trajan) (98 ـ 117 م). وكان هو من صمم ونفّذ معظم أبنية الإمبراطورية الرومانية، بما فيها أبنية (روما) نفسها وأهمها (فوريوم تراجان). قال (م. بويت) (Poete . M): «(روما) لم تخترع تخطيط المدن بل وجدته وادعته لنفسها». وأشار إلى نفس الشيء كل من (لافدان) (Lavedan .P .M) و (بريسك) (Breyssek .S). كان تأثير الفن السوري كبيراً على الرومان وكذلك كان التأثير الديني. وأيّد هذه الفكرة شاعر (روما) الساخر (جوڤينال) (Juvenal) حينما قال: «أن (العاصي) يصب في (التيبر) آتياً معه باللغة والعادات والفن».



مدينة تدمر

أبنية (روما) مثل (فوريوم تراجان) و (حمامات كاراكالا) وقصور (سڤيران) وقصر (فيليب العربي) وجسر (ميسي) على (الدانوب)، كلها مشابهة لما في (سورية) من أبنية تعود إلى عهود متتالية للأباطرة والباباوات من أصل عربي.

في البداية، لم يكن (لتدمر) تصميم معين للبناء، فتوضعت بيوتها كيفما اتفق حول نبع (أفقا) وحول معبد (بل). وسكن الناس في القسم الغربي من (تدمر). وكانت بيوتهم مبنية بالحجارة الصغيرة. واللبن والطين. ولكن حينما ازدهرت (تدمر) في القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وتكاثر عدد السكان، بدأت النهضة العمرانية. وبنيت معظم الأبنية المهمة في (تدمر) خلال هذه القرون الثلاثة.

في مدخل (تدمر) كان هناك أربعة أعمدة أقيمت على شرف شخصيات هامة في المدينة، وكانت تماثيلهم منصوبة عليها. لم يبقَ منها سوى واحد.

أسوار (تدمر):

لم يكن (لتدمر) سور حينما هاجمها (مارك أنطونيو) عام (41 ق. م). ثم بنى التدمريون سوراً أساسه حجري وأقسامه العلوية من اللبن والطين. ويعرف الآن (بسور الجمارك). لا تزال بقاياه في الزاوية الجنوبية الغربية، على سفح جبل (المنطار)، قرب مدفن الأخوان الثلاثة الأرضي. وكان جزء السور العلوي موازياً لقلعة (فخر الدين المعني).

وفي زمن الملك (أذينة) ثم زوجته (زنوبيا)، أقيم سور دفاعي، كان أصغر وأمتن من السور السابق، بني بأحجار منحوتة عرضه يتراوح بين (280 سم إلى 300 سم). يبلغ طوله حوالي (12 كم). فيه أبراج مربعة يفصل بين كل برجين (37 م). رممه (ديوكليتان) في أواخر القرن الثالث الميلادي. ثم جدده ورممه الإمبراطور (جوستينيان) خلال النصف الأول من القرن السادس الميلادي. وأضاف إليه أبراجاً نصف دائرية، واحد بين كل ثلاثة أبراج مربعة. أخذت حجارتها من الأبنية القديمة. وقد تهدم جزء كبير منه في عهد (مروان الثاني) عام (745 م) آخر الخلفاء الأمويين.

أبراج السور المربعة كانت صمّاء أي مليئة بالأتربة والحجارة. أما النصف

دائرية فكانت تحتوي على حجرة داخلية فيها درج يقود إلى الأعلى، وفيه مرامي للسهام. ويبدو أن القسم العلوي منها كان من القرميد.

وقد استخدمت المدافن الأربعة، والمدافن البيوت، كأبراج ضمن السور في عهد (جوستينيان).

وتم اكتشاف عدد كبير من الكتابات والمنحوتات والتماثيل التي استعملت في بناء السور.

المتحف:

افتتح رسمياً في (6) آب عام (1961). يضم بين جدرانه لقى من منطقة (تدمر).

وصف محتوياته:

على يمين المدخل يوجد كهف يعطي فكرة عن السكن الأول لإنسان ما قبل التاريخ في (كهف الدوارة). والكهف الأصلي يقع على بعد (22 كم) غرب (تدمر). وجدته بعثة أميركية عام (1955)، ونقبت فيه بعثة يابانية في أعوام (1970 و 1972 و 1974). كما اكتشفت بقايا عضوية وأدوات صوانية لإنسان العصر الحجري القديم والأوسط في عدد كبير من الكهوف.

استمر الإنسان بالسكن في منطقة (تدمر) منذ نصف مليون سنة. وكذلك في العصر الحجري القديم والوسيط في منطقة (الكوم) وقد وجد منزل هناك.

عرضت آثار الإنسان العاقل، وهو من العصر الحجري الحديث أي الألف السابع أو السادس قبل الميلاد. وهو الإنسان الذي بدأ بالاستقرار فزرع الأرض ودجن الحيوان وبدأ بالصناعة البسيطة. من آثاره تمائم، ورأس فأر من الرخام، وأصداف، ومخارز من العظم، وقطع جصية عليها نقوش بسيطة. وقطع فخارية من الألف الخامس قبل الميلاد، وكذلك جرار فخارية من الألف الرابع ق. م، وهي من مدينة (أوروك) السومرية، جنوب (الرافدين).

القاعة الأولى:

تقع على يمين المدخل فيها لوحة توضيحية لتطور اللغة الآرامية. وكانت قد استعملت من (الهند) إلى (وادي النيل) ما بين القرنين السادس قبل الميلاد والسابع الميلادي. وتتألف اللغة من (22) حرفاً تكتب وتقرأ من اليمين إلى اليسار.

ثم لوحة قاعدة تأسيسية لمعبد (بل) المؤرخة في عام (32 م) ومذابح نذرية اكتشفت في مدخل نبع (أفقا) بين عامي (1947 و 1978). قدمها التدمريون نذوراً لإله النبع. في أعلى كل واحد جرن لوضع البخور ودماء الأضاحي والمياه المقدسة. وعليها كتابة هي (إلى الذي تبارك اسمه إلى الأبد، الطيب الرحمن الرحيم، إله النبع، قدمه من أجل الشكر...).

على الجدار الغربي توجد أقدم كتابة معروفة باللغة التدمرية وهي: «في شهر تشرين من عام (219) أي (44 م) أقام كهنة (بل) هذا التمثال (لجذيماي) أي (جذيمة) بن (نبوزيد) من قبيلة بني (كهنبو)».

أمام الجدار الجنوبي، توجد قاعدة تمثال عليها كتابة يونانية. قدمته نقابة الدباغين وصانعي القرب في (تدمر) إلى صاحب السمو (سبتيموس حيران) ابن صاحب السمو الملك (أذينة) عام (569) أي (258 م).

القاعة الثانية:

على الجدار الشرقي قوس ربة النصر المجنحة، تحمل إكليلاً من الغار وسعف النخيل. وإلى جانبه مثلث متدرج الجوانب (ميرلون) كان يزين أعالي الأبنية القديمة في (سورية). على الجدار الشرقي أيضاً، لوحة لكاهن يولد من صدفة وجدت في الحمامات واكتشفت عام (1969). إلى جواره لوحة محاطة بالزخارف، فيها تمثال الإله (ملكيبول) إله الفصول والمواسم، ومحراب صغير. في أسفل اللوحة نسور. وفي أعلاها واحد منهم فارداً جناحيه وهي رموز للرب (بعل شامين).

الجدار الغربي فيه أفاريز من الزخارف النباتية والهندسية، وجدت في معبد (بل) القديم من القرن الأول قبل الميلاد.

القاعة الثالثة:

فيها مجموعة من التماثيل كانت تزين ميدان وشوارع المدينة ومعابدها وأعمدتها التذكارية. تخليداً لرجالات تدمرية البارزة، منهم شيوخ، وفرسان، وهجانة، وكهنة، وتجار، وعسكريين، وموظفين، ورؤساء قوافل. والتماثيل بالحجم الطبيعي. ترتدي ملابس محلية وهي عبارة عن ثوب طويل فوقه عباءة تلتف حول الكتف. وتنتعل صندلاً أو ترتدي قميصاً وسروالاً مطرزين بالقصب أو خيوط الفضة والذهب. وهي ملابس مستوردة من بلاد فارس، خاصة للطبقة الغنية في (تدمر).

كما يوجد لوحة عليها سفينة مع ربانها من القرن (3 م). كانت تنقل البضائع إلى (تدمر) من مينائها (ميسان) على الخليج العربي. ومن ميناءين لها على الفرات هما (دورا أوروبس) أي (الصالحية)، و (سورا) في (قرية الحمام) شرقي سد (الفرات).

على الجدار الجنوبي لوحة ضابط مع جنوده الهجانة، كانوا لحماية الطرق التجارية.

في الخزانة رقم (1) أواني فخارية اكتشفت في معبد (بعل شامين) عام (1955).

الرواق الغربي:

فيه لوحات لأرباب تدمريين. على اليمين مذبح للربة (اللات)، إلهة الحرب والسلم. ورمزها الأسد والسنبلة وسعف النخيل. على وجه المذبح الأمامي الرب (ملكيبول)، إله الفصول والمواسم، يمتطي عربة يجرها حصانان مجنحان. على الوجه الآخر (شارو) أي (شيع القوم) إله القوافل وحاميها، يمسك رمحاً وسيفاً. وجد في معبد (بعل شامين) عام (1955). إلى جواره (تيكة) ربة الحظ، وحامية مدينة (تدمر). تحمل فوق رأسها قبعة عليها سور وأبراج المدينة. من القرن (3 م).

لوحة فيها أرباب تدمريين هم من اليسار. (يرحبول) إله الشمس، و (بل) كبير الإله في (تدمر) و (بابل)، و (عقليبول) إله القمر، و (أرصو) أي (عزيزو) أي (فينوس). وعند العرب (عزى)، رمزها كوكب الزهرة أي نجمة الصباح أو المساء، وتعرف حالياً باسم نجمة الراعي، وتشاهد عند الغروب في جهة الغرب متلألئة في السماء.

على الجدار الغربي يوجد سقف باب عليه نسر فارداً جناحيه. وعلى جانبيه آخران يحملان أغصان الزيتون رمز الخصب والسلام. تحت جناحيه رب القمر (عقليبول) ورب الشمس (يرحبول). وجدت هذه اللوحة في معبد (بعل شامين) عام (1955).

على الجدار الشمالي لوحتا فسيفساء تمثل حروب (طروادة) وأسطورة (أخيلوس) و (عوليس)، وتربيته بعيداً عن الأنظار ثم موته بسهم في كاحله. من القرن (3 م).

اللوحة الثانية عليها مشهد إله الصيد، وهو حيوان خرافي، نصفه إنسان، يقاتل مجموعة من الوحوش الهائجة. وجدت اللوحتان عام (1940) في دار تدمرية شرق معبد (بل). وكانت تغطيها أرضيات الدار. بين اللوحتين الرب (يرحبول) إله الشمس، يرتدي ملابس محلية، من القرن الأول الميلادي. وجد في معبد (نبّو) عام (1964).

الرواق الشرقي:

الخزانة الأولى: فيها (ذو الشراة) أي (باخوس) إله الخمرة الروماني. أي (ديونيسيوس) اليوناني، وهو عار وسكران. كما يوجد تمثال (لهرقل) ولكاهن تدمري وغصن غار، ووزنة ثقلها (333 غ)، وسلاسل لتقييد الحصان. وجميعها من البرونز، وجدت بين عامي (1970 و 1978).

الخزانة الثانية: فيها مصنوعات برونزية زعرور، أميال، نصال، أساور، خواتم وبقايا أواني.

الخزانة الثالثة: فيها نقود فضية وبرونزية ونحاسية من عدة عصور: تدمرية، رومانية ، بيزنطية، عربية إسلامية. بينها (دراخما) فضية من عهد (الإسكندر المكدوني). ونقود من عهد (وهب اللات) و (أورليان). ونقد برونزي من عهد (فيليب) العربي إمبراطور (روما) ودراهم أموية وعباسية وأيوبية وأرتقية ومملوكية.

الخزانة الرابعة: فيها دنانير وحلي ذهبية من القرن السادس والسابع الميلادي. وهناك فص خاتم كتب عليه بالعربية (شكراً لله). وفص خاتم آخر من العقيق عليه كتابة عربية (من فكّر في معاده قصّر عن مراده). وهناك عقود من الخرز والأصداف ومكاحل ومغازل وأبازيم أحزمة من البرونز.

عثر على معظم هذه المجموعة في مقبرة حديقة متحف (تدمر) عام (1968).

الخزانة الخامسة: فيها رفين العلوي خزف تدمري من ما بين القرنين (1 و 3)، بينهما صحن فخاري روماني (تتراسجلاتا). وعلى الرف السفلي خزف عربي إسلامي من ما بين القرنين (10 و 14 م).

في نهاية الرواق توجد لوحة عليها خمسة أرباب تدمريين، هم من اليمين إلى اليسار:

عشتار: إلهة الحب والجمال والخصب والحرب.

عقليبول: إله القمر.

بل: رئيس مجمع الأرباب.

بعل شامين: إله الخصب والمطر والنبع.

يرحبول: إله الشمس.

وجدت هذه اللوحة أمام بئر ماء على بعد (20 كم) شمال شرق (تدمر) عام (1963). وكانت اللوحة قد وضعت للتبرك واستمرارية نبع الماء في العطاء.

إلى جوار اللوحة السابقة يوجد رأس (ذو الشراة) رب الخمرة. وكان يعبد من قبل العرب الأنباط، وعرب شمال الجزيرة العربية. تبدو ملامح وجهه معبرة. تطوق عنقه عناقيد الكرمة. وجد في مدفن (إيلابل) في وادي القبور وهو من القرن (2 م). وهناك تمثال لـ (أقما بنت عطيلينا بن حجاج) من أسرة (مبارك بن أمريشا)، من النصف الأول من القرن (2 م)، وجد في المدافن الجنوبية الغربية.

في وسط الرواق خمس خزائن:

1 ـ الأولى فيها تماثيل إنسانية وحيوانية وأزهار جصية صبت بالقالب، وتستعمل لزخرفة البيوت.

2 ـ الثانية فيها أواني زجاجية وجدت في المقابر، تعود إلى القرن الأول حتى السادس الميلادي. فيها المدافع، وكأسان مقوسان (كاليس). عثر عليها في مقبرة اكتشفت في حديقة المتحف عام (1968) وهذه اللقى من القرنين (5 و 6 م).

3 ـ الثالثة فيها بطاقات دعوات للولائم الدينية مصنوعة من الفخار، أو الرصاص، أو البرونز، وأحياناً من الذهب، على وجهها الأول صورة صاحب الدعوة، وعلى الآخر صورة أحد الأرباب.

4 ـ الرابعة: فيها مجموعة من المباخر والسرج الفخارية. كانت تستعمل للإنارة بعد ملئها بالزيت، وتوقد بواسطة فتيل.

على الجدار الشمالي: لوحة فسيفساء تمثل (اسكولاب) إله الطب، ورمزه الثعبان، ويعبر عن تجدد الحياة.

على الجدار الجنوبي: لوحة فيها الملكة (كاسيوبة) ملكة (إثيوبيا) التي غارت منها عرائس المال لجمالها، فاشتكينها إلى (نبتون) إله البحر، فأرسل وحشاً ليخرب مملكتها. افتدت (كاسيوبه) نفسها ومملكتها وشعبها بأن قدمت (أندروميد) ابنتها فدية عن الجميع.

القاعة الرابعة:

فيها سرر جنائزية وتماثيل وشواهد وكتابات عثر عليها في المدافن: على الجدار الجنوبي سرير أسرة (مالك) وعائلته. من القرن (2 م)، وجده (أنغولت) عام (1936) في منطقة المدافن الجنوبية الغربية.

وعلى الجدار الغربي: سرير أسرة (عشتور بن مالك) و (زبيدا بن مقيمو بن بكري) من القرن (2 م).

وعلى الجدار الشمالي: أسرة (زبيد ابن عجيلي) من عام (112 ك) وأسماء أولاده (سلمان) و (سلمى) و (مالك).

على الجدار الشرقي: شواهد قبور فردية عليها رسوم الأموات أو شعار الموت مع ذكر أسمائهم وكلمة (وا أسفاه).

في الوسط تابوت عليه تماثيل لرجال ونساء يحمل كل منهم ما يدل على عمله أو هواياته.

القاعة الخامسة:

فيها سرير جنائزي، وتماثيل أسرتي (بولبرك) و (ساسان) التدمرية، من القرن (3 م). إلى جوار السرير، يوجد تمثال ربة النصر المجنحة، تحمل قرن الخصب، وإكليل الغار.

في وسط القاعة: مومياءتين محنطتين من القرن (3 م) من مجموعة وجدت في (وادي القبور). أكفانها الحريرية نقلت إلى متحف (اللوفر) في (باريز).

في وسط القاعة: خزانتين فيها أقمشة تدمرية، وورق بردي.

القاعة السادسة:

فيها سرير وتماثيل، وجدها الدكتور (عدنان البني) والأستاذ (نسيب الصليبي)، عام (1957). في مدفن (سلام اللات بن مالك) من عام (146 م). في (وادي القبور).

تماثيل النساء مزينات بالحلي مما يدل على الغنى والرفاهية.

الطابق الأول:

فيه جناح الفن الإسلامي، ومتحف للفلكلور الشعبي.

كان رجل الدين في (تدمر) يضع على رأسه قلنسوة أسطوانية الشكل، مصنوعة من مادة سميكة، وفيها ما يشير إلى مركزه الديني. إن كان في وسط القلنسوة نقش شخص يكون من مستوى ديني عالي، ونقش الزهرة مركز ديني آخر. أما إن كانت ثلاثة خطوط أفقية متوازية فهو من مستوى ثالث. وهناك قلانس خالية من أية زينة. وأخرى مزينة بإكليل من أوراق نبات ما تتوسطه زهرة. والوردة أعلى رتبة دينية.

وكان الكهنة يرتدون قميصاً له أكمام مختلفة الطول تشبه ما يلبسه كهنة (دورا أوروبوس)، وفوق القميص عباءة من قطعة واحدة تغطي الظهر والكتفين. ويتمنطقون بحزام ذو نطاقين. وغالباً ما يكون الكاهن حافي القدمين وفقاً للعادات المحلية واليونانية.

أما المرأة، فكانت ترتدي (Toga)، كالرومان، فوق ثوب طويل الأكمام أو قصيرها، تشبكه قرب الكتف بمشبك. تحت وشاح الرأس توجد عمرة ملفوفة فيها عصبة مطرزة. والثياب مطرزة الصدر والأكمام. وتتزين بالأساور والخواتم والعقود. وفي التمثال النصفي تبدو المرأة وفي يدها اليسرى مغزلاً أو ملفافاً، مما يدل على هوايتها أو على براعتها في الغزل.

اللغة التدمرية:

كان التدمريون يتكلمون لغتين: في القرن الثاني كانت الإغريقية وهي لغة الأرستقراطيين والمثقفين، استعملوها في كتاباتهم الدينية والرسمية والتذكارية. وبقيت سائدة حتى القرن الثاني عشر الميلادي. وكان ذلك بسبب الاحتكاك الثقافي والتجاري مع الإغريق.

أما اللغة الثانية فكانت الآرامية الإمبراطورية التي سادت في الشرق الأوسط كله لمدة ألف عام.

واللغة التدمرية اشتقت من الآرامية. واللغات التي تدعى بالسامية هي: النبطية، العربية، الآرامية، العبرية، التدمرية، والسريانية الشرقية، والغربية. وفيها جميعاً عناصر متشابهة. ويجب أن تسمى لهجات بدلاً من لغات لأنها بالأصل هي من لغة واحدة. وقد تكلم التدمريون اللهجة الآرامية حتى عصر البيزنطيين.

تتألف اللغة التدمرية من (22) حرفاً تكتب من اليمين إلى اليسار. وللكتابة نوعان:

1 ـ الخط القاسي وهو للحفر والنقش على الحجر. أقدمها يعود إلى (44 ق. م) وأحدثها إلى (262 م).

2 ـ الخط اللين: وتستعمل الفرشاة أو الريشة أو القلم في كتابته على أوراق البردي أو رق الغزال. وتبدأ من الأعلى إلى الأسفل. ومنه نشأ الخط السرياني الشطرنجيلي (Estrangula – Syriac).

بدأت الكتابات التدمرية واليونانية منذ الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد. واستمرت على مراحل حتى القرن (3 م).

اكتشف العديد من الكتابات الآرامية واليونانية في (تدمر). وكانت هذه النصوص إما:

نصوص تكريمية: تنقش تحت التمثال وتذكر اسم صاحب وسبب إنشائه وغالباً ما تكون باللغة الإغريقية.

نصوص جنائزية: وجدت على المدافن تذكر الاسم وعام الوفاة.

نصوص تكريسية: على أحجار تأسيس المعابد والأبنية العامة وعتبات المدافن وغالباً ما تؤرخ عام البناء.

نصوص نذرية: تقدم النذر مع اسم الهادي والتاريخ.

نصوص رسمية: مثل القانون الضريبي، والتعرفة الجمركية.

ويبدو أن الكتابات اليونانية كانت تكتب بأيدٍ محلية والدليل على ذلك ذكر أسماء الكتاب المحليين، وجود أخطاء في الكتابة، مما يدل على أن الكاتب لا يجيد تلك اللغة.

عثر في (تدمر) على ثلاثة نصوص فقط كتبت باللاتينية.

تمثال اللات:

يقف في نهاية الرواق الشرقي. عثرت عليه البعثة البولونية قرب معبد (اللات) عام (1975). وهي (أثينا) عند اليونان و (منيرڤا) عند الرومان. من نهاية القرن (2 م) أو بداية القرن (3 م). وهو نسخة رومانية طبق الأصل عن رائعة (فيدياس) (Phidias) (أثينا - بارتنوس) التي قدمها لمعبد (البارتنون) في القرن الخامس قبل الميلاد. مصنوع من المرمر، ارتفاعه (2.5 م) مع القاعدة. ترتدي الربة (بيبلوس) شفاف وتقف وفي يدها اليمنى رمحاً مفقوداً (رمز الحرب). على صدرها وكتفها درع في منتصفه رأس (ميدوزا). تغطي (اللات) رأسها بخوذة عليها (أبو الهول)، حول إطارها زخارف من الحيوانات الأسطورية، وفي يدها اليسرى المفقودة، كانت تحمل ترساً أو نسراً (رمز النصر). ملامحها جميلة، وعيناها واسعتان معبرتان، وعلى شفتيها ابتسامة لطيفة.

تمثال أسد الربة اللات:

أمام مدخل المتحف الخارجي، وعلى اليمين، يوجد تمثال أسد الربة (اللات)، من القرن الأول قبل الميلاد. وجد في معبد (اللات) في أيار عام (1977). وهو لوحة نافرة من الحجر الكلسي الطري. ارتفاعه (345 سم)، وعرضه عند القاعدة (154 سم). يستند الأسد على قائمتيه، رافع الرأس، فاغر

الفم. متحفزاً وشرساً بين قائمتيه يرقد وعل سليم وآمن.

يمثل الأسد القوة والشراسة التي يتصف بها، مما يؤهله للدفاع عن المعبد وعمن يلجأ إليه أو يتعبد فيه. أما الوعل فآمن يحميه. على قائمة الأسد اليسرى كتابة تدمرية: «الربة (اللات) تبارك كل من لا يسفك الدماء في المعبد».

المدافن:

آمن التدمريون بالحياة بعد الموت لذلك أطلقوا على المدافن اسم (بيت الأبدية) وكان لكل أسرة مدفنها الفخم المزخرف بالجص أو الحجر أو الفريسكو وهو الرسم على الجص. وكان في المدفن بئراً للسقي والتطهر. وباب المدفن كان من الحجر المنحوت. عادة ما يكون فوقه نافذة للإنارة والتهوية، وكتابة تؤرخ تاريخ البناء واسم صاحبه. أما الجدران الداخلية ففيها قبور على شكل أرفف عمودية على الجدران، تتوضع فوق بعضها البعض، يفصل بينها ألواح من الرخام أو الحجر.

بعد الدفن يغلق القبر بتمثال نصفي يسمى (صلم أي صنم) أو (نفشا أي نفس). ويُكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته. وأحياناً تضاف كلمة (حبل = وأسفاه). وفي صدر الجناح الرئيسي بالمدفن يوجد السرير الجنائزي، الذي يضم تماثيل باني المدفن وأفراد أسرته الأموات والأحياء. وهي وليمة رمزية تؤنس وحشة الميت في عزلته الأبدية. ويقام السرير فوق قائمتين بينهما واجهة عليها أيضاً تماثيل نصفية لأفراد الأسرة. وتمثال رب الأسرة عادة ما يكون مضجعاً وإلى جانبيه زوجته وبعض أولاده وقوفاً. وتكون يد الميت مفتوحة استسلاماً للموت أما الأخرى فتقبض على شيء دليل حب الحياة. ويرتدي الجميع الملابس الجميلة المطرزة، كما تتحلى النساء بالمجوهرات. وقد وجدت في بعض المدافن البرجية بعض المومياءات مكفنة بالحرير مع حشوات كتانية إلا أنها شقت ونهبت.

هناك أربعة أنواع من المدافن:

المدافن البرجية: وهي أقدم المدافن وتعود إلى العهد الهلنستي آخرها كان

في عام (128 م) وقد استعملت هذه القبور حتى القرن الثالث.

المدافن الأرضية (Hypageum):

وتعود إلى ما بين (81 و 251 م) ولها مثيل لدى الفينيقيين و (وادي النيل).

ومدافن تضم كل من الأرضية والبرجية، وكان الميت يدفن تحت الأرض ثم تؤخذ بقاياه إلى المدفن البرجي.

المدفن البيت: وهو آخر أساليب القبور من (143 حتى 251 م) إضافة إلى القبور المفردة.

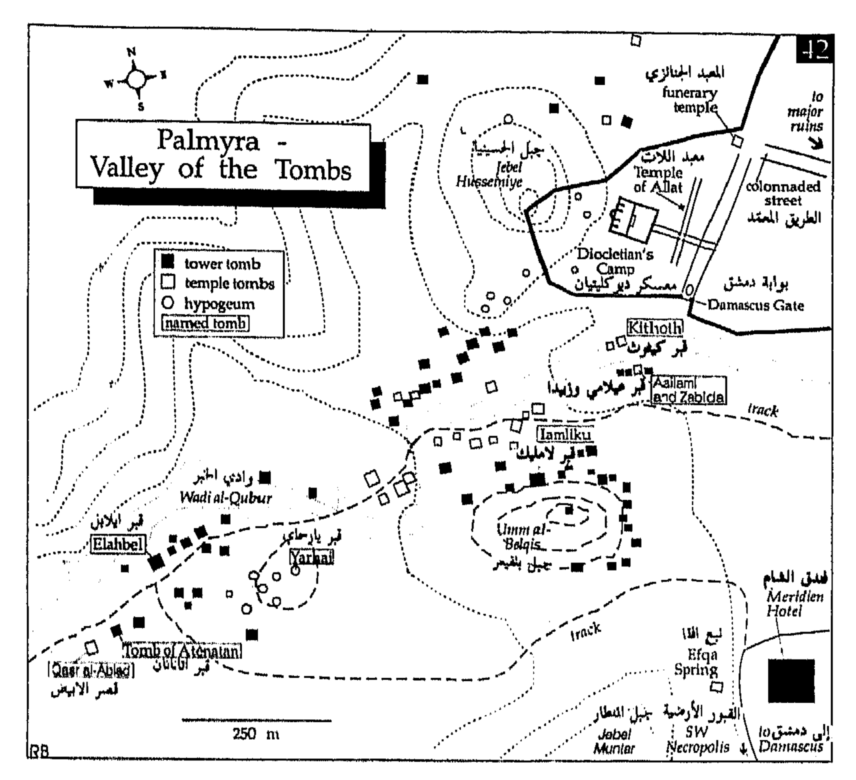
ووجدت معظم هذه المدافن في (وادي القبور)، ويقع غرب جبل (الحسينية) خلف معسكر (ديوكليتيان)، ويتمد مسافة كيلو متر واحد.

المدافن الأبراج:

هي أقدم المدافن معظمها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد. كانت بسيطة تفتح إلى الخارج. وفي بداية القرن الأول الميلادي بدأت العناية بها فصارت تزخرف من الداخل والخارج. وعادة ما تكون مربعة الشكل مبنية فوق مصطبة لها أدراج.

والمدفن يتألف من (3 إلى 4) طوابق يقود إليها درج حجري. الطابق الأول مزين بالنقوش والعضائد والأفاريز والتيجان والزخارف. أما السقف فمقسم إلى أشكال هندسية متناظرة، مدهونة بالألوان، بينها أشكال إنسانية نافرة.

والمدافن البرجية لا وجود لها إلا في (تدمر)، و (حلبية) ميناء (تدمر) النهري. وهي تصميم تدمري محض يلائم مناخ تلك المنطقة وأذواق سكانها. وأفضل نماذج للمدافن البرجية الباقية هي: (إيلابل)، (يمليكو) (كيتون) في وادي القبور، غرب مدينة (تدمر). إضافة إلى حوالي (150) قبر آخر فيه.



تدمر ـ وادي القبور

قبر أتاناتان (Atenatan):

وهو أقدمها من عام (98 م). وهو بناء بسيط لا زخرف فيه. يتألف من (6) طوابق. وله باب صغير. وسّع في عام (229 م) بإضافة بناء إلى الشمال. كرس لشخصية تدمرية مهمة اسمه (ماغاي) (Maqqai). نقش رسمه على ظهر بلاطة القبر، وهو بين خادمين، أحدهما يمسك له حصانه، والآخر يمسك له قوسه.

قبر إيلابل (Elabel):

من أشهر وأكبر القبور البرجية، جيد الحفظ، يعطي فكرة واضحة عن هذه القبور. يعود إلى (103 م). وكان ملكاً لأخوة أربعة هم: (إيلابل) و

(شاكي) و (معني) و (مقيمو). وهم أولاد (وهب اللات بن معني). وكان لهذه الأسرة شأن في ازدهار المدينة وبنائها. يتألف من أربعة طبقات، مدخله من الجهة الجنوبية. القبو فيه قبور (Hypogeum) ومدخله من جهة الشمال.

كان باب المدفن البرجي حجرياً. فوقه حجر الأساس، نقشت عليه كتابات باليونانية والتدمرية، تشير إلى اسم العائلة التي تملكه وتاريخ بنائه. وفوق الحجر توجد شرفة. وهذا المدفن كان للاستثمار التجاري يتسع لـ (300) ميتاً. ويؤجر لمدة معينة.

على طرفي كل جدار في القاعة الأرضية، يوجد معازب مستطيلة. كل واحد فيه تسع أرفف لعشرة مدافن. كان الميت بعد معالجته حسب الطقوس، يلف بالحرير، ويوضع على جانبه الأيسر، مع ممتلكاته على رف من الحجر الكلسي، ويُدخل في المعزب. ورأسه عند الفتحة، ثم يغلق المدفن بتمثال نصفي له وعليه اسمه.

وللمعازب عضائد مخددة تيجانها كورنثية. والسقف فيه مربعات منقوشة وملونة. على يمين الباب من الداخل يوجد نحت للأخوة الأربعة. وفي الجدار الشمالي تماثيل نصفية للعائلة وهم يجلسون على السرير الجنائزي. وكذلك توجد نقوش لخمسة من النسوة هن زوجات الأخوة مع واحدة من أخواتهم. وفوقهم صف من أربعة نقوش للأخوة الأربعة. وفوق الباب نقش لأحد أبناء (إيلابل) وقربه نقشان في الأعلى وثلاثة في الأسفل. وعلى يسار المدخل درج يقود إلى الطبقات الأخرى.

وقد وجد في القبر كثير من العظام والمجوهرات والأشياء الخاصة. وقربه يقع قبر (أتاناتان) (Atenatan) البرجي.

ومن القبور البرجية:

قبر كيثوث (Kithoth):

بني عام (40 أو 50 م) ارتفاعه (10 م). نقشت في محرابه وليمة جنائزية في الجهة الشرقية، وهو من أوائل القبور في (تدمر) التي تأثرت بالأسلوب

الفارسي الباريثاني القاسي، وجعل هذا الأسلوب ألطف بعد تأثره بالهندسة الرومانية.

قبر لامليكو أو (يمليكو):

ويقع على منحدر تلة (أم بلقيس) بني عام (83 م). وهو قبر عائلي ومن أوائل القبور التي بنيت. رمم بين عامي (1973 و 1976). فيه أعمدة كورنثية وله أفريز جميل، بقي منه (3) طوابق ويحتوي على (200) قبر. وهو من أهم القبور بعد قبر (إيلابل).

مدافن تحت الأرض (نيكروبوليس) (Necropolic أي Hypogeum):

أشهرها قبر (يارحاي) الذي نقل وبني في متحف (دمشق). وأفضلها حالاً مدفن الأخوة الثلاثة وهم: (ملاء) و (سعدي) و (نعمين). وهو من منتصف القرن الثاني (160 م). وبقي قيد الاستعمال حتى عام (259 م) ورمم عام (1947). وهو قبر نصف تجاري للتأجير لمدة معينة يستوعب (390) ميتاً. وجدت فيه كتابات تشير إلى التنازل عن أجزاء من المدفن لقاء مبلغ معين. وهذا ما كان يحصل كثيراً في القرن الثالث أثناء أزمة (تدمر) الاقتصادية.

اكتشفه صدفة فلاح كان يحمل حجارة لبناء بيته. وبدأ الدانمركي (برونسيون أنغلوت) عام (1931)، التنقيب فيه، وكان اللصوص قد نهبوه ولم يبقَ فيه إلا العظام ومخلفات بسيطة. وبصورة عامة لم يعثر على أية مومياء في القبور الأرضية.

بابه ودرجه كانا من الحجر، والباب مؤلف من درفتين تزنا (3 طن). فوق المدخل كتابات تدمرية، تشير إلى أسماء أصحابه. وإلى أنه قبر تجاري. بني في العام السلوقي (333) والفرق بين التاريخ التدمري والسلوقي (311 سنة) وبذلك يكون البناء في عام (22 م). مخططه على شكل (T) مقلوبة. جدرانه مطلية بالجص. في أجنحته الثلاثة يوجد (65) من المعازب. في كل واحد خمسة

أرفف أي ستة مدافن. مقابل المدخل يوجد (فريسكوس)، أي رسم على الجص، من القرن (3 م). يعود إلى مدرسة (ماري) الفنية التي انتقلت إلى (دورا أوروبوس) ثم إلى (تدمر) ومنها إلى (أوروبا). القوس فيه مزين بأغصان نباتية. والعضادتان على الجانبين مغطاة بأغصان الكرمة. واللوحات تمثل (أخيلوس) البطل الإغريقي. وهو رمز الروح المسجونة بالجسد الذي يعيد الموت لها حريتها. ويتيح لها الخلود. لأن الروح خالدة، والجسد فان، وهو رمز النفس التي ترتدي الثوب المستعار وهي على قيد الحياة وتنتزعه عند الموت. كان (أخيلوس) منيعاً على الموت إلا إذا أصيب بكاحله. حسب نبوءة عرافة (دلفي). لذا خاف عليه والداه فربياه كفتاة يلبس ملابسها ويعيش مع البنات. ولكن حينما سمع نداء الحرب ورأى (أوليس) مسلحاً استرد رجولته، وانطلق إلى الحرب حاملاً سلاحه للقتال. وفي حصار (طروادة) أصيب بسهم في كاحله فقتل. ويبدو في اللوحة بلباس الفتيات بين بنات (ليكوميد) ملك (سكيروس) (Skyros) ويبدو (أوليس) وهو بكامل سلاحه ينظر إلى (أخيل).

لوحة النسوة المجنحات المنتصرات: يقفن على الكرات الأرضية (رمز الشمولية)، ويحملن ميداليات، عليها رسوم نصفية للأموات، لرفعها إلى السماء.

ثم لوحة الصبي الطائر (Ginamid)، ساقي الآلهة، ورسولها هابطاً من السماء على ظهر نسر (زيوس)، حاملاً إلى الأموات أرواحهم، بعد تطهيرها، لترجع إلى أجسادهم.

في الجناح الأيمن، يوجد تمثال للأخوة الثلاث على السرير الجنائزي، تحيط بهم العائلة، وذلك رمز لجمع الشمل رغم الموت. وفي الجناح الأيسر سرير (ملاء). ولأنهم يؤمنون بالحياة بعد الموت. عادة ما يحمل الميت كأساً يملؤها الأهل بالطعام أو الشراب. ويعتبر الطعام والشراب صلة الوصل بين عالم الموتى وعالم الأحياء. وعلى اليسار يوجد نقش لامرأة تحمل طفلاً لم يعرف مغزاها.

هناك قول بأن أهل الميت يأتون إلى قبره كل أسبوع للأكل ليشاركهم

متعتهم. وبعد الأربعين يحضر الأقارب ومعهم طعام وحنطة مسلوقة وماء في كؤوس تترك جميعها عند الميت في المدفن.

يوجد أكثر من (50) من هذه المدافن، نقب بعضها قبل الحرب العالمية الثانية، على يد الدانمركي (أنغولت)، أقدمها واحد وجد في ساحة معبد (بعل شامين)، ويعود إلى القرن الأول قبل الميلاد.

فيما بعد تطورت هندسة المدافن فصار هناك إضافة إلى الجناح الرئيسي الذي يقابل المدخل، جناحين أو أربعة فرعيين كسيت جدرانها بطبقة من الجص أو الحجر المنحوت. ورسمت فوق الجدران بالألوان مشاهد من الأساطير، ورموز الحياة والموت، وزخارف نباتية، وهندسة وكتابات.

مدفن (أرطبان):

يقع في منطقة المدافن الجنوبية الشرقية، ويعود إلى القرن الأول الميلادي، كشفته البعثة السورية عام (1957)، أثناء تمديد أنابيب النفط العراقي. وهو مدفن تحت الأرض. (أرطبان) هو (زبدون بن مالك بن يرحاي) (الراهب الطيب لعقليبول وملكيبول).

للمدفن باب حجري منحوت تزخرفه رأس عنقاء ممسكة بحلقة الباب، وأشكال هندسية. وراء الباب بئر كان يستعمل للسقاية والتنظيف وملء الأحواض الصغيرة أمام المعازب. يتألف المدفن من جناح رئيسي وأربعة أجنحة جانبية محفورة بالأرض تكسوها من الداخل واجهات جصية حول المعازب، السقف معقود من الحجر، وكذلك إيوان الجناح الرئيسي.

توجد كتابات على التمثال الأول في الجناح الرئيسي، وعلى التمثال الآخر، وكلها تأتي بذكر (أرطبان)، مما يؤكد أنه من بنى هذا المدفن الذي يحوي على ست وخمسين من المعازب، في كل منها خمسة قبور.

في صدر الجناح الأيمن محراب لم يكتمل بناؤه. وينقصه المشهد الجنائزي في الجناح اليساري.

وهناك مدافن أرضية أخرى منها:

مدفن (بولحا بن نبو شوري) من عام (88 م).

ومدفن (بريكي بن زبيد) من النصف الثاني للقرن الأول الميلادي أو أوائل القرن الثاني.

ومدفن (ديونيسوس) من النصف الثاني من القرن الثاني. وفيه فريسكو لإله الخمر (ديونيسيوس) وسمي القبر باسمه.

ومدفن (يرحاي) وقد نقل إلى (متحف دمشق).

ومدفن (نصر اللات).

ومدفن (حيران) وهو من عام (106 م) وفيه فريسكو.

ومدفن (شلم اللات)، من القرن الثاني.

المدفن المنزلي: (إيلامي):

يوجد حوالي (35) من هذه المدافن. وهي مهدمة، وظهر هذا النوع في نهاية القرن الأول الميلادي. أفضلها هو الذي نقّبه العالم الألماني (شميت كولينيه) بين (1982 و 1987). وهندسته مزيج من الشرق والغرب. تأثر بالنمط التدمري والفارسي واليوناني والروماني. للمدفن باحة مربعة تحيط بها أروقة مسقوفة ذات أعمدة. وهو من طابق واحد له مدخل جميل وباب من الحجر المنحوت. حول الباحة مصاطب فيها معازب لوضع أرفف الأموات. بعضها مزدان بزخارف جميلة. أمامها كانت توضع الأسرّة لجلوس العائلة. وجد في هذا القبر حوالي مئة هيكل عظمي.

في وادي القبور (بتدمر) عدة مدافن من هذا النوع منها:

مدفن (عيلمي بن زبيدا).

ومدفن (القصر الأبيض)، ويقع غرب مدفن (إيلابل) في وادي القبور.

ومدفن (قصر الحية) في المدافن الشمالية. بنته أسرة (مارونا) في آذار

(236 م). وسمي بهذا الاسم لوجود رسم حية على تاج عضادته الشرقية الجنوبية. والحية رمز الشمس، والشروق والغروب، والحياة المتجددة.

ومدفن (مالك بن عجيل) اكتشف عام (1994).

ومدفن (نوربل).

كما كشف التنقيب في سور المدينة الشمالي بين (1970) و (1978) عن بعض أرضيات مدافن الأسر التدمرية. منها مدفن (شمس بن تيما) ويعود إلى عام (98 م). أصبحت هذه المدافن أساسات لحائط (جوستينيان) في القرن السادس الميلادي.

القبور الفردية:

تتألف من قبر واحد. أبعاده حوالي (1 X 1/2 X 2/2 م) مبني من الداخل بأحجار منحوتة أو من الآجر. ويوضع الميت على أرضية القبر. وفوق القبر شاهدة مزخرفة تنتهي من الأعلى على شكل هرم أو نصف دائرة. عليها تمثال المتوفي، أو ستار الموت المعلق بسعف النخيل. ويرمز إلى أمل الإنسان في الحياة الثانية. وعليه اسم الميت وكلمة (حبل أي وأسفاه). وقد وجد الكثير من هذه القبور في (تدمر).

هيكل الموتى:

هو مدفن نقب في عام (1968 ـ 1969). يعود بناؤه إلى أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث الميلادي. أمام المدفن عتبة ودرج ورواق فيه ستة أعمدة فوقها جبهة مثلثة. زخرفت العضادات بنقوش نباتية. وتحته قبو بابه من جهة الغرب.

الآلهة التدمرية:

عبد التدمريون حوالي ستين إله منها:

بعل: (بل) وهو (جيوبيتر) لدى الرومان. و (زيوس) لدى اليونان.

بعل شامين: إله الخصب والمطر والنبع، سيد السماء، الرحمن الرحيم الذي بورك اسمه إلى الأبد. ويرمز إليه بنسر فارداً جناحيه أو حاملاً غصن زيتون بمنقاره.

عقليبول: إله القمر، وينقش ما يشبه الشمس حول رأسه.

ملكيبول: رب الفصول والمواسم.

تارا: رب القوافل وهو (شيع القوم) عند العرب القدامى.

يرحبول: إله الشمس، ينقش عادة قرص الشمس حول رأسه.

ماردوك: إله السماء.

ذو الشراة: إله الخمر. (باخوس) لدى الرومان، و (ديونيسيوس) لدى اليونان.

اللات: (منيرفا) لدى الرومان و (أثينا) لدى اليونان.

تيكة: ربة الحظ.

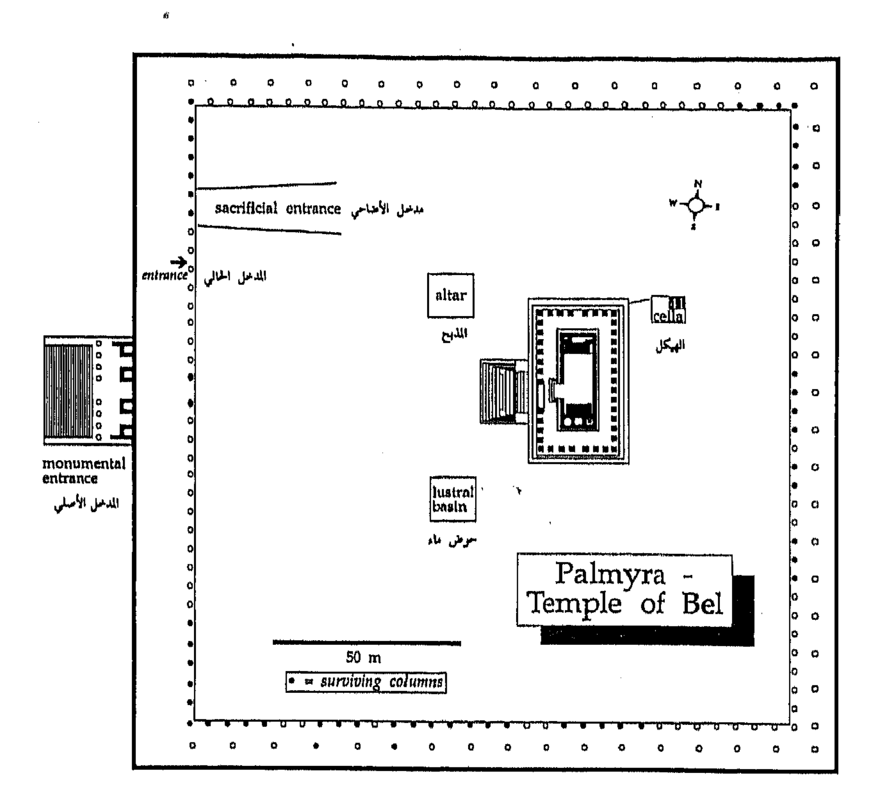
نبّو: رب التنبؤ، (أبولو) لدى الرومان و (هرمز) لدى اليونان.

أرصو: أي العزى، عزيزو، فينوس، عشتار. إله ذكر عند التدمريين ويسمونه (رضو). ورمزه كوكب الزهرة، أي نجمة الصباح أو المساء. وهي نجمة الراعي. تشاهد في السماء لامعة وكبيرة عند الغروب. بينما هو ربّة أنثى لدى الرومان واليونان.

معبد بعل (Baal Sanctuary) (Bel Temple):

(بل) إله بابلي أكادي الأصل، وهو رب الأرباب، مثل (جيوبيتر) الروماني، و (زيوس) اليوناني. اسمه (زيوس بيلوس) في بلاد ما بين النهرين. ويقابله (بعل شامين) لدى الكنعانيين و (حدد) الآرامي. وانتقل إلى البلاد المجاورة وأصبح عند الفينيقيين (بعل). بني المعبد في (6 نيسان) عام (32 م) واكتمل بناؤه في القرن الثاني الميلادي. وكُرّس للإله (بل)، و (يرحبول) رب الشمس، و

(عقليبول) رب القمر. وكان مقراً لمجمع الأرباب التدمريين. وهو أقدم من معبد (بعلبك) بقرن كامل. ويعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد. تهدم في الحرب بين التدمريين والرومان عام (272 م)، وفي ثورة التدمريين عام (723م).



تدمر ــ معبد بعل

هندسته سوريّة محضة. أبعاده (210 X 205 م). وارتفاع جدرانه الحجرية حوالي (14 م). بني هذا المعبد فوق تل اصطناعي على أنقاض معبد بقي القليل من حجارته. وكان البناء على مراحل خلال عهد الإمبراطور الروماني (أوغستين) (Augustine)، والسنين الأولى من عهد سلفه (تيبيريوس) (Tiberius) الذي حكم بين (14 و 37 م). وكان قد بني أصلاً

فوق مصطبة مدرجة. وعندما وسعت الساحة، استبدل الأساس المدرج بآخر غير مدرج.

على قاعدة تمثال (شمش بن تيبول بن شكيبل) من بني (كمرا)، والذي كان تقدمة من أولاده لهيكل الأرباب (بل) و (يرحبول) و (عقليبول). توجد كتابة تؤرخ تأسيس المعبد في اليوم السادس من نيسان عام (343) أي (6 نيسان) عام (32 م) (التمثال في متحف تدمر). ويتألف المعبد من ساحة وهيكل. تحيط به جدران خربتها الزلازل في بعض المواقع وأعيد بناؤها بسرعة وبشكل عشوائي. وتبدو الجدران الأصلية في الزاوية الشمالية الغربية. الساحة مربعة الشكل تقريباً. يحيط بها رواق أعمدته كورنثية، وأسقفها كانت خشبية عليها نقوش دينية ونباتية. الرواق الغربي الذي بني في منتصف القرن الثاني أعلى من الأروقة الثلاثة الأخرى التي من القرن الأول الميلادي، أي بين (80 و 120)، وفيه صف واحد من الأعمدة بينما الثلاثة الأخرى فيها صفان وتيجان الأعمدة كورنثية، كان لها أرفف توضع عليها تماثيل الشخصيات الهامة. في الزاوية الشمالية للرواق الغربي يوجد درج لولبي يؤدي إلى السطح.

كان للمدخل ثلاثة أبواب درفاتها من البرونز المذهب. عرضه (35 م) على جانبه برجان. وكان له درج فخم. وأمام المدخل بهو فيه ثمانية أعمدة مع قوس مركزي كبير. وقد أزيل كل هذا حينما رمم المعبد في القرن (12 م) في عهد السلطان (صلاح الدين). كما بني أمام المدخل حائط لتحصينه. ورممت الزوايا والجدران، واستخدمت الأحجار التي تساقطت من المعبد القديم بسبب زلازل القرن (10 م)، التي دمرت (تدمر) وجعلتها أنقاضاً، وبذلك عمل (صلاح الدين) من المعبد قلعة، يلجأ إليها السكان ليحتموا من الصليبيين.

الهيكل (Cella):

بدأ الإعمار فيه منذ عام (17 أو 19 م). ولا تزال بقايا الدرج الذي كان يقود إلى الهيكل موجودة.

أمام مدخل الهيكل رواق معمّد، فيه أنقاض سقطت من الأفاريز التي

كانت تحيط بالهيكل. منها كتلة حجرية كانت تدعم السقف. على وجهها الأمامي نقش بارز للإله (ملكيبول) رب الفصول والمواسم، وإله القمر (عقليبول) في لباس محارب روماني من الأعلى ومن الأسفل فهو فارسي الزي، وذلك لتأثر التدمريون بالرومان والفرس معاً. خلفه يوجد هلال. وعلى المذبح توجد رمانة وأجاصة وثمرتي أناناس.

وعلى الوجه الخلفي للكتلة الحجرية، يوجد نقش محاربين بلباس روماني، يراقبون الصراع بين الحصان والحية أي بين الخير والشر. والإله (بعل) يدوس بقدمه على تنين.

وفي الجهة السفلية من الكتلة الحجرية توجد نقوش مطلية بالألوان، كما كانت كل النقوش سابقاً. ويزين البيض معظم النقوش وهو رمز الحياة والخلود.

وتوجد كتلة أخرى، نقش على وجه منها موكب ديني تتقدمه وتتبعه مجموعة من النساء وجمل يحمل تمثال الإله (بعل)، وقد سار الحجاج أمامه مع أضاحيهم. وعلى الوجه الخلفي للكتلة تتمة الموكب وهو من حجاج يحملون البخور.

وهذه النقوش تعطي فكرة عن الطقوس التي كان الحجاج يقومون بها في ذلك المعبد. ويدعون يوم الحج وهو (6) نيسان باليوم الطيب. وهو يوم تكريس المعبد للإله (بعل). إذ يذهب الحجاج إلى المعبد ومعهم أضاحيهم فيدخلون بهم عبر ممر خاص، يدورون بهم مع محمل الإله (بعل) الموضوع فوق جمل. ثم إلى المذبح ليقدموا الأضاحي للإله (بعل). وبعد الذبح والتنظيف تشوى الحيوانات أو تطبخ لتقدم طعاماً للمدعويين، الذي دُعيوا إلى هذه الوليمة بواسطة بطاقات دعوى فخارية. وبعد الوليمة يقوم الجميع بالطواف الكبير حول المعبد لمرة واحدة. ثم طواف صغير حول الهيكل مرتين.

وصف الهيكل (Cella):

استعمل هذا المكان للعبادات منذ (2200 ق. م). وفي العهد التدمري

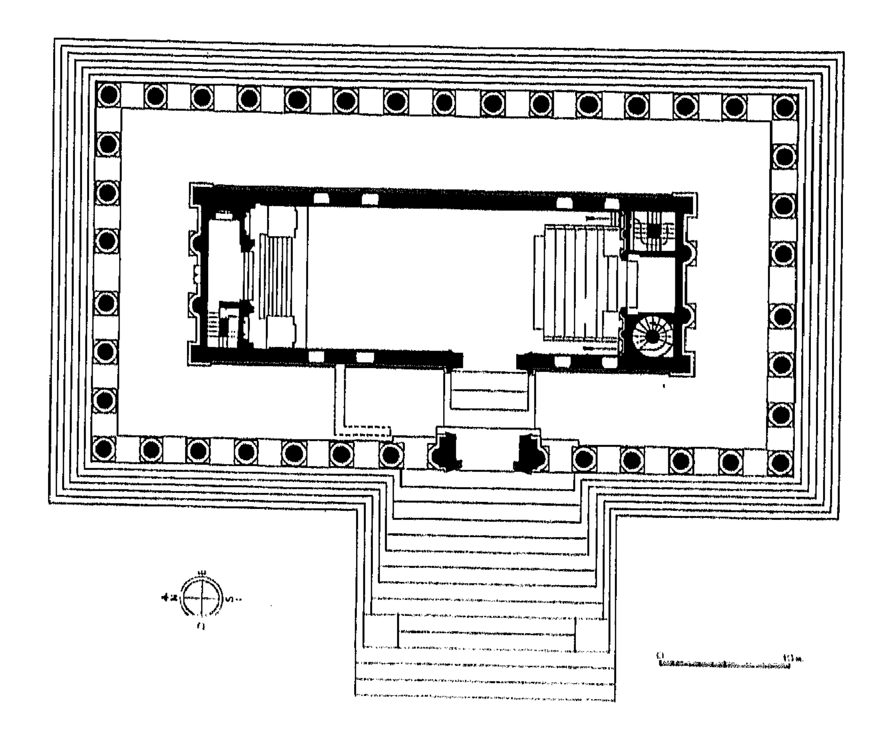
كرس المعبد للإله (بعل) في عام (32 م). وكان تمثاله يوضع بالهيكل ولا يدخله إلا الكهنة.

وهو بناء مستطيل أبعاده (10 X 30 م). أمام مدخله درج فخم يقود إلى رواق أعمدته رشيقة ومخدّدة، طول الواحد (18 م) وتيجانها كورنثية مغطاة بالبرونز المذهب. فوقها أفريز من المنحوتات الإنسانية المجنحة تحمل أكاليل من الثمار والفواكه. وكان سقف الرواق مرفوعاً فوق جسور ضخمة من الحجر المنحوت، نقشت عليها مشاهد دينية وأسطوريةوزخارف حيوانية ونباتية وهندسية. يقع مدخل الهيكل في الغرب، وليس في الوسط تماماً بل أقرب إلى الزاوية الجنوبية من الهيكل. ويواجه تماماً مدخل المعبد الرئيسي، وذلك ليتمكن الناس من رؤية تمثال (بعل)، عند نقله من الهيكل، لوضعه فوق الجمل من أجل الطواف.

أحجار المدخل مزينة بنقوش الأناناس والبيض والعنب وأوراقه، وكانت تلك الأحجار تترابط ببعضها بأسافين معدنية من البرونز أو الرصاص. داخل الهيكل يوجد محرابان لوضع تماثيل الآلهة مما يؤكد كثرتها. وقد عبد منها ثلاثة في هذا المعبد هي (بعل) و (عقليبول) إله القمر و (يرحبول) إله الشمس. وكان السوريون يضعون آلهتهم في المحاريب، أما اليونان والرومان فكانوا يضعون آلتهتهم فوق قواعد حجرية.

المحراب الأيمن الجنوبي:

كان يوضع فيه تمثال الإله (بعل). أمامه درج فخم. سقفه من الحجر المزخرف، في مركزه توجد وردة، حولها دائرتان بينهما أشكال هندسية. يحيط بها مربع، مزخرف من الخارج بإطار من المربعات والمثلثات ثم بأشكال سداسية في داخلها ورود وزهور. وعليه آثار دخان الشموع التي كان المسيحيون يشعلونها فيه حينما صار الهيكل كنيسة. على جانبي المحراب درجان يقودان إلى سطح الهيكل، وكان الكهنة يصعدون إلى السطح لعبادة الشمس أو القمر.



تدمر ـ هيكل معبد بعل

المحراب الأيسر الشمالي:

كانت توضع فيه تماثيل الأرباب الثلاثة (بعل) و (يرحبول) و (عقليبول). وكان أمامه درج. وسقفه حجري في مركزه نقش للإله (بعل)، ضمن شكل سداسي. حوله سبعة من الآلهة تمثل الكواكب السبعة. حولها دائرتان بينهما الأبراج الاثني عشر. وذلك دلالة على سيطرة الإله (بعل) على مقادير الأرض والسماء. يحصر الدائرتين مربع. في زواياه الأربعة المكونة بينه وبين الدائرة الخارجية، نقش نسر فارداً جناحيه وهو شعار الإله (بعل شامين)، ورسول الأرباب إلى البشرية، والمسيطر على حركة السماوات. حول المربع وما بقي من السقف نقشت وردات وأشكال هندسية. على جانبي المحراب غرفتان، اليسرى

فيها درج يقود إلى السطح.

في مطلع العهد البيزنطي انتشرت المسيحية فصار الهيكل كنيسة لا تزال آثارها باقية. فعلى الجدار المقابل للمدخل تبدو آثار قوس المذبح. وعلى الجدار الغربي بقايا (فريسكوس)، وتمثل الملائكة (جبريل) و (ميكائيل) والقديس (جورج).

خلال العهد الإسلامي، أصبح المعبد حصناً، وصارت الكنيسة جامعاً. وذلك في القرن (12 م) وبقيت كذلك حتى عام (1930).

على يسار درج الهيكل (Cella) توجد بقايا أساسات المذبح وغرفة الاحتفالات، وعلى يمينه البركة المقدسة. وفي الجهة الجنوبية الغربية من الباحة يوجد ممر خاص لحيوانات الأضاحي.

خلف معبد (بعل) بقايا منزلين من القرن الثالث. فيهما غرف حول باحات مركزية. يُغطيها موازييك رائع. أعيد تركيبها في متحفي تدمر ودمشق.

قوس النصر والشارع المستقيم:

من القرن الثاني (200 م) كانت هندسة (تدمر) حسب المخطط الروماني، فيها الشارع المستقيم وطوله (1.2 كم) وعرضه حوالي (11 م). يقع القوس في أول الشارع المستقيم (Decumanus)، وهو عبارة عن بوابة ذات ثلاثة مداخل. فوقها قوس تزينه نقوش هندسية ونباتية. بناه (سبتيموس سفيروس) (Septimus Sevirus) بين (193 و 211). يحيد القوس حوالي (30 درجة) عن الطريق المستقيم.

بني القسم الأقرب إلى قوس النصر في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ليوصل الطريق المستقيم بمعبد (بعل). ولكن بناءه لم يكتمل. القسم الأوسط من الطريق المستقيم وعرضه (11 م) كان للحيوانات والعربات لذا لم يكن مرصوفاً. وعلى الجانبين الرواقان، وكل واحد عرضه (7 م). وهما مسقوفان. لهما أعمدة قطر الواحد (0.95 م) وارتفاعه (9.5 م). وللأعمدة

أرفف لحمل تماثيل الشخصيات الهامة وتحت التمثال اسم صاحبه. لم يبق منها سوى (150) عموداً. وكانت المخازن والأماكن العامة تفتح على هذه الأروقة.

معبد نبّو Nebo:

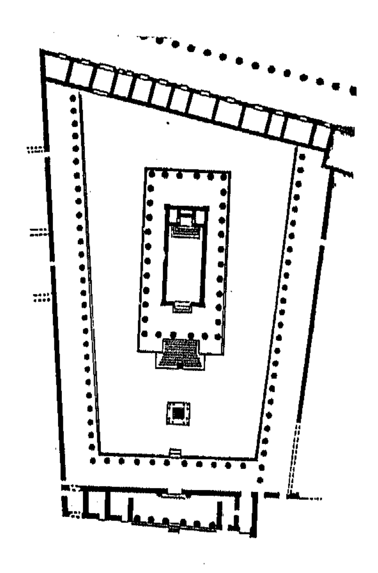
ويقع على يسار الشارع المستقيم. وهو إله بابلي واسمه (نبو بن مردوخ) سيد السماء. إله التنبؤ والحكمة (Oracles) وهو من أكثر الآلهة البابليين شعبية في (سورية). وهو (أبولو) لدى الرومان و (هرمز) لدى اليونان. وكان كاتب وأمين سر الإله (بعل) الذي كان يضع أقدار الناس. وكان اسم (نبّو) يكتب إلى جانب اسم (بعل) على القطع الفخارية التي كانت دعوات للمآدب الدينية لأنه كان محبوباً.

بدأ بناء المعبد خلال الربع الأخير من القرن الأول الميلادي. وتوسع وتطور حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، وبداية الثالث. وأسهمت في بنائه عائلة (إيلابل) صاحبة المدفن البرجي.

ظهرت حقيقة المعبد عام (1963) بعد أن نقبت فيه بعثة فرنسية منذ عام (1960). وعرف بأنه كان معاصراً لمعبد (بعل) وطراز بنائه سوري، على شكل شبه منحرف، أبعاده (85 أو 78) X (44 أو 60)، يحيط به سور غير منتظم. وله (3) مداخل من الشارع المستقيم ومدخل رئيسي بالجهة المقابلة. فيه أروقة وأعمدة وهيكل (Cella) في الوسط. وجدت فيه (فرسكو) و (25) رقيم.

عند المدخل الرئيسي درج على جانبيه عمودان وله رواق أعمدته جميلة الزخارف. ويوجد ثلاث غرف في كل من جانبي هذا الرواق. بعده يوجد كتلة حجرية عليها نقش سبعة آلهة. ولها أفاريز مزخرفة. وفي كل زاوية منها (3) أعمدة.

أمام الهيكل درج عريض يقود إلى مدخل جميل فيه عمودان ورواق أعمدته كورنثية. والرواق الشمالي أزيل لبناء رواق ضخم في الوسط يعود إلى القرن الثاني الميلادي.



تدمر ـ معبد نبو

يوجد عند البوابة ثلاثة غرف متصلة مباشرة بالأروقة الداخلية حول الباحة وهي أروقة مرتفعة عن سطح الباحة. وهو طراز نادر في (تدمر). والباحة غير مبلطة بل مغطاة بتربة قاسية. فيها خزان ماء فتحته عبارة عن حلقة من الحجر. وكانت مياهه تؤخذ للتطهير.

أمام الحرم يوجد أساسات لبناء من الحجر الكلسي الأبيض. يبدو مشابهاً للمذبح الفخم الكائن في باحة معبد (جيوبتير) في (بعلبك). والحرم مبني على قاعدة، طوله (20 م) وعرضه (9 م). حوله (32) من الأعمدة الكورنثية. في صدر الحرم محراب لتمثال الرب. وقربه يوجد درج يقود إلى وسط الحرم كما في معبد (بل).

حمام الملكة زنوبيا:

من القرن (3 م). مساحته (51 X 85 م) له مدخل تتقدمه أربعة أعمدة غرانيتية جلبت من (أسوان)، برزت عن بقية الأبنية. على اليمين بعد المدخل توجد قاعة مثمنة كانت الملكة (زنوبيا) تستقبل فيها الزوار وتقيم الحفلات.

تتوسط القاعة بحرة ماء لها ثمانية أضلاع. بعد القاعة توجد باحة للرياضة والاجتماعات ذات أروقة، أبعادها (20 X 22 م).

عمق المسبح «2 م» وله درجات. أرضه مبلطة بالرخام. تأتيه المياه المعدنية عبر قناة موجودة تحت الأرض. يحمل السقف الخشبي أعمدة ضخمة.

وفي الزاوية الشمالية الغربية تقع المراحيض. وهي قرب الحمام المؤلف من بارد ودافىء وحار. وقد وجد في الموقد رماد، بعد فحصه تبين أنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي.

هيكل حوريات الماء (Nymphaeum):

في الرواق الشمالي من الطريق المستقيم يوجد هيكل (حوريات الماء). وقد برز عن بقية الأبنية. وهو بحيرة ماء نصف دائرية. أمامها بهو فيه أربعة أعمدة قواعدها مربعة.

بعد هذا الهيكل يوجد طريق فرعي يقود إلى معبد (بعل شامين). بني في القرن الأول الميلادي قبل بناء الشارع المستقيم ويتصل به، عند قاعدتين مدرجتين كان فوقهما عمودان تذكاريان. وهناك ثمانية أعمدة في الرواق الجنوبي. على العمود الثاني من جهة قوس النصر، كان هناك رف يحمل تمثال الملكة (زنوبيا) وعليه كتابة يونانية وتدمرية تذكر: «تمثال (سبتيما زنوبيا) الملكة ذات الجلالة والمجد المخلصة. صاحبا السعادة (سبتيم زبدا) القائد الأعلى و (زباي) قائد حامية تدمر أقاماه لسيدتهما في شهر آب عام (582) سلوقي أي (271 ميلادي).

وعلى العمود الثالث الذي كان يحمل تمثال زوجها (أذينة) (Odenathus) كتب: «تمثال (سبتيموس أذينة) ملك الملوك ومصلح الشرق كله. كذلك أقامه (زبدا) و (زباي) بنفس التاريخ».

معبد السيزاريوم:

خلف هذه الأعمدة يوجد بناء فيه أعمدة مخددة هو معبد (السيزاريوم)

المكرس للأباطرة. حول إلى جامع في القرن الثاني عشر الميلادي.

على اليسار قرب المسرح توجد بقايا أقنية حجرية وفخارية كانت تأتي بالماء من نبع (أبي الفوارس) وهي من عهد الإمبراطور (جوستينيان).

المصلبة (Tetrapyle):

توجد في الطريق المستقيم عند تقاطعه مع الشارع المعاكس. و (تترابل) كلمة يونانية تعني أربعة أبراج على تقاطع طرق. تتألف من أربعة مجموعات. كل واحدة مؤلفة من أربعة أعمدة، تيجانها كورنثية، وهي غرانيتية زهرية اللون جلبت من (أسوان) في (وادي النيل)، لم يبق منها سوى واحد، والبقية رممت بأعمدة غرانيتية عادية. مبنية على قاعدة مساحتها (18 م^2). سقوفها وأفاريزها مزخرفة. في مركز كل مجموعة كان هناك وعاء أو تمثال لشخصية مهمة.

يتحول اتجاه الطريق المستقيم حوالي (10 درجات) إلى اليسار. حيث يوجد طريق يقود إلى ساحة بيضاوية. كان فيها بوابة (دمشق) ولها ثلاثة مداخل فخمة. تيجان أعمدتها كورنثية. على بعض تلك الأعمدة توجد كتابات تشير إلى أسماء بانيها وهم (بني زبدبول) و (بني معزين) عام (179 م)، وهي أقدم أقسام الشارع المستقيم. على يمين الطريق المستقيم يوجد هيكل الإله (شمس)، والإله (رحم)، وهيكل الموتى. وعلى يمين االطريق المؤدي إلى بوابة (دمشق) يوجد معبد (اللات) ومعسكر (ديوكليتيان).

وبقية الطريق المستقيم ليس فيه أبنية عامة عدا بحيرة ماء تقع على يسار ساحة نصف دائرية.

المسرح:

يقع على يسار الطريق المستقيم، بني المدرج في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي. بينما شيدت المنصة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث. ولصغر المسافة لم يبنَ فيها غرف للممثلين. وكان مدفوناً تحت الرمل حتى عام (1950) ثم نقب ورمم عام (1952).

بني بالحجارة الكلسية على شكل نصف دائرة، يحف بها مدرج بقي منه (13) صفاً. ارتفاع الواحد (37 سم) وعرضه (60 سم). توجد في المسرح فسحة الأوركسترا وهي مبلطة بالحجارة. للأوركسترا ثلاثة بوابات: الشرقية والغربية على الجانبين عبر الممران المعقودان. أما البوابة الجنوبية فمستطيلة وهي لإدخال الحيوانات المفترسة للمصارعة.

أطوال المنصة (48 م X 10.5 م). خلفها ممران متوازيان بينهما حائط في المنصة خمسة أبواب بينها وبين الممر الخلفي. أكبرها أوسطها. وفيها ثلاثة إيوانات لها محاريب توضع فيها تماثيل آلهة الفنون.

في حائط المدخل ثقوب لتعليق البرامج والعروض. إذ كانت تقدم فيه الكوميديا والتراجيديا والموسيقى. كما كان المجرمون المحكومون بالموت يتصارعون مع الأسود أو الحيوانات المفترسة في منطقة الأوركسترا بعد أن يزودوا بإبر صغيرة للدفاع عن أنفسهم. وقد وضع سياج معدني بين المدرج والأوركسترا لحماية المتفرجين ثبت بالأعمدة المعدنية على ثقوب ما زالت موجودة حتى الآن. كما كان المسيحيون يمارسون فيه شعائرهم الدينية سراً عند بدء انتشار المسيحية.

للمسرح مدخل نصف بيضوي بدلاً من نصف دائري كما هي العادة. عند المخرج الشمالي الغربي للمسرح توجد محلات لبيع الطعام والشراب. لها لافتات حجرية عليها كتابات يونانية تعلن عن بضاعتها.

خلف هذه المحلات يوجد بيت له رواق.

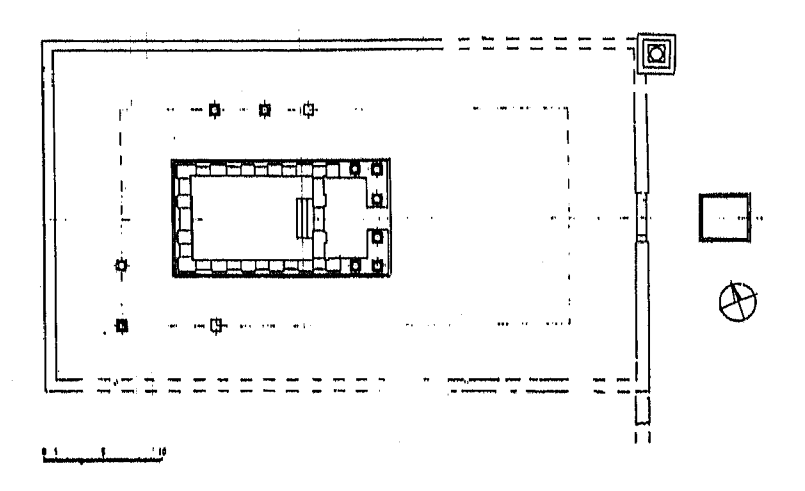
معبد اللات:

كشفته بعثة بولونية بإدارة (كازيميرز ميخالونسي). أقيم المعبد الحالي في القرن الثاني الميلادي فوق أطلال معبد من القرن الأول قبل الميلاد. وقد استعملت حجارته ومنحوتاته في بناء أساسات باحات المعبد الجديد.

على المدخل الرئيسي للمعبد الجديد كتابة تذكر أن بناء المعبد كان

بأموال الربة (اللات). وهي الربة الأم وربة الحرب. ومن أهم الربات لدى الأنباط وعرب الشمال. وهي (أثينا) عند اليونان (ومنيرفا) عند الرومان. و (عشتار) في بلاد الرافدين و (أتارغاتيس) (Atargatis) في (سورية). تحول معبد (اللات) في القرن الخامس أو السادس إلى كنيسة صغيرة، وجد فيها صليب منحوت على ساكف مدخلها الفرعي.

يتألف المعبد من باحة مستطيلة أبعادها (28 X 72 م). يتوسطها حرم أبعاده (10 X 19 م) أمامه بهو فيه ستة أعمدة. يحيط بالحرم رواق أعمدته كورنثية. أقدم الكتابات التدمرية اكتشفت فيه وتعود إلى القرن الأول قبل الميلاد.



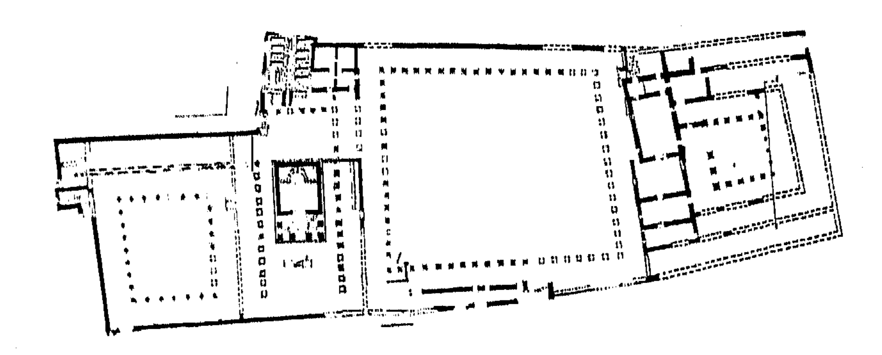
تدمر ـــ معبد اللات

في عام (1975) وجد فيه تمثال مرمري للربة (اللات). وهو نسخة رومانية لرائعة الفنان (فيدياس) (Phidias) وتمثل الربة (أثينا بارتينوس)، التي نحتها في القرن الخامس قبل الميلاد. وفي عام (1977) اكتشف أسد (اللات) وتم ترميمه. والأسد رمز (اللات) ورسولها إلى البشر. كان يزين المعبد الأقدم

ويحمي اللاجئين إليه. وهو موجود حالياً في مدخل متحف (تدمر).

معبد بعل شامين:

على مسافة من يمين الطريق المستقيم، يوجد معبد (بعل شامين) (Baal Shamin). وهو سيد السماء وإله الخصب والنماء والنبع، الرحمن الرحيم. الذي بورك اسمه إلى الأبد. نقبت فيه بعثة سويسرية بين عامي (1945 و 1956) برئاسة البروفسور (ب. كوّلار) (P. Callart). عرف في القرن (3 م) بمعبد الإله المجهول. و (بعل شامين) إله فينيقي يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد. سماه اليونانيون (زيوس). بناه (ميل بن يرحاي) وهو الذي نظم الاستقبال (لهادريان) عام (129). وهناك نص على العمود الثاني من رواق المعبد يؤرخ بناءه عام (130 م).



تدمر ـــ معبد بعل شامين

شيد هذا المعبد فوق آخر أقدم منه يعود إلى بداية القرن الأول. وقد بني على مراحل. ابتدأ العمل فيه عام (17 م) بني منه غرفة المائدة وبعض الأروقة ومدفن عميق. وهناك كتابة يونانية وجدت على رف عمود رمم به الرواق الغربي تعود إلى (257 م)، وانتهى البناء في عهد ملك (تدمر) (أذينة). وبني الهيكل (Cella) عام (130) بعد زيارة الإمبراطور (هادريان) (Haderian).

في المعبد باحتان تحيط بهما الأروقة. الشمالية أكبر من الجنوبية. وفي

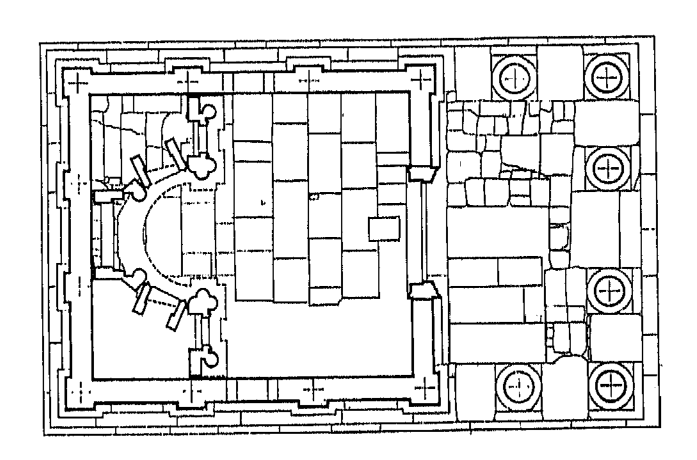
رواقها الشمالي أقدم عمود في هذا المعبد، مرمم وعليه كتابة بالتدمرية الآرامية. تؤرخ بناء رواق هذه الباحة بـ (149 م). وأن السقف والأعمدة الأربعة والأجزاء العليا بنيت بواسطة (حيران) وأخيه (ياملا) أبناء «تاما بن ياملا» وقد وهبت إلى (بعل شامين) من أجل حياتهم وحياة أولادهم.

في معظم الكتابات الموجودة في هذا المعبد وأقسامه ذكرت قبيلة (بني معازين) لجهودهم القيمة.

أمام المعبد يوجد المذبح (Altar) وعليه كتابة آرامية ويونانية من عام (115 م). تعوذ إلى المعبد الأقدم وتكرسه لإله السموات عام (32 م).

وهناك كتابة تؤرخ تجديد الرواق الشمالي وقاعة الاحتفالات بتاريخ (67 م). وهي بين الباحة والهيكل. تغير تصميمها من أجل بناء المعبد الحالي.

المعبد واسع ولكن لم يبقَ منه إلا الهيكل (Cella). وهي قاعة مستطيلة، أمامها رواق يرتكز على ستة أعمدة. في القرن (5) تحول المعبد إلى كنيسة بيزنطية. وأصبح المدخل الأصلي مذبحاً (Nave) لها. وفتح باب الكنيسة في الجدار الغربي. وأضيف للمدخل الجديد رواق. تحته وجدت آثار مقبرة (Necropolis) قديمة تعود إلى عام (11 م).



تدمر ـــ هيكل معبد بعل شامين

خلف المعبد توجد كنيستان: الأولى (بازليكا) من القرن (6 م)، فيها (6) أعمدة تفصل القسم الأوسط عن الشمالي. أخذت من أبنية أخرى أقدم منها.

والثانية كنيسة أصغر من الأولى وتقع في الجنوب.

غرب هذه الكنيسة توجد آثار لبيتين رومانيين. في الشمال الغربي منهما يوجد قبر (مارونا) (Marona) وهو تاجر معروف. والقبر على شكل منزل بني عام (236). ويبدو جدار (ديوكليتيان) الذي يحيط بالمدينة والذي دعمه الإمبراطور البيزنطي (جوستينيان) (Justinian) وحكم بين (527 و 565).

مجلس الشيوخ:

خلف المسرح يوجد مجلس الشيوخ. من القرن الأول الميلادي. وهو بناء صغير فيه بهو وباحة لها أروقة معمدة، وغرفة في نهايتها محراب، وحولها صفوف من المقاعد على شكل حدوة حصان. لا يوجد ما يثبت أنه مجلس الشيوخ، قد يكون مجلس للتجار أو لشيخ السوق.

كان مجلس الشيوخ التدمري تحت إشراف حاكم روماني حتى بداية حكم (هادريان) (Hadrian) الذي حكم بين (117 - 138 م). حينما استعاد القائد الحاكم التدمري لقب (ملك) كما فعل (أذينة).

الساحة الرئيسية (الأغورا) أو (الفوريوم) (Agora):

اكتشفت بين عامي (1939 - 1940) ورممت. وتقع غرب قاعة الضرائب. وهي باحة مستطيلة ومسورة، أبعادها (48 X 71 م). من أوائل القرن الثاني الميلادي. حولها أروقة مغطاة بسقف خشبي. لها أعمدة كورنثية عديدة. عليها رفوف لوضع التماثيل، تحتها كتابات يونانية وتدمرية، تذكر أسماء أصحابها. تماثيل (سبتيموس سفيروس) (Septimus،Severus) وحكم بين (103 - 211م). كانت تزين المدخل الرئيسي في الرواق الشرقي. إضافة إلى تماثيل أباطرة رومان وسوريين. وعرف هذا المدخل باسم بوابة الشيوخ وكان للباحة عدة مداخل. وفي كل زاوية منها بحرة ماء.

في الزاوية الشمالية الشرقية وأمام البحرة توجد بقايا منصة لإلقاء الكلمات. ولإعلان وصول القوافل إلى مشارف البلد. وكان هناك فرسان مختصون يبشرون شيخ (الآغورا) بقدومها. في الجدار الشمالي كتابة تؤرخ عام (198 م)، وتذكر الأعمال الصالحة للتدمري (سواده بن مالك).

وعلى العمود الثالث من الزاوية الجنوبية يوجد رف عليه كتابة تؤرخ (157 م)، وتذكر اسم (أولبيوس يارحاي) وهو تاجر تدمري غني. وعلى رفوف أعمدة الرواق الشمالي تماثيل لشخصيات رسمية رومانية أو تدمرية. وأعمدة الرواق الغربي كانت لشخصيات عسكرية والجنوبي لرؤساء القوافل والشرقي للشيوخ.

قاعة الاحتفالات الرسمية:

وتقع في الزاوية الغربية من (الآغورا). حول ثلاث من جدرانها مقاعد حجرية كانت توضع فوقها فرشات ومخدات للجلوس عليها. وفي الجدار الرابع محراب لحرق البخور أثناء الاحتفالات والولائم الدينية بعد تقديم الأضاحي. في القاعة مدماك فيه أفريز مزخرف بأشكال هندسية. تعرف باسم (مياندر).

وكان صاحب الدعوة يرسل للمدعوين بطاقات فخارية عليها شعاره من جهة ونقش إله في الجهة الثانية.

قاعة الضرائب (Tariff Court):

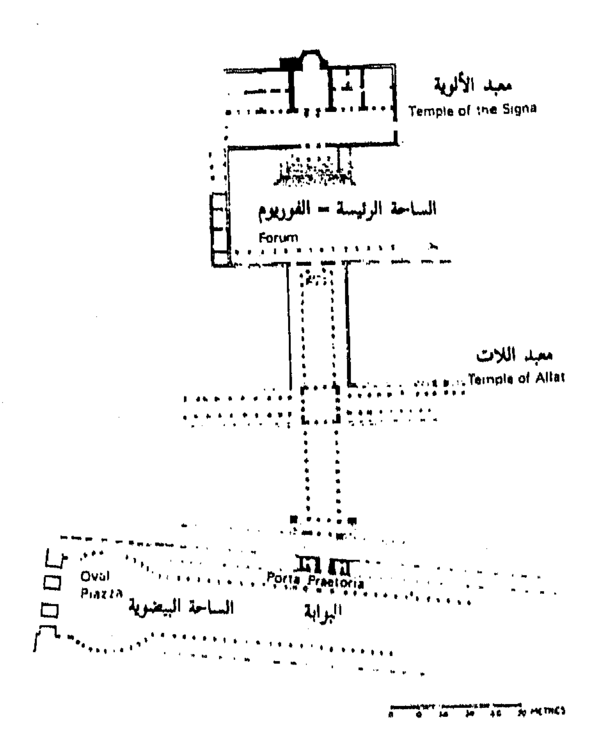
كانت مشايخ القوافل يدفعون الضرائب فيها لحكومة (تدمر). الباب الشرقي (للأغورا) يؤدي إلى بناء واسع سمي: ملحق للسوق العام (الأغورا) كشف عنه بين عامي (1965 و 1968). أرضيته غير مرصوفة. لها مدخلان كل منها مؤلف من ثلاثة أبواب. في الجهتين الجنوبية والشرقية، أمام الجدار الجنوبي يوجد رواق. وكان للأبواب هذه مدخل خارجي له بهو مسقوف ولكنه هدم في أواخر القرن (3 م) لبناء حائط (ديوكليتيان) الذي اخترق الواجهة فأصبح

بابها واحداً من أبواب السور المحيط (بتدمر). وقد أعيد استخدام هذا المكان في القرون (11 و 12 و 13). وأقيمت فيه بعض الأفران للزجاج والفخار.

جنوب المدخل الرئيسي يوجد سور وجدت عليه في عام (1881) لوحة حجرية معروفة باسم (القانون المالي التدمري) أي (التعرفة الجمركية) وهي مؤرخة في (18 نيسان عام 137 م). فيها تعرفة المكوس التي كانت تجبى لصندوق (تدمر) وهذه اللوحة موجودة في متحف (الأرميتاج) (Hermitage) لأن الأمير الروسي (لازاريف) (Lazarev) أخذ أذناً من العثمانيين لأخذها إلى (بطرسبرغ) أي (لينغراد) حالياً عام (1901). وهي لوحة تعتبر الأطول بين لوحات (تدمر) إذ يبلغ طولها خمسة أمتار. كتبت باللغتين الآرامية واليونانية. درسها (12) من علماء الآثار لمعرفة معناها بالمقارنة بين اللغتين لأن بعض المقاطع اندثرت. وقد كتبت في عهد الإمبراطور (تراجان) بقرار من مجلسي الشيوخ والشعب ووضعت لائحة بالمكوس التي يجب أن تجبى عند دخول أو خروج بضاعة حسب قيمتها. وكانت العملة عبارة عن دينار أو آس وما يعادل 1/16 من الدينار الفضي.

معسكر ديوكليتيان:

بني خلال القرن الثالث الميلادي. وكان مركزاً عسكرياً هاماً في (تدمر) للرومان قريباً من (الفرثيين) ثم (الساسانيين)، وخاصة أن نهر (الفرات) كان يشكل حدوداً طبيعية بين الدولتين. وكانت قد وقعت معاهدة بينهما في عهد (أغسطوس) في بداية القرن الأول الميلادي. بعد سقوط (تدمر) عام (273 م) ربما رمم الإمبراطور (ديوكليتيان) قصر (زنوبيا) الملكي ليجعله معسكراً لجنوده أو ربما كان الموقع معبداً بني من أموال الربة (اللات) وبعد أن عدّل فيه أصبح معسكراً تحت اسم (هيكل الإعلام) (Signa) أو (Temple of the Standards). حيث يضع رجال الجيش ألويتهم، ويؤدون شعائرهم الدينية.وفي عام (297 م) وقع (ديوكليتيان) معاهدة سلام مع الفرس الساسانيين، أعادت (الفرات) حدوداً بينهما.



تدمر ـ معسكر ديوكليتيان

في القاعة الرئيسية للمعسكر توجد كتابة تؤرخ بناء المعسكر من قبل الإمبراطورين (ديوكليتيان) (Diocletian) الذي حكم بين (284 - 305)، والقيصر (مكسيميان)، ثم القيصر (قسطنطين). واستمر البناء بين أعوام (293 و 303 م).

مخططه يشبه القصر المحصن الذي بناه الإمبراطور (ديوكليتيان) في (سبالاتو) بـ (يوغوسلافيا). كان للمعسكر بوابة، وشارع، يوصل إلى مصلبة عند التقاء شارعين فرعيين متعامدين. الشمالي منهما يمر أمام المدخل الرئيسي لمعبد (اللات) الذي أمامه ستة من الأعمدة المخددة. وهي جزء من رواق الشارع الذي ينتهي بعمود تذكاري، أقامته قبيلة (بني معزين) عام (64 م)، تكريماً (لشلم اللات) أي (لسلام اللات)، وهو أحد رجال المدينة المهمين. وهذا

العمود يعتبر أقدم الأعمدة التذكارية في مدينة (تدمر). وتحت العمود ساعة شمسية هي أقدم ما عرف حتى الآن. على طرفي الشارع غرف وحوانيت تابعة للمعسكر. بقي من المصلبة عمودان وبعض القواعد.

إلى الغرب منها شارع معمد يقود إلى الساحة الرئيسية الخاصة بالمعسكر. وأبعادها (45 X 62 م). في الزاوية الغربية الشمالية منها توجد عدة أفران ربما كانت لمعبد (اللات)، حيث كان الطعام يقدم مجاناً للزوار والحجاج. وقد وجدت أفران تماثلها في معبد (سعد) و (معن) و (إيجل) على جبل (شاعر) على بعد (45 كم)، شمال (تدمر).

في منتصف الجدار الغربي للساحة، يوجد درج عريض، يوصل إلى بهو ثم إلى قاعة أبعادها (60 X 12 م)، في صدرها إيوان حيث تحفظ فيه التذكارات. وهي على شكل غرفة مربعة تنتهي بمذبح على كل جانب. فوقها غرفة فيها درج لولبي يقود إلى السطح. واجهة البناء وسقفه مزخرفة بالأطناف والمثلثات والمحاريب. وأرضه مبلطة بالحجر المنحوت. وعلى جانبي القاعة غرف تفصلها عن البهو أعمدة كورنثية.

استمرت الحياة في هذا المعسكر مع معبد (اللات) حتى أواخر القرن الرابع الميلادي. وكان هذا المعسكر مأوى للجيوش مع عتادهم كما هومعبداً لهم. وكانت قناة تأتي بالماء من نبع (أبي الفوارس) عبر الشارع المستقيم، ثم تمر بهيكل الأعلام تحت البلاط. وقد رممت مع البناء.

الفن التدمري:

فن شرقي محلي يعود لأكثر من ألفي عام. شبيه بالفن اليمني وبلاد (ما بين النهرين) وفن (الهند) و (فارس). أكثر مما هو شبيه بفنون (إيجه) و (اليونان) و (كريت) و (وادي النيل). لكنه تأثر بالفن السلوقي الموجود في (بلاد الرافدين). وكان فيها مدن هلنستية أي يونانية شرقية. كما تاثر بالفن (الفرثي) الذي هو خليط من البابلية والآشورية وغيرها.

روح الفن التدمري شرقية، ولكن العناصر التزيينية كانت رومانية ـ يونانية، كالتيجان والأعمدة وبعض التفاصيل الأخرى. أما الزخارف والتماثيل والمنحوتات الدينية والصور الجدارية فكانت شرقية محلية.

أهم الفنون هي:

النحت:

كان التدمريون يأخذون الحجارة الكلسية للبناء من جبال (تدمر) الغربية. واستعملوا الجبس في زخرفة الأفاريز وفي بعض التفاصيل الصغيرة. لم يعثر في (تدمر) إلا على أجزاء صغيرة لتماثيل برونزية تحدثت عنها النصوص. أقدم منحوتة وجدت في معبد (بل) وكانت قد أخذت من منحوتات المعبد القديم واستعملت في الجديد، تعود إلى منتصف (القرن الأول ق. م). كما عثر على حجر يحمل كتابة تدمرية تاريخها يُعادل عام (44 ق. م).

ووجدت تماثيل لأشخاص في معبد (بعلشمين) كانت توضع على رفوف أعمدة الأروقة، أو الأعمدة التذكارية أو كانت على قاعدة عادية، أو قد تنقش على العمود نفسه.

والمنحوتات الدينية كانت كثيرة:

بعضها لأرباب نقشت على جدران المعابد أو سقوفها وأفاريزها. ومنها ما أحيط بمحاريب لها إطار مزخرف. وبعضها مشاهد للتقدمات الدينية فيها شخص أو شخصين ومعهما محرقة بخور، يقفان أمام رب أو أكثر. ويكون الإله الرئيسي في الوسط وعلى جانبيه الأرباب الأخرى. أحياناً تظهر الأرباب على خيول أو جمال أو حيوانات خرافية. وتلبس الدروع وتسوق العربات الحربية وبيدها رماح أو سيوف. كان التدمريون يقدمون هذه المنحوتات نذوراً وقرابين للأرباب.

المنحوتات الجنائزية لها أنواع عدة:

1 ـ التماثيل النصفية: توضع على واجهة القبر وهي عبارة عن لوحة عليها

نقش نصفي بارز للميت من الأمام ومن الخلف فهي ملساء. وتعرف باسم (صلم) أي (صنم) أو (نفشاية) أي (نفس).

2 ـ شواهد القبور الفردية: عبارة عن لوح حجري مستطيل، قمته مستقيمة، أو مقوسة، أو مثلثة، وعليها أشخاص كبار أو صغار وراءهم ستار الموت معلقاً من طرفيه بزهرتين أو سعف النخيل.

3 ـ واجهات التوابيت والأسرّة الجنائزية: عليها نحت لأفراد من أسرة الميت. وكتب وراء كتفه اسمه الكامل تسبقه أو تليه كلمة (حبل = واأسفاه) وأحياناً يوضع عمر الميت أو ما يعرف عنه. وعادة ما تكون الكتابة باللون الأحمر. والمشهد عبارة عن وليمة جنائزية يشترك الميت مع أفراد أسرته في الطعام وبيده كأس أو قصعة وهو مستلقٍ على فراش وثير ومتكىء على وسادة يليه أبوه أو أخوه أو ابنه الكبير، أما امرأته فتكون عند قدميه غالباً والأولاد بينهما وقوفاً. ويكون السرير الجنائزي محمول على قائمتين بينهما واجهة التابوت وعليها تماثيل نصفية تمثل بعض أفراد الأسرة أو مشاهد من حياة الميت. وهذه الأسرّة توضع في أماكن رئيسية بالمدفن. وقد يكون هناك أكثر من سرير. وأحياناً يقام في شرفة خصصت له في واجهة المدافن الأبراج، مثل مدفن (إيلابل) ومدفن (لامليكو) ومدفن (كيثوث).

الأطفال الذكور عبارة عن رجل قصير والطفلة امرأة قصيرة. وعادة ما يحملون عناقيد عنب أو طيور أو ألعاب. أما المرأة فهي مزينة بالجواهر والملابس الثمنية وتحمل مغزلاً أو تمسك بطرف وشاحها.

الصور الجدارية الملونة (الفريسكو):

وجد منها القليل في (تدمر) وغالباً ما كانت في المعابد. رسمت هذه الصور فوق الكلس بالألوان المركبة من أكاسيد معدنية محلولة بالماء.

يوجد فريسكو في مدفن (الأخوة الثلاثة الأرضي) من القرن الثالث الميلادي. في جدران الجناح الرئيسي والسقف والقوس.

البيوت التدمرية:

يتألف البيت التدمري من مدخل رئيسي وباحة أو باحتين تحيط بها الأروقة، وجميع الغرف تفتح على الباحة. في إحدى زواياها بئر ماء. جدران المنزل من الحجر واللبن وتغطى بملاط من الجص. والخارجية منها خالية من النوافذ. زينت الأفاريز بزخارف هندسية ونباتية بينها رؤوس لمخلوقات أسطورية أو مشاهد من الحياة اليومية.

وجد بيت شرقي معبد (بل)، نقبه (دورو) عام (1940). وفيه فسيفساء (متحف دمشق ومتحف تدمر)، أهمها فسيفساء أسطورة (كاسيوبة) (متحف دمشق).

كما اكتشف بيت آخر في الحي الغربي أثناء التنقيب على يد (غابرييل) عام (1924). وهناك بيت آخر شرق المسرح كشف عنه ورمم عام (1973)، يفتح على الرواق المحيط بالمسرح.

كنيسة:

وجد في الحي العربي القديم بمدينة (تدمر) بناء من القرن الأول، تحول في القرن الرابع إلى كنيسة. يضم باحة مبلطة بالحجارة تحيط بها مصاطب حجرية للجلوس. في الكنيسة إيوان يتألف من مصطبة عالية من الحجر المنحوت مغطاة بالرخام. أمام الإيوان أقواس من الزخارف الهندسية، ورواق له أعمدة. تصل إلى الشارع الرئيسي.

عثر في الكنيسة على عدد من الحجارة المنحوتة والخزف والفخار من القرنين الأول والثاني الميلادي.

قلعة فخر الدين معني:

طرازها مملوكي. حصنها الأتابكة والزنكيون والأيوبيون عندما حولوا معبد (بل) إلى حصن لمقاومة الصليبيين. وجدت فيها لقى من الخزف تعود إلى

هذه الفترة. أعاد بناءها (فخر الدين المعني الدرزي)، وكان حاكم (لبنان)، وأجزاء من (سورية) بين عامي (1590 - 1635).

حينما كان صغيراً توفي والده الذي كان خارجاً على القانون بالنسبة للعثمانيين، لذا اختبأ في (كسروان) المسيحية. وحينما كبر استمال الباب العالي وكان قد رجع إلى (الشوف) بلاد آبائه وأجداده. وامتد حكمه من (حلب) إلى (العريش) بموجب قرار من السلطان (مراد الرابع) عام (1624) وذلك لقاء مال يدفعه لخزنية الدولة.

أخذ (المعني) يعزز الدفاع ويبني القلاع. ولقب نفسه (سلطان البر) لأنه سيطر على أهم الطرق في (سورية). وأراد العثمانيون القبض عليه، ففر إلى (إيطاليا) بحراً وحل على (آل مديتشي) في (سكانيا)، ثم عاد إلى (الشوف) ونظم بلاد الشام، وأعاد تحصين قلعة (تدمر). ولكن في عام (1635) قبض السلطان على (فخر الدين) وثلاثة من أولاده، وأعدمه.

و (فخر الدين) هو الذي بنى قلعة (الشوف)، وقلعة (شقير)، وقلعة (قب الياس).

تعلو القلعة (150 م) عن مستوى المدينة. وهي مبنية فوق جبل صخري، بحجارة كلسية جصية. متوفرة في تلك المنطقة. يحبط بها سور وخندق عمقه (12 م)، عند حفره استفادوا من الحجارة المستخرجة في بناء القلعة. وللسور سبعة أبراج. وفي الأسوار مستودعات للمؤن. في القلعة باحتان وقاعات للاجتماعات والاستقبال. كما يوجد فيها صهاريج لتجميع مياه الأمطار. ولها جسر متحرك لا تزال بقايا قواعده قائمة. مدخل القلعة في جهة الجنوب الشرقي يوصل إليها ممر.

على القمة الغربية لجبل (المنطار) المشرف على (تدمر)، إلى جانب نبع (أفقا) المقدس، اكتشف في عام (1956) معبد صغير، يعود إلى (188 م)، كرس للإله (بلجمون) الفينيقي والربة (مناة) السورية. في القرن (12 م) أصبح مكان صلاة وزيارة ودعي باسم (الريس). وكان ترميمه على نفقة (برغش بن عبد الله

الفخري) عام (527 هـ = القرن 12 م).

هناك معابد عديدة في (تدمر) لم تكتشف بعد منها معابد: (أرصو) و (عشتار) و (آريس) و (فينوس) و (شمس) و (رحم) و (الغابة المقدسة) وغيرها.

نبع (أفقا) (Efqa):

(أفقا) باللغة الآرامية تعني مخرج الماء أي النبع. بفضل هذا النبع وجدت واحة (تدمر). تتدفق مياهه من كهف في جوف جبل (المنطار). ويمتد فيه إلى مسافة تتجاوز (350 م). مدخله عبارة عن معبد صغير لرب النبع (الطيب المبارك الرحمن الرحيم). كما ذكرت الكتابات التي وجدت فيه ومياهه معدنية كبريتية، حرارتها ثابتة (33 درجة) في كل فصول السنة. يصب (60 ليتر) في الثانية. وتستخدم مياهه لري واحة (تدمر). كما له صفات شفائية تعالج عدداً من الأمراض منها: فقر الدم، والكليتين، ورمال الجهاز البولي، أمراض الكبد، والأمراض الجلدية وأمراض الصدر والقصبات والرئة. مياهه تحتوي على الكلور والمغنزيوم والكبريت وفيها إشعاع راديوي يعادل (11٪)، ومياهه هاضمة، ومنشطة للدوران والغدد، ومضادة للحموضة.

في مدخل الكهف وجدت بضعة مذابح حجرية منحوتة (بعضها في متحف تدمر). كما وجدت فيه كتابات تشير إلى أن المياه كانت موزعة على المواطنين ضمن دورة مدتها (21) يوماً. بأمر من الإله (يرحبول) إله الشمس. وبأنه هناك شخصاً مسؤولاً يشرف على هذا الأمر الإلهي ويسمى (القيّم). وذكرت أسماء بعضهم: (بولنا بن زبيدا) عام (162 م)، و (يرحبولا) وابنه (دويد) عام (239 م). و (شمس بن ملا) (256 م).

نبع القناة:

ينبع قرب معسكر (ديوكليتيان). تجري المياه في قناة مدفونة تحت الأرض حتى جدار قوس النصر. وتمر ضمن ساقية مكشوفة إلى بساتين المدينة. مياهه كبريتية حرارتها (25 درجة) في كل الفصول. وتحتوي على مواد كما في نبع

(أفقا) ولكن بنسبة أقل.

قناة آبار العمي:

من العهد التدمري، تبعد (11 كم) شمال (تدمر) المياه صالحة للشرب. تسير مسافة (6 كم) في قناة أرضية بين جبل (المزار) و (الأصاخر) عبر وادي (أبي عبيد). أرض القناة وجدرانها وسقفها مبنية بالحجارة الكلسية الكبيرة المنحوتة. وعلى مسافات محددة. يوجد درج منحوت يؤدي إلى باب حجري لبوابة منحوتة أيضاً. بعد ذلك تسيل المياه عبر قناة مكشوفة إلى (تدمر) لترويها.

قناة أبي الفوارس:

يبعد النبع (12 كم) غرب (تدمر). مياهه صالحة للشرب. تجري في قناة مدفونة لمسافة (7 كم)، ثم في ساقية مكشوفة مبنية بالحجر عبر وادي القبور إلى المدينة. ومن ثم تتوزع بقساطل فخارية إلى البيوت والمحلات العامة.

أهملت القناة في أواخر القرن الثالث. ثم أعيد استعمالها في عهد (جوستينيان)، بعد أن استبدلت بقساطل من الفخار والأنابيب الحجرية. تشاهد بقاياها على امتداد الرواق الجنوبي في الشارع المستقيم فوق سوية الشارع الأساسية. في منتصف القرن الحالي، شحت المياه وردمت القناة.

ولقد أقام التدمريون عموداً تذكارياً يحمل تمثالاً في أعلى التل المشرف على النبع خلال القرن الثاني الميلادي.

جبلة

تبعد (28 كم) عن (اللاذقية). سماها الفينيقيون واليونانيون (غابالا) (Gabala) والصليبيون (زيبال). سماها القدماء (Gabala) و (Jabala) والرومان (Gabula) والصليبيون (Zible) و (Geble) و (Gibel). هي مرفأ صغير من عهد الفينيقيين ذكرت في سجلات الآشوريين. احتلها الهلنستيين ربما في القرن (8 ق. م) وصارت واحدة من المدن الفينيقية بزعامة (أرواد)، في عهد الفرس والهلنستيين. ثم احتلها الروماني (بومبي) عام (64 ق. م). وكان لها أهمية في العهد المسيحي الأول لوجود كرسي البطريركية فيها. واستمر ذلك في العهد البيزنطي. ثم أخذها العرب في عام (638 ق. م). بعد سقوط (أنطاكية) بيد (ريموند كونت تولوز) (Raymond Count of Toulouse) وطلب الجزية من قاضي جبلة (فخر الملك ابن أحمر) عام (1098) ضمها (Tancred) لإمارة (أنطاكية) وغير اسمها إلى (Zibel) وحصن المسرح ليصبح قلعة صليبية. ثم احتلها (صلاح الدين) عام (1188). ولكن الصليبيون استرجعوها بزعامة (الهوسبيتاليرز) (Hospitallers) ثم (فرسان الهيكل) (Templars). حررها السلطان المملوكي (قلاوون) عام (1285 م) بعد أن احتل (المرقب) وأخرج الصليبيين من (سورية).

آثارها:

لم يبقَ من آثار العهود التي مرت عليها سوى المسرح الروماني. كشف عن مدرجه الأسفل المؤلف من (11) درجة. والمدرج الذي يليه مؤلف من (12) درجة. وكان يتسع لحوالي (7000) متفرج. قطره (90 م) ويقابل الجهة الشمالية

من البلد. وهناك جامع (إبراهيم بن الأدهم) (778 م) وفيه قبر الشيخ الذي كان أمير (بختاريا) و (ابن الأدهم) ملك (أفغانستان). تزهد ومات ودفن في (جبلة). وكان الحجاج يقصدون ضريحه. وأقيم الجامع مكان كنيسة كانت قد بنيت في عهد الإمبراطور البيزنطي (Heraclius) وحكم بين (610 - 641) والذي هزم أمام العرب أثناء الحرب. وكان للجامع مئذنة وسلسلة من القباب البيضاء. وقد جدد الجامع عدة مرات.

وفيها قلعة بناها معاوية. اكتشف فيها خمسة مدافن هلنستية. كل مدفن له درج وبهو وعدد من المعازب. وكشف عن ستة توابيت من الفخار. كما وجدت لقى جنائزية وأواني وسُرج من الفخار وأواني زجاجية، وأحجار وخواتم برونزية وقطع نقدية برونزية أيضاً. وكتابة يونانية تذكر اسم أحد المتوفين.

يقع (تل سوكاس) قربها.

حصن سليمان أو بيت سيسي
أو بيت خيخي

هو معبد فينيقي موسمي، بناه سكان (أرواد)، وكرسوه للإله «بعل» أي (زيوس) رب الصواعق والمطر والخصب و(أستارته) أي (عشتروت). يبعد عن الساحل (30 كم)، وعن (دريكيش) (20 كم)، وعن (صافيتا) (25 كم)، و (50 كم) عن (طرطوس).

أقيم على قمة جبل (أرادوس) في قرية تدعى (بيتخيخي). وهو من القرن الثاني والثالث الميلادي. ومن أحسن المعابد صيانة بعد معبد (بل) في (تدمر) و (بعلبك) في (لبنان). كان هذا المعبد موجوداً زمن السلوقيين. أقيم على أطلال معبد أقدم منه. جدد بناءه (سلوقس نيكاتور) وكرسه للإله (بعل زيوس) وسماه (بيت خيخي زيوس) أو (بيت سيسي زوس). ازدهر المعبد في عهد الرومان الذين بدأوا بتجديده في القرن الأول الميلادي. ولكن الإنجاز الحقيقي، صار في القرن الثاني الميلادي خلال حكم الإمبراطور (سڤريد) (Sevrid). وبقيت العبادة تمارس فيه حتى القرن (4 م) أي ما بعد اعتناق المسيحية ديناً رسمياً في عهد الإمبراطور قسطنطين (Constantine).

وكانت هناك رسالة من القيصر للحاكم كي يحترم الامتيازات التي منحها للسكان حاكم الولاية. كما منح وقف لمعبد (زيوس) من أجل ذبائح المعبد. وكانت تعقد فيه سوق تجارية مرتين بالشهر بموجب أمر رسمي. كما منح حق اللجوء إلى المعبد والاحتماء فيه، كما في معبد (دافني) ومعبد (جبيوبيتر) في (دمشق). وأعفي سكان المنطقة من الضرائب.

وجدت في هذا المعبد أقراط وثلاثة أساور فضية وذهبية وثلاثة قطع من النقد الذهبي. كما وجدت شاهدة قبر عليها كتابات يونانية.

إلى الشمال من المعبد توجد أطلال دير، فيه معبد صغير بقي منه عمودان (أيونيك) (Ionic). رواق هذا المعبد مزخرف. والحجر المستطيل فوق المدخل مزين بنقش نسر.

كما توجد كنيسة بيزنطية شمال المعبد. وتوجد بقايا بناء في الجهة الشمالية قد تكون (نمفايوم) (Nymphaeum) (ربة الماء) على الشارع الرئيسي، أمامها بهو، ولكن لا يوجد قربها أثر لنبع ماء.

وصف المعبد:

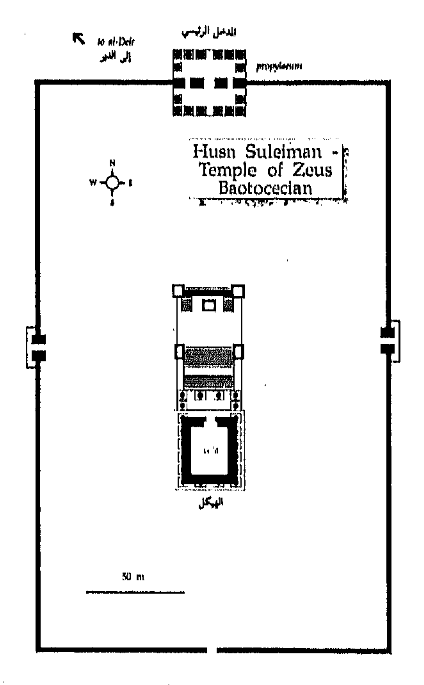
المعبد مستطيل الشكل تقريباً، أطواله القصوى (90 X 144 م). كان للمعبد سور حجارته ضخمة أطوال بعضها (10 م) وعرضها (2.5 م)، ولا يفوقها ضخامة إلا حجارة (بعلبك). ويبدو أن البناء كله لم يستكمل إنشاؤه وكان له أربع بوابات، واحدة في كل ضلع، في أعلى كل منها حجر مستطيل مزخرف بأشكال النسور. يقع الباب الرئيسي في الشمال، ويتألف من ثلاثة مداخل: عرضه (15 م). وكان للمدخل رواق خارجي، وآخر داخلي. يستند كل منهما على ثمانية أعمدة. والرواق الخارجي كان فيه محرابان ومدخلان جانبيان وقوس جميل على المدخل.

أما بابي الشرق والغرب فكانا متماثلين. لكل واحد منهما محرابان. في أعلى الباب لوح حجري مزخرف يعتمد على أشكال مجنحة. وفي الباب الشرقي، يوجد نقش رأس رجل. وكتابة يونانية تؤرخ تكريس السكان لهذا المكان عام (171). وفي نهاية الجدار الشمالي يوجد نقش أسدين وكتابة أضيفت فيما بعد في (255) خلال حكم الأباطرة (ڤاليريان) (Valerian) وجالينوس (Gallienus)، يؤكد المنح التي وهبها ملك (سورية) للسكان. باحة المعبد تعود إلى القرن (3 م)، في وسطها الهيكل (Cella)، الذي يتألف من مذبحين متراكبين، السفلي يعود إلى القرن الأول وكان على سوية الباحة،

وحينما شيد الجديد في القرن (3 م) أصبح القديم قاعدة له. لذا ارتفع الهيكل الجديد عن الباحة ولكنه حافظ على مقاييس الهيكل القديم. لم يبق من هذا الهيكل إلا جزء من جدران الجهة الغربية. مدخل الهيكل من الشمال، أمامه رواق كان فيه ستة أعمدة، ودرج فيه (39) درجة. ثم هناك مصطبة أمامها مذبح للأضاحي.

في الهيكل درج ضمن الجدران يصعد إلى أعلى السطح. ويقع في الزاوية اليمنى من المدخل، ويعتقد (آمي) (Amy) بأن هذا الدرج كان ضمن الحائط الخلفي الشرقي، ويوصل إلى تراس السقف كما في المعابد السورية.

وهناك مذبح أكبر موجود شرق الهيكل، في جانبه الشمالي درج مؤلف من (39) درجة مقسم إلى قسمين؛ في منتصف القسم الأول وضع المذبح الصرحي الذي كرس في عام (186 م).



معبد حصن سليمان

جدران الهيكل الخلفية مزدوجة فيها جدران أقدم. اكتشفت أدراج جانبية كل منها مؤلفة من (9) درجات. أمام الهيكل رواق تيجان أعمدته إيونية. ويحتوي الهيكل (Cella) الجديد على مغارة فيها نافذة وهي مكان عبادة بدائي. والمغاور الدينية في معابد (لبنان) والتي بدأت بمعبد (بعلبك) لا تحتوي على أي عنصر يميزها كمكان عبادة. وهي عبارة عن بناء مرتفع مفتوح على داخل الهيكل (Cella). والمغارة ناتجة عن حاجة تقنية لدعم التراس.

لا يمكن التأكد إن كان للهيكل الجديد محراب كما في معبد (بل) في (تدمر). فإن كان له محراب فيكون الوحيد بعد معابد سهل البقاع الذي احتوى على مغارة مع محراب، وإلا فيكون البناء القديم قد دمج مع الجديد.

حلب

هي المدينة الثانية في سورية. وتبعد عن دمشق (350 كم)، وعن (اللاذقية) (185 كم)، و (186 كم) عن (حمص)، و (320 كم) عن (دير الزور)، وترتفع (365 م) عن البحر. سجلت لدى منظمة (اليونيسكو) كمدينة أثرية من التراث العالمي وواحدة من أقدم مدن العالم. تعود إلى (8000) عام. وتقع على الطريق الدولية بين (آسيا) و (الهند) شرقاً و (أوروبا) غرباً. مساحة المدينة حوالي (62 كم^2). وسميت (بالشهباء) نسبة إلى لون بقرة النبي (إبراهيم) (الشهباء).

سكنها إنسان العصر الحجري القديم، ربما في المغاور القريبة من حي (المغاير)، قرب (الكلاسة). إذ وجدت فيها غرف بدائية، مداخلها ضيقة، يمكن إغلاقها بسهولة بالأحجار الكبيرة.

كما اكتشف عدد من المستوطنات من العصر البرونزي القديم والوسيط، في المنطقة الشمالية، والشمالية الشرقية من (حلب).

في بداية الألف الثالث قبل الميلاد ذكرت تحت اسم (خلبو) (Khalpo) حينما قاومت هجوم الأكاديين.

وذكرت في عهد الملك (ريموش) الأكادي الثاني، الذي حكم بعد (سرجون)، في الألف الثالثة قبل الميلاد.

وذكرت في حوالي (2400 ق. م) في عهد (نارام سن) الأكادي. وفي وثائق (أور) و (إيبلا) و (أوغاريت) باسم (حلب). وهي تسمية سريانية قديمة. وكذلك في كتابات (ماري) بالألف الثاني قبل الميلاد. حينما أرسل ملكها

(زيمري ـ ليم) تمثال الربة (عشتار) إلى ملك (حلب) ليضعه في معبد الإله (حدد) في (كلاسو) وهو حي (الكلاسة) حالياً.

وكذلك في الكتابات الحثية من الألف الثاني قبل الميلاد (1700 ق. م) حينما أصبحت عاصمة الحثيين في عهد ملكهم (مارسيلوس) (Marsellus) الثاني عام (1650 ق. م). وذكرت في الوثائق المصرية في الألف الثاني قبل الميلاد وكانت معاصرة لمدينة (ممفيس). وفي كتابات (نينوى) ما بين النهرين.

في المراحل الأولى، كانت (حلب) قرية صغيرة، على نهر (قويق). ثم اغتنت من مواردها الزراعية لخصوبة أراضيها. وأخذت أهميتها تتزايد مع الوقت بسبب قلعتها الحصينة.

في بداية الألف الثاني قبل الميلاد شكل ملوك (حلب) تحالفاً مع البابليين و (ماري)، وكانت الزعامة (لحمورابي) البابلي، وبذلك حكموا عشرين من الممالك الصغيرة المجاورة. وصارت (حلب) أيضاً عاصمة مملكة (يمحاض) العمورية في الألف الثاني قبل الميلاد تحكم الكثير من مدن شمال سورية الطبيعية حتى عام (1800 ق. م) حينما تعرضت للضغوط من الميتانيين والحثيين. وهاجم الحثيون (حلب) بقيادة ملكهم (حتوسيليس) (Hattusilis) الأول (1650 ـ 1620). ورغم الدفاع المرير إلا أنهم احتلوا (حلب). ثم دمّر الملك الحثي (مورسيلييس) الأول (1620 ـ 1590) (حلب) وأسر وقتل سلطانها. وبقيت (حلب) تتداولها الأيدي حتى هاجمها الملك الحثي (سبيلوليوماس) (Suppiluliumas) الأول وحكم بين (1375 ـ 1335 ق. م) وكان ذلك في حوالي (1370 ق. م). ونصب أحد أولاده واسمه (تيليبينوس) (Telepinus) ملكاً عليها. وفي كتابة هيروغليفية، في جدار (جامع القيقان)، اسم ملكين حثيين هما: الملك (تلمي شاروما) ابن الملك (تلبينوس) ملك (حلب)، من القرن الثالث عشر قبل الميلاد. والملك (تلبينوس) شارك في معركة (قادش) التي جرت بين الحثيين و (رمسيس الثاني) ملك (وادي النيل) عام (1286 ق. م).

ثم احتل الميتانيون (حلب) ولكن الحثيون استرجعوها. وبقيت هذه العائلة تتوارث العرش حتى هجوم (شعوب البحر) حوالي (1200 ق. م) على (حلب).

استعاد الحثيون قوتهم تحت اسم الحثيون الجدد وصارت (حلب) تحت سيطرتهم. ثم صارت عاصمة لمملكة صغيرة، آرامية، حتى الغزو الآشوري عام (854 ق. م). وبقوا فيها حتى القرن (4 ق. م) حينما احتل الملك الآشوري (شلمناصر) (سورية) بما فيها (حلب). بعد انتصاره على الآراميين في معركة (قرقر) قرب (جسر الشغور). ثم صارت (حلب) تحت حكم (ساردوريس) (Sarduris) ملك (أورارتو) (Urartu). وكان قد احتلها عام (612 ق. م). وهي مملكة أرمنية تقع على بحيرة (فان) عند جبل (آرارات). انتصر الآشوريون على ملك (أورارتو) واستولوا على (حلب) عام (743 ق. م) وبقيت لهم حتى سقوط الإمبراطورية الآشورية عام (612 ق. م) على يد البابليين الجدد (الكلدانيين). في زمن الآشوريين كانت (حلب) أقل شأناً من (أرباد) (Arpad) عاصمة المقاطعة، التي هي الآن قرية صغيرة شمال (حلب).

وحينما ضعفت الدولة الآشورية وانتصرت البابلية الحديثة (الكلدانية) صارت (حلب) تحت حكمها. ثم تحت حكم الآراميين عام (539 ق. م). وحينما احتل (كورش) الأخميني العاصمة (بابل) عام (535 ق. م) صارت (حلب) تحت حكم الفرس وبقيت كذلك حتى انتصار (الإسكندر) عليهم عام (332 ق. م). وصار اسم (حلب) هو (بيرويا) (Beroia) في عهد (سلوقس نيكاتور) بين (301 و 281 ق. م) وانتشرت فيها اللغة والعادات والتقاليد الهلنستية. وكانت (أنطاكية) هي عاصمة البلاد. وكانت (سورية) بما فيها (حلب) مجال صراع بين البطالمة في (مصر) والسلوقيين في (سورية).

هندسة المدينة شطرنجية، وشوارعها مستقيمة ومتعامدة حسب الجهات الأربعة الأصلية، حولها سور، وهضبتها حصينة. جلبت لها المياه عبر قناة. وصارت مركز تجارة وممر قوافل بين الشرق والغرب.

في العهد الروماني (64 ق. م) حافظت (حلب) على اسمها (بيرويا).

وحينما انتشرت المسيحية في البلاد صارت (حلب) مركزاً لكرسي الأسقفية. وأقيمت فيها كاتدراية مكان معبد وثني. وهي (المدرسة الحلوية) التي خربها الفرس في عام (540) وأحرقوها حينما فتحها الملك الساساني (خسرو كسرى أنوشروان) وخربها. ولكن الإمبراطور (جوستينيان) البيزنطي (518 - 565 م) رممها وحصنها بسور حجري وأعاد بناء الكاتدرائية أي (المدرسة الحلوية). ثم عقدت معاهدة بين الفرس والبيزنطيين، بعهد إمبراطورهم (هرقل)، عام (624 م). واستعادت اسمها القديم خلال الحكم البيزنطي.

في عام (636 م) دخل العرب المسلمون مدينة (حلب) بقيادة (خالد بن الوليد) و (أبو عبيدة بن الجراح) بعد حصار طويل. وبنى الخليفة الأموي (الوليد بن عبد الملك) (705 - 715) الجامع الكبير فيها، وأكمل العمل أخوه (سليمان) (715 - 717 م). وانتشرت اللغة العربية فيها وخاصة بعد هدم بلدة (قنسرين) عام (639) ونقل سكانها إلى (حلب). ثم أصبحت تحت حكم العباسيين الذين حكموا بين عامي (650 و 968).

وبعد ذلك صارت (حلب) تخضع تارة للعباسيين في (العراق) وتارة للطولونيين في (مصر). وكان (أحمد بن طولون) قد اغتصب حكم (سورية) عام (868 م). ثم حاصر القرامطة (حلب) بين عامي (902 و 903 م). كما حكمها الأخشيديون في عامي (936 و 937) بعد انتصارهم على العباسيين. وظهرت أسرة (بني حمدان) من قبيلة (تغلب)، التي حكمت من (الموصل) حتى (الرقة). ثم امتد حكمها حتى جبال (طوروس) بما فيها حلب بين عامي (944 - 1003).

صار (لحلب) أهمية كبرى خلال حكم الحمدانيين وخاصة أن (سيف الدولة) جعلها عاصمة إمارته وحكم بين (944 و 967). وبنى القلعة وجعلها مقره. كما أنشأ في وادي (قويق)، على بعد (2 كم)، من السور، قصراً هو (الحلبة). وانتعشت حركة الترجمة من طب وتاريخ وفلسفة وعلوم وآداب. فأصبحت مركزاً ثقافياً وحربياً يصدّون منها هجمات البيزنطيين المتتالية. واشتهر

من الشعراء (المتبني) الذي كان في بلاط (سيف الدولة). إضافة إلى (أبو النصر الفارابي)، واللغوي (ابن خلويه)، والشاعر الأمير (أبو فراس الحمداني). وقد هاجمها الإمبراطور البيزنطي (نيكفوروس فوكاس) (Nicephorus Phocas) وحكم بين (963 و 969) فاحتل (حلب) ونهبها، وأحرقها، كما أحرق قصر (سيف الدولة)، والجامع الأموي، والأسواق، والمحلات التجارية. إلا أن (سيف الدولة) هزمه وقتل أخيه. ورمم السور، وجدد الجامع وأعاد بناء الأسواق. ولكن (نيكفوروس) انتصر عام (962) وحرق المدينة واستبعد من بقي فيها من السكان. ولكنه فشل في الاستيلاء على القلعة، رغم أنه قطع أعناق (12) ألف أسير حلبي أمام سكان القلعة لتخويفهم. ثم حاصرها ابن أخيه (تيودور) (Theodore) وحينما كان يلقي كلمة في جيشه عند بابها، فتح الباب فجأة لثوان كانت كافية لتخرج منه امرأة رمته بحجر فأصابه.

استمر البيزنطيون بالهجمات الانتقامية عليها. مما جعل (سيف الدولة) يأمر بترحيل سكان (حلب) إلى (قنسرين) حتى يعيد بناءها. وكان قصره قد تهدم تماماً لذا رمم القلعة وجعلها مقراً له. بعد موته أعاد البيزنطيون هجماتهم عام (969) ونجحوا في احتلال المدينة. ولكنهم فشلوا أمام أبواب القلعة. ثم انسحبوا مقابل جزية فرضت على (حلب) المهدمة.

في عام (973) وصل الفاطميون إلى أبوابها فاضطر (سعد الدولة) للاعتراف بالخليفة الفاطمي في (القاهرة). وأعاد بناء الجامع الأموي ورمم الأسوار. وصارت (حلب) يتبادلها تارة الحمدانيون وتارة البيزنطيون وتارة أخرى الفاطميون. ثم خضعت عام (1015) للفاطميين لمدة ثماني سنوات. ودام حكمهم خمسين عاماً. وبدأت الأحياء المغلقة تتشكل في (حلب)، كما في (دمشق).

بعدها صارت تحت حكم (المرداسيين) من قبيلة (بني كلاب) العربية بين (1023 و 1079) حينما طرد (صالح بن مرداس) الفاطميين واستقل بالحكم. وكان بلاطه عامراً ومن أهم شعرائه (أبو العلاء المعري).

سلم المرداسيون مدينة (حلب) إلى قبيلة (بني عقيل) التي امتد نفوذها من (بغداد) إلى (حلب) بين (1080) و (1086). ثم حكمها السلجوقيون وكان سلطانهم هو (ملك شاه) وفي عهده بدأت الحملات الصليبية. وأول موجة منهم هاجمت سورية كانت في عام (1098) واحتلت (أنطاكية). فحاول أمير (حلب) (رضوان) استعادة (أنطاكية) ولكنه فشل فاضطر القاضي (ابن خشب) أن يستنجد بأمير (الموصل) السلجوقي فأتى لإنقاذها. وحصلت معركة (سرمدة) في عام (1119) وخسر فيها الصليبيون. ثم حاصر الصليبيون (حلب) ثانية فأتى (أتابك) (الموصل) (عماد الدين زنكي) لنجدتها وبقي فيها وكان ذلك عام (1124 أو 1125). و(عماد الدين زنكي) من المماليك الأتراك اهتم (بحلب) وحصنها، ودام حكمه بين (1127 و 1146). في عهده ازدهرت (حلب) اقتصادياً وعمرانياً. وحصل زلزال رهيب عام (1128)، دمر أبنيتها. وفي عهد ابنه (نور الدين) الذي حكم بين (1146 و 1173) حصلت نهضة عمرانية واستمر الازدهار.

جدد (نور الدين) أسوار المدينة، وأسوار القلعة، وبنى مدخلها وجسرها الحجري، وأحاطها بالخندق، وبنى المسجد الكبير، حسب مخططه الأصلي، بعد أن أضاف إليه أرض بائعي الأقمشة، وزينه بمحراب من خشب الأبانوس المطعم بالعاج. كما بنى عدداً من المساجد وميداناً لسباق الخيل وأنشأ المدارس، وبنى بيمارستان كبير، ودار العدل أمام القلعة. وأنشأ قناة، وأقام أحياء جديدة، وأنشأ قناة لتمدها بالمياه. وبنى أيضاً صوامع للمتصوفين، ومستودع للأسلحة، ورمم المجاري والقساطل، حتى وصلت المياه إلى جامع (التوتة).

وصارت (حلب) مركزاً تجارياً هاماً. وفي الحرب قتل أمير الصليبيين (ريموند) وأُسر خلفه (رينو دي شاتيون) في القلعة. حتى افتداه الصليبيون. كما قُبض على أمير (أنطاكية) (ريجينالد الكاتلوني) (Reginald of Chatillon) الذي لم يدفع فديته أي من أمراء الصليبيين. فبقي في القلعة أسيراً لمدة (16) عاماً. كما أسر (جوسلين) كونت (أوديسا) عام (1160) وبقي سجيناً في القلعة حتى مات بعد تسع سنوات.

بعد موت (نور الدين)، أصبحت (حلب) تحت حكم (الصالح إسماعيل) عام (1174) وكان (صلاح الدين الأيوبي) حاكم (مصر)، الذي بدأ منذ عام (1160) بالتوسع حتى ضم البلاد الإسلامية بين مصر والعراق عام (1176) ولم يحكم فعلياً (حلب) حتى مات آخر الزنكيين وهو (الصالح إسماعيل بن نور الدين) عام (1183). فضم إمارة (حلب) إلى الدولة الموحدة. وجعل قلعتها مقر إقامته وحكمه. ودام حكم الأيوبيين من (1167 حتى 1260).

ثم أصبح ابنه (الظاهر غازي) حاكماً عليها بين (1193 و 1215). فأصلح القناة التي تأتي بالماء من ينبوع (حيلان). ونشر القنوات لتوزيع المياه في المدينة، بواسطة (64 سبيلاً). أكمل بناءها بعدها (يوسف الثاني). وبنى لها الحمامات حتى صار عددها (194) حماماً. وبدأ بإصلاح القلعة، فجعل لها مدخلاً جديداً وخندقاً وعليه جسر تحمله ثمانية أقواس متفاوتة الارتفاع. وكان للجسر باب حديدي. ورصف منحدر التلة بالحجارة ليصعب تسلقها على المهاجمين. وأنشأ أبواباً سرية، وحفر صهاريج، وشيد أبنية جديدة، وحمامات، وحديقة، وحجرات للإدارة. كما بنى مسجداً له مئذنة عالية. وكانت للمراقبة والآذان. ووصلت القلعة إلى ذروتها.

وفي عهده وضعت معاهدات تجارية بينه وبين دولة (البندقية) أي (فينيسيا) بين عامي (1207 و 1254).

وفي عام (1260) هجم (المغول) برئاسة (هولاكو) (Hulagu) على (حلب) ودمرها. وفشل أمام قلعتها. فاوض اللاجئين إلى القلعة ووعدهم بالحفاظ على سلامتهم وسلامة ممتلكاتهم، ولكنه غدر بهم حينما فتحت الأبواب فقتلهم وهدّم أبنية القلعة التي كانت في عهدة الملك (توران شاه) ابن (صلاح الدين) وقتل (يوسف الثاني) آخر ملوك الأيوبيين.

خلف المماليك الأيوبيين في حكم (مصر) عام (1250) وهزم جيشا المملوكين (قطز) و (بيبرس) (المغول) في معركة (عين جالوت) في أيلول عام (1260) بعد أن استدراجهم إلى فخ. إذ اختبأ القسم الأكبر من الجيش بينما

أخذ القسم الأصغر بمناورة المغول فحاصر القسم الأكبر المغول وأعملوا فيهم السيوف.

جدد أمير (حلب) المملوكي (الأشرف قلاوون) ما تخرب من المدينة والقلعة. ولكن وباء الطاعون انتشر في المدينة عام (1348 م) وقضى على قسم كبير من سكانها.

ثم ظهر (المغول) ثانية عام (1400 م) وعلى رأسهم (تيمورلنك) (Tamerlane) أي (تيمور الأعرج). وهدموا (حلب)، وقتلوا سكانها. ورغم قصر الغزوة التي دامت ثلاثة أيام فقط، إلا أنهم أجهزوا عليها. وكان (المغول) هم أول وآخر من اقتحم قلعة (حلب). و حينما رحلوا عنها أخذ (تيمورلنك) مهرة الصناع معه إلى (سمرقند). كما حصل عدد من الزلازل أتت على ما بقي منها فتركها المماليك لمصيرها.

ثار أمير (حلب) ضد المماليك وأصبحت القلعة بين (1405 و 1407) مستقلة. بني فيها برجين وقاعة العرش فوق المدخل الرئيسي. كما أضاف السلطان (مؤيد الشيخ) أبنية أخرى. ثم جددها ثانية الملك (قانصوه الغوري) آخر المماليك فدعمها وحصنها.

وفي المدينة بنيت المساجد المملوكية المزخرفة. كما أنشئت أحياء جديدة أمام أبواب السور الشمالية، والشمالية الشرقية. وازدادت أهميتها التجارية من الشرق إلى الغرب بسبب تجار (البندقية) الذين كانوا يتعاملون بالقطن والفستق والحرير والتوابل. وكثرت الخانات التجارية وأنشيء خان (البنادقة) لتجار (البندقية). ولكن (سليم الأول) العثماني انتصر على الأمير وقتله في معركة (مرج دابق) عام (1516). ودخل العثمانيون (حلب) بعد خيانة حاكمها (خاير بيك) وبهذا بدأ الاحتلال العثماني الذي دام حوالي (400 عاماً) من (1516) حتى (1919).

في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ازدهرت (حلب)، وتوسعت خارج الأسوار، ولكن القلعة فقدت أهميتها الحربية بسبب البنادق والمدافع

وصارت مقر حكم فقط. ولم يغير الغزو العثماني من انتعاش تجارتها، رغم سيطرة الانكشاريين وتبدل الولاة، حتى أن بعض الدول الأوروبية فتحت لها في (حلب) قنصليات منها قنصلية (البندقية) أي (فينيسيا) عام (1548) وقنصلية (فرنسا) عام (1562)، وقنصلية (إنكلترا) عام (1583) وقنصلية (هولندة) عام (1613). وأصبحت (حلب) بذلك من أهم وأغنى مراكز التجارة في شرق (البحر الأبيض المتوسط). فأنشأت الجوامع والبيوت المزينة بزخارف (الباروك)، التي نقلت إليها من (إيطاليا) و (فرنسا) و (إسبانيا)، وقد ذكرها (شكسبير) مرتين في مسرحيته (ماكبث) و (عطيل) لأهميتها التجارية ووقوعها على طريق الحرير. وحينما ساءت أوضاع الحكم في (استانبول) في أواخر القرن التاسع عشر أصاب (حلب) الخمول والركود الاقتصادي.

ثار (محمد علي) حاكم (مصر) ضد العثمانيين. فأرسل ابنه (إبراهيم باشا) إلى (حلب) ليحكمها بعد أن استولى على (سورية). فبنى في القلعة طاحونة هواء وثكنة بأحجار سفح المنحدر حول القلعة. و دام حكمه فيها بين (1833 و 1840). ولشدة الضغوطات عليه من الدول الأوروبية، رجع إلى (مصر) مرغماً.

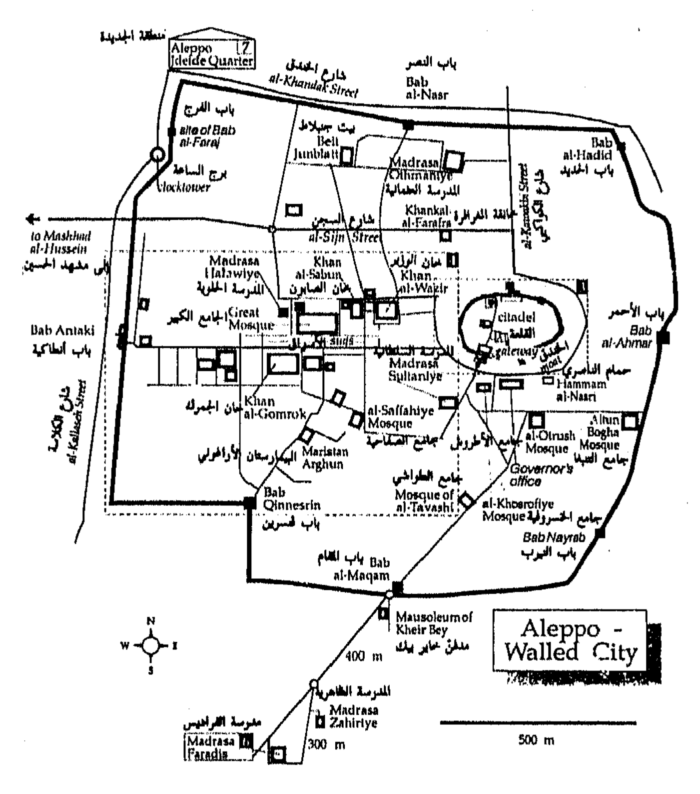
حصل زلزال عام (1882) تبعه سلسلة من الزلازل الضعيفة دمرت (حلب) وقلعتها. وفقدت (حلب) بعد ذلك أهميتها التجارية بافتتاح قناة السويس، ولكن سكانها ازداد تعدادهم وخاصة بعد لجوء عدد كبير من الأرمن هرباً من الأتراك إليها. كما ربطت (بدمشق) و(بالحجاز) بواسطة الخط الحديدي الحجازي.

أثناء الاحتلال الفرنسي (لسورية)، قسم الجنرال (غورو) قائد الجيوش الفرنسية (سورية) إلى خمسة ولايات. كانت (حلب) عاصمة واحدة منها. وحينما حصلت (سورية) على استقلالها عام (1946) صارت (حلب) مدينة مهمة هي الثانية في (سورية). وربما الأولى صناعياً وتجارياً.

تحتوي (حلب) على ميزات عمرانية محلية لأنها لم تتأثر بالطابع الأجنبي

فحافظت بذلك على أصالتها العربية. وقد وجدت آثار تعود إلى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد في موقع (الأنصاري) جنوب مدينة (الحمدانية). وفي موقع (باب الفرج) كشف عن بقايا سور المدينة القديم ووجدت أسرجة، ودمى وآنية فخارية تعود إلى العصور الرومانية والبيزنطية والإسلامية.

كما وجد في (حلب) حجر بازلتي نقش عليه اسم الملك الحثي (تالي شاروما بن تلبينو) من عام (350 ق. م) والحجر موجود حالياً في جدار جامع (القيقان) بمحلة (العقبة). وعثر في (عين التل) على تمثال أمير من الحجر البازلتي يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد (متحف حلب). وكذلك عثر على تماثيل لأسود ضخمة تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد في منطقة (حلب).



مدينة حلب القديمة

في (الديدرية) قرب نهر (عفرين) وجد قبر وفيه هيكل عظمي لطفل عمره سنتان، وطوله (83 سم)، وهو طفل إنسان (نياندرتال) يعود إلى (100) ألف عام. تحت رأس الطفل حجر وفوق معدته حجر. أنف الطفل أفطس ورأسه مستدير، عظامه غليظة، وبنيته قوية. ويعتبر أول قبر منتظم في التاريخ.

ووجدت في تلة (سودة) قطع فخارية تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد.

قلعة حلب:

تعتبر مثالاً للهندسة العسكرية العربية. تشبه الفنجان داخل صحنه كما كتبت الكاتبة والرحالة الأثرية (جرترود بل)، الفنجان هو القلعة والصحن هو مدينة (حلب). وهي من أكبر قلاع العالم وأقدمها وأحصنها، لا يعرف تاريخ بنائها لقدمها. ولم تفتح أبداً بالقوة بل بالحيلة والخداع.

بنيت فوق تلة (أكروبول) نصفها اصطناعي لرفعها عن مستوى المدينة. وتحتضن كثيراً من آثار العهود التي مرت بها منذ أن كانت (حلب) مملكة عمورية واسمها (يمحاض) قبل الغزو الحثي في القرن (16 ق. م).

أعاد بناء القلعة السلوقيون ثم الرومان. وزارها الإمبراطور الروماني (جوليان) وحكمه كان بين (361 م و 363) وقدم أضحية للرب فيها. وكان البيزنطيون يرممون القلعة كلما تهدم جزء منها أثناء الحروب. واعتاد السكان أن يلجأوا إليها عند الخطر، كما فعلوا عام (540) حينما غزا (كسرى الأول) (حلب) ونجوا من القتل.

استولى المسلمون عليها عام (636 م) بقيادة (خالد بن الوليد) و (أبو عبيدة بن الجراح) بعد أن سيطروا على أحد أبوابها. وأسروا قائدها البيزنطي. هناك قصة تروي أحداث احتلال القلعة، حينما التجأ حاكم (حلب) البيزنطي (يوكينا) (Youkinna) مع بعض السكان إلى القلعة، تطوع عبد ضخم من الجزيرة العربية اسمه (دامس) أن يساعد على احتلالها فاتفق مع بعض من رفاقه

على البقاء قرب القلعة بعد أن تظاهر الجيش العربي بالتراجع. وفي الليل وكان حالكاً، تسلق (دامس) مع رفاقه منحدر القلعة، وهم مربوطون إلى بعضهم البعض. ومتخفون تحت جلود الماعز. وكان (دامس) يهز الحبل ليحذر رفاقه حينما يقترب منهم الحراس. ويقضم الخبز الجاف بصوت عال ليعتقد الحراس أن الماعز ترعى على منحدر تلة القلعة، وهكذا تسلقت المجموعة التل وأشعلوا ناراً لإعطاء جيش (خالد بن الوليد) الإشارة بوصولهم بعد أن فتحوا لهم الأبواب، فدخلوها ظافرين. وحينما وجد الحاكم البيزنطي (يوكينا) مع من لجأ معه أنفسهم معتقلون، اعتنقوا الدين الإسلامي وانضموا للفاتحين.

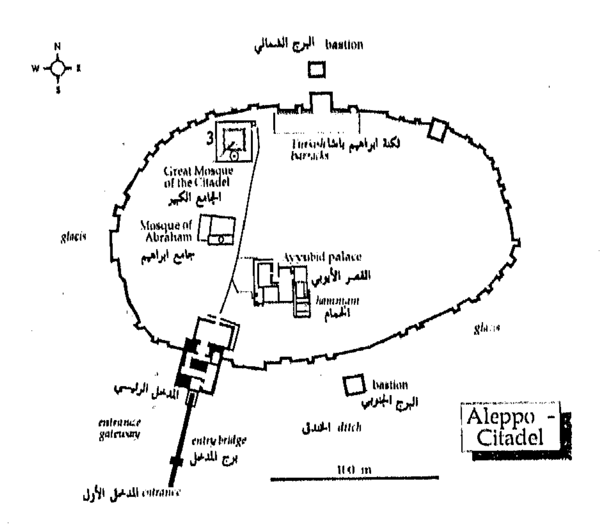
وفي القرن (10 م) أصبحت مقر سكن وحكم (سيف الدولة الحمداني) المزدهر. وبقيت القلعة تقاوم البيزنطيين ومن بعدهم الصليبيين وظلت حصن المسلمين القوي في شمال سورية. وكذلك فعل بنو (مرداس) (1025 - 1079). وفي العهد السلجوقي زاد اهتمام (نور الدين) بالقلعة، وبنى فيها كثير من المباني، ورممها وبنى فيها قصراً ومسجداً وأصبحت مقراً لحكمه وإقامته. وجدد حصونها وغطى سفح التل بالحجارة فبلغت أوج ازدهارها.

وفي عهد الأيوبيين وبعد اندحار الصليبيين أصبح (الظاهر غازي بن صلاح الدين) ملكاً على (حلب). وحكمه كان حوالي (1193 - 1215) فاعتنى بالقلعة وابتنى قصراً واتخدها مركزاً لحكمه وسكنه. ثم غزاها المغول وعلى رأسهم (هولاكو) عام (1260) واحتلها بعد حصار شهرين فخرب أسوارها، ودمر أبنيتها. ولكنها رممت في عهد (الأشرف خليل بن قلاوون) عام (1292). ثم دمرت ثانية على يد (تيمورلنك) (1400). وجددت أجزاء منها وشيد السلطان (الملك الناصر ابن برقوق) سورها وبنى قصراً فيها عام (1415 م). كما رممت أيام السلطان (قانصوه الغوري) آخر المماليك، ثم أهملت في زمن العثمانيين وأصيبت بالدمار من زلزال (1828). ورممت بشكل بسيط عام (1882) حتى العهد السوري المستقل لترمم وتصبح مزاراً للسواح.

وصف القلعة:

ترتفع القلعة عن مستوى المدينة حوالي (33 م) فوق تل إهليجي الشكل. يحيط بها سور حجري فيه (44) برجاً دفاعياً من أحجام مختلفة، طوله حوالي (900 م) وارتفاعه حوالي (12 م)، ودعم بأعمدة حجرية ثبتت بشكل عرضي بمسامير حديدية. حجارة السور الكبيرة تعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي، والوسطى من العهد الأيوبي، أما الصغيرة فمن العهد المملوكي.

رصف ثلثي المنحدر بالأحجار ليصعب تسلقها ولحمايتها من التآكل بسبب مياه الخندق المحيطة بها، والخندق عرضه (32 م) وعمقه (22 م) فيكون مجموع ارتفاع القلعة عن أرض الخندق حوالي (55 م)، وكانت المياه تأتيه من نبع (حيلان).



قلعة حلب

باب القلعة يقود إلى برج متقدم، مستطيل الشكل، ارتفاعه حوالي (20 م)، بني في عام (1211 م) ورمم فيما بعد. والباب حديدي، عليه كتابة تؤرخ صنعه في عهد الملك (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي) بالقرن (12 م)

وعلى مدخل البناء كتابة تؤرخ عهد السلطان (قانصوه الغوري) (1507 م) أيام الوالي (أبرك الأشرفي السيفي). وتحت الكتابة يوجد نقش الحلية المعمارية المعروفة بالصنج المزررة وفوقها سقاطة. في الجدار المقابل من البرج يوجد باب آخر حديدي يقود إلى الجسر الحجري، سابقاً كان جسراً خشبياً متحركاً استبدله (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي) بهذا الجسر الذي أقيم فوق قواعد لها ثمانية قناطر.

في نهاية الدرج فسحة، في صدرها جدار فيه مرامي للسهام، وفتحات بارزة لسكب السوائل المغلية منها على العدو.

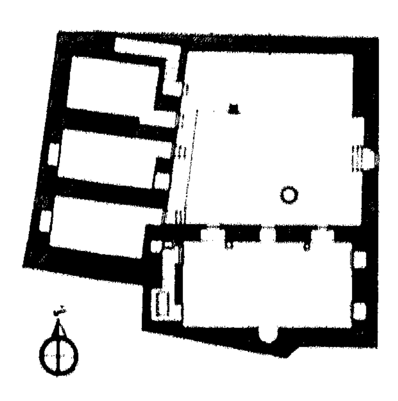
مدخل القلعة الداخلي يقع على اليمين، وله باب مصفح بالحديد، تزينه حدوات أحصنة وشرائط أفقية مثبتة بالمسامير. ويدعى هذا الباب بـ (باب الحيات) لوجود نقش ثعبانين متعانقين لهما أربعة رؤوس في أعلاه. الحيات والأسود ترمز للقوة وترعب العدو وتؤثر على معنوياته. يفتح الباب على بهو برج فيه ثلاث ردهات والباب السري الذي يقود إلى قاعة العرش. لكل واحدة من الردهات عدد من مرامي السهام. على الجدار الأيمن للمدخل توجد كتابة تعلن انتصار الجيوش العربية على الأرمن والتتار والصليبيين. ثم يأتي الباب الثاني، من القرن (13) نقش فوقه أسدين بينهما شجرة نخيل، والباب حديدي عليه مسامير كبيرة ثم بهو فيه مقام الخضر. ثم يأتي الباب الثالث الذي يقود إلى الممرات السرية. ثم الباب الرابع. ويعلوه من الجانبين نقش أسدين أحدهما ضاحك والآخر باكي. وهو من (1210 م = 606 هـ) فوقه كتابة أيوبية من عهد الملك (الظاهر غازي بن صلاح الدين). على جانبي الممر توجد مهاجع للجنود.

يبدأ الشارع الرئيسي الذي يخترق القلعة من الشمال إلى الجنوب. وهو مجدد وضيق. على اليسار يوجد قصر وحمام من القرن (12 م) بناه (نور الدين زنكي). وإلى اليمين حوانيت وقاعة كبيرة تحت الأرض قسمها الأسفل حفر في الصخر وبقية الحائط من الآجر. لها أربع فتحات للنور والتهوية. ويستند السقف على دعائم حجرية ذات قناطر قرميدية من العهد البيزنطي قسمها إلى

ثلاثة أقسام. وكانت خزاناً للماء، كما كانت مخزناً للحبوب والمؤن وعلف الحيوانات. أما قسمها الداخلي وهو حفرة كانت سجناً في عهد البيزنطيين في القرن (6 م). ثم استعمله الفرنسيون فيما بعد لنفس الغرض. وينزل إليه بدرج حديدي حديث.

مسجد إبراهيم الخليل:

ويقع على يسار الشارع وهو مسجد صغير كان سابقاً كنيسة بيزنطية ثم أصبح مقاماً (لإبراهيم الخليل). وتقول الأسطورة أن فيه صخرة كان النبي (إبراهيم) يجلس عليها ليحلب بقرته الشهباء. جدده (نور الدين زنكي) وكان يصلي به. وتوجد لوحة مرمرية فوق باب الجامع تؤرخ البناء من عهد (نور الدين زنكي) في عام (575 هـ) أي (1167 م). في باحته غرف وبهو. وعلى جانبي المدخل كتابة وفي داخل المصلى عمودان، الأيمن بيزنطي والأيسر عربي. كان فيه محراب كسوته خشبية بديعة يشبه محراب مدرسة (الحلوية) أخذه الفرنسيون عام (1922 م). تعلو المصلى قبة ونوافذ للإنارة وفيه أربعة كتبيات، ويوجد فيه افريز، تزخرفه كتابة عربية.



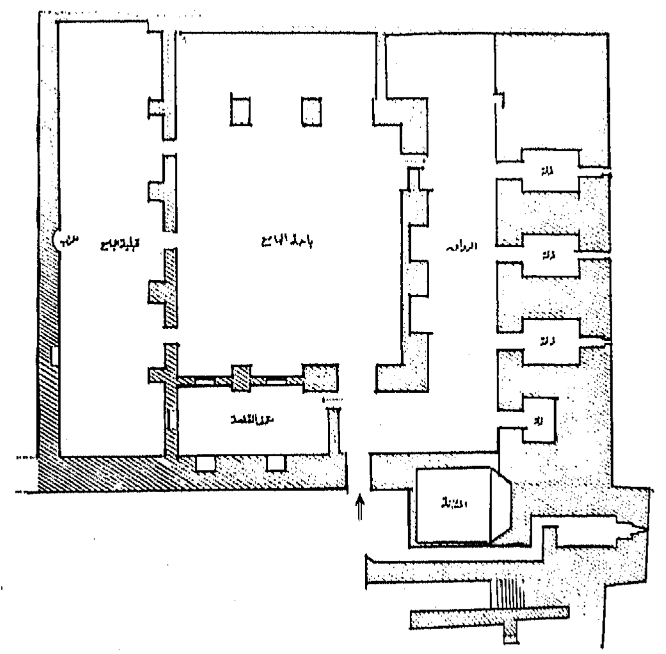
قلعة حلب ـ جامع إبراهيم الخليل

بني في الجامع صهريجاً لتخزين الماء لمدة عام كما أوقف له وقفاً خارج (حلب). ويوجد باب كتب عليه (قناة حيلان) التي كانت تمون القلعة بالماء.

وقرية (حيلان) تقع شمال (حلب). تعود هذه القناة إلى عهد الرومان أو البيزنطيين. جددها (عبد الملك بن مروان). وفي عهد (نور الدين زنكي) أخذ منها فرعاً للجامع الكبير وإلى (الخشابين) و (الرحبة الكبيرة) داخل باب (قنسرين). وفي عام (506 هـ) أمر بتنظيف مجراها (الملك الظاهر غازي) وساهم هو نفسه مع الأمراء بذلك. حينما احتل المغول قلعة (حلب) خربوها وأحرقوا هذا المسجد.

يوجد مقابل المسجد معبدٌ (سوري ـ حثي) هو (معبد الشمس) ويعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وجد فيه نصب بازلتي عليه نحت نافر لشخصين مجنحين، يعلوهما قرص الشمس داخل هلال القمر، من القرن(9 ق.م) معلصر لمعبد (عين دارا) (متحف حلب)، وله نسخة جصية في متحف القلعة.

الجامع الكبير:



قلعة حلب ـ الجامع الكبير

أيوبي من القرن (13). كان كنيسة ثم صار جامعاً أيام المرداسيين. جدده الملك (نور الدين زنكي). ولكنه احترق ثم أعاد بناءه الملك (الظاهر الغازي بن صلاح الدين) بعد أن احترق ثانية عام (609 هـ = 1210 م) وعلى بابه كتابة تؤرخ البناء والباني (الغازي بن صلاح الدين) عام (610 هـ = 1211 م). وهو مربع الشكل له باحة تفتح عليها غرف للطلبة. وللمصلى ثلاثة مداخل وقبة ومحرابين ونوافذ للإضاءة. مئذنته من (1214) مربعة الشكل ارتفاعها (20 م) تشبه مئذنة جامع (الدباغة) في حلب. لها سلم داخلي فيه (78) درجة. ولأنها عالية كانت تستعمل للمراقبة والآذان معاً. قسم من حائط المسجد مع المئذنة سليم، أما الباقي فهو ترميم حسب الأصل.

ثكنة إبراهيم باشا:

دام حكمه بين (1833 و 1840) وهو ابن (محمد علي الكبير) والي (مصر). شيدت الثكنة عام (1834 م) من الحجارة التي كانت تغطي منحدر القلعة.

قرب الثكنة توجد بئر الملك (الظاهر غازي)، وطاحونة هواء، ومن الشرفة المجاورة للثكنة يمكن رؤية البرج الشمالي المملوكي. ومنظر عام لمدينة (حلب).

مستودعات القلعة:

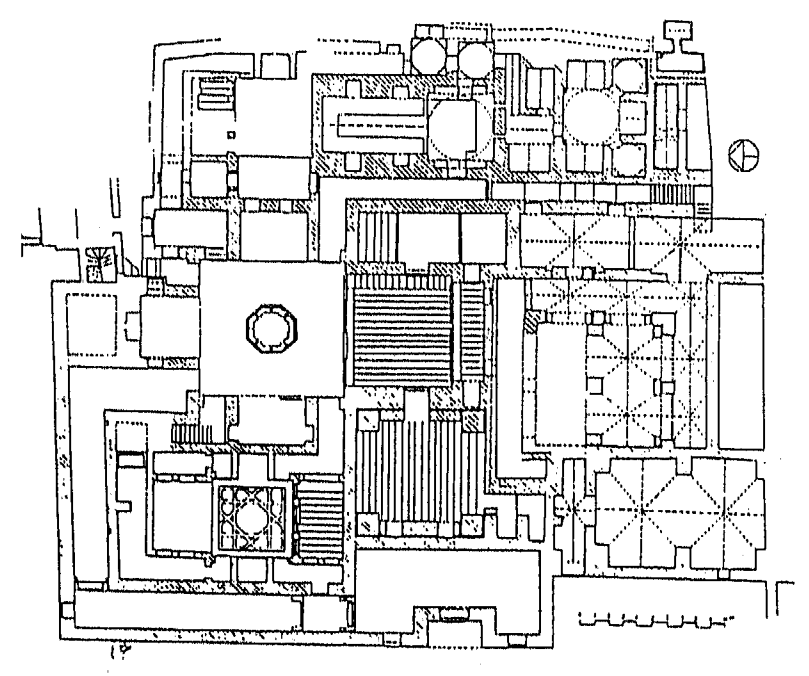
حفرت بالصخر، ينزل إليها بواسطة درج. ارتفاع المستودعات (20 م) وطولها (7.5 م) وعرضها (16.5 م). سقفها يعتمد على دعائم أربعة ضخمة. قسمت المكان إلى ثلاثة أقسام. أوسطها مربع الشكل.

المسرح الحديث:

بني حسب الطراز الروماني عام (1980) يتسع لـ (3000) متفرج. تقام فيه مهرجانات واحتفالات دائماً.

القصر الملكي:

أيوبي من القرن (13) أي (1228 م) بناه (يوسف الثاني ابن السلطان الظاهر غازي بن صلاح الدين) وشيده بالحجارة السوداء والصفراء على شكل مداميك. له باب كبير تعلوه مقرنصات وعناصر زخرفية. أرضه مبلطة بالرخام والمرمر والحجارة الصقيلة باللونين الأسود والأصفر. تتوسط باحته السماوية بركة. وفي جداره الشمالي يوجد سبيل ماء. كان في القصر أربعون غرفة مكسوة بالمرمر والموزاييك. وتزينه المقرنصات على شكل خلايا النحل مرصعة بالمرمر الأبيض.

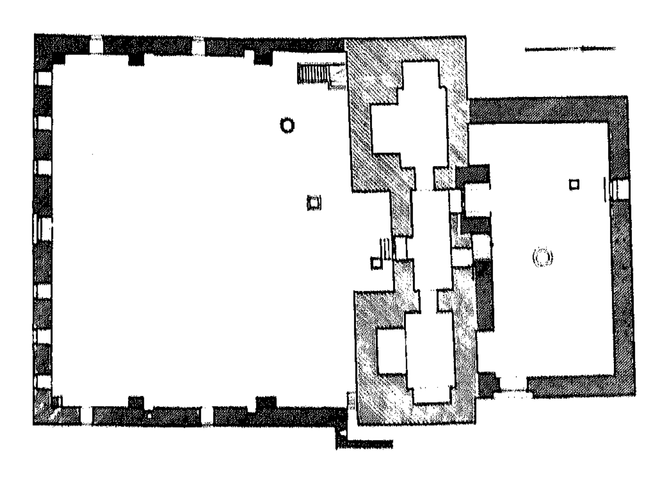


قلعة حلب ـ القصر الملكي ـ الحمام

وفي الطريق نحو قاعة العرش يوجد أبنية عديدة. إلى اليسار بناء يعرف باسم بيت (الطواشي) من القرن (13 م) ثم تأتي فسحة فيها كتابة ودرج يؤدي إلى ممرات الحراسة فوق مدخل قاعة العرش.

قاعة العرش:

مملوكية؛ بنيت بعد الدمار الذي حل بالقلعة على يد (المغول) عام (1400 م). جددها (قايتباي) في القرن (16 م). ورممت عدة مرات فيما بعد، آخرها كان عام (1973 م). بنيت فوق برج مدخل القلعة الرئيسي. وينزل إليها بواسطة (7) درجات. أرضية القاعة رخامية ذات أشكال مختلفة أخذت من بيوت حلبية قديمة.



قلعة حلب ـ قاعة العرش

في منتصف القاعة بحرة ماء أيوبية وكانت جدرانها مغطاة بالفريسكو، وفي أعلى كل جدار نافذتين، حالياً الجدران و الأعمدة مغطاة بالخشب المحفور والملون إلى ارتفاع معين. فيها نافذة كبيرة تطل على المدينة وعلى مدخل القلعة. أما النوافذ الأخرى وعددها عشرة، ثلاثة على كل جانب من النافذة الكبيرة، واثنتان في كل حائط جانبي. سقفها خشبي محفور ومدهون ومزين بزخارف نباتية، يرتكز على أربعة دعائم. وهو مقسم إلى أقسام ثلاثة أخذت أجزاءه من دور دمشقية، وتعود إلى القرن السابع والثامن عشر. يفصل بين السقوف جسور أطوالها تتراوح بين سبعة وعشرة أمتار قطرها (75 سم). تتدلى منها زوايا رائعة

الزخرفة، سقف الرقبة زخرفته من الخط العربي. وفيها أربع وعشرون نافذة جصية تزينها زخارف نباتية وزجاج ملون. يتدلى من السقف (10) ثريات خشبية يزينها الخط العربي والحشوات الفاطمية. إحداها عبارة عن حجرات كبيرة تتدلى من منتصف القبة.

في قاعة العرش درج سري يقود إلى قاعة الدفاع الكبرى، وينتهى عند الباب الثالث. وفيها فتحات لسكب السوائل المغلية على العدو. وكوات لرمي السهام. وهذه القاعة تتحكم بمدخل القلعة الرئيسي. كما تشرف على باب الحيات وباب الأسود.

الحمام:

بني الحمام مع بناء القصر أي القرن (13 م) في باحته الخارجية سبيل ماء. ويتألف من (9) حجرات. في البراني مصاطب للراحة تحتها تجاويف صغيرة لوضع الأحذية. وكان فيه بحرة ماء. والجواني فيه مقاصير وأجران ماء.

وقباب السقف مغطاة بقمريات زجاجية للإنارة. وأبواب الحمام منخفضة لحفظ الحرارة. وقد جهز الحمام بأنابيب فخارية للمياه الباردة والحارة.

الأبراج:

1 ــ برج السور الشمالي:

يتصل بثكنة (إبراهيم باشا) بواسطة درج. وهو بارز عن السور ويعود إلى عام (1472 م).

2 ــ برج السفح الشمالي:

يقع على سفح المنحدر خارج سور القلعة. فيه ممر يقود إلى البرج البارز الشمالي. بني عام (1408 م).

3 ــ برج السفح الجنوبي:

بني عام (1406 م)، ورمم عام (1508). يقع خارج السور على سفح

المنحدر مقابل برج السفح الشمالي. يقع بابه في الجهة الشمالية. للبرج عدة طبقات، فيها فتحات مستطيلة وعريضة، في الطبقة السفلى ممر تحت الأرض. يتصل بدرج ينحدر من القلعة إلى المدينة. وكان هناك جسر متحرك يوصله بالقلعة.

يوجد في القلعة خمسة صهاريج لجمع مياه المطر تأتيها عبر قنوات أرضية. كما يوجد فيها عدد من الآبار، منها: واحد في قاعة الدفاع الأولى عند الباب الثالث، وآخر مياهه مالحة. وبئر الملك (الظاهر غازي) قرب ثكنة (إبراهيم باشا).

يوجد في القلعة باب (الجبيل) ويقع شرق باب القلعة. بني عام (1214)، كان له درج ينحدر إلى (دار الحكومة) حالياً (دار العدل سابقاً) مجتازاً الخندق. وكان الملك (الظاهر غازي) يستعمله وهو في طريقه إلى (دار العدل).

وهناك باب (السر) الذي يؤدي إلى باب (الأربعين) قرب (حمام السلطان).

وفي القلعة سراديب تتصل بأحياء المدينة من خلالها كان السكان يلجأون إلى القلعة عند الخطر.

أسوار حلب:

لم يبقَ من السور القديم، إلا أقسام، تظهر بين باب (أنطاكية) وباب (قنسرين)، وعند (جادة الخندق).

وفي العصر الإسلامي، جددت أسوار (حلب)، لتصبح منيعة وقوية.

بنى السلطان (نور الدين) سوراً أقل ارتفاعاً من السور القديم وأعاد بناء السور (الظاهر غازي)، كما بنى أبراجاً، امتدت من باب (الجنان) حتى باب (النصر). وأكمل (الناصر يوسف) بناء الأبراج من باب (الجنان) حتى باب (قنسرين). وبلغ عددها حوالي (20) برجاً. واستمر البناء والترميم، وخاصة في عهد السلطان (مؤيد شيخ)، والسلطان (الأشرف برسباي) المملوكيان.

ولم يبقَ من هذا السور سوى جزء واحد، يقع بين باب (الجنان) وباب (قنسرين) وقسم في الجهة الغربية.

الجزء الأسفل من السور أحجاره ضخمة، ارتفاع الواحد (50 سم)، وفيه بعض الأبراج المستديرة، ويعود تاريخها إلى أيام (سيف الدولة الحمداني). تليها أحجار متوسطة الحجم، جيدة البناء.

والقسم العلوي من السور، يعود إلى عهد المماليك، وبعض أجزائه ترجع إلى عهد متأخر.

أبواب حلب:

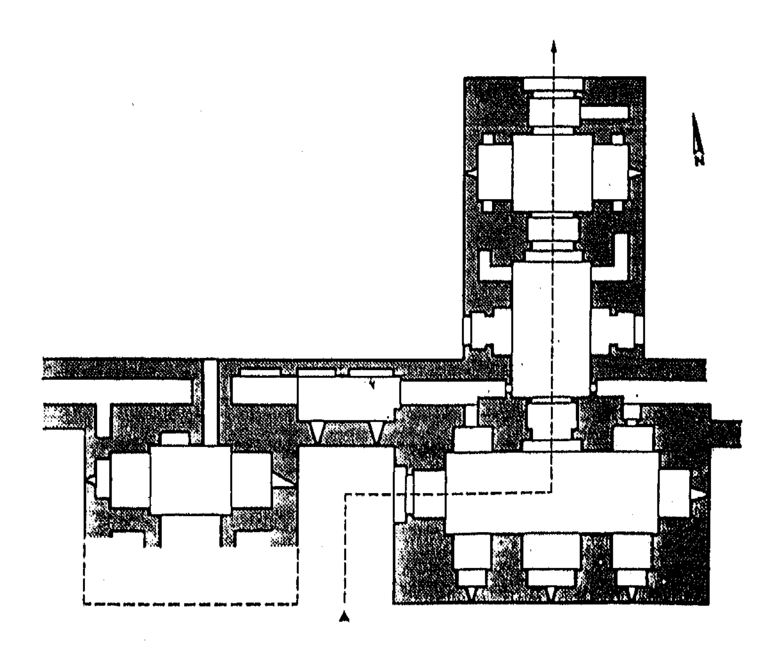
أهم الأبواب:

باب قنسرين:

سمي كذلك لأنه يؤدي إلى بلدة (قنسرين) أي (العيس حالياً) وتبعد (25 كم) جنوب غرب (حلب). وكانت عاصمة الولاية قبل الإسلام، وفي القرون الأولى بعد الإسلام. كما كانت مقر الجيش والدفاع.

ربما بناه (سيف الدولة الحمداني) لأن اسمه مذكور على أحد عوارض الباب. جدده (الناصر يوسف الثاني) عام (654 هـ = 1256 م) قبل دخول (هولاكو) عام (1260 م). ودعمه بأبراج، وأصبح مثل القلعة، وهو الباب الذي دخل منه (هولاكو) إلى المدينة. رممه السلطان (المؤيد شيخ) عام (818 هـ = 1415 م) حسب كتابة عليه. كذلك رممه (قانصوه الغوري) حسب كتابة أخرى.

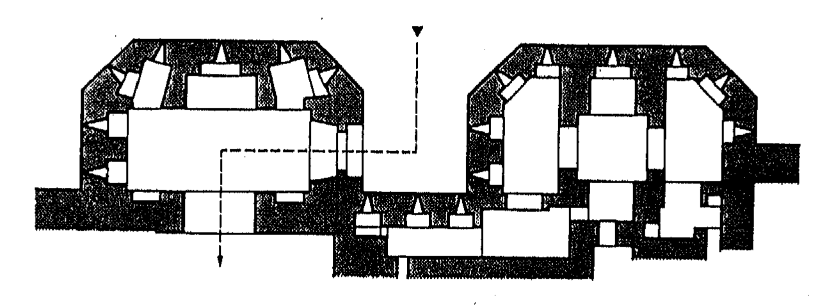
وكان الباب أشبه بحصن دفاعي. لمدخله فتحة تسمح بإنزال شبك حديدي، كأبواب القرون الوسطى. في البرج الشرقي، مرامي للسهام، ثم بابان آخران، فالباب الرابع المؤدي إلى المدينة، وكان فيه أبراج، وطواحين، وفرن، وجرار للزيت، وصهاريج للماء، أشبه ما يكون بقلعة صغيرة.



حلب ـ باب قنسرين

باب أنطاكية:

هو الباب الرئيسي في السور الغربي للمدينة. ويؤدي إلى (أنطاكية). دخل منه العرب المسلمون في عام (16 هـ = 637 م) يتألف الباب من برجين، قام الباب بينهما، وبني بأحجار ضخمة.



حلب ـ باب أنطاكية

على جداره الداخلي بين البرجين كتابة، تذكر (الحاكم بأمر الله) ولم يذكر التاريخ، ربما كان بين (1016 و 1018 م). كان (عزيز الدولة فاتك) حاكماً للمدينة وللقلعة. فثار ضد الحاكم (بأمر الله) وأعلن استقلاله عنه ولكنه قتل في سريره في قلعة (حلب) عام (1022). من قبل غلام هندي، بتحريض من (بدر أبو النجم) أحد مماليك (بنجوكتين). مولى (العزيز) صاحب (مصر).

ومنذ ذلك الحين أخذ الخليفة (الظاهر) وابنه (المستنصر) (بالقاهرة) يسمون حاكماً لقلعة (حلب)، وآخر للمدينة لتجنب إعادة الكرة.

جدد الباب أيام السلطان (برقوق) وابنه (فرج) ويؤرخ ذلك كتابة في أعلى نجفة مدخل الباب، في عام (792 هـ = 1389 م).

وهناك كتابة أخرى أسفل نجفة المدخل تذكر ترميم (الأشرف السيفي دقماق) للباب بتاريخ (1402)، وإلى جانبي الكتابة رنكان مملوكيان. وعلى البرج الأيمن أسفل الإفريز العلوي، أي واجهة مدخل الباب، توجد كتابة طويلة تؤرخ تجديداً للسلطان (المؤيد أبو النصر شيخ) وتاريخ (1423 م).

وكان هناك كلة معدنية في سقف (باب أنطاكية) من الداخل تنسب إلى الشيخ (معروف) الذي كان فدائياً أيام الصليبيين ودفن في (المدرسة الشاذبختية) في سوق (الزرب).

جنوب الباب على مسافة (25 م) يوجد برج صغير، عليه كتابة تؤرخ بناءه عام (1489) بأمر من (الحاكم بأمر الله). وهناك برج آخر أيضاً جنوب الباب، مبني بحجارة ضخمة، عليه كتابة تؤرخ البناء وبانيه، وهو السلطان (أحمد الأول العثماني). وبرج شمال الباب على بعد (50 م). العلوي منه بناه (المؤيد شيخ). والسفلي أقدم من عصر (الناصر يوسف الثاني) الأيوبي. فيه نقش أسدين للزينة، وفيه مرامي للسهام، وفتحات للسوائل المغلية.

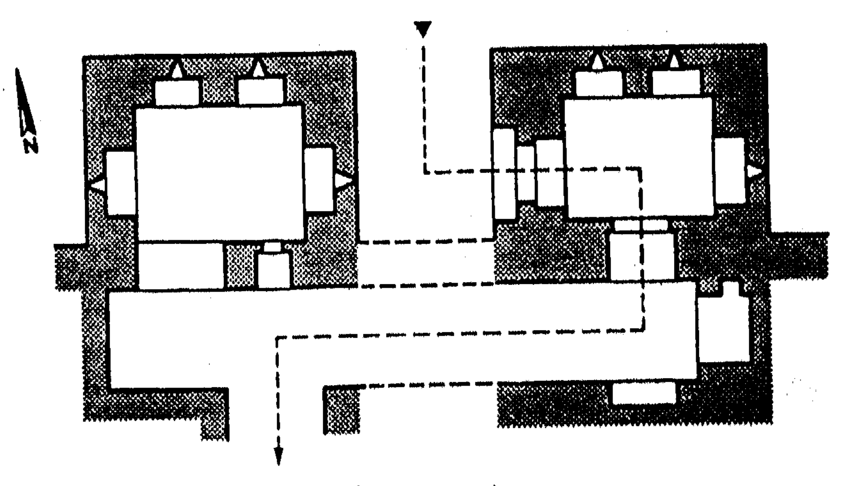
باب النيرب:

سمي بذلك لأنه يؤدي إلى قرية (النيرب) القريبة، والتي وجدت فيها

تماثيل من الألف الأول قبل الميلاد.

باب النصر أو باب اليهود:

سمي كذلك لأنه يطل على مقابر اليهود، خارج الأسوار أيوبي. بني في بداية القرن (13). هدمه وأعاد بناءه (الظاهر غازي)، وعليه كتابة تؤرخ ذلك. لم يبقَ منه إلا برجان مهدمان.



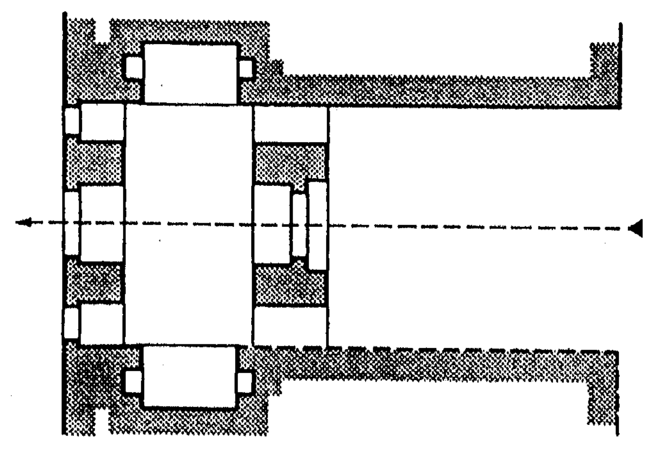
حلب ـ باب النصر

باب المقام أو باب النفيس أو باب دمشق:

بني مع السور الخارجي، على طول خندق (الروم)، في عهد (الظاهر غازي). وأنهى البناء ابنه الملك (العزيز محمد). سمي (باب المقام) لأنه يؤدي إلى مقام (إبراهيم الخليل) أي مقام الصالحين، جنوب (حلب).

وسمي باب (النفيس) نسبة إلى اسم متولي الأمر في ذلك العهد. وعليه كتابة تؤرخ ترميمه بعهد (أبو النصر بارسباي). وتمت عمارته بعهد (قايتباي).

برجه الشرقي بحالة جيدة. وعليه من جهة الجنوب كتابة تؤرخ تجديده في عهد (قايتباي) (1493). وعلى جانبي الكتابة رنكان دائريان فيهما كتابة. وفيه فتحتان للسهام.



حلب ـ باب المقام

و(باب المقام) يتألف من ثلاثة مداخل، الأوسط ضعف الجانبيين، ويختلف بهذا عن جميع أبواب (حلب) التي كانت للدفاع ، ولها مدخل واحد جانبي في الضلع الضيق من البرج. وفوقه ممر معقود. وذلك لمنع اقتحامه بجذع (رأس الخروف) السلاح الهجومي المستعمل في ذلك الوقت. يقود هذا الباب مباشرة إلى داخل المدينة. بينما تحتاج الأبواب الأخرى للانحراف يميناً قبل دخول المدينة. يقع بالقرب منه ضريح (خاير بك).

باب الأحمر أوباب خندق بالوج:

بني أيام السلطان (عزيز محمد). ورمم أيام (قانصوه الغوري) في (920 هـ = 1514 م). وقد اندثر الباب بكامله.

باب الجنان:

يقود إلى الجنائن خارج المدينة حول نهر (قويق). لم يبق منه إلا البرج الجنوبي. وعليه كتابة تؤرخه (918 هـ = 1512 م) من أيام (قانصوه الغوري). أسلوب البناء يشبه أسلوب بناء (باب الفرج) وعلى الباب رنك دائري للسلطان (قانصوه الغوري).

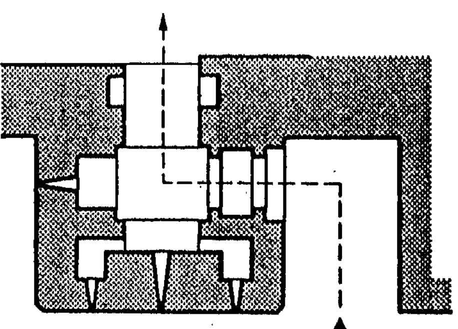
باب الفرج، أو باب العبارة:

بناه (الظاهر غازي)، أغلق بعد موته ولم يفتح إلا أيام حفيده (الناصر يوسف الثاني). وكان هناك بابان في (حلب) باسم (الفرج) واحد قرب حمام (النصر) وقد خربه (الظاهر غازي) واختفت آثاره. والثاني بين (باب النصر) و (باب الجنان). وكان يسمى (باب العبارة) ثم صار اسمه (باب الفرج).

تهدم (باب الفرج) عام (1904) لتعريض الشارع. ولم يبقَ منه سوى برجه الجنوبي، وفيه فتحة لرمي السهام، على جانبها (رنكان) دائريان من أيام (قايتباي)، وهناك كتابة على الجدار الشمالي للبرج الجنوبي مؤلفة من سطر واحد، تؤرخ ترميم الباب من قبل (قايتباي) في عام (893 هـ = 1488 م). وقد غطت الكتابة شرفة بنيت فوقها.

باب الحديد أو باب قناة (جيلان) أو باب بانقوسا:

بناه الملك (قانصوه الغوري) عام (915 هـ = 1509 م). وحكم بين عامي (1500 و 1516) وهو آخر المماليك. وهو برج من طابقين له فتحات لسكب السوائل الحارقة ومرامي للسهام. بناه السلطان (الظاهر غازي) فوق (خندق الروم).



حلب ـ باب الحديد

سمي (باب الحديد) لأن قربه كان (سوق الحدادين)، والأدوات الزراعية، رممه (قانصوه الغوري) عام (915 هـ = 1510 م)، حسب كتابة على يسار المدخل. وهناك ثلاثة (رنوك) مستديرة هي شعار المماليك. فيها كتابة عن (قانصوه الغوري).

تهدم البرج الشمالي فيه. وبقي الثاني، وهو من طابقين، فيه مرامي للسهام، وفتحات لسكب السوائل الحارقة.

وهناك أيضاً باب الأحمر أو باب بالوج، باب العراق، باب الصغير، باب دار العدل، باب الفرج، باب السعادة، باب السلام، باب الأربعين، باب العمارة، .

لم يبقَ من كل هذه الأبواب إلا باب النصر، باب أنطاكية، باب المقام، باب الحديد، وباب قنسرين.

الجوامع:

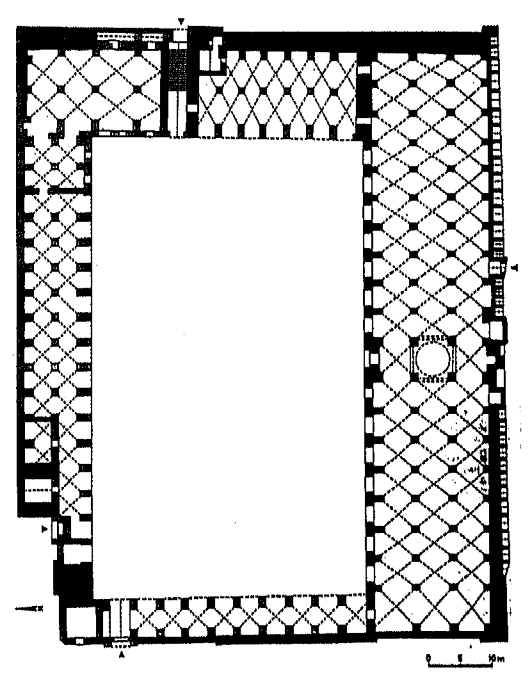
الجامع الأموي أو جامع زكريا أو الجامع الكبير:

وهو أكبر جوامع (حلب) . بناه الوليد بن عبد الملك عام (715 م) وأكمله أخوه الخليفة (سليمان بن عبد الملك). كان قبلاً حديقة لكاتدرائية القديسة (هيلانة) (مدرسة الحلوية) حالياً. والكاتدرائية بدورها شيدت فوق الساحة الرئيسية (أغورا) من العهد اليوناني ـ الروماني. واستعملت مواد من كنيسة (قورش) الشهيرة. ولكن العباسيين نقلوا أهم زخارفه إلى جامع (الأنبار) في (العراق) عند تخريبهم آثار الأمويين.

أحرق (نيكفور فوكاس) البيزنطي الجامع عام (351 هـ = 1962 م) حينما أحرق (حلب). ولكن (سيف الدولة الحمداني) رممه. ثم احترق عام (564 هـ = 1196 م) فجدده (نور الدين زنكي) بشكل مبسط وترك المئذنة على حالها.

جددت المئذنة الحالية أيام السلطان السلجوقي (ملكشاه بن الب أرسلان) عام (482 هـ - 1089 م). وتؤرخ هذا البناء كتابة موزعة على أحزمة طوابق المئذنة. كما تذكر الكتابة اسم المعماري. والقسم العلوي من المئذنة رممه السلطان (تتش) الذي خلف أخيه (ملكشاه الب أرسلان) سنة (487 هـ = 1094 م).

وعانى الجامع من الحرائق والحروب، وقام السلاطين السلاجقة والمماليك والعثمانيون بترميمه وبإضافات عديدة إليه.



حلب ـ الجامع الكبير

مساحته تماثل مساحة الجامع الأموي في (دمشق). ولكن بعد سلسلة الحرائق، والترميمات التي خضع لها لم يبقَ من فخامته السابقة شيء. أبعاد صحن المسجد (47 X 79 م). والحرم محمول على (80) عضادة موزعة على أربعة صفوف. وللمسجد أربعة مداخل واحد في كل جهة. ومحراب الجامع من الحجر الأصفر، بسيط ولكنه جميل. والمنبر الحالي مملوكي من عهد السلطان (محمد) من القرن (14 م). وهو من خشب الأبنوس، زخرف بقطع من العاج. بلاط الجامع الحالي من عهد العثمانيين (1631 م).

في أيام الملك (الظاهر) كان المحراب الأصفر للحنابلة، والمحراب الكبير للشافعية، والمحراب الغربي للحنفية، وأما الشرقي فكان للمالكية. إلى جانب المحراب يوجد ضريح النبي (زكريا) والد النبي (يحيى) وله حاجز نحاسي

وسمي المسجد باسمه.

وتقع المئذنة السلجوقية، وهي من القرن (11)، في الجهة الشمالية، ارتفاعها (54 م) وهي مربعة الشكل. وتعتبر خير مثال لهندسة العصور الوسطى السورية وأول الأبنية ذات الهندسة الإسلامية التي تطورت في العهدين الأيوبي والمملوكي في القرنين التاليين. قسمت واجهة المئذنة إلى أربعة أقسام ولكل واحد زخرفة مغايرة ولكنها منسجمة مع الأخريات تفصل بينها نطاقات من الكتابة الكوفية، وهي من أقدم الكتابات. أما القسم الأعلى من المئذنة ففيه محاريب ومقرنصات وشرفة المؤذن الخشبية.

جامع الطواشي:

بناه (صفي الدين جوهر العلائي الطواشي) من العهد المملوكي، وجدده (سعد الله بن علي بن الخفري عثمان الملطي) عام (944 هـ = 1537 م) له واجهة جميلة الزخرفة وفيها أعمدة صغيرة. واحد منها له تاج انحنت أوراقه مع الريح. له مئذنة قصيرة ورشيقة، لها غطاء حجري، وباب مزخرف بالمقرنصات، وكتب عليه تاريخ البناء (1537) واسم الباني والمجدد.

داخل المسجد ضريح (سعد الله الملطي) الذي توفي عام (946 هـ)

مدرسة وجامع الشاذبختية أو جامع الشيخ معروف:

تقع في (سوق الزرب). و (شاذبخت) طواشي هندي مملوكي (لنور الدين)، وصار قائد القلعة حينما مات (نور الدين) في (شوال 569هـ) = (أيار 1174 م) وهو الذي أخذ ولاء كبار أمراء (حلب) لابنه الأصغر (الصالح إسماعيل)، وكان في (دمشق)، قبل أن ينتشر خبر موت (نور الدين).

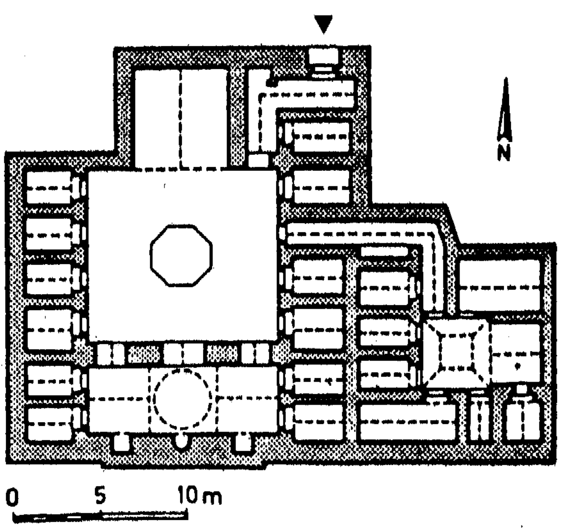
والمكان مدرسة وتربة. بابها عليه نصف قبة ومقرنصات، بالداخل غرفة مربعة، أمامها أقواس، تعلو المصلى قبة، وفيه محراب أيوبي من المرمر، يُحيط به عمودان مرمريان، لهما تاجان مزخرفان.

وتوجد خمسة محاريب في (حلب) متشابهة ومن الفترة الأيوبية وهي:

محراب (الشاذبختية)، ومحراب (مشهد الحسين) (لم يعد موجوداً)، ومحراب (السلطانية)، ومحراب (الفردوس)، ومحراب (خانقاه الفرافرة).

خانقاه الفرافرة:

نسبة إلى بني (فرفور). وخانقاه مكان مخصص لإيواء الفقراء. بنتها (الضيفة خاتون زوجة الظاهر غازي) عام (635 هـ = 1237 م) تؤرخ البناء والباني كتابة على باب المدخل. ينزل إليها بدرجة من الحجارة السوداء. فيها باحة، في شمالها إيوان واسع، ووسطها بركة تشبه بركة جامع (الفردوس). ومصلى فيه محراب، على طرفيه عمودان من الرخام الأزرق، التاج مزين بالفسفيساء، وفي أعلاه نقوش جميلة. غرف المكان العلوية كانت للإقامة. وكان المكان مخصصاً لفترة قريبة لإقامة النساء. حالياً رممته مديرية الآثار.



حلب ـ خانقاه الفرافرة

جامع البهرانية:

تركي الطراز. له قبة ضخمة مجددة.

جامع المهمندار أو جامع القاضي:

لقب (المهمندار) يعني ممسك الضيف، ومسؤول عن مطابخ السلطان. أنشأه (حسن بن بلبان) المعروف باسم (ابن مهمندار). وكان ذلك في القرن (7 هـ = 14 م). تعرض لزلزال عام (1822)، فتخرب، رمم، وأعيد بناء مئذنته عام (1946)، وقويت بالإسمنت المسلح. وهي منغلولية الطراز. فيه محراب زينته من (الأرابسك) يشبه محراب جامع (الفردوس). خلفه يوجد (البيمارستان النوري).

جامع القيقان:

مملوكي. يقع قرب باب (أنطاكية) وجامع (التوتة)، على مرتفع حي (العقبة) الذي كان قرية هلنستية (بيرويا) (Beroia). جدد المماليك بناء الجامع بأحجار تعود إلى عدة عهود، وعلى مدخله عمودان من البازلت قديمان.

بني مكان معبد قديم، له باحة، وبئر ماء، ومصلى. وفي جداره الجنوبي من الخارج حجرة بازلتية عليها كتابة هيروغليفية حثية ترجمتها: تقدمة للإله (هيبا شاروما) من (تلميشا روما ابن تلبينو) الكاهن الأعظم ملك (حلب). وهي من عام (1350 ق. م). وهذا الحجر أعيد استعماله وكان أصلاً في المعبد الحثي. وفي الواجهة الغربية للجامع كتابة على يسار عمود الباب حالتها سيئة. ويفهم منها أن أحد معلمي البناء كان (جمال الدين) بنى غرفة عليا كوقف مع دفع أجر شهرين (لجامع القيقان).

جامع التوتة أو المدرسة الشعيبية أو جامع الغضائري أو جامع باب أنطاكية أو جامع الأتراس (تروس):

وسمي كذلك لأن العرب المسلمين حينما دخلوا (حلب) من باب (أنطاكية) صلّوا في هذا المكان وحصّنوا أنفسهم بالأتراس.

بني مكان قوس نصر روماني في عام (16 هـ =637 م)، حينما دخل العرب المسلمون (حلب). وسمي (بالشعيبية) نسبة إلى (شعبيب بن أبي الحسن بن أحمد الأندلسي) الذي درّس فيه حتى وفاته عام (596 هـ = 1400م).

وسمي (بالغضائري) نسبة إلى الشيخ (أبي الحسن علي بن عبد الحميد

الغضائري).

جدد في عهد (نور الدين زنكي) عام (445 هـ = 1160 م). وخصص للشافعية. هناك بقايا إفريز فيه كتابة كوفية مورقة (أرابيسك) من القرن الثاني عشر الميلادي. وفوق الباب كتابة كوفية تقول «صنعه سعيد المقدسي بن عبد الله رحمه الله». وكانت قناة حيلان تمده بالماء أيام (نور الدين).

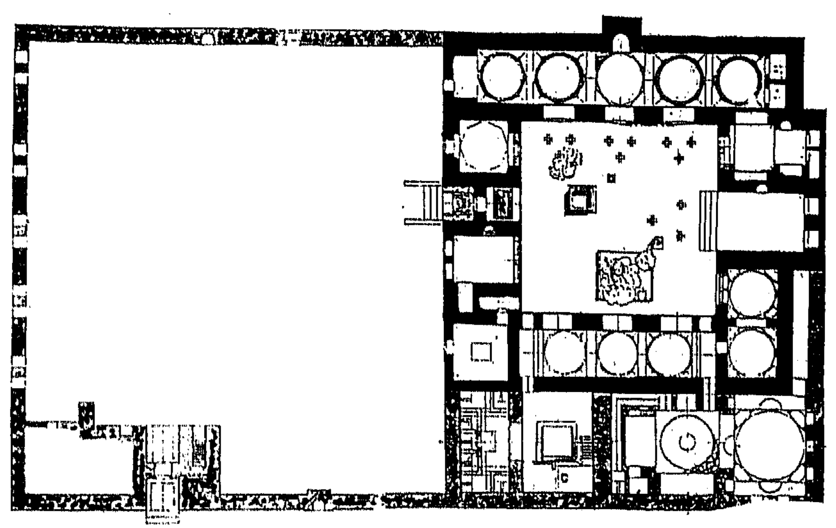
في الواجهة الغربية آثار قوس نصر روماني، وهو بداية الشارع الرئيسي الروماني (Decumanus) الذي كان يمتد من الشرق إلى الغرب.

جامع مشهد الحسين:

هو مسجد ومزار. يقع في سفح (جبل الجوشن) نسبة إلى (شمر بن ذي الجوشن) الذي نزل فيه. و (الجوشن) هو الدرع. ويقع الجامع غرب مدينة (حلب). يقال بأنه بني أصلاً في المكان الذي سقطت فيه نقطة من دم (الحسين)حينما جيء برأسه ليراه (يزيد بن معاوية). في الطريق استراح الركب، في تلك المنطقة، بينماأقامت نسوة آل البيت مكان الدكة حالياً، جنوب المشهد.

ويعتقد بأن مكان المشهد كان (دير مار ماروتا ذو البيعتين)، الذي ذكره (الشاعر الصنوبري) عام (945) عدة مرات في شعره. كما ذكره (ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) وكان (سيف الدولة) يتردد على ذلك الدير. فأمر ببناء المشهد. ثم جدده (نور الدين زنكي) عام (572 هـ = 1176 م).

له مدخل تزينه المقرنصات، وباحة كبيرة لها سقف حديث. لها إيوان من الغرب. ورواق من الشمال. ومصلى من الجنوب. فيه محراب له عمودان من المرمر وثلاثة قباب، أبعاده (1.4 X 3.9 م). وتقع غرف الخدمات خلفه. وعلى يسار الإيوان، يوجد الحجر الذي عليه نقطة دم (الحسين). على باب المشهد من الجهة اليمنى كتابة، تذكر أفراداً من آل البيت. وعلى المحراب اسم صانعه. وعلى نجفة الباب الداخلي، تأريخ بناءه واسم بانيه. وكان قد أوقف له خراج (رحى) التي تعرف (بالكاملة) ويبلغ (6000 درهم) بالسنة.



حلب ـ جامع مشهد الحسين

نهب (هولاكو) محتويات المشهد الفضية والذهبية. حينما غزا (حلب). البناء الحالي هو من عهد الملك (الظاهر بيبرس) عام (1261 م). وقد اهتم السلطان (عبد الحميد) العثماني به، فجدد الجهة الشمالية، من الجناح القبلي. وأهدى المحراب ستاراً حريرياً مزركشاً بالآيات القرآنية، وجدد ترخيم الباحة. وفرش الجناح الجنوبي بالسجاد. وعين له إماماً، ومؤذناً، وخادماً، وموظفاً، ونفقة المكان كانت من أملاك السلطان (بحلب). ولكنه بعد انقلاب (أتاتورك) أهملت هذه الواجبات.

خلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) حوّل إلى مستودع للذخيرة لقربه من سكة حديد الحجاز.

وقع انفجار في المشهد، حينما تقدمت القوات الفرنسية إلى (حلب)، قادمة من الشمال في (22 تموز 1920). وذلك حينما بدأ الناس يأخذون الأسلحة لمقاومة الفرنسيين، وكان واحد منهم يحاول أخذ البارود الذي في قنبلة، فانفجرت وأتت على المكان، وهلك فيه حوالي ثلاثين شخصاً. ثم جدد حسب الأصل بالاستعانة بوثائق وصور قديمة. وهناك كتابات عديدة على المدخل الذي تزينه المقرنصات وفيه باحة كبيرة لها سقف حديث. حولها:

إيوان من الغرب ومصلى من الجنوب. ورواق من الشمال. وتقع غرف الخدمات خلفه. للمصلى ثلاثة قباب ومحراب ضخم زخرفته هندسية، وأبعاده (3.9 X 1.4 م)، تحيط به أعمدة نمطها قديم.

وإلى جنوبه مقبرة صغيرة، تعود لبني (الزهرة) دفن فيها (أبو المكارم حمزة الإسحاقي الحسيني) وسلالته، ومقابر لأناس غيرهم.

كانت تقام الاحتفالات في المشهد وأهمها يوم (عاشوراء).

جامع العادلية:

عثماني. وهو الثاني بالهندسة التركية في (حلب) بعد جامع (الخسروفية). أقيم فوق أرض كان عسكر المماليك يتمرنون فيها.

بني عام (963 هـ = 1557 م). وبانيه هو (محمد باشا بن أحمد دوقاكين الأرناؤوطي). وهو ابن السلطانة (كوهر ملكشاه) بنت عمة السلطان (سليمان بن عثمان).

وأخذ هذا الجامع اسمه لمجاورته (لدار العدل) أي (دار الحكومة) أو (سراي منقار) في ذلك العهد. وللجامع أوقافاً غنية. للجامع حرم واسع يشبه حرم جامع (الخسروفية). له قبة ذات رقبة، فيها نوافذ للإنارة زينت بالقاشاني من الداخل والخارج.

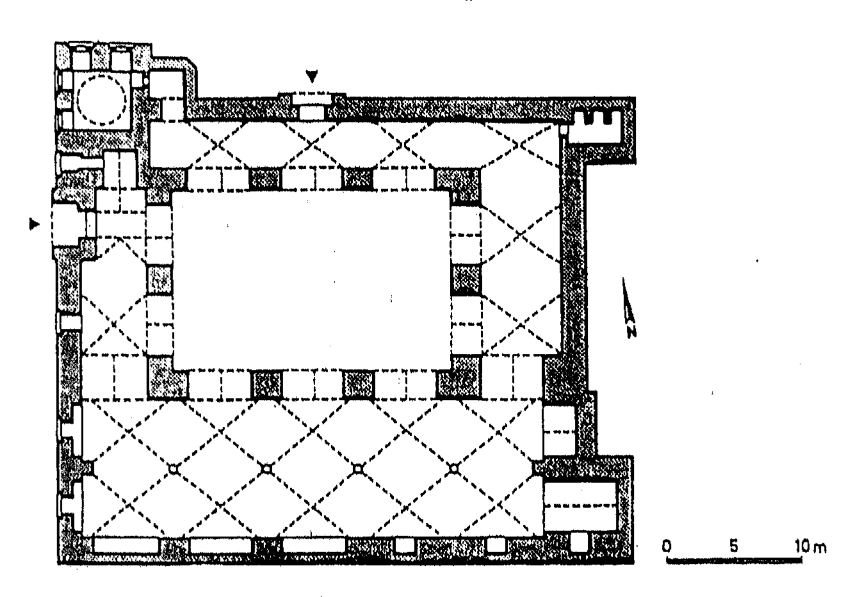
أمام الحرم رواق فيه خمس قباب تستند على أعمدة ذات تيجان. لصحن الجامع مدخلان في الشرق والغرب. وفيه بركة ماء، ورواقان في قسمه الجنوبي. أما المئذنة فتقع في الجهة الشمالية الغربية، وهي طويلة رشيقة تنتهي بغطاء مثلثي.

جامع الصفاحية:

بني عام (1425). مدخل الجامع طويل بني بالحجارة البيضاء والسوداء، والمئذنة مثمنة ومزخرفة.

جامع الأطروش:

وهو مملوكي. يقع قرب (القلعة)، و(المدرسة السلطانية)، بناه (اقبذا الهدباني الجمالي الأطروشي)، وهو مملوك السلطان (الظاهر برقوق)، وأكمل البناء (دمرداش) الناصري المملوكي.



حلب ـ جامع الأطروش

وهو مستطيل الشكل، له باحة داخلية حولها أروقة ثلاثة، وفي الطرف الرابع المصلى، ويتألف من بهوين بينهما صف من الأعمدة الصفراء وكل واحد عبارة عن قطعة واحدة، ولكل عمود تاج. واجهة الجامع الغربية جميلة، فيها مدخل ونوافذ وهي من أجمل الأبنية المملوكية في (حلب)، والمئذنة في الزاوية الشمالية الغربية، في جهتها الشمالية غرفة فيها تربة باني الجامع، ولها قبة تستند على أربع زوايا، فيها مقرنصات.

توجد كتابات عديدة في الجامع، على الواجهة الغربية، وعلى المئذنة، وعند الباب، وفي التربة، وبين نافذتين تشير إلى الباني، ومكمل الجامع، واسم المعماري.

وقد جرت مذبحة للأشراف حينما لجأوا لهذا الجامع خوفاً من (الانكشارية) في رمضان (1212 هـ = 1797 م) فقتلوا جميعاً، وكان من بينهم (محمد وفا الرفاعي) وهو صاحب منظومة (أولياء حلب) الشهيرة.

جامع الطنبغا أو جامع ساحة الملح:

بناه (الطنبغا العلائي الناصري) من مماليك السلطان الملك (الناصر محمد) يقع قرب السور الشرقي. الجامع مربع الشكل، أبعاده (30 X 30 م). له مدخلان وباحة بينها وبين المدخل الرئيسي رواق، والمدخل الثاني في السور الشرقي، وكان له جسر فوق (خندق الروم). الباب الرئيسي من الطراز الأيوبي تزخرفه مقرنصات. وكتابة تؤرخ البناء. في المصلى محراب، يشبه (محراب السلطانية)، إلا أنه حجري، وليس رخامي. وفي الجامع مئذنة مثمنة الشكل تقع في الزاوية الشمالية الغربية، قرب المدخل الرئيسي. وقد رمم المسجد عدة مرات في عهد المماليك.

جامع البهرمية:

يقع في حي (الجلوم). وهو جامع ومدرسة بناها (بهرام باشا ابن عبد المعين)، والي (حلب)، عام (998 هـ = 1580 م). طرازه عثماني. وكان له أوقافاً عديدة منها حمام (بهرام باشا) في (الجديدة). فيه باحة لها رواق جنوبي وبعض الغرف المقببة. وله مئذنة أسطوانية طويلة، أعيد ترميمها إثر تهدمها عام (111 هـ = 1699 م). وفي الحرم قبة، تستند على الجدران، تهدمت في زلزال (1227 هـ = 1822 م). وبقيت مهملة لمدة أربعين عاماً. ولكن أعيد بناؤها، بحجم أصغر، وذلك بثمن رصاص الجامع القديم الذي بيع. سقف الحرم معقود بأحجار متداخلة، كما هي حنيات الكنائس في القرن السادس الميلادي. والقبة محمولة على ثمانية أقواس من الحجر المنحوت، وتحتها (16) إيوان صغير فيها (14) نافذة.

ويوجد إيوان، معقود بخمسة أقواس، أقيمت على أعمدة رخاميّة. وبئر رخامي، جوانبه من الحجارة الملونة. وفي الطرف المقابل من المحراب توجد سدة، أقيمت على أعمدة رخامية.

مشهد الشيخ محسن (الدكة):

مسجد ومزار شيعي. بني في القرن (10 م) في عهد (سيف الدولة الحمداني) الشيعي. رمم في القرنين (12 و 13). تعلو مدخله نصف قبة تزخرفها المقرنصات. رصفت أرضيته بالأحجار السوداء والبيضاء. له باحة كبيرة في جهتها الجنوبية مصلى له ثلاثة قباب. وعلى الجانب الآخر غرفة فوقها قبتان ويتوسطها قوس عليه شعار محفور بالخشب من القرن (13) ويمكن رؤية منظر عام (لحلب) من هذا المكان.

يوجد عدد من الجوامع الأخرى:

جامع الحاج موسى الأيوبي ـ مسجد أصلان دادا ـ جامع شرف ـ مسجد بحسيتا (سيتا) ـ الجامع العمري ـ جامع الدباغة العتيقة ـ جامع الصروي ـ جامع أغلوبك ـ مسجد الشيخ محمد الزركشي ـ جامع المستدامية ـ جامع الدرج ـ جامع الحدادين ـ جامع التوبة ـ جامع السكاكين أو جامع آشقتمر ـ جامع الزكي ـ مسجد نور الدين ـ جامع الميداني ـ جامع قسطل الحرمي أو جامع برد بك ـ جامع الحيات ـ جامع الكريمية ـ مسجد الطرسوسي ـ جامع الشيخ حمر أو جامع الإسكافي ـ جامع منكليبغا أو جامع الرومي ـ جامع الموازيني ـ أو جامع تغري بردي ـ مسجد أبو يحيى الكواكبي ـ جامع الكيزواني ـ جامع البختي.

وهناك مشهد الدكة ومشهد الأنصاري.

ضريح خاير بك:

بناه (خاير بك الأسرفي) المملوكي عام (1514) ليكون قبراً له ولكنه حينما تعامل مع العثمانيين نقل إلى القاهرة ولم يدفن فيه.

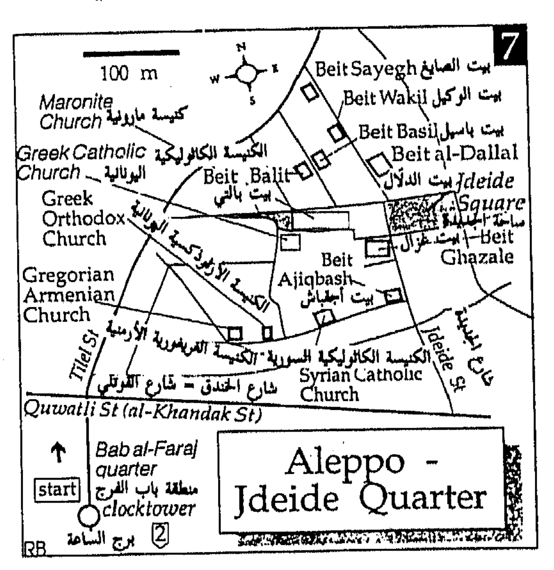
وهناك جامع (الفردوس) الذي في مدرسة (الفردوس).

كنائس حلب:

في (حلب) عدد كبير من الكنائس، معظمها موجود في (منطقة الجديدة).

منطقة الجديدة

حينما هاجم (تيمورلنك) (حلب) عام (1400 م)، هرب الأهالي إلى الأرياف خوفاً منه. وعندما رحل، رجعوا ليجدوا الدمار شاملاً في المدينة. فاختار المسيحيون بناء منازل وكنائس جديدة لهم خارج الأسوار، في المنطقة الشمالية الغربية من المدينة وسميت (الجديدة). وكانوا أغنياء بسبب التجارة مع (الهند) و (أوروبا) مما جعل دورهم جميلة وفخمة. وحي (الجديدة) لم يسكن قبل بداية القرن الخامس عشر، ومع ذلك فيه بضعة كنائس تعود إلى زمن بعيد، مثل كنيسة الأربعين شهيداً، وهي من القرن الخامس والكنيسة القديمة التي كانت مكان كنيسة القديس (ميخائيل) للروم الكاثوليك، وهي من القرن السادس. وكان في (حلب) أكثر من سبعين كنيسة في القرن الثالث عشر.



حلب ـ منطقة الجديدة

كنيسة الأربعين شهيداً:

للأرمن الأرثوذوكس. تقع في (بوابة الياسمين)، بين كنيسة (الروم الأرثوذوكس)، وكنيسة (الروم الكاثوليك).

شيدت (للأرمن) وكان عدد كبير منهم قد نزح إلى (حلب) بعد معركة (كيليكيا الصغرى) مع المماليك عام (1375).

بنيت هذه الكنيسة عام (1455) على أنقاض كنيسة قديمة من القرن (6). وتبرع بذلك أحد أغنياء الأرمن وهو (قوجة مقصود). وُسّعت الكنيسة في عامي (1499) و (1616) كما جددت عام (1869).

فيها أيقونات وصور أهمها صورة (العذراء مريم) وهي من مدرسة الفنان (رفائيل) من عصر النهضة. وهناك أيقونات للمدرسة ذاتها مثل أيقونة القديس (جاورجيوس) وأيقونة عماد (المسيح)، وأيقونة الوزراء مع (الطفل المسيح) وإلى جانبها القديس (يوسف) والقديس (يوحنا المعمدان)، ولوحة للقديس (إلياس) ولوحات أخرى للأربعين شهيداً.

والمدرسة الحلبية للأيقونات اشتهرت وكان (يوسف المصور) وابنه (نعمة الله) وأحفاده (جرجس) و (حنانيا) أشهر فنانيها. وفي جدار الكنيسة الشمالي أيقونة تمثل (الدينونة الأخيرة) أبعادها (375 X 446) رسمها (نعمة الله) عام (1708) حسب الكتابة الموجودة عليها. وتمثل السماء وجهنم والمطهر.

كنيسة العذراء مريم:

للأرمن الأرثوذوكس. وهي صغيرة تقع إلى جدار (كنيسة الأربعين شهيداً). وتطل على نفس باحتها. وذكرت قبل (كنيسة الأربعين شهيداً)، في مخطوطات من عام (1429) و (1476).

حولت هذه الكنيسة إلى متحف للأواني، والكؤوس، والمباخر، وعصى المطارنة، والملابس الدينية لخدمة القداس، ومخطوطات دينية قديمة. وفي عام (1990) أقيم في باحتها نصب لمذابح الأرمن في (تركيا) التي حصلت عام (1915).

كنيسة العذراء:

للروم الأرثوذوكس. تقع في وسط شارع (بوابة الياسمين). وهي كنيسة (بازليكا) أبعادها (24 X 35). ويصعد إليها بدرج. فيها أيقونات حلبية، من

رسم عائلة (المصور) وفيها حاجز أيقونات خشبي، وكرسي للمطران مزخرف.

تقع دار المطرانية مقابل الكنيسة. وجددت في القرن (19) وفيها إيوان وباحة.

كنيسة سيدة الانتقال:

للسريان الكاثوليك. وهي واحدة من الكنائس الخمس التي ذكرها الرحالة (بيترو دي لافاله)، عام (1625).

أبعادها (16 X 32 م). احترقت عام (1852)، وجددت. تتصل بها من الغرب (دار المطرانية). فيها ثلاثة هياكل في جهة الشرق، وهيكل في الشمال، قدس للقديسة (آسيا الحكيم). أهملت هذه الكنيسة ولكن أبوابها تفتح فقط في ذكرى عيد القديسة (آسيا الحكيم) في (16) تشرين أول من كل عام.

كنيسة مار إلياس:

للموارنة. وهي كنيسة واسعة، لها قبة عالية. وفيها هيكل رخامي، أعمدته صفراء، يقع شرق الكنيسة. جددت القبة عام (1914) بالبيتون المسلّح. وكان أول ما استعمل في (حلب). فيها مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة، أسسها المطران (جرمانوس فرحان) (1670 - 1732) وله تمثال أقيم عام (1932)، بمناسبة مرور (200) عام على وفاته. وكان شاعراً وأديباً له مؤلفات عدة.

كنيسة السيدة:

للروم الكاثوليك. بنيت بين عامي (1834 و 1943). وجددت عام (1852). وهي كنيسة واسعة. أبعادها (33 X 52 م). ولها جناح علوي. فيها حاجز أيقونات رخامي، منقوش، وفيه تماثيل ملائكة. صنعه فنان حلبي، اسمه (ابن فستوك)، عام (1863). قسمه الأيمن حجارته بيضاء وسوداء وصفراء. للكنيسة مدخل. وعلى جدرانها الداخلية أيقونات تمثل (السيد المسيح) والقديسين و (السيدة العذراء). قربها، توجد مطبعة للكتب الدينية، والأدبية، بسعر الكلفة متابعة مهمة أول مطبعة ظهرت في العالم العربي. وكانت في

(حلب)، أيام البطريرك (أثناثيوس دباس) عام (1706). وقد صنع حروفها محلياً الشمّاس (عبد الله زاخر).

كنيسة الأرمن الكاثوليك أو كنيسة السيدة العذراء أم المعونات:

كان الأرمن يصلّون في كنيستي (الأربعين شهيداً) و (العذراء مريم)، وعندما انفصل الكاثوليك عن الأرثوذوكس الغريغوريين، أحضر مطران (حلب) براءة تثبيت من (روما) عام (1742). فاشترى المطران (إبراهيم الكولمي) داراً عام (1831) وحولها إلى كنيسة دون أن يهدمها كلها، مستخدماً إيواناتها الأصلية. وتم بناؤها عام (1840)، وبلّطت عام (1870)، ودعيت باسم (السيدة العذراء أم المعونات). وكان مدخلها من ساحة (فرحات) ثم فتح لها باب من (التلل) عام (1910).

خان القدس (الهوكيدون):

كلمة (هوكيدون) تعني بالأرمنية (البيت الروحي). وهو عبارة عن خان صغير، مؤلف من طابقين. ذكر في القرن الثامن باسم (خان القدس). كان الحجاج الأرمن الذاهبون إلى (القدس) يجتمعون فيه. وما زالت بعض غرف الإقامة في الطابق العلوي، تحمل كتابات أرمنية، تعود إلى القرن (16). له مدخلان واحد من (التلل) والآخر من (بوابة القصب). حالياً هو عبارة عن حوانيت تجارية شوهت معالمه.

هناك كنائس أخرى في مناطق متعددة من المدينة منها: كنيستي (السريان الأرثوذوكس) في (السليمانية) وحي (السريان القديم) وكنيسة (الكلدان) للقديسين (بطرس وبولس) في (السليمانية)، وكنائس الطائفة الإنجيلية العربية والأرمنية. ومن أهم الكنائس الحديثة:

كنيسة اللاتين:

وتقع في منطقة (العزيزية). كرست للقديس (فرنسيس الآسيزي) مؤسس الرهبنة الفرنسيسية. ورهبانها يدعون (برهبان الحبل). حين قابل القديس الملك

(الكامل) ابن الملك (العادل) الأيوبي في (دمياط) عام (1219) سمح له ولرهبانه بالتجول في الأراضي المقدسة. فأتى أول كاهن منهم إلى (حلب) عام (1233) إثر اتفاقية بين الملك (العزيز محمد ابن الظاهر غازي) والبابا (غريغوريوس التاسع) بالسماح للرهبان الفرنسيين بالعناية الدينية للسجناء الصليبيين في قلعة (حلب). تنقل الرهبان في عدة مناطق، ثم بدأوا بإنشاء (كنيسة اللاتين) في مقبرة الطائفة (بالعزيزية)، عام (1934). وتم تدشينها في (10) تشرين الأول (1937).

طرازها (بازليكا)، لها ثلاثة أروقة تفصلها ركائز ضخمة. بنيت على طراز كنائس القرن السادس، ولها برجان أماميان، مثل كنيسة (قلب لوزة). وفيها أرغن ضخم.

إلى جانبها بني (دير اللاتين) وفيه متحف صغير، غني بالكتب، واللقى الدينية.

وهناك كنائس أخرى للرهبان من طوائف اليسوعيين والكبوشيين والكرمليين الذين أتوا إلى (حلب) عام (1624).

وكذلك توجد كنائس حديثة للطوائف المسيحية المتعددة المقيمة في (حلب) في عدة أرجاء من المدينة.

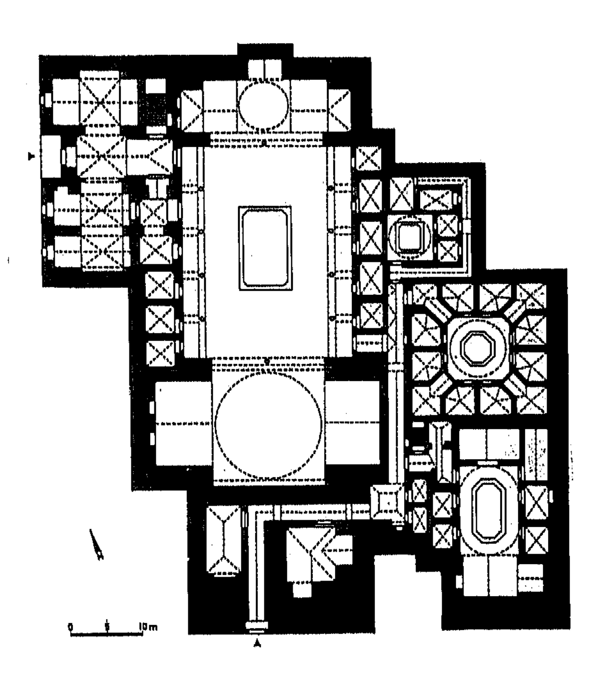
البيمارستانات:

(البيمارستان) كلمة فارسية مركبة من (بيمار) وتعني مريض و (ستان) وتعني دار. وكانت مستشفيات للمرضى تعالج جميع الأمراض. كما كانت دار علم لطلاب الطب. ومع الأيام قلت المعالجات الجسدية وبقيت العقلية. أول من أنشأها هو (الوليد بن عبد الملك) في القرن الثامن الميلادي. واستمدت البيمارستانات المعونات المادية من أوقاف تخصص لها. أشهر هذه البيمارستانات:

البيمارستان الأرغوني الكاملي:

مملوكي. يقع قرب (خان الجمرك). بناه الأمير (أرغون الكاملي) نائب

السلطنة المملوكية في (حلب) عام (1354 م - 755 هـ)، في عهد السلطان (الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون) كما هو مكتوب على المدخل. وهو مشفى كامل، هادىء لا يسمع فيه ضجيج المدينة، ويعتبر أفضل مثل للمستشفيات الإسلامية في (سورية) و (مصر). تقع بوابة البيمارستان الرئيسية في الغرب. فوقها نصف قبة فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات ضمت أشكالاً و(رنوكاً) مملوكية. والرنك الخاص بهذا البناء تكرر (5) مرات ضمن دائرة تضم علامة (البقجة) أي شعار (حافظ الثياب) الذي أشرف على البناء واسمه (سيف الدين طيجا). و(الرنك) الأوسط فيه اسم البنّاء (أبو مسلم بن أبي صحن بن أمان). على جانبي حائط مدخلها توجد كتابة بالخط الثلث، تتضمن أحكام أوقاف البيمارستان. باب المدخل مؤلف من مصراعين خشبيين مصفحين بالنحاس الأصفر. تزينها أشرطة نحاسية متقاطعة.



حلب ـ البيمارستان الأرغوني الكاملي

في الممر المؤدي إلى داخل البناء وعلى اليسار توجد غرفة واسعة. في جدرانها أدراج لوضع الأدوية. وعلى يمين الممر توجد غرفتان للانتظار، وللمعاينات الخارجية.

في الباحة السماوية يوجد إيوانان، أحدهما أكبر من الآخر. ولكل منهما قبة. وبحرة ماء في الوسط. وهناك رواقان في الشرق والغرب لكل واحد أربعة أعمدة ترتكز عليها أقواس تحمل السقف. وفي الرواقين (12) غرفة صغيرة أبعاد الواحدة (2 X 2 م) وكل واحدة كانت مخصصة لمريض واحد. وهناك ممر صغير شرق الباحة يقود إلى ممر يمتد على طول ثلاثة أجنحة منفصلة عن بعضها تماماً.

الجناح الأول مستطيل والثاني مثمن والثالث مربع. لكل جناح فسحة سماوية على شكل قبة مقطوعة الذروة تسهل الإنارة والتهوية. وفي الفسحة بركة ماء.

والجناح المربع كان للمجانين الخطرين. وفيه أربعة غرف عليها قضبان حديدية. أما الجناح المثمن فله باحة أيضاً تحيط بها غرف صغيرة. وكذلك الجناح المستطيل. تحيط الغرف بباحته ومنها إيوانين واحد ضمن الآخر. وفيها بركة ماء. وكان هذا الجناح أكثر جاهزية للمجانين غير الخطرين.

في الممر الرئيسي في الجهة الجنوبية توجد غرفة صغيرة هي موزع لدورات المياه. وفيه أيضاً مطبخ ومستودع وباب ثانوي للبيمارستان في الجهة الجنوبية.

حالياً تقام في هذا البيمارستان حفلات الفلكلور الشعبي فيضفي المكان جواً خاصاً يعود بالمشاهد إلى الماضي الخالد.

البيمارستان النوري (العتيق):

يقع جنوب شرق جامع (البهرمية). بناه (نور الدين زنكي) في منتصف القرن (12 م) ربما في أيام الطبيب (ابن بطلان) وهو أقدم الأبنية الإسلامية في (حلب).

ولاختيار المكان وزعت قطع من اللحم في عدة مواقع واختير المكان

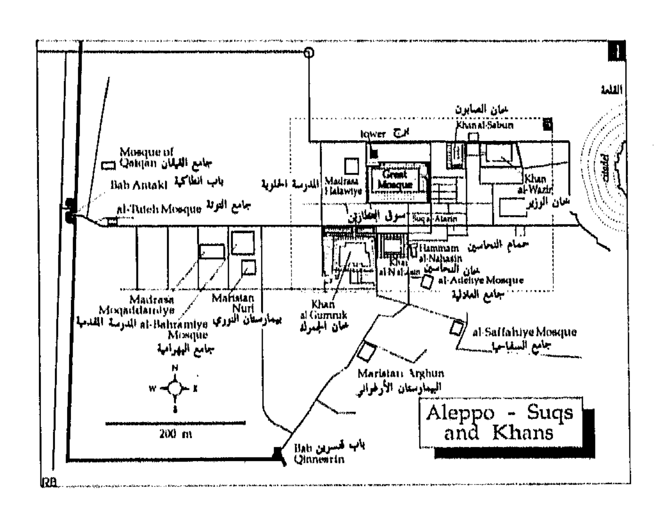
الذي تأخر فيه فساد القطعة أكثر من غيرها. وكان يأوي الفقراء، وفيه قاعة للنساء.

يتألف من طابقين فيهما غرف. وباحة ينزل إليها بدرجات، فيها إيوان. في أعلى مدخله وعلى الجدارين المجاورين كتابة تؤرخ البناء واسم بانيه. في قاعة النساء كتابة وفي الإيوان أخرى. وكل واحدة تؤرخ تاريخ البناء واسم الباني.

الخانات (Khans) (Caravansaries):

كان الخان لإقامة المسافرين والتجار وحيواناتهم وحمولة قوافلهم. أقدم خانات العهد الإسلامي هو خان بناه الخليفة (هشام بن عبد الملك) عام (728 م = 109 هـ) قرب قصر (الحير الغربي).

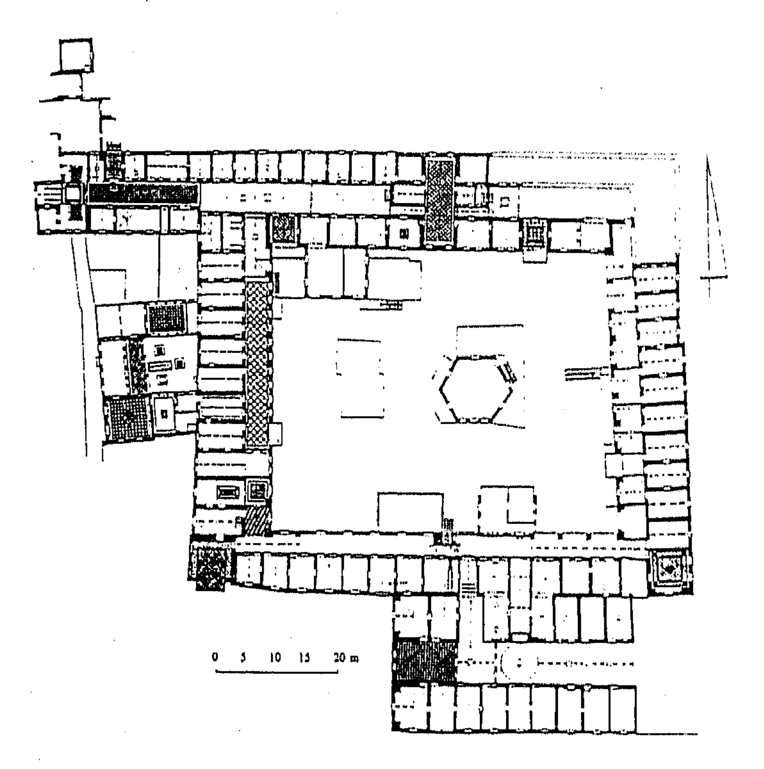
بصورة عامة الخانات متشابهة تتألف عادة من باحة واسعة فيها بركة ماء.ولها مدخل مقوس عال. بابه الضخم من الخشب المصفح بالحديد أو النحاس. ويغلق ليلاً ويُفتح باب صغير فيه لاستعمال الأشخاص. وحول الباحة توجد المستودعات والحوانيت. وتقع غرف النوم في الطابق العلوي. وفي بعض الخانات مسجد صغير للصلاة.



حلب ـ الأسواق والخانات

دعيت الخانات في العهد المملوكي بالوكالات. وفُرض على قناصل الدول الأجنبية وتجارها، الإقامة في الخانات، في العهد العثماني، وعادة ما توجد قاعة ضخمة على مدخل الخان واجهتها مزخرفة تطل على باحة الخان الداخلية. يراقب القنصل منها ما يجري في الخان بين تجار دولته والتجار المحليين. وازدادت العناية بالخانات في العهد العثماني وذلك لتنشيط التجارة في أنحاء الإمبراطورية العثمانية الواسعة. وكان في (حلب)، البلد التجاري الهام، عدد كبير من الخانات. توضعت قرب السوق القديم، لم يبقَ منها إلا خمس وعشرون خاناً، أشهرها:

خان الجمرك:



حلب ـ خان الجمرك

يقع في السوق القديم. وهو من أكبر خانات (حلب). بناه الوالي (محمد باشا) عام (1574 م = 982 هـ). أنشأ الفرنسيون والإنكليز والهولنديون فيه بنوكاً ووكالات، كما أقامت قناصلهم فيه. له مدخلان فوقهما قبتان، وعلى كل جانب سبيل ماء. فوق المدخل من الخارج كتابة تركية ومن الداخل توجد نافذتان جميلتان لهما أفاريز منقوشة وأعمدة دقيقة. وفي منتصف باحة الخان يوجد مسجد. أضيف للبناء الأصلي أبنية حديثة غيرت من معالمه.

خان الوزير:

عثماني؛ يقع بين القلعة والجامع الأموي. بناه والي حلب عام (1096 هـ = 1682 م) وأصبح بعد ذلك وزيراً فسمي (خان الوزير). واجهته الأمامية من الحجر الأسود والأبيض. ومن الداخل مزينة أيضاً. فيها نافذتان تزينهما الزخارف الرائعة. تقول الرواية أن فنانين حلبيين أحدهما مسلم والآخر مسيحي زخرف كل منهما نافذة في الواجهة الداخلية. فنحت المسيحي صليباً ضمن زخارف النافذة اليسارية. أما المسلم فنحت مئذنة ضمن زخارف اليمينية. فأتى عمل الاثنين رائعاً.

للطابق العلوي رواق طويل له قناطر يطل على الباحة السماوية وفيه تقع غرف النوم.

قربه يقع (مطبخ العجمي) من العهد الزنكي أي القرن (12). كان سابقاً متحفاً صغيراً للتقاليد الشعبية.

خان النحاسين:

بني في القرن (16 م)، قرب (خان الجمرك). وهو خان صغير كانت فيه قنصلية (فينسيا) أي (البندقية) في القرن (19). ويعتبر أقدم بيت ما زال مسكوناً في (حلب) منذ عام (1539 م). حالياً فيه مكتب القنصل الفرنسي. وكانت فيه أيضاً قنصلية (بلجيكا) التي تأسست (1930) حتى وفاة (أدولف بوخه) (Adolphe Poche) في (30 نيسان 1987). ويقع هذا المنزل في

الجهة الجنوبية من الباحة. وفيه الكثير من الكنوز الأثرية، والمسؤولة عنه حالياً هي قنصلية (بلجيكا)، وهي في (خان القطن) جنوب (خان الوزير). قربه يوجد (حمام النحاسين) أو (حمام الست). وهو من القرن (12) أو (13). ما زال يستعمل حتى الآن، فيه قبة مزينة بالفتحات الزجاجية للإنارة وقاعة البراني فيه واسعة.

خان الصابون:

يقع بين (خان الوزير) و (الجامع الأموي). بناه نائب السلطان المملوكي الأمير (أزدمير بن مزيد) بدءاً من (1479 م = القرن 9 هـ). سمي (بخان الصابون) لقربه من (سوق الصابون)، واجهته غنية بالزخارف الهندسية والنباتية. وفوق مدخله نافذة محاطة بإطار جميل زخرفي. إلى يسار المدخل يوجد سبيل ماء، له حاجز نحاسي بديع الصنعة. وفيه بعض (الرنوك) وهي الشمارات المملوكية.

خان النقر:

يقع جنوب مدرسة (الفردوس). من العصر الأيوبي. وهو منقور بالصخر، ينزل إليه بواسطة درجات. مربع الشكل مساحته حوالي (1500 م²). له أروقة فيها أقواس. وتقع مدرسة (الجمالية) وبناء (الدرويشية) قربه.

خان القصابية أو خان أبرك:

نسبة إلى الأمير (أبرك الأشرفي) الذي بناه عام (916 هـ = 1510 م). وكان نائب القلعة أيام (قانصوه الغوري). تؤرخ البناء كتابة على مدخله، وهناك كتابة أخرى على درفتي الباب. واجهته مزخرفة وبابه معدني. سمي (كازابيه) لأنه كان مأوى للرهبان الأوروبيين في القرنين (17 و 18 م).

خان الشونة:

يقع شمال (جامع الخسروفية) وكان من أوقافه. بني عام (1546 م). حوّل في القرن التاسع عشر إلى (خان الشونة) الذي امتلكته عائلة (ماركو

بولي) عن طريق الإجارتين، أي إعطاء العقار الموقوف لمن يصرف عليه لإصلاحه، ويعاد استثماره ليتابع وظيفته كوقف. امتلكته حالياً مؤسسة الإسكان العسكرية لصالح وزارة السياحة. كان في الأصل عبارة عن سوقين شمالي وغربي. جدد بناؤه مع المدرسة (الخسروية) عام (1882) بعد الزلزال الرهيب. أصبح الآن سوقاً للمهن اليدوية منذ عام (1990).

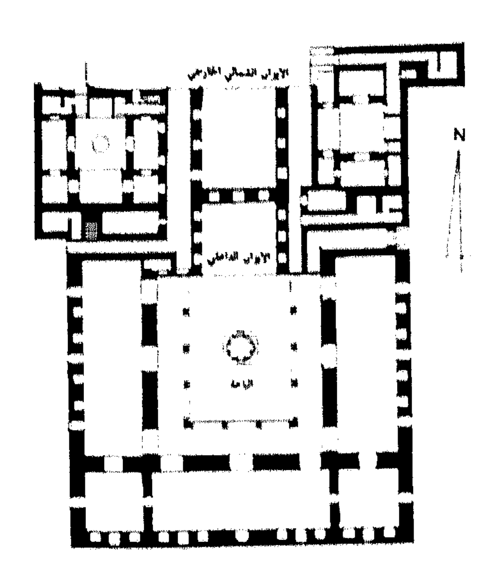
وهناك عدد من الخانات الأخرى منها: خان (قورت بك)، وخان (العلبية) وخان (شيخ عبد الله)، خان (خير بك)، خان (البرغل).

المدارس:

هناك عدد من المدارس أهمها:

مدرسة وجامع الفردوس:

تقع جنوب غرب المدرسة (الظاهرية) على بعد (300 م) عنها. بنتها (الضيفة خاتون) زوجة الملك (الظاهر غازي) أيام وصايتها على حفيدها (يوسف الثاني) في عام (633 - 634 هـ). أرّخت البناء كتابة على جدار الجناح الشرقي من الداخل. وهي مدرسة للشافعية كما كانت مدفناً ومقاماً للمتصوفين. ودفن فيها أخو (الضيفة خاتون) وهو (الملك الحافظ أرسلان شاه) صاحب قلعة (جعبر) و (بالس) و (أعزاز). وتعتبر (مدرسة الفردوس) من أكبر مدارس (حلب). أبعادها (55 X 44 م) باحتها مربعة طول الضلع (12.7 م). أرضيتها مزخرفة بالحجارة. حول الباحة من ثلاث جهات توجد أعمدة لها تيجان مزخرفة بالأزهار في وسطها بركة ماء مثمنة أيوبية الطراز. شمال الباحة إيوان كان في أعلاه مئذنة مثمنة قصيرة نقلت عام (1958) إلى بضعة أمتار من موقعها القديم لتكون أكثر ثباتاً. ويوجد إيوان خارجي في الشمال مفتوحاً على الشارع. على جانبيه أبنية ربما كوّنت مع الإيوان (زاوية) لاستعمال خاص، ملحقة بالمدرسة.



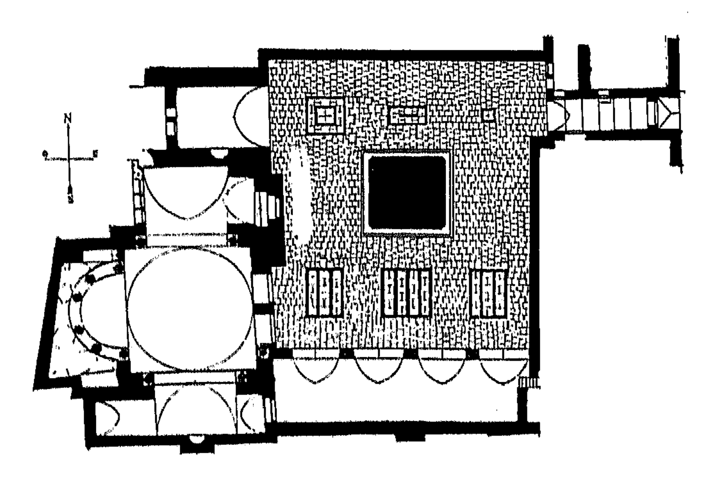
حلب ـ جامع ومدرسة الفردوس

جامع الفردوس:

على المدخل من الأعلى نصف دائرة فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات وعلى جانبيه كتابة قرآنية، وتاريخ الباني (الضيفة خاتون) وعام (633 هـ = 1235 م). وعلى الجدران من الداخل حزام من الكتابة الدينية. محراب الجامع من الرخام المجزع. على قوسه العلوي كتابة قرآنية.

مدرسة الحلوية:

قرب الجامع الأموي. من القرن الخامس. كانت سابقاً كاتدرائية باسم القديسة (هيلانة) (Helen) وهي أم الإمبراطور (قسطنطين) أول من شجع المسيحية في بلاد الشام وهي التي أمرت ببنائها. هدمها كسرى عام (540 م). رممت في عهد الإمبراطور (جوستينيان) ثم هدمتها الزلازل. وتحولت بعد ذلك إلى مسجد (السراجين).



حلب ـ المدرسة الحلوية

تحوّلت إلى مسجد عام (518 هـ = 1124 م) أيام أمير (ماردين) (الغازي بن أرتق). حينما حول قاضي (حلب) (أبو الحسن بن محمود بن يحيى بن الخشاب) أربعة من الكنائس إلى جوامع لتدريس الفقه الإسلامي، وخصصت للمذهب الحنفي، وذلك انتقاماً من تخريب الصليبيين لدور (حلب) وقبور المسلمين خارج الأسوار على يد (بغدوين وجوسلين). سميت بـ (الحلوية) عام (1149) لأن الحلاوة والقطائف المحشوة كانت توزع فيها أيام (نور الدين).

كان شكل الكاتدرائية مشابه لكاتدرائية (ازرع) المبنية عام (515 م). وكاتدرائية (بصرى) المبنية عام (513 م). أي دائرة ضمن مربع. وتوجد بقايا ثمانية أعمدة في الحائط الغربي من القاعة وكان هناك أعمدة مماثلة تتناظر معها في أطراف الكنيسة الأربعة.

عند مدخل (الحلوية) جرن معمودية بازلتي عليه كتابة سريانية من القرن السادس استعمل كقاعدة ركيزة.

في أعلى المدخل للمدرسة وعلى جوانبه الثلاثة توجد كتابة تؤرخ البناء والباني (نور الدين) وتخصيص المدرسة لمذهب (ابي حنيفة). حذف القسم الأوسط من الكتابة لينقش بدلاً عنها كتابة من أيام السلطان (عبد الحميد)

(1315 هـ = 1899 م).

تحيط بجهات ثلاث من باحة المدرسة غرف الطلبة. وفي الضلع الرابع المقابل للمدخل يوجد المصلى وفوقه قبة وهو التصميم الأساسي للكنيسة. فيه محراب خشبي من عهد (نور الدين زنكي) جدده آخر الأيوبيين (يوسف الثاني بن محمد العزيز) عام (643 هـ = 1245 م) كما هو مذكور في كتابة على المحراب وكتابة أخرى تذكر اسم صانعه.

في أعلى الإيوان كتابة تؤرخ ترميم المدرسة أيام السلطان العثماني (محمد الرابع بن إبراهيم) (1058 - 1099 هـ).

كانت لمدرسة (الحلوية) أوقاف عديدة. واحد ممن درسوا فيها هو (ابن الشحنة) مؤرخ (حلب) في القرن (15) وصاحب المساجلات مع (تيمورلنك). وكتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) ثم صارت مدرسة في عهد (نور الدين زنكي). بوابتها جميلة ومحرابها خشبي من عهد السلطان (الناصر صلاح الدين الثاني) (1245 م).

المدرسة الجمالية:

بناها (جمال الدولة إقبال الظاهري) وهو عتيق (الضيفة خاتون).

المدرسة الشرفية:

قرب الجامع الأموي.

المدرسة الكاملية:

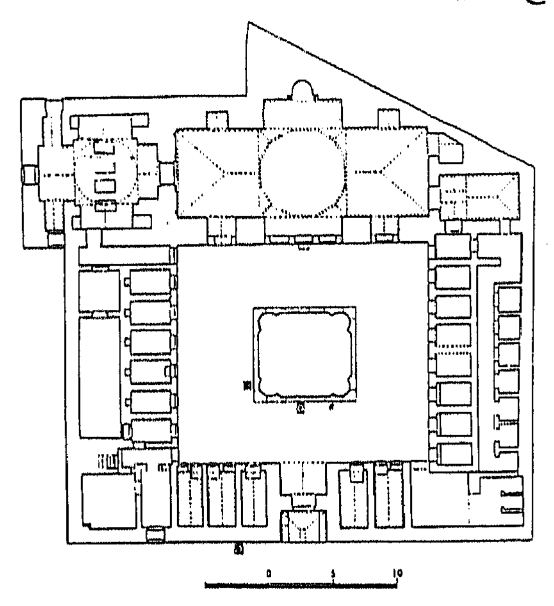
تقع شرق (الظاهرية) وهي عمارة أيوبية لا يوجد فيها أية كتابة،رغم وجود مكان فوق نجفة المدخل لوضع كتابة فيه لم تتم.

أمرت ببنائها (فاطمة خاتون) ابنة الملك (الكامل). وكانت قد تزوجت الملك (محمد العزيز). أي بنيت المدرسة في حياته بين (625 و 634 هـ) وحينما مات لم تضع الكتابة على المدخل.

والمدرسة مستطيلة الشكل في وسطها باحة شبه مربعة فيها بركة ماء مثمنة. وهناك غرفة للعرض. ويقع الإيوان في الجهة الشمالية. ومدخل المدرسة فيه مقرنصات جميلة.

المدرسة السلطانية:

تقع مقابل مسجد (الخسروفية) ومدخل قلعة (حلب)، وفيها قبر (الظاهر غازي بن صلاح الدين).



حلب ـ المدرسة السلطانية

ولد (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي) في (5 رمضان 568 هـ) أي (20 نيسان 1173 م) وأصبح ملك (حلب) عام (582 هـ = 1186). تزوج من ابنة عمه (جارية خاتون) ولم يرزق منها بصبي فتزوج أختها (ضيفة خاتون) وولدت له الملك (العزيز محمد) وأصبحت وصية على حفيدها الملك (الناصر يوسف الثاني). وفي زمنه بنت (جامع الفردوس). وبذلك تكون الملكة الوحيدة

لحلب وهي بنت ملك (العادل) وأم ملك (العزيز) وزوجة ملك (الظاهر) وحينما توفيت دفنت في القلعة.

مات الظاهر (غازي) في (25 في جمادى الثانية 13 هـ) أي (10 تشرين الأول 1216 م). ازدهرت حلب في زمانه وشيد فيها العديد من المباني الهامة. ودفن فيها وتوجد كتابة فوق شباك المدفن تذكر ذلك. بنى السلطانية الملك (العزيز) وانتهى البناء في عام (620 هـ = 1223 م) كما تشير الكتابة الموجودة فوق لجفة المدخل. وأخرى في أعلى جدار المدخل. وخصصت للشافعية والحنفية ولقراءة القرآن وعلوم الشريعة.

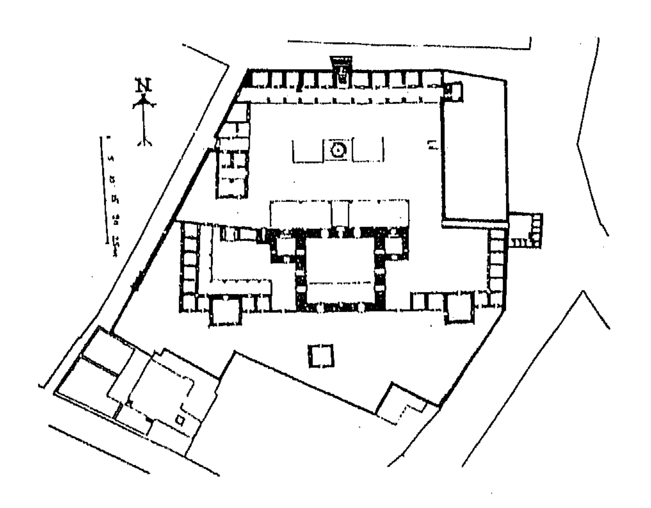
وهي بسيطة البناء، الذي بدأه (صلاح الدين) وأنهاه (الظاهر غازي بن صلاح الدين).

جامع ومدرسة الخسروفية:

هي مدرسة وتكية ومطبخ. بناها والي (حلب) العثماني (خسروف باشا) عام (1546 م) صممها (سنان) مهندس الإمبراطورية العثمانية. على طراز كنيسة (أياصوفيا). فيها قاعة كبيرة مربعة (16 X 16 م) لها قبة عالية ارتفاعها (21 م) كتبت عليها أسماء الله الحسنى.وزينت نوافذها بالقاشاني.وفيها مئذنة طويلة أسطوانية زينت في أعلاها بالقاشاني.

في المدرسة محراب ومنبر من الرخام الملون.ورواق أعرض من المصلى عليه ستة قباب.الباب من الحجارة الملونة على قنطرته كتابة تؤرخ المكان وعلى طرفي المدخل عمودان من الرخام.

افتتحت (الخسروفية) عام (1340 م) لتدريس العلوم الدينية والاجتماعية وقد أطلق عليها لقب (أزهر حلب).



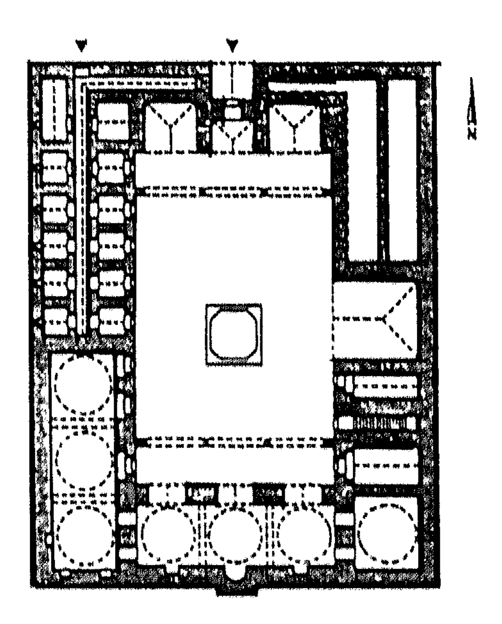
حلب ـ جامع ومدرسة الخسروفية

بني جزء منها على أنقاض (المدرسة الأسدية) التي بناها (أسد الدين شيركوه). حالياً تعرف (الخسروفية) باسم (الثانوية الشرعية).

المدرسة الظاهرية البرانية:

وتقع بين (المدرسة الكاملية) و(جامع الفردوس). بناها (الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي) عام (1217 = 610 هـ). وكان من المقرر أن يدفن فيها إلا أنه دفن في (المدرسة السلطانية).

القسم الجنوبي فيه رواق له ثلاثة قباب. وفي وسطه محراب جميل.والقسم الشرقي فيه إيوان وغرفة لها قبة كبيرة وفيها فتحة للتهوية. القسم الغربي جنوبه فيه ثلاث غرف مقببة لها مقرنصات بزواياها. وشماله بناء مؤلف من طابقين في العلوي غرف الطلاب.وتوجد باحة فيها حوض مربع زواياه مفصصة.



حلب ـ المدرسة الظاهرية البرانية

المدرسة المقدمية:

تقع قرب (بيمارستان النوري). وهي أقدم مدرسة في (حلب). وكانت كنيسة استولى عليها (ابن خشب) وكان والي على (حلب) انتقاماً من الصليبيين ثم جعلها مدرسة عام (1168).

المدرسة العثمانية:

وتدعى المدرسة (الرضائية) وتقع قرب (باب النصر) بناها (عثمان باشا الدوركي)،وكان شيخ الحرم المكي،بين (1730 و 1738 م).

فيها باحة حولها من الجهات الثلاثة أربعون غرفة للطلاب والمدرسين والمكتبة وقاعات التدريس. وفيها إيوانان ومئذنة رشيقة. وأوقف لها وقفاً غنياً للصرف عليها.

تقع (خانقة الفرافرة) قربها. وكانت للمسلمين النساك.

هناك عدد كبير من المدارس منها: المدرسة اليشبكية ـ المدرسة الشاذبختية ـ المدرسة القرموطية ـ المدرسة الأتابكية أو الكلتاوية ـ المدرسة الطرنطائية، المدرسة الشعبانية ـ مدرسة سيف الدولة ـ المدرسة العصرونية ـ المدرسة الرشدية العسكرية ـ مدرسة الجلبي ـ المدرسة الجمالية ـ المدرسة الشرقية وغيرها.

الحمامات:

تتألف الحمامات عادة من ثلاثة أقسام هي:

البراني: وهو باحة مبلطة بالرخام الملون في وسطها بحرة ماء. وحولها مصاطب مفروشة فيها خزائن ومشاجب وأدراج لحفظ ملابس المستحمين.

الوسطاني: هو أقل مساحة من البراني وفيه خلوات صغيرة للاستحمام. له قباب ذات قمرات زجاجية ملونة. وفي كل خلوة حوض عليه صنبوران واحد للماء البارد والآخر للحار.

الجواني: يشبه الوسطاني إلا أنه أكثر منه حرارة لوجود بيت النار فيه، حيث تسخن المياه.

يوجد في حلب حوالي (60) حماماً عاماً. بعضها بني منذ (800) عاماً وأشهرها:

حمام يلبغا الناصري:

ويقع قرب القلعة، بني في القرن (14 م). رممته وزارة السياحة. وفتح للاستعمال منذ عام (1985).

وحمام اللبابيدية.

أسواق حلب:

تقع قرب الجامع الأموي. طولها حوالي (7 كم) وهي ضيقة ومغطاة درءاً للعوامل الجوية. معظم هذه الأسواق تعود إلى القرنين (15 و 16 م) وبعضها

للقرن (13) حتى أن دورات المياه العامة في (سوق المناديل) تعود إلى القرن (12) وجددت عام (1357 م). وتخصص كل سوق ببيع سلعة معينة. وسمي السوق باسمها: سوق العطارين، سوق الصاغة، سوق الصباغين... ويوجد في بعض الأسواق جوامع مثل جامع (الشاذبكية) ويعرف باسم جامع (الشيخ معروف) حالياً.

متحف حلب:

وفيه أربعة فروع رئيسية:

1 ـ آثار سورية قديمة.

2 ـ العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية.

3 ـ الآثار العربية الإسلامية.

4 ـ فرع المخلفات والتقاليد للمنطقة الشمالية من العهود المتأخرة والمعاصرة.

البيوت القديمة:

تتصف البيوت القديمة بجمالها وهدوئها وتلائمها مع المناخ المحلي. تزينها عادة زخارف حجرية وجصية وأقواس مزخرفة لدعمها. سقوفها وجدرانها مغطاة بالخشب المحفور الملون أو بالرخام والمرمر والقاشاني. هندستها عربية، لها باحات مكشوفة، فيها بحرات ماء، وأشجار وأزهار وسلسبيلات. تنفتح عليها أبواب ونوافذ غرف الدار. كما يوجد إيوانات لأمسيات الصيف. وعادة ما يوجد بها قاعة رئيسية فيها بحرة ماء فوقها قبة، تستخدم للاستقبال والاحتفالات.

وكان لكل بيت مورد ماء خاص به إما بئراً أو خزاناً لجمع ماء المطر. إلا أن المياه صارت تأتيه عبر شبكة أنابيب تغطي المدينة كلها.

أشهر هذه البيوت:

دار أجق باش (متحف التقاليد الشعبية):

من منتصف القرن الثامن عشر. تأثرت زخارفه ونقوش واجهاته الحجرية الداخلية بفن (الروكوكو) الغربي. وأصبح الآن متحفاً للتقاليد الشعبية، ويضم معروضات بعضها يعود إلى (1000) عام مضى.

وهناك بيوت أخرى منها: دار (آل غزالة) من القرن السابع عشر، وبيت (رجب باشا) من القرن السادس عشر. ودار (باسيل)، ودار (دلال)، ودار (وكيل) في حي (الصليبة) ودار (الكواكبي) قسم منها يعرف بـ (سراي جنبلاط) ويقع في حي (البندرة)، دار (الدلّات) ودار (كبّة) ودار (البلّيط) ودار (صايغ) ودار (الصادر) ودار (جان بولاد).

كما يوجد عدد من الدور الهامة في منطقة باب (قنسرين) وحي (الفرافرة).

حلبية وزلبية

موقعان، على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية. في مكان يدعى حالياً (حمّة الشامية). وميناءان هامان، ومركزان تجاريان، في عهد الملكة (زنوبيا)، من القرن الثالث على نهر (الفرات). ويبعدان (58 كم) عن (دير الزور). يقعان على منطقة عالية تشرف على النهر وترتفع حوالي (100 م) عنه. يمر (الفرات) بينهما. في الجهة الغربية منه توجد مدينة (حلبية). وهي مدينة (زنوبيا). وفي شرق (الفرات) توجد مدينة (زلبية) أو (زلوبيا). بين المدينتين مسافة (3 كم) فقط. لا توجد وسيلة توصل (حلبية) بـ (زلبية)، لذا الوصول إليها يكون عن طريق (دير الزور) نفسها.

أسس سكان وادي (الفرات) السوري عدة إمارات منها: إمارة (زوحي) في منطقة (زلبية). وإمارة (لاقي) في منطقة (حلبية). والأهالي يدعون منطقة (حلبية) (لايجة) أي (لاقي). كانت هذه الإمارات تارة (لبابل) وتارة (لآشور). وكانت الحروب تهدمها والجيوش تمر بها وتخربها. وأكثر ما أصابها من خراب كان على يد ملك (آشور) (ناصر بال الثالث) (885 - 860 ق. م) رغم أن ملك (لاقي) قدم له فضة وذهباً ونحاساً وأحجاراً كريمة وأرجواناً وجمالاً. ونصب تمثال الملك (ناصر بال الثالث) في وسط الميدنة. بينما ذهب ملك (زوحي) إلى (نينوى) وقدم للملك (ناصر بال الثالث) هدايا ثمينة. ومع ذلك ثار أهل (زوحي) على (ناصر بال الثالث)، فأتاها عام (878 ق. م)، وخربها ونكّل بأهلها. ثم بنى قلعتين على المضيق. واحدة على الضفة الغربية، أسماها (نيبارت آشور)، وأخرى على الضفة الشرقية، وسماها (كرخ آشور ناصر بال).

حينما انقرضت دولة (آشور) عام (668 ق. م)، سكن تلك المنطقة أناس

مجهولوون. ثم الآراميون وبعدهم السلوقيون، وأسسوا عدة مدن عند ذلك المضيق، انقرضت كمدن وبقي بعض من أسمائها مثل (تلدا) ويعتقد أنها (زلبية)، و (ماسيليا) شمال (زلبية). و (أنوكاس) على المضيق. ثم أصبحت المنطقة تحت نفوذ (الفرثيين الفرس).

وبعد ذلك صارت تحت إمرة التدمريين الذين انشؤوا ميناء نهرياً هاماً، وأقاموا السدود عليه. وصارت (حلبية) بلدة مهمة في عهد (أذينة) و (زنوبيا). وحينما اغتنت (تدمر) وقويت غزاها القائد الروماني (ماركوس أنطونيوس) عام (36 ق. م)، بعد أن هزم (الفرثيين). حينها هرب التدمريون بأموالهم وأسرهم وأقاموا في (حلبية) و (زلبية). فتبعهم (ماركوس أنطونيوس)، ولكن النصر كان للتدمريين. ثم أغار عليها الرومان ثانية ونهبوها وقتلوا الأهالي.

حينما استقلت (تدمر) عام (250 م) عن الإمبراطورية الرومانية، وتوسعت رقعة حكمها، حتى غطت الجزيرة الفراتية (261 م)، وصارت (حلبية) قاعدة نهرية استراتيجية. ولكن (أذينة الثاني) ملك (تدمر) اغتيل في (حمص) مع ولي عهده. فنودي بابنه الصغير (وهب اللات) ملكاً على (تدمر) وصارت أمه الملكة (زنوبيا) وصية عليه. فابتنت مدينة (زنوبيا) وهي نفسها (حلبية)، كما بنت مقابلها مدينة أخرى فوق المدينة الآشورية وسمتها (زلبية).

حاصر الرومان (تدمر) عام (272) بقيادة الإمبراطور (أورليانوس) ودافع التدمريون عنها بضراوة. ويقال بأن الملكة (زنوبيا) غادرت تدمر إلى (حلبية) لتتهيأ للمقاومة. إلا أنها أسرت وأعيدت إلى الإمبراطور (أورليانوس) في خريف (272 م). فأخذها مع بناتها إلى (روما) أسيرة حرب. كما خرّب (تدمر) واستولى على (حلبية).

في عام (540 م)، استولى (خسرو الأول)، ملك فارس، على (حلبية) ودمرها. ولكن الإمبراطور (جوستينيان) استرجعها. وبين عامي (537 و 565 م) أعاد بناءها، وجعلها حصناً نهرياً. ووضع فيها حامية عسكرية. ولكن الفرس في عام (610 م) هاجموها ثانية، بقيادة ملكهم (خسرو الثاني)؛ ودمروها. ومنذ ذلك الحين سقطت كل من (حلبية) و (زلبية) في هوة النسيان. كما دمرت

الزلازل والعوامل الجوية كلتا المدينتين. وساعد في الخراب أخذ الحجارة من أبنيتها لإنشاء السكة الحديدية في العهود التالية.

قام بالتنقيب في (حلبية) و (زلبية) أثريون عديدون منهم: (سار) و (هرتزفلد) و (تشسني) و (ساخو) والسيدة (جرترود بل) التي درّست في جامعة (ييل) الأميركية عام (1936) وكانت تعمل في (دورا أوروبوس) ووجدت بعض المدافن البرجية في (حلبية). وفي عام (1945) نقب الأثري الفرنسي (ج. لوفريه) فيها أيضاً.

حلبية

تقع على مرتفع بارز يحيط به وديان. ويشرف على مضيق في نهر (الفرات). وهو موقع استراتيجي للسيطرة والتحكم بطريق (الفرات) النهري. وعلى هذا المضيق بنيت مدينة إسلامية هي (الخانوقة).

سكنت منذ العصر الحجري، وذكرت في وثائق آشورية من عهد (آشور ناصربال الثالث) باسم (دور كرباني). ويعتقد بأنها بنيت عام (877 ق. م). وفي القرن الثالث شيدت فيها قلعة للملكة (زنوبيا) وسميت باسمها، وحينما هزمها (ديوكليتيان) استولى على القلعة وحصنها. وفي عهد البيزنطيين اعتنى بها (جوستينيان) وحكم بين (527 ـ 565). وجعلها جزءاً من تحصيناته ضد الفرس. وكان اثنان من المهندسين يقومان بالعمل، أحدهما كان (إيزودوروس) (Isidorus) من (ميليتوس) (Miletus) وهو المهندس الذي أعاد بناء قبة (حاجيا صوفيا)في (أستانبول) بعد تهدم الأصلية بين (532 و 537).

حينما استولى العرب على (حلبية) صاروا يستخدمونها من وقت لآخر. وفي عهد الأيوبيين في القرن (12) حصنوها واهتموا بها. ولكنها أهملت فيما بعد وتركت للخراب.

آثارها:

على قمة المرتفع شيدت قلعة تشرف على مجرى (نهر الفرات). مبنية بالأحجار الجصية، فيها أبراج مربعة ومستطيلة.

يحيط بالمدينة سوران من الأحجار الجصية. ينحدران من المرتفع نحو نهر الفرات ويشكلان مثلثاً. قاعدته ضفة النهر التي تمتد مسافة (385 م). تهدم سور المدينة بسبب الفيضانات فأعيد بناؤه على بعد قليل من الماء. كما أقيم سد في النهر يحاذي الشاطىء لحمايته.

للسور باب في كل ضلع من المثلث. وثلاثة في القاعدة. قسم من السور يعود إلى عهد (جوستينيان)، وقسم آخر أقدم منه. وفي السور أبراج مربعة، خمسة من جهة الشمال، وعشرة من جهة الجنوب، ولكل مدخل برجان. وهذه الأبراج مؤلفة من طابقين لهما أدراج وفيهما مرامي للسهام يوصل بينهم ممر داخلي وهي من عهد (جوستينيان). كما يوجد في السور الشمالي قرب القلعة برج أكبر مؤلف من ثلاث طوابق أعد سكناً للحامية في عهد (جوستينيان) أيضاً.

على بعد (400 م) من السور يوجد سورآخر طوله (5.5 كم). بني لغاية دفاعية وفيه بقايا برج.

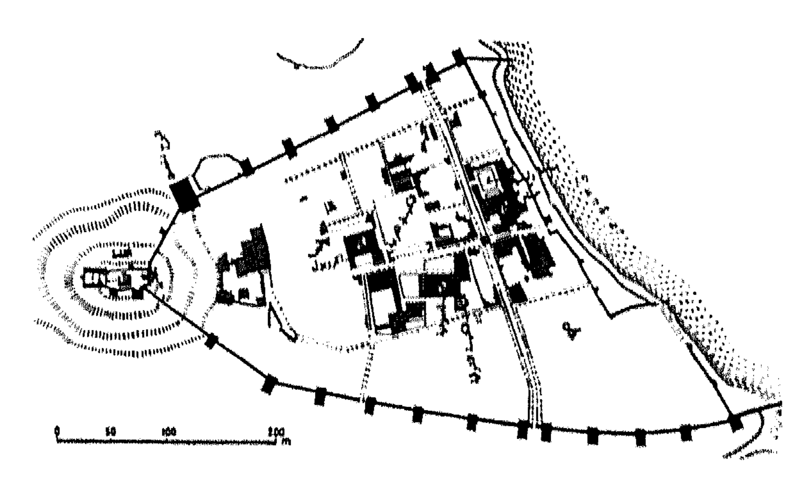
يجتاز المدينة شارع على جانبيه أعمدة رخامية، تيجانها مزخرفة. وفيه المنشآت العامة. ويصل بين بابي ضلعي المثلث.

أهم الأبنية في (حلبية):

فيها: محكمة قرب السور الغربي وحمام ومطبخ وأبراج المدافن وقاعات استقبال وساحة عامة وكنيستين شرقية وغربية. ووجدت فيها بعض اللقى من أوانٍ خزفية وبقايا أقمشة ونقوش كتابية.

كنيسة الجهة الغربية تعود إلى عهد (جوستينيان). عثر في رواقها على بقايا درج، وآثار أبراج محيطة بالمحراب. وكنيسة الجهة الشرقية أقدم وأصغر من

الغربية. في أروقتها انحناءات لا يماثلها إلا ما في (بعلبك).



حلبية

توجد في شمال المدينة على بعد حوالي كليو متر واحد توجد بقايا ثلاثة قبور برجية تتألف من طابقين أو ثلاثة. كما توجد قبور رومانية حفرت في الصخر، ينزل إليها بأدراج صغيرة.

زلبية

تقع على الضفة الثانية من نهر (الفرات). يماثل تاريخها تاريخ (حلبية). سورها الشرقي أفضل حالاً من سور (حلبية). وفيه سبعة أبراج. ومدخل واسع. أما سورها الغربي فقد ابتلعته المياه.

حما

تبعد (226 كم) عن دمشق، و (47 كم) عن (حمص)، و (146 كم) عن حلب، و (146 كم) عن اللاذقية. وترتفع (308 م) عن سطح البحر. يمر في وسطها نهر (العاصي). وتحتوي على نواعير ماء نادرة. سكنت ضفاف العاصي منذ نصف مليون سنة، وترك الإنسان آثاره في موقع (اللطامنة)، قرب قرية (خطاب) التي تبعد (6 كم) عن (حما)، وكان ذلك قبل (200) ألف سنة، وفي (قرماشة) أيضاً. وهناك مواقع تواجد فيها الإنسان منذ العصور الحجرية حتى بداية العصر الحجري النحاسي.

لم يعرف تاريخ بناء (حما) ولا اسم من بناها قد يكون (أرادوس) ملك (أرواد) أو (حما) الملك الآرامي. كشف فيها عن (13) طبقة حضارية، أقدمها من العصر النيوليتي أي الألف الخامس قبل الميلاد، كما وجدت آثار من القرن (11 ق. م) حينما كانت (حماة) مملكة آرامية. وأول تجمع سكاني في (حما) كان في موقع قلعتها الحالي. وسميت في العصر الحديدي (حماث) (Hamath) أي القلعة أو الحصن. ثم أصبح اسمها (أبيفاميا) (Epiphamia) لدى اليونان والرومان وذلك نسبة إلى الحاكم (Antiocus IV Epiphanes) الذي حكم بين (175 و 164 ق. م)، وسميت (Emath) لدى البيزنطيين.

أصبحت (حما) مدينة مسورة في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد متقدمة عمرانياً وصناعياً. وكان سكانها يعملون بالزراعة والصناعات البسيطة. كما عرفوا الري والسقاية.

خضعت (حما) لسلطة السومريين ثم الأكاديين حتى أواخر القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد. وتوقف ازدهارها بمهاجمة (الهكسوس) واستسلامها لهم عام (1750 ق. م). ثم انتعشت في عهد (الحوريين) و (الميتانيين) (1580 ـ 1480) قبل الميلاد. ثم خضعت لسلطة ملك (وادي النيل) وبقيت حتى عهد (تل العمارنة) (1400 ـ 1350 ق. م). ثم أصبحت (حما) عاصمة المملكة الآرامية.

حينما غزاها الجيش الآشوري بقيادة (شلمناصر) الثالث، عام (853 ق. م) تمكنت (حما) من دحره في موقع (قرقر) على نهر (العاصي).

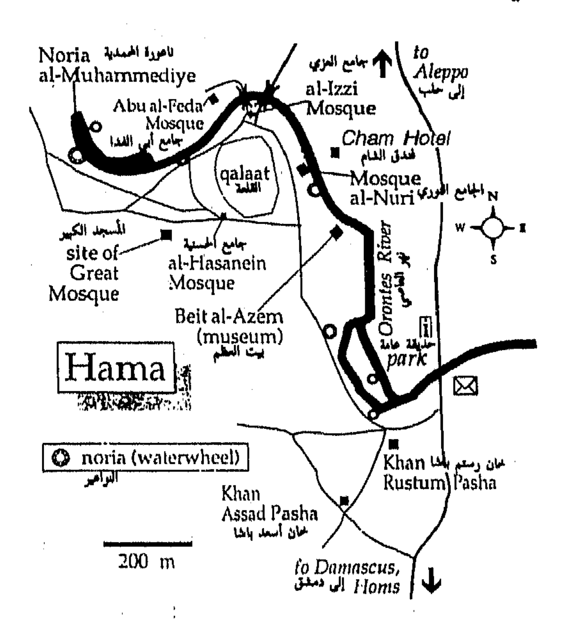
ثم هاجمها (الآشوريون) ثانية وذكرها ملكهم (سرجون) عام (720 ق. م) ولكنها استعادت قواها ثانية. ثم خضعت للبابليين فالفرس فاليونانيين ثم السلوقيين. ثم احتلها الرومان عام (64 ق. م) وتطورت المدينة خلال حكمهم. وفي العصر البيزنطي حافظت (حما) على أهميتها حتى فتحها العرب عام (17 هـ = 636 م) على يد (أبي عبيدة بن الجراح).

أتى ذكرها في كتابات المؤرخين والرحالة مثل (ياقوت الحموي) و (ابن جبير) و (أبي الفداء). وكان (لحما) شأن كبير خلال العهود الأولى من الحكم الإسلامي. وأكثر من اعتنى بها هو (نور الدين محمود زنكي) (525 هـ = 1130 م). وكذلك الأيوبيون الذين حكموها مدة طويلة حتى عام (1342). وأصبحت عاصمتهم. من أشهرهم السلطان والمؤرخ (أبو الفدا) الذي كتب عدة مؤلفات جغرافية وتاريخية.

حاول الصليبيون احتلالها عدة مرات دون جدوى. وعانت (حما) الكثير لوقوعها بين (دمشق) و (حلب) وطمع حكام المدينتين وخاصة في القرنين (11 و 12).

قامت بالتنقيب فيها بعثة دانمركية يرأسها الأستاذ (هارولد أنغولت) بين سنتي (1931 ـ 1938). ووجد في محافظة (حما) حوالي (150) موقعاً أثرياً بين قلعة وقصر وتل ودير ومدينة قديمة.

حالياً هي مركز محافظة يمر فيها خط حديدي. وفيها مشاغل لصنع أقمشة القطن والحرير. كما أنها مركز تجاري هام للبدو حيث يبيعون فيها منتجات أغنامهم ويشترون حاجاتهم منها. وتربى فيها خيول السبق. وهناك نبع للمياه المعدنية في قرية (دريكيش) القريبة منها.



مدينة حما القديمة

أهم آثارها:

القلعة:

تقع في مركز المدينة. وتعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد. تهدمت تماماً، وصارت حالياً حديقة عامة. كان لها مدخل ضخم، محمي بالأسود، وجد واحد منها، هو الآن في متحف (كوبنهاغن). فيها دهاليز سرية، وجسر يصلها بالمدينة. كان في قسمها الجنوبي أبنية من العهد الآرامي.

وقد عثر في الموقع على هياكل دينية مخروطية. ونصب كثيرة وعدد من اللقى الإسلامية.

المساجد:

جامع أبي الفداء أو جامع الدهشة أو جامع الحيات:

بناه ملك (حما) (عماد الدين إسماعيل أبو الفداء) عام (726 هـ = 1326 م) وكان قد حكم بين (1320 و 1331 م) ودفن في المسجد. سمي بجامع (الحيات) لوجود عمود رخامي يتوسط النافذتين الشرقيتين، في حرمه، وكانت على شكل حيات صغيرة ملتفة. قبة المحراب وجدرانه مزينة بالفسيفساء الرخامية والصدفية. والحرم مغطى بالفسيفساء. والمئذنة من الحجر الأبيض، مزينة بشريط من الحجر الأسود تنتهي بقبة صغيرة. وهناك لوحة رخامية تعلو باب المسجد الخارجي.

جامع النوري:

بني على أنقاض دير (قوزما) شمال متحف (حما) في عهد (نور الدين زنكي). وفيه قباب ومئذنة مربعة مبنية من البازلت والحجر الكلسي الأصفر، ومحراب من الخشب المحفور، وجدت فيه كتابات يونانية تمدح صمود الشعب أمام الرومان. وكذلك كتابات عربية تخلد باني الجامع السلطان (نور الدين زنكي) (558 هـ = 1172 م). وأخرى تشير إلى أن المسجد هو مكان تجمع ومعيشة للطلبة على حساب الدولة.

الجامع الكبير أو الجامع الأعلى:

كان في الأصل معبداً يونانياً ثم رومانياً. وتحول إلى كنيسة بيزنطية ثم إلى جامع. وكان أول كنيسة حولت إلى جامع عام (638 م) على يد (أبي عبيدة بن الجراح). ما زالت أروقة الكنيسة الثلاثة قائمة وبنيت فوقها قباب خمسة على شكل صليب، على الواجهة الغربية كتابات يونانية. توجد مئذنتين واحدة في شرق الحرم، عليها كتابة تعود إلى (1153) والأخرى مملوكية قرب الباب الشمالي، واحدة منهما لها قواعد وشرفة خشبية.

في الجامع قبر الملك (المظفر) الثاني. وقبر ولده الملك (الفضل) من القرن (13). خشبهما من الأبنوس المطعم بالعاج. المدماك الأسفل والدعامات والمحاريب الصغيرة من العهد الروماني. والباب والجدار من العهد البيزنطي. والمنبر مملوكي من القرن (15)، خشبي مزين بزخارف هندسية بارزة، ومطعم بالعاج. يحيط بالباحة أروقة معقودة أعمدتها رومانية وفيها قبة الخزنة المرفوعة على أعمدة.

مسجد العزّي:

وهو جامع صغير مملوكي من القرن (15 م).

مسجد الحسنين:

يقع جنوب غرب القلعة. كان في مكانه جامع آخر. هدّمه زلزال عام (1157) وأعاد (نور الدين زنكي) بناءه.

الكنائس:

كنيسة القديس سرجيوس:

تحولت إلى جامع (السرجاوي). عثر فيها على أوان مسيحية مقدسة.

كنيسة السيدة العذراء:

مبنية من الحجر الأسود. فيها إيقونات من العهدين البيزنطي والعربي.

كنيسة بازليكا:

توجد في حي (المدينة)، جنوب غرب (قلعة حما) اكتشفت عام (1983). أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء الهندسية والنباتية والحيوانية والمناظر الطبيعية، مساحتها (1500 م^2) وباحتها هي أكبر لوحة فسيفساء وجدت في العالم. أشكال الفسيفساء مثمنة أو على شكل زهرات أو نجمات كبيرة. معها نص باللغة اليونانية القديمة، وهو نص ديني دعائي: «اسمعني وارحمني يا رب.

وارحم جميع المخلوقات على الأرض». والنص يؤرخ بناءها بعام (727) سلوقية وتعادل (415) ميلادية. وهناك أبنية وممرات ملحقة بها تقع في جهتها الجنوبية.

وجدت في هذه الكنيسة طبقتين رئيسيتين. الأولى من العصر البيزنطي على عمق (4 م) وتضم الكنيسة وملحقاتها وأرضيتها الفسيفسائية. والثانية من العصر العربي الإسلامي. شيدت فوق الطبقة الأولى وتختلف عنها بتقسيماتها. أرضية هذه الطبقة من البلاط الحجري الكلسي والبازلتي. وجدت فيها أواني خزفية رائعة. ربما كانت هذه الطبقة كنيسة ثانية بنيت فوق الأولى التي دمرها زلزال عام (1157 م).

البيمارستان النوري:

ويقع جنوب الجامع النوري. بناه نور الدين زنكي سنة (560 هـ = 1164 م). وفيه عدد من الحجرات والردهات.

الحمامات:

يوجد عدد من الحمامات من العهد الأيوبي والعثماني. أشهرها حمام (السلطان) ويقع شمال جامع (نور الدين الشهيد). بناه الملك (المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر) المتوفي عام (617 هـ = 1220 م).

وحمام (العبيسي) على يمين مدخل (حي البارودية). وهو من وقف صاحب (حما) الملك (المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب) المتوفي عام (587 هـ = 1191 م.

وحمام (الأسعدية) في سوق (الطويل) بناه (أسعد باشا العظم) عام (1144 هـ = 1731 م).

وحمام الدرويشية في حي (المرابط) بناه بنو (الأعوج).

وحمام العثمانية في محلة (الباشورة) قرب متحف (حما).

وحمام (المؤيدية) بناه والي (حما) (أحمد مؤيد باشا العظم) عندما وسع قصر (العظم) عام (1240 هـ = 1824 م).

الخانات:

في (حما) خانات عديدة تزيد عن الثلاثين في داخلها، وعدد آخر في خارجها. أشهرها:

خان أسعد باشا العظم:

أصبح عام (1946) مقراً للثانوية الصناعية. يقع في نهاية (حي المرابط). بناه متسلم (حماه) (أسعد باشا العظم) عام (1151 هـ = 1738 م). طول واجهته (300 م) ويشبه خان (رستم باشا) بمخططه وأسلوب بنائه. تهدم نصفه الشمالي وبقي الجنوبي وفيه المدخل.

خان رستم باشا:

أصبح بعد الترميم مركزاً للصناعات اليدوية المحلية. يقع في بداية حي (المرابط). ويبعد (500 م) عن المتحف جنوباً. بناه الصدر الأعظم (رستم باشا) في عهد السلطان العثماني (سليمان) الأول وذلك في عام (964 هـ = 1556 م).

مساحته (4) آلاف مربع. وكانت ناعورة (المأمورية) تغذية بالماء وتقع في شماله. ويتكون من باحة مربعة في وسطها جامع صغير. وحولها أروقة أربعة ذات عقود متقاطعة.

وهناك خانات أقل شهرة مثل: خان (الحناء)،خان (الصحن) في سوق (الطويل)، وخانات أخرى في سوق (برهان) بحي (الحاضر) شمال (حما).

المتحف:

هو قصر بناه (أسعد باشا العظم) بين عامي (1740 - 1742 م). دام حكمه كوالي بين (1705 - 1757) وكان والي على (صيدا) ثم على (حما) حوالي (1742) ثم على (دمشق) بين (1742 - 1757).

والقصر عربي الطراز، مؤلف من طابقين فيه الأقسام التالية: السلاملك

(الطابق الأرضي) والحرملك (الطابق العلوي) والإسطبل والحمام والمستودع. للقصر قبة عالية. وفيه رواق يؤدي إلى قاعة واسعة ذات ثلاثة طزرات، مدعومة بأقواس حجرية مزينة بزخارف ملونة من الحجر الأبلق، وبزخارف نباتية بارزة والأسقف والحيطان من الخشب المزخرف والمذهب بالذهب الحقيقي. نوافذها مغطاة بزجاج ملون. وبحرتها ذات نوافير، وفيها رسم لدمشق واستانبول. كل قاعة في القصر لها مدخنة كان يوضع فيها منقل الفحم بعد إشعاله خارجاً. في الحديقة عمود رخامي من (أفاميا) عليه أسطورة ربة وثنية مع حبيبها تقبله ثم تمارس الجنس معه. أحدهما على شكل حيوان.

أصبح هذا القصر متحفاً في (27 تموز 1961). عرضت فيه آثار من شمال (سورية) من الألف الثاني قبل الميلاد. وآثار آرامية ورومانية وبيزنطية. وفيه أيضاً لوحات فسيفسائية وجدت في (صوران) و (حورته) و (أم حارتين) و (مريمين) وغيرها.

وأشهر اللوحات الفسيفسائية فيه هي (العازفات على الآلات الموسيقية) وجدت في قرية (مريمين) غرب (حما) وهي بيزنطية تعود إلى القرن الرابع الميلادي. أطوالها (5.37 X 4.25 م) والمشهد عبارة عن نساء موسيقيات، تظهر فيها آلات تلك الأيام الموسيقية. وتبدو واحدة منهن تعزف على (الهارب) (Lyre) وبجانبها إلهين مجنحين (Eros) يدوسان على دواسات الإيقاع. وواحدة ترقص وهي تلعب (بالكاستانييت) في يدها (Cymbals). وواحدة معها مزمارين (Flute) واحد في كل يد. وواحدة تعزف على آلة موسيقية هندية تتألف من زبادي معدنية مليئة بالماء على مستويات مختلفة فوق طاولة. عند نقر حوافيها بعصي خشبية تصدر أصواتاً موسيقية.

النواعير:

استعمال الناعورة كان بسبب انخفاض نهر (العاصي) بعد مروره من (الرستن). وقد استعملت منذ الألف الأول قبل الميلاد. وانتشرت في المدن السورية (دمشق) و (حلب) و (أنطاكية) و (حما)، وهي سيدة النواعير. وتعود

إلى العهد الآرامي والسلوقي أي القرن الثاني قبل الميلاد. واستمر استعمالها لدى الرومان والبيزنطيين فالعرب. أقدم مرجع تاريخي عن الناعورة لوح فسيفسائي وجد في الشارع المستقيم بـ (أفاميا)، يعود إلى (420 م) وعليه شكل طبق الأصل عن النواعير الحالية، وهي معروضة في باحة متحف (دمشق).

تنتشر النواعير في محافظة (حما) بين (الرستن) وقرية (العشارنة) ويزيد عددها عن المئة. بعضها لا يزال قيد الاستعمال. وسميت ناعورة نسبة إلى صوت (نعيرها). ويقال بأنها تعطي (120 ـ 170) مقاماً موسيقياً. في البداية كانت الناعورة عبارة عن صليب عليه سطول من الجلد. تطورت حتى وصلت إلى شكلها الحالي.

قبل عام (1949) كانت (حما) تشرب من (العاصي) بواسطة النواعير. وكان عددها في الأربعينات داخل المدينة وخارجها (102) ناعورة. وبدأ استعمالها بالتراجع حتى عام (1960)، حينما بني سد (الرستن). وجرت المياه منه للسقاية. حالياً يوجد (16) ناعورة في (حما) و (8) في ضواحيها. يقوم بصيانتها قسم في مجلس مدينة (حما).

ولإقامة (ناعورة) يبنى سد حجري أو خشبي ليقطع مجرى النهر، وتترك فيه فتحة تتدفق المياه منها بعنف . على جانبي هذه الفتحة يوضع برج الناعورة الخشبي. وكان من خشب التوت أو الجوز أو المشمش أو الحور أو الأكاسيا. وقلب الناعورة من خشب الجوز المتين. والناعورة عبارة عن دولاب خشبي ثبتت عليه صناديق خشبية. بعد أن يصنع على الأرض يرفع على برجه ويثبت فيتدفق ماء النهر بقوة عبر الفتحة المتروكة في السد. فتدور الناعورة وأثناء ذلك تمتلىء الصناديق بالماء وترتفع إلى الأعلى بسبب دوران الدولاب المثبتة عليه. وفي الأعلى وأثناء رجوع الدولاب تصب الصناديق مياهها ضمن قناة، وبذلك ترتفع المياه من الأسفل إلى الأعلى.

تتراوح أقطار النواعير بين (8 و 21 م). وقد تصل خارج (حما) إلى (30 م). وعدد الصناديق يتراوح بين (50 و 120) واحداً. يحمل كل منها من (16

إلى 18) ليتر ماء. وللناعورة (36) ضلعاً في دولابها.

نواعير (حما) تعود إلى عصور مختلفة وعددها (16). أقدمها: المأمورية (758 هـ = 1453 م) أنشأها الأمير (بلبان) وهو أمير مملوكي. وتقع قرب المتحف. قطرها (20 م) يقدر وزنها وهي مبتلة بـ (92) طن. وزاد قطرها متراً بعد الإصلاحات.

المحمدية: تؤرخها كتابة على ساقيتها بأن المملوكي (إيدمر عبد الله الشيخي التركي) بناها عام (763 هـ = 1361 م). في عهد (المعز الأشرفي السيفي). قطرها (21 م). وكانت تمد جامع (أبي الفداء) بالماء. وتبعد عنه (150 م). وقد رممت عام (1977).

الجعبرية: قطرها (17 م). تطل على جامع وبيمارستان (النوري).

ومن النواعير: الجسرية - المؤيدية - العثمانية - الصاهونية - الخضر - الدوالك - الدهشة - الغاق - العثمانيتين - البشرية الكبرى - البشرية الصغرى - نسبة إلى (الشيخ بشر) المدفون في قبة بجانبها - والباز وهي أصغر النواعير.

النواعير التي في خارج (حما) هي ثمانية: رعبون - الضاهرية - أرزة - ناصرية - شيزر - برنادي - ديدبان.

كان هناك نواعير في (أنطاكية) و (جسر الشغور) و (الحسكة)، ولكنها اندثرت. كما يوجد نواعير في مدينة (فاس) بالغرب. و (الفيوم) في (مصر) و (بورد) في (فرنسا). و (بامبروت) في (ألمانيا). و (قرطبة) و (فلانسيا) و (إشبيلية) في (إسبانيا).

طيبة الحمام:

تقع على بعد (20 كم) شمال (حما). وجد فيها موقعين أثريين: الأول بيت بيزنطي كبير من القرن الخامس الميلادي. له باحة كبيرة تحيط بها الغرف والإيوانات. وفيه أعمدة تيجانها منوعة. أرضية الغرف والإيوانات مرصوفة بالفسيفساء الملون ذات الزخارف الهندسية والحيوانية الجميلة.

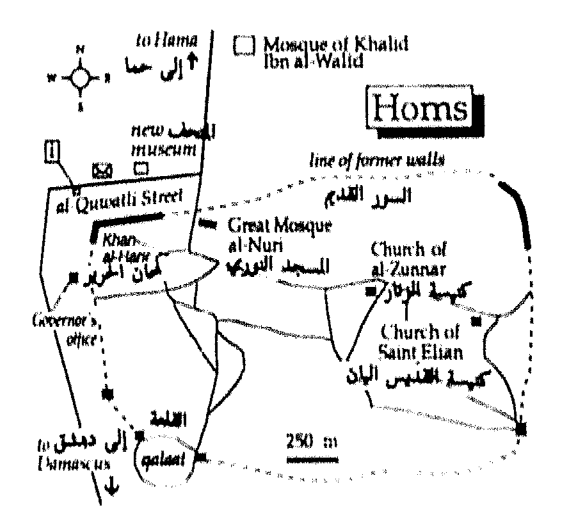
على بعد حوالي (200 م) غرب القصر توجد كنيسة من (443 م) مساحتها حوالي (400 $م^2$) مرصوفة بالفسيفساء. تمثل الرسوم قافلة فيها هودج يحمله حصانان. إضافة إلى زخارف هندسية. الرواق الأوسط فيه أشكال نجمية كبيرة، تضم صلباناً كبيرة وطيور محلقة حول حوض ماء فوق عمود. وزخارف حيوانية وهندسية ورسوم مبان متعددة الأساليب المعمارية فيها كنائس قديمة مثل كنيسة (القديس) وكنيسة (بيت لحم).

الرواقان الآخران عبارة عن حديقة فيها طيور وحيوانات ونباتات. بعض هذه الطيور لا وجود لمثيل لها في قطع الفسيفساء الأخرى التي اكتشفت في (سورية) كالنعامة مثلاً. تتوزع الزخارف ضمن أطر عرضها متر وطولها (20 م) بطول الكنيسة. وهي زخارف نباتية وأوراق عنب وطيور وحيوانات مفترسة تطارد فرائسها. كما يوجد رسوم سمك وبط وكتابات ذكرت أسماء من شارك في هذا العمل الرائع.

حمص

تبعد (160 كم) عن (دمشق)، و (185 كم) عن (حلب). ولفظة (حمص) آرامية وتعني الأرض اللينة، وقد يكون أخذ اسمها عن (حمص بن المهرب بن مكنف العميلقي). سماها الرومان قديماً (إيميسا) (Emesa).

يخترقها نهر (العاصي) وفي منطقتها وجدت آثار الإنسان الحجري. يعود تاريخ بنائها إلى (2400 ق. م). ولكن الحروب التي جرت على أراضيها أزالت كل آثار الحضارات السابقة. تعاقب على سكن (حمص) الكنمانيون والآموريون، الحيثون، المكدونيون، ثم السلوقيون فالرومان، ثم البيزنطيون. وفي عام (636 م) أصبحت جزءاً من الإمبراطورية العربية الإسلامية.



مدينة حمص

بلغت (حمص) ذروة مجدها في عهد (سبتيموس سيفرس) (Septimus Sivers) إمبراطور (روما) وهو من أصل فينيقي. تزوج من (جوليا دومنا) الحمصية عام (175 م). في عهده شقت في (حمص) الطرقات، وانتظم البريد. وازدهرت الزراعة والتجارة حتى وصلت تجارتها إلى (أوروبا).

آثارها:

الدياميس (Catacombs):

وهي مقابر رومانية، زخارفها من الموزاييك، وجدت فيها أقراط ذهبية. وخاتم عليه تمثال نصفي لأحد ملوك (حمص)، وخاتم له فص عليه تمثال الإله (أبولون). كما وجدت خوذة حديدية، لها قناع من فضة. وكذلك نقود زجاجية وأوعية، وحلي زجاجية (متحف دمشق).

وهناك شبكة من السراديب، دفن المسيحيون موتاهم فيها بين القرنين (3 و 7 م). ويوجد أيضاً شبكة من الأنابيب لجر المياه.

قلعة حمص:

تقع في الجنوب الغربي من (حمص) القديمة. بنيت على مرتفع جزء منه طبيعي والأخر اصطناعي. ترتفع (32 م) عن سطح المدينة. يحيط بها خندق. تعتبر من أقدم الأماكن المأهولة منذ عام (2400 ق. م). حيث وجدت فها قطع خزفية تعود إلى ذلك العهد. لعبت هذه القلعة دوراً هاماً في عهود النوريين والأيوبيين والمماليك.

تعاقب خمسة من الملوك الأيوبيين على (حمص) خلال قرن واحد من الزمن. واهتموا بالقلعة وبتحصيناتها لأنها كانت داراً للإمارة أيضاً. وخاصة في عهد الملك الأيوبي (شيركون بن محمد). وقد وجدت في القلعة كتابتان تسجلان تاريخين هما (594 هـ = 1173 م) و (599 هـ = 1178) على الأبراج.

النص الأول: «أمر بعمارته (شيركوه بن محمد) في سنة أربع وتسعين

وخمسمائة». وفي النصف الثاني: «بسم الله.. أمر بعمارة هذا البرج الملك المجاهد (أسد الدين شيركوه بن محمد). (شيركوه) ناصر المؤمنين أعز الله أنصاره وتولى عبده، موافق سنة تسع وتسعين وخمسمائة».

كان في القلعة أبراج مربعة. ولها باب من حديد في جهة الغرب. وكان فيها بيوت للجند وصهريج ماء عميق. ومسجد صغير فيه (مصحف عثمان) المكتوب بالخط الكوفي. وكان الناس يقصدون مسجد القلعة من أجل صلاة الاستسقاء حينما يشح المطر.

حينما استولى (إبراهيم باشا) على القلعة، أخذ حجارتها لبناء مهاجع جنوده. ولم يبق من أبراجها سوى الشمالي وهو مربع. كما بقيت قمة باب ومدخل القلعة.

سور حمص:

أحاط سور حصين بمدينة (حمص) بقي منه بضعة من آثاره موجودة قرب (الجامع النوري الكبير) وفي السوق المسقوف. وكان فيه عدة أبواب منها: (باب الدريب)، (باب تدمر)، (الباب الصغير) وهو من القرن الثاني الميلادي، وفي السور أبراج منها (برج الأربعين) وبرج مربع بين (باب تدمر) و (باب الدريب)، وبرج آخر في حي (الحميدية).

أسواق حمص القديمة:

تعود إلى عهود الأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، وتغطي مساحة كبيرة. فيها عدد من الحمامات العامة من نفس العهد. مثل (حمام العصياتي) العثماني. مملوكي الطراز. فيه البارد والدافىء والحار. تزين قبابه المقرنصات وفيها القمريات الزجاجية.

قصر الزهراوي:

وهو قصر قديم، حوّل الآن إلى متحف للتقاليد الشعبية.

كنيسة القديس إليان الحمصي:

عاش القديس (إليان الحمصي) في مدينة (حمص) في القرن الثالث الميلادي. تحتفل الكنيسة الأرثوذوكسية بعيده في السادس من شهر شباط. شهرة هذا القديس محلية لأن الكنيسة الغربية تجهله تماماً. مرجع سيرته تعتمد:

أولاً: على مخطوطتين متشابهتين من بلاد (الكرج) (جورجيا). أحدهما نسخت في القرن التاسع. والأخرى محفوظة في مكتبة متحف الآثار الكنسية في (تبليس) (تفليس سابقاً). وهي من القرن العاشر.

وثانياً. على مخطوطة عربية من القرن السابع عشر نسخها (زكريا ابن الكاهن مرقص) وهي موجودة في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في (بيروت). كلا المرجعين يتطابقان في بعض الأمور ويختلفان في بعض التفاصيل.

كان (إليان) ينتمي إلى عائلة من وجهاء (حمص). والده واسمه (خسطارس) كان يتمتع بمركز مرموق لدى حاكم المدينة إذ كان مستشاره الخاص. إلا أنه كان وثنياً وغاضباً على ابنه المسيحي.

تحلى القديس (إليان) بمزايا عديدة. فكان يصلي ويصوم ويزور المساجين ويقوم بأعمال الخير. تعلم الطب وأخذ يمارسه بمهارة فائقة فشاعت شهرته. قبض والد (إليان) على (سلوان) مطران (حمص) ومعه الشماس (لوقا) والقارىء (موكيموس) الذين كانوا يبشرون بالمبسيحية وسلمهم إلى الحاكم. وبعد تعذيبهم من حاكم (حمص) ثم من حاكم (صور) رجعوا إلى (حمص) ثانية. فسارع (إليان) لاستقبالهم وإظهار مسيحيته أمام الجميع. فوضع (إليان) في السجن ثم فر منه. ولحق بالمطران ورفيقيه لدى دخولهم إلى الميدان لتفترسهم الوحوش. حينما علم والده بالأمر غضب كثيراً وأمر بأن يربط وأن يدار به حول المدينة فرجم بالحجارة ثم وضع بالسجن. بقي فيه أحد عشر شهراً. ثم أحضره والده إليه ولكنه أصر على المسيحية. فسلمه للجلادين الذي اقتادوه في اليوم السادس من شهر شباط عام (285) حيث حلقوا شعره وغرزوا

خمسة أو اثني عشر مسماراً في رأسه ويديه وقدميه وتركوه يموت ببطء. ما لبث أن جمع (إليان) قواه وجر نفسه إلى مغارة قريبة كانت مصنعاً لفواخيري مسيحي وهناك أسلم الروح. وفي رواية أخرى أن جلاديه وضعوه فيها. أخذه الفواخيري إلى كنيسة (الأرخايا) أي الكنيسة القديمة التي كانت مكرسة للرسل وللقديسة (بربارة). وحينما وصل باب الكنيسة قرع الباب، ففتح له المؤمنون المجتمعون سراً في الكنيسة وتقبلوا جسد الشهيد بفرح عظيم.

إضافة إلى قبر القديس (إليان) يوجد في الكنيسة قبور قديسَيْن آخرين.

في عهد الإمبراطور الروماني (قسطنطين)، صارت (حمص) تتبع الديانة المسيحية. لأنه في عام (313) صدر قرار (ميلانو) الذي أعلن حرية الأديان في جميع الإمبراطورية الرومانية. وصار قبر القديس (إليان) موضع إجلال وكانت رفاته تشفي الأمراض وتصنع العجائب. ولكن في عهد (جوليان المرتد) (361 ـ 362) دنّس الكنيسة وهدمها. ولكن المسيحية تغلبت على الوثنية نهائياً في عهد (ثاودوسيوس) الثاني (408 ـ 450) الذي أمر بهدم المعابد وإحراق الأصنام.

تبرع الأسقف (بولص) في مدينة (حمص) ببناء كنيسة من ماله الخاص في مكان المغارة التي مات فيها القديس (إليان) ونقل رفاته إليها. ووضع في تابوت من الرخام. وكان إدخال رفات القديسين إلى الكنائس قد بدأ في حوالي عام (420). وكانوا يضعون الرفات في الهيكل الجنوبي وإلى اليمين من الهيكل الرئيسي.

لا تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن مصير كنيسة القديس (إليان) بين القرن السادس والقرن السادس عشر. قد تكون الكنيسة تضررت في عام (745 ـ 756) عندما احتل الخليفة (مروان الثاني) (حمص) ودمر أسوارها بعد حصار دام أربعة أشهر. أو قد تكون الكنيسة تهدمت بزلزال (1159). أو تخربت أثناء الحوادث التي وقعت في عهد المماليك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. ولكن وجود الكنيسة في نهاية القرن السادس عشر مؤكد حتماً. لأنه يوجد إيقونة تحمل كتابة يونانية رسمت عام (1598) بأمر من (يواكيم الرابع)، بطريرك (أنطاكية) وسائر المشرق الذي ظل أسقفاً للكنيسة من (1575) لغاية (1593).

إلا أن هذه الإيقونة أخذت من كنيسة (حمص) حوالي عام (1930). ويوجد نسخة لها في الكنيسة.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت كنيسة القديس (إليان) مجرد بناء صغير طوله تسعة أمتار وعرضه خمسة أمتار. وكانت أصلاً تحتوي على ثلاثة أجنحة ولكنها اقتصرت على جناح واحد بعد أحداث القرون الوسطى. ثم وسعت بإضافة هيكلين إلى الهيكل الموجود. ودشنت في عام (1845). ووضع فيها حاجز إيقونات. وبُلطت أرضها بالرخام. يوجد هيكل أمام كل من الجناح الرئيسي والجناح الأيسر. أما الأيمن فينتهي شرقاً بالقبو، الذي يضم تابُوت القديس (إليان). ورممت ثانية في عام (1970) ووجدت أثناء ذلك، حول تابوت القديس وفوقه، رسوم جدارية تحمل كتابات يونانية وعربية. كما وجدت بقايا فسيفساء تعود إلى القرن السادس أي من عهد (جوستينيان)، أي أقدم من الرسوم الجدارية لأنها حينما تساقطت الفسيفساء بسبب الرطوبة استعاضوا عنها بالرسوم الجدارية التي ترجع إلى القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر. وكانوا الرسامون عرباً سوريين لم يتقنوا الكتابة اليونانية.

ثم أعيد تلوين الرسوم في زمن لاحق ووضعت كتابات عربية بدلاً من الكتابات اليونانية ثم طليت تلك الرسوم بالكلس في نهاية عهد المماليك. وبعد الترميم الأخير للكنيسة دشنها بطريرك (أنطاكية) وسائر المشرق (إلياس الرابع) يوم الأحد في الثالث من شهر شباط (1974).

تمثل الرسوم الحديثة في الكنيسة مراحل حياة القديس (إليان). أما رسوم القرن (12) فتمثل: المسيح ملكاً مع السيدة العذراء و (ماري المجدلية) على جانبه و (يوحنا المعمدان) على الجانب الآخر. الرسم الذي على جانب المذبح يمثل القديس (لوقا) والقديس (حنا) على اليسار والقديس (مارك) والقديس (ماثيو) على اليمين. كما توجد ميداليات عليها رسوم الأنبياء والقديسين.

كنيسة الزنار (The Girdle of the Blessed Virgin):

وهي مقر مطرانية السريان الأرثوذوكس. من أقدم كنائس العالم حيث

بنيت عام (59 م). ض كانت عبارة عن قبو صغير تحت الأرض، لأن الصلاة كانت تمارس بشكل سري لمدة (3 قرون). وذلك خوفاً من الرومان الوثنيين، وكانت عامرة عام (478 م). وتوسعت في العهد المسيحي. وفي عام (1852 م) رممت. واكتشف فيها عندئذ زنار السيدة العذراء. الذي وضع في الكنيسة القديمة قبل عام (394 م) وكان من مدخرات القديس (توماس) الذي نقلت رفاته من (الهند) إلى مدينة (الرها). وضع الزنار كما هو في مذبح الكنيسة الجديد بعد الترميم وبقي حتى عام (1953 م) حيث اكتشف ثانية.

والكنيسة الحالية مقامة فوق الكنيسة القديمة التي من عام (59 م). باب الكنيسة القديمة محفوظ وكان لها قبة وفيها لوحات حجرية عليها كتابات سريانية.

وقصة الزنار كالآتي: في أواسط نيسان (1953) وجد مخطوط مصفح بعدة أوراق. مؤلف من (46) رسالة بالكرشوني والعربي. تخص أبرشية (سورية) إلى وجهاء مدينة (ماردين) تتضمن أحوال أبرشيتهم. وذكروا أنهم حينما هدموا كنيسة (أم الزنار) لتوسيعها وجدوا زنار (السيدة العذراء) موضوعاً في وعاء وسط مائدة التقديس في المذبح. عندئذ كشفت المائدة المقدسة في (20) تموز (1953) فوجد رقيم حجري مكتوب بالكرشوني يذكر: بنيت هذه الكنيسة المقدسة عام (59) في عهد البشير (ملا) المدعو أيضاً (إيليا). وذكر تاريخ تجديد الكنيسة عام (1852 م). ثم وجد تحت الحجر جرناً قديماً مغطى بصفحة نحاسية مدورة. وداخل الجرن، وجد وعاء معدني تفتت لقدمه. وكان فيه الزنار ملفوفاً بعضه فوق بعض، وأمارات العتق بادية عليه. وإلى جانبه توجد أنبوبة من المعدن الرقيق في طرف الوعاء الأعلى. في الأنبوبة عظم مجوف مما يوحي أن بداخله رق. كان الجرن من الحجر البركاني على شكل تاج وعمود بسيط ارتفاعه (12 سم). طول ضلع سطحه العلوي (24 سم) وطول ضلع قاعدته (29 سم). يوجد في منتصف ضلع سطحه العلوي قرص نحاسي قطر (15 سم) مزين بدوائر متحدة المركز. يغطي حفره نصف بيضوية تقريباً قطرها العلوي (16 سم). جمعت أجزاء الوعاء وحفظت في الكنيسة هذه.

جامع خالد بن الوليد:

بناه (الظاهر بيبرس). جدد بناؤه عام (1910) في العهد العثماني فصار خليطاً من الأساليب المعمارية البيزنطية والعربية والعثمانية. للجامع قبة معدنية، ومئذنتين لكل واحدة قاعدة مربعة.

فيه قبر (خالد بن الوليد) (سيف الله) الذي مات عام (643 م). وكان قد نشر الإسلام في سورية عام (636 م). وكذلك فيه قبر (عبيد الله بن عمر بن الخطاب)، وقبر (عبد الرحمن بن خالد بن الوليد).

الجامع النوري الكبير:

يقع قرب بوابة السوق في منتصف المدينة. يعتقد بأنه شيد في مكان معبد (إله الشمس). في عهد عائلة (الشمسغرام) الوثنية، التي حكمت (حمص) في نهاية عهد السلوقيين. ثم بنيت كنيسة القديس (يوحنا) فوق ذلك المعبد، وفي مكانها بني الجامع (النوري الكبير).

اكتشفت فيه فسيفساء عرضها (3.7 م) بتاريخ (28 ـ 5 ـ 1988).

أباطرة من حمص:

كانت (حمص) تعبد في العهد الروماني الإله (إيلاغابال) إله الشمس باللاتيني (Elagabalus) وباليوناني (Heliagabalus) ويرمز إليه بحجر أسود مخروطي الشكل. وشيد له معبد كبير في (حمص)، تشرف عليه الأسرة الحاكمة العربية. في عام (175 م) كان الكاهن الحمصي المشرف على المعبد (باسيان) له ابنة جميلة وذكية ومثقفة اسمها (جوليا دومنا) رآها (سبتيموس سفيروس) (Septimus Sevirus)، وأصله فينيقي من (لبدة) في (ليبيا)، وأحد كبار موظفي الرومان، فتزوجها. وبعد عدة سنوات صار إمبراطوراً و (جوليا دومنا) أصبحت إمبراطورة. أحضرت (جوليا دومنا) أختها (جوليا ميزا) مع ابنتي أختها (جوليا سوميا) و (جوليا ماما) إلى (روما). وصارت، فيما بعد، كل واحدة منهن إمبراطورة حكمت (روما) والعالم القديم.

(جوليا دومنا) ساهمت في شهرة زوجها (سبتيموس سفيروس). ورافقته في حروبه ورحلاته. ونشرت الثقافة السورية. وأحاطت نفسها بعدد من المفكرين والعلماء والأطباء السوريين، منهم قريبها الفقيه (بابينيا الحمصي)، وكذلك (أولبيان) و (ديوجين) كاتب التراجم، و (ديوكاثيوس) المؤرخ. و (فيلوستراث) السفسطائي. فمنحتها (روما) ألقاباً عدة: أم الوطن، أم الجيش، أم مجلس الشيوخ.

ولدت (جوليا دومنا) ولدين:

1 - (باسيان) الذي صار إمبراطوراً باسم (مارك أوريل أنطونان) أو (كاراكالا)، نسبة إلى ثوب الكاراكال (العباءة) الذي فرض ارتدائه على الرومان.

2 - (جيتا) الذي قتله (باسيان) بعد موت أبيه ليرث الحكم بدلاً عنه.

(كاراكالا) غيّر القانون الروماني القديم عام (212 م) فمنح الحقوق كاملة لكافة مناطق الإمبراطورية الرومانية وكانت فقط لأهل (روما). وهذه الحقوق هي:

الحقوق العامة: الاشتراك بالمجالس الدستورية والشؤون الدينية وتولي المناصب العامة.

الحقوق الخاصة: حق الزواج من المواطنين الرومان، حق تملك الأشياء والتصرف بها، حق التقاضي شخصياً أمام المحاكم الرومانية.

كما أمر ببناء حمامات (كاراكالا) الشهيرة. وخطّط وجمل شارع (فيانوڤا) في (روما). وأحبه جنوده كثيراً. ولكن قائد حرسه واسمه (ماكران) قتله ونصب نفسه إمبراطوراً، فحزنت (جوليا دومنا) عليه، وامتنعت عن الطعام حتى ماتت. ووضع رمادها في مدفن (أوغست) لمكانتها الكبرى.

كانت الفرقة الرومانية الثالثة وهي من الجنود السوريين مرابطة قرب (مصياف)، حينما سمعت بذلك فنصبت (أفيتوس) إمبراطوراً عام (218) وهو ابن (جوليا سوميا)، ابنة (جوليا ميزا)، أخت (جوليا دومنا). وكان كاهناً أعظم

في (معبد الشمس) (بحمص) يقدس الحجر الأسود المخروطي الشكل وكان عمره لا يتجاوز الرابعة عشر عاماً. دحر (أفيتوس) خصمه (ماكران)، قاتل (كاراكالا) وصار إمبراطوراً باسم (إيلاغابال) وأمر بنشر عبادة الحجر الأسود (إيلاغابال) في كل أنحاء الإمبراطورية. وأن يتقدم اسم (إيلاغابال) على كل الآلهة حتى على (جيوبيتر) نفسه. وبنى له معبداً في (روما) يشبه معبد (حمص)، وهو مكان كنيسة القديس (سباستيان) الحالية. وكان يقوم بالطقوس والشعائر الدينية بنفسه. فطلبت منه أمه (جوليا سوميا) أن يشكل مجلس للشيخات أسوة بمجلس الشيوخ وأن تكون هي رئيسته.

غضب الرومان على (إيلاغابال) وحاولت جدته لأمه (جوليا ميزا) أن تنصحه، ولكنه لم يستجب لها. فنصبت (الكسيانوس) ابن (جوليا ماما) ابنتها الثانية وصياً على العرش. وحينما قتل الحراس (إيلاغابال) مع أمه (جوليا سوميا) وأفراد حاشيتهما في (11 آذار عام 219 أو 222) أصبح (الكسيانوس) إمبراطوراً باسم (اسكندر سفيروس) وأصبح هو الكاهن الأعظم لمدينة (روما) ومدينة (حمص). وخلال عهده اتسع نفوذ جدته (جوليا ميزا) كما لقبت أمه (جوليا ماما) باسم أم الجنس البشري كله.

في عهده حل السلام والعدل والمساواة والاستقرار لاعتماده الديمقراطية في الحكم. ولتطبيقها سحب من الجيش بعض المنح فغضب منه الجيش وقتل المشرع (أولبيان) الصوري على مرأى من الإمبراطور (اسكندر سفيروس) وكان (أولبيان) و (بابنيان الحمصي) أكبر المشرعين العرب في (روما) وقد أقيم لهما تمثالان اعترافاً بفضلهما. حارب (الإسكندر سفيروس) القبائل الج

رمانية وحمى الحدود الشرقية وكان يدعو إلى الحب والسلام. ولكن أحد قواده وهو (ماكسيمان) اغتاله مع والدته (جوليا ماما) وهما في خيمتهما في ربيع عام (235 م) غرب (مايانس). وانتهى بذلك حكم الأسرة الحمصية (شمسيغرام) وأعقبها حكم (فيليب) العربي وأصله من (شهبا) السورية.

درعا

تبعد (101 كم) عن (دمشق). و (11 كم) عن (مزيريب) و (16 كم) عن (تل شهاب) و (40 كم) عن (بصرى). ذكرت لدى قدماء المصريين باسم (اتارعاه). وفي العهد القديم (ادريعي). وعند العرب (اذرعات).

بنيت في الألف الثاني قبل الميلاد. ولها سور من ذلك العهد. فيها حمامات أثرية. ومسرح روماني من القرن الأول. سعته حوالي (5000) متفرج. وهو وسط بين نموذج المسرح الإغريقي والروماني. مؤلف من (16 درجة) يجري الكشف عنه. فيه منصة تمثيل طولها (32.5 م) كواليس وأروقة وصالة الملقنين وشرفات للمحكمين وقاعة الأوركسترا. أرضيته مرصوفة بالبازلت. وفيه قناة لتصريف المياه. للمسرح مدخلان غربي وشرقي، وكشف عن معبد كبير ومنصة مرتفعة فيها أعمدة، كل عمود كان فيه رف لتمثال. خلف المنصفة رواق آخر يقود إلى مقصورة الإله أو صالة العبادة التي تتوسط مكاناً متسعاً فيه أروقة على الجهات الأربع. في المعبد مذبح، ومكان للأضاحي، ومكان لجلوس المشاركين بالاحتفالات.

أما كنيسة (درعا) فلم تكشف بعد.

اكتشفت لوحتان من الفسيفساء في منطقة الدير في (وادي الزيدي) جنوب (درعا) من القرن (15). أبعاد الأولى (7 X 6 م) زخارفها نباتية وهندسية وطيور محلية وحيوانات خرافية. وأبعاد الثانية (6 X 5 م) تشبه الأولى بأسلوبها وزخارفها.

دمشق

تعتبر (دمشق) أقدم مدينة لا تزال مأهولة في العالم. وهي عاصمة دولة (سورية). ورد ذكرها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، في الرقم الآشورية. وفي أرشيف (ماري) باسم (ديماشكي). وجاء اسمها (تمشق) و (تاماشقو) و (دمشق) في سجلات (تحوتمس الثالث) (1480 ق. م)، التي وجدت في (تل العمارنة) كما ورد ذكرها في الإنجيل.

أسماها (الحثيون) (آبوم) (Apum). والآراميون سموها (أوبي) (Upi) ثم (آرام) (Aram) و (دمشقا) وأطلقوا عليها اسم (دارميسق) أي (الدار المسقية). أو (الأرض المسقية). دعاها اليونانيون ومن بعدهم الرومان (داماسكس). وكان وما زال (لدمشق) عدة أسماء. وهناك عدة أساطير حول بانيها لم تؤيد وثائقياً.

جرت على أراضي (سورية) الطبيعية أحداث عدة كانت (دمشق) شاهدة عليها. في عام (1500 ق. م) غزاها (العموريون). وفي عهد (الآراميين) حوالي (940 ق. م) صارت عاصمة لدولة واسعة. شقت فيها الشوارع وأقيمت قنوات الماء ونظم الري وجعل نهر (تورا) ذو الاسم الآرامي، يسقي القسم الشمالي والشمال الغربي من المدينة. وآثار العهد الآرامي ترقد في أعماق (تل السماكة) الموجود بين شارع (الخراب) وزقاق (المليحي). ثم احتلها الآشوريون في عام (732 ق. م). وكان ملكهم (تغلات فلازر الثالث). وهدموا معالمها الرئيسية. وفي القرن السابع خضعت للكلدانيين ثم للفرس عام (538 ق. م). وصارت عاصمة الولاية السورية ومقر القيادة العسكرية الفارسية.

وفي عام (333 ق. م) احتلها (الإسكندر المكدوني) بعد انتصاره في

موقعة (إيسوس) مع الفرس. وبعد وفاته تقاسم قواده البلاد، وأنشأ (سلوقس نيكاتور) الدولة السلوقية في (سورية) الشمالية و (آسيا) الصغرى. بينما أنشأ (بطليموس) دولة البطالسة في جنوب (سورية) وفي (وادي النيل). وكانت (دمشق) تارة للسلوقيين وتارة أخرى للبطالسة. وظهر التأثير الهلنستي في ثقافتها وهندستها العمرانية ذات الأروقة.

وفي عام (85 ق. م) صارت تحت حكم الأنباط العرب، وملكهم كان (الحارث الثالث) الذي أقام حياً جديداً شرقي المدينة دعاه المؤرخون (نيبطون). كما شق فرعاً جديداً لنهر (بردى) في سفح (قاسيون). أعاد الأمويون كريه وتنظيفه وسموه (يزيد) نسبة إلى الخليفة الأموي.

ثم غزاها الرومان عام (64 ق. م) بقيادة (بومبي) (Pompeius). وصارت (دمشق) مدينة رئيسية (متروبول) في عهد الإمبراطور (هادريانوس). ومنحت البلاد اسم مقاطعة رومانية. ثم لقب مستعمرة رومانية في عهد الإمبراطور (سبتيموس سفيروس) وحكم بين (222 و 235 م). وهو فينيقي الأصل. وكانت (أنطاكية) هي العاصمة.

وقد قدر عالم الآثار (سوفاجيه) بأن الشارع المعترض للشارع المستقيم في عهد الرومان كان يمتد من باب (توما) و (العزيزية). كما قدر غيره بأن ذلك الشارع كان يبدأ من (باب جينق) المسدود. وأن بناء مجلس الشيوخ كان يقع في محلة (الدقاقين) حالياً، باتجاه (الشاغور). وأن المسرح المدرج كان مقابل (سوق الخياطين) حالياً. وإن الساحة العامة (آغورا) كانت تقع في (حي الجورة) (بالقيمرية) حالياً. وربما كانت كلمة (الجورة) تحريفاً لكلمة (آغورا).

وبين عامي (37 و 54 م) خضعت (دمشق) ثانية للأنباط أيام الملك (الحارث الرابع) بموافقة (روما). وخلال هذه الفترة حصلت زيارة (شاؤول) الذي أصبح فيما بعد القديس (بول) بعد مساعدة (حنانيا) له. وأرادت (روما) أن تؤمن سلامة (دمشق) فبنت سوراً رباعياً حولها له سبعة أبواب وهي من الشرق: (الباب الشرقي) ومن الجنوب (باب كيسان) و (الباب الصغير) ومن

الغرب (باب الجابية). ومن الشمال (باب الفراديس) و (باب جينق) و (باب توما). وأقاموا قنوات الماء النقي في الحي المعروف باسم (القنوات). وأنشأوا معبد (جيوبيتر الدمشقي) مكان معبد (حدد إله العاصفة). وحينما احتل بلاد الشام البيزنطيون كان مؤسس إمبراطوريتهم (قسطنطين الكبير) قد اعتنق الديانة المسيحية بعد قرار (ميلانو) عام (312 م). فظهرت هندسة وبناء الكنائس. وأقيمت كاتدرائية (يوحنا المعمدان) مكان معبد (جيوبيتر الدمشقي) وكنيسة القديسة (مريم) وغيرها. وكان (الغساسنة) أتباعاً لهم بينما كان (المناذرة) أتباعاً للفرس. وجرت معارك بين الطرفين خلال القرن (4 م) حتى استطاع (الفرس) أخذها منهم في عهد (خسرو الثاني) عام (612 م). ولكن الإمبراطور (هرقل) (Heraclius) استردها بعد وفاة (خسرو الثاني) في عام (627).

ثم جاء الفتح الإسلامي لبلاد الشام عام (13 هـ) و (634 م). وخسر البيزنطيون (معركة اليرموك) أمام العرب المسلمين عام (635 م). وحينما وصل العرب المسلمون (دمشق)، حاصرها (أبو عبيدة بن الجراح) لمدة أربعة أشهر عند (باب الجابية)، بينما حاصرها (خالد بن الوليد) عند (الباب الشرقي) وكان (يزيد بن أبي سفيان) على (باب كيسان) و (عمرو بن العاص) على (باب توما). فاستطاع (خالد بن الوليد) دخول (دمشق) بالحيلة، حينما كان الروم يحتفلون بمولد ابن لشخصية هامة عندهم. عبر (خالد) وجنده الخندق سباحة بمساعدة قرب منفوخة، واستولوا على (الباب الشرقي) بعد أن تسلق بعضهم السور. وعندما علم الدمشقيون بذلك أرسلوا وفداً من رجال الدين المسيحي والمسؤول المالي (منصور بن سرجون) والد (يوحنا) الدمشقي وغيرهم. ليفاوضوا (أبو عبيدة) على الاستسلام بشرط ضمان سلامة الأهالي وحرية امتلاك أراضيهم وبيوتهم وكنائسهم. وغادر الروم المدينة. ولم يكونوا محبوبين من السكان لاختلاف الدمشقين (اليعاقبة) المؤمنين بالطبيعة الواحدة للمسيح (كإله) عن البيزنطيين اتباع المذهب الأرثوذكسي الذي يقول بأن للمسيح طبيعتين: إله وبشر. وكان ذلك في (15 رجب 14 هـ) أي (3 أيلول 635 م). وفي تأريخ آخر (20 جمادى الثانية 13 هـ) أي (20 آب 634 م).

عين الخليفة (عمر بن الخطاب) (يزيد بن أبي سفيان) والياً على (دمشق). وحينما مات بالطاعون عام (18 هـ = 639 م) خلفه أخوه (معاوية) وبقي والياً عليها جزءاً من خلافة (عمر) وكل خلافة (عثمان) و (علي) حتى قام النزاع بينه وبين الأخير وكانت (صفين) والتحيكم، وصارت الخلافة (لمعاوية) فأسس إمبراطورية دامت حوالي القرن من الزمن. وفي عهد الأمويين صارت (دمشق) عاصمة إمبراطوريتهم منذ عام (662 م = 41 هـ). وظلت اللغة اليونانية هي لغة الدواوين عدا ديوان الرسائل حتى خلافة (عبد الملك بن مروان) الذي عرّب الدواوين كلها.

وامتدت الإمبراطورية الأموية من (الصين) شرقاً إلى جنوب (فرنسا) غرباً.

ويقال بأن (قصر الخضراء) الذي بناه معاوية كان يمتد من (سوق الصاغة) حتى (زقاق الحمراوي) ومنهما حتى (قصر العظم). وكان الأمراء والأغنياء يبنون قصورهم في (داريا) و (النيربين) وفيها (النيرب الأعلى) بين نهري (يزيد) و (تورا) والنيرب الأسفل بين (تورا) و (بردى الأدنى). وفي عهد (يزيد) نُظف نهر (يزيد)، وصار يسقي الحقول مما زاد مساحة الزرع. وفي عهد (الوليد بن عبد الملك) بني (الجامع الأموي) مكان (كاتدرائية القديس بول) وجامع المسلمين المجاور لها. وذلك لازدياد عدد مسلمي دمشق ولقدوم مسلمين من بلاد أخرى إلى تلك العاصمة. فأعطاهم أماكن أخرى لبناء كنائسهم وكان هو أول من حمل المعول للهدم من أجل البناء. وقد شهد أسقف من بلاد (الغال) أي فرنسا واسمه (Anculfe) وكان قد مر (بدمشق) عام (50 هـ = 670 م) على وجود معبد لسكان المدينة النصارى مجاوراً لمسجد السكان المسلمين.

وحينما دخلها العباسيون عام (746 م)، دمروا كل المباني الأموية ونقلوا عاصمتهم إلى (بغداد). وحكموا (دمشق) منها. ثم حكمها الطولونيون من (تونس). والأخشيديون من (مصر). والفاطميون من (المغرب) ثم من (القاهرة). واحتلها (القرامطة) مرات، وثارت فيها الفتن والثورات ضد

الفاطميين الشيعة. وعمّ الخراب، واحترق (الجامع الأموي)، وانتشر الطاعون الذي قضى على عدد كبير من السكان.

وفي عام (1067)، انتزع (اتسز) (Itsez) السلجوقي التركي (دمشق) من الفاطميين. وصارت تحت حكم السلاجقة أنفسهم، أو تحت حكم أمراء جيوشهم (الأتابكة). وكلمة (أتابك) تعني الوصي على أمير صغير. وكانوا يصدون هجمات (الصليبيين) على الساحل السوري. ومع ذلك استطاع الصليبيون احتلال الساحل و (القدس). و لكنهم فشلوا في حصار (حلب) و (حما) و (حمص) و (دمشق)، وأثناء حصارها طلبت (دمشق) النجدة من (نور الدين زنكي) وكان ملك (الموصل) ثم (حلب) فنصرها عام (1154) أي (549 هـ) وضمها إلى ملكه. ثم أجهز على الخلافة الفاطمية في (مصر). فصارت (سورية) ثم (مصر) تحت حكمه، والتي ولّى عليها (صلاح الدين الأيوبي). وحينما مات (نور الدين) عام (569 هـ = 1173 م) خلفه ابنه الصغير، فأحاطت به بطانة فاسدة، فدعي (صلاح الدين) من (مصر) ليتولى السلطة في (سورية) ايضاً.

قام المماليك الأتراك بانقلاب ضد الأيوبيين. وبقوا في (دمشق) لمدة عشر سنوات، ثم عادت للأيوبيين وتقدمت في عهدهم العلوم والفنون والصناعات وازدهر العمران ونشطت التجارة. وانتهى حكم الأيوبيين على يد (المغول) بقيادة (هولاكو) عام (658 هـ = 1260 م) ولكن سلطان (مصر) المملوكي (المظفر قطز) انتصر عليهم. في (عين جالوت). وحرر (دمشق) وبلاد الشام من (المغول). وأصبحت (دمشق) عاصمة ثانية بعد (القاهرة). وتقدمت في عهدهم العلوم والفنون والصناعات وازدهر العمران ونشطت التجارة.

وتعرضت (دمشق) خلال حكم المماليك لغزوات حكام (كيليكيا) من (الأرمن). ودافع عنها المماليك وحرروا بلاد الشام من الصليبيين. وفي عهدهم احتل (دمشق) (تيمورلنك) (Timurlank) عام (803 هـ = 1400 م). ونهبها وحرقها وسلبها. وقيل أن حوالي (30) ألف مصلي قتل في الجامع الأموي فقط.

ثم رحل (المغول) آخذين معهم أحسن الصناع والعلماء إلى (سمرقند) (Samarkand). واستطاع مماليك (القاهرة) استردادها.

استمر حكم (المماليك) قرنين ونصف حتى عام (922 هـ = 1516 م). وكان آخرهم (قانصوه الغوري). وانتهى عهدهم على يد السلطان (سليم العثماني بعد معركة (مرج دابق) شمال (حلب).

قويت الإمبراطورية العثمانية وتوسعت وحكمت (بلاد الشام) لمدة (4 قرون) (1516 - 1919). وكان الحكام العثمانيون جهلة قساة القلوب همهم الوحيد جمع المال بأية طريقة ليملؤوا خزائن السلطان وخزائنهم. فصارت موارد البلاد فقيرة. وانعدمت العلوم والفنون وعم الظلام كافة الأنحاء.

أثناء حكم العثمانيين وخلال ضعف دولتهم. استطاع (إبراهيم باشا) ابن (محمد علي) أن يحتل (بلاد الشام)، ويحكمها لمدة (10) أعوام. ثم استعادها العثمانيون منه عام (1840)، تحت ضغط الدول الأوروبية.

في القرن (19) نزح كثير من (الأكراد) من (العراق) و (تركيا) إلى (دمشق) بحكم وظائفهم في الدولة. كما أتاها مهاجرون من جزيرة (كريت)، ومن شمال (اليونان) (الرومللي). ومن (ألبانيا) (الأرناؤوط) ونزلوا جميعاً على سفح جبل (قاسيون) فسميت تلك المنطقة (بالمهاجرين).

وحينما أعلنت الثورة العربية على الأتراك عام (1916). وكان قائدها الشريف (حسين)، ساعده الحلفاء ولكنهم خانوه فيما بعد وتقاسموا البلاد فيما بينهم. فقسموا بلاد الشام إلى أربعة أقسام. وكانت (فلسطين) و (الأردن) من نصيب الإنكليز. و (لبنان) و (سورية) من نصيب الفرنسيين.

حينما دخلت طلائع الحلفاء بقيادة (فيصل بن الحسين) في (1 تشرين الأول 1918) أقيمت في (دمشق) حكومة عربية. وتوّج (فيصل) ملكاً عليها في آذار (1919).ولكن معاهدة (فرساي) جعلتها تحت الانتداب الفرنسي. وفرض بالقوة إذ دخلت القوات الفرنسية (دمشق) بقيادة الجنرال (غورو) في (24) تموز عام (1920). ولكن (سورية) قاومت، وقامت بعدة ثورات بين (1925 و

1926). ثم نالت استقلالها مقيداً بمعاهدة في عام (1943). ودخلت في عصبة الأمم. وأعطت حكومة (فيشي) الفرنسية (سورية) استقلالها. في نيسان عام (1945). ولكنها لم تحصل على سيادتها الكاملة. وحينما أغارت (فرنسا) على (دمشق) بالقنابل وأحرقت مبانيها أجبرها العالم على الجلاء. وحصلت (سورية) على استقلالها التام وانسحبت الجيوش الفرنسية في أواخر عام (1946).

سور دمشق:

شيد السور في العصر الآرامي. وجدد في العهد اليوناني والروماني في القرن (2 م) في عهد الإمبراطور الروماني (سبتيموس سفيروس) والإمبراطور (كاراكالا). وكلاهما عربي الأصل. السور الآرامي أحاط بالمدينة المستطيلة وأبعاده حوالي (750 X 1500 م). أحاط بمساحة (105 هكتار) تقريباً. أضلاعه الثلاثة كانت تتوازى مع الشوارع المستقيمة المتعامدة، أما الرابع فكان يتماشى مع نهر (بردى) من الجهة الشمالية. وكان في السور سبعة أبواب خلال الحكم الآرامي واليوناني والروماني. ثلاثة منها كانت في الجهة الشمالية وفيها نهر (بردى). واثنان من الأبواب في الجهة الجنوبية، وآخران كبيران في الجهة الشرقية والغربية.

كثر سكان (دمشق) في العهد الأموي فتوسعت المدينة وتجاوزت السور. وبني عدد كبير من القصور والبيوت خارج السور منها: قصر (عاتكة بنت يزيد بن معاوية)، وقصر (الحجاج بن عبد الملك بن مروان). وكلاهما كانا خارج (باب الجابية).

وفي عهد العباسيين، حينما دخل (عبد الله بن علي العباسي) (دمشق) عام (749 م = 132 هـ)، خرّب ما بناه الأمويون، انتقاماً منهم ولمحو ذكراهم. وشمل ذلك قسماً كبيراً من السور.

واستمر إهمال السور خلال العهود اللاحقة الأخشيدية والفاطمية والسلجوقية، إضافة إلى استمرار اتساع المدينة وتجاوزاتها. ونشأ فيها أحياء جديدة (حي الشاغور) في الجنوب. و (حي العقيبة) في الشمال.

في عهد الدولة النورية (1154 م = 549 هـ)، بدأ (نور الدين زنكي) بتجديد قلعة (دمشق) وأسوارها. فبنى سوراً بيضوي الشكل تقريباً في عام (1211 م = 618 هـ). كلفه (200) ألف دينار. وحصنه بأبراج على شكل نصف دائرة. وجعل فيه أبواباً جديدة. ثم أنشئت في المدينة أحياء جديدة هي (النصر) و (البرامكة) و (الصالحية) و (الأكراد).

تم بناء السور على مراحل خلال أجيال متعاقبة. أساس السور كله من الحجارة الضخمة، ارتفاعها يتراوح بين (80 و 95 كم) وهي بقايا السور الروماني القديم. المداميك التي تليها ارتفاعها بين (50 و 60 سم) وهي من عهد (نور الدين) وأتباعه. ثم المداميك الأصغر بين (20 و 30 سم) وهي ترميمات المماليك. ثم اللبن والحجر غير المنحوت من عهد العثمانيين.

السور الحالي من العهدين النوري والأيوبي. كان طوله حوالي (6) آلاف ذراع. لا يتطابق مع السور الروماني إلا في جهته الشمالية عند نهر (عقربا) من (باب السلام) حتى (باب توما). وتظهر الحجارة الرومانية الضخمة بالقرب من (باب توما)، حيث يوجد (باب الجينق) الروماني، وهو مسدود حالياً.

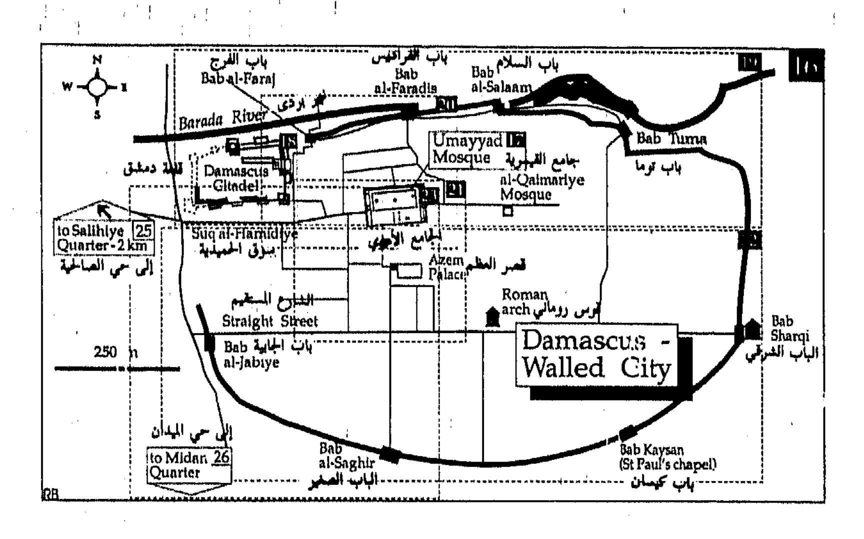
ويتطابق السوران أيضاً في الجهة الشرقية بين (باب الفرج) و (باب السلام) حتى (شارع الخراب) الجديد، جنوب (حارة اليهود). ويحيط بالسور خندق، استمر وجوده حتى القرن (17 م)، وكان عمقه عند القلعة (100) ذراع. وكان يملأ بالماء عند اللزوم.

صار عدد أبواب (دمشق) في العهد الإسلامي تسعة. جميع الأبواب ما تزال قائمة حتى الآن عدا (باب النصر) الذي أزيل عند إنشاء (سوق الحميدية) عام (1836 م). (باب شرقي) هو الباب الروماني الوحيد الذي بقي من عهدهم. وكان أمام كل باب جسر وباشورة، وهي سوق صغيرة جعل لها باب ضخم عليه قبة وكتابة تؤرخ اسم بانيها وعام البناء. تهدمت باشورة (الباب الصغير) أيام العثمانيين. وبقي من باشورة (باب الجابية) عضادة بابها الضخمة.

بعد (نور الدين) في النصف الأول من القرن (13 م) طرأ تغيير على

السور بين (باب الفرج) و (باب الفراديس) إذ أنه أبعد نحو ضفة (بردى) وبقي الجدار الذي أقيم على الأساس الروماني الأصلي. فصارت الأبواب مضاعفة. وسمي المكان بين (المناخلية) و (العمارة الجوانية) بزقاق (ما بين السورين) لأنها تقع بين السور الآرامي والسور الروماني. وفي عهد المماليك (1259 م ـ 1516 م) أي (647 هـ ـ 922 هـ) رمم السور. ولكنه أهمل في عهد العثمانيين (1516 ـ 1918 م) = (922 هـ ـ 1337 هـ). وتهدمت بعض الأبواب، وظهرت أحياء جديدة خارج السور، وبنيت مساكن فوقه. وأخذت حجارة منه ومن القلعة للبناء وردمت أقسام كثيرة من الخندق.

حالياً يبلغ محيطه (4500 م) تقريباً. وارتفاعه بين (6 و 10 م) وسماكته متفاوتة حوالي (270 سم) عند (باب كيسان).



مدينة دمشق القديمة

أبراج السور:

كانت هناك أبراج على السور، وعلى جوانب الأبواب، وفي أماكن متفرقة حسب الضرورة الدفاعية. وكانت تسمى بأسماء الأعلام. والأبراج التي

بين (باب شرقي) و (حارة اليهود) وبعد (الباب الصغير) إلى (باب الجابية)، كلها من القرون الوسطى من عهود النوريين والأيوبيين والمماليك.

تقسم في طراز عمارتها إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ قسم قاعدته مربعة ثم يصبح نصف دائرة كبرج (نور الدين).

2 ـ قسم رباعي الشكل كبرج الملك (الصالح أيوب) والبرج الذي قبله.

3 ـ قسم كله على شكل نصف دائرة كالبرج الذي بعد برج (الصالح أيوب) في الجهة الشرقية من السور.

أهم الأبراج اثنان برج (نور الدين) وبرج الملك (الصالح أيوب).

برج (نور الدين):

من القرن (12 م) بناه (نور الدين) وعليه كتابة تشير إلى بنائه وتاريخه. يقع داخل (خان السنانية) جنوب جامع (سنان باشا) قرب (باب الجابية). قاعدته مربعة ثم تصبح نصف دائرة. اختفى قسم كبير منه في الدور المجاورة. ارتفاع ما بقي منه (10 م). فيه فجوة كبيرة محدثة يمكن الدخول منها إلى داخله. فوقها حجر ذو إطار كتب عليه (... محمود بن زنكي بن آق سنقر 569 هـ). حوله زنار من الكتابة الزخرفية عرضه متر واحد. وتحته زنار آخر، عرضه نصف متر، ظهرت فيه الكتابة... (الملك الناصر قلاوون)...

بالقرب من الباب الصغير برج آخر عمّره (نور الدين) كتب عليه (نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر 564 هـ).

برج الملك الصالح (نجم الدين أيوب):

من القرن (13 م). يقع في الزاوية الشمالية من السور، شرق (باب توما) مقابل الشيخ (أرسلان الدمشقي). وهو برج مربع ضلعه الأمامي (860 سم) والجانبي (570 سم) والشرقي (510 سم)، وارتفاعه (10 م). يحمل كتابة داخل إطار، يخرج من جانبيه الشرقي والغربي زنار من الحجر الأسود. والكتابة هي (... الملك الصالح أيوب 646 هـ) وهو مسكون حالياً.

أبواب مدينة دمشق:

كانت الأبواب في العهد الروماني بسيطة ذات فتحة واحدة عدا (باب الجابية) و (الباب الشرقي)، كان لكل منهما واجهة عريضة، ذات فتحات ثلاث، أكبرها الفتحة الوسطى. وكان الشارع المستقيم بين هذين البابين. وكان هناك سوق صغيرة (باشورة) أمام هذه الفتحات. وجسر فوق الخندق. وفي عهد (نور الدين) زودت المداخل بأبواب مزدوجة داخلي وخارجي متوازيين وغير متقابلين. مثل (باب الفرج) أي (المناخلية) بناه (نور الدين) وجدد الباب الخارجي في عهد المماليك. ثم صار لكل حي باب يغلق أثناء الحصار والاضطرابات. وكان هناك باب صغير يفتح في وسط الباب الكبير يطلق عليه اسم (الخوخة) مثل باب زقاق (البرغل) العثماني قرب (باب الجابية).

كانت الأزقة مرصوفة بالأحجار ومزودة بالأرصفة. وكان لها أوقافاً لإصلاحها. وكلما توغل الحي في العمق تلوّى وتفرعت عنه أزقة صغيرة لها أبواب خاصة تؤدي إلى عشرات البيوت.

كان عدد الأبواب الرومانية سبعة ثم أضيف لها بابان فأصبحت تسعة. الرومانية هي: باب الفراديس، باب الجينيق، باب كيسان، الباب الصغير، باب الجابية، باب توما، باب شرقي. الإسلامية هي: باب السلامة، باب الفرج، أما (باب النصر) فهو سلجوقي لا أثر له الآن.

باب الفراديس:

هو أحد الأبواب السبعة الرومانية ويقع في شمال (دمشق). بناه الرومان على أنقاض باب يوناني، وهو بدوره بني على أنقاض باب آرامي. يتألف من بابين، داخلي وخارجي. يمتد بينهما سوق العمارة حالياً. ويطلق على الباب اسم (باب العمارة). نسب هذا الباب إلى كوكب (عطارد) وهو رسول الآلهة عند اليونان واسمه لديهم (هرمس) (Hermes). وهو أيضاً إله الفطنة والحيلة والفصاحة واللصوصية والموازين والمقاييس وأحرف الهجاء واختراع الأدوات الموسيقية ويقابله لدى الرومان الإله (ميركوري) (Mercury).

وسمي أيضاً (باب الفراديس) قبل الإسلام نسبة إلى (محلة الفراديس) التي كانت قبالته. وكانت هذه المنطقة مليئة بالقصور والحدائق والبساتين. احترقت وتهدمت أثناء فتنة (القرامطة) و (الفاطميين) عام (363 هـ). في الحصار العربي الإسلامي (لدمشق) عام (14 هـ) كان على الباب إما (عمرو بن العاص) أو (شرحبيل بن حسنة). وحينما حاصر العباسيون (دمشق) عام (132 هـ) نزل عليه كل من: (عبد الصمد بن علي) و (يحيى بن صفوان) و (العباس بن يزيد). في العهد الأيوبي (639 هـ = 1241 م) جدد الباب أيام الملك (الصالح نجم الدين أيوب). وليس الملك (الصالح إسماعيل) كما تذكر اللوحة التي إلى جانبه. ارتفاع الباب (431 سم) وعرضه (350 سم). ولا يزال مصفحاً بالحديد حتى الآن.

باب الجينق:

كان واحداً من الأبواب السبعة الرومانية. لا يوجد له أثر حالياً. وكان كسابقيه آرامياً ثم يونانياً ثم رومانياً.

وكان موجوداً أيام البيزنطيين. وسمي (باب الميلاد) تيمناً بميلاد (المسيح). نسب هذا الباب إلى القمر وتمثله ربة القمر (سيلينة) (Selene) يقابلها عند الرومان ربة القمر (لونا) (Luna). وكان القمر يعبد عند العرب وله أسماء عديدة: منها (سن) و (سين) و (شين) و (سوين). وعند العرب الآراميين كان اسمه (شهر) أو (سهر). وعند التدمريين كان اسمه (عقليبول).

جاء ذكره عام (684 هـ) حينما عدّد (ابن شداد) أبواب (دمشق) فذكره ضمنها و (الجينق) تسمية لم يعرف معناها. مقابل الباب، حالياً توجد منطقة (الفراين) بين (باب توما) و (باب السلام). وكان فيها كنيسة جعلت مسجداً، والآن هي بيوت مسكونة.

باب كيسان:

هو واحد من الأبواب السبعة الرومانية. أقيم في موضع باب يوناني كان

قد بني فوق أنقاض باب آرامي. نسب هذا الباب إلى كوكب (زحل). وهو إله الزمن والزراعة عند اليونانيين واسمه (كرونوس) (Kronos) يقابله (ساتورن) (Saturn) لدى الرومان. وكان على الباب رسم (زحل). وسمي الباب نسبة إلى (كيسان) عبد (معاوية بن أبي سفيان). أو إلى (كيسان) عبد (بشر بن عبادة بن حسّان بن جبّار بن قرط الكلبي). وكلا النسبتان ضعيفتين إذ ما معنى أن يسمى باب رئيسي باسم عبد. ربما كلمة (كيسان) حرفت من الاسم السرياني (قيصون) وتعني أقصى، نهائي. أي الحد الأقصى للمدينة أو الباب المتطرف، بعد استبدال القاف بالكاف، والصاد بالسين.

نزل على هذا الباب (يزيد بن أبي سفيان) عام (14 هـ) عند حصار (دمشق) إضافة إلى نزوله على (الباب الصغير). كما نزل عليه (بسام بن إبراهيم) العبّاسي.

سد السلطان (نور الدين زنكي) هذا الباب في القرن السادس الهجري، وفتح باب (الفرج) بدلاً عنه. وأعاد فتحه الأمير (سيف الدين منكلي بُغا الشمسي) نائب السلطنة في العهد المملوكي (675 هـ). وجدد مسجداً كان في داخله واسمه (مسجد الشاذوري) وبنى عنده فوق الخندق جسراً. وصار اسمه (الباب القبلي). ثم جدد الباب عام (1925 م) وأدخلت عليه تعديلات.

في عهد الانتداب عام (1939 م) وبإشراف المهندس الفرنسي (دولوري). أقيم عند مدخله كنيسة (القديس بولس الرسول) تخليداً لذكرى هربه من فوق السور في ذلك المكان. وكان الباب يعرف باسم (باب بولس) منذ القرن الرابع الميلادي.

القديس بولس الرسول:

ولد (بولس) في (طرسوس) عاصمة (كيليكية). وكان من الرعايا الرومانيين. أبواه يهوديان من سبط (بنيامين) في أوائل سني المسيح. اسمه بالعبرانية (شاؤول) على اسم أول ملوك (إسرائيل) وكان أبوه من الفريسيين وهي جماعة شديدة التمسك بالشريعة والتقاليد. أرسله أبوه إلى (أورشليم)

ليتعلم مبادىء تلك الطريقة على يد (جمليئيل). فنشأ فريسياً متحمساً للشريعة يحارب كل من يخالفها. وصار من أكبر مضطهدي تلاميذ المسيح. ومن المشجعين لقتل (أستفانوس) أول الشهداء.

رأى الكثير من اليهوذ يتبعون تعاليم المسيح، فثار ضد المسيحيين وأخذ يضطهدهم. وطلب من رئيس الكهنة إعطاءه رسائل إلى المجامع في (دمشق)، حتى يأسر المسيحيين ويحضرهم إلى (أورشليم). فأعطاه رئيس الكهنة الرسائل مع حرس من جنود الهيكل. وقرب (دمشق) برق حوله نور من السماء فسقط أرضاً من على ظهر جواده وفقد بصره وسمع صوتاً يقول له: (شاؤول، شاؤول لم تضطهدني؟) فقال: (من أنت يا رب؟) فقال: (أنا يسوع الذي أنت تضطهده) فقال وهو مرتعد (يا رب ماذا تريد أن أصنع؟) فقال له يسوع: (قم وادخل المدينة، وهناك يقال لك ماذا ينبغي لك أن تصنع). فنهض (شاؤول) وهو أعمى، واقتاده رجاله من يده وأدخلوه (دمشق). فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب.

وكان في (دمشق) تلميذ اسمه (حنانيا). فقال له المسيح في رؤيا: يا (حنانيا) قم فانطلق إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم (أي الطريق الممتد بين باب شرقي وباب الجابية) والتمس في بيت (يهوذا) رجلاً من (طرطوس) اسمه (شاؤول)، وقد رأى في الرؤيا رجلاً اسمه (حنانيا) داخلاً عليه، وواضعاً يده عليه لكي يبصر. فأجاب (حنانيا): (يا رب إني قد سمعت من كثيرين لكن هذا الرجل، كم من الشر صنع بقديسيك في أورشليم) فقال له الرب: (انطلق هذا لي أنا، وإني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي). فمضى (حنانيا) إلى ذلك المنزل ووضع يديه عليه وفي الحال وقع من عينيه شيء كأنه حراشف السمك وعاد إليه بصره. وبهذه الأعجوبة آمن (شاؤول) بالمسيحية وصار يبشر مع (حنانيا) في (دمشق). فغضب رؤساؤه منه وقرروا قتله. فاستنجدوا بحاكم (دمشق) للإيقاع به، ودبر له تلاميذه طريقة للنجاة إذ وضعوه في سلة كبيرة ودلّوه بالحبال إلى أسفل السور فنجا.

قضى (بولس) ثلاث سنوات بين (دمشق) وبلاد العرب يبشر بالدين المسيحي ثم ذهب إلى (أورشليم) فأقام في ضيافة (بطرس). وكانت له في (أورشليم) صداقة مع (برنابا) الذي قدمه للرسل المترددين في قبوله بينهم كتلميذ. إلا أن اليهود في (أورشليم) واليونانيون صمموا على قتل (بولس) فخاف تلاميذه عليه فأخذوه إلى (قيصرية) ومنها إلى (طرطوس) ولحق به (برنابا) إلى هنا. وذهب كلاهما للتبشير في (أنطاكية). وجعلوا سكان (أنطاكية) (بولس) و (برنابا) أسقفين. وبدأ (بولس) يطوف البلاد براً وبحراً ويحتمل الجوع والتعب والاضطهاد والسجن والجلد والغرق في سبيل التبشير.

في نهاية أسفاره دخل (أورشليم) يوماً فاستقبله المؤمنون فيها بخوف عليه لأنهم كانوا يعلمون أن اليهود المتنصرين يضمرون له العداء الشديد لأنه كان لا يكترث لشريعة (موسى) وكانوا هم يحترمونها ويمارسونها ويحافظون عليها. لذلك أشار عليه الكهنة أن يدخل الهيكل ويمارس بعض العبادات اليهودية إرضاء للجميع. فعمل بنصيحتهم وكانت أيام العنصرة. وحينما رآه جماعة من اليهود المتنصرين هجموا عليه يريدون قتله وجروه خارج الهيكل كي لا يدنسوه بدمه. فبلغ الخبر قائد الفرقة المقيم في برج قريب فاقتحم مع جنوده الجموع وأنقذه وأتى به إلى المعسكر وخلفه اليهود يطالبون بصلبه. ولما علم قائد الألف أنه روماني خاف من إيذائه فسجنه في المعسكر. وحينما علم أن اليهود يدبرون له مكيدة لقتله، أرسله إلى مدينة (قيصرية) مركز الولاية الرومانية في فلسطين. وبقي في الأسر سنتين، ثم أرسل إلى (روما) ونظرت المحكمة في أمره ثم أطلقت سراحه.

أقام (بولس) في (روما) سنتين يبشر بالمسيحية وقام ببعض الرحلات التبشيرية، ثم قبض عليه ثانية واقتيد إلى (روما) وهناك سجن ثم حكم عليه بالموت لكونه من قادة المسيحيين. وقطع رأسه بالسيف لكونه من الرعايا الرومانيين. وفي المكان الذي هرب منه في (دمشق) ويدعى (باب كيسان) وهو أحد أبواب دمشق، توجد كنيسة سميت باسم القديس (بولس).

وشمل الترميم النافذة التي تعلو المدخل إذ كانت محاطة بأطر مزخرفة. ولكنها بعد الترميم أضيف إليها ما يدعى (روشن) وهو عبارة عن بروز في أسفله فتحه لصب السوائل المغلية والحجارة على العدو. وعلى طرفي النافذة يوجد دائرتين فيهما حرفان لاتينيان هما (P) و (X) وكانا الأحرف الأولى من اسم المسيح باليونانية: (XPIETOE) وكان رمزاً للمسيحيين يتعرفون به على بعضهم البعض، وخاصة أن الدعوة كانت سرية. فكانوا يرسمون سمكة للتعارف، لأن اسمها باليونانية يحتوي على حرفي (X و P).

الباب الصغير:

هو واحد من أبواب (دمشق) الرومانية السبعة. يقع في جنوب مدينة (دمشق). شيد على أنقاض باب يوناني، وهو بدوره بني على أنقاض باب آرامي. نسبه اليونانيون إلى كوكب (المشتري) ورمزه كبير الآلهة (زفس) أو (زيوس) (Zeus). وهو إله السماء والأمطار والرياح والصاعقة. ومقره جبل (كاسيوس) (الأقرع). ويعادل الإله (بعل) العربي والإله (جيوبيتر) (Jupiter) الروماني. والذي عرف باسم (جيوبيتر الدمشقي) وعند الحثيين كان الإله (تيشوب).

أطلق العرب عليه اسم الباب الصغير لأنه أصغر الأبواب. وهو بالسريانية (زكورتا) أي صغير. وعرف بالعهد العثماني باسم (باب الحديد) لأنه كان مدعماً بصفائح حديدية. وأطلق عليه أيضاً اسم (باب الجابية الصغير) و (باب الشاغور). يقال بأن (يزيد بن أبي سفيان) دخل منه قسراً حينما فتح المسلمون مدينة (دمشق). ولكن لا تأييد لهذا القول.

جدد هذا الباب في العهد الأيوبي. وفوق الباب من داخل السور كتابتان: الأولى تذكر (الملك المعظم عيسى الأيوبي) وتؤرخ عام (623 هـ). والثانية نص تشريعي يتعلق بالرسوم الضرائبية على المسافرين من التجار إلى (العراق) وعلى القادمين منه، أيام الدولة الأتابكية النورية. وتذكر اسم (نور الدين زنكي) وعام (551 هـ). لم تذكر المراجع تجديد الباب في عهد (نور

الدين) ولكن تشير إلى أنه أقام باشورة ومسجداً ومنارة. والمسجد يعرف الآن (بمسجد الباشورة).

في عام (803 هـ) وصل (التتار) بقيادة (تيمورلنك) إلى (دمشق) فهرب المماليك وتركوها وسكانها لمصيرهم. فأغلق السكان الأبواب وتهيأووا للحرب. وقتلوا من التتار عدداً لا بأس به. وبالحيلة والغدر أرسل (تيمورلنك) رجلين ليتفاوضا بالصلح. فطلب السكان الأمان ووعدهم (تيمورلنك) خيراً على أن يقدموا له (الطُقُوز) عربون وفاء ومحبة. و (الطقوز) كلمة تعني (تسعة) والمقصود بها هي المأكل، المشرب، الملبس، الجواري، العبيد، الدواب وما إلى ذلك. وهي عادة درج عليها (تيمورلنك) عند تفاوضه علىالسلام. وكان (تيمورلنك) مقيماً في (القصر الأبلق) الذي كان في موضع (التكية السليمانية) حالياً. تفاوتت الآراء وتجادل القوم وذهب بعضهم إلى (تيمورلنك) فأعطاهم وظائفهم و (فرمان) قُرِىء على الناس في (الجامع الأموي). وطلب منهم مبلغ (عشرة ملايين دينار) ثم ألزمهم بزيادته وإعطائه أسلحة ودواب وخيل، إضافة إلى أموال المصريين التي خبأوها قبل تركهم المدينة. وألزم بعض الناس برسم خرائط للمدينة وحاراتها. وقسمها بين أمرائه ثم نزلوا إلى المدينة عبر (الباب الصغير)، وبدأ البلاء الأعظم إذ سلبوا ونهبوا وسبوا وقتلوا ودمروا وحرقوا ما طالته أيديهم لمدة تسعة عشر يوماً.

ثم رحل (تيمورلنك) وجنده بعد ثمانين يوماً، آخذاً معه أمهر الصناع والحرفيين ورجال العلم والفكر إلى عاصمته (سمرقند) في (أزبكستان) حالياً. وأصبحت (دمشق) خاوية من الناس والمال والموارد، عدا بضعة آلاف من الأطفال دون الخامسة لا معين ولا معيل لهم.

وفي العهد المملوكي (903 هـ) جدد (باب الباشورة) خارج (الباب الصغير) ارتفاعه (373 سم) وعرضه (250 سم) وقربه بقايا السور القديم. وخلال العهد العثماني جرت عنده صراعات بين طوائف الجيش العثماني المتحاربة.

الباب الشرقي:

هو واحد من الأبواب السبعة الرومانية والباقي منها بحالته الأصلية تقريباً. ومثل غيره أقيم على أنقاض باب يوناني وهو بدوره بني على أنقاض باب آرامي. وينسب هذا الباب إلى كوكب (الشمس) والإله الإغريقي (هيليوس) (Helios) وعند الرومان (سول) (Sol). بني في عهد الإمبراطور الروماني (سبتيموس سفيروس) (Septemus Severus) ثم ابنه (كاراكالا) (Caracalla) أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث الميلادي.

للباب فتحات ثلاث أوسطها أوسعها وأعلاها. تتناسب مع تقسيمات الطريق المستقيم. سدت الفتحتان الوسطى والجنوبية في العصر الإسلامي من أجل التحصين والحماية. لا يعرف تماماً ارتفاع المداخل لأن مستوى المدينة ارتفع مع الزمن. ويقدر ارتفاع المدخل الشمالي بـ (317 سم) وعرضه (288 سم).

على هذا الباب نزل (خالد بن الوليد) حرباً عام (14 هـ) بعد حصار طويل. وكان جيشه يقيم في فسحة سماوية مقابل مسجد (الشيخ رسلان) وقد أقيم فيها مسجد (خالد) ويعتبر أول ما أنشيء في (دمشق). وهناك روايات عدة عن كيفية دخول (خالد بن الوليد) إلى (دمشق) ولا يوجد ما يؤيد أية واحدة. ولكن (خالد) دخل (دمشق) دون أن يخرب الباب. وبقي سليماً في عهد الأمويين.

ولكن في عام (132 هـ) نزل عليه القائد العباسي (عبد العزيز بن علي) ودخل منه، حيث فتك بالناس وخرّب السور، وقضى على الأمويين عام (749م). ومن هذا الباب دخل السلطان (نور الدين زنكي) عام (559هـ = 1163م) وهزم السلاجقة. وقصة دخوله كانت أن السلاجقة وضعوا بضعة منهم في أحد الأبراج للدفاع. وتركوا السور دون حراسة، وكانت عليه امرأة رمت لجنود (نور الدين) حبلاً فصعد عليه واحد بعد آخر وفتحوا الباب. وقد رحب السكان بقدوم (نور الدين) لسمعته الجيدة.

رمم (نور الدين) الأسوار والأبواب وجعلها منيعة وخاصة أن الصليبيين كانوا يهددون (دمشق). ودعم (الباب الشرقي) عام (559 هـ)، ورفع فوقه مئذنة مربعة، وبنى جامعاً صغيراً وراءه، وأقام سويقة (باشورة) أمامه، تهدمت في أواخر القرن التاسع عشر أو بدايات العشرين.

داخل الباب الشرقي الصغير توجد كتابة مشوهة تؤرخ عام (559 هـ) وتذكر اسم الباني (نور الدين زنكي). وفي العهد الأيوبي أخذت حجارة القنطرة الرومانية لتبلط بها أرضية (الجامع الأموي). وفي العهد المملوكي. رمم الباب ودعم، وجرت عليه معارك عنيفة بين المماليك أنفسهم.

باب الجابية:

هو الباب الغربي لسور (دمشق). وهو من الأبواب السبعة الأصلية الرومانية. ومثل (باب توما) ربما شيد على أنقاض باب روماني وهو بدوره بني على أنقاض باب آرامي. ينسب الباب إلى (كوكب المريخ) وهو إله الحرب (آرييس). و عند اليونان وعند الرومان (مارس) (Mars). سمي (باب الجابية) نسبة إلى (قرية الجابية) القريبة من (دمشق)، وعلى مسافة تتجاوز مئة كيلو متر. وقيل أن اسمه اشتق من اللغة السريانية الشرقية أو اللغة العربية.أو تحوير لاسم (جيوبيتر) كبير الآلهة. وتداول خاطئ عن وجود ولية صالحة تدعى (ستي جابية) قربه، ولا يؤيد هذا القول أي مصدر أو مرجع.

كان الباب في العهد الروماني له واجهة كبيرة وثلاثة مداخل. أوسطها أوسعها وأعلاها. ثم سد المدخل الأوسط والشمالي وبقي الجنوبي. على هذا الباب نزل (أبو عبيدة بن الجراح) في (14 هـ). وتصالح الروم مع العرب شرط الأمان وسلامة الناس والأملاك والكنائس.

ودخل (أبو عبيدة) (دمشق) صلحاً من الغرب بينما دخل (خالد بن الوليد) بنفس الوقت من الشرق ولكن حرباً وقتالاً. والتقى الاثنان في (المقسلاط) في منتصف (الشارع المستقيم)، قرب (سوق الصوف) حالياً. أو ربما كان قرب (مئذنة الشحم) بعد (البزورية) في (الشارع المستقيم) أو ربما

قرب كنيسة (المقسلاط) قرب (درب الريحان) أو عند كنيسة (مريم). واتفقا على أن (دمشق) فتحت من الشرق حرباً ومن الغرب صلحاً. وأثناء هذا الحصار توفي الخليفة (أبو بكر) وتولى (عمر بن الخطاب). الذي كتب إلى (أبي عبيدة) يعزيه بوفاة (أبي بكر) ويستنيبه على من (بالشام). على أن يستشير (خالد) في الحرب. ولكن (أبو عبيدة) لم يظهر الكتاب حتى انتهى الحصار خوفاً على (خالد) من الإحباط.

في العهد الأتابكي أعيد بناء هذا الباب أيام (نور الدين زنكي). وأنشئت (باشورة) قربه، لها باب بجانب باب (جامع السنانية) وعلى الباب كتابة تذكر (نور الدين) وعام (567 هـ).

وفي العهد الأيوبي جدد الباب، ونقش عليه تاريخ ذلك واسم مجدده الملك (المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل) وحكمه كان بين (1218م=1227م) أي (516هـ=624هـ). وفي العهد المملوكي (687 هـ) جدده الشيخ (ناصر الدين عبد الرحمن المقدسي) وأصلح الجسر الذي تحته. وفي أواخر (699 هـ) خلال حصار (التتار) وعلى رأسهم قائدهم (غازان). هرب المساجين من حبس قرب (باب الجابية) فكسروا باب السجن ثم حطموا أقفال (باب الجابية) وهربوا خارج (دمشق).

حضر السلطان (برقوق) المخلوع ليدخل دمشق خلسة عام (792 هـ). عبر برج قرب الباب اعتقد أنه خرب ولكنه وجده سليماً. وكان نائب (الشام) (جزدمر) قد أمر ببنائه على ضوء الشموع في ليلة واحدة ليمنعه من دخوله. وتقاتل الطرفان قتالاً مريراً ولكن دون جدوى.

باب توما:

هو أحد أبواب (دمشق) الرومانية، ويعتقد أنه شيّد على أنقاض باب يوناني. وهو بدوره أنشىء على أنقاض باب آرامي. بعد احتلال اليونانيون (لدمشق) بنوا هذا الباب، وسمّوه بباب (كوكب الزهرة)، وتمثله إلهة الحب والجمال والجنس (أفروديت) (Aphrodite) ومعنى اسمها الوردة الفرحة.

والرومان سموه باسم الربة (فينوس) (Venus) المرادفة لديهم (لأفروديت). وحينما حكم البيزنطيون، وكانت المسيحية قد أدخلت إلى المنطقة على يد الإمبراطور (قسطنطين الأول) في القرن الرابع الميلادي. أطلقوا على الأبواب أسماء القديسين. وهكذا صار اسم الباب (باب توما) نسبة إلى (القديس توما) أحد تلامذة السيد (المسيح). وفي أيام الإمبراطور البيزنطي (هرقل) كان اسم زوج ابنته (توما) وكان والياً وبطريركاً (لدمشق) فأمر بتقوية وترميم (باب توما) فنسب إليه الباب خطأ. وكانت تقام عنده مهرجانات عيد القديس (توما).

نزل عليه (عمرو بن العاص) عند الفتح العربي (14 هـ = 634 م). وقيل بل (شرحبيل بن حسنة). وفي العهد الأموي شيد (عبد الله بن درّاج) كاتب (معاوية) برجاً، عرف باسم (برج الدراجية)، زالت آثاره، وأثناء الحصار العباسي نزل على هذا الباب (حميد بن قطحبة).

رممه (نور الدين زنكي)، وأقام عنده مسجداً، ورفع فوق الباب مئذنة، كما فعل مع بقية أبواب المدينة. وحينما نظمت المنطقة في بدايات الاحتلال الفرنسي، أزيل المسجد والمئذنة حسب ما ارتأى المهندس الفرنسي (إيكوشار).

في العهد الأيوبي، أعاد الملك (الناصر داوود بن الملك المعظم عيسى) بناءه، ونقش على عتبته من الداخل نصاً يؤرخ ذلك. في العهد المملوكي. أمر نائب (الشام) (تنكز) بإصلاح الباب. فجددت حجارته، ورفع مدخله، ونقش على عتبته من الخارج ما يؤرخ ذلك. ارتفاع الباب الحالي (438 سم) وعرضه (322 سم) وسماكته (7 م). قاعدته من الأحجار الرومانية الضخمة. كان أمامه جسراً رومانيا فوق النهر، ولكنه أزيل فيما بعد.

باب السلامة:

ويعرف أيضاً باسم (باب السلام). وهو باب إسلامي من العهد الأتابكي. بناه السلطان (نور الدين زنكي) خلال حكمه (549 - 569 م). وسمي باب (السلامة) لأن الخطر منه ضعيف بسبب النهر والمزارع. وهناك تضارب في المعلومات حول هذا الباب.

فوق الباب عتبة طويلة هي بالأصل عامود روماني كتب عليه اسم الملك الأيوبي (الصالح أيوب) الذي جدّده عام (641 هـ). وعلى عضادة الباب الشمالية، التي يجري النهر من تحتها مرسوم مملوكي طمس، وذهبت أكثر حروفه. وله قوس عربية مدببة. وقامت مديرية الآثار بترميمه في الأربعينات.

باب الفرج:

إسلامي، يقع في شمال (دمشق). غرب (باب الفراديس). بناه (نور الدين زنكي) خلال سنوات حكمه (549 - 569 م). أي من العهد الأتابكي وسمي (باب الفرج) تفاؤلاً بالفرج بعد فتحه. (باب الفرج) حالياً مزدوج. الداخلي محاذي للسور، عضادته اليسرى عليها نقش يؤرخ رمضان (639 هـ) حينما جدده الملك الأيوبي (الصالح أيوب). ارتفاع الباب (381 سم) وعرضه (305 سم). قامت مديرية الآثار بترميمه. والخارجي ملاصق لنهر (بردى). أعيد بناؤه في القرن الخامس عشر، في العهد المملوكي. وهو ضخم ومستطيل، فوقه عتبة. كتابة مطموسة. أمام الباب عضادتين، يعلوهما قوس، سقطت من مكانها. وعلى كل من العضادتين يوجد (رنك) مملوكي نقشت فيه زهرة الزنبق، وكانت شعار (نور الدين). جدد (سيف الدين أبي بكر بن أيوب) (باب الفرج) عام (606 هـ).

عرف (باب الفرج) في العهد العثماني باسم (باب البوابجية) لوجود سوقين لصنع البوابيج هناك. وحالياً يدعى (باب المناخلية) لوقوعه في سوق (المناخلية).

أمام الباب الخارجي كان هناك جسر (باب الفرج) على نهر (بردى)، بني أيام المماليك عام (736 هـ). وإلى جانب الباب الخارجي، يوجد (مسجد باب الفرج). وكان فوق مدخله مرسوم سلطان.

بين الباب الخارجي والداخلي توجد (طاحونة باب الفرج). جداريها الشمالي والغربي من جسم السور نفسه. وفيها مرامي للسهام.

باب النصر:

إسلامي، لا وجود له اليوم. كان موقعه قرب مدخل سوق الحميدية غرب (سوق الأروام) الحالي الكائن في (الحريقة) ويعتقد أنه بني في العهد السلجوقي أواخر القرن الخامس الهجري. يوجد قربه خمسة أنهار. وكان اسمه (باب الجنان) لأنه يطل على بساتين وحقول ومروج. منها (حكر السمان) و (وادي البنفسج) و (المرج الأخضر) و (الشرفان) و (الشقراء) و (البهنسية) و (النيربين) و (الخلخال) و (المنيبع) و (الجبهة) و (الربوة) وغير ذلك.

كان في فترة ما مسدوداً ثم فتح. ربما سد أيام (نور الدين زنكي)، أثناء الحروب الصليبية، وأعيد فتحه في العهد الأيوبي. أو في العهد المملوكي، أطلق على الباب اسم (باب السعادة) نسبة إلى دار الحكم القريبة منه. وفي العهد العثماني تحول اسمه إلى (باب السرايا) لأنه قرب سرايا الحكم، في مكان القصر العدلي حالياً. وفي عام (1863 م)، أزاله والي (الشام) العثماني (محمد رشدي باشا) لتوسيع مدخل (سوق الحميدية)، أيام السلطان (عبد الحميد الثاني).

أسواق دمشق:

كانت الأسواق في العهد الروماني مكشوفة. والرئيسية منها كان لها رواقان جانبيان مسقوفان. في القرون الوسطى سقفت الأسواق بجملون، وبالقباب في العهد العثماني. وكانت السقوف تبنى بالحجارة كأسواق حلب، أو بالخشب ثم حل الحديد محل الخشب في أواخر العهد العثماني تجنباً للحريق. ولم تخلو الأسواق من جامع ومدرسة وحمام وسبيل ماء. وكان فيها خانات تخصص كل واحد بنوع من البضاعة، أو المهنة، أو السلعة. أما الأحياء السكنية فكان لها بالعصور الوسطى أبواباً تغلق ليلاً من أجل الأمن. وكان في وسط الباب باب صغير آخر، يطلق عليه اسم (خوخة) يكتفى بفتحه أثناء الخطر.

قلعة دمشق:

تقع في الزاوية الشمالية الغربية لمدينة (دمشق) القديمة. لم يأتِ ذكر للقلعة في أيام الرومان، ولا أيام الفتح الإسلامي على يد (خالد بن الوليد). يعود بناؤها إلى عهد (تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان) السلجوقي (471 هـ = 1078 م). وكان سور (دمشق) خرباً فاستعمل حجارته الرومانية في بناء القلعة. وحينما أمر (نور الدين محمود زنكي) بتحصين مدينة (دمشق)، وترميم أسوارها، أضاف أبنية دفاعية جديدة للقلعة.

وفي أيام (صلاح الدين الأيوبي) استعصت عليه القلعة حينما احتل دمشق عام (570 هـ = 1174 م) ولكنه تسلمها صلحاً فيما بعد، وجعلها مركز حكمه. فرممها وأضاف إليها، وعاش وتوفي فيها عام (1193). ودفن في قسمها الغربي، ثم نقل جثمانه، بعد ثلاث سنوات، إلى المدرسة (العزيزية).

هدم الملك (العادل بن أبي بكر بن أيوب) شقيق (صلاح الدين) (1202 م = 599 هـ) القلعة السلجوقية، وأقام الحالية. وبقي العمال يعملون لمدة اثنتي عشر عاماً. فصارت منيعة وحصينة فيها مصنع للأسلحة، وأبراج للحمام الزاجل، ودار لصك النقود، وسجن، وحمّام، وقاعة عرش، ومسجد، ومدرسة، ومنازل للأعوان، حتى صارت وكأنها مدينة صغيرة. وسميت (القلعة المنصورة). وجمع في بلاطه الكثير من العلماء والفلاسفة منهم (عماد الدين أصفهاني) و (بهاء الدين بن شداد). بعد الملك (العادل) أتى أربعة سلاطين اهتموا بالقلعة وحصنوها وهم (عيسى) و (الصالح إسماعيل) و (الملك المعظم) وهم أبناء الملك (العادل) ثم أتى أخوه (الملك الكامل).

قاومت القلعة هجوم (المغول)، وعلى رأسهم (هولاكو) (1260 م = 658 هـ). ولكنهم تابعوا حصارها. وضربوها بالمنجنيق، حتى دخلوها، فنهبوها، وهدموها، وأعدموا واليها. وبعد هزيمتهم في معركة (عين جالوت)، قرب (الناصرة)، في (فلسطين)، على يد (الظاهر بيبرس)، وقائده المملوكي (قطز). صارت القلعة لنائب السلطنة الأمير (علاء الدين سنجر الحلبي).

وحينما حكم (دمشق) (الظاهر بيبرس) رمم وحصن القلعة، وتوفي فيها.

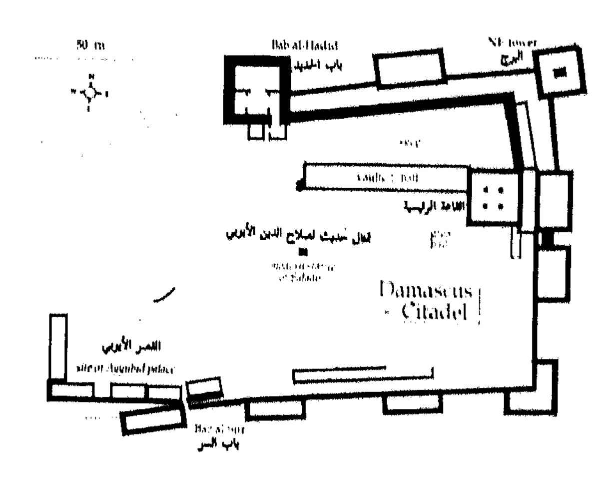
ونقل جثمانه إلى (المدرسة الظاهرية). واستمر المماليك بتحصينها والاهتمام بها خلال حكمهم بين (1259 - 1516 م). وحينما جاء العثمانيون (1516 - 1918). استعملوها قلعة، وثكنة. وأضافوا إليها بناء مساحته ألف متر مربع خاص بالإدارة. وفي أيام الفرنسيين (1919 - 1946) صارت سجناً مدنياً، ومقراً لبعض عناصر الشرطة. وفي عهد الاستقلال (1946) بقيت سجناً. ثم أخليت، وبدأ الترميم فيها منذ تشرين الثاني (1984). وستكون مكاناً سياحياً هاماً في المستقبل القريب.

وصف القلعة:

هي نموذج ممتاز للعمارة العسكرية الأيوبية، امتدت ما بين (باب الفرج) شمالاً و (باب النصر) غرباً. وهي القلعة الوحيدة في (سورية) التي لم تشيد على مرتفع، بل هي على مستوى الأرض. كان حولها خندق عرضه حوالي (20 م). أبعادها (150 X 250). وشكلها شبه منحرف. يحيط بها سور واحد، سمكه بين (4 و 5 م). كانت ترمم وتصلح في جميع العهود، ولكن ذلك لم يؤثر كثيراً على طابعها الأيوبي. فيها أبراج مستطيلة، ومربعة، عددها (12) برجاً. كل منها يتألف من عدة طوابق. في كل طابق ردهة واسعة، معقودة بالحجارة العادية، والحجارة الضخمة المدببة. وهي مجهزة بشرفات بارزة، لصب السوائل المغلية، والقذائف المشتعلة. وعددها بين (4 و 5) اقتبسها الصليبيون عن العرب فيما بعد. في أعلى الأبراج أفاريز، وشراشيف مدرجة، وأبواب مقرنصة. أما مرامي النبال فكانت شقاً طويلاً. أصبحت في القرنين (12 و 13) على شكل محراب بين جدارين مائلين بشكل متعاكس وكانت سفوح الجدران السفلية مائلة. وسماكتها ثلاثة أمثال غيرها لتكون أكثر مقاومة للمنجنيق. كما استعملت جذوع الأعمدة بشكل أفقي لدعم الجدران. ونحتت الحجارة بشكل بارز بمقدار (10 - 30 سم). وكانت القاعدة محاطة بإطار عرضه (5 سم)، مما جعل القلعة حصينة وقوية.

للقلعة أبواب أربعة، اثنان منها رئيسيان، هما الشمالي والشرقي. أما

الآخران فهما سريان، يؤديان إلى الخندق الذي كان يحيط بالقلعة. أقام العثمانيون باباً مكان باب السر الغربي. باب القلعة الشمالي جميل له مقرنصات. نقشت عليه قرارات عسكرية وإدارية.



قلعة دمشق

باب القلعة الشرقي:

كان الباب الرئيسي للقلعة. يقود إلى المدينة القديمة (سوق العصرونية حالياً). لذلك عرف باسم (باب المدينة)، وعرف خلال حكم السلطان المملوكي (الظاهر برقوق) باسم (باب النصر الظاهري) وكان له جسر خشبي متحرك. واستعمل هذا الباب للدخول والخروج إلى دار الإمارة مقر السلطان أو نائبه. وكان أقل حصانة من غيره لأنه أقل تعرضاً للخطر. والطريق منه إلى الداخل ملتوٍ وغير مستقيم. عرض الباب (266 سم) ويقع ضمن إيوان، عرضه (4.21 م) وعمقه (2.20 م). ويقع الباب بين برجين متقاربين المسافة بينهما عشرة أمتار فقط. مزودة بمرامٍ ورواشن لصب السوائل الغالية على المهاجمين. والباب موجود في الجدار الجنوبي للبرج. تزينه مقرنصات ويعلوه قوسان متراكبان. فوق ساكف الباب كتابة من العهد المملوكي. تتضمن مرسوماً

سلطانياً بشأن خزائن السلاح. صدر عام (781 هـ). وعلى جانبي إيوان الباب، نص آخر يتضمن تاريخ فتح القلعة عام (794 هـ)، من قبل السلطان (الظاهر أبو سعيد برقوق).

يؤدي الباب الشرقي إلى ممر يعرف بممر (باب الحديد). ويقع شمال القلعة المحاذي لنهر (بانياس). و (باب الحديد) هو عبارة عن بابين، أحدهما خارجي، جدد في القرن (15 م) والآخر داخلي. والممر بينهما معقود بالحجارة. وقد جدد هذا الباب مع القلعة في العهد المملوكي، أيام حكم (نوروز الحافظي) عام (809 م). وكانت هناك قبة صغيرة. أما (باب السر) فكان يستعمله حاكم القلعة سراً في الخروج والدخول إليها. ويقع في غرب القلعة، ويفتح على منطقة (السنجقدار) حالياً. وهناك (باب السر الجنوبي) ويقع قبالة (دار السعادة). ولا تخلو قلعة أيوبية من باب السر. والردهة الطويلة بين المدخل الشمال والرقي، مغطاة بقبة، استخدمت سجناً فيما بعد. وفي آخر الساحة توجد ردهة كبيرة مربعة، ضلعها (20 م). تعلوها قبة، وتدعمها أربعة أعمدة كورنثية.

أبراج القلعة:

أهمها برجان مستطيلان أبعاد كل منها (13 X 26 م) بنيت أيام (الملك العادل). كل واحد يتألف من ثلاثة طبقات، في كل واحدة خمس فتحات للرمي. وحول كل سطح شراشيف، فوقها كوات مستطيلة مسننة. وبصورة عامة كل أبراج القلعة متشابهة.

أما البرج الذي في الزاوية الشمالية الشرقية، فهو برج متقدم للدفاع. على واجهته الشرقية كتابة تعود للعهد الأيوبي. بالخط النسخي. وقد أحدثت فيه كوة مستطيلة للرمي في القرن (16 م).

في القلعة بقايا القصر الملكي وقد أزيلت طبقته العليا. اكتشف في القلعة آثار مساكن وسراديب من فترة ما قبل الأيوبيين. ويقع جامع (أبي الدرداء) في جهة نهر (عقربا) قرب المدخل الشمالي.

الجامع الأموي:

كان أول رائعة معمارية عربية في الإسلام، تتناسب مع الإمبراطورية الإسلامية التي لا تغرب عنها الشمس. وكان سابقاً معبداً للإله (رامون) في القرن العشرين قبل الميلاد. ثم معبداً للإله (حدد) الآرامي، إله المطر والرعد والصاعقة في القرن التاسع قبل الميلاد. لم يبق من آثاره سوى حجر بازلتي نقشت عليه صورة (أبي الهول). وجدت في أساسات جدار الجامع الشمالي. وهي من القرن (9 ق. م). ثم صار معبداً للإله المصري (آمون) عام (720 ق. م). وبعد غزو (الإسكندر المكدوني) في (333 ق. م) صار هيكلاً للربة (عشتروت). وفي عهد الرومان صار معبداً للإله (جيوبتير) في (379 م). وفي عهد البيزنطيين، أمر الإمبراطور (تيودوسيوس) (Theodosius) الأول وحكم بين عامي (379 ـ 395 م) ببناء بازليكا (يوحنا المعمدان) في ذلك المكان. وكان موقعها غرب صحن الجامع الحالي.

حينما دخل المسلمون (دمشق) في (15 رجب عام 636 م) سقطت بأيديهم دون قتال من جهة الغرب وحرباً من جهة الشرق فأخذوا القسم الشرقي من أنقاض معبد الإله (حدد) الآرامي لبناء جامع لهم. وكان المسيحيون قد بنوا كنيسة في الجهة الغربية. وظلوا يصلون والمسيحيون متجاورين لمدة (50) عاماً. ثم اتفق (الوليد بن عبد الملك) مع مسؤولي كنيسة (يوحنا المعمدان)، على أخذ الكنيسة، وتعويضهم بأرض وأموال لبناء كنائسهم، وكان هذا في عام (86 هـ = 705 م).

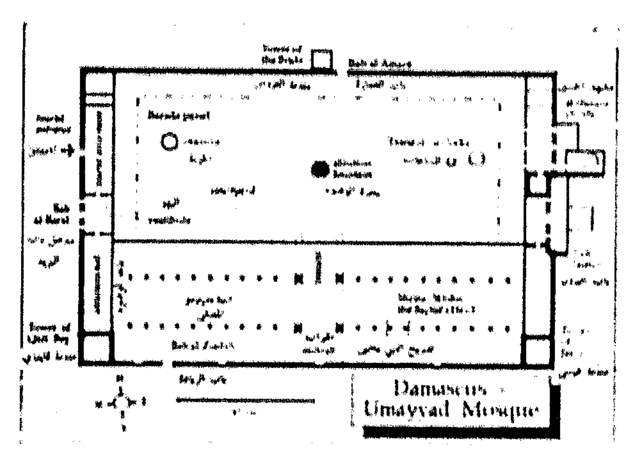
هدمت الكنيسة، ومعبد (جيوبتير) عدا أبراجه الرومانية الأربعة التي في الزوايا. واقتبست هندسة الجامع من العمارة البيزنطية، الأعمدة الكورنثية، والأقواس، والأروقة، والأسقف، والجملونات، والفسيفساء. واستمر البناء مدة عشر سنوات. وكلّف حوالي (11) مليون و (200) ألف دينار أي خراج المملكة لسبع سنوات. وعمل فيه حوالي (200) من صناع الروم واليونان والطليان، مع (12) ألف مرخّم، فأتى آية في الجمال.

وبعد وفاة (الوليد بن عبد الملك) خلفه أخوه (سليمان بن عبد الملك)

فشجع الفنون جميعها. وبنى الجامع الأموي أي الكبير في (حلب). والمسجد الأقصى في (القدس). وفي (المدينة المنورة) أعاد بناء (مسجد الرسول) وكانوا كلهم على مثال (الجامع الأموي) في (دمشق).

تعرض الجامع للزلازل عام (1202) كما هدمه (تيمورلنك) عام (740 هـ = 1400 م). وتعرض لعدة حرائق في عام (562 هـ = 1166 م) وعام (570 هـ = 1174 م) وعام (740 هـ = 1247 م). وعام (804 هـ = 1400 م) وعام (884 هـ = 1479 م) وآخرها كان في (1311 هـ = 1893 م). وفي كل مرة كانت تعاد عمارته حسب التصميم الأصلي. ولكنه فقد التزيينات والزخارف.

وكان للجامع الأموي دوراً هاماً، إذ كان مركزاً للحياة العامة، يأتيه الخليفة ليلقي الخطب السياسية، ويطبق العدالة بين الناس، وفيه كانت تحفظ أموال الدولة العامة، ووثائقها الهامة. وكانت تدرس فيه العلوم المختلفة، من قرآن وسنة وشريعة وقضاء، وغير ذلك...



دمشق الجامع الأموي

وصف صحن المسجد:

أبعاده (100 X 157 م). والحرم (37 X 139 م). وارتفاعه (20 م). وفيه قبر رأس النبي (يحيى) أي (يوحنا المعمدان). زينت جدران المسجد بالمرمر حتى

ارتفاع (7 م). وما بقي منها بالموازييك الملون أو المذهب أو المفصص المنزّل بالصدف. رصفت أرضه بالحجارة الصقيلة في عام (1883 م). وكان أصلاً مرصوفاً بالفسيفساء الحجرية والرخامية. ويوجد أجزاء منها في أرض الرواق الغربي.

الخزنة:

في باحته توجد غرفة مثمنة أقيمت فوق ثمانية أعمدة كورنثية ليس لها درج تدعى (قبة الخزنة). رقبتها من الرصاص. ارتفاعها عشرة أمتار. تناوبت فيها صفوف من الأحجار المنحوتة والآجر وزينت بالفسيفساء. شيدت في عهد أمير (دمشق) (الفضل بن صالح العباسي) عام (172 هـ = 788 م). وكان للخزنة سبعة أقفال، مفتاح كل قفل مع شخص مختلف لذا لا يمكن فتحها إلا بوجودهم جميعاً، وكانوا يحتفظون بالأموال العامة والوثائق المهمة في داخلها.

أضيفت (قبة النوفرة) في وسط الجامع، وهي بركة مثمنة الشكل، ولها قبة تعتمد على أربعة أعمدة ثخينة وأربعة أخرى أقل ثخانة، وعلى الجانبين بركتي وضوء. أزيلت فيما بعد. وبنيت أخرى في مكانها. وكان على طرفيها عمودان غرسا في أرض الباحة بدون قواعد لهما وكانا لإشعال النار.

أما (قبة الساعات)، التي أنشئت فكانت بناء صغير، مثمن الشكل، فوق بابه كتابة، مؤلفة من (13) سطراً، فوقها (الطغرة العثمانية). وله قبة من الرصاص، ترتكز على ثمانية أعمدة رخامية، تيجانها بيزنطية، فوقها أحجار على شكل هرم. كانت تحفظ فيها الساعات الرملية التي كانت تضبط أوقات الصلاة.

ويعتقد بأن قبة (تاج محل) في (الهند) بنيت على غرار القباب الشامية ثم انتقل شكل القبة إلى (روسيا) ومنها للغرب.

بعد حريق عام (1068 م) جرت إصلاحات وترميمات في الجامع، تخلدها لوحان رخاميان: أحدهما بالخط الكوفي يشير إلى أن الترميم حصل أيام

(المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله) أمير المؤمنين في دولة السلطان المعظم (شاهنشاه... أمير الفتح ملكشاه في شهور سنة خمس وسبعين وأربعمائة).

والآخر مماثل للأول يخلد ذكرى ترميم القبة، والمقصورة، والسقف، والقاعات، في عهد (المقتدي) أيضاً. وكلا اللوحان موجودان في (متحف دمشق). وفي عامي (1082 - 1083) أعيد بناء (قبة النسر). وغير ذلك من الترميمات.

وجدت لوحتان تسجلان إصلاحات في عام (1179 م) أي (575 هـ) في عهد (صلاح الدين الأيوبي). في الأولى آية الكرسي. وعلى الثانية النص الآتي (بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله... جدد ترميم هذه... الركنين في أيام الوالي الملك الناصر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه وذلك في شهور سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة النبوية).

كان للجامع في القرن (19) (75) مؤذناً، وفيه كثير من المصاحف منها واحد بخط (عثمان)، وكان الناس يتبركون به.

أروقة الجامع:

تستند أسقف أروقة الصحن الغربية والشمالية والشرقية على الجدران الخارجية، من جهة، وعلى دعامات وأعمدة، تحمل أقواساً كبيرة من جهة ثانية. فوقها صف من الأقواس الصغيرة، يفصل بينهما أعمدة صغيرة أيضاً.

الرواق الغربي:

كان جداره مغطى حتى ارتفاع كبير بالرخام لم يبقَ منه سوى الثقوب الجدارية. والقسم العلوي منه بالفسيفساء الزجاجية الملونة وتمثل مشاهد من أنهار ومنازل (دمشق) القديمة.

أما ردهة الباب الغربي فيوجد على جانبيها قاعات من المعبد الوثني. وسقفها مكسو بالخشب المدهون الملون من القرن (15) تحمله طبقتين من

الأقواس، العليا عبارة عن فتحات صغيرة مفصولة عن بعضها بأعمدة صغيرة، والأقواس السفلية تستند على أعمدة من الغرانيت الأحمر بواسطة تيجان كورنثية تعلوها تيجان غير مزخرفة ومكسوة بطبقة من الرخام الأبيض. أما الجدران فقد كسيت بالرخام الملون. وحل محله في القرن (18) ألواح من القاشاني حتى علو معين ثم تأتي الفسيفساء لتغطي بقية الجدار. ثم أضيفت أنواع أخرى في أوقات مختلفة مثل القاشاني في الأزرق من العهد العثماني.

على الجدار الجنوبي للردهة كتابة من الموزاييك تؤرخ إصلاحات في عام (669 هـ = 1270 م) بأمر من السلطان (بيبرس) وعلى الجدارين الشمالي والجنوبي نوافذ من المرمر الأبيض ذو التزيينات الهندسية.

الرواق الشمالي:

تسند أقواسه في قسمه الأوسط على دعامات وفي طرفيه الجانبيين على أعمدة مماثلة لأعمدة الرواق الغربي. أزيلت جميع العناصر الزخرفية بسبب الترميمات وبقيت قطعة من الفسيفساء في الطرف الشرقي من الرواق. وفي ترميمات وتزيينات القرن الثامن عشر غطيت دعامات الرواق الشمالي بالزخارف الجصية المحفورة.

وجدار هذا الرواق عليه نطاق كتابي يمتد على طوله وعلى طول الجدار الغربي أيضاً. مؤرخاً ترميم الشمالي وترخيم الغربي في القرن (15 م).

الرواق الشرقي:

ردهة الباب فيه مكسوة بالرخام والفسيفساء ورممت في عهود مختلفة، واحتفظت بأقدم قطعة رخامية في الجامع وتعود إلى القرن (8 م). كما بقيت فيه بقعة واحدة مكسوة بالفسيفساء الأصلية التي رصفت مائلة لتعكس بريق

ألوانها. وهناك كتابة تخلد ذكرى إصلاح جرى في عهد الملك (نور الدين زنكي).

القاعات:

توجد أربع قاعات موزعة في شرق وغرب الجامع تسمى (المشاهد). سميت بأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة. استعملت للعبادة، والاجتماع، وكمستودعات وخزائن للكتب. القاعة الشمالية الغربية هي مشهد (عثمان). وفيها ستة نوافذ أموية. ومشهد (أبي بكر) ثم مشهد (عمر)، يقعان في الطرف المقابل من الردهة. التي تفصلهما عن مشهد (عثمان). وفي الحائط الشرقي، يوجد مشهد (علي) و (الحسين).

مقام الحسين:

ويسمى مشهد (الحسين)، وضع رأس (الحسين) بعد قطعة في ثغرة بالحائط مدة ثلاثة أيام ثم دفن في مكان مجهول. وكان في هذا المقام ثلاث شعرات للرسول تمرر على الناس في اليوم السابع والعشرين من رمضان أي (ليلة القدر) ولكن هذا التقليد توقف. يوجد فيه مقام ومصلى الإمام (زين العابدين). وكان صغير السن ومريضاً. حينما أتوا به مع ما تبقى من نساء آل البيت، حيث وضعن في الغرفة الداخلية، وترك الطفل حراً في القاعة الخارجية، فكان يأوي إلى هذا المكان طوال الوقت للصلاة والعبادة.

المآذن:

مئذنة العروس:

المئذنة السفلى الصغيرة من القرن (8 م) من عهد (الوليد بن عبد الملك)، والثانية من القرن (11 م) أعيد بناء الجزء العلوي منها في عام (1893 م). كانت الإشارات الضوئية ترسل منها في العهد المملوكي لتصل إلى (القاهرة) عبر المآذن للإنذار بالخطر.

المئذنة الغربية أو مئذنة قايتباي أو مئذنة الغزالية:

بنيت على برج قديم، أصابه الحريق عام (1479). أعاد السلطان (قايتباي) إنشاءها عام (1388 م).

المئذنة الشرقية أو مئذنة عيسى:

مبنية على برج قديم، وهي أعلى المآذن. جدد قسمها العلوي في العهد المملوكي (1247) أيام الحروب الصليبية. وأدخلت عليها التعديلات في العهد العثماني.

الحرم:

أبعاده (37 X 139 م). يوجد فيه أربعة محاريب مزخرفة بالكتابات القرآنية محفورة بالرخام الملون. ومنزلة بالصدف. وهي من اليمين إلى اليسار: الحنبلي، الشافعي، الحنفي، المالكي. وجميعها قديمة عدا الحنفي بناه (تنكز) في عام (728 هـ). والحائط الذي فيه المحاريب أصلي، وهو ما تبقى من كامل البناء.

(قبة النسر) في وسط السقف الجملوني، مغطاة من الخارج بالرصاص، ترتفع (36 م)، وهي مقتبسة عن الهندسة اليونانية. وقد احترق الحرم في عام (1893) مع القبة والجزء العلوي من مئذنة (العروس). ولم يبقَ من السقف القديم سوى قسمان شمال وجنوب (قبة النسر). يظهر بهما السقف الخشبي المحفور والمدهون بالألوان والذهب.

يوجد أربعة عضادات ضخمة تحمل (قبة النسر) المثمنة والمزودة بالنوافذ. وعليها اسم الجلالة (الله)، واسم الرسول (محمد) وأسماء الخلفاء الأربعة (أبو بكر) و (عمر) و (عثمان) و (علي). وحفيدي الرسول (الحسن) و (الحسين).

نوافذ المصلى مصنوعة من الجص المعشق بالزجاج الملون. عددها أكثر من (100). أعمدة الحرم كورنثية، معظمها جديد، من القرن (19)، وعددها (38) عمود. ستة منها رومانية، موجودة في شرق وغرب الحرم، أحضرت من (أسوان) في (مصر).

قبر النبي (يحيى):

النبي (يحيى) هو (يوحنا المعمدان) الذي تنبأ بقدوم السيد (المسيح). أبوه (زكريا) وأمه (إليزابيت) اللذين منحهما الله هذا الطفل الوحيد وهما عجوزان.

تقول الأسطورة أن (يوحنا المعمدان) رفض إغراءات (سالومي) ابنة (هيرودويا) زوجة (هيرودوس) التي كانت زوجة أخيه. وكان (يوحنا) يعلن عدم موافقته على زواجها من أخي زوجها لذلك غضبت وأرادت القضاء عليه. ومانع (هيرودوس) لأنه كان يعرف أنه رجل دين وله أهمية بين قومه. كما كان غاضباً منه لتبشيره بالمسيح والدين الجديد. وحينما رقصت (سالومي) لعمها، سر منها ووعدها بتحقيق أية أمنية تطلبها فدفعتها والدتها لطلب رأسه على صينية وهكذا كان، ووضع الرأس على صينية، وأرسل إلى البلاد التابعة للرومان كعبرة لمن يعتبر ودفن في هذا المكان.

وحينما أراد المسيحيون إنشاء كاتدرائية اختاروا هذا المكان وأسموها باسم القديس (يوحنا المعمدان). ولكونه نبي لدى المسلمين، احتفظوا بقبره عند إنشاء الجامع وبنوا له ضريحاً ضخماً من الخشب مزين بالنقوش ولكنه احترق مع الجامع فاستبدل بالرخام المزخرف.

ويعتقد أن رأس القديس (يوحنا) موجود في صندوق من ذهب. وقد روي عن (زيد بن واقد) وكان موكلاً على العمل أثناء بناء الجامع الأموي في عهد (الوليد بن عبد الملك) أنه قال: «بينما والبناؤون يبنون إذ وجدنا حفارة، فأخبرنا (الوليد) فلما كان الليل، جاء (الوليد) وبيده الشمع ففتحه، فإذا فيه طست وفي الطست رأس مكتوب على الطست: هذا رأس نبي الله (يحيى بن زكريا) عليهما السلام، فرده إلى مكانه، وقد بنى عليه ضريح من الرخام الأبيض وعليه قبة خضراء مطرزة بالذهب».

أبواب سور معبد جيوبيتير:

باب البريد:

هو المدخل الغربي لمعبد (جوبيتير) الدمشقي. كان له رواق محمول على

أعمدة ما زالت بقاياه قائمة. كان بابه قائماً حتى العهد الأيوبي، حينما أمر الملك (العادل) بنقل حجارته وأعمدته إلى قلعة (دمشق) لإعادة بنائها. كان هناك قناة للماء عند أسفل درج (باب البريد) عن يمين النازل. وكان الدرج في موضع المنحدر بين (سوق الحميدية) و(المسكية) إلى جانب الرواق البيزنطي. ربما اشتق اسم الباب من لفظة (بريدا) بالسريانية وتعني الرسل والرسائل وخيل البريد. ولا توجد صلة لهذا المعنى مع الموقع. والأقرب أن تكون من الكلمة (بريتا) وتعني الساحة، الشارع، العَرَصَةَ، والخليقة. وبالآرامية (بريت - بريتا) تعني التحالف والعهد. والأرجح أن تكون (بريتا) السريانية لأن المنطقة كانت ساحة واسعة.

باب جيرون:

هو المدخل الشرقي لمعبد (جيوبيتر). كان له باب قديم جداً، من خشب الصنوبر المغطى بالنحاس، إلا أنه احترق. بقاياه ما زالت عند النهاية الشرقية من حي (النوفرة) بينه وبين بداية سوق (القيمرية). يتناظر هذا الباب مع بقايا القوس الروماني عند (باب بريد). وكلا البابان كانا في السور المحيط بالمعبد. ثم أخذ باب الجامع الشرقي اسم (جيرون) في القرن الرابع للهجرة. وتسمية (جيرون) (Jiron)، كان لها تفاسير عديدة وغريبة. ومنها الكلمة العربية (الجار) أو تكون عن الكلمة السريانية (جورنا) بمعنى الجرن أو الحوض. أو قد تكون من الجذر الآرامي جيروجور (GYR) أو (GWR) ومعناه الحرم أو الملجأ. وبذلك يكون معنى باب جيرون: (باب الحرم).

أبواب معبد جيوبيتير:

1 ــ الباب الغربي أو باب بريد:

للباب ثلاثة مداخل ويعتقد أنه مدخل معبد (جيوبيتير) الأصلي هو الأوسط. أما الجانبيان فقد نفذا في عهد لاحق.

صفحت درفات هذه المداخل بالنحاس في العهد المملوكي. وهناك

كتابات تدل على تاريخ صنع درفات البابين الجانبيين في عهد السلطان (المؤيد شيخ). وقد رمما حديثاً.

2 ــ الباب الشرقي أو باب جيرون:

ثم صار اسمه (باب الساعات) في القرن السادس الهجري في عهد (نور الدين زنكي) ويدعى أيضاً (باب النوفرة) و (باب القيمرية) و (باب اللبادين). وهو أكبر الجميع جدده السلطان المملوكي الملك (المنصور عبد العزيز) (808 هـ). كان عند الباب على الحائط غرفة على شكل طاقة كبيرة فيها كوات على عدد ساعات النهار. كانت تسقط صنجتين من منقاري بازين كل ساعة في إحدى الكوات لتعيين الوقت. ولكن الغرفة احترقت مع الجامع.

3 ــ الباب الجنوبي:

(باب القوافين) أو (باب الزيادة) أو (باب الغبرانية) أو (باب الساعات) إذ انتقلت إليه التسمية من الباب الشرقي للجامع. وكان أمامه أعمدة مماثلة لبقية الأبواب تقود إلى قصر الخليفة (معاوية) (قصر الخضراء)، وحل محله (سوق الصاغة). وقد سد بعد الحريق الذي حصل. والمحراب الرئيسي الحال هو إحدى فتحات هذا الباب. يعلوه ساكف مزين بتزيينات اهليلجية.

4 ــ الباب الشمالي:

(باب العمارة) أو (باب الكلّاسة) (نسبة إلى مدرسة مهدمة قربه)، أو (باب الناطفيين) أو (باب الفراديس) لأنه كان يؤدي إلى باب المدينة المسمى بهذا الاسم، أو (باب السلسلة) على اسم درب (السلسلة). جدد في العهد المملوكي (1109 م = 503 هـ). يتدلى من ساكف الباب، في منتصف القوس، حجر أسود، يدعى مفتاحاً وهو أقدم مثال لهذا المفتاح. تعلو الباب كتابة كوفية مزهّرة من العهد السلجوقي.

مسجد خالد بن الوليد:

هو أول مسجد بني في (دمشق) في عهد الفتح العربي الإسلامي (14 هـ

= 636 م)، وكانت (دمشق) والقرى المحيطة بها عامرة بالأديرة والكنائس، فاتخذ المسلمون وقائدهم (خالد بن الويد) أثناء الحصار الذي دام أربعة أشهر في عدة أديرة منازل للجند ومخازن للأسلحة.

من هذه الأديرة: (دير صليبا) أو (دير السائمة) وكان حسن البناء تحيط به الأشجار والمياه الجارية، وقد دثر الآن. ودير خرب قرب (دير البقر). وآخر قرب (باب توما) واسمه (دير سمعان) وهو (لليعاقبة)، وكان أيضاً مهجوراً فاتخذه (خالد) مصلى له ولجيشه خلال الحصار.

وكان المصلى بسيطاً يتألف من قطعة أرض مستطيلة لا سقف لها، أرضها من الجص ولها أربعة جدران، ولا توجد أية معلومة واضحة حول هذا الدير. وقد ذكره (رتيشارد بوكوك) (Richard Pocicke) الذي زار (سورية) بين (1737 و 1740 م) ضمن بعض الأديرة وكان قد دثر وبني في مكانه (مسجد خالد) و(زاوية الشيخ رسلان).

في عهد الأمويين والعباسيين ثم الفاطميين وحتى أواخر القرن الخامس الهجري بقي المصلى على حاله. وفي عهد السلاجقة رمّم ووضع فوق بابه لوحة حجرية عليها كتابة وتأريخ للترميم في عام (444 هـ)، الذي لم يبق منه سوى هذه اللوحة. وذكره بعد ذلك (ابن عساكر الدمشق) الذي توفي عام (571 هـ) في كتابه (تاريخ مدينة دمشق) وأخذ عنه بقية المؤرخين.

في عهد (نور الدين زنكي) كان هناك واحد من المتصوفين الكبار واسمه الشيخ (أرسلان الدمشق) فابتنى لنفسه زاوية ملاصقة لمسجد (خالد بن الوليد) العامر وكان ذلك بين (549 و 551 هـ).

وفي عهد الأيوبيين رمم المسجد، وهناك كتابة على نفس اللوحة السلجوقية تؤرخ المكان واسم بانيه (أبو البركات بن أبي علي) وهو ابن أحد تلامذة (الشيخ رسلان) في عام (580 هـ) وكان وزينت اللوحة من الأعلى بزخارف على شكل محاريب متكررة بشكل أفقي.

وتحول المسجد في الحادي عشر الهجري إلى مدرسة (الخالدية) لتعليم

اللغة،وذكره بعض الرحالة ثانية ومنهم (جون بورتر) (John Porter) بين عامي (1850 و 1855) حينما مر بضريح الشيخ (أرسلان) ورأى مسجد (خالد بن الوليد) خراباً. وكذلك ذكره الفرنسي (سوڤير) (Sauvaire) والألمانيون (كاتسنكر وفولتسنكر) و (هرتسفلد) (Herzfeld) والمؤرخ الدمشقي (عبد القادر بدران) الذي توفي (1927 م).

وبقي من بناء المسجد محراب حجري صغير مجوف داخل الجدار الجنوبي للمسجد وهو أيوبي الطراز والمسجد الآن خراب محاط بتربة مسجد (الشيخ أرسلان).

جامع السنانية:

عثماني، بناه والي (دمشق) (سنان باشا) عام (1586 م = 994 هـ). يحتل مكان (مسجد البصل) القديم. وهو مستطيل تعلوه قبة. واجهات المسجد الخارجية حجرية، تتناوب فيها المداميك البيضاء والبازلتية. للمسجد ثلاث بوابات في الشمال والغرب والشرق. الباب الرئيسي هو الغربي يعلوه قوس تحيط به الزخارف والقاشاني. وفوق الباب قبة مقرنصة تنتهي بقوقعة محززة. إلى يمين المدخل يوجد طالع ماء.

للمسجد صحن، في أحد جدرانه، سبيل على شكل محراب، مزين بالقاشاني، وفيه كتابة غير واضحة، تؤرخ البناء واسم بانيه الوالي (سنان باشا). يتوسط الصحن بركة وضوء، مثمنة الشكل. بلاط الصحن عبارة عن دوائر حجرية ملونة.

في الزاوية الجنوبية الغربية للصحن مئذنة. قاعدتها مربعة، تتحول إلى موشور، مغطى بالخزف الزنجاري، ذي اللون الفيروزي. فوق الموشور أسطوانة، تنتهي بمخروط مدبب، مغطى بطبقة من الرصاص، يعلوه هلال.

جنوب الصحن، رواق يعتمد على أعمدة وأقواس، واجهته حجرية. المداميك بيضاء وبازلتية، وسقفه معقود. فوقه سبع قباب.

يقع الحرم جنوب الرواق، والمحراب فيه ذو طابع دمشقي مصري. والمنبر من المرمر، يعود إلى بداية القرن التاسع عشر. زخرف بأقواس، وأشكال هندسية. في الجدارين الشمالي والجنوبي، شريط من القاشاني، فيه آية من القرآن الكريم. وفي الحرم ممرات وسدة.

لجدران الجامع نوافذ ومحاريب تتناوب مع بعضها عدا الجدار الشمالي. غطيت الجدران بالقاشاني، استبدلت فيما بعد بألواح جصية على شكل المرمر المجزع. وبعض الأجزاء، غطيت بلوحات تزيينية حديثة. ويوجد فيه أدراج تقود إلى السطح.

جامع الشيخ محي الدين:

عثماني، بناه السلطان (سليم الأول) عام (1518). كان بجواره مدرسة كبيرة. كسيت قبته بالقيشاني. وله مئذنة.

دفن فيه (محي الدين بن العربي بن محمد بن أحمد بن عبد الله) إمام الصوفية ورئيس طريقتهم. ولد في (مرسين) (بتركيا) عام (560 هـ) وسكن (دمشق)، وفيها نشر علومه. ثم توفي فيها عام (638 هـ = 1240 م). سيج قبره بأسلاك من الفضة المتشابكة.

وكان في المسجد قبر الأمير (عبد القادر الجزائري) الذي توفي عام (1882) وقد نقلت رفاته إلى (الجزائر) فيما بعد.

جامع درويش باشا أو السياس:

عثماني. بناه الوالي (درويش باشا) عام (1574 م = 982 هـ). فيه مدرسة ومدفن. صحن الجامع مستطيل. مدخله تحت المئذنة. أمام الحرم رواق، فوقه قباب صغيرة. ويغطي الحرم نفسه سبع قباب. واحدة عالية في الوسط وثلاث على كل جانب فوق الرواقين. العتبة من الداخل مزينة بزخاف كتابية. وجدران الأروقة مغطاة بالقاشاني. في الحرم محراب مكسو بالقاشاني.

أما المئذنة فهي حجرية مؤلفة من عشرين ضلعاً. يحيط بها شريط تزييني.

شرفة المؤذن كانت قائمة على شريط من المقرنصات. يعلو المئذنة مخروط رصاصي.

جامع التوبة:

أيوبي. بناه الملك (الأشرف موسى) ابن الملك (العادل) عام (1234 م = 632 هـ) وسمي جامع (التوبة) لأنه أقيم في موضع بيت للفجور في حي (العقيبة). فيه محراب مزين بزخارف جصية نباتية وهندسية.

جامع تنكز:

مملوكي. بناه نائب الشام الأمير المملوكي (تنكز) عام (1318 م) في شارع (النصر).

جامع السبائية:

مملوكي. بناه الأمير (سيباي) عام (1516 م) في باب (الجابية). كانت الغاية من بنائه أن يصبح مدرسة اسمها (جمع الجوامع). أخذت حجارته من أنقاض أبنية كثيرة.

جامع السيدة زينب:

تكنى (بأم كلثوم). العقيلة الكبرى ـ عقيلة (بني هاشم) ـ عقيلة الوحي ـ العقيلة ـ أم المصائب ـ عابدة (آل علي). أبوها هو الإمام (علي بن أبي طالب). وأمها (فاطمة الزهراء) ابنة النبي (محمد). التي توفيت وكانت (زينب) طفلة مع أخويها (الحسن) و (الحسين). ولدت (السيدة زينب) في العام الخامس أو السادس للهجرة. سماها جدها النبي (زينب) تخليداً لاسم ابنته (زينب) التي توفيت قبل أيام من ولادتها. زوجها هو (عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب).

شهدت مصرع أبيها (علي) في مسجد (الكوفة) ومصرع أخيها الحسين، وإخوانها من أبيها، في (كربلاء) عام (61 هـ). وكانت تضمد جراح رجال

أهل البيت. وهي التي رفعت جسد (الحسين) نحو السماء قائلة: اللهم تقبل هذا القربان. وقفت في وجه (عبد الله بن زياد) قائد جيش (يزيد بن معاوية) الذي قاتل (الحسين) في (كربلاء). ورعت ابن اخيها (علي زين العابدين بن الحسين)، وكان آخر نسل النبي من الذكور. سكنت في قرية (راوية) جنوب (دمشق) مع زوجها لعدة سنوات. وتوفيت ودفنت قربها. أما قبر زوجها (عبد الله بن جعفر الطيار) فهو في تربة الباب الصغير. وكانت وفاتها في عام (63 هـ أو 65 هـ) وعمرها يقارب الستين. سميت باسمها واحدة من أخواتها لأبيها. ضريحها في قرية (السيدة زينب) وتبعد (7 كم) عن دمشق. وهي قرب قرية (راوية) وفيها شيد لها قبر في المسجد الذي بدأ بناؤه عام (1947). وهو مربع الشكل فوقه قبة، ارتفاعها (20 م)، زينت من الداخل بالقاشاني، ومن الخارج بالسيراميك. وغطيت بالذهب. باب المسجد من الذهب الخالص والمينا. وحيطانه من الداخل مغطاة بالمرايا من (النمسا) والرخام من (إيطاليا)، وزينت الأعمدة بالقاشاني. حاجز القبر من الفضة الهندية. أما التابوت فمن خشب الأبنوس المطعم بالعاج، وأسلاك الذهب والفضة، وفيه تاج ذهبي.

أهم المدارس في دمشق:

المدرسة العزيزية:

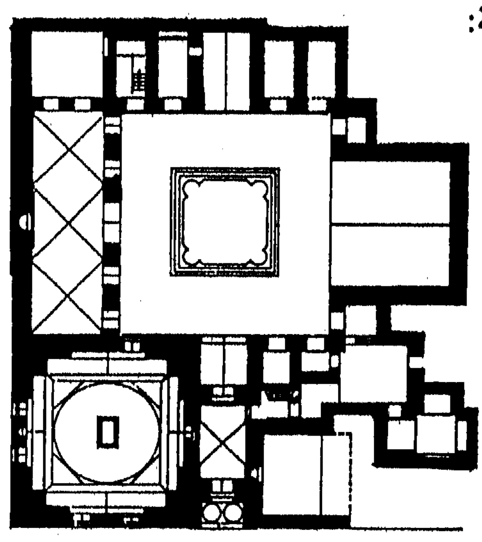
أيوبية. فيها ضريح (صلاح الدين الأيوبي). بناها ابنه الملك (العزيز عثمان) عام (1193 م). وتهدمت يوم عاشوراء عام (1197 م) أي (592 هـ). حينما توفي (صلاح الدين) عام (1193 م) دفن في (قلعة دمشق) مقر إمارته. فبنى ابنه (العزيز عثمان) هذه المدرسة بسرعة. ونقل جثمان أبيه (صلاح الدين) إلى مدفنها المربع. ودفن في تابوت من الخشب المحفور والمزين بزخارف هندسية ونباتية بارزة. وفي أعلاه وحوله نقشت آية الكرسي بالخط الكوفي المشجر من القرن (12 م).

وقد أهدى السلطان (عبد الحميد) ضريحاً رخامياً عام (1978) ولكنه لم يستعمل. وحينما أتى الإمبراطور الألماني (وليم الثاني) إلى (دمشق) لعقد

معاهدة مع السلطان (عبد الحميد الثاني) عام (1295 هـ = 1898 م). وحينما زار المقبرة أهداها مصباحاً عليه الحرف الأول من اسم الإمبراطور وفوقه التاج الملكي. لم يبق من البناء الأصلي إلا الباحة والمدفن. جدده الوالي العثماني عام (1900 م = 1294 هـ) وبنى الأبواب الخارجية. وطرأ تعديل على غرفة المدفن من أجل بناء محراب فيها. القبة ذات حزوز فيها نوافذ صغيرة ومحاريب تزيينية. والبناء بسيط، فيه كسوة قاشانية من عام (1627 م = 1037 هـ) من العهد العثماني.

أما الباحة ففيها قوس رئيسي، والآخر موجود في الزاوية الجنوبية الشرقية منها. البركة الحالية أقدم عهداً من المستديرة، التي هي من عهد بناء الأعمدة الأربعة، والتي كانت مكان قبور الضباط الطيارين الأتراك، وهم أول من قتل في الحرب العالمية الأولى. ويوجد قبران آخران. أحدهما لرئيس وزراء سورية الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر) الذي استشهد في (9 تموز 1940) والآخر لرئيس وزراء العراق (ياسين باشا الهاشمي) واستشهد في (27 كانون الثاني 1937).

المدرسة العادلية:



دمشق ـ المدرسة العادلية

أيوبية. من عهد الملك (العادل، سيف الدين أبو بكر أيوب) أخو (صلاح الدين) وحكمه كان بين (592 هـ - 615 هـ) أي (1196 - 1218 م). أراد أن تكون مدرسة للشافعية، ولكنه مات قبل إتمامها. فأنهى ابنه (المعظم) البناء. ومن أهم شخصياتها (ابن خلكان) صاحب كتاب (الأعيان) و (محمد بن مالك).

والمدرسة بسيطة، لأنها أنشئت إبان الحروب الصليبية، وبنيت بالحجارة الضخمة الخالية من الزينة. بوابتها فخمة، ومزينة بالمقرنصات، وفي أعلاها حجر الأساس (المفتاح) الذي ليس له مثيل في أبنية (دمشق). حول الباحة أبنية من عصور مختلفة، أهمها القاعة الرئيسية في الجنوب، وللبناء قبة قائمة على رقبة. طرأ على واجهاتها الداخلية بعض التعديل ورممت عدة مرات. باحتها والمدفن وقاعة المحاضرات. وقاعة (رئيس المجمع) حافظت على بعض المظاهر القديمة.

على يسار المدخل مدفن الملك (العادل). وتعلوه قبة مزينة بالمقرنصات.

وحالياً هي مقر المجمع العلمي العربي.

المدرسة الظاهرية:

كان في مكانها دار (أبو القاسم أحمد العقيقي) المتوفي عام (988 م). بناها الملك (الظاهر بيبرس) المملوكي، عام (678 هـ = 1279 م). وجعل فيها الملك (السعيد بركة بن الملك الظاهر) مدرسة ومقبرة هي القاعة اليمنى عند المدخل. حيث دفن هو وأبوه فيها. ودام حكم (السعيد) بين (676 - 678 هـ) أي (1277 - 1279 م).

استوحى البناء من (المدرسة العادلية)، وكان أوسع مما هو عليه الآن. بنيت الظاهرية بالحجارة الملساء. والواجهة غطيت بالحجارة الكلسية على شكل مداميك. لها بوابة فخمة ذات مقرنصات تجتمع عند قبة صغيرة على شكل قوقعة محززة الأضلاع. وفيها ثلاثة صفوف من الكتابة العربية المزينة بالزهور والزخارف.

جدران المدفن مزينة بالرخام الملون والفسيفساء، حتى ارتفاع النوافذ،

مسافة (1.5 م). والبقية تختفي تحت قشرة كلسية. وفيه محراب له إطار مزخرف يعود إلى القرن السادس عشر. أقواس النوافذ الموجودة في القبة محاطة بفسيفساء زجاجية ذهبية اللون بيزنطية الطابع. توجد قمريات مستديرة للإنارة بيزنطية الطراز. يبدو أن هذه الغرفة كانت بيزنطية ثم تحولت إلى إسلامية.

المدرسة الجقمقية:

بناها الملك (الظاهر سيف الدين جقمق) المملوكي، عام (1412 م) أي (284 هـ). واجهاتها الخارجية بسيطة وأقل أبهة من المدرستين (العادلية) و(الظاهرية). بوابتها عالية، مزخرفة بالمقرنصات، تعلوها نصف قبة محززة، تزينها الخيوط العربية المتشابكة التي تحيط بلوح من الرخام المجزع أي المجزأ إلى أشكال هندسية متعددة الألوان. جدران المدرسة مزينة بالرخام المجزّع، والكتابة الكوفية المزهّرة، ومبنية بمداميك تتناوب الأحجار السوداء مع الزهرية، يتخللها في الوسط صف من حجارة بيضاء وسوداء متعرجة. وتوجد كتابات نسخيّة على شكل نطاق حول جدران واجهتي البناء.

مخططها الداخلي مؤلف من عتبة واطئة تتوسطها بركة ماء مثمنة. والرواق يعلو عن العتبة، ويحجزه عنها صف من الأعمدة، جدران الرواق، وهو (المصلى وقاعة الدرس) مزينة من الأسفل بالرخام المجزع، والرخام المزين بزخارف منحوتة بارزة مذهبة، تتألف من عناصر نباتية. يعلوه شريط عريض من الكتابة القرآنية، بالخط النسخي، كسيت بقشرة ذهبية.

سقف المحراب، عبارة عن حنية ملساء، وعلى جانبيه عمودان صغيران، يعلو كل منهما تاج، فيه صفان من الأوراق المجوفة. كان للمدرسة قبتان، بقيت واحدة منها. والأخرى تهدمت بقنابل الفرنسيين عام (1945) واستعيض عنها بسقف مستوٍ. على طول الجدار الجنوبي، توجد محاريب تزيينية لها أعمدة صغيرة. في أعلى كل نافذة لوحة حجرية مذهبة مكتوبة بالخطين الكوفي المشجّر والمثلّث.

كانت (الجقمقية) إحدى مدارس الحي الجامعي المحيط بالجامع الأموي

في القرن التاسع الهجري أي (15 م). وكان يشغلها حتى أوائل القرن العشرين الشيخ (عيد السفرجلاني). وفيها تعلم أكثر رجالات دمشق في أواخر القرن التاسع عشر. أصبحت هذه المدرسة حالياً متحفاً للمخطوط العربية. تعرض فيها أختام، وقصب الكتابة، ومحابر، ومخطوطات عدة. وإيضاحات عن تطور مراحل الأبجدية. إضافة إلى نماذج عن مدارس الخطوط العربية.

ويقع مدفن الملك (الظاهر جقمق) وأمه في الزاوية الشمالية الشرقية. جدرانه مزينة كما المصلى.

المدرسة الشامية البرانية (ست الشام):

أيوبية. تقع في (سوق ساروجة) بنتها (خاتون ست الشام، زمرد بنت نجم الدين أيوب). كانت أخت لعدة ملوك أشهرهم (صلاح الدين الأيوبي). وعمة خمس وثلاثون من أولادهم أصبحوا ملوكاً فيما بعد. كانت تقية، ومحسنة، فنذرت (المدرسة الشامية البرانية والجوانية) للعلم والمعرفة والثقافة. وجعلت لهما أوقافاً للصرف عليهما.

أشرف على البناء (شبل الدولة، كافور الحسامي). مع ابنها (حسام الدين)، لذا سميت في وقت من الأوقات بالمدرسة (الحسامية).

احترقت بكاملها مع (جامع تنكز) و (الخاتونية البرانية) أثناء القتال بين (يلبغا الناصري) والأمير الثائر (منكاس) وأعيد بناؤها فيما بعد.

وفي العهد العثماني أصبحت مدرسة للذكور. وفي الأربعينات رُممت، وصارت مدرسة ابتدائية للأيتام، تحت إشراف الإسعاف الخيري.

أحيط المبنى بسور حجري من العهد الروماني وأزمنة أخرى.

في البناء توجد:

التربة الملائية:

دفن فيها الأمير (علاء الدين بن زين الدين) عام (568 هـ = 1179) مع والده.

وهي بناء حجري مربع الشكل. له مدخل، فوقه قوس، تعلوه قبة، لها رقبتان. كل منها لها ثمانية أضلاع، وأربع نوافذ في الجهتين الشرقية والغربية. والقبة مبنية على شكل أقواس متراكبة من الداخل، وكروية من الخارج. ولها حنايا في الزوايا.

قاعة المدرسة الشامية:

دفنت فيها (ست الشام) عام (587 هـ = 1191 م) ودفن أيضاً فيها كل من ولدها وأخيها وزوجها. الأول من الشمال قبر (فخر الدين توران شاه بن نجم الدين أيوب) وهو أخو (ست الشام). وكان صاحب (اليمن).

والثاني قبر زوجها (ناصر الدين محمد بن شركوه) صاحب (حمص)، والثالث لولدها (حسام الدين بن عبد الله بن الأجين).

جرت عليها عدة ترميمات لذا اختلفت الزخارف وطراز الزجاج المعشق. والقاعة مربعة الشكل، طول ضلعها (10.5 م). سقفها على شكل عقود دائرية. تتصل مع بعضها لتشكل قبوات متقاطعة. يعلو كل جدار قوس موازٍ للعقود الدائرية. وتحتوي على زخارف جصية، ونقوش أيوبية، وكتابات، ونوافذ معشقة.

في منتصف الجدار الشمالي، باب رئيسي، له عتبة، حجارتها من العهد الروماني. تعلوه نافذة كبيرة مستديرة، على جانبيها، نافذتان مستطيلتان كبيرتان، أقيمتا فوق بابين صغيرين. تحيط بهما زخارف نباتية جصية.

أما الجدران الثلاثة الأخرى، فهي متشابهة بالنقوش، وتتناظر بالنوافذ والأطر والأقواس في أعلى كل جدار قوس تعلوه نافذتان مستديرتان أو مستطيلتان، ومثلهما داخل القوس. على طرفي القوس لوحات جصية، تزينها أطر من الآيات القرآنية. بعض هذه الزخارف كانت أدعية وتاريخ وغير ذلك.

يوجد باب يقود إلى المسجد الملحق بالقاعة التي كانت مدرسة للعلم. ثم صارت مدفناً.

المسجد:

ويقع إلى جانب القاعة بينهما باب. وهو بناء بسيط، يحتوي على منبر ومحراب، خالي من الزخارف. له مئذنة مفصولة عنه. مبنية من مداميك حجرية. مربعة الشكل، أيوبية الطراز. تغطي شرفتها صفائح من القصدير، ولها درابزين خشبي. قسمها العلوي أنشيء بعد العهد الأيوبي، ويحتوي على باب خاص يوصل إلى الأعلى. وباب آخر يوصل إلى الأسفل.

أمام القاعة والجامع رواق مزين بقبوات متقاطعة، وقناطر متتابعة، محمولة على أعمدة من مداميك حجرية سوداء وبيضاء. يعلوها صف من النوافذ المستطيلة المتتابعة. تطل على بركة ماء مستطيلة ذات محاريب أربعة.

مدرسة أسعد باشا العظم:

عثمانية. بناها (عبد الله باشا العظم) أخو (أسعد باشا) (1770 م). كان الطلاب من آسيا وأفريقيا يأتونها لتعلم القرآن وفقه الدين. أهمل البناء فيما بعد، وأصبح تابعاً لوزارة الأوقاف، التي حولته إلى مستودعات لتجار (الحميدية). ثم رممته مديرية الآثار والمتاحف، وصار محلاً لبيع الشرقيات.

فيها قبة مهدمة وباحة سماوية . يتألف البناء من طابقين، أمام كل منهما أروقة.

مدرسة الصاحبة:

أيوبية. بنيت عام (1233 م) في حي (أبي جرش).

وهناك عدد كبير من المدارس الأخرى.

التربة النجمية:

دفن فيها الملك المنصور (حسن بن صلاح الدين) عام (575 هـ = 1179

م). ودفن فيها أيضاً خمسة آخرون.

وهي بناء مربع حجري. له مدخل رئيسي في الجهة الشرقية. وثلاث نوافذ متناظرة مع المدخل شكلاً وموقعاً. كل جدار فيه باب له طراز خاص به. وفوق البناء توجد رقبة مثمنة الأضلاع. وفوقها رقبة أخرى فيها ست عشرة ضلعاً، على شكل محاريب. وفي كل ضلع نافذة تتناوب الفتح والإغلاق فيما بينها. المفتوح منها مزين بالزجاج المعشق الملون، وفوقها قبة محززة، فيها ست عشرة حزاً. وتوجد نقوش كلسية وزخارف جصية على شكل مقرنصات، أو إطارات مربعة أو مستطيلة، يحمل أحدها تأريخاً للمبنى.

الخانات:

خان أسعد باشا:

عثماني، يقع في البزورية وكان مركز التجارة في (دمشق). كما كان سوقاً لتجار الجملة، فيه مكاتبهم، ومستودعاتهم، يتألف البناء من طابقين. جدرانه مداميك سوداء مزرقة، وبيضاء مصفرة. واجهة الخان مزخرفة فيها قوس ثلاثي الدرجات، يرتكز على أعمدة رفيعة صغيرة الحجم مزخرفة. على البوابة مقرنصات، تشكل أطراً مقلوبة، على شكل نصف دائرة. فيها كتابة تؤرخ البناء من عام (1166 هـ = 1752 م). عند المدخل مقعد حجري للاستراحة ولمساعدة الحمالة في تنزيل البضائع. وللباب مصراعان من الخشب المصفح بالحديد المزخرف، يفتح لإدخال الحمولات العالية. واحد منها فيه باب صغير لدخول الناس. في الباحة دعامات أربعة، ونوافذ، وأقواس زخرفتها جميلة. تعلو الباحة قبة كبيرة، حولها ثمانية قباب صغيرة، فيها زخارف جصية، زرقاء وحمراء جميلة.

ويطل على الباحة صفان من الغرف المخصصة للتجار، الخلفية منها مكاتب والأمامية مستودعات. كما يوجد خمسة ممرات. ودرجان شمالي وجنوبي يقودان إلى غرف الطابق العلوي.

أقيم في باحة الخان حفل استقبال (جمال باشا) قائد الجيش التركي الرابع عام (1918 م). كما زاره الشاعر الفرنسي (لامارتين) وذكرته قبة الخان العالية بقبة كنيسة (القديس بطرس) في (روما).

خان الجمرك:

عثماني. في وسطه قاعة. فيها ستة قباب صغيرة.

وكان هناك عدد من الخانات منها: التتن، الصوف، السفرجلانية، الصدرانية، الصاغة، الحرير، الشيخ قطنا، الجوار أو الحرمين، الزعفرانجية، السيد، الدكة، الزيت، جقمق والجوانحية.

تكية السلطان (سليمان) القانوني (التكية السليمانية):

كان قصر (الأبلق) في موضعها. بناه الملك (الظاهر بيبرس) خارج (دمشق). ودمره (المغول)، بقيادة (تيمورلنك) عام (1400). وفي العهد العثماني، أراد السلطان (سليمان القانوني) أن يقيم ملجأ للفقراء، فعمّر التكية، مستفيداً من أنقاض البناء القديم. فأتت مزيجاً من الفن العربي والعثماني، المتأثر بالفن البيزنطي الأستانبولي، وتتميز العمارة العثمانية عموماً بالمداميك ذات الألوان المختلفة.

(سليمان القانوني) هو ابن السلطان (سليم الأول)، فاتح البلاد العربية، وحكم بين (962 و 967 هـ) أي (1554 ـ 1560 م). أشرف على البناء المهندس التركي الشهير (سنان) (Sinan) باشا. واستمر البناء ست سنوات. وفي رواية أخرى أن المهندس كان (ملّا آغا)، وهو إيراني الأصل، ومعه مراقبو بناء أتراك، أحدهم اسمه (مصطفى). مساحة البناء (126 X 86 م). وتتألف التكية من بناءين شرقي وغربي.

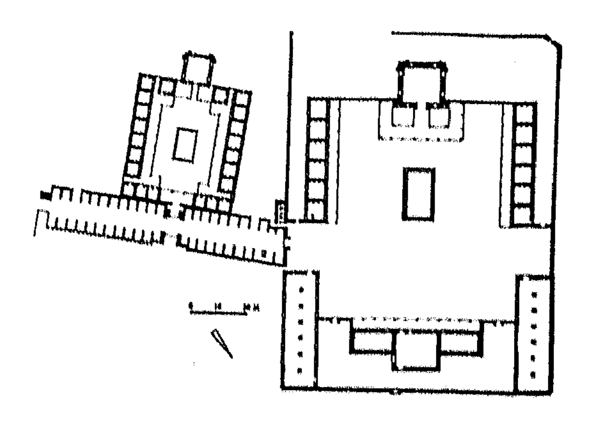
البناء الغربي:

كان جامعاً، ومطبخاً، ومأوى للدراويش، والغرباء، ومدرسة دينية،

ومركزاً لقوافل الحج. وهو الآن (المتحف الحربي)، افتتح في أيلول (1959). له سور منخفض، وثلاثة أبواب شرقي وغربي وشمالي. باحته المساوية تتوسطها بركة ماء. أما الجامع فمربع الشكل، تعلوه قبة كبيرة، على جانبيها مئذنتان أسطوانيتان رشيقتان، جذع كل منهما مضلع ومحزز. تنتهي كل واحدة بمخروط من الرصاص مدبب، بينها وبين شرفة المؤذن يوجد شريط من ألواح القاشاني. وكانتا أول المآذن التي بنيت على هذا الطراز. واجهة الجامع من مداميك حجارة بازلتية رمادية وكلسية بيضاء. أمام الجامع رواق، استند سقفه على صفين من الأعمدة. الأول فيه اربعة تعلوها أقواس، والصف الثاني فيه (12) عمود. تزين المقرنصات تيجان أعمدة الرواق الأمامي. في الرواق محاريب تستخدم للصلاة. تزينها مقرنصات، كما تزين محراب الجامع. في داخل الأقواس التي تعلو النوافذ والأبواب، توجد حشوات من القاشاني، صنع (دمشق). وتزين المقرنصات السدة، في داخل الحرم.

أمام الغرف المحيطة بالباحة رواق، تحمله أعمدة تيجانها بيزنطية. فوقها قباب كل اثنتين منها خلفها قبة كبيرة من قباب الغرف. وبين كل غرفتين توجد مدخنة. في الجدار الجنوبي لكل غرفة محراب وكتبية. ولكل غرفة باب ونافذة تطل على الصحن. ونافذتان تطلان على الحديقة الخلفية الضيقة التي تطوق البناء.

يقع قسم الخدمات في الشمال، وفيه مطبخ، فوقه أربعة قباب، فيها فتحات للتهوية. على كل جانب من المطبخ غرفتان مربعتان، فوق كل منهما سقف هرمي مقطوع الذروة، استعملت الأولى للمؤونة والثانية كانت مخبزاً، والغرفتان الأخريتان كانتا للقيّم. عل كل جانب من المطبخ قاعة طويلة، يتوسطها صف من الدعامات، تقسمها إلى قسمين كل منها عليها سبعة قبيبات. خلف جناح الخدمات توجد باحة. مجموع قباب البناء (88) واحد.



دمشق (التكية السليمانية والسليمية)

البناء الشرقي (التكية السليمية):

بناها السلطان (سليم الثاني) الذي دام حكمه بين (974 هـ - 982 هـ) = (1566 - 1574 م) لتكون مدرسة. تشبه بناء (التكية السليمانية) إلا أنها أصغر مساحة. تتألف من باحة واسعة، حولها غرف ، وأروقة. ويحيط بها سور حجري. وفيها مصلى، أي جامع بدون مئذنة. لا وجود فيها لمطبخ كما في (السليمانية). في زواياها الأربعة ممرات توصل إلى الغرف. في وسط الصحن بحرة. بوابة الصحن عالية، ومن المحتمل أنه كان فوقها مئذنة. أبواب الغرف المحيطة بالصحن صغيرة، تعلوها أقواس. في الجدار الشمالي لكل غرفة محراب وفي الجنوبي كتبية.

يوجد (22) قبة فوق أروقة الصحن. إضافة إلى قباب ثلاث تغطي دهليز المدخل، والرواق الأمامي للحرم. للجامع قبة بيضوية، فوق رقبة فيها (12) نافذة، مغطاة بالجص المطعم بالزجاج الملون. ولأروقة المسجد أعمدة، وأقواس أربعة لها مقرنصات، حولها زخارف كالضفائر. المحراب من المرمر، محاط بنقوش وألواح قاشانية، وفي قبته مقرنصات جميلة. والجدران مغطاة بالقاشاني.

حالياً أصبحت (التكية السليمانية) سوقاً للصناعات اليدوية المختلفة التي اشتهرت فيها (سورية) ومنها: البروكار والعبي، والنحاس والفضة والذهب

والبسط والزجاج المنفوخ، وحفر الخشب وتطعيمه بالأخشاب الملونة والصدف وشراشف التخوت والطاولات وغير ذلك...

البيمارستانات:

البيمارستان النوري:

أيوبي، بناه (نور الدين محمود) سنة (549 هـ ـ 1154 م). له بوابة ذات مقرنصات جميلة. وفيه قبة ذات رقبات متتالية، مزينة بالمقرنصات، وفيه أواوين، زينت جدرانها بالرخام المجزّع. وفيه شمسيات جصية ذات زخارف هندسية مخرمة. كان من أكبر مستشفيات (دمشق) مع (البيمارستات القيمري). حالياً هو (متحف العلم والطب عند العرب) افتتح عام (1978 م). وفيه عدد من أسلحة القرن (12 م) كما يوجد نماذج من خط (محمد دقيق العبد) الذي دفن إلى جوار البيمارستان. على مقربة منه يوجد بقايا باب روماني قديم.

البيمارستان كلمة فارسية الأصل مكونة من: (بيما = مريض)، و (ستان = دار،) فهي إذن دار المريض. وكانت مستشفى ومدرسة طب.

أول من بنى البيمارستان في (دمشق) هو الخليفة (الوليد بن عبد الملك) الأيوبي في عام (707 م). عين له أطباء وأمر بوضع المجذومين فيه كي لا يحتكوا بغيرهم، وأجرى الأرزاق على المستشفى والمجذومين والعميان.

وفي العهد الأيوبي صار البيمارستان مدرسة طب، وكان هناك ثلاث بيمارستانات هي (الدقاقي) وسمي فيما بعد بالعتيق بعد بناء البيمارستان الثاني وهو (النوري)، وكان الثالث البيمارستان (القيمري).

في عهد الملك (نور الدين زنكي) بني (البيمارستان النوري). وصار أعظم مدرسة طب في الشرق كله.

وهناك حكاية تقول: بأن (نور الدين) خلال الحروب الصليبية أسر أحد ملوك الفرنج، وأشير عليه أن يطلق سراحه مقابل فدية مالية تصرف على بناء ذلك البيمارستان. وتم له ذلك. وبنى البيمارستان في حوالي عام (549 هـ = 1154 م).

جدد البناء ووسعه رئيس الأطباء والجراحين (بدر الدين) ابن قاضي (بعلبك). وذلك في عام (637 هـ = 1237 م).

وقد رمم المكان كل من (الظاهر بيبرس) و (قلاوون) وابنه (الناصر محمد). وبقي ذلك المشفى قيد الاستعمال حتى القرن التاسع عشر عندما بني (المستشفى الوطني) قرب (المتحف) و(التكية السليمانية).

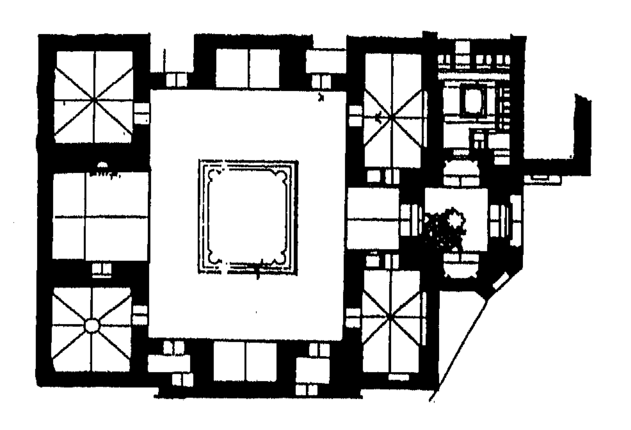
وقد ذكر (البيمارستان النوري) كل من: الرحالة (ابن جبير) في القرن الثاني عشر الميلادي. ووصف اهتمام الأطباء ومجيئهم المبكر، وتفقدهم للمرضى وإعدادهم للأدوية والأغذية المناسبة. عدا اهتمامهم الخاص بما يناسب المجانين. وبأنهم يعالجون المرضى ويسلونهم بالموسيقى والقصاصين والمطربين. وعندما يشفى المريض يهدونه كسوة كاملة وخمس قطع من الذهب كإعانة في فترة نقاهته. وكان العلاج مجانياً لكل الناس أغنياءهم وفقراءهم.

وأيضاً ذكر (البيمارستان النوري) (ابن شاهين الظاهري) في كتابه (النجوم الزاهرة) وكان قد زاره في (631 هـ) وقال فيه: «أن لا مثيل له في الدنيا».

وألقت المستشرقة (زيغريد هونكه) محاضرة في (البيمارستان النوري) تشرح فيها معاملة المرضى المجانين في الغرب حيث يعتقدون بأنهم معاقبون من قبل الله لخطاياهم، فكان الكاهن يفعل ما يشاء ليخرج الشيطان من جسد المريض وحينما يعجز كان المسكين يكبل ويسجن مدى الحياة في ملاجىء وتحت إشراف حراس غلاظ القلوب.

بينما في البيمارستان حيث كان المريض يعالج ويخضع للنوم والموسيقى والحنان والأدوية والأغذية المناسبة.

هندسة البناء سلجوقية. وبني على مرحلتين: الأولى: وهي البناء الذي تم في زمن (نور الدين زنكي) في حوالي (549 هـ = 1154 م) والمرحلة الثانية حين وسّعه الطبيب (بدر الدين) ابن قاضي (بعلبك) عام (637 هـ = 1237 م). والمرحلة الأولى هي التي بقيت حتى الآن.



دمشق ـ بيمارستان النوري

في البناء باحة سماوية مستطيلة في وسطها بحرة مستطيلة الشكل أيضاً. في كل جهة من الباحة إيوان على جانبيه غرفتان، والغرف بعضها مربع وبعضها مستطيل وكلها معقودة السقوف. المدخل بسيط ويقع في الجهة الغربية. للباب مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس، والمزخرف بالمسامير النحاسية بشكل هندسي ولكل واحد مدقة نحاسية. في أعلى الباب سطر بالخط النسخي. والمصراعان من الخلف تزينهما حشوات خشبية عليها زخارف نباتية. وساكف الباب من حجر واحد روماني أخذ من بناء آخر. وفوق الباب زخارف جصية من المحاريب والمقرنصات.

يلي الباب دهليز مربع يقود إلى الباب الداخلي. وهذا الدهليز أطواله (5 X 5 م) تزينه زخارف تشبه زخارف الباب. وعلى جدرانه كتابات، وتأريخ للإصلاح الذي تم في العهد المملوكي. في جهتين منه إيوانان صغيران. ويعلو الدهليز هذا قبة عالية مزخرفة بالمقرنصات من الداخل والخارج. بعد الباب الداخلي يأتي الإيوان الغربي وهو مزخرف بالمقرنصات، على جانبيه قاعتان مستطيلتان، فوق كل باب قوس مدبب ومنور من الجص المزخرف. تزينه أوراق نباتية.

وكسوة الإيوان الجنوبي رخامية، وفيه فسيفساء (الشقف) وهي فسيفساء

رخامية. كما يوجد (رنك) السلطان (نور الدين) وهو عبارة عن زنبقة ضمن دائرة. وفي وسط الإيوان نموذج مصغر للناعورة المستعملة في (حما).

الإيوان الشرقي: أكبر الأواوين (8 X 5 X 7 م) وكان مجلساً للأطباء ولإلقاء المحاضرات. وفي صدره خزانتان جداريتان كانتا مملوءتين بالكتب والمراجع الطبية وهي التي أوقفها (نور الدين) للبيمارستان لتدريس الطب.

إلى جانب هذا الإيوان قاعتان متجاورتان لهما بابان مسدودان حوّل أحدهما إلى محراب. وفي هذا الإيوان لوحة من الرخام تؤرخ وتذكر باني المكان (نور الدين زنكي)، وتوجد أيضاً لوحات رخامية عليها كتابات قرآنية.

يضم حالياً في قاعاته الثلاث ما يلي:

القاعة الأولى وكالت للعلوم:

وفيها نماذج ولوحات فنية وأدوات فلكية لرصد حركات الأجرام السماوية.

1 ـ منها الأسطرلاب: وهو أداة فذة للمراقبة، خفيفة الحمل، تحاكي حركة النجوم في السماء، وبها تقدر أبعاد الأجرام السماوية، وتبين الوقت، وتقيس الارتفاعات والانخفاضات الأرضية، وتساعد الملاحين. وقد استعملت هذه الأداة منذ القرن التاسع الميلادي إلى أن حلت محلها الأدوات الحديثة.

2 ـ ربع دائرة فلكية من النحاس الأصفر من عام (1303 م). وهي لقياس الارتفاع الزاوي، وتشكل قسماً من الأسطرلاب وفيها البروج والمدارات.

3 ـ أرباع جيوب فلكية من الخشب أو النحاس.

4 ـ ساعة رملية من الزجاج.

5 ـ ساعة دقاقة متطورة عن نموذج قديم. والعرب هم أول من اخترع الرقاص. وينسب إلى (أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس المصري) المتوفي عام (399 هـ = 1099 م). ويستخدم الرقاص لحساب الفترات الزمنية لرصد النجوم. والساعة الدقاقة التي أرسلها (هارون الرشيد) إلى (شارلمان) غريبة بالنسبة له

ولبلاطه. وكانت ساعة مائية تدق كل ساعة بسقوط كرة نحاسية من كراتها على قرص معدني.

وهناك رسم لساعة من عام (1200 م) وفيها حيوانات وشخوص متحركة وعازفين على آلات موسيقية، وصقور تقذف حلقات في وعاء معدني فتحدث أصواتاً إيقاعية.

وفي القاعة قناديل قديمة تعتمد على وضع فحم في الطبقة السفلى وماء في العليا، وباتحاد الفحم ببخار الماء تظهر مركبات غازية منها (أول أوكسيد الكربون) و (ثاني أوكسيد الكربون) و (الهيدروجين). وباشتعال الغازين الأخيرين يصدر نوراً، وتستعمل هذه القناديل في الأماكن التي يندر فيها تواجد الهواء النقي لأن الشعلة الصادرة عن الغازين لا تنطفىء بسهولة.

وهناك موازين وأوزان عربية. كما يوجد تمثال للعالم العربي (محمد أبو النصر الفارابي) (872 - 950 م). وهو عالم موسيقي وعازف بارع. صمم الربابة واخترع القانون الذي هو أصل البيانو. إضافة إلى ذلك كان طبيباً ورياضياً وفلكياً موهوباً.

وتوجد أيضاً لوحات فنية تمثل أشهر علماء العرب مثل: البيتاني، البيروني، الخوارزمي، عباس بن فرناس، ابن رشد، الإدريسي، ابن الهيثم، وابن خلدون.

القاعة الثانية وكانت للطب:

اشتهر الأطباء قبل الإسلام وبعده بمعالجة الأمراض بالأغذية والحشائش والكي والفصد والحجامة.

وفي العصر الأموي اهتم الخلفاء بالعلوم اليونانية والفارسية والآرامية والهندية فنقلوها إلى العربية وأضافوها إلى معلوماتهم. وكان الطب متقدماً، وقد كتب (ابن أبي أصيبعة) مجلداً بأسماء المتخصصين بالطب هو (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) جمع فيه أسماء (399) طبيباً عربياً وتراجم عن حيواتهم.

ومن مشاهير الأطباء: (أبو بكر بن زكريا الرازي) وتوفي عام (313 هـ = 925 م). (أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي) وتوفي عام (404 هـ = 1013 م). الشيخ الرئيس (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا) وتوفي عام (488 هـ = 1037 م). (أبو مروان بن زهر الأندلسي) وتوفي عام (557 هـ = 1162 م). (علاء الدين بن أبي الحزم القرشي الدمشقي) أي (ابن النفيس) وتوفي عام (687 هـ = 1288م).

توجد خزائن في قاعة الطب فيها المعرضات التالية: أدوات طبية من عهود مختلفة، مخطوطات طبية، نماذج نحاسية لأدوات قديمة كانت تستعمل في الجراحة منها مقصات وكلابات ومناشير ومشارط وملاقط وأميال وغير ذلك.

وهناك لوحة ملونة تبين تشريح العين أخذت من مخطوطة ترجع إلى القرن (12 م). والمخطوطة محفوظة في دار الكتب (بالقاهرة).

وهناك قميص طبي سطرت عليه آيات قرآنية ورموز روحية للعلاج النفسي الروحي، وتمائم لمنع وإبعاد الشر والسوء، و(طاسات رعبة) مزينة بآيات قرآنية وأحاديث شريفة وأدعية دينية، وأدوات لمعالجة وصناعة الأسنان، وأدوات ومقصات لطهور الذكور تعود إلى العهد العثماني.

وهناك صورة لأول طائرة وصلت إلى (سورية) في أوائل القرن العشرين.

قاعة الصيدلة:

كان الطبيب يشخص ويصنع الدواء من الأعشاب والنباتات الطبية، ولكن تشعب هذا الموضوع والتفتيش عن الأعشاب وتصنيعها يلزمه وقت طويل، لذلك انفصلت الطبابة عن الصيدلة وحصل هذا في أواخر القرن الثامن الميلادي. والعرب هم المؤسسون للصيدلة.

وافتتحت الصيدليات العامة، كما ألحقت بكل بيمارستان صيدلية خاصة به، وكذلك صيدليات خاصة لميادين القتال ترافق البيمارستان المحمول والمتنقل

لعلاج الجرحى، كما جعلوا للصيادلة نقيباً سمي (رئيس العشابين) وكان (ابن ماسوية)، وتوفي عام (243 هـ)، هو أول من كتب في الصيدلة. ثم وضع (سابور بن سهل) وتوفي عام (253 هـ) كتاب (الأقرباذين الكبير) وكان من (17) فصلاً. اتخذه العرب مرجعاً في الصيدلة.

ومن النباتات استخرجوا مواد طبية كثيرة. انتقلت تلك المعلومات فيما بعد إلى الغرب مع أسمائها التي تجاوزت الثمانين منها، الصندل، الراوند، المسك، المر، ا لتمر هندي، اليانسون، العنبر... واستخلصوا من الأعشاب أشربة ومستحلبات وخلاصات عطرية. وتوصلوا إلى إيجاد ترياق للسموم. ولطفوا من طعم بعض الأدوية بمزجها بعصير الفواكه.

وفي هذه القاعة عرضت نماذج أدوات وأجهزة لمزج وتركيب الأدوية من مهابيج وهاونات ومدقات وأجهزة تقطير، وكؤوس زجاجية وضع في داخلها أكثر من (60) نوعاً من النباتات والأعشاب الطبية.

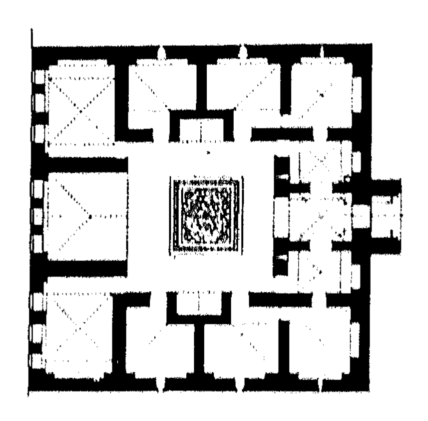
مكتبة المتحف:

رغم صغرها إلا أن فيها مخطوطات نادرة وكتب علمية. وهي إعادة لتقليد وجود مكتبة في البيمارستان. فيها كتب طبية لدراسة الطب ومراجع للأطباء العاملين فيه.

على مقربة من البيمارستان توجد بقايا باب روماني قديم.

البيمارستان القيمري:

بناه الأمير (سيف الدين أبو حسن القيمري) بين عامي (646 و 655 هـ) = (1256 م). هندسة البناء رافدية إيرانية ذات الأواوين الأربعة. فيه باحة حولها غرف مقببة بأحجار صغيرة،وفي وسطها بركة ماء. بنيت الجدران من الحجارة الصقيلة كقشرة خارجية، وحجارة القشرة الخارجية في الإيوانات والغرف الداخلية خشنة الملمس لتثبيت الجص عليها. الباحة مبلطة بألواح مرمرية من لون واحد. أقواسها على شكل حدوة.



دمشق ـ البيمارستان القيمري

باب البيمارستان صغير يعلوه قوس قليل الارتفاع، يتوسطه حجر أسود معشق مع الحجارة الصفراء. ومداميك الجدار بازلتية وصفراء متناوبة. على جانبي البوابة عمودان لهما تاجان، أحدهما مفقود والآخر مشوه،ولكن آثاره تدل على جماله،تزينه أوراق رمحية وثمار التوت. على جانبي المدخل مقاعد ومصاطب حجرية للانتظار.

يعلو حافة إيوان المدخل إطار من الزخارف على شكل زهرة اللوتس. وإيوان المدخل غني بالكتابات. الإيوان الجنوبي مرتفع فيه نوافذ ثلاثة.كان مزخرفاًوفيه كتابة قرآنية ملونة. ويبدو أن غرفة الزاوية الشمالية الشرقية هي المطبخ لوجود فتحات تهوية فيها.

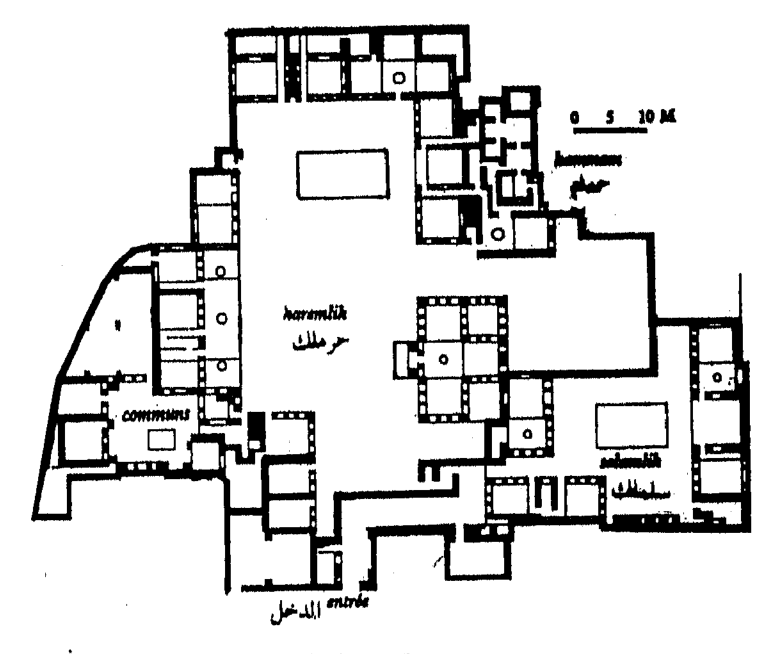
بالقرب من البيمارستان تقع تربة الأمير (سيف الدين أبو حسن القيمري) وهي من عام (654 هـ = 1159 م).

قصر العظم:

من عهد السلطان (محمود الأول) العثماني، بناه والي (دمشق)، وأمير الحج (أسعد باشا العظم)، عام (1163 هـ = 1749 م). أقيم فوق جزء من معبد (جيوبيتر) الروماني. ويعتقد أن كان مكان دار (خالد بن الوليد). كما يظن أنه أقيم مكان (قصر الخضراء) الذي بناه (معاوية بن أبي سفيان). ويعتقد أيضاً أنه

بني مكان قصر (دار الذهب) وكان لسكن (تنكز) المملوكي نائب السلطان.

مساحة (قصر العظم) (5500 م^2)، بني خلال ثلاث سنوات. وجمعت أجزاء كثيرة وجميلة فيه من بيوت دمشقية قديمة. سكنه (آل العظم) حتى عام (1920). بعد ذلك اشترت الحكومة الفرنسية ثلاث أرباع القصر وحولته إلى معهد فرنسي للدراسات الشرقية. ولكنه صار معهداً للدراسات الأثرية بعد الاستقلال عام (1946). ثم حوّل إلى متحف للتقاليد الشعبية في (13) أيلول عام (1954).



دمشق ـ قصر العظم

يتألف القصر من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

السلاملك: للضيوف الذكور.

الحرملك: القسم الأسروي حيث تقيم العائلة نساء ورجالاً وأطفالاً.

قسم الخدم: وفيه المطبخ.

أما الإسطبل فكان خارج القصر.

ويقع الحمام بين السلاملك والحرملك. في القصر ست عشرة قاعة كبيرة، وتسع عشرة غرفة في الطابق الأرضي، وتسع في العلوي. وثلاثة إيوانات: وفيه رواق، يقوم على خمسة أقواس، يطل على الباحة، التي تحتوي على أربع برك كبيرة، مياهها من نهر (القنوات). وفي القصر أربعة قباب كبيرة، وتسع عشرة فسقية ماء بين أرضية وجدارية.

يتألف الحمام من براني ووسطاني وجواني، وأربع مقاصير، وقميم لتسخين الماء. ويقع الإسطبل على يسار المدخل الرئيسي. وكان للخيول، ثم صار فيما بعد مخازن تجارية، ويوجد المطبخ على يسار الباحة الكبيرة، خلف غرف المتحف. ويتألف من باحة صغيرة، في وسطها بركة ماء، وحولها مطبخ واسع، متعدد المواقد، وآخر مخصص للحلوى. وهناك غرف لسكن الخدم والجواري.

دار نظام:

تقع في منطقة (مئذنة الشحم). عمرها أكثر من (300) سنة. أقدم تاريخ مدون لها هو (1172 هـ). سكنها أناس مجهولين حتى عام (1835 م). حينما جعلتها الحكومة البريطانية ولمدة عشرين عاماً تقريباً داراً لسكن قنصلها الذي أضاف إلى زينة الدار لوحات جدارية في القاعة الرئيسية وقاعة العنب.

كما زرع بعض الأشجار في الباحات. بعد ذلك سكنت الدار عائلة (القويضي) وبنت فيها صالتين شرقيتين إحداهما قاعة لعجمي، والأخرى في الجهة الغربية من الباحة.

ثم سكنت الدار عائلة (نظام) في عام (1912). وبعدها أهملت، وقسمت إلى بيوتات للسكن أو ورشات للمهن. ثم استملكت محافظة دمشق عام (1974) البناء كاملاً، وبدأت الترميم فيه.

تتألف الدار من طابقين الأعلى للنوم والأسفل للحرملك والسلملك

والخدمات. وفيها ثلاث باحات، في كل واحدة منها بركة ماء. تحيط بالباحات قاعات، تميزت كل منها بزخارف ونقوش خاصة بها.

القاعة الرئيسية موجودة في قسم الحرملك. وهي أكبر القاعات، مليئة بالزخارف الشرقية والأوربية (روكوكو) و (باروك) في السقف والجدران. فيها طزر وفسقية ماء، وفي جدارها الغربي، ثلاث مقرنصات من الرخام، والشرقي من الحجر والرخام المطعم بالصدف. كما توجد مرايا خلف الرخام والخشب. وفيها (يوك). وعلى الجانبين كتبيتان تعلوهما رسوم ونقوش.

أما الجدار المطل على الباحة، ففيه صفان من النوافذ العلوية والسفلية. تفصل بينهما زخارف جميلة.

قاعة العنب:

سميت بذلك لوجود زخارف من عناقيد العنب، وأوراق الكرمة الذهبية، متداخلة مع النقوش التي فيها.

للقاعة طزر واحد، تتصدره كتبية كبيرة، لها أبواب، وعليها زخارف من عناقيد العنب، مع نباتات أخرى على جانبيها كتبيتان صغيرتان، بدون أبواب. يقابلها جدار، فيه صفان من النوافذ العلوية والسفلية، تزينها زخارف متشابهة لأبواب الكتبية الكبيرة. على يسار العتبة، مقرنص من الحجر المطعم بالصدف، وضع فوق مرآة لامعة. وفي الجدار كتبيات صغيرة، أما الجدار الرابع فمشابه له. السقف من الخشب المحفور النافر الملون، تزينه عناقيد عنب مع أوراقها الذهبية. ونزلت المرايا بين الزخارف.

زخارف هذه القاعة شرقية، خالية من (الروكوكو) و (الباروك) تقريباً. وقد أضاف القنصل البريطاني لهذه القاعة لوحات جدارية من البيئة البريطانية ذات لونين أزرق وأبيض، كما أضاف القوس الحجري، وعليه شعارات الإمبراطورية البريطانية إلى جانب الزخارف الأخرى.

قاعة العجمي:

بنيت عام (1217 هـ). وسميت بذلك لأن زخارفها من العجمي فقط، و (العجمي) عبارة عن معجونة اسمها (نباتة). توضع على الجدران والأسقف حسب التصميم المطلوب. في القاعة طزر واحد، سقفها من أعمدة الخشب المزخرفة أرضيتها مكسوة بالرخام. وفيها كتبية لوضع المشربيات، والشمع، يعلوها مقرنص، وهناك أطر عجمية نافرة، في داخلها مناظر طبيعية، من الطراز الحريري، أي غير النافر. وبين الأطر، توجد رسوم فاكهة، في أوعية تفصل بينها نقوش عجمية جميلة. وقرب السقف كتابات شعرية، وحكم وأدعية، واستعملت المرايا كزخرفة لتزيين هذه القاعة.

الإيوان:

في كل باحة من باحات البيوت الدمشقية، يوجد إيوان، أو أكثر. وذلك لقضاء الأمسيات الحارة، قرب النباتات وبرك الماء. وفي (دار نظام) يوجد عدد منها، أرضيتها رخامية، وأسقفها عجمية، وجدرانها من الحجر الأبلق، وهو تنزيل أحجار البناء بألوان أو حجارة ملونة.

مكتب عنبر:

أسسه (عنبر) وهو مرابي يهودي عام (1876) استولت عليه الدولة لدين لها عليه. وأصبح مدرسة إعدادية ثم ثانوية (تجهيزية) وكان الوحيد في (دمشق) في أواخر القرن (19). لذا أتاه الطلاب من كل الأحياء والجهات. وتخرج منه رجالات علم، وطب، وأدب، وقانون، وتدريس، بعد أن عمم العثمانيون الجهل في أرجاء الإمبراطورية التي حكموها، وضمنها البلاد العربية. وكانت هذه المدرسة الخلية الأولى للجميعات السرية، التي قاومت الحكم العثماني، والجهل الثقافي. بعد العثمانيون أتى الفرنسيون يحملون نفس المبدأ، وهو التفرقة والجهل. فكانت هذه المدرسة مركزاً للنضال ضد كليهما. وكان الطلاب يقومون بالإضراب، فيلحق بهم الشعب من كافة الأعمار والفئات، بعد أن يقدموا مسرحيات وطنية تثير المشاعر وتفتح الأعين على الحقائق. أصبحت

المدرسة منذ عام (1983) قصراً للثقافة العربية، فيها مكتبة ضخمة، تحوي أكثر من مئة ألف كتاب. منها كتب تراثية عربية، وبها أقسام للمطالعة خاصة للأطفال والكبار، وقاعة للمحاضرات، والندوات والسينما، ومركز لبيع الكتب بأسعار مخفضة. وفي القصر قسم للفنون الجميلة، لتعليم النقش والحفر والرسم والنحت، مع عدة قاعات للمعارض الدائمة والمؤقتة. وفي قسم التراث، وثائق، وأدوات، ومواد تراثية، كالصناعات التقليدية، سواء المنقرضة أو التي في طريقها للانقراض وفيه قسم للأزياء، والأغاني، والرقصات الشعبية مع منشورات وأفلام للإيضاح.

الطريق المستقيم:

بني في القرن الأول قبل الميلاد. وكان الشارع الرئيسي في (دمشق). سماه الرومان (ڤيا ركتا) (Via Recta) وكان أطول شارع في المدينة القديمة. يقطعها من الغرب إلى الشرق. يعتبر أقدم طريق أثري، ما زال قيد الاستعمال حتى الان. يمتد من (باب الجابية) غرباً، حتى (الباب الشرقي) شرقاً. أطواله (26 X 1500 م). والشارع مقسم إلى ثلاث أقسام. الأوسط كان ثلثي عرض الشارع، خصص لمرور العربات والحيوانات وكان مكشوفاً. أما الرواقان على الجانبين فكانا مسقوفين وأعلى مستوى من الأوسط، ومحمولين على أعمدة كورنثية، كانت مزينة بالتماثيل، منها رجل باسطاً ذراعيه، وآخر في منتصف الشارع، على رأسه كرة. وكانت المخازن على الجانبين تفتح على الأروقة. وتفرع عن الطريق شوارع حصرت بينها مجموعات من الأبنية أبعادها (100 X 45 م) حسب النظام الهلنستي. ولكن الطريق تهدم عدة مرات بسبب الزلازل والحريق و (المغول). الشارع الحالي ارتفع حوالي (5 م) عن الأصلي، وفي الطريق المستقيم قوس نصر اكتشف عام (1950 م).

احتفظت (دمشق) بمخططها الشطرنجي في العهود اليونانية والرومانية والأموية. ولكن في العهد العباسي عمت الفوضى العمرانية، وخرجت الأبنية عن السور الأصلي. وفي العهد الأيوبي أضيفت أحياء منها حي (الأكراد). وهم

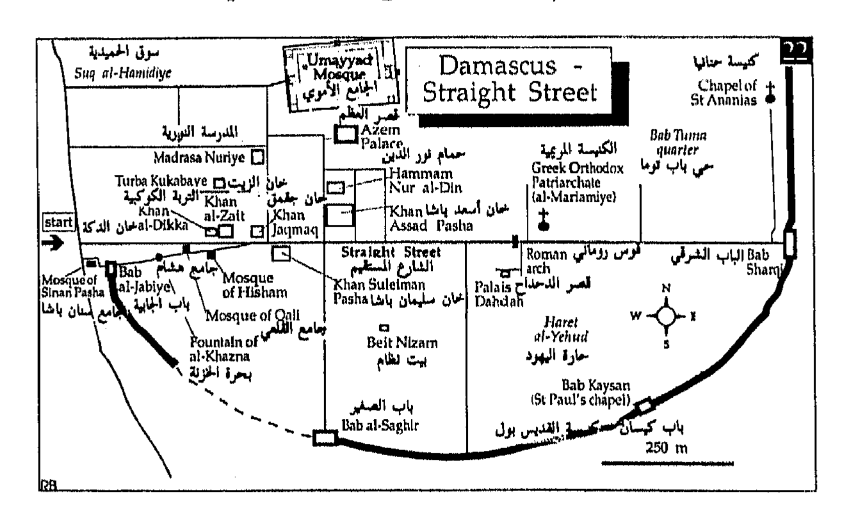
الذين رافقوا (صلاح الدين الأيوبي).

أما في العهد المملوكي فقد أصبح للأحياء استقلال ذاتي. في كل واحد، مسجد، وحمام، وفرن، وسوق. وكان لكل حي باب خاص يغلق ليلاً حماية لسكانه.

بنى الرومان في عهد (سبتيموس سفيروس) وابنه (كاراكالا) الباب الشرقي. وذلك في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث. وهو الباب الروماني الوحيد الذي بقي سالماً من الأبواب السبعة التي بنيت في ذلك العهد. نزل عليه (خالد بن الوليد) بالحيلة يوم فتح (دمشق) عام (636 م) بعد أن حاصرها لمدة أربعة أشهر شرقاً و (أبو عبيدة بن الجراح) غرباً. وكان ذلك حينما ولد لشخصية مهمة من الروم طفلاً، وأثناء الاحتفال بذلك.

القصة الثانية:

استطاع (خالد) وأتباعه عبور الخندق على قرب منفوخة ثم تسلقوا الحائط على حبال وسلالم وتمكنوا من فتح الباب الشرقي.



دمشق ـ الطريق المستقيم

يتألف الباب من ثلاثة مداخل، الأوسط فيها أعلاها وأكبرها. وتتناسب مع رواق الشارع وطريقه الأوسط. سدت الفتحتان الجانبيتان في العصور الوسطى لتسهيل الدفاع. واحتفظ بفتحة صغيرة في كل باب. وكان هناك مسجد صغير خلف الباب الشرقي. له مئذنة كبيرة. وباشورة، أي سوق صغيرة، خارج السور على جانبي جسر الخندق المحيط بالمدينة.

قرب الكنيسة المريمية، اكتشف عام (1948) قوس نصر روماني. رممته مديرية الآثار كما رممت (الباب الشرقي) و (باب الجابية). وكان له ثلاث فتحات. الوسطى أكبرها. لم يبقَ منه إلا الفتحة الصغيرة الجنوبية. ومنه دخل سلماً (أبو عبيدة بني الجراح) إلى (دمشق).

المسيحية

سمح الإمبراطور (قسطنطين) (Constantien) بالديانة المسيحية بعد عام (313). وكانت المسيحية متبعة سراً في (سورية). ومنها رحلة القديس (بول) في القرن الأول.

ثم أصبحت المسيحية منتشرة في القرن (4) وبنيت الكنائس بعد أن كانت كنائس منزلية. كما في (دورا أوروبوس) ورعت القديسة (هيلانة) والدة (قسطنطين) الحجاج بعد أن زارت (القدس) والأماكن المقدسة في (324).

وبدأ ظهور الأديرة التي أتت فكرتها من (مصر). وفي القرنين (5 و 6) صار في (سورية) عدد كبير من الكنائس والأديرة ومزارات القديسين مثل القديس (سمعان العامودي) في الشمال والقديس (سرجيوس) في (الرصافة).

وبدأ الجدل اللاهوتي حول طبيعتي المسيح هل هو بشر أم إله أم كليهما. وانقسمت الكنيسة إلى شرقية وغربية وصارت هذه الانقسامات تسيطر على الحياة الاجتماعية والسياسية وتسبب النزاعات والصراعات فيما بعد.

كنيسة حنانيا:

(حنانيا) هو واحد من (72) تلميذ (للمسيح). ويعتقد أنه ولد في

(دمشق) وكان يبشر فيها. كما سافر إلى عدة جهات لنفس الغاية. قبض عليه في عهد الوالي الروماني (ليثينيوس) (Licinius) وجلد بأعصاب البقر حتى تمزق لحمه، ثم رجم بالحجارة حتى مات. وهو الذي شفى القديس (بولس) حينما أصيب بالعمى وهو الذي عمّده وأبدل اسمه من (شاؤول) إلى (بولس) وبقي (3) سنوات يبشر بالمسيحية مع (حنانيا)، الذي جعل من منزله مكاناً سرياً لنشر الديانة المسيحية. وكان المنزل هذا كنيسة بيزنطية، قبل الفتح الإسلامي عام (636).

في عام (1820) أعيد بناء منزل (حنانيا) وصارت الكنيسة تحت إشراف (الآباء الفرنسيسكان). وفي عام (1867) رمم المنزل وكذلك في عام (1893). وآخر الإصلاحات كانت في عام (1973).

تتألف الكنيسة من غرفتين تحت الأرض ينزل إليها بـ (23) درجة بازلتية. السقف معقود. وفيه فتحتان للنور. والأرض مرصوفة بالحجارة.

الكنيسة المريمية وهي بطريركية أنطاكية للروم الأرثوذكس:

بانيها هو (أرخاديوس قيصر). حينما فتح (خالد بن الوليد) (دمشق) حرباً، كانت ضمن القسم الذي احتله. أهملت حتى عهد (عمر بن عبد العزيز) الذي أعطى المسيحيين (الكنيسة المريمية) تعويضاً عن كنيسة (يوحنا المعمدان). وكانوا قد رفضوا اخذ تعويض عنها في عهد (الوليد بن عبد الملك). فبنوها على نفقة خزينة الدولة وكانت رائعة. هدمها (تيمورلنك) عام (1400) إلا أنها رممت. وكانت قوية، وحجارتها كبيرة، ولها أقبية تحت الأرض. وتخربت أثناء الثورة التي حصلت بين المسيحيين والمسلمين عام (1860 م) = (27 رمضان 658 هـ) حينما لجأ إليها بعض المسيحيين. ثم أعيد بناؤها.

تقسم الكنيسة إلى قسمين:

كنيسة السيدة (مريم):

وهي من الطراز البيزنطي. فيها إيقونات أهمها إيقونة (المسكوبية) وفيها

أواني مقدسة قديمة وحديثة. تخربت تماماً عام (1860 م).

كنيسة (مار تقلا):

أعيد ترميم (المريمية) وجعلت مع كنيسة (مار تقلا) كنيسة واحدة. حالياً هي مقر كرسي (بطريرك أنطاكية) للروم الأرثوذوكس.

كنيسة القديسة (كاترين):

وهي أقدم بناء في البطريركية. ويوجد فيها متحف للألبسة والأوسمة والأيقونات المتوارثة من البطاركة والرهبان.

إلى جوار البطريركية، توجد كنيسة (يوحنا الدمشقي) وهي مبنية من الحجر الأسود. وفيها لوحات وإيقونات رسمت في (القدس).

كنيسة القديس (بول):

كانت أصلاً بوابة (كيسان) (ساتورن). وهي واحدة من سبعة بوابات رومانية، في سور دمشق. سمك جدارها أصلي. ومن نافذة هذه البوابة هرب القديس (بولس). رممت الكنيسة واستعملت لذلك الأحجار التي أخذت من السور نفسه. فعلى الباب يوجد دائرتان في داخلهما (X P) وهي الأحرف الأولى من اسم المسيح باليونانية (XPIETOE). وكان رمزاً للمسيحيين، يتعرفون به على بعضهما، لأن الدعوة كانت سرية، فكانوا يرسمون سمكه للتعارف بدلاً عن الأحرف لأن اسمها باليونانية يحتوي على حرفي (X، P). حالياً هي كنيسة يونانية كاثوليكية، في داخلها دير لليتامى بني عام (1938).

كنيسة ذكرى القديس بولس (بول):

بنيت قرب الكهف الذي لجأ إليه القديس (بول) بعد هربه، وتقع في حي (بلال). فيها دير كاثوليكي كبير.

كنيسة الكوكب (كنيسة رؤية بولس) (Poul Vision .ST):

تبعد (18 كم) عن (دمشق)، حيث سقط (شاؤول) أي (القديس بولس)، فيما بعد، عن حصانه بعد الرؤيا . وفقد بصره.

بيت يهوذا (جامع المنجدين):

يقع في منتصف (الشارع المستقيم). وهو جامع (المنجدين). وليس له مئذنة.

جبل قاسيون

فيه قتل (قابيل) أخيه في (مغارة الدم). وفيه ولد (إبراهيم) وفيه آوى الله (عيسى) وأمه (مريم) ومنع عنهما اليهود، وكانا في كهف صغير قرب (الشادروان) في (الربوة) غرب (قاسيون). وفيه صلى حواريو المسيح. وقربه مصلى (الخضر). اختبأ فيه (يحيى بن زكريا) مع أمه من (هدّار) وهو رجل من (عاد). وفيه اختبأ (إلياس) من ملكه لمدة عشر سنوات حتى أهلك الله الملك، فظهر (إلياس) وعرض على الملك الجديد الإسلام فقبل. وفيه صلى (إبراهيم) و (لوط) و (موسى) و (عيسى) و (أيوب). ويقال بأن سبعون أو سبعون ألفاً من الشهداء دفنوا في الجهة الشمالية من جامع (الأربعين) فيه. كما قيل أن سبعمائة من الأنبياء دفنوا فيه.

كانت صلاة الاستسقاء تقام فيه. حيث كان أهل (دمشق) يذهبون إلى (مغارة الدم). يصلون ويسألون الله عن حاجاتهم وظلاماتهم.

عن الرسول أنه قال حديثين هما: «الابدال في أهل (الشام) وبهم تنتصرون وبهم ترزقون». والابدال (بالشام) وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى به الغيث وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل (الشام) بهم العذاب.

مغارة الدم:

تقع في أعلى جبل (قاسيون) وهي كهف طبيعي جزئياً. ينقط من سقفه

الماء. قتل فيه أربعون شخصاً. كما قتل (قابيل) أخاه (هابيل) فيه. يوجد لسان وفك (هابيل) الضحية، وطبعة من الدم ليد (قابيل) القاتل. وآثار حيث جر (قابيل) جسد أخاه (هابيل). ويعتقد الناس أن الفجوات المنقورة في سقف الكهف تتعلق بأنبياء مثل (إبراهيم) و (موسى) و (عيسى). على جانبي مدخل الكهف يوجد محرابان منقوران في الصخر.

الوصول إلى الكهف يتم بواسطة درج. أمام هذا الدرج عدد من الحجرات المنقورة في الصخور أشكالها مربعة أو مستطيلة بالإضافة إلى أبنية عديدة. في المغارة كتابات مؤرخة بأعوام (1018 - 1191 - 1235).

في المغارة مسجد هو عبارة عن غرفة مستديرة، فيه بيوت ومرافق للسكن. ويفتح كل خميس وتتقد فيه السرج والشمع والقناديل. جنوب الغرفة يوجد أربعون محراباً. المتوسطان فيها أكبرها حجماً. وهناك محراب (الخضر) ومحراب (القطب). في هذا المكان تأريخ (1048 هـ) واسم (محمد باشا) ربما (أحمد باشا الحافظ) حيث كان (نائب دمشق) عام (1018 - 1023 هـ). وهو الذي بنى مقام الأربعين في مغارة الدم بأمر من السلطان (أحمد). في هذه الغرفة نوازل حمراء يعتقد الناس أنها دم (هابيل).

كهف آدم:

يقع في أعلى جبل (قاسيون) في منطقة (الصالحية). وله جامع.

مغارة الجوع:

تحت (كهف آدم) مغارة تعرف (بمغارة الجوع). ذكر أن سبعين نبياً أو رجلاً صالحاً ماتوا جوعاً، وكان عندهم رغيف واحد فقط. فلم يزل الواحد يؤثر صاحبه به ويدور الرغيف من يد إلى يد حتى ماتوا جميعاً من الجوع وبقي الرغيف.

مغارة الأربعين أو أهل الكهف:

وردت قصة (أهل الكهف) في المصادر السريانية قبل عهد النبي

(محمد). وحصلت في عهد الإمبراطور الروماني (داقيوس الأثيم) وحكم بين (240 و 251). والكهف في جبل (أنطليوس) أي في جبل (قاسيون) وذكر بالقرآن الكريم في (سورة الكهف). كانوا رجالاً صالحين عددهم لم يحدده القرآن، ولكن في المصادر السريانية كانوا سبعة أو ثمانية، لجأوا إلى الكهف لممارسة شعائرهم المسيحية. فطلبهم الإمبراطور وبينما هم يأكلون شعروا بالنعاس وناموا، فأمر الإمبراطور بسد باب الكهف بالحجارة ليموتوا فيه. ولكن الله سبحانه فصل أرواحهم عن أجسداهم. ويقال بأنهم ناموا (309) سنة ومعهم كلبهم ولم يحدد القرآن الكريم عدد السنوات. وفي عهد الإمبراطور (ثيودوسيوس الصغير) عام (450) ظهرت أفكار وبدع منها قيامة الموتى. وصادف أن أراد راع بناء حظيرة فأخذ الأحجار التي سد بها باب الكهف. فبعث الله الروح في أهل الكهف ورجعوا أحياء.

مغارة المسيح وأمه العذراء مريم:

تقع في النهاية الغربية لجبل (قاسيون) عند (الشادروان) في الربوة. وهي عبارة عن مغارة صغيرة لها باب من الحديد. وحولها مسجد وطرق ولها ساقية ماء تصب على (شادروان) في الجدار متصل بحوض من رخام تجمع فيه المياه، وخلفها مطاهر ماؤها جارية. وقربها مصلى (الخضر). ويعتقد بعض الناس أنها (مغارة الكهف) أو (مغارة آدم). بينما يعتقد الآخرون أن (مغارة آدم) أعلى منها.

قبة النصر:

تقع في قمة جبل (قاسيون). كتب عنها (ابن طولون) وذكر أن بانيها هو (برقوق) واسمها (قبة النصر). تولى (برقوق الظاهري) نيابة (دمشق) يوم الخميس (15 صفر) سنة (875 هـ) وكان في (مصر). قاتل خارجاً مشهوراً على دولة المماليك واسمه (سواربك). وقبض عليه. وبنى على جبل (قاسيون) هذه القبة وسماها (قبة النصر على سوار).

هذه القبة تهدم نصفها في زلزال (1172 هـ) بعد الحرب العالمية الثانية. لكنها جددت واحتفظت بتصميمها السابق. فيها قبة وأقواس. دفن فيها الأمير (سيف الدين منجك اليوسفي الناصري). وكان أحد مماليك (الناصر محمد بن قلاوون).

قبر هابيل

ويبعد عن (دمشق) (36 كم). بني على تلة تشرف على (وادي بردى) تبعد عن الطريق العام (6.5 كم). ويعتبر أقدم قبر في العالم وطوله سبعة أمتار. ولدت (حواء) (40) بطناً كل واحد ابن وابنة. أول البطون كان (قابيل) وتوأمته (أقليما) وآخرهم كان (المغيث) وتوأمته (أم مغيث). وبلغ مجموع أولاد وأحفاد وأولاد أحفاد (آدم) أربعون ألفاً. حملت (حواء) (بقابيل) وتوأمته في الجنة. فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً ولم تر دماً وقت الولادة. وحينما هبطت و (آدم) إلى الأرض حملت (هابيل) وتوأمته (لبودا) فوجدت الوحم والوصب والطلق والدم. وحينما كبرت الأولاد تزوج الولد من أية أخت من البطون الأخرى. ومنع من الزواج من توأمته. وكان بين (قابيل) و (هابيل) سنتان وحينما تبلغ (آدم) أمر الله أن يزوج (قابيل) لـ (لبودا) أخت (هابيل) ويزوج (هابيل) لـ (إقليما) أخت (قابيل) رضي (هابيل) ورفض (قابيل) وقال أن أخته هو أحق بها وأنهما من أولاد الجنة لأنهما ولدا فيها. فاقترح (آدم) أن يقدم كل منهما قرباناً لله تقرباً منه. وكانت علامة القبول أن تنزل نار من السماء بيضاء وعلامة الرفض أن لا تأكل النار الأضحية. فقدم (هابيل) وهو صاحب غنم أحسن كبش في غنمه تقرباً من الله. وقدم (قابيل) وهو صاحب أرض قليلاً من السنابل استرد منها واحدة لبخله. فكان أن قُبلت أضحية (هابيل). فغضب (قابيل) وقتل (هابيل). واحتار ما يفعل بجثة أخيه، فصار يحمله على ظهره نهاراً، ويضعه ليلاً على الأرض، وتغيرت رائحته وصادف أن رأى غرابين يتقاتلان ثم يواري القاتل جثة القتيل، ففعل مثله، وظل في عذاب الضمير حتى وفاته. وكان قد سكن أرض (نود) شرق (عدن). أو شرق (عربين).

المتحف الوطني

تأسس عام (1919). ونقل إلى مكانه الحالي عام (1936). يغطي البناء مساحة (14) ألف متر مربع. ويقسم إلى: جناح آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية ـ جناح آثار وفنون العرب والمسلمين ـ جناح آثار الفنون الحديثة والمعاصرة.

بعض معروضات المتحف الوطني:

واجهة قصر الحير الشرقي:

ترتفع حتى (16 م) كانت أنقاضاً في مكانها الأصلي. وكان عددها (50) ألف قطعة. جمعت بجهد كبير لتصبح ما هي عليه الآن. والواجهة مزينة بأشكال نباتية من أوراق النخيل وشوك اليهود (Acanthus) وفيها أعمدة صغيرة تحيط بالمحاريب وتدعم بهو المدخل (Pediment).

تمثال (دوريفور) (Doryphore) (حامل الرمح)

عثر على هذا التمثال عام (1976) في حي (الشيخ ضاهر) (باللاذقية). وهو من الرخام. ارتفاع القسم الباقي منه (150 سم)، وعرض كتفيه (60 سم)، وهو نسخة من تمثال الفنان اليوناني (بوليكليت) من القرن (5 ق. م). جعل الفنان من رأس التمثال وحدة قياسية لأبعاد الجسم الأخرى. ويمثل التمثال شاباً يحمل رمحاً، يتصف بالشباب والقوة والجمال. ويقف على القدم اليمنى كلها بينما اليسرى تستند على مشطها فقط.

التابوت الرخامي (طروادة):

وجد في ضواحي بلدة (الرستن)، داخل مدفن، بتاريخ (1977/4/8). وهو من عهد أسرة (شمسيغرام) العربية، التي حكمت كلاً من (الرستن) و (حمص). وهو من الرخام الأبيض من صنع مدرسة فنية في مقاطعة (أتكيا) ومركزها (أثينا) في (اليونان).

يزن غطاء التابوت (5 طن). أطواله (93 X 320 سم) وارتفاعه بدون غطاء (105 سم)، ومع الغطاء (175 سم). هذا الطراز كان شائعاً لمدة مئة سنة في منتصف القرنين (2 و 3 م). تصميمه يوناني ولكن إنجازه كان في عهد الرومان. وجد مثله في أكثر دول (البحر الأبيض المتوسط) وجُزره، مثل (فلسطين) و (إيطاليا) و (كريت) و (اليونان) و (الأناضول) و (صور) و (أنطاكية) و (اللاذقية).

نقش على غطائه رجل مع زوجته في وضع انسجام يرتديان ملابس شفافة. وكلاهما يتكئان على طنافس مزخرفة. يجلسان على أريكة مطرزة بزخارف نباتية، ومشاهد من الوليمة البحرية التي تجمع (التريتون) وهم أبناء (بوسيدون) (إله البحر)، في وليمة تضمهم مع ربة البحار (تالاسا)، حولهما دلافين، وتنينات، وحيوانات بحرية، وفوقهما ربة الجمال. التابوت محفور من قطعة واحدة من الرخام، جوانبه الثلاثة مزينة بمشاهد من الإلياذة والأوديسة اليونانيتين، بين شريطين من الزخارف اليونانية.

في هذه المشاهد نرى ثلاثة سفن يونانية تحمل (آغا ممنون) ملك (أسبارطة) اليوناني مع غيره من الجنود، وقد التحموا مع خصومهم، فتساقط البعض، واخترقت السيوف صدور البعض الآخر. وتبدو (هيلين) التي خطفها (باريس) الطروادي أو قد تكون (ربة النصر). وترمز هذه المشاهد إلى أن الحياة معركة والموت انتصار. وقد انتشرت هذه الرؤية بتأثير الأفلاطونية الحديثة والمسيحية.

أما الجانب الرابع فقد نحتت فيه عنقاوان (غريغون) متناظرتان بين شجرتين، في وسطهما، مذبح مستدير، عليه ثمار فواكه. وتوضع العنقاء في المدافن لطرد الأرواح الشريرة.

تابوت (ميلياغر):

وهو من عهد أسرة (شمسغرام) العربية التي حكمت (حمص) و (الرستن). تزينه مشاهد من أسطورة يونانية تماثل ما وجد على تابوت (طروادة)

مما يؤكد أن مصدره هو (الرستن) أيضاً. وهو من الرخام الأبيض الناصع. وزنه حوالي (4 طن) بدون غطاء. طوله (206 سم)، وعرضه (88 سم)، وارتفاعه (93 كم)، وسمك جوانبه (15 سم). على الواجهة، الربة (ديانا) وعلى يمينها كلب، وستة أشخاص ينقضون على وحش كاسر، وقد سقط أحدهم على الأرض. وهذا المشهد هو من أسطورة يونانية تقول: إن الربة (آتروب) تقول (لميلياغر) وهو ابن (انيه) (Enee) و (آلتييه) (Altier) بأن حياته ستنتهي بانتهاء اشتعال الشعلة. فاحتفظت أمه (آلتييه) بالشعلة في صندوقها. وحينما أصبح (ملياغر) يافعاً أساء بتصرفه إلى الربة (أرتميس)، فانتقمت منه بأن أرسلت له خنزيراً برياً أسطورياً، فتصدى له أبطال عديدون. واستطاعت (العذراء) المحاربة (أتالانت) أن تكون أول من أصاب هذا الوحش. وتمكن (ميلياغر) من القضاء عليه. فثارت غيرة أخوته منه، مما دفعه إلى قتلهم، فلعنته أمه.

أما الوجه الآخر فيمثل فارساً خلفه شخص يجر كلباً. والوجه الثالث يمثل حيواناً خرافياً مجنحاً ينقض على ثور. والوجه الرابع فيه حيوانان مجنحان أسطوريان متقابلان تتوسطهما شعلة.

كنيس دورا أوروبوس:

كان واحداًمن المعابد الستة عشر التي وجدت في (دورا أوروبوس) وهي (14) معبداًوثنياً وكنيسة منزلية من (232 م) وكنيس يهودي من (244 م). مما يدل على الحرية الدينية لسكان تلك المدينة.

بنى هذا الكنيس (صامويل) بطريرك اليهود في (244 م). ثم هجر واختفى تحت الرمال في عام (256 م). واكتشف بواسطة البعثة التنقيبية لجامعة (Yale) الأميركية (1932) ونقل ليثبت في (متحف دمشق الوطني) عام (1936).

بني هذا الكنيس في المدينة السلوقية (دورا أوروبوس) وهي على نهر (الفرات). وكان قرب السور الذي فيه بوابة (تدمر).

سقطت هذه المدينة بيد الفرس البارثيون ثم بيد الرومان عام (165 م). في

البداية كان هذا الكنيس منزلاًخاصاً ثم أصبح الكنيس الحالي.

خلال حصار الفرس البارثيون (لدورا أوروبوس) وبقيادة (شاهبور الأول) وخوفاً من أن يدخلوا عبر فتحة في السور ردم الرومان السور من الداخل بالرمل فغطى جزءاً من الحي السكني بما فيه الكنيس فحفظه ذلك من الدمار.

ولم يعثر حتى الآن على ما يماثل هذا الكنيس في القدم أو في طراز الزخرفة.

ويتألف من ثلاثة أقسام:

1 ـ الباحة وحولها ثلاثة أروقة.

2 ـجناح الكهنة.

3 ـ الحرم وأطواله (7.7 X 13.35 م)،وارتفاعه (7 م).

ويحتوي على نص آرامي يؤرخ بناء الكنيس بعام (556) من السنة السلوقية وتعادل سنة (244 م).

وللحرم ثلاثة أبواب: الأيمن لدخول النساء،والأوسط والأيسر لدخول الرجال. وفي الداخل مصاطب يجلس على اليمنى النساء وعلى اليسرى الرجال.وفي صدر الحرم محراب التوراة وإلى يمينه كرسي البطريرك (صامويل). والسقف مزين برسوم ملونة من وجوه وفواكه.وقرب السقف نوافذ للنور والهواء. وجدران الحرم مزينة بلوحات فريسكو من قصص التوراة.

جامعة دمشق

بناها (عبد الحميد الثاني) في نهاية عام (1900) لتكون جامعة ولكنها أصبحت ثكنة. أصدرت السلطات التركية أمراً بتأسيس مدرسة للطب فيها عام (1903)، ثم مدرسة للقانون عام (1913). وتوحدتا عام (1921). طراز البناء أوروبي. وأخذت بعض حجارتها من أحجار القلعة. وكان أمامها ملعب للخيول مكان المتحف الحالي.

خلال الانتداب كان نادي الضباط مكان نادي القلعة الحالي. وكانت

الجامعة ثكنة للقوّات المغربية واسمها (ثكنة كيبر). وبقيت هكذا حتى الجلاء عام (1946) فصارت جامعة. خلال الانتداب كان هناك كليتين، الطب والقانون. ثم انتقلت إليها بعض الكليات وزيد عليها: الهندسة، الأدب، العلوم، ومعهد المعلمين الحالي، وكلية التربية فيا بعد.

الخط الحديدي الحجازي:

أعطى السلطان (عبد الحميد) امتيازات لشركات فرنسية، أقامت معظم خطوط السكك الحديدية في الدولة. وعين لجنتين لتنفيذ المشروع: الأولى في (أستانبول) مهمتها جمع التبرعات: وفعلت ذلك الدول الإسلامية لأغراض دينية. والثانية في (دمشق) وعلى رأسها الوالي (ناظم باشا) ومهمتها الإشراف على عمليات البناء. بدأ العمل الفعلي بإنشاء خط تلغرافي بين (دمشق) و (المدينة). وافتتح القسم الأول من (دمشق ـ مزيريب ـ درعا) في أيلول (1903). وكان طوله (124 كم). وفي أيلول (1906) وبمناسبة عيد جلوس السلطان تم افتتاح قسم (المدورة ـ تبوك) بطول (120 كم). وخلال الأعوام (1903 و 1905) تم إنجاز الخط الغربي (حيفا ـ درعا) بطول (168 كم). وفي آب عام (1906) أنشيء قسم (تبوك ـ المدينة) بطول (110 كم). وبذلك تم اتصال (دمشق) (بالمدينة) بصورة نهائية. وكانت المسافة (1302 كم). بني على الخط الرئيسي (950) جسراً. وأضيفت خطوط فرعية للخط الرئيسي هي: خط (حيفا ـ عكا) وطوله (18 كم). أنشيء خلال (1911 و 1913)، خط (درعا ـ بصرى) بطول (39 كم). وخط (القدس ـ بئر سبع)، وخط (عنيزة ـ الشوبك).

كانت تكاليف الخط الحجازي (4.283.3000) ليرة عثمانية. وفي أيلول (1908) في عيد جلوس السلطان أقيمت حفلة افتتاح الخط في (المدينة). وأول قطار وصل إلى (المدينة المنورة) كان في (22 آب 1908) واستمرت الرحلة يومين. في عام (1914) كانت هناك ثلاثة سفرات أسبوعياً من (دمشق) إلى (المدينة)، تستغرق (56) ساعة. وسبع سفرات من (حيفا) إلى (دمشق) تستغرق

(12) ساعة. ومن (دمشق) إلى (المدينة) تستغرق ثلاثة أيام. وفي عام (1913) وافق العثمانيون على إعطاء امتياز للفرنسيين لبناء خط حديدي بين (الرياق والرملة) ليتصل بخط (دمشق ـ بيروت) وبخط (يافا ـ القدس).

حاول الاتحاديون بعد خلع (عبد الحميد) تمديد الخط إلى (مكة) و(جدة) ولكن الثقة بينهم وبين الغرب كانت مفقودة بسبب التتريك. بعد الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) أصلح الخط بين (دمشق وعمان) وبين الحدود الأردنية والسعودية حتى (المدينة) ولم تصلحه السعودية. وكان (لورنس) قد خرّب الخط أثناء الثورة لأنه كان منافساً خطراً (لقناة السويس). وأثناء الانتداب ألغى الفرنسيون في (سورية) إدارة الخط وألحقوه بالشركة الفرنسية المشرفة على الخطوط الأخرى في (سورية) و (لبنان) بعد إصلاحه.

انقطع الخط عام (1947) بسبب تخريب العصابات اليهودية للجسر القائم بين (الحمة) و (سمح) قبل (3 كم) من (الحمة) غرباً. وحتى أواخر (1966) كان الخط يستعمل من (دمشق) حتى (الحمة) حيث أقيم سد الملك (طلال) في قرية (مخيبر) وبقي من (درعا) إلى (الشجرة) وطوله (35 كم) وكانت سرعة القطار (45 كم بالساعة). وتنخفض قرية (الشجرة) (156 م) عن سطح البحر. وفي عام (1967) حصل الاحتلال الإسرائيلي فأوقف مشروع السد والخط.

كان هناك خط من (دمشق) إلى (بيروت)، يمر بـ (عين الخضراء) (مضايا) (الزبداني) (زحلة). وخط (دمشق ـ زحلة ـ حمص). وخط من (عمان) إلى (دمشق) وبالعكس وهو على البخار.

أقيم خط من (معان) إلى (العقبة) لنقل الفوسفات. وهو خط ضيق يشبه الخط الحجازي.

حالياً تغطي سورية شبكة حديثة من الخطوط منها: (حلب) ـ (مسلمية) ـ (أغوار) ـ (ميدان اكبس) على الحدود (السورية التركية)، ثم (تركيا) إلى (استانبول) وفيها يبدأ القطار السريع.

(اللاذقية ـ حلب ـ مسكنة ـ الطبقة ـ الرقة ـ القامشلي ـ الموصل). طوله

من (اللاذقية) إلى (القامشلي).يبلغ (758 كم)، انتهى عام (1978) وكلفته (900) مليون ليرة سورية.

وخط آخر هو (دمشق ـ حمص ـ حما ـ حلب).

و (حمص ـ تلكلخ ـ طرابلس ـ بيروت).

و (دمشق ـ القنوات ـ القدم ـ الكسوة ـ دير علي ـ مسمية ـ جباب ـ خبب ـ محجة ـ ازرع ـ غزالة ـ درعا).

وخط (درعا ـ بصرى).

وخط (دمشق ـ قطنا).

محطة الخط الحديدي الحجازي:

بنيت عام (1908) على الطراز الأوروبي. وصممها المهندس (ده روندا) الإسباني وهو من صمم مبنى (العابد) أيضاً. أمامها نصب هو سبيل لسقاية المسافرين. وكان موضعه يتبدل كلما أعيد تنظيم الساحة. عليه نص تاريخي يخلد ذكرى موت (مسلم البارودي) الذي استشهد بيد الفرنسين عام (1945) خلال عمله طبيباً مع المدنيين ضد الفرنسيين.

الحج في القرن 18:

في الأسبوع الأخير من (شعبان)، يبدأ توارد الحجاج البعيدين إلى (دمشق)، ليتجمعوا خلال شهر (رمضان). ويبدأ موكب المحمل بالتحرك بين (15) أو (17) (شوال) باتجاه (الحج). بعد يومين إلى خمسة تخرج قافلة الحج الشامي. ثم قافلة الحج الحلبي ومعهم حجاج العجم. يتوقفون في (القدم). وفي (الكسوة) تُسلم كسوة الحج أي (كسوة الكعبة) لأمير الحج ليأخذها إلى (مكة). ويتجمع الحجاج ومعهم المحمل في (مزيريب). ويبقون فيها من (4) إلى (7) أيام. ثم يتقدم (أمير الحج) بالمحمل الشريف، والجنود تشق الطريق أمام الحجاج، لتحمي مقدمته وميسرته وميمنته لحماية القافلة. يصل الحجاج إلى

(مكة) في الأسبوع الأول من (ذي الحجة) بين (5) و (7) منه. وفي اليوم التالي يسير (أمير الحج) في موكبه الفخم في شوارع (مكة) إلى (الكعبة). وبعد القيام بشعائر الحج يغادرون (مكة) إلى (المدينة) في أواخر شهر (ذي الحجة) ويصلون (دمشق) في الأيام الأولى من شهر (صفر). ويتأخر (أمير الحج) قليلاً بعدهم كي يحميهم في حالة الخطر.

والمسافة بين (دمشق) و (مكة) أكثر من (1500 كم) أي حوالي (490 ساعة) تقسم على أربعين مرحلة. وتعداد القافلة يكون حوالي (10.000) نسمة. كان الحج يستمر مدة ستين يوماً أو أكثر في الطريق. أدلاء الحج كانوا من رجال (العكّامة) و (المهاترة) من أبناء حي (الميدان). أما عسكر الحج فكانوا فرساناً أشداء.

سوق الحميدية:

طوله (600 م) وعرضه (15 م). ينتهي بقوس هو عنصر معماري في الجدار الخارجي لمعبد (جيوبيتر) أي (الجامع الأموي) الحالي. بني السوق على مرحلتين الأولى عام (1780)، وهو القسم الغربي منه حتى (العصرونية). وكان ذلك في عهد الوالي (محمد باشا العظم) والسلطان (عبد الحميد الأول). والمرحلة الثانية كانت عام (1884) في عهد الوالي (راشد ناشد باشا) والسلطان (عبد الحميد الثاني)، وكان من (العصرونية) حتى (باب بريد). وقد ردم الخندق المحيط بالقلعة. وأزيلت بعض الأسواق الصغيرة. ودعي (بالحميدية) على اسم السلطان (عبد الحميد). ثم غطى الوالي (حسين باشا العظم) سقف السوق بالحديد. وقد احترق هذا السوق في عامي (1911 و 1920). وكان مدخله يدعى سوق (الأروام).

السرايا:

بنيت عام (1900) على الطراز الأوروبي وبتأثير هلنستي طفيف. وكانت

مقراً للولاة العثمانيين في عام (1918). ثم صارت للعرب بين (1918 و 1920). ثم للحكومات المحتلة حتى الجلاء عام (1946). وبعدها صارت مركزاً لرئاسة مجلس الوزراء ثم للخارجية. أمام البناء نصب يخلد ربع قرن على جلوس السلطان (عبد الحميد الثاني). في أعلى العمود مسطح كان عليه ساعة ضخمة يسمعها سكان دمشق. وعلى جسم العمود (طغرة) السلطان (عبد الحميد الثاني) وتوقيعه.

المستشفى الوطني (الغرباء):

بني عام (1899) على الطراز الأوروبي بدلاً من (البيمارستان النوري). وكان ذلك أيام الوالي (حسين ناظم باشا) في عهد السلطان (عبد الحميد الثاني).

البنك المركزي وقصر العدل وبناء البريد الرئيسي:

بني الجميع عام (1947).

نصب ساحة الشهداء (المرجة):

صممه فنان إيطالي من (بروفنس). وأقيم تخليداً لذكرى الخط البرقي بين (دمشق) و (المدينة المنورة). كان الأول من نوعه في الشرق الأوسط في أواخر القرن (19) (1325 هـ = 1907 م). في عهد السلطان (عبد الحميد الثاني). وهو نموذج مصغر من البرونز لجامع (أياصوفيا) في (إستانبول).

مبنى العابد:

أقامه المهندس (ده روندا) الإسباني بين (1908 و 1910). وكان صاحبه (عزت باشا العابد) ثاني أمناء السلطان (عبد الحميد الثاني). وكانت الغاية من بنائه أن يكون فندقاً. ولكن الحرب العالمية الأولى جعلته منزلاً للجنود حتى انسحابهم عام (1918).

المجلس النيابي:

مخططه إسلامي. بدأ البناء عام (1928) وانتهى عام (1931). بني فوق أرض كانت دار للسينما شيدت عام (1916). واشتعلت فيها النار بعد شهر واحد. تعرض المجلس لهجوم الفرنسيين عام (1945) وذبحت حاميته كاملة عن بكرة أبيها فيه.

وزارة الأوقاف:

بناه عام (1910) الوالي (إسماعيل فاضل باشا) في عهد السلطان (محمد رشاد الخامس). طرازه أوروبي مع لمسات عثمانية. كان أصلاً مدرسة عثمانية أو دار للمعلمين حتى عام (1923). وصار مقراً لوزارة المعارف عام (1946). ثم صار مقراً لوزارة السياحة.

الكهرباء:

دخلت الكهرباء إلى (دمشق) عام (1903) لأول مرة في (سورية). ثم انتشرت ببطء وشملت المدن الرئيسية، وبعض البلدان، حتى عام (1950).

وفي عام (1965) أحدثت المؤسسة العامة للكهرباء.

وتمت المرحلة الأولى من الشبكة العامة في عام (1968 م).

أما في (1974) فقد أُحدثت وزارة الكهرباء، وبدأ تنوير الريف.

وفي عام (1979) غطت الكهرباء أكثر من (96٪) من البلاد.

وفي عام (1980 م) تم ربط المناطق بالشبكة العامة.

وفي (1994) تم إحداث مؤسستي توليد وتوزيع الكهرباء بدلاً عن المؤسسة العامة لتوليد الكهرباء.

وكان عدد المشتركين حوالي (2.794) مليون مشترك.

وفي عام (1996) كانت القدرة (18335 مليون ك. و. س).

ومن المتوقع إنتاج (سورية) من الكهرباء أن يصل إلى الرقم «47» مليار (ك. و. س) في عام (2010).

نهر بردى:

يعتقد بأن (إرم ذات العماد)، هي (دمشق)، وذلك لكثرة أعمدتها التي كانت حوالي (400) ألف عمود. في ذلك العهد لم يكن في العالم مدينة تقوم على أعمدة (كدمشق) العمورية الكنعانية.

وكان فيها نهران مشهوران هما (أبانا) و (فرفر). قد يكون (أبانا) هو (بردى) و (فرفر) هو (الأعوج). ويعتقد (سوفاجيه) بأن (أبانا) هو نهر (بانياس) واسمه الغربي القديم هو (باناس). وكان اسمه قد تبدل من (أبانا) إلى (باناس) ثم إلى (بانياس). وربما كان أساس الاسم من (بان) إله الغابات وخاصة أن (بانياس) كان يتفرع عن النهر الأصلي في (الربوة) حيث الغابات.

أما (فرفر) فهو (بربر) أو (بردى) لأن حرف الفاء يمكن استبداله بالباء في اللهجات العربية القديمة. وذكر اسم (أبانا) قبل (فرفر) لأنه كان يدخل المدينة القديمة ويسقيها أما (فرفر) فكان يمر بشمال المدينة..

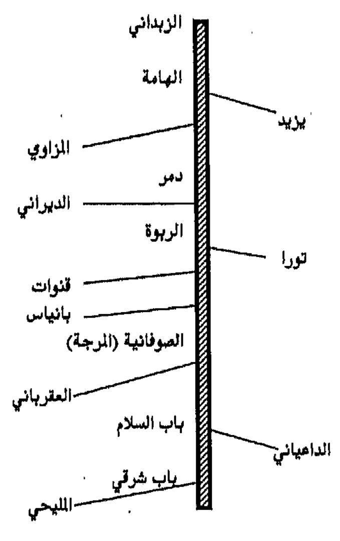
نهر بردى في أواخر القرن (19):

ونهر (بردى) أو نهر (الذهب)، كما كان يدعى في القديم، كان السبب في نشوء مدينة (دمشق) كما أنه السبب في أحاطتها بالغوطة الخصبة، وبمزارعها وبساتينها الغنية بكل أنواع الثمار والخضار. ولهذا النهر سبعة فروع تسير على شكل مروحة لتروي (دمشق) والمناطق المحيطة بها.

ينبع (بردى) من جنوب (الزبداني) على بعد (40 كم) من (دمشق). طول المجرى الأصلي من منبعه حتى مصبه (71 كم). يسير في سهل (الزبداني) ثم في (وادي بردى) المسمى (وادي البنفسج) أو (وادي الذهب). ثم يمر (بسوق وادي بردى).

في (وادي بردى) تتفرع قناة قديمة محفورة في الصخر لتسقي الأراضي

المرتفعة. ويستمر النهر في سيره بالوادي، حيث كانت تصب فيه أعين كثيرة. وكان يسقي الحدائق والبساتين. وحينما يصل قرية (عين الفيجة) تنضم إليه مياه نبع (الفيجة) الذي كان يساويه في الغزارة. ثم يسير إلى قرية (بسيمة) مروراً (بعين الخضراء) ثم (بالأشرفية) و (الجديدة) (فالهامة). عند جسر (الهامة) وعلى بعد (8 كم) من (دمشق) ينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. العلوي: يسمى (يزيد) أما السفلي فيبقى اسمه (بردى) ويتفرع من جهة اليمين نهر (المزاوي). وبالقرب من (دمر)، ينقسم من (بردى)، فرع آخر يسمى (الديراني)، يسير نحو (داريا)، وعلى بعد حوالي (1.5 كم) من (دمر)، عند الجسر، يتفرع عنه من جهة اليسار نهر (ثورا). وبعد قليل يتفرع نهر (القنوات)، الذي شق في أواخر العهد الآرامي حوالي (8543 ق. م) وبنيت له قناطر رومانية في حي (القنوات) خلال العهد اليوناني والروماني. بعد ذلك يتفرع نهر (بانياس).



نهر بردى وفروعه

ويتم نهر (بردى) مجراه في وسط (دمشق) لينقسم منه في ساحة (المرجة) نهر (العقرباني). ثم يمر (بباب توما) (فالشيخ رسلان) ويسقي الغوطة الجنوبية. وعند (باب السلام) يتفرع منه نهر (الداعياني) ويسقي الغوطة

الشرقية. وعند الباب الشرقي يتفرع نهر (المليحي) ويسقي المنطقة الشرقية من الغوطة أيضاً.

الفروع التي تدخل (دمشق) القديمة هي (القنوات) و (بانياس). وكانت المياه تجري في أقنية نحو المنازل والمعابد والشوارع والحمامات. وما بقي من المياه كانت تصب في بحيرتي (العتيبة) و (الهيجانة).

نهر يزيد:

ارتفاعه عن سطح البحر (750 م). يأخذ (18 قيراط) من أصل (24) من ماء (بردى) الرئيسي. كان آرامي وسعه وحسّنه ورمّمه (يزيد بن معاوية) ورصف أرضيته بالحجارة. وصلت مياهه إلى ضواحي (الضمير) سابقاً. ويروي (الشركسية) و (أبو جرش) وأجزاء من (القلمون) وجزء من (حرستا).

نهر المزاوي:

ارتفاعه (725 م) عن سطح البحر. يأخذ حوالي (6 قيراط) من (24 قيراط) مما تبقى من مياه (بردى) الرئيسي. ويمر في نفق إلى (المزة) محفور في الصخر، لذلك يحتفظ بمياهه سليمة. ويتفرع إلى أربعة فروع ليسقي تلك المنقطة.

نهر الديراني:

ارتفاعه (723 م) عن سطح البحر. يأخذ (14 قيراط) من (24) مما تبقى من مياه (بردى) الرئيسي. ويمر في نفق ليسقي (النفلة) و (طاحونة التوتة). وجزءاً من حي (الميدان).

نهر تورا:

ارتفاعه (715 م) عن سطح البحر. يأخذ (14) قيراط من (24) مما تبقى من مياه (بردى) الرئيسي. ويروي (دوما) ويصب في (العتيبة). رصف مجرى النهر بالحجارة لأنه حفر في أراضي لحقية. يسقي (النيرب الأسفل) و (أبي

جرش) وحوالي عشر قرى في منطقة (جوبر). وهو من أهم أقسام (بردى) التي تروي الغوطة.

نهر القنوات:

يرتفع (710 م) عن سطح البحر. يأخذ (20) قيراط من (24) قيراط مما تبقى من مياه النهر الرئيس. ويزود القسم الأكبر من (دمشق القديمة) بالمياه. فيخرج منه فرع يسقي جنوب غرب وجنوب (دمشق). ويروي آخر حي (الحلبوني). وعليه طوالع عددها (91) تغذي حي (القنوات) بالمياه. وكان النهر محمولاً على قناطر لتغذية القصر الملكي في (دمشق). وقد هدّم (تيمورلنك) هذه القناطر ولم يبقَ إلا واحدة.

نهر بانياس:

يرتفع (702 م) عن سطح البحر . يعود نهر (بانياس) إلى العصر البرونزي وأوائل العصر الآرامي أي (2500 ق. م) حتى (1500 ق. م) وكان أول فروع (بردى) لأنه كان أسهلها حفراً. وهو الأقرب إلى المدينة. يغذي نصف المدينة القديمة بفروعه التالية:

1 ـ فرع الطوير: يغذي (العصرونية) وينتهي عند (باب توما). وهو معلق على الجدران ويعلو من (1 ـ 1.5 م) عن سطح الأرض لحفظه نقياً.

2 ـ فرع بانياس: يجري بثلثي مياهه إلى (العصرونية). وهناك ينقسم إلى:

1 ـ فرع يغذي (السبع طوالع) و (النقاشات) و (النوفرة).

2 ـ والآخر يغذي حي (القميرية) وينتهي عند (باب توما).

3 ـ وفرع آخر يتجه نحو (الشاغور) وتعني باللغة العمورية الأراضي المسقية بواسطة قنوات. وعند (الحريقة) يتفرع إلىفرعين الأول ينتهي (بالنهر الأبيض) أي (قليط). والثاني (بالنهر الأسود) ونهر (مزاز). وهذا الفرع هو شبكة مجار، تصب في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة (دمشق).

دورا أوروبوس

تبعد (85 كم) عن (دير الزور)، و (15 كم) عن (البوكمال) و (140 كم) عن (تدمر). (دورا) كلمة آشورية تعني درعة أو حصن أو محلة أو دار. (أوروبوس) هو اسم مسقط رأس (سلوقس نيكاتور) (Selucus Necator) في (مكدونيا) وكان قائداً عند (الإسكندر)، أسس دولة السلوقيين في (سورية) و (فارس) بعد موت (الإسكندر). واستمرت دولته بين (312 ق. م حتى 64 م). أما عهد (سلوقس) فكان بين (312 و 280 ق. م). وقد بنى خلال عهده شبكة من المراكز العسكرية، وعدة مدن منها: (أنطاكية) على اسم أبيه (أنطيوك). و (اللاذقية) على اسم أمه (لاوديسيا) و (أفاميا) على اسم زوجته. و (إسكندرون) على اسم (الإسكندر).

تاريخ بناء (دورا أوروبس) مجهول. ولكن (سلوقس نيكاتور) أعاد بناءها بين عامي (300 و 280 ق. م) فصارت مدينة هلنستية الطراز أي على شكل رقع الشطرنج. شيدت على هضبة واسعة. وصارت إحدى مدن القوافل الهامة مثل (تدمر) و (بترا) و (جرش). ومحطة للتجارة والتموين. كما كانت مرفأ نهرياً يوصل (الخليج العربي) بمدن (الفرات). ثم عبر البر إلى (البحر الأبيض المتوسط). أنشئت فيها منطقة للجمارك تجبي الرسوم في المرفأ على ضفة (الفرات). كما كانت تحمي وتحرس النهر وأيضاً الممر البري بين مركزين حربيين هامين هما (أفاميا) في (سورية) حالياً و (سلوسيا) على (الدجلة) جنوب (العراق) حالياً. وكانت الجيوش تتمركز في مساحة تبعد (80 كم) نحو الشمال باتجاه نهر (الخابور).

أطلق على (دورا أوروبوس) كثير من الأسماء مثل: (دور نيكانوريس)

(Nicanoris) على اسم أحد قواد (سلوقس) واسمه (نيكانور) (Nicanor) ثم اسم (أوروبوس) حتى عام (180 م). ثم ظهر اسم (دورا = درعة) حوالي عام (200 م). فصارت (درعة أوروبوس) ثم (دورا أوروبس) وحالياً (الصالحية).

بنيت من حجارة الجبس (كالرصافة). وهي حجارة قليلة المقاومة للعوامل الجوية. وأحاطت بها الوديان ونهر (الفرات). جهتها الغربية كانت ضعيفة ليس ما يحميها طبيعياً. لذا حصنت بعدد كبير من الأبراج.

كانت مساحة (دورا أوروبوس) في عهد (سلوقس نيكاتور) (13 هكتار). ثم توسعت فأصبحت (72 هكتار). وعدد سكانها كان حوالي عشرون ألف نسمة. وهم خليط من عدة جاليات إغريقية ومكدونية وآرامية وفارسية وأرمنية والتدمرية التي كانت أكبر الجاليات. وحملت كل واحدة معها آدابها ولغتها ودياناتها وآلهتها وفنونها ولباسها وعاداتها. لذا كان السكان يتكلمون أكثر من لغة. ولكن الآرامية كانت هي السائدة. وبعدها بدأت اللغة اللاتينية.

بعد حكم (سلوقس) احتلها (الفرس البارثيون الأركاشيون) (Parthian) عام (113 ق. م) وبقوا فيها حوالي (229) سنة. حينما احتل الرومان (سوريا) في عام (64 ق. م) بقيت (دورا) تحت حكم (البارثيون) حتى نهاية القرن الأول الميلادي. ثم احتلها الرومان عام (116) ولكن السكان ثاروا ضد (تراجان) (Trajan) الذي تركها عائداً إلى (أوروبا) ولكنه مات في جنوب (تركيا) وكان قد ترك ابن أخيه (هادريان) (Hadrian) حاكماً (لسورية) فأوكل إدارتها للتدمريين (117 - 138 م). وصارت خط دفاع للإمبراطورية الرومانية ضد الفرس. كما أصبحت مرفأ (تدمر) النهري. يصل بينهما طريق معبد.

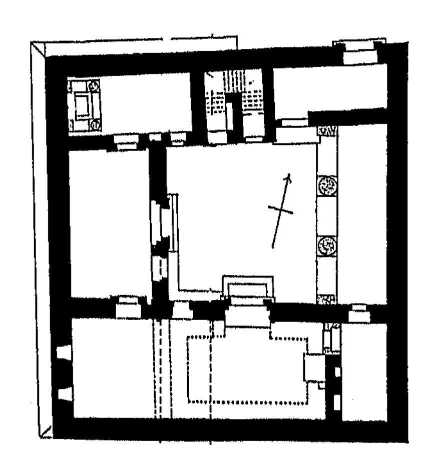
خربت زلازل أيلول عام (161 م) أبنية (دورا أوروبوس) وتحصيناتها، فأعيد إعمار مساكنها فقط. وحينما زارها القائد الروماني (لوسيوس ڤيروس) (Lucius Verus) في عهد الإمبراطور (ماركوس

أوريليوس) (Marcus Aurelius)، وكان قد هزم (البارثيون) واستولى على المدينة عام (165 م)، أعاد بناء القلعة حسب الهندسة الرومانية وبقيت المدينة إغريقية الطابع. وأصبحت رسمياً مستعمرة رومانية عام (211 م). بعد ذلك أمر الإمبراطور (كاراكالا) بترميم القلعة وتحصينها. ثم هاجمها (الفرس الساسانيون) الذين خلفوا (البارثيين) بقيادة الملك (شاهبور) عام (256 م). ولكن الحامية الرومانية دافعت عنها بعد أن دعمت أسوارها من جميع الجهات بالآجر المشوي. مما جعل لها سوران. ولكنها لم تستطع الصمود أمام هجمات الفرس الذين احتلوها وهدموها. وأجلوا سكانها. وعلى أيديهم انتهت تلك المدينة الرائعة.

بعد خرابها، سكنها بعض المسيحيون. وصار اسمها (تنوسي). ولكنهم أسموها (الصالحية) نسبة إلى (دانيال الصالحي) الذي ولد فيها وذاع صيته في النصف الأول من القرن السادس، وصار رئيساً لدير الصالحيين، الذي بني فوق أنقاض (دورا أوروبوس) ولكنه لم يعمر طويلاً.

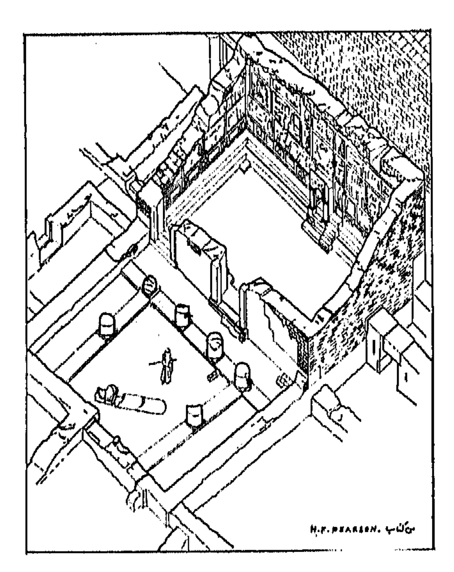
في عهد الفتح الإسلامي كانت خراباً. وأخذت الرمال تغمرها عاماً بعد عام حتى عام (1920) حينما اكتشفت بعثة بريطانية صدفة جداراً فيها. ثم أجريت تنقيبات بواسطة بعثة فرنسية ـ أمريكية بين عامي (1928 و 1937). وتوزعت المكتشفات بين متحف (دمشق) و (اللوفر) وجامعة (ييل) في الولايات المتحدة الأمريكية. وجدت فيها رسوم جدارية لآلهة تدمرية (متحف دمشق). وكانت في المعبد التدمري. ترجع إلى عام (235 م) وتمثل طقوس العبادة التدمرية. كما وجدت آثار أخرى ورسوم لآلهة مختلفة وكتابات تدمرية وفرثية ورومانية.

وأهم ما يلفت النظر إلى (دورا أوروبوس) هو وجود أربعة عشر معبداً، إضافة إلى كنيس يهودي (متحف دمشق) وكنيسة منزلية تعود إلى عام (232 م) فيها لوحات جدارية. يمثل بعضها الراعي الصالح. مما يدل على روح التسامح الديني. والتعايش بين الأديان في بلد واحد.



دورا أوروبوس ـ الكنيسة المنزلية

أما الكنيس اليهودي فيعود إلى (244 م). أثناء حصار الفرس عام (256 م) (لدورا أوروبوس) بقيادة ملكهم (شاهبور الأول) وخوفاً من أن يدخلوا عبر فتحة في السور، رُدم من الداخل بالرمل الذي غطى جزءاً من الحي السكني بما



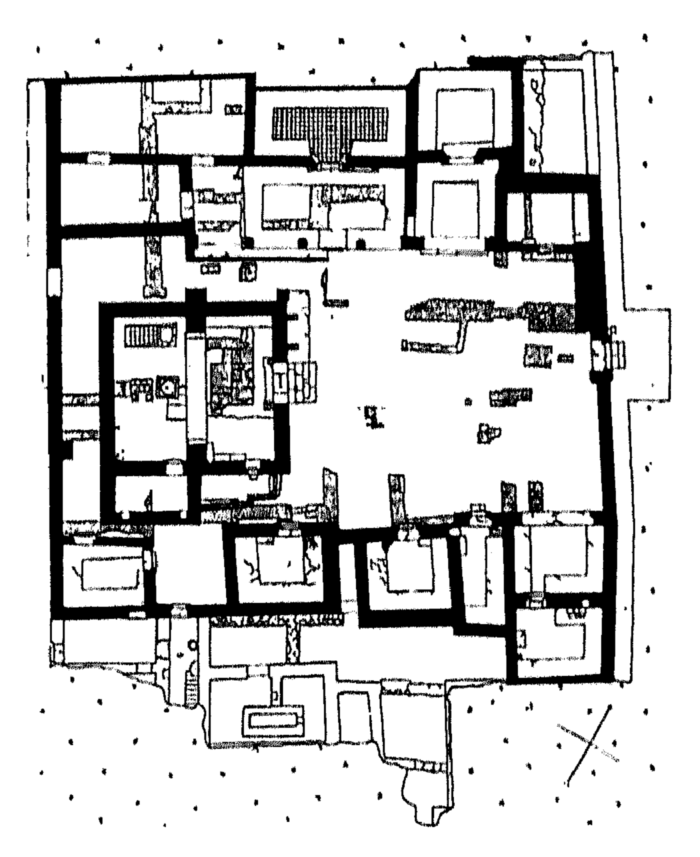
دورا أوروبوس ـ الكنيس اليهودي

فيه الكنيس فحفظه من الدمار، طليت جدران الكنيس بمشاهد من القصص التوراتية، إضافة إلى الزخارف المحلية. ولم يعثر حتى الآن على ما يماثل هذا الكنيس في القدم وفي طراز الزخرفة.

أما المعابد الوثنية فكانت: معبد (زيوس تيوس) (Zeus Theos) من (114 م).

معبد (أبولو وارتميس) (Apolo and Artamis).

معبد (زيوس كيريوس) (Zeus Kyrios).

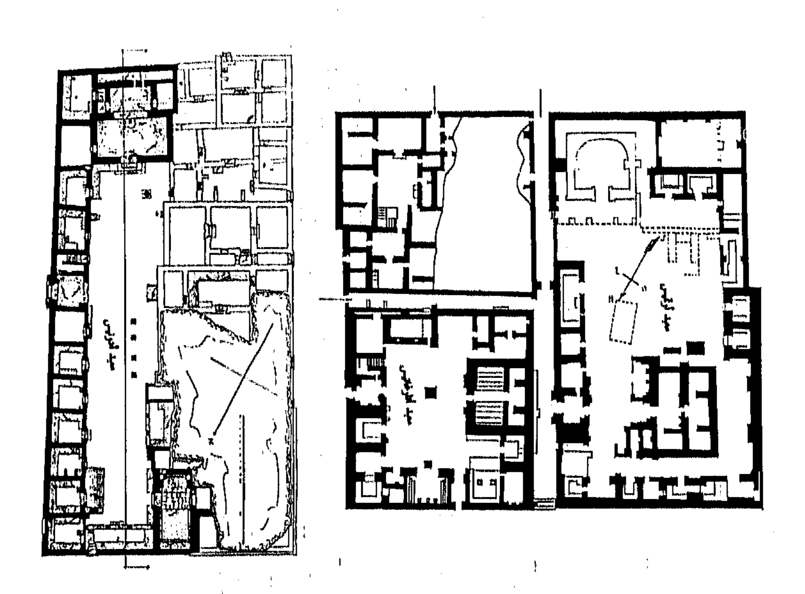


دورا أوروبوس ـ زيوس تيوس

معبد (تيشه).

معبد (غاد) (Gadde): حامي الينابيع والزيتون.

معبد (حدد) (Bel) و (أتارغاتيس) (Atargatis) الربة السورية. بني في (31 أو 32 ق. م). المعبد ومنزل الكهنة الذي اكتشف عام (1929 م)، يقعان في الجنوب الشرقي من الطريق المقدس الذي يفصلهما عن معبد (أرتميس).



دورا أوروبوس ـ معابد أرتميس وأتارغاتيس وأدونيس

معبد (أرتميس أزاناثكونا) (Artamis Azzanathkona).

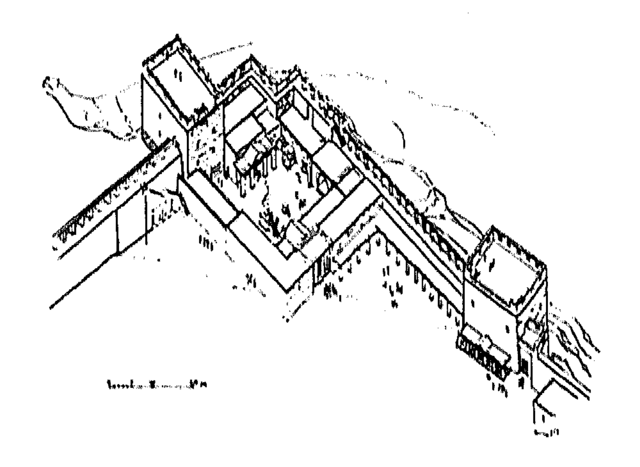
معبد (أرتميس نانايا) (Artamis Ananaia) ربة الصيد. وهو في وسط المدينة. شرق بوابة (بغداد) بني بين (40 و 33 ق. م). أعاد (البارثيون) بناء المعبد الهلنستي لأن (نانايا) هي الربة المماثلة (لأرتميس) لديهم. للمعبد مدخل بسيط ومذبح وهيكل له ثلاثة أقسام. وجد (فرانزكومون) فيه تمثالاً بدون رأس (لافروديت) وهي تقف على صدفة سلحفاة (متحف اللوثر).

معبد الإله (مير) رب العاصفة عند السلوقين. والهيكل مزين بنقوش ورسوم.

معبد (زيوس أوليمبيو) (Zeus Olimpio) أو (زيوس مغنيستوس) (Zeus Megistos) من عام (169 م).

معبد (أدونيس) (Adonis).

معبد (أفلاد) (Aphlad).



دورا أوروبوس ـ معبد الآلهة التدمرية

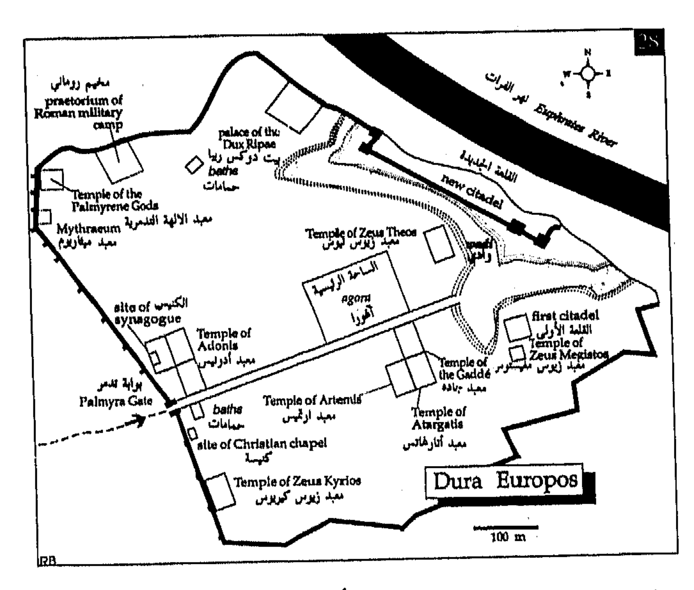
معبد (بل) (Bel): بني قبل عام (159 م) وهو مكرس لإلهين تدمريين هما (بل) و (غاديه) (GAdde)، وفيه باحتان، وله شرفة تطل على (الفرات). وجدت فيه لوحات جدارية (متحف دمشق).

ومعبد (ميثرايوم) (Methraeum): ويقع جنوب معبد (بعل). بني بين (201 ـ 211) وكرس لإله فارسي عبده سكان وأفراد جيش الإمبراطورية الفارسية.

وصف المدينة:

يحيط بالمدينة سور بناه (نيكاتور) من اللبن والأحجار الجصية بينها مونة

من الجص أيضاً. ارتفاعه (9 م) وسماكته (3 م). فيه ثلاثة أبواب. واحد من جهة النهر شمالاً. والثاني في الجنوب، أما الثالث فهو في الغرب ويدعى (بوابة تدمر) التي أقيمت على شرف فرقة (سيرينايكا) (Cyrenaica) الثالثة في عهد (تراجان)، وعرضها (20 م) وبنيت في (16 أو 17 ق. م). على جانبيها برجان بارزان، ارتفاعهما حوالي (11 م) ولكل منهما غرفتان للحراس. وبابان متوازيان يعلوهما قوس دائري فيه ممر للحراس. وهو الباب الوحيد الباقي.



مدينة دورا أوروبوس

أبراج السور مربعة أو مستطيلة، بقي منها (26) برجاً، يبعد كل واحد عن الآخر (58 م). ويتألف من طابقين أو أكثر وأشهرها برج رماة الرماح، وبرج التدمريين. وبرج خماسي يقع في السور الجنوبي وهو أجملها وأندرها.

البرج الثاني على يسار بوابة (تدمر)، اخترقه الساسانيون الفرس من الخارج، فقابلهم الرومان اختراقاً من الداخل فسقط البرج عليهم. ووجدت بقايا جثثهم ومعها نقود عرف بسببها زمن سقوط المدينة. يوجد في المدينة قصور وبيوت و(زاقورة) وهي معبد برجي، كما يوجد ساحة عامة (آغورا) أي

(فوريوم)، وأسواق وحمامات ثلاثة منها قرب الكنيسة. يتألف البيت من باحة داخلية تحيط بها الغرف. وبيوت الأغنياء مشابهة إلا أنها أكبر ومزخرفة بأفاريز ورسومات.

الشارع الرئيسي Decumanus:

كان معمّداً، عرضه ضعف عرض أي شارع رئيسي آخر. يقطع المدينة من بوابة (تدمر) حتى نهر (الفرات). لذا كان هو الطريق التجاري الذي يقود من المرفأ إلى البوابة وبالعكس. في منتصفه تقع الساحة المركزية (Agora). وكانت في العهد اليوناني سوقاً مفتوحة إلا أنها في عهد (الفرثيين) زادت أبنيتها فصارت تحتوي على مخازن وأسواق مغلقة وحولها أقيمت الأبنية العامة.

القلعة الأولى:

تقع في نهاية الطريق الرئيسي. جعلها اليونانيون قلعة داخلية وسكنا لحاكم المدينة. بنيت فوق مرتفع طبيعي ودعمت ببناء القلعة الحالية.

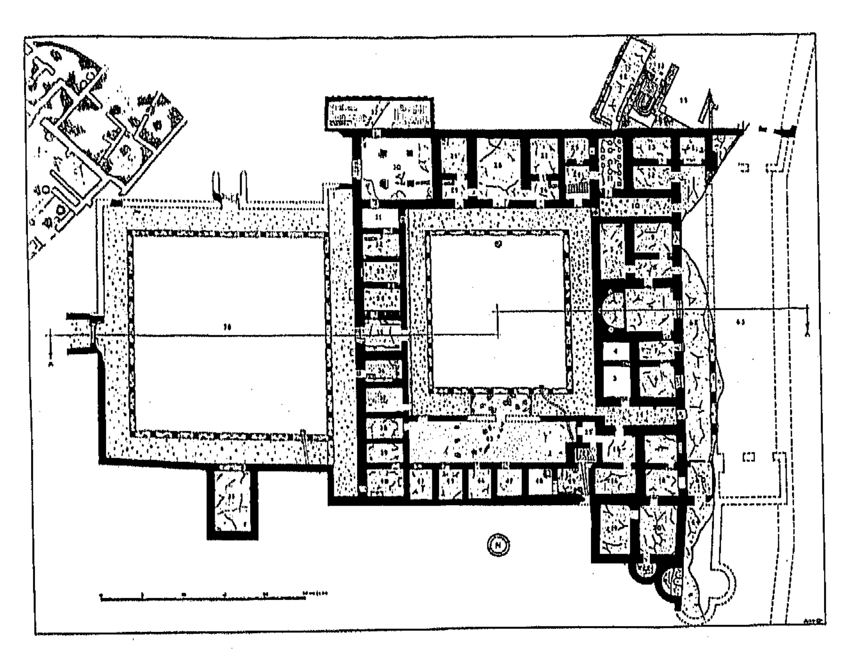
القلعة الجديدة:

بناها (الفرثيون) مكان قلعة من عهد (سلوقس نيكاتور) في القرن (2 ق. م) وتقع على مرتفع ويفصلها عن المدينة واد صغير. وعناصرها الشرقية واضحة في ثلاثة إيوانات، وغرف استقبال تفتح على الباحة المكشوفة. بقي منها قسم من الواجهة الغربية. طولها (300 م) وعلوها أكثر من (20 م) وهي مبنية بالأحجار الجصية الهشة. وفيها ثلاثة أبراج وشرفات وثلاثة مداخل لها أقواس نصف دائرية وجدرانها مغطاة بالرسوم. جرفت الفيضانات بعض أجزائها. وقد جدد الإمبراطور (لوسيوس فيروس) (Lucius Verus) بناءها عام (165 م) ومن بعده الإمبراطور (كاراكالا).

قصر الدوكس Dux Ripas:

أي قصر المسؤول عن النهر. أقيم في القسم الحربي من المدينة قبل (227

م). والذي يقع بين هذا القصر والسور الشمالي والغربي. وفيه أماكن للتدريب، والحمامات والمعابد منها اثنان في الزاوية الشمالية الغربية، وهما معبد (بعل) ومعبد (ميثاريوم) (Methareum).



دورا أوروبوس ـ قصر الدوكس

الأوديون:

مسرح صغير للحفلات الموسيقية ثم خصص للطقوس الدينية.

اكتشف في (دورا أوربوس) بعض اللقى منها: حلي وأمشاط وخزف ملون، جرار على بعضها نقوش بسيطة. كما وجدت نقود في بعض القبور تعود إلى (أنطيوخوس) (280 - 261 م) وبعضها يعود إلى عهد الإمبراطور الروماني (تراجان) عام (116 م).

دير الزور

تبعد (320 كم) عن (حلب)، و (210 كم) عن (تدمر)، وترتفع (600 كم) عن سطح البحر. كان لها عدة أسماء قديماً هي: (تاماريش) (Tamarish) و (آزورا) (Azaura) و (أوزارا) (Auzara) و (زورابان) ثم (دوركتليمو). وهي حالياً عاصمة محافظة (دير الزور).

يشطرها (الفرات) إلى قسمين. بنيت عليه خمسة جسور. أحدها الجسر المعلق وهو من عام (1925). فيها سوق مغطى يعود إلى عصر السلطان (عبد الحميد الثاني) في القرن (19). بيوتها مبنية بالحجارة ومحاطة بالحدائق. وعلى ضفاف الفرات تنتشر المقاهي والمطاعم. وفيها متحف خاص أنشأه السيد (عبد القادر العياش).

يوصل الخط الحديدي (دير الزور) بالمدن السورية الأخرى. كما يوجد فيها مطار داخلي.

دير وقلعة سمعان

يبعد الدير (60 كم) عن (حلب). وبطريق أقصر يبعد (35 كم). يرتفع (564) عن سطح البحر، ويعود للكنيسة اليونانية الأرثوذوكسية. هذا الدير أنشىء من أجل القديس (سمعان) العمودي (Simeon the Stylites) وقصة هذا القديس هي كما يلي: ولد عام (386 م) في قرية اسمها (سيسان) من قرى (كليكيا) في منطقة (إسكندرون) وكان والده قروي بسيط. التحق بدير (برج السبع) الواقع في السفح الجنوبي لجبل الشيخ (برخان) وعمره (16) عاماً. ثم غادره بعد عشر سنوات إلى دير (تيلانيسوس) (Telanissos) أي قرية (سمعان) الحالية. عاش فيه ثلاث سنوات مروضاً نفسه على حياة التقشف وحاز على الاحترام مما أشعر رؤساءه بالغيرة والحسد ففصلوه. فابتنى لنفسه عموداً وعاش فوقه منذ عام (412 م). وكان يجدد العمود بآخر آكثر ارتفاعاً، حتى بلغ أقصى حد بين (17 و 20 م). أمضى هذا القديس (47) سنة من عمره وهو يبشر ويرشد الناس إلى دينهم من فوق العمود. وحينما توفي في (26) آب (459) أقيم حول العمود كاتدرائية وصارت محجاً للمسيحيين. وكان (القديس سمعان) يشارك في حل المعضلات اللاهوتية. ويجيب على أسئلة الزوار الدينية. ويفتي في الخصومات المدنية فصار راعي سكان (حلب) والمناطق المجاورة لها من المسيحيين. كما كانت له قدرة على شفاء الأمراض. ويقال بأن ابنة أحد الملوك كانت مريضة بالجذام. فأفردها أبوها في هذا الجبل الذي عليه دير (سمعان)، مر بها القديس يوماً وطلب ماء، فأعطته ما طلب وهي ساترة وجهها. فسألها عن السبب، وأخبرته بمرضها، فشرب من الماء، ثم رش على وجهها بعضاً منه فبرئت بقدرة الخالق. كان للقديس (سمعان) أتباع ومريدون

بلغ عددهم حوالي (200) شخصاً أشدهم حماسة كان القديس (دانييل) العمودي وكان تاجراً، ترك عمله ودخل الرهبنة ثم ابتنى لنفسه عموداً مشابهاً في (القسطنطينية) عام 460 م وكانت صلته جيدة مع القيصرين (ليون الأول) و (زينون).

أصر بطريرك (أنطاكية) أن ينقل جثمان القديس (سمعان) بعد وفاته عام (459) إلى (أنطاكية) بأمر من الامبراطور (ليون) ولكن الأهالي قاوموا نقله، مما اضطره لاستعمال القوة، فأرسل الامبراطور قائده (أردابست) على رأس (600) جندي لصد المقاومة. وبعد ثلاثة أيام استطاع نقله في تابوت من الرصاص إلى كنيسة القديس (قسطنطين) في (أنطاكية). وفي عهد الإمبراطور (ليون) وبأمر منه نقل الرفات من (أنطاكية) إلى (القسطنطينية) ودفن في كنيسة (أياصوفيا). ثم أمر ببناء كنيسة مشابهة لكنيسة ذكرى عمود (القديس دانييل) وذلك تخليداً لذكرى (القديس سمعان) بين عامي (471 و 474).

كان (زينون) حاكماً عسكرياً (لأنطاكية) ثم أصبح إمبراطوراً. ويعتقد بأنه هو الذي أمر ببناء كنيسة الذكرى للقديس (سمعان) لأنه كان شديد الإعجاب به.

وكان هناك قديس اسمه (سمعان) أيضاً. عاش هو الآخر فوق عمود على رأس (جبل المعجزة) قرب (أنطاكية) وعاش بين عامي (517 و 592).

استمرت عادة تقديس العواميد في كافة أنحاء حوض (البحر الأبيض المتوسط) حتى العصور الوسطى.

تاريخ الدير:

بدأ العمل في بناء الكاتدرائية عام (476) وانتهى في (490 م). تعتبر الكاتدرائية إحدى الإنجازات المعمارية الرائعة. بنيت بالحجارة الوردية على شكل صليب، يتوسطه العمود الذي كان يعيش فوقه (سمعان) ثم أضيفت بعض الأبنية كالدير والمعمودية والمدفن. ولكن الزلازل هدمت معظمها في القرن ة (6 و 9 و 16).

حينما أتى المسلمون العرب أبقوا على الكنيسة والدير بيد المسيحيين، ووفقاً لتقاليدهم بالتسامح الديني. وحسب وصية (عمر بن الخطاب) الذي تقول بعدم التعرض للقسس والرهبان والأديرة والكنائس لأنهم نذروا أنفسهم لعبادة الله.

وحينما ضعفت الدولة العربية الإسلامية، استولى البيزنطيون في القرن العاشر على مواقع هامة، منها دير (سمعان) حصنوه بسور طوله (1200 م)، وكان فيه (12) برجاً، فأصبح الدير قلعة ظلت بيد البيزنطيين لمدة (98) عاماً خلال ذلك رممت الأبنية ورصفت الكاتدرائية بالفسيفساء ورخام (كارارا)، كما هو مدون على الأرضية التي تؤرخ أن الإمبراطور (باسيل) الثاني (976 - 1026) وأخيه (قسطنطين الثامن) (976 - 1028) قاما بترميم الأبنية وبرصف الكاتدرائية بالفسيفساء.

في عام (986 م) استعاد (سعد الدولة) ابن (سيف الدولة الحمداني) قلعة (سمعان) بعد حصار دام ثلاثة أيام.

ولكن القلعة بدأت تفقد أهميتها فيما بعد، وفي العهد العثماني، سكن أحد المتنفذين الأكراد في الضلع الشرقي من الكاتدرائية، وسكن متنفذ آخر ببناء المعمودية، "بعد أن أضاف سقيفة خشبية، ليصبح البناء من طابقين. ولكن السلطات السورية أخلت القلعة، وبدأ الترميم فيها، لتصبح مكاناً سياحياً هاماً.

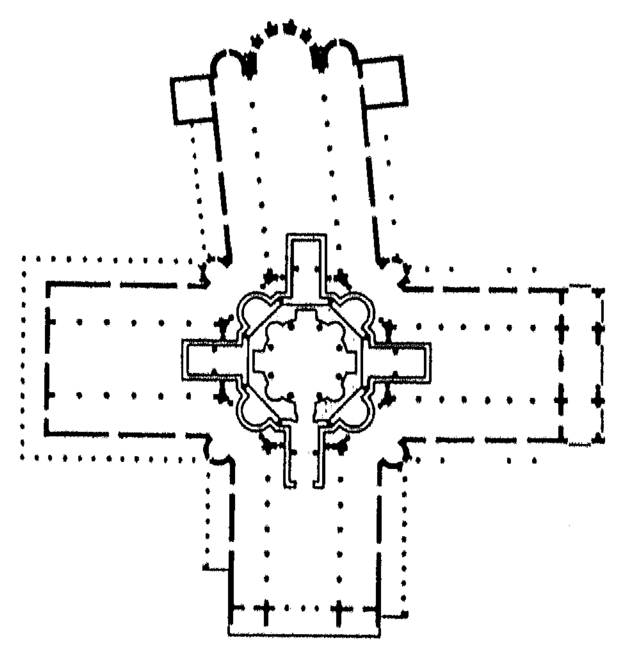
الكاتدرائية:

تتألف من أربع كنائس إيوانية مرتبة على شكل صليب، عرض كل واحدة (24 م). في وسطها ساحة مثمنة الزوايا تعلوها قبة. في مركزها العمود الذي عاش فوقه القديس (سمعان). أبعادها من الشرق إلى الغرب حوالي (100 م)، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي (88 م). حجارتها وردية اللون. وجدرانها كانت مغطاة برسومات وزخارف. وأرض الكنيسة مرصوفة بالفسيفساء عدا الساحة المثمنة فهي مرصوفة بالحجارة.

أمام مدخل الكاتدرائية يوجد بهو له ثلاثة مداخل، فوقها أقواس، الأوسط أكبرها وأعلاها. طرازها بيزنطي مأخوذ عن الهندسة الرومانية. أما

الكاتدرائية فلها أربعة مداخل ذات أقواس أيضاً. اثنان في الوسط كبيران ومتجاوران، واثنان أصغر على الجانبين. وكل قسم من أجنحة الصليب يتكون من ثلاثة أروقة، أوسطها أعرضها. يفصل بين هذه الأروقة صفان من الأعمدة، كل واحد فيه ستة أعمدة. سقف الرواق الأوسط على شكل جملون وأسقف الأروقة الجانبية من الخشب أو القرميد، وجعلت مائلة لتصريف مياه المطر وجمعها في صهاريج. وكل جناح من هذه الكاتدرائية هو كنيسة (بازليكا).

أما الساحة المثمنة في الوسط فلها ثمانية أضلاع. وفوقها قبة. وفي زوايا المثمن أربعة محاريب (Exedras)، كانت في البداية للصلاة أو لوضع توابيت رجال الدين المهمين. أرضية المثمن مبلطة بأحجار كبيرة، بينما كانت أرضية الكاتدرائية مغطاة بالموازييك، من القرن (5)، وبرخام (كارارا)، من القرن (10 م)، فوقه رمل لحمايته. في أضلاع الصليب الذي شكله بناء الكاتدرائية توجد أبواب تقود إلى الأبنية المجاورة.



قلعة سمعان ــ الكاتدرائية

الجناح الشرقي أكبر من الثلاثة طوله (43 م) مائل قليلاً لجهة الشمال. إما تقليداً لميلان رأس (السيد المسيح) عند صلبه. أو لجعله مطابقاً فعلاً لجهة الشرق. وفيه ثلاثة حنيات أكبرها الوسطى. والحنيات الثلاث أقيمت خارج مستطيل الجناح وكانت هذه الهندسة قد تبنتها قبل ذلك بعض الكنائس مثل كنيسة (قلب اللوزة). وفيها خمس نوافذ تمثل الجروح الخمسة في جسد (السيد المسيح)، وكانت في أطرافه الأربعة، والخامس في صدره.. تعلو هذه النوافذ واحدة مفردة، ويقع المذبح أمامها. أما الحنيتين الأخريتين فلكل واحدة نافذة.

يوجد على كل باب من الحنيات الثلاث غرفة، الغرفة اليسارية (Diaconicon)، والغرفة اليمينية كانت (Prothesis) كلتاهما للاستخدامات الدينية. الضلع الشرقي أطول من البقية بسبعة أمتار، لذا كانت أعمدته سبعة بدلاً من ستة. أزال المتنفذ الذي سكن هذا القسم صفاً من الأعمدة الشمالية.

أما الجناح الغربي من الكاتدرائية، فقد بني جزء منه فوق منحدر صخري. ودعم بركائز وأقواس قوية. والغاية من هذا هو جعل عمود القديس (سمعان) في وسط الصليب تماماً. وقد تعرض هذا الجناح للخراب أكثر من غيره. رممت الكاتدرائية فيما بعد فظهر الاختلاف بين ضلعها الشرقي الأكثر دقة وتزييناً، وبين بقية أضلاع الكاتدرائية.

في هذه الكاتدرائية عدة أشكال من الصلبان:

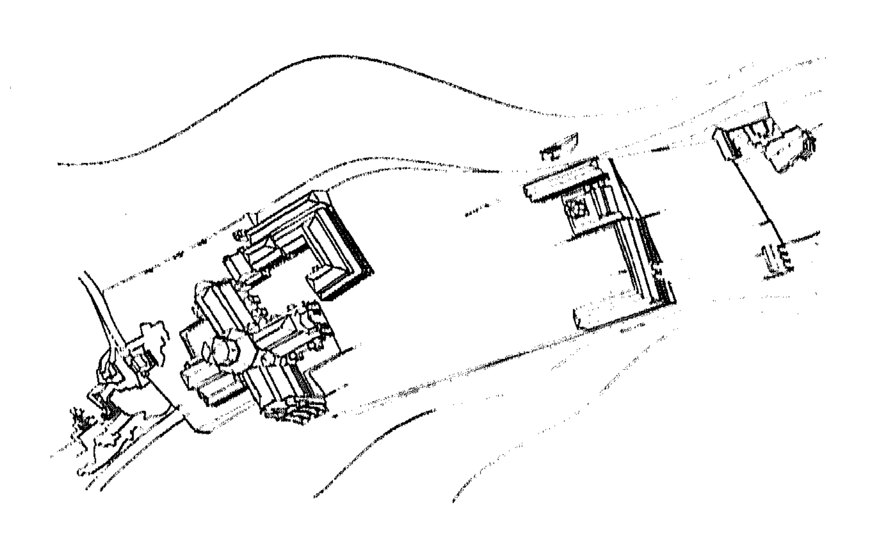
يوناني لاتيني بيزنطي مالطي أرثوذوكسي سوري

وهذا دليل واقعي على وحدة المذاهب المسيحية في هذه الكاتدرائية.

عادة ما يكون مدخل الكنيسة في الجهة الغربية، إلا أن باب هذه الكاتدرائية يقع في الجنوب. والسبب هو أن الجهة الغربية منحدرة جداً، لا يمكن استخدامها للدخول.

الدير:

يقع جنوب الضلع الشرقي للكاتدرائية. له ساحة واسعة، ورواق له أعمدة. ويتألف من ثلاثة طوابق لسكن الرهبان. فيه كنيسة صغيرة لها ثلاثة أروقة أوسطها أعرضها. يفصل بينها صفان من الأعمدة كل واحد يتألف من أربعة.



قلعة سمعان ـ الدير

في الصدر حنية فيها ثلاثة نوافذ تمثل (الأب والابن وروح القدس). على كل جانب من الحنية توجد غرفة للاستخدامات الدينية. أمام كنيسة الدير شرفة فيها عمودان واحد على كل جانب للمدخل.

خصصت هذه الكنيسة للصلاة اليومية في الأيام العادية. أما الكاتدرائية فكانت للصلاة في المناسبات والأعياد والآحاد. كان في الدير حوالي (500) راهب يقيمون فيه.

المدافن:

كانت أصلاً مقلعاً للحجارة، تحول فيما بعد إلى مدافن. سقفها كان هرمي الشكل من الخشب أو القرميد. تحت أرضيتها قبو، كانت عظام الموتى من الرهبان توضع فيه بعد جمعها من النواويس. وفي الجدران قبور محفورة كانت تسد بألواح حجرية. إذ كان الراهب يوضع بعد موته في قبر خارجي لوداعه، ثم ينقل ويوضع في أحد القبور المحفورة في الجدران، ويغطي القبر بحجر ضخم. وبعد فترة تنقل عظامه إلى القبو العام.

خلف المدافن يوجد أحد الأبراج.

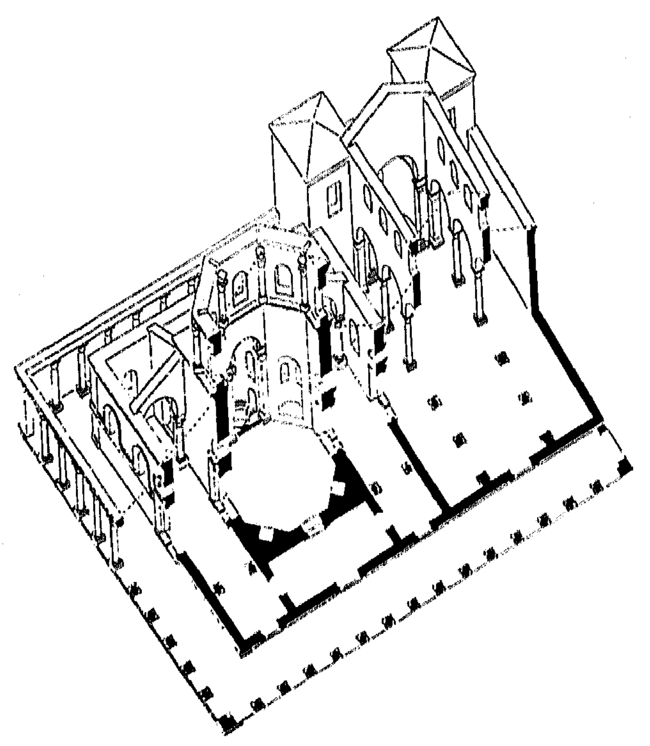
المعمودية:

بنيت بعد الكاتدرائية بوقت قصير. وكانت جزءاً هاماً من طقوس الحج. وهي بناء مربع من الخارج. يحيط بجوانبه الثلاث أروقة لها أعمدة. وفي الداخل قاعة مثمنة يعلوها مثمن آخر يتطابق مع السفلي. والسقف كان خشبياً على شكل هرم أو قبة. فسيفساء الأرضية هندسية ونباتية بقي منها القليل على الجوانب. في المعمودية جرن واسع مغطى بالفسيفساء. له مدخلان متقابلان لكل واحد ثلاث درجات. كان الشبان الذين يأتون بأعداد كبيرة للتنصر والتعميد، ينزلون من مدخل ليغطسوا في ماء المعمودية ثم يخرجون من الآخر فيصبحوا (معمّدين). ثم يذهبون للصلاة في الكاتدرائية عبر ممر مغطى.

خلف المثمن توجد كنيسة بنيت بعد المعمودية، فيها ثلاثة أروقة. وصفان في كل واحد أربعة أعمدة. وبها حنية فيها نافذتان. وعلى كل جانب من الحنية توجد غرفة، الشمالية (Diaconicon) والجنوبية (Pratesis) وكانت للاستخدامات الدينية. عدّلت هاتان الغرفتان لتصبحا برجين دفاعيين أيام البيزنطيين.

كان على طرفي المعمودية أبنية مستطيلة ذات أروقة لسكن الحجاج والزوار. وكان على الحجاج أن يقطعوا الطريق بدءاً من قرية (دير سمعان) حالياً، مارين عبر واحدة من ثلاث بوابات تشبه أقواس النصر. وكانت الثانية تطل على باحة المعمودية والثالثة على باحة الكاتدرائية. وكانت الحوانيت

منتشرة على طرفي الطريق لتزويد الحجاج بهدايا تذكارية دينية من أسرجة وزيوت وغيرها.



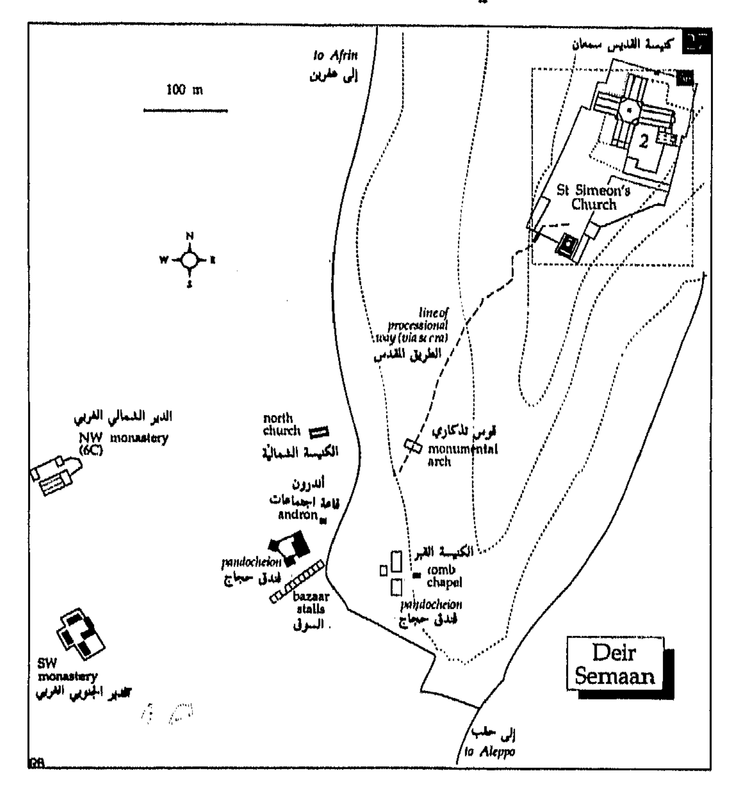
دير سمعان ـ المعمودية

وكان في الدير خزانات لجمع مياه المطر، واحد منها غرب الكاتدرائية والآخر قرب المعمودية.

قرية سمعان:

تقع جنوب غرب قلعة (سمعان)، وكانت بالعهد البيزنطي تعرف باسم (تلانيسوس) (Telanissos) أي (جبل النساء)، وكانت على الطريق بين مدينتي (أفاميا) و (سيروس) أي (النبي حوري). وتبدو جبال (أمانوس) و (طوروس) شمالها. وصلت إلى مركز ديني مرموق بسبب القديس (سمعان) في عهده

وبعد موته. فصارت مقصداً لطلاب الدين والحجاج. وتوسعت لتضم الزوار وصار فيها فنادق وكنيسة وثلاث أديرة للرهبان. كما صارت ملجأ للهاربين من الضرائب والديون والخدمة العسكرية. وذلك بدخولهم سلك الرهبنة أو الالتجاء إلى الأديرة لحمايتهم. لذلك أصدر الإمبراطور (جوليان المرتد) تشريعاً حدد بموجبه المؤسسات الرهبانية في البلاد.



قرية سمعان

إلى جانب هذا، كانت أيضاً منتجعاً لسكان (أنطاكية) من الأغنياء.

نشأت القرية في بداية القرن (5 م). بدءاً من عام (425)، حينما بدأ الحجاج يتوافدون لزيارة (سمعان العمودي). وبعد موته عام (459)، أصبحت تلك المنطقة مزاراً وحجاً للمسيحيين، تحت الرعاية الإمبراطورية وبدأت تظهر

أبنية لسكن الحجاج، ولتؤمن لهم ما يحتاجونه في حياتهم اليومية. إضافة إلى أبنية دينية كالكنائس والأديرة. وكانت القرية تتصل بالدير بطريق يزينه قوس للذكرى، بين عامي (470 و 480) بنيت فيها ثلاثة فنادق. وبين عامي (491 و 492) بنيت الكنيسة الشمالية مع الدير الجنوبي الغربي.ووصلت ذروتها المعمارية في القرن (6) عند بناء مأوى للحجاج (Pandocheion) وبقيت محجاً حتى نهاية القرن (12) الميلادي. غطت القرية مساحة ثلثي الكيلو متر مربع على شكل مستطيل تقريباً. أهم معالمها:

الطريق المقدس: ويصل بين (قرية سمعان) والدير. لا تزال بقايا أعمدته موجودة.

قوس الذكرى: Honumental Arch أعيد بناؤه حديثاً كما كان سابقاً. وهو في بداية الطريق الذي يصعد إلى كاتدرائية القديس (سمعان). واسمه الطريق المقدس (Via Sacra).

الكنيسة الشمالية: واجهتها الغربية بحالة جيدة وعلى يمين الحنية غرفة (Prothesis) خلفها يوجد برج. والمدخلان الجنوبي والغربي بينهما أعمدة.

بازليكا (Andron): وتقع شمال شرق الفندق. وهي من القرن (5 م). يدعمها قوس من الداخل.

بيت للسكن، يقع غرب السوق وهو من القرن (5). مؤلف من ثلاث طوابق. أمام كل واحد رواق له أعمدة.

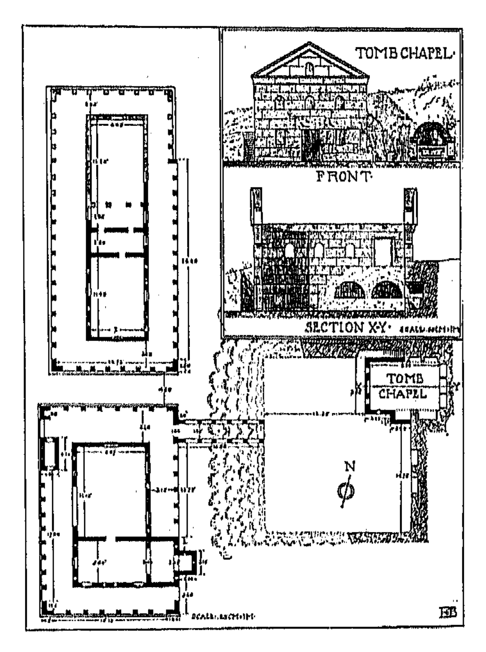
الدير الغربي:

وهو مجموعة من الأبنية من القرن (6 م)، جيدة الحفظ. تتوضع حول الكنيسة من القرن (5 م) وتقع في الجهة الجنوبية. أطوالها (22 X 18 م). شرق الكنيسة يوجد مدفن، هو عبارة عن ساحة نقرت في الصخر لها أعمدة وأمامها بهو.

الفندق الكبير (Great Pandocheion):

يقع أسفل المنحدر الشرقي (لجبل سمعان). بني بعد موت القديس

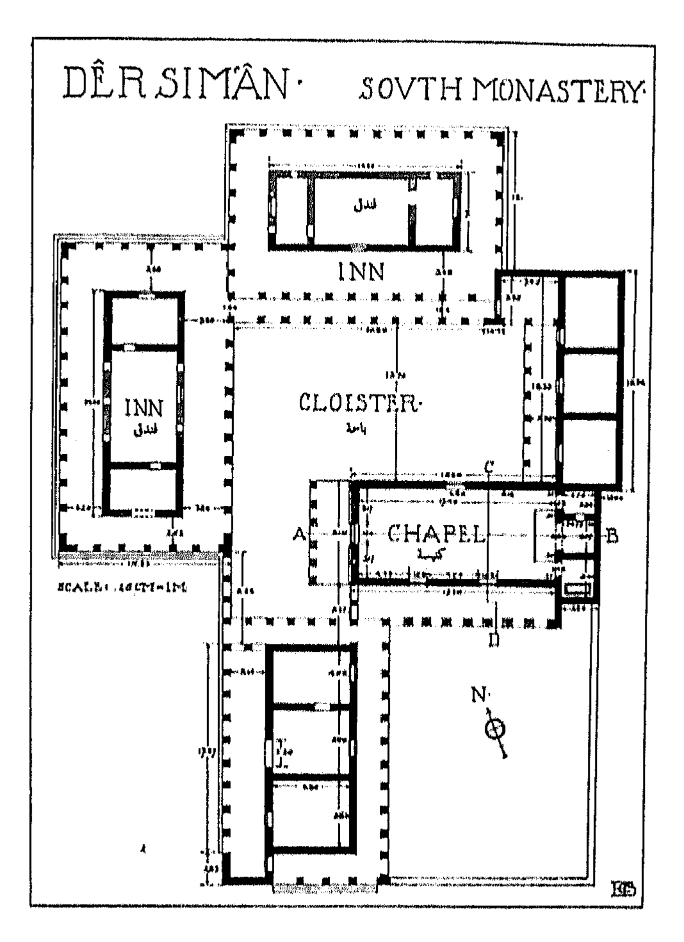
مباشرة ليكون ديراً وفندقاً للحجاج. تؤرخ بناؤه كتابة بعام (479 م) وهو أكبر الأبنية، فيه بناءان منفصلان من طابقين، يمتدان مسافة (70 م)، وكلاهما محاط بالأروقة. البناء الشمالي أكبر من الجنوبي الذي هو أكثر حفظاً. وهناك جسر حجري يوصل المبنى الجنوبي بشرفة قطعت من الصخر. خلفها يوجد قبر (Tomb Chapel). نقر نصفه في الصخر. وفي الجدار الخارجي عدد من المحاريب المنتودة أيضاً بالصخر لدفن الموتى. جنوب شرق هذا الفندق، يوجد سوق فيه (11) دكان.



قرية سمعان ـ فندق الحجاج وكنيسة القبر

الدير الجنوبي:

من القرن (6 م). كان هذا البناء ديراً ومأوى للحجاج. وفيه ثلاثة أبنية معمدة متوضعة على شكل ساحة. البناء الجنوبي الشرقي كنيسة صغيرة (Chapel) جيدة الحفظ. والبناء الشرقي والجنوبي كلاهما فيه ثلاثة غرف.



قرية سمعان ـ الدير الجنوبي

دير مار جرجس (الحميراء)

هو دير (أرثوذوكسي) من القرن السادس الميلادي، ومن عهد الإمبراطور (جوستينيان)، حينما بنيت أديرة عديدة في (سورية). وهو معاصر لدير (صيدنايا). كُرّس للقديس (جورج) المنتصر. وكان شهيداً في (ليدا) (Lydda) (بفلسطين). وهو القديس الذي يعرفه المسلمون باسم (الخضر أبو العباس). يأتيه الحجاج يوم (6) أيار في عيد القديس (جورج). وكذلك في (14) أيلول (عيد الصليب).

في الدير (55) غرفة للزوار والحجاج. يعيش فيه حالياً مطران وخمس رهبان. يقع شرق قلعة (الحصن). على طريق (صافيتا)، في وادي (النصارى). ويبعد (5 كم) عن قلعة (الحصن). سمي (بالحميراء) للون التربة في تلك المنطقة. أو أخذ اسمه من معبد الربة (هوميرا) الذي بني الدير على أنقاضه. قربه توجد مغارة (الدرة). ونبع (الفوار)، الذي تفور مياهه المعدنية، لتسقي أراضي الدير، وأوقافه الواسعة، ثم تختفي. وقد بني على الطريق الروماني الذي كان يوصل مدن الداخل (حمص) و (تدمر) بالساحل السوري.

كان أصلاً عبارة عن مغارة حولها أكواخ الرهبان. وفي القرون (18 و 19 و 20). أضيفت إليها أبنية أخرى.

في الدير مخطوطة براءة من الخليفة (عمر بن الخطاب)، تعود إلى العام الرابع للهجرة. كما فيه مخطوطة إنجيل (الفاروس) باللغة اليونانية. وهو مكتوب على رق غزال من القرن (5 م). وجد في (اللاذقية). وأحضر إلى دير (مار جرجس). وكذلك فيه هدايا ومخطوطة من حكام (أرمينيا) و (جورجيا).

ورسائل وامتيازات ووثائق هامة. وفيه أيضاً كؤوس القربان ولوحات وصلبان ونفائس وتوجد رسالة من الرسول بخط (معاوية بن أبي سفيان) للمحافظة على أملاك وأعراض المسيحيين.

يوجد في هذا الدير ثلاث كنائس هي:

1 ـــ السفلى:

وهي أقدمهم من القرن (6 م)، من عهد الإمبراطور (جوستينيان). تقع تحت مستوى الباحة السفلى، وفيها بعض اللقى. إلى جانب مدخلها الرئيسي في الجهة الشمالية، يوجد باب الدير الخشبي الأصلي، وكان الفارس يدخله بمعجزة وهو على فرسه. وإلى جانب الباب فتحة كانت لإعطاء المحتاجين الخبز والطعام والصدقات.

2 ـــ الكنيسة القديمة:

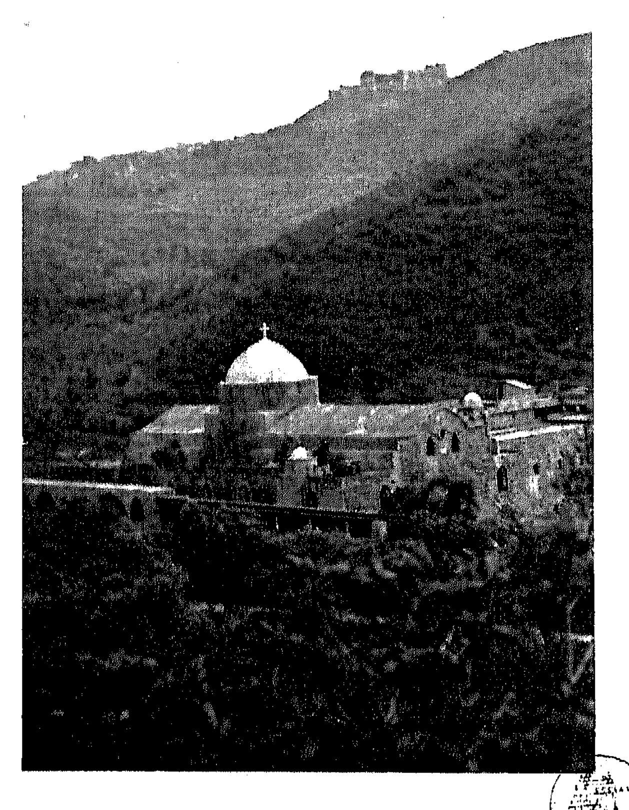
بنيت في القرن (12) في عهد الصليبيين. بابها في الجهة الغربية منحوت من الحجر الأسود الصلب يزينه صليب. ارتفاعه (93 سم) وعرضه (64 سم). وسقفها مدعوم بقوس يعتمد على الجدران.

وحاجز الإيقونات فيها من خشب الأبنوس جلب من (الهند)، وزين بالإيقونات والزخارف المحفورة والمخرمة، صنعه سوريون من (طرابلس). وفيها أيضاً ثريا نحاسية تقدمة من (سفيان) السوري المسلم في عام (1093 هـ). ومنبر خشبي للوعظ كان له درج ولكنه نزع. كما يوجد فيها جرن للمعمودية.

في الكنيسة إيقونات تمثل مدرسة الإيقونات العربية السورية، في القرن (12)، التي ورثت الفن البيزنطي، وأعطته طابعاً محلياً. إلى يسار حاجز الإيقونات، توجد إيقونة صنعها (نعمة الله الحلبي) وهو فنان من (حلب) عمرها أكثر من (450) عاماً. سرقت عام (1968) حتى وصلت متحف (لندن) ومنح السارق (25) ألف جنيه استرليني ثمناً لها، ولكن (الأنتربول) أعادها عام (1970) بعد استردادها من متحف (لندن).

الكنيسة الحديثة:

وتقع في الساحة العليا، وهي واسعة لها قبة ضخمة. أقيمت عام (1857)، في عهد العثمانيين. خشب حاجز الإيقونات من الجوز المحفور. دام صنعه (34) عاماً. وإيقوناته من مدرسة (القدس) أعمارها أكثر من (110 سنة). كان السقف والحيطان مغطاة بالكلس، أزيل فيما بعد لتظهر أحجار الكنيسة الأصلية. زينت الأقواس، وتركت الأعمدة، وسقف الأورقة، بدون زينة.



دير مار جرجس

الرصافة

تبعد (30 كم) عن الطريق العام. و (166 كم) عن (حلب)، و (153 كم) عن (دير الزور)، وترتفع (300 م) عن سطح البحر. ورد ذكرها في كتابات آشورية باسم (رصابا) من القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد. وكانت يومها مركزاً لحاكم آشوري. كما ذكرت في (التوراة) في (سفر الملوك) باسم (راصف). ولفظة (رصف) باللغة العربية القديمة تعني الطريق المرصوف. وكان طريق دولي يمر فيها يوصل بين (الفرات) و(البحر الأبيض المتوسط)، ماراً من (الرصافة) إلى (الطيبة) و (السخنة). وأطلق العرب عليها اسم (الرضاب) الذي تحرف مع الأيام إلى (راصف) و (رصاف) ثم إلى (رصافة). وتحدث الرحالة والمؤرخون العرب عنها، منهم (ياقوت الحموي) الذي زارها عام (1222 م) واعتبرها من روائع فن العمارة في عصره.

ولموقعها الاستراتيجي أصبحت (الرصافة) ذات أهمية تجارية وعسكرية. فكانت تمون القوافل بالماء والمؤن. كما كانت تدافع عن الحدود المتاخمة للفرس، خلال العصرين الهلنستي والروماني. فكانت فرق من العسكر الهجانة تقوم بدوريات استكشافية لصد الهجمات الفارسية.

حينما امتدت مملكة (تدمر) الواسعة شمالاً من (سورية) حتى شبه الجزيرة العربية جنوباً، ومن (الخليج العربي) شرقاً حتى (ليبيا) غرباً، صارت (الرصافة) جزءاً منها. وحينما احتل (ديوكليتيان) (Diocletian) مملكة (تدمر)، استولى على (الرصافة) أيضاً. وجعل منها قلعة لصد هجمات (الفرس الساسانيين) من الشرق وكانت (دورا أوروبوس) قد سقطت بأيديهم عام (256). كما عبّد طريقاً دولياً اسمه (ستراتا ديوكليتيان) (Strata Diocletian) من (سنورا) على

الفرات جنوب (المنصورة) ليعبر (الرصافة) ثم (تدمر) و (الضمير) (فدمشق). وآخر يمر بمدينة (الطيبة) أي (أوريزا) (فالسخنة) حتى (تدمر). زادت أهمية (الرصافة) وصار لها مكانة دينية إضافة إلى مكانتها التجارية. وذلك لأن القديسين (سرجيوس) و (باخوس) دفنا فيها. وقصتهما كالتالي:

(سرجيوس) و (باخوس) كانا قائدين في الجيش الروماني المرابط على الحدود السورية تحت إمر الإمراطور الروماني (مكسيمانوس). دخل الإمبراطور مع حاشيته إلى معبد (جيوبيتر) للصلاة وتقديم الأضاحي في أحد الأعياد. إلا أن (سرجيوس) و (باخوس) تخلفا عند الباب رافضين الدخول ومعلنين بأنهما مسيحيان. غضب الإمبراطور عليهما، وخلع عنهما رتبهما وبزاتهما العسكرية. وألبسهما لباس النساء تحقيراً لهما. وأمر بأن يطاف بهما في شوارع المدينة. ثم أرسلهما إلى حاكم مدينة (الرصافة) في شمال سورية. هناك جلدا بعنف. فمات (باخوس) تحت السياط في (1 تشرين الأول عام 303). أما (سرجيوس) فقد سمر حذاؤه بقدميه وأجبر على المشي لمسافة طويلة ثم قطعوا رأسه. ودفن كلاهما في (الرصافة).

في عام (313 م) صدر مرسوم (ميلانو) الذي سمح فيه الإمبراطور (قسطنطين) بحرية الأديان فانتشرت المسيحية. وهدمت المعابد الوثنية وبنيت الكنائس بدلاً عنها. ثم اجتمع (15) بطريركاً وقرروا إنشاء كنيسة في (الرصافة) لحفظ رفات القديسين (سرجيوس) و (باخوس) والقديسة (جوليا). وبدأ بناء تلك الكنيسة في عام (313 م) وانتهى عام (325) وهو تاريخ انعقاد المجمع المسكوني الأول الذي شارك فيه أسقف (معلولا) (أفتيخس) وأصبحت تلك الكنيسة من أغنى كنائس العالم. وصار القديسان شفيعين للقبائل العربية المسيحية مثل (بنو تغلب). القديس شفيعاً لقرية (معلولا) حيث بني له دير فيها، وسمي باسمه.

وكانت تلك الكنيسة واحدة من خمس أقيمت داخل سور (الرصافة).

وقيل بأن خمسة أخرى شيدت خارجه. كما بني دير حول قبر (سرجيوس) دير أو قصر (الرصافة)، وصار قبره مزاراً مقدساً.

وصلت (الرصافة) إلى أهم مركز ديني وتجاري وحربي، ودعيت باسم (سرجيوبوليس) نسبة إلى القديس (سرجيوس) وذلك في عهد الإمبراطور (أنستاسيوس) (Anastasuis) الذي دام حكمه بين (491 و 518). وبنى فيها بازليكا فخمة وخزانات للمياه. وأحاطها بسور وتحصينات قوية. وبلغت أوجها في عهد الإمبراطور (زينون) في القرن الخامس. وكان السكان يعتنقون عقيدة الطبيعة الواحدة (للسيد المسيح) (أي أنه إله فقط وليس إله وبشر).

وفي عهد الإمبراطور (جوستينيان) (Justinian) وحكمه كان بين (27 و 565) أعاد بناء أسوار (الرصافة)، واستبدل لبنها بالحجارة الجصية، وجعلها حصناً منيعاً.

اعتنقت قبائل (الغساسنة) الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي. وكان نفوذهم قد امتد من (الرصافة) حتى (العقبة). فاعتمدهم البيزنطيون للدفاع عن (البادية) ضد (الفرس). وهي المهمة التي كانت القبائل العربية تقوم بها منذ العهد الهلنستي، وبعده الروماني.

شجع (الغساسنة) القبائل العربية قبل الإسلام، على زيارة قبر (سرجيوس)، وتقديم النذور له. فازدادت أهمية (الرصافة) دينياً واقتصادياً وتجارياً واستراتيجياً. ولكن العلاقة بين البيزنطيين و(الغساسنة) ساءت مع الأيام، ثم انتهت حينما أسر البيزنطيون الملك الغساني (المنذر بن الحارث) مع زوجته وأولاده الثلاثة، ثم أسر ابنه الملك (النعمان بن المنذر) عام (484 م) وأرسل إلى (القسطنطينية) ليموت فيها. وبذلك ضعفت قوة (الغساسنة) وتشتت شملهم.

في القرن السادس، احتل (الفرس) قسماً كبيراً من (سورية) الشمالية، ووصلوا إلى (أنطاكية) عام (540)، فقاومتهم بصعوبة، ولكنها استسلمت عام (616) إلى الإمبراطور الفارسي (كسرى الثاني) (Chasroes). حينما دخل المسلمون العرب (الرصافة) بقيادة (خالد بن الوليد)، في القرن السابع، وجدوها

خراباً، كما تركها (الفرس) فأهملوها. ولكن الأموي (هشام بن عبد الملك) سكنها لأنه كان يفضلها على (الرقة) بسبب هوائها العليل. وكان فيها حينما أصبح خليفة وعمره (34 عاماً) وذلك في عام (105 هـ = 724 م)، ومات فيها أيضاً عام (125 هـ = 743 م).

رمم (هشام بن عبد الملك) أسوار (الرصافة) وأصلح صهاريجها، وبنى فيها قصرين، واهتم بالزراعة وري الأراضي المحيطة بها. وجعل منها عاصمة ثانية بعد (دمشق). واشتهرت في زمانه باسم (رصافة هشام). وكثر عدد سكانها، وتوسعت حتى أصبح قطرها (3 كم). وانتعشت التجارة، وصناعة النسيج، الصوفي، والكتاني، والخزف ذو البريق المعدني، والزخارف الإسلامية، الذي يشبه خزف (الرقة). وصارت مقصداً للشعراء والتجار واشتهرت وذكرت في كثير من الشعر والأدب والتاريخ العربي، وصارت تدعى (دير أو قصر الرصافة).

وحينما دخلها العباسيون عام (750) بعد أن هزم (عبد الله بن علي) العباسي، آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد)، دمّر المدينة، وقتل سكانها وقضى عليها. وهدّم قبر (هشام) فيها. وفي نهاية القرن الثامن قضى على ما تبقى منها زلزال رهيب.

استمرت (الرصافة) ضعيفة، حتى خرّبها (القرامطة) ثانية في عام (289 هـ = 902 م). وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي (المعتضد)، حرقوها وذبحوا سكانها. ولكنها نهضت ثانية وسكنها بعض العرب المسيحيين.

وحينما اقترب (المغول) منها أمر السلطان (بيبرس) عام (260 هـ = 1277 م) بإجلاء سكانها إلى (السلمية) و (حما) خوفاً عليهم. ولكن (المغول) أبادوها خلال هجماتهم عليها في القرنين (13 و 14).

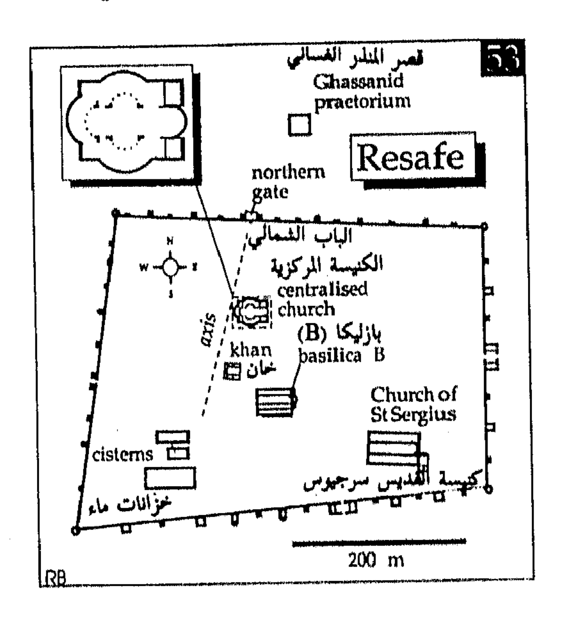
بعد ذلك هجرت (الرصافة) وتضاءلت أهميتها، وصارت وتجارتها تحت حماية البدو المحيطون بها. واستمرت محطة للقوافل، ثم صارت تصنع البضائع الصوفية وتتاجر بها أو تدفعها للبدو أجر حمايتهم لها. حتى هجرت نهائياً.

وأصبحت مدينة ذكريات.

قام بالتنقيب فيها بعثة ألمانية برئاسة الأستاذ (سنيدر) ثم برئاسة الدكتور (أوتودورن) ثم برئاسة الأستاذ (كولوبتز) بالاشتراك مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

آثارها:

(الرصافة) مدينة مبنية بالحجارة الجصية، الجميلة المنظر والتي تلمع تحت أشعة الشمس ولكنها ضعيفة أمام العوامل الجوية وسريعة التفتت. تغطي شبه مستطيل أقصى أطواله (400 X 550 م) مساحتها حوالي (21) هكتار.



مدينة الرصافة

السور:

يحيط بها سور من الحجارة الجصية. من عهد الإمبراطور البيزنطي (أنستاسيوس) وحكم بين (491 و 518). طوله (2 كم) سماكته (3 م) وفيه

حوالي (50) من الأبراج المستطيلة، وهي من طابقين أو ثلاثة، لها فتحات ضيقة لرمي السهام. على زوايا السور، أبراج مستديرة لتقويته ودعمه، وفيه مماشي للحراس، وأدراج تقود إلى الطابق العلوي. والسور الشمالي أفضل حفظاً من البقية. ويحيط بالسور كله خندق ماء.

الأبواب:

كان في السور أربعة أبواب رئيسية. اثنان كبيران في الشمال والجنوب، واثنان أصغر في الشرق والغرب. يدعى الجنوبي (باب تدمر) والغربي (باب حلب) والشرقي (باب الرقة) والشمالي (باب صورا) أو (باب الحج). وكانت تقام فيه مراسم استقبال ووداع الحجاج. ويوجد أيضاً ثلاثة أبواب ثانوية، قرب الرئيسية في الجهات الثلاث، عدا الجهة الشمالية، الباب الشمالي برز عن مستوى السور. وكان له مدخل خارجي، أمامه بهو، دمر ولم يبقَ إلا المدخل الداخلي، وله ثلاثة بوابات مزخرفة، أوسطها على جانبيه برجان بارزان يحيط به ستة أعمدة كورنثية ترتكز عليها أقواس خمسة، تحت كل منها فتحة لصب السوائل المغلية على المهاجمين.

الشارع المستقيم:

يبدأ الشارع المستقيم الرئيسي من الباب الشمالي متجهاً نحو الجنوب. كانت تزين جانبيه أعمدة جميلة، وأروقة للمشاة، ومخازن تجارية، خلفها منازل السكن. ولكن هذا الشارع الجميل أصبح ضيقاً في القرون الوسطى، لأن المخازن والحوانيت تجاوزت حدودها وتعدت على أروقة المشاة وأعمدتها.

الصهاريج:

في (الرصافة) لا يوجد نبع ماء. لذا بنى فيها الإمبراطور (أناستاسيوس) (Anastasius) ثلاثة خزانات ضخمة في الجهة الجنوبية الغربية. أحدها فيه صفان من الحجرات أبعاده (21.5 X 28 م) وعمقه (13 م)

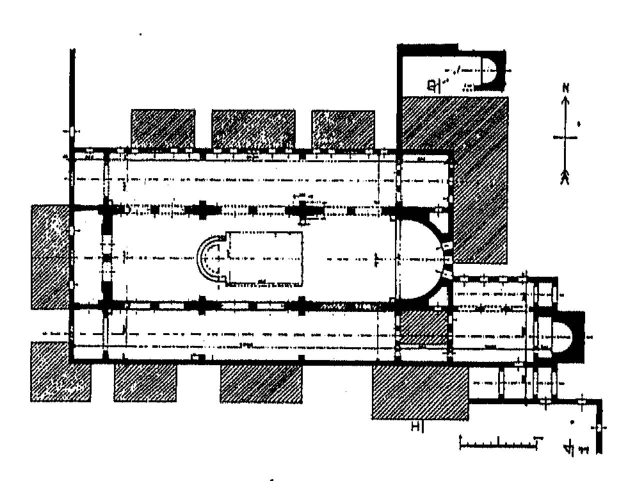
يحتوي على خمسة عشر ألف متر مكعب من الماء.

جددها الملك الغساني (المنذر بن الحارث) ثم دعمها الأمويون وزينوها بالكتابات القرآنية. سقوفها من الآجر، تأتيها المياه من سدود تجمع فيها الأمطار، التي تعبر حوضاً رئيسياً، لتذهب منه إلى ثلاثة أحواض أخرى للتصفية، وبعد ذلك تجري هذه المياه بواسطة ساقية إلى الصهاريج الأربعة داخل السور.

يوجد في الشمال الغربي خارج السور خزان أو بئر ماء عمقه (40 م).

بازليكا (A) أو الكاتدرائية الكبرى أو كاتدرائية القديس سرجيوس:

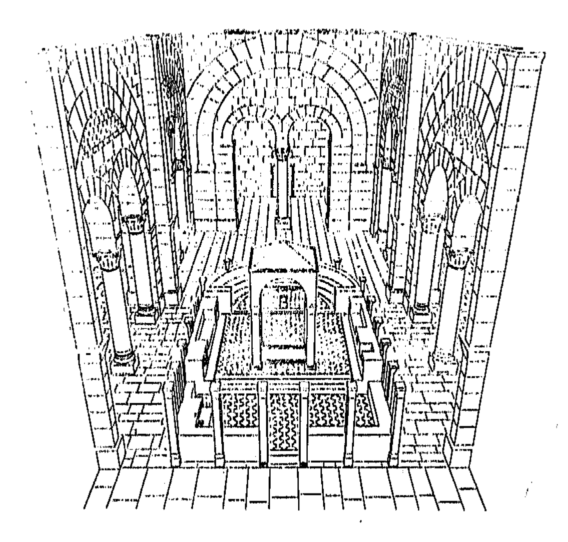
وهي أكبر وأجمل الكنائس في (الرصافة). تقع في الجنوب الشرقي منها. في عام (1977) وجدت فيها كتابة تكرسها للصليب المقدس. بيزنطية الشكل تعود إلى عام (559 م) أبعادها (20 X 31 م). بنيت بالحجارة الجصية. وتعرضت لهزات أرضية، وترميمات متعاقبة. ولها مبانٍ عديدة ملحقة بها.



الرصافة ـ بازليكا (A)

تتألف الكنيسة من رواق رئيسي في الوسط، ورواقين جانبيين شكلتهما ثلاثة أقواس كبيرة نصفة دائرية. وبعد الزلازل بنيت تحتها أقواس مزدوجة صغيرة، تستند على ثلاثة أعمدة لتدعمها، لها تيجان كونثية، وحولها كتابات

عن القديس (سرجيوس). وهذا الشكل يوجد له مثيل في (قلب اللوزة) وكنيسة (بيسوس) في (رويحة). كما توجد نوافذ ذات أقواس نصف دائرية، تفصل بينها أعمدة رفيعة، قائمة على قواعد حجرية في أعلى الجدران. بعض الأعمدة في الكنيسة أحضرت من كنيسة أخرى، في القرن التاسع، لتستعمل في هذه الكاتدرائية، لأن كتابة يونانية مقلوبة وجدت على تيجانها. سقف الرواق الأوسط كان من الخشب المدعم بجسور خشبية قوية. وحنية الكنيسة الكبرى في الجهة الشرقية مزينة بأغصان نباتية في أعلاها نقش صليب يعود إلى القرن (9). ويبدو مكان المذبح القديم واضحاً. على جانبي الحنية غرفتان. توسعت الجنوبية نحو الشرق وخرجت عن مستوى الكنيسة. في الجهة الشرقية الرواق الجنوبي توجد رسوم جدارية بيزنطية من القرن (9 م). هناك ترميمات من الآجر في رواقي الكاتدرائية من (القرن 9). مع طبقة كلسية عليها رسوم جميلة.



الرصافة ـ بازليكا (A) والبيما

في وسط الكنيسة توجد مصطبة نصف دائرية (بيما) (Bema) وهي منبر للقراءة كانت لرجال الدين فيها مقاعد حجرية عددها (28)، ذات مساند

مزخرفة، ولها بضعة درجات رخامية في الجهة الشرقية، محددة بأعمدة صغيرة من الغرانيت الأحمر. بين القرنين الرابع ونهاية القرن السادس كانت الكنائس لها شكل هندسي موحد هو: رواق واسع في الوسط ورواقين على الجانبين. ودعامات تحمل أقواساً مضاعفة لتدعيم السقف. وفي الرواق الأوسط توجد (بيما) (Bema) لرجال الدين. حيث يجلس أكبر الأساقفة فوق كرسي تغطيه خيمة. وحوله يجلس رجال الدين على الكراسي الحجرية. بينما يجتمع المصلون حول (البيما) وتعتبر (بيما) (الرصافة) أكبر واحدة في المدن الميتة السورية. ويبدو أن هذه الكاتدرائية كانت مشهورة فهناك كتابات تذكر اسم (سمعان) تعود إلى عام (1093 م)، وهو (ميتروبوليت أنطاكية) وكان خمسة من المطارنة تابعين له.

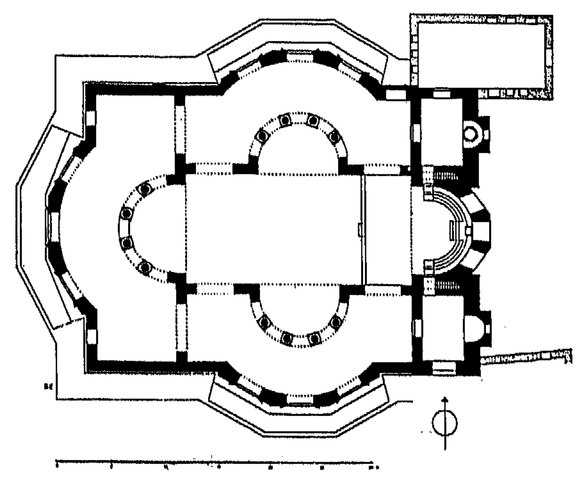
إلى الغرب قليلاً من البازليكا، يوجد بناء مستطيل قد يكون المقر المؤقت للخليفة (هشام) قبل انتقاله إلى قصره الدائم.

الجامع:

يقع إلى شمال بازليكا القديس (سرجيوس). من القرن الثالث عشر، أو الرابع عشر. وهو بناء مستطيل يشبه هندسة البازليكا الكبيرة. ربما كان مؤلفاً من بهو واحد وباحة سماوية. وكان جامعاً فيه محرابين ومنبر. وكان المسيحيون والمسلمون يصلون في مكان واحد تقريباً قبل أن يهدم (المغول) (الرصافة) عام (1250 م)، كما تشير إلى ذلك الكتابات البيزنطية والعربية.

كنيسة (الشهداء) أو كنيسة (القديسين) أو الكنيسة الكبرى أو كنيسة الصليب أو كنيسة الذكرى أو الكنيسة المركزية:

وتعود إلى عام (520). بنيت بعد كنيستي (ازرع) و (بصرى) أي بعد تجربة استعمال الأشكال الدائرية ضمن المربع التي بدأت مع النصف الأول من القرن السادس. ووضعت فيها أجساد (سرجيوس) و (باخوس) والقديسة (جوليا) في المرحلة الأولى. أرضية مدخلها مرصوفة بالحجارة الجصية ومغطاة بالرخام الزهري، والجدران كانت مغطاة بالرخام الزهري أيضاً.



الرصافة ـ الكنيسة المركزية

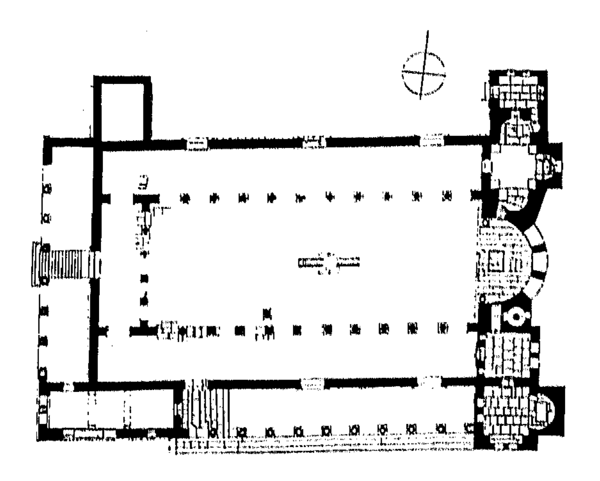
وهي إيوانية، فيها صفان من الأعمدة المرمرية ذات التيجان الكورنثية التي تقسم الكنيسة إلى ثلاثة أقسام، ينتهي الأوسط بحنية كبيرة (Apse) كبيرة، ذات قوس مزخرف، على كل جانب غرفة صغيرة.

عند مدخل الغرفة الشمالي يوجد تابوت (Sarcophagi) رخامي زهري اللون، مزين بالصليب لدفن المطارنة المحليين. ويعتقد أن القديس (سرجيوس) دفن فيه. كما يعتقد بأنها كانت الكنيسة الرئيسية للحج في (الرصافة) لوجود التابوت فيها.

الخان:

يقع جنوب كنيسة (الشهداء)، يوجد سوق فيه بناء من طابقين من أوائل الحكم البيزنطي، كان نزلاً للحجاج، على أحد أبوابه كتابة مشوهة. له باحة تحيط بها غرف مستطيلة معقودة السقوف. على جدران ثلاث منها حفرت أشكال الصلبان. وعلى جدران بعضها الآخر كتابة عربية كوفية. وصار هذا البناء خان (Caravanserai) للعثمانيين فيما بعد.

بازليكا (B):



الرصافة ـ بازليكا (B)

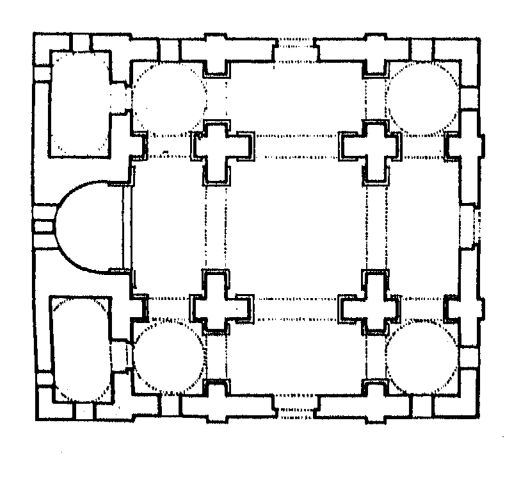
كانت كنيسة للحجاج، بنيت في أواخر القرن الخامس شكلها روماني ـ بيزنطي استبدلت فيما بعد بكنيسة القديس (سرجيوس). كان فيها ثلاثة أروقة شكلها صفان من الأعمدة. تقع الحنية في الجهة الشرقية وعلى طرفيها غرفتان صغيرتان. توسعت هذه الكنيسة في عهد (جوستينيان) برواق رابع إلى الجهة الجنوبية. كما فتح لها مدخل عريض في الجهة الغربية.

توجد كنيستين في الجهة الشمالية الغربية من (الرصافة) أيضاً.

مبنى المنذر:

بناء غساني يقع شمال المدينة وخارج أسوارها. بني بين (560 و 581 م)، وهو على شكل مربع يشبه مخطط البازليكا، له بهو ورواقين، تفصلهم أعمدة تيجانها مزينة بأغصان نباتية وحيوانات بارزة مطلية باللون الأحمر. في أحد الأعمدة الشمالية نقش طيرين ورأس سبع. وآخر عليه نقش سلة فاكهة.

كان في مركز هذه القاعة قبة عالية، وقباب صغيرة في الزوايا. في الناحية الشرقية حنية نصف دائرية، لها نافذتان، بينهما كتابة يونانية تتمنى النصر للملك (المنذر بن الحارث بن جبلة). يزينها نطاق زخرفي بارز.



الرصافة ـ قصر المنذر الغساني

قد يكون هذا البناء قبر (المنذر بن الحارث بن جبلة) الغساني وكان عربياً مسيحياً موالياً للبيزنطيين، ومن المعجبين بالقديس (سرجيوس).

القصر الأموي أو قصر (هشام):

في الجهة الجنوبية من (الرصافة) يوجد بقايا قصور، منها واحد شيده (هشام بن عبد الملك) أثناء إقامته في (الرصافة) بين (724 - 743 م). يشبه إلى حد كبير قصر (الحير الغربي) وقصور الأمويين بشكل عام. أبعاده (74 X 80 م). فيه أروقة وزخارف جصية، وأبراج مستديرة. وبرج كبير له في كل زاوية قاعدة حجرية مربعة الشكل.

البناء من اللبن المجفف تغطي جدرانه طبقة كلسية بيضاء. له باب في الجهة الجنوبية. على جانبيه برجان صغيران نصف دائريين. غرف القصر تطل على الباحة السماوية، أقواسه بسيطة مزدوجة، أو على شكل حدوة. هدمه العباسيون حينما احتلوا (الرصافة) عام (750 م).

الرقة

تقع (الرقة) على نهر (الفرات) قرب مصب نهر (البليخ). تبعد (188 كم) عن (حلب) و (105 كم) عن (دير الزور) و (6 كم) عن (مدينة الثورة). ارتفاعها صفر عن سطح البحر.

سكنت تلك المنطقة منذ العصر الحجري. وذكرت منذ الألف الثالث قبل الميلاد. تظهر آثار الإنسان القديم في (تل البيعة) أو (توتول) وهي مرفأ نهري هام، وتقع شمال شرق (الرقة). يوجد فيها قصر يشبه قصر (زمريليم) ملك (ماري). ذكرت في نصوص (ماري) و (إيبلا) المعاصرة (لحامورابي) في الألف الثاني قبل الميلاد.

يعود بناء مدينة (الرقة) الحالية، إلى العهد الهلنستي السلوقي، حينما أمر ببنائها (سلوقس نيكاتور) وسماها (نيكفوريوم) (Nicphorion) في (244 أو 242 ق. م) وفي العهد البيزنطي جددت وسميت (كالينيكوم) (Calinicum) نسبة إلى (كالينيكوس) (Callinicus) الفيلسوف الذي قتل فيها. وفي رواية أخرى (سيليكوس كالينكوس) (Selencus Calinicos) الثاني هو الذي سماها باسمه (244 - 242 ق. م) ثم أصبح اسمها (ليونتوبوليس) نسبة للإمبراطور (ليون الثاني) الذي حكم بين (471 و 474 م)، بعد أن رممها إثر زلزال رهيب عام (466 م)، وجعل منها مدينة رئيسية (متروبوليتان) وأصبحت مركزاً للبطريركية.

عندما غزا (كورش) الأول الفارسي (سورية)، احتل (الرقة) بسهولة لضعف أسوارها، ودمرها، ولكن (جوستينيان) رممها، وحصنها، وجعلها مدينة

تجارية هامة، بعد أن أمر بأن تكون التجارة الحدودية مع الفرس عبر مدينتي (الرقة) و (نيسيبس). وبذلك أصبحت (الرقة) مركزاً تجارياً وحربياً يفصل بين الإمبراطوريتين العدوتين الفارسية والبيزنطية. ثم احتلها سلماً العرب تحت قيادة (إياد بن جهم) عام (640 م = 17 هـ). وبنى فيها (هشام بن عبد الملك) الأموي قصوراً، وأجرى فيها نهرين أحاطا بموقعها هما نهر (الهني) ونهر (المري). وفيها أقام سباقاً للخيول، وكانت تحتوي على أربعة آلاف رأس من الخيل.

في عهد (العباسيين) أصبحت (الرقة) مصيفاً يأتيه الخلفاء هرباً من حر (بغداد). وفي عام (772) بدأ الخليفة (المنصور) بناء مدينة جديدة هي (الرافقة)، ودام حكمه بين (754 و 775). تبعد عن الرقة مسافة (4 كم) أو (300 ذراع). قطرها (1500 م)، وبنى سوراً حولها على شكل نعل فرس كما هي هندسة (بغداد). ارتفاعه بين (7 و 8 م) وعليه بقايا أبراج مهدمة. ينتهي السور شرقاً ببرج مستدير عال يقع مقابل بوابة (بغداد) التي تبعد حوالي (6 م) عن البرج وهي مبنية بالآجر. وأنشأ جامعاً فيه عشرون برجاً، ومئذنة حلزونية من الآجر.

وفي عهد الخليفة (هارون الرشيد) تم بناء مدينة (الرافقة) عام (796) ودام حكمه بين (786 و 809). وفي وسطها بنى (قصر البنات) وهذه التسمية مجهولة الأصل. توسعت (الرافقة) حتى أنها تجاوزت أسوارها. لأنها أصبحت قاعدة للجيوش العربية (الصوائف) أي جنود حملات الصيف، لقربها من الحدود البيزنطية، فتمكنت الصوائف من الطلعات الاستكشافية، ومن تحضير البدو والاستفادة منهم أثناء الأزمات. ولإمدادهم بما يحتاجونه من مؤن وأسلحة.

وحينما انتقل (هارون الرشيد) من (بغداد) إلى (الرقة). وأقام فيها بين أعوام (796 و 808) بنى له ولرجال بلاطه عدداً من القصور والحدائق غطت مساحة (5 X 4 كم) شمال سور (الرافقة) وأصبحت عاصمة الخلافة العباسية التي امتدت من حدود (الصين) شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. وأصبحت (الرافقة) أهم من (دمشق) و (بغداد).

أمر (الرشيد) بشق عدد من الأقنية في (الرافقة). جرت فيها مياه نهري (الفرات) و (البليخ) إلى الحقول والبساتين. وعبد طريق الحج الجديد بين (الكوفة) و (المدينة). وتولت زوجته (زبيدة) الاهتمام به والإنفاق عليه. فأقامت على امتداده كافة الاستراحات والتسهيلات والخدمات من أجل الحجاج. بلغ الفن والذوق مستوى عال، وسبقت (الرافقة) (سامراء) و (بغداد) بالأساليب الفنية الراقية. وكانت (الرافقة) واحدة من المدارس الفنية الرائدة في الدولة العباسية. وكان فيها أفران لشي الخزف، ومعملاً لصنع الزجاج، أمر بإنشائه (هارون الرشيد) كما بنى مجمعاً صناعياً فيها. وصار للمرأة أهمية في عصر (الرشيد)، وبدا ذلك في رعاية زوجته (زبيدة) لطريق الحج. كما قامت والدته بدور مهم في السياسة الداخلية والحياة الاجتماعية. وكانت (الرقة) و (الرافقة) على طريق الحرير القادم من (الصين) شرقاً ومتجهاً إلى (الأبيض المتوسط) غرباً. وقد وجد في الرقة تمثال صيني من البورسلان يمثل فارساً صينياً على ظهر حصانه. وهناك قاعة كاملة مخصصة لمدينة (الرقة) في المتحف الوطني بدمشق. فيها آثار مهمة من نقود وزجاج وخزف.

في عهد (المأمون) بنى والي (الرافقة) واسمه (الطاهر) سوراً بين (الرافقة) و (الرقة) عام (816 م) لفصلهما ولكن دون جدوى. وفي عام (1166) منح (نور الدين زنكي) أخيه (المردود) المدينة. فتجدد في عهده بناء جامع (الرقة). ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة. وكانت له مئذنة مستديرة من الآجر بنيت فوق قاعدة حجرية أقدم منها. وتدعى مئذنة (منيطر) وقد انهارت عام (1920).

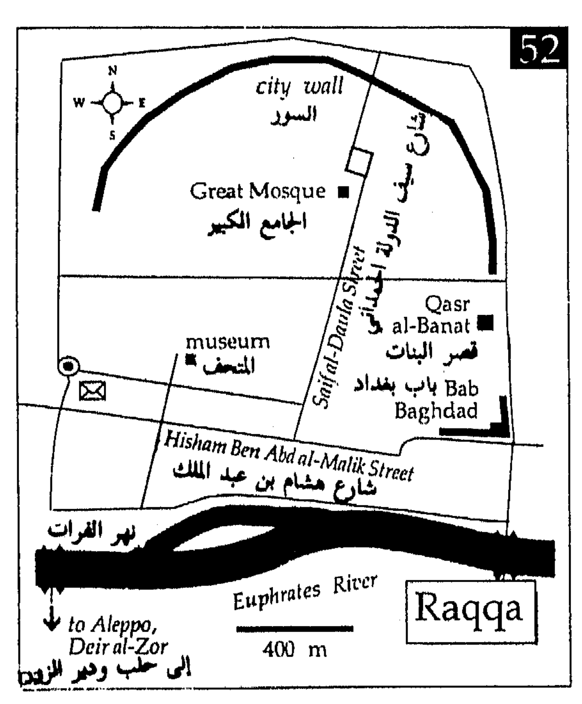
هاجم المغول (بغداد) ودمروها ثم (الرقة) عام (1258) وخربوها. ولكن فن الخزف استرجع مجده في أيام (صلاح الدين).

غطت مدينة (الرقة) الحالية كل أبينة (الرافقة) وأصبحت جزءاً منها. وهي عاصمة محافظة (الرقة). فيها جسران أحدهما حجري، والآخر معلق. وفيها متحف افتتح عام (1981).

في (الرقة) يوجد ضريحي (أويس القرني) و (عمار بن ياسر).

آثارها:

لا يوجد بالرقة سوى الآثار الإسلامية. أما ما قبل الإسلام فقد زالت بسبب الحروب المستمرة بين البيزنطيين والعرب. بدأت الاستكشافات في (الرقة) منذ عام (1906). لم يبق من آثارها سوى القليل من عهد العباسيين. ولقد تأثرت أبنيتها بالهندسة المعمارية الفارسية.



مدينة الرقة القديمة

يحيط بها سور من الآجر المشوي. ثلثي طوله بحالة لا بأس بها ويعاد إنشاؤه حسب الأصلي. والسور عريض حصن بحوالي مئة برج. يبعد الواحد عن الآخر (35 م). في الجهة الشرقية الجنوبية منه توجد (بوابة بغداد). وهي من القرن (12).

قصر البنات:

يقع شمال (بوابة بغداد). مساحته حوالي (5500 م2) هندسة البناء عباسية من القرن الثامن الميلادي. فيه خمسين غرفة وصالة وممر. يأتي بالدرجة الثانية بعد قصر الخليفة (المتوكل) في (سامراء). فيه أربع إيوانات واحد في كل جهة تشرف جميعها على باحة في وسطها بحرة ماء. تبلغ سماكة جدران القصر متراً واحداً. وتزين أبوابه ونوافذه وأقواسه وأطراف جدرانه نقوش وزخارف جصية. يحيط بالقصر سوران الخارجي منهما يدعى (الفيصل) عرض كل منهما (20 م) وطوله (5 كم) وارتفاعه (4 م).

وجد فرن لصنع الخزف ملاصق للقصر. وكان القصر مليئاً بالقطع الخزفية من صنع (الرقة) ذاتها. كما وجد في القصر قطع نقود.

وقد أجلي عنه أناس أقاموا فيه وقسموا غرفه وقاعاته بجدران سيئة البناء، مما شوه منظره الأصلي. ثم رمم ليستقبل الزوار من السياح.

قصر الرشيد:

يقع في الجهة الشرقية من مدينة (الرافقة). له جدران سميكة من اللبن، ما زالت قائمة حتى ارتفاع (1.5 م). طول القصر (70 م). وعرضه (40 م). أحاطت الباحات بثلاث من جهاته. وبني حسب مخطط الإيوانات الأربعة المتصالبة حول باحة مركزية.

أطوال قاعة الاستقبال (7 X 15 م). وتتصل من كل جانب بغرفة أطوالها (5 X 5 م). أمام قاعة الاستقبال توجد شرفة ثلاثية الأقواس. تطل الشرفة الجنوبية على وادي (الفرات) مباشرة. وجميع مداخل قسم الاستقبال الذي احتل قسماً كبيراً من القصر، مزخرفة بأطر جصية منقوشة بأوراق وأغصان الكرمة. لم يبق منها إلا القليل. كانت خلفية هذه الزخارف الجصية من الآجر المشوي وليس اللبن العادي. كما هي بقية الجدران.

تقع المطابخ وغرف الخدمة غرب القصر. بينما غرف النوم كانت شمال المطابخ.

لم يستخدم هذا القصر إلا قليلاً، لأنه أهمل بعد انتقال الخليفة (المعتصم) إلى (سامراء) بين (838 و 804) والتي تبعد (100 كم) شمال بغداد. وانتعش القصر ثانية أيام السلطان (الناصر يوسف بن أيوب) بين عامي (1237 و 1260).

عثر في هذا القصر على نقود ضربت في (الرقة) بين أعوام (797 و 804) وهي الفترة التي سكن الرشيد في (الرافقة).

المسجد الكبير أو مسجد الجمعة:

بناه (المنصور) في (772)، ولم يبقَ من آثاره إلا القليل. كان مربع الشكل طول ضلعه (100 م). له باحة معمدة، أقواسها من الآجر. أعيد بناؤها عام (1165 أو 1166)، في عهد (نور الدين) حسب الكتابة التي تؤرخ ذلك. كان الحرم من ثلاثة أروقة، وكان الجامع محاطاً بـ (11) برجاً، بقي منها واحد فقط ارتفاعه (25 م).

وجدت قصور عباسية شمال شرق المدينة على بعد حوالي كم واحد من المدينة. واحد منها (لهارون الرشيد) وآخر لابنه (المأمون).

قلعة (هرقلة) (Heraqla):

تقع بين (الرافقة) و (بالس) أي (مسكنة)، على ضفاف نهر (الفرات)، وقد احتفظت (هرقلة) باسمها الأصلي. وذكرت في المصادر التاريخية والرحلات عند (الطبري) و (ياقوت الحموي) و (أبي الفداء) و (المسعودي). وكلها أكّدت أن (هارون الرشيد) هو بانيها. و ذلك بعد النصر، الذي حققه، ضد الإمبراطور البريزنطي (نيكفور) في بلدة (هرقلة) (Heralalion) في بلاد (الروم) عام (190 هـ = و 806 م). ويبدو أنها نصب تذكاري وليس مكاناً للسكن. شيدت بأحجار مختلفة الأحجام، خلافاً لكل الأبنية التي كانت من اللبن أو الآجر. وأطوال الأحجار (3 X 1 م) مما يدل على مناعة هذه القلعة.

قامت القلعة على قاعدة مربعة الشكل تقريباً. طول ضلعها (103 م). وترتفع عن سطح الأرض حوالي عشرة أمتار. وفي كل زاوية أدراج مربعة. وفي

منتصف كل ضلع، يوجد إيوان طوله (30 م). على جانبي مدخله برجان، وإلى اليسار من كل إيوان، يوجد درج يقود إلى سطح القاعدة.

كانت هذه القاعدة مقسمة إلى غرف وقاعات وممرات، ربما صممت لتكون سكناً، ولكنها ملئت بالأتربة والحصى، لرفع مستوى القلعة النصب. أحاط بهذه القاعدة المربعة سور مستدير، قطره (500 م). وكان للسور أربع بوابات ضخمة، موزعة في الجهات الأربعة الرئيسية، وطول الواحدة (20 م)، وكل واحدة كان لها تصميم مختلف عن الأخريات. فالشمالية مدورة والجنوبية مربعة، والشرقية مثمنة، والغربية مسدسة الشكل.

لم يتم بناء قلعة (هرقلة)، بسبب وفاة (الرشيد)، بعد سنتين من بدء البناء. بعد أن اضطر لمغادرة (الرقة)، لإخماد الثورة في بلاد (الفرس)، عام (192 م). ولم يكترث خلفه بإنهاء البناء، فترك على حاله. وتعتبر (هرقلة) الوحيدة المشيدة بالحجارة بين آثار كلها من اللبن والآجر. وهي الأثر الوحيد الذي خلّد انتصار العرب على الإمبراطورية البيزنطية. والأثر الوحيد الإسلامي، الذي أقيم فوق قاعدة عالية. ويعتبر تصميم القلعة صورة مصغرة عن مخطط مدينة (بغداد) المستديرة.

على بعد (2 كم) من (الرقة) وقرب قرية (المسكب) يوجد (تل البيعة) أي (توتول)، ويعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. وهي الفترة التي بدأ الإنسان يكتب ويدون تاريخه فيها. اكتشف في التل لوحتان من الفسيفساء، تعودان إلى مطلع القرن (3 كم).

شمال شرق (الرقة) يوجد (تل خويرة). وفيه آثار حضارة مهمة، عاصرت (ماري) من الألف الثالث ق. م. وأيضاً (تل زيدان). وكلها لا تزال تحت الاستكشاف.

السويداء

تقع في (جبل العرب). وتبعد (128 كم) عن (دمشق). و (125 كم) عن (درعا) و (20 كم) عن (شهبا) و (24 كم) عن (بصرى). وترتفع (900 م) عن سطح البحر. وهي من أقدم المدن النبطية.

دعاها العرب النبطيون (سودا) لحجارتها السوداء. ثم سماها اليونانيون (ديونيسياس) (Dionisyas) على اسم إله الخمرة. أي (ذو الشراة) بالعربي، أطلق عليها هذا الاسم خلال عهد الإمبراطور (كومود) (Commode) وحكم بين (180 و 185) وذلك لشهرتها بالكروم والخمور.

سكنها إنسان ما قبل التاريخ. واحتلها اليونانيون عام (333 ق. م). وتركوا آثارهم فيها. ثم سكنها العرب النبطيون في القرن الأول عام (88 ق. م). وكانت ترتبط بطريق مباشر مع معبد (بعل شامين) في (سيع) التي كانت محجاً للبدو، وأكثر أهمية من (السويداء). وفي القرن الأول، سكنها العرب الصافيون. وتركوا كتابات مزينة بصور بشرية وحيوانية منقوشة على أحجار البازلت الأسود.

وفي القرن الثاني، احتلها قائد روماني، أرسله الإمبراطور (تراجان) (Trajan) وزينها بالتماثيل. ثم صار حكامها من الغساسنة. حصل زلزال في عام (115)، وهدم الكثير من الأبنية ولوحات الموزاييك. وفي القرن (5 م) أصبحت مقراً لكرسي البطريرك. وبنيت فيها عدة كنائس، ولم يبق من آثار (السويداء) إلا القليل، لأن الأتراك استعملوا حجارة الأبنية القديمة، لبناء معسكرات لهم، خلال الربع الأول من القرن العشرين.

أهم آثار السويداء:

كان هناك شارع يمتد من الجنوب نحو الشمال، وينتهي عند قوس النصر، أو البوابة الشمالية التي تعرف حالياً باسم (المشنقة). ومعبد في الجنوب الشرقي منها، يعود إلى القرن الثالث، أقيمت منازل في مكانه. كما يوجد شارع يحيط بالجهة الجنوبية للمدينة من القرن الثالث أيضاً.

المعبد:

يعود إلى عام (33 ق. م). بناه النبطيون، وكرسوه لإله الخمرة (ذو الشراة) (Dusares). وفي عهد الرومان صار لعبادة (ديونيسيوس) (Dionisios) وسمي باسمه وهو أيضاً إله الخمرة. له خصائص هندسية مشتركة مع معبد (بعل شامين) في (سيع). المعبد مربع الشكل، في وسطه قدس الأقداس (Cella)، تحيط به الأعمدة. وأمام مدخله رواق معمّد، بقي منه ثمانية أعمدة فقط. بقية جدران المصلى اختفت ضمن البيوت السكنية المجاورة له.

كنيسة بازليكا:

بنيت الكنيسة في القرن الخامس. وتقع جنوب قوس النصر، ومعبد ربة الماء، وبنيت فيها خمس شقق لرجال الدين. بقي من الكنيسة الحنية والغرفتان الجانبيتان فقط. وكان سقفها يعتمد على صفين من الأعمدة الكورنثية. ولها ثلاثة مداخل في الجهة الغربية والجنوبية والشمالية، على جانبي المدخل الغربي برجان. وأرضها مغطاة بالفسيفساء. وجدت كتابات على الأرضيات واحدة منها (هناسركيس الحي) أي أنها كانت كنيسة لهذا القديس. والأخرى ذكرت (سالومة لسلمى أم المطران جورج) ويبدو أنها المتبرعة.

الكنيسة الصغرى:

من القرن السادس، تقع قرب قوس النصر، أي البوابة الشمالية. بقي

ساكف ودعامه جزء من الحنية، تيجان بعض أعمدتها كورنثية وفيها نقوش من عناقيد العنب. بعض أقسام الكنيسة الداخلية موجودة في البيوت المجاورة.

هناك برك منها (الصورية) التي ردمت، وكانت قد بنيت في أعلى منطقة بالمدينة، قرب القلعة النبطية. و(بركة الحج) وتقع في شرق المدينة. و(بركة الروم)، وهي خزان ماء روماني.

معبد ربة الماء:

يقع جنوب (قوس النصر) (المشنقة) وأخفض من سويته. شرقه أربعة أعمدة تحت سوية الأرض، ربما هي جزء من الرواق. كان بقربه نبع ماء، تجري مياهه غرباً.

المسرح:

يقع جنوب الكنيسة الكبرى. بقي منه بعض مقاعد المتفرجين، والمنصة، والممرات التي تداخلت مع البيوت الحديثة المجاورة. وفي عام (1996) كشف عن مدرج مجاور للمسرح ربما هو أحد المباني العامة.

القلعة:

صغيرة ومتهدمة، بناها النبطيون.

متحف السويداء:

بدأ استعمال الموزاييك قديماً في (السويداء)، وبلغ الذروة في عهد (فيليب العربي) الذي دام حكمه بين (244 و 249 م). ومعظم الموزاييك الموجود في متحف (السويداء) من القرن (3 م). وكانت المواضيع أساطير قديمة عن الأرباب وحكاياتهم. وبقي الموزاييك مزدهراً خلال القرن (4). ولكن المواضيع اختلفت إذ أصبحت محلية أو دينية مسيحية وخاصة في عهدي الإمبراطورين (قسطنطين) الأول والثاني.

أحدث المتحف في عام (1922)، تهدم عام (1925) أثناء الثورة السورية، ثم رمم عام (1927). ولكن متحفاً حديثاً أقيم وافتتح في (29 - 10 - 1990) ويحتوي على آثار وكتابات نبطية ويونانية، ورومانية، وتماثيل، وجرار، وغير ذلك.

وأهم اللوحات الفسيفسائية هي:

ولادة ڤينوس (Venus):

وهي من منتصف القرن الثالث. وتمثلها جالسة على طرف صدفة مفتوحة يحملها إلهان من آلهة البحر. تحمل مرآتها باليد اليسرى وتمسك شعرها باليد اليمنى. تنظر إلى المرآة التي انعكس فيها خيالها. جسدها عار إلا ساقها اليمنى مغطى بإزارها الأحمر. تتزين بالحلي، تاج، وطوق، وأساور في الزندين، وفي المعصمين، وسلسال طويل، يمر من ظهرها إلى كتفها نحو بطنها.

لوحة أرتميس (Artemis) في الحمام:

من منتصف القرن (3). تركع (أرتميس) في الماء عارية وهي مزدانة بحليها من أساور وخلاخيل، وطوق، وإكليل، وأساور في الزندين، والمعصمين. ترفع ساعدها الأيمن. واسمها باليونانية مكتوب فوق رأسها. ويظهر (أكتيون) (Acteon) من وراء صخرة خلفها على اليسار. على يمين (أرتميس) ربة من ربات الماء، تتكيء على إبريق تسيل منه المياه. وأخرى على يسارها، وأمامها غزال. وفي الجهة اليمنى من اللوحة توجد امرأتان إحداهما تحمل قوساً، والأخرى تستند على صخرة. هذا المشهد تؤطره أكاليل من أوراق، وأغصان أشجار مثمرة، عليها (أتيس) (Attis) المجنح، وتبدو بعض الطيور واقفة فوق الأكاليل.

الوليمة:

طولها (6 م) وهي من نهاية القرن (3). كانت أرضية بيت. تمثل وليمة، في زواياها الأربعة نساء منتصرات مجنحات. في المشهد طاولة، وستة

أشخاص، يجلسون حولها، والمحتفى به في الوسط. ويبدو النادل واقفاً قرب دن.

عرس تيتس وبيلي (Thetis and Pelee):

من نهاية القرن (3). فيها تسعة أشخاص، هم: (كوموس) (Komos)، رب المائدة، ويجلس في الصدر، وفي كل يد مزمار. ثم (نيري) (Neree) و (تيتس) (Thetis) باسطاً يد (بيلي) (Pelee). في وسط المشهد (زيوس) (Zus) يحمل رمحه، و (هيمينة) (Hymenee) مع منشتها. وهناك أربعة خدم يحملون أدوات التجميل، منها صدفة ودن.

سيروس ـ النبي حوري (كورش)

تقع على الحدود التركية. تبعد (20 كم) شمال غرب (أعزاز) و (69 كم) عن (حلب). هي مدينة هلنستية عسكرية. بناها (سلوقس نيكاتور) الأول وحكم بين (355 ـ 280 ق. م). ولكنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ. وذكرت تحت اسم (سيروستيك) (Cyrhostique). وعثر على عملتين برونزيتين فيها صادرتين في عام (148 ق. م). وهي أول عملات المدينة. وتعتبر (سيروستيك) واحدة من المراكز الأربعة السلوقية (Stratapi) أقامت فيها الحامية الرومانية أيضاً. وكانت تقدم المعونة والمساعدة (لتراجان) عند حملته على (سورية) عام (114). كما كانت الجيوش الذاهبية إلى العاصمة (أنطاكية) ترتاح بها. وكانت مدينة مزدهرة تجارياً وزراعياً. كما كان لها عملات عديدة من عهد (تراجان) حتى عهد (فيليب العربي). وكان سكانها يعبدون (زيوس كاتياتيس).

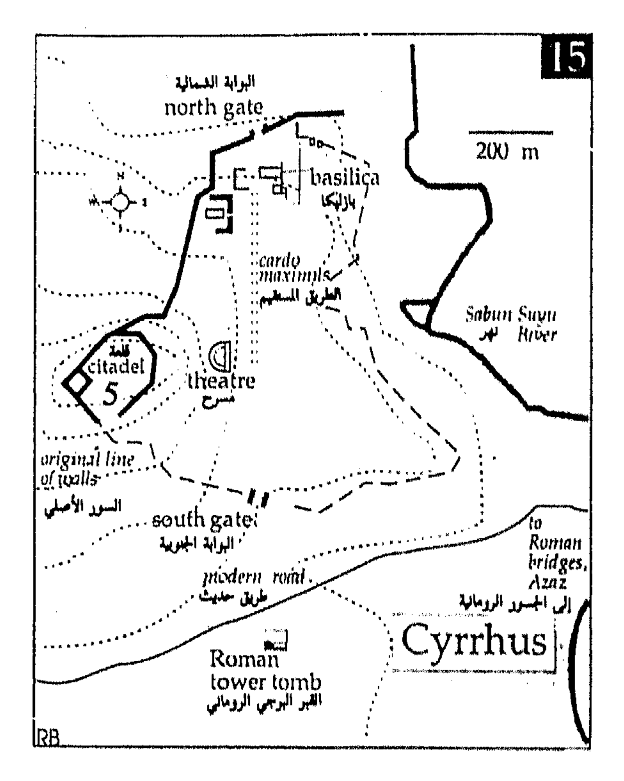
احتل الساسانيون تحت إمرة ملكهم (شابور الأول) (أنطاكية) عام (256). وأسروا الإمبراطور (ڤالريان). كما احتلوا (سيروس). في العهد المسيحي بين عامي (423 و 450) أقيمت فيها أسقفية، (تيودور) وكان خامس أسقف عرف في (سيروس)، وكان معمارياً كبيراً. كما قام (جوستينيان) البيزنطي ببعض التجديدات فيها فيما بعد. وصار اسمها (حجيا بولس) (Hajyapolis). وفي عام (16 هـ = 637 م) استولى (أبو عبيدة بن الجراح) عليها وتنازعها العرب والبيزنطيون حتى أخذها (نور الدين زنكي) بصورة نهائية عام (1150 م) وبدأت أهميتها بالانحدار حتى صارت إحدى المدن الميتة في الشمال السوري.

آثارها:

مخطط المدينة على شكل مربع تقريباً. فيها هضبة منخفضة هي (الأكروبول). سورها الحالي بيزنطي من عهد (جوستانيان) في بعض الأماكن استخدمت حجارة من العهد الهلنستي، لأنه بالأصل هلنستي أعيد إصلاحه في العهد الروماني ثم البيزنطي. في المدينة طريق عريض (Cardo) مرصوف بالبازلت. على جانبيه رواقان. يوصل بين الباب الجنوبي والباب الشمالي في المدينة. على بعد حوالي (200 م) من الباب الجنوبي يوجد بقايا أقواس كان الطريق يمر من تحتها. وفيه عدة أبنية عامة منها: معبد و (آغورا) ومجموعة منازل على منحدر (الأكروبول). وفيه مسرح طول قطره حوالي (115 م) مدرجه السفلي كان مؤلفاً من (25) درجة. بقي منه (14) درجة. وكان هناك مدرج من الرواق يربط هذا الطريق بالمسرح. وتوجد كنيسة صغيرة محاطة بسور بنيت في العهد المسيحي. يقاطع هذا الطريق شارع آخر من الشرق للغرب (Decumanus). وعند المصلبة (التترابل) التي تجاور المقابر الجنوبية الغربية، هناك بقايا منازل وحي للسكن. وتوجد جسور ثلاثة من عهد الرومان أو بداية العهد البيزنطي.

كما يوجد في المدينة مدفنان: الأول في الشمال الغربي وفيه قبور وشواهد عليها كتابات ونقوش. والثاني في الجنوب الغربي وكان مدفناً للمسلمين. بقي من القبور ضريح تحول فيما بعد إلى مكان مقدس إسلامي. له سور وفيه جامع وخان صغير للحجاج. على تابوت الضريح كتابة تؤرخه من عام (703 هـ) وينسب إلى الشيخ (كوروس) أو (حوري) ومنه اشتق اسم المكان وهو (أوريا بن حتان الحثي).

للضريح مخطط سداسي ويتألف من طابقين: السفلي جدرانه ملساء وأعمدته ذات زوايا والعلوي فيه ستة نوافذ لها أعمدة كورنثية. كل حجر من الأحجار التي فوق الأعمدة عليه نقش (لخطم أسد). فوق هذين الطابقين هرم، يعلوه تاج كورنثي ربما كان يحمل تمثالاً. بين كل نافذتين ستة أعمدة كورنثية تسند سطحاً داخلياً قائماً على أعمدة، يسند بدوره السقف ذي العمد.


15
البوابة الشمالية
north gate
200 m
basilica
بازليكا
cardo
maximus
الطريق المستقيم
Sabun Suyu
River
نهر
قلعة
citadel
5
theatre
مسرح
original line
of walls
السور الأصلي
south gate
البوابة الجنوبية
modern road
طريق حديث
to
Roman
bridges,
Azaz
إلى الجسور الرومانية
Cyrrhus
Roman
tower tomb
القبر البرجي الروماني
RB

مدينة سيروس

شهبا

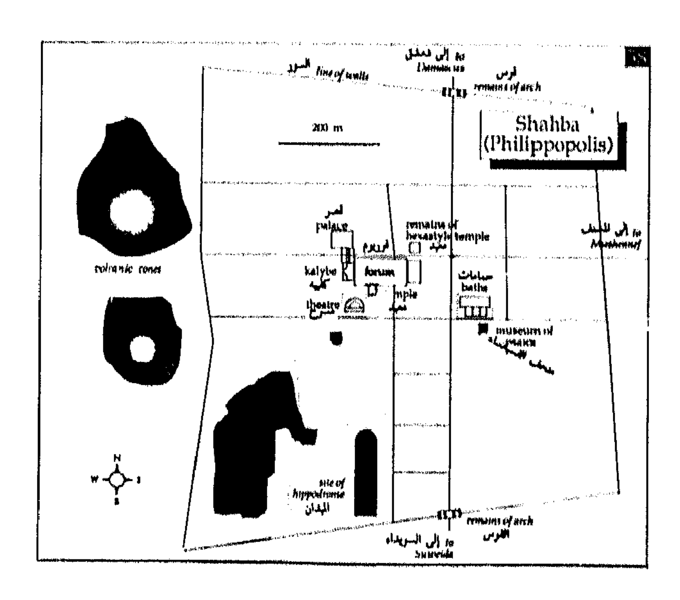
تبعد حوالي (87 كم) عن دمشق و (11 كم) عن (السويداء). وترتفع (1100 م) عن سطح البحر. وتقع في منطقة بركان (تل شيخان) أي بين (اللجاة) في الغرب و (جبل العرب) في الجنوب الشرقي. سكنها إنسان ما قبل التاريخ، وترك آثاره من الصوان في (تل شيحان)، شمال (شيحا)، وتل (الغرارة)، غرب (شهبا). كما سكنها العرب الأنباط، وكانت (بترا) عاصمتهم وتقع في وادي (موس). وحينما حاولوا احتلال (جبل العرب) عام (88 ق. م)، اصطدموا بالسلوقيين في (موثو) قرب (القنوات). وفي رواية أخرى قرب (امتان) (موتانا القديمة). في تلك المعركة قتل الملك (أنطيوخوس الثالث عشر السلوقي. واحتل (الأنباط) (جبل العرب)، وسكنوه، وكانت (شهبا) إحدى مدنه الهامة.

وحينما احتل (بومبي) الروماني (سورية) عام (64 ق. م)، خضع له (جبل العرب). لكن الرومان لم يهتموا (بشهبا) في البداية، حتى عهد (فيليب العربي) الذي صار إمبراطوراً على (روما). وحكم بين (244 ـ 249). وكان ابن راع ولد وشب في (شهبا) ودخل الجيش الروماني. وأصبح قائداً لحامية (دورا أوروبوس) ثم انتقل إلى (روما)، وأخذ يرتقي المراكز حتى صار إمبراطوراً. وله تمثال فيها. ولد عام (200) وأصبح إمبراطوراً بين (244 و 249) وقتل قرب مدينة (فيرونا) شمال (إيطاليا) وهو يقود جيوشه. خلال حكمه اهتم بمسقط رأسه (شهبا). وأمر بإعادة بنائها، وزينها، وسماها (فيليبوبوليس) (Philippopolis). أزال كل آثار النبطيين، والسلوقيين. وبنى المعابد، والقصور، والحمامات العامة،

وأقواس النصر، والمسرح، وساحة عامة، وشارعين رئيسيين. وكانت المدينة مربعة الشكل، أحاطها بسور قوي. وكان تصميمها يتطابق تماماً مع أركان البوصلة الأربعة. وهي المدينة الوحيدة في (سورية) ذات مخطط روماني صرف، بينما المدن الأخرى تأثرت بالهندسة الهلنستية. كما بنى طريقاً رومانياً بينها وبين (بصرى) مروراً (بالسويداء) وبين (سليم).

بعد الإمبراطور (فيليب العربي) أخذت أهمية (شهبا) تقل تدريجياً. وهي الآن مليئة بالآثار الرومانية. فخورة بمتحفها الغني بالفسيفساء التي اكتشفت في تلك المنطقة. كما انتقلت أساطير القدامى اليونانية والرومانية عبر الكتابة اليونانية. وكان الرومان يستعملون اليونانية قبل اختراعهم للأحرف اللاتينية.

قبل الوصول إلى (شهبا) بمسافة قصيرة، يبدو على اليمين جبل، ترابه من الخفان الأسود. يعلوه بناء هو مزار درزي، لأن معظم سكان (شهبا) هم من (الدروز).



مدينة شهبا القديمة

آثار شهبا:

كانت المدينة القديمة على شكل مربع غير متساوي الأضلاع. ضلعه الشمالي (800 م) والشرقي (800 م) والجنوبي (900 م) والغربي (1000 م). يحيط بها سور فيه أبراج منيعة. فيها شارعان رئيسيان متعامدان. ينحرف الشارع الشمالي الجنوبي نحو الشرق قليلاً عن مركز المدينة، لذلك شق شارع آخر إلى الغرب منه موازٍ له، ينتهي ببوابتين أصغر من البوابات الرئيسية. كل هذه الشوارع مبلطة بالحجارة. عرضها (11 م)، لها أروقة معمّدة، عرض الواحد (4 م). عند تقاطع الشارعين الرئيسيين توجد مصلبة على شكل قوس. تحيط بها ساحة شبه بيضوية هي الساحة الرئيسية أي (أغورا) أو (فوريوم). وقد أزيل القوس وحل محله تمثال لدلّة قهوة حالياً. وسدت فتحات أقنية المجاري القديمة التي بين بلاطات الشارع. للمدينة أربعة بوابات رئيسية، واحدة في كل جهة، جميعها على شكل أقواس نصر، لكل منها مدخل في الوسط عرضه (4 م)، وعلى جانبيه مدخلان، عرض الواحد (2.5 م). تدعمها أبراج صماء غير مجوفة لها دعامات بارزة.

المعبد النبطي:

يقع على يمين الشارع (Cardo). كرسه النبطيون لإله الخمرة (ذو الشراة) (Dusaros). يتألف المدخل الحالي من درج يصل بين الشارع والأعمدة الخمسة الكورنثية الباقية من مدخل المعبد. في واجهته نقش للإله (سابارو بن عزيزو) ورمزه نجمة الصباح ونجمة المساء.

وكان هناك معبد صغير آخر، تحول إلى كنيسة، هي جزء من البيوت السكنية حالياً.

الفيليبيون:

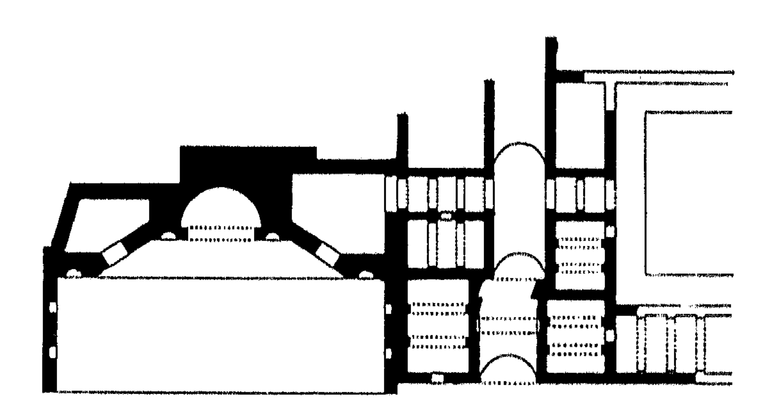
وهو معبد، ومقبرة، مبنية بأحجار بازلتية. بني لتكريم والد الإمبراطور (فيليب العربي)، واسمه (يوليوس مارينوس) (Julius Marinus). وهو مربع الشكل، ضلعه (10 م)، وارتفاعه (5.5 م). يصعد إليه بدرج رئيسي، فيه عشرة

درجات، ثم ثلاث درجات وممشى. بابه مزين بنقوش بسيطة، وهو في الجهة الشمالية، عرضه (3 م). أرضية البناء مبلطة بالحجارة السوداء. وفي الجدران محاريب ثلاثة من كل جهة. أوسطها أكبرها. كانت تماثيل عائلة الإمبراطور توضع بها. وثقوب الجدران تدل على أنها كانت مغطاة بالرخام. في الحائط الجنوبي درج يقود إلى السقف. زين البناء من الخارج بتيجان (إيونية) توضعت فوق الزوايا المبنية على شكل أعمدة مربعة، لدعم البناء. وفي الداخل إفريز زين بأوراق النباتات. وفي الواجهة، توجد حاملتي تماثيل على طرفي المدخل. عليها كتابة يونانية تذكر اسم (مارينوس) والد (فيليب).

في العهد الفرنسي جعل المبنى مدرسة ابتدائية، لذلك صغروا مدخلها، وفتحوا نوافذ في جداريها الجنوبي والغربي.

الكليبة (Kalybe):

انتشر هذا النوع من الأبنية في (جبل العرب)، وفي (حوران). وكانت أصل الكنائس المسيحية البيزنطية. أطلق عليها (دونوغيه) اسم (كليبة Kalybe)، وهو اسم يوناني، يعني الكوخ، أو المسكن الريفي، أو مسكن الآلهة، أو بيت حورية الماء. أو مذبح مفتوح الجوانب. وطراز هذه (الكليبة) يختلف عما في أم (الزيتون)، و (الهبات) وغيرها.



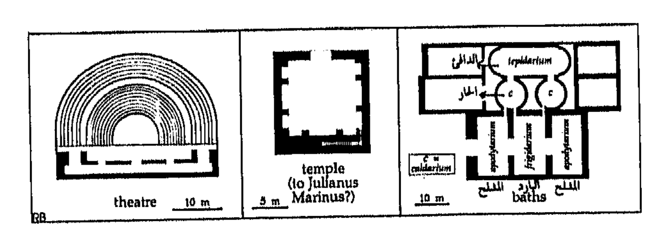
شهبا ـ الكليبة

طول واجهتها (30 م). الحنية الوسطى أكبرها، يصعد إليها بـ (14) درجة، ثم منصة، تزينها محاريب. ثم منصة أخرى، في وسطها حنية كبيرة تغطيها نصف قبة. على كل طرف من الحنية، محراب، بعده باب لغرفة، ثم محراب آخر. وتحت المنصة قبو.

يُعتقد بأن (الكليبة) كانت لوضع التماثيل أو لجلوس الإمبراطور فيها لاستقبال الناس. إلى يمين (الكليبة) يوجد بقايا قصر، يوصل قبو بينه وبينها. وفيه أربعة غرف.

المسرح:

يقع خلف (الفيليبيون). وهو مسرح صغير قطر المدرج (42 م). وله مدخل، وممرات معقودة. والمسافة بين جداري منصة التمثيل والمدرج (24.5 م)، وفي المنصة محاريب وكواليس. والمدرج مؤلف من طبقتين، يفصل بينهما ممر مكشوف، ويتألف من (15 أو 20) درجة. بقي من القسم السفلي من المدرج تسع درجات. وتحته أقبية. والبناء كله خال من الزينة، ويعتقد أنه من أواخر المسارح الرومانية في الشرق.



الحمامات الفيليبيون المسرح

الحمامات:

وتقع على يسار الطريق المستقيم المتجه نحو الجنوب، بعد الساحة الحالية. ويتألف كالعادة من أقسام ثلاث: البارد، والدافىء، والحار. إضافة إلى الملحقات والحدائق. مدخل الحمامات في الجهة الغربية تتقدمه باحة خاصة. ويقود إلى

صالات استقبال ثلاث. الأخيرة وهي الشرقية مهدمة تقريباً. في القاعة الوسطى، وهي القسم البارد، بابان يقودان إلى صالتين مستديرتين، هما القسم الدافىء، للاستحمام. ولكل واحدة باب، يقود إلى صالة بيضوية الشكل، هي القسم الحار. في جدرانها أنابيب فخارية توصل المياه الساخنة إلى بقية أقسام الحمام، التي كانت مسقوفة بالقباب المبنية من الحجارة الصغيرة الممزوجة بالأسفلت، والمطلية بطبقة من الألوان. بينما كانت الجدران مغطاة بالمرمر والألباستر. وكان للحمامات ملحقات في الجهتين الشرقية والغربية منها: مكتبة، غرفة رياضة، مطعم، غرف لهو وتسلية، ومطبخ، ومشالح، وكانت الحدائق تحيط بالحمامات. وقد وجد تمثال الإمبراطور (فيليب العربي) (متحف شهبا) في قاعة الاستقبال.

جرت المياه إلى (شهبا) والحمامات من نبع قرب قرية (الطيبة) التي تبعد (11 كم)، جنوب شرق (شهبا). وكانت هناك قناة للماء (Aquaduct) قرب الحمامات، محمولة على أقواس، تمتد مسافة كيلو متر في مدينة (شهبا). أطلق عليها اسم ربة الماء (نمفيوم) (Nymphacum) وكان هناك حمامات أصغر سكنها الناس حالياً. وتقع على بعد (20 م)، شمال الشارع، الممتد من الشرق، عبر الساحة المركزية.

المتحف:

يقع قرب قناة الماء المحمولة على أعمدة. وكان منزلاً من عهد الإمبراطور (فيليب) العربي. اكتشف عام (1962)، وفيه أربع وعشرون غرفة. كانت أرضه مبلطة بالفسيفساء. وفي إحدى غرفه، وجدت أربع لوحات سليمة. ولندرتها وجمالها، أبقتها مديرية الآثار في مكانها، ورممت البناء وجعلته متحفاً. في بهو المدخل الرئيسي، توجد عدة لوحات من الفسيفساء وجدت في أماكن متفرقة من منطقة (شهبا). أهمها لوحة (باخوس) أي (ديونيسيوس) إله الخمر، ويبدو واقفاً حاضناً بذارعه اليسرى صولجانه، وباليمنى يمسك كأس خمر. خلفه على

اليمين، شخص نصفه الأسفل ماعز، يحمل وعاء كبيراً، يقدمه للإله. وفي الجهة اليسرى من الإله، وعلى الأرض اليمنى مخلوق أسطوري له ذنب ناظراً إليه.

وفي جناح خاص توجد اللوحات الأربعة وهي:

زواج ديونيسيوس (Dionisios) **و (أريانة)** (Aryane):

يبدو (ديونيسيوس) و (أريانة) جالسان على صخرة، وكلاهما أحاط برأسه هالة في لقاء حب، خلفهما يقف (بوثوس) (Pothos)، حاملاً مشعلاً هو رمز الرغبة، ذراع (ديونيسوس) الأيمن خلف (أريانة) والأيسر يحضن صولجانه. يزين رأسه إكليل. و (أريانة) تتزين بالعقد والإكليل والأساور، وتمسك كأساً من الخمر بيدها اليسرى، ويدها اليمنى ترتاح فوق ساقها. إلى يمينها يقف العراف (مارون)، مشيراً بأصبعه إلى (هرقل)، الذي هو نصف مستلقٍ على الأرض، وإلى جانبه جلس إله طفل. إطار اللوحة فيه جديلتين متقاطعتين تحصران بينهما وخارجهما أوراق، وأزهار، ونباتات، وحيوانات، وأطفال مجنحة. وفي الزوايا أربعة رؤوس تعبر أعمارها عن فصول السنة.

لوحة أفروديت وآريس (Aries):

من القرن (3 م) وتبدو (أفروديت) ربة الحب والجمال، وزوجة (هيفايستوس) إله الصناعة الدميم ذو الساق الصناعية. ومعها (أريس) أي (مارس) إله الحرب، ماسكاً حربته بيده اليسرى ومن ذراع تلك اليد يتدلى رداءه. أما (أفروديت) أي (فينوس) فنصفها عارٍ، تستند على عصا، وتتحلى بالعقد والإكليل والأساور. وحول رأسها ورأس (أريس) هالتان وهما على موعد غرامي. ومعها حوريات النعم الثلاث أتين لمساعدتها.

خلف (أفروديت) تقف (تشاريس) ناظرة إليها، وحاملة إكليلاً. وفي

الجهة اليمنى (إبريبيا) إلهة الفضيلة، تلبس (تونيك) وتنظر إلى (آريس)، وعلى صخرة تتكىء (سكوبية) ناظرة إلى (أفروديت). ويبدو ملكان صغيران يحملان الحربة المرسلة إلى (أفروديت) رمزاً للمحبة. وهناك أطفال مجنحة في أماكن مختلفة من المشهد.

أورفيوس (Orpheus)، عازف القيثارة:

من منتصف القرن (3 م). هو ابن (أبوليون). وحفيد (جيوبيتر). كان عازفاً ماهراً، طربت له حتى الحيوانات. ماتت حبيبته (إيروديس)، فذهب إلى الجحيم حاملاً قيثارته، طالباً إعادة الحياة لها. فاشترطت عليه ربة العالم السفلي أن لا ينظر خلفه وأن لا يخاف إن أراد استعادتها. ولكنه خالف الشرط ونظر وراءه فبقيت حبيبته ميتة. تمثل اللوحة (أورفيوس) (Orpheus) جالساً على صخرة يعزف على قيثارة وقد اجتمعت حوله حيوانات منوعة، منها الطيور، والثعبان، والفهود، والأسود، والأحصنة، والفئران، والطاووس ، والغزلان، وحيوانات أسطورية، تنصت إلى موسيقاه. حول اللوحة إطار مزخرف بأشكال هندسية، وعشرون رأساً بشرياً أو من الآلهة.

نقلت هذه اللوحة من موقعها إلى المتحف. لذا كانت أعلى ارتفاعاً عن سطح أرض الغرفة.

ربات النعم:

في المشهد ربات النعم الثلاث (Graces) بنات (زيوس) يرقصن عاريات تزينهن الأساور والخلاخيل والأكاليل. على جانبي اللوحة وعاءان على كل واحد طير وأسماء ثلاثة هي (أغلائي) و (أتاليا) و (إفربسيني). وهناك ست مربعات على جانبي اللوحة في كل واحد وجه مع اسمه. منها:

(Paniyxis) عريف الحفل، (Zyphrasia) إلهة الفصاحة، تحكم بين الآلهة، وهي رمز السعادة والخمر والشعر، (Eyar) فصل الربيع، (Cheimon)

فصل الشتاء، (Theros) فصل الصيف، (Methoporon) فصل الخريف أو إله لأنه مجنح.

تيشس ربة البحر:

من منتصف القرن (3 م)، وهي زوجة (أوكيانوس) الممثل. خلفها تنين له رأس كلب. تتزين بعقد وفي شعرها كثير من حيوانات البحر وأسماكه. وفوق جبينها تبدو نجمة البحر، يحيط بهذا المشهد إطار فيه البحر، والسمك، وآلهة مجنحة، تمتطي الدلافين أو الزوارق.

يوجد في المتحف أيضاً رأس (فيليب) العربي، الذي وجد في قاعة الاستقبال بحمامات (شهبا) العامة. رمم ثم وضع فوق قاعدة خشبية للعرض.

شيزر

تقع هذه القلعة العربية فوق تلة صخرية. ارتفاعها التقريبي بين (40 أو 50 م). يحيط بها (نهر العاصي) من جهاتها الثلاث. وحفرت من الجهة الرابعة عن الجبل لتصبح القلعة شبه جزيرة حقيقية. مما زاد في مناعتها وحصانتها. وهذه القلعة عربية الهندسة والبناء والترميم وقد أيد هذا الباحث الأثري (فان برشم). تبعد (25 كم) شمال غرب (حما). و (4 كم) عن (محردة). و (3 كم) عن (أفاميا). و (80 كم) عن (البحر). وتعلو (300 م) عن سطح البحر.

ورد ذكرها في رقم (تل العمارنة) باسم (سينزار) أو (سيزارا). ودعاها اليونان (لارسا) (Larissa). ويعتقد المؤرخ (ديودوروس سيكلس) من القرن الأول ق.م أن القلعة كانت لفرقة (تسالونيان) من قوات (الإسكندر). وأسماها الرومان (كالساريا) (Calsaria). وذكرت في أشعار (امرؤ القيس) الذي قال:

تقطع أسباب اللبانة والهوى   عشية جاوزنا (حماة) و (شيزرا)

كما أشار إليها (ياقوت الحموي)، و (أبو الفداء) و (الأصطخري) و (وصفي زكريا). وذكرت في تاريخ (ابن الشحنة). مما يدل على أهميتها وحصانتها، لأنها كانت تحمي الطرق الرئيسية على نهر (العاصي).

فتحها العرب المسلمون عام (17 هـ = 638 م) بقيادة (أبي عبيدة بن الجراح). فيما بعد أقيمت في مكانها قلعة ولكن البيزنطيون استولوا عليها عام (999). تداولها العرب والبيزنطيون. ثم صارت تحت حكم (سديد الملك) وهو من (بني منقذ) فاستقل بها تماماً عام (1081) وصد هجمات البيزنطيين. كما صد هجمات الصليبيين في عامي (1108) و (1110) بقيادة (تانكريد)، وكانوا

يقيمون في قلعة (أبو قبيس) وقلعة (مهلبة). فاتفقوا على التعايش السلمي مع (بني المنقذ).

حينما صارت لـ (نور الدين محمود الزنكي) أصلحها وكان زلزال عام (1157) قد هدمها. كما حصنها جيداً وولّى عليها حاكماً من قبله. وحينما توفي، تولى الحكم ابنه الملك (الصالح إسماعيل)، فعزل والي (شيزر). وكان هذا سبباً من الأسباب التي دعت (صلاح الدين الأيوبي) للإسراع في احتلال (الشام). وأخذها من الملك (الصالح إسماعيل)، وصارت (شيزر) بعد ذلك تحت حكم سلطان (حلب) الأيوبي. وكانت القلعة قد تعرضت لزلزال آخر عام (1170) ولكن (صلاح الدين) رممها، وحصنها، وكذلك فعل (المماليك) في عهد السلطان (الملك العزيز محمد) عام (631 هـ = 1233 م) كما ذكرت الكتابة التي على البرج الجنوبي، بعد أن هدمها (المغول). وخاصة القسمين الشمالي والغربي منها مع المنحدر. ثم هاجم المغول القلعة ثانية عام (1260) في عهد (بيبرس) وحكمه كان بين (1260 و 1277) الذي رممها وحصنها مرة أخرى. وكذلك فعل السلطان (قلاوون) عام (689 هـ = 1290 م) وكان على عجل خوفاً عليها من السقوط بأيدي الصليبيين.

احتفظت القلعة بأهميتها الدفاعية حتى الاحتلال العثماني. حيث وضعت فيها حامية عسكرية عثمانية. ثم أهملت وأخذ الناس يسكنوها بعد ترميم بيوتها من نفس حجارة ما تهدم منها. واحتلت تلك البيوت الجانبين الشرقي والغربي منها. ووصل عدد السكان فيها عام (1958) إلى حوالي (600) نسمة. بعد هذا التاريخ هجرها الناس بسبب صعوبة تأمين الخدمات اليومية. ولكنهم حملوا معهم حجارتها لبناء بيوتهم خارجها. وساهموا بذلك في خرابها حتى تدخلت المديرية العامة للآثار والمتاحف فأوقفت ذلك لتصبح (شيزر) آبدة أثرية هامة.

وصف القلعة:

بنيت القلعة بحجارة ضخمة مدببة في وسطها ومنحوتة على الأطراف.

واستعملت الأعمدة القديمة في دعمها. يقع مدخلها الرئيسي في الجهة الشمالية، سابقاً كان له جسرٌ خشبي يرفع عند الخطر ولكن فيما بعد بني جسر حجري بدلاً عنه. تحمله طبقتان من القناطر الحجرية، وله درابزين حجري أيضاً. يعلو المدخل قوس وكتابة عربية، تشير إلى أن السلطان (قلاوون) قام بترميمها عام (689 هـ = 1290 م). فوق هذه الكتابة توجد كوتان لرمي السهام، ونافذة مستطيلة. هذا الباب يقود إلى البرج الشمالي. وهو من طابقين. وللقلعة أكثر من باب. وهناك (14) من الأبراج لم يبقَ منها إلا الشمالي والجنوبي.

البرج الشمالي:

كان من طابقين في كل منهما غرفتان للحراس، فيها مرامي للسهام والمقذوفات الملتهبة وكوات للنور. وفي أقبيته مستودعات للذخيرة والمؤن والعتاد. يؤدي المدخل الشمالي إلىطريق مسقوف طوله (70 م). تنتهي بممر ضيق يقود إلى ساحة القلعة. على الطرف الثاني يوجد ممر آخر، وطريق يقود إلى البرج الجنوبي.

البرج الجنوبي:

أفضل آثار القلعة صيانة، ويقع في أضعف نقاط القلعة. وهو برج دفاعي حصين. يطل على الخندق، مربع الشكل بارز في الجهة الشمالية حيث المدخل الرئيسي. وضعت بين حجارة جدرانه أعمدة لتقوية ارتباط البناء بعضه بعضاً. في أعلاه فوهات ومرامي للسهام. على جدار فيه توجد كتابة تشير إلى (الملك العزيز الأيوبي) صاحب (حلب)، الذي رمم القلعة في عام (631 هـ = 1233 م).

يتألف هذا البرج من قسمين:

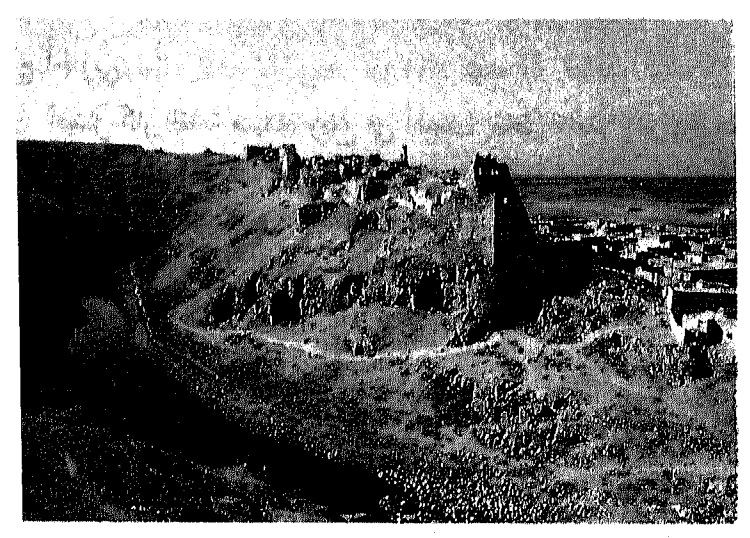
القسم الغربي: منخفض قليلاً، ويتألف من طابقين، تهدم العلوي منه. تعلوه من الجانبين كتابة عربية، تشير إلى (نور الدين زنكي)، وتؤرخ الترميم الذي حصل بعد زلزال عام (552 هـ – 1157 م)، الذي دمّر معظم مدن تلك المنطقة.

أما القسم الشرقي: فهو برج شاهق، يشرف على العاصي، ويسيطر على الخندق الجنوبي. يتألف من طابقين. وأقبية معقودة. الطابق الثاني يماثل الأول. ويصعد إله بواسطة درج حجري. والطابق الأول فيه غرفتان كبيرتان. في الجدران فتحات للإنارة. وللسطح درجان خارجي وداخلي.

رمم هذا البرج في الستينات. ويدعى (برج القصر) أو (قصر بردويل) وهو اسم أحد أمراء حاشية (صلاح الدين الأيوبي). وكان يشرف على ترميم القلعة وبرجها الجنوبي، الذي سكنه خلال مهمته.

في القلعة سرداب خفي وباب سري وهو خندق ذو قناطر متباعدة. يخترق الصخور، ويصل القلعة (بنهر العاصي)، لتأمين الماء عند الحاجة. وكان بإمكان الفارس فوق جواده أن يعبره راكباً. ولكنه تهدم وتراكمت فيه الأتربة والحجارة.

كما يوجد مسجد في الجهة الشمالية من البرج الجنوبي. وقد نقش على حجارة بابه بسملة وكتابة تؤرخ بناءة عام (1278). واندثرت منارته الخشبية مع الزمن.



قلعة شيزر

صافيتا

تبعد حوالي (30 كم) عن (طرطوس)، وترتفع (450 م) عن سطح البحر. (صافيتا = صافي + تا) (صافي = صافي) (تا = هواء) أي الهواء الصافي. وتتوضع فوق ثلاث من القمم الجبلية. بنيت قلعتها في القرن (12 م)، على أنقاض قلعة أقدم منها تقع فوق القمة الوسطى من القمم الثلاثة. يتوسطها برج هو ما تبقى من (القلعة البيضاء).

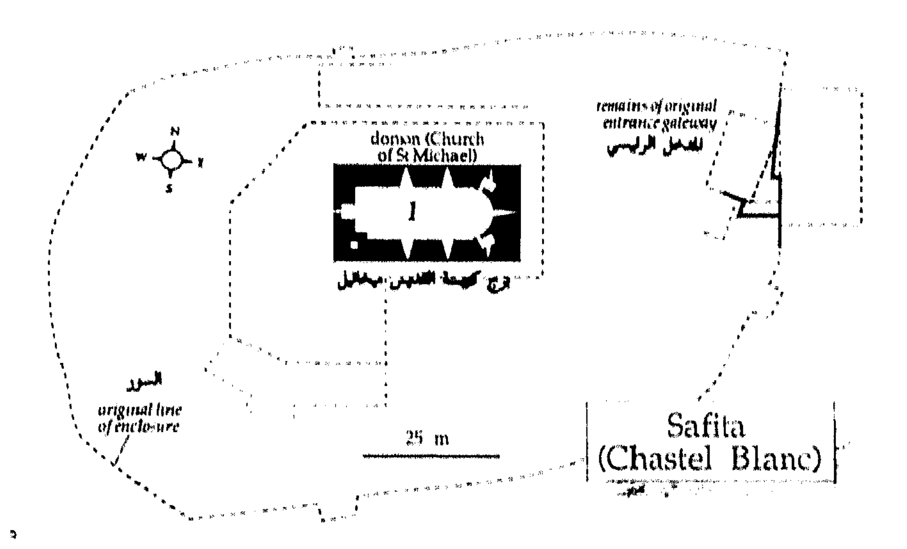
احتلها الصليبيون عام (1112) على يد كونت (طرابلس)، وحررها (نور الدين زنكي) من الصليبيين مرتين في عام (1167 م) وعام (1171) ولكنهم استعادوها. ثم منحت إلى (فرسان الهيكل) الذين أعطوا صلاحية حماية منطقة (طرطوس) فحصنوها. ولكن في عام (1202) دمرها زلزال رهيب، فأعيد بناءها وتحصيناتها، والبرج الحالي يعود إلى هذه المرحلة. وكان البرج تحت سلطة (فرسان الهيكل) الصليبيين حينما حررها (الظاهر بيبرس) عام (1271 م)، وكان في طريقه إلى (قلعة الحصن)، رغم أن القلعة كانت تأوي (700) فارساً مع أسلحتهم وعتادهم ومؤنهم وخيولهم.

في نهاية القرن (19) كانت ما تزال في حالة جيدة. ولكن بعد ذلك بدأ السكان يبنون فوقها. ثم صارت تحت إشراف مديرية الآثار السورية ومعلماً سياحياً هاماً. كان حكام القلعة يتراسلون بالأنوار من البرج العالي مع القلاع الأخرى المحيطة بها مثل: قلعة (الحصن) التي تبعد (15 كم) خط نظر. وقلعة (المرقب) وحصن (طرطوس) وقلعة (عريمة) وبرج (عرب) وغيرها.

وصفها:

كانت القلعة محاطة بسورين بنيا على منحدرات التل. الأول منهما كان بيضوي الشكل. أطواله (100 X 160 م). يوجد في الجهة الشرقية بقايا مداخل وتحصينات وقسم من السور الخارجي.

وفي الجهة الغربية والشمالية قسم أيضاً من السور الخارجي. بينما تهدم السور الداخلي تماماً.



صافيتا ـ القلعة البيضاء

وبرج القلعة المربع لا يزال بحالة جيدة. بني بالحجارة البيضاء. ضلعه من الخارج (18 م) وارتفاعه (27 م). في الطابق الأول من البرج توجد كنيسة القديس (ميخائيل) الأرثوذوكسية. لم تستعمل هذه الكنيسة كجامع وهي تحت حكم العرب المسلمين مثل غيرها. أطوالها (16 X 41 م) ومدخلها من الغرب. يقسمها قوسان إلى ثلاثة أروقة، الأوسط مرتفع مما يعطي الشعور بالفخامة. المذبح في الشرق على جانبه غرفتان للطقوس الدينية. وفي الكنيسة خمس نوافذ.

في الجانب الجنوبي الغربي، يوجد درج بني في الحائط يقود إلى الطابق

الثاني. والطابق الثاني أطواله (13 X 26 م) من القرن (13). كان مهجعاً للجنود. جدرانه أقل سماكة من جدران الكنيسة. وشكل أقواسه مختلف عنها. في وسط الغرفة ثلاثة أعمدة تقسم الغرفة إلى قسمين. في كل قسم (3) نوافذ لرمي السهام. وفي طرفها الغربي فتحة لمراقبة مدخل الكنيسة. ويوجد درج يقود إلى الشرفة الذي في الطابق الثالث.

تحت هذا البرج توجد مستودعات وسراديب وممرات متشعبة بين أبنيتها. كما توجد بركة مربعة لتخزين مياه المطر، ضلعها (6 م) يهبط إليها درج منحوت في الصخر.

صلخد أو صرخد

تبعد (145 كم) عن (دمشق)، و (38 كم) جنوب (السويداء) و (23 كم) شرق (بصرى). هي (سلخد) التي ورد ذكرها في (التوراة)، كمدينة في مملكة (عوج). وورد اسمها في وثائق (وادي النيل). موقعها استراتيجي، لذلك جعلها اليونانيون مركزاً حربياً. كما فعل أيضاً كل من الأنباط والرومان والعرب. جرت حرب بين الأنباط والسلوقيين قرب (بوتانا) أي (أمتان) عام (88 ق. م) هزم فيها السلوقيون، وقتل ملكهم (أنطيوخوس الثالث عشر). كما جرت معركة أخرى بينهما في قرية (سيع) الملاصقة (للقنوات)، وهزم السلوقيون أيضاً. اهتم بها الأيوبيون والمماليك وحصنوها وزينوها. وفي عام (1260) هاجمها (المغول) ولكن (الظاهر بيبرس) رممها. عاش فيها الطبيب العالم (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي).

آثارها:

توجد فيها قلعة نبطية، جددت في العهد الأيوبي، بين (1214 و 1248) لتكون حصناً في مواجهة الصليبيين المتواجدين في (القدس). ثم جددها السلطان (بيبرس) المملوكي في (1277 م).

أقيمت هذه القلعة على جبل بركاني. وهي مستديرة الشكل، وتغطي (1200 م^2). أحيطت بسورين، وخندق، عمقه (6 م)، وعرضه (10 م). في القلعة مستودعات، وأقبية منتشرة في أبنيتها. وفيها دهاليز، وأبواب، وخزانات ماء يأتيها من خزان المدينة. وقد زينت أعتابها بالرسوم الرومانية والكتابات اليونانية والعربية.

وجدت في القلعة قطع فخارية ونقود معدنية. كما وجد عدد من الرقم الحجرية عليها كتابات آرامية، ونبطية. أحد هذه الرقم عليه كتابة يونانية من العصر البيزنطي. وعلى جدران القلعة الخارجية توجد آثار طلقات أسهم.

في مركز البلد يوجد مسجد له مئذنة من عهد الأيوبيين. أنشأهما (عز الدين إيبك) عام (630 هـ = 1232 م). وجددهما المماليك فيما بعد. ارتفاع المئذنة (12 م)، قاعدتها ضخمة من البازلت، وجدرانها سداسية، سماكتها (90 سم)، وهي من الأسفل مبنية من البازلت الأسود وبعده يأتي حجر أحمر قاتم، بينهما شريطان من الحجارة البيضاء المزخرفة بآيات قرآنية. ولها درج لولبي وطاقات للضوء والهواء. وهي مزينة بأفاريز حجرية.

يوجد في (صلخد) حمامات تشبه حمامات (شهبا). كما يوجد طريق روماني معبد بالحجارة يصلها (ببصرى).

كان فيها أربعة خانات منها: واحد يقع قرب بركة الماء في الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة وشرقه تقع الحمامات. أرخت لوحة تذكارية بناءه في عهد (عز الدين إيبك بن الملك العادل أبي أيوب). والثاني بناه أيضاً (عز الدين إيبك) عام (624 هـ = 1225 م) ويقع في الشمال الغربي من البركة الرئيسية. والثالث بني عام (637 هـ = 1237 م).

آثار قرب (صلخد):

عنات:

التي تبعد (26 كم) جنوب شرق (صلخد). فيها مخزن كبير محفور بالصخر. تؤرخه كتابة عربية في (1238 - 1240).

أم القطين:

وتقع على الحدود الأردنية. وفيها آثار عديدة.

عنز:

تبعد (13 كم) عن (صلخد) وفيها آثار هامة.

الصنمين

كانت تدعى (أرينا) ثم (عِبْرٍ). وعرفت عند العرب القدماء بأنها مدينة النبي (أيوب). بنى (عمرو) الأول الغساني دير (أيوب) في منطقة الشيخ (سعد) القريبة منها. وفيها أيضاً قبر (سام بن نوح).

المعبد:

روماني. ويقع في وسط المدينة القديمة. بني بالحجر البازلتي. وأطواله (100 X 150 م). تحيط به أروقة ومحاريب. وله عدة مداخل، الرئيسي فيها أضخمها. تتوسط المعبد مقصورة الربة (تيكة). وتشرف على بركة ماء كرست لربة الينبوع. كان في المعبد مقاعد للجلوس. وغرف عديدة لإقامة الحفلات والاستقبالات. وأماكن للأضاحي والقرابين. وجدت على سقف المدخل الرئيسي كتابات باللغة اللاتينية، تؤرخ البناء بعام (191 م). وتكرسه لربة الحظ والسعادة (تيكة).

قائد الكتيبة الثالثة (الغالية) وهي من بلاد (الغال) أي (فرنسا)، عدّل البناء، ليصبح معبداً لطائفته (الأريزية) وحصناً لعسكره. وجدت ستة قناصل تحمل تماثيل بعض الآلهة وبعض العسكريين. ذكرت أسماء اثنين منهم على قنصلين في الجدار الغربي.

الأعمدة وأنصاف الأعمدة كورنثية. وهذا الطراز ظهر في (حوران) في منتصف القرن الثاني الميلادي. أي في العهد الروماني، أثناء حكم الأباطرة الرومان المنحدرين من أصل سوري.

الربة (تيكة):

هي ربة الحظ والسعادة والتوفيق والنجاح لدى اليونان. عبد العرب (تيكة) منذ بداية العهد الهلنستي حينما دخل الإغريق بلادهم. وفي (تدمر) عرفت كربة تحمي القبائل والمدن يعلو رأسها تاج حاجزه محزز كالسور.

وفي منطقة (الفرات) كانت مقترنة بالربة (عشتار) حامية بلاد (ما بين النهرين) ومنطقة (الفرات). وفي (جرش) اقترن اسمها مع الربة (أرتميس). وبني لها أجمل معبد على الشارع الرئيسي. أما في (أنطاكية) و (دورا أوروبوس) فقد اقترن اسمها مع (غاد) حامي الينابيع والزيتون. وجدت نصوص إغريقية وآرامية تشير إلى ذلك الاقتران. وظهرت تماثيلها على شكل نسر مجنح. وصارت تشبه الإله (بعل شامين).

سك رسم الربة (تيكة) على جميع النقود في (حوران)، في عهد الأباطرة الرومان (كلود) و (كلسيان). ووصفت بالإله المشرق اللامع. وكانت على نقود (بصرى) على شكل ربة مكللة ومقترنة مع الإله (زوس هامون) وهو إله الفرقة (البرقاوية). وعند الأنباط والتدمريين اقترنت مع الربة (اللات) التي ظهرت على شكل أسد. كما في معبد (الصنمين) ومعظم مناطق (اللجاة) و (خبب) و (زبير) و (شقرا) و (درعا) و (أم الجمال) و (قنوات) و (سبح) وفي معبد الإله (ذو الشراة). كما ظهرت منقوشة على صخور (بتراء) مع كتابة بالنبطية تشير إليها. ودعيت (عشتروت) و (تيكة الفينيقية) و (تيكة أثينا) على رأسها خوذة.

مقصورة الآلهة:

وهي على شكل مستطيل أبعاده (15 X 20 م)، وارتفاعه (15 م). في وسط الجدار الجنوبي يوجد محراب مزين قطره (3 م) يرتفع عن الأرض متراً واحداً. يعلوه إكليل مزخرف. على الطرفين من المحراب توجد غرفتان: في الغربية درج يقود إلى سطح المقصورة. ودرج آخر يصعد إلى المنصة التي كان

تمثال الربة (تيكة)، يوضع عليها. وعليها كتابة لاتينية تشير إلى ذلك. أما الحجرة الشرقية فمؤلفة من طابقين. لها مدخل صغير يؤدي إلى حجرة صغيرة أسفل المحراب مخصصة للنذور والقرابين. ولكل من هاتين الحجريتين الشرقية والغربية باب مزين بإطار جميل.

تزين واجهة المقصورة الجنوبية أعمدة ذات قواعد وتيجان كورنثية، ارتفاعها (15 م) والجدران الجنوبية تزينها أنصاف أعمدة بارزة تيجانها أيضاً كورنثية.

في المحراب زخارف هندسية، ونقوش، على شكل أشعة الشمس. تبدأ من نقطة في الوسط وتنتشر حتى تملأ كامل قبة المحراب.

داخل المقصورة، يوجد نطاق محمول على أعمدة وأنصاف أعمدة تحيط بالمقصورة كلها من الداخل. نحتت زخرفة مزدوجة من الأسفل والأمام على وجهي كل حجر. وهي أشكال هندسية وزخارف من أوراق العنب والعناقيد وأوراق الأزهار، إضافة إلى أفاريز جميلة ورائعة. زينت هذه الزخارف كل الأروقة المحيطة بالمعبد من الداخل والخارج، وكذلك المداخل والنوافذ.

صيدنايا

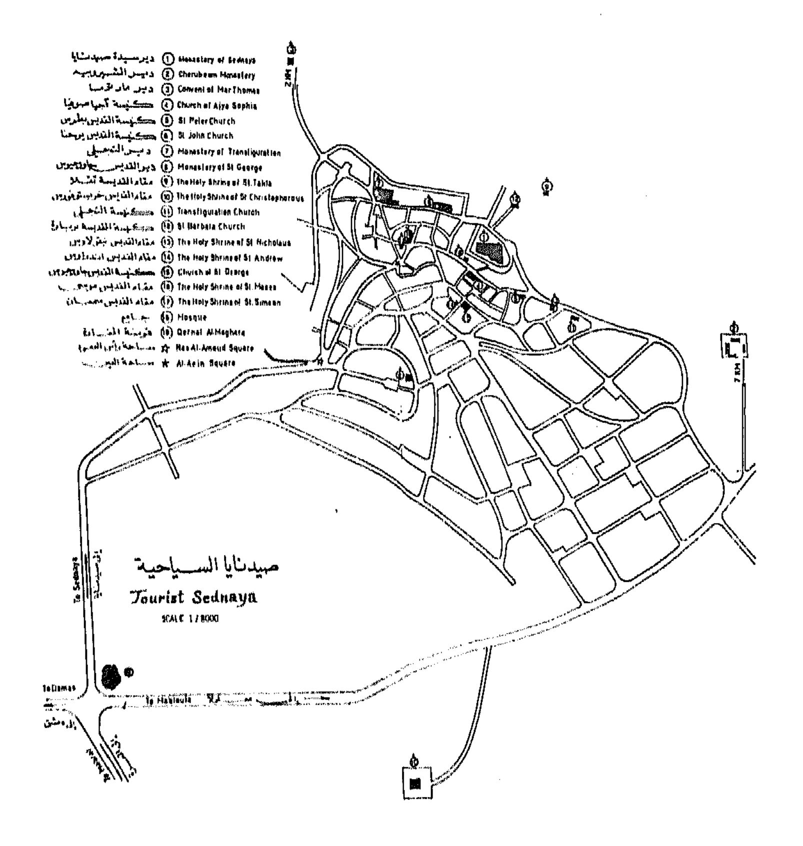
تبعد (30 كم) عن دمشق. وتقع على جبل (القلمون) الذي كان اسمه سابقاً جبل (سنير)، وارتفاعه (1459 م). ترتفع (صيدنايا) (1415) عن سطح البحر. كان اسمها سابقاً (دانابا) وصار (صيدنايا) بالسريانية وتتألف من (سيدا = سيدة) و (نايا = نا) أي (سيدتنا) أو ربما (صيد + نايا) أي صيدنا أو مكان صيدنا وسماها الصليبيون (نوتردام دي سار ديناي) (Notre Dame de Sardenaye). سكنها الآراميون، حتى أن أسماء بعض أماكنها لا تزال آرامية مثل: (حارابا)، (شاغورة)، (شرنيثا) و (حويا).

دخلتها المسيحية في القرن الأول الميلادي وبقي اسمها (دانابا). ثم أصبحت مركزاً للاسقفية حتى عام (170 م). قربها تقع قرية (حلبون) التي ذكر خمرها في الإنجيل. اكتشفت فيها آثار إنسان ما قبل التاريخ، في منطقة (قرنة غرنة) أو (المغارة) وهي في بداية طريق (صيدنايا) عند المفرق. تأتي المياه إلى (صيدنايا) من (بير النبع)، و (نبع الهوة)، ومياه منطقة (ألالاس) بواسطة أقنية كانت رومانية والآن حديثة، ثم جرت إليها مياه (نبع بيسان) ويقع شمال غرب (صيدنايا) على بعد (22 كم)، قرب (سرغايا).

الثامن من أيلول سنوياً هو عيد سيدة (صيدنايا) حيث يأتيها الزوار للاحتفال به.

الآثار الآرامية:

رأس العمود، النواويس الحجرية، معبد الإله (دانابا)، مقام (مارسابا)، مغارة (مار يوحنا).



مدينة صيدنايا

الآثار اليونانية:

من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. جددت بعد أن دمرها (الفرس). منها معبد (دانابا) لإله الشمس. تحته (مغارة الأصنام) التي نقرت في الصخر. وجعلت مدفناً لكهنة المعبد.

مغارة الأصنام:

هي مدافن زينت بالنقوش والتماثيل. فيها ستة وعشرون قبراً نحتت في الأرض الصخرية. كان لكل قبر غطاء من بلاطة واحدة. توضع ضمن فرزات

فتصبح على مستوى الأرض. كل هذه الأغطية مفقودة. علو القبر متر ونصف وعرضه متر. كان للمغارة مصراعان من الحجر، ما زالت أماكن ارتباطها بالجدران ظاهرة. فوق الباب نقوش وتماثيل لشعائر العبادة. ذكرت أسماء بعض الموتى والتأريخ هو سنة (510 للإسكندر أي (187 م).

الكنائس والأديرة والمقامات:

شيد عدد كبير منها بأموال من النذور وتبرعات الملوك والأمراء والأغنياء. ولكن لا تعرف تواريخها بدقة، عددها حوالي (21) عدا المعابد الخربة والمهجورة.

دير صيدنايا:

تقول الأسطورة أن الإمبراطور البيزنطي (جوستينيان) الأول حينما خرج لمحاربة (الفرس) عام (547 م)، وأثناء عبوره (سورية)، عسكر على مسافة من (دمشق)، وحينما ذهب ليفتش عن الماء للشرب، صادف غزالة، ولحبه الشديد للصيد، طاردها حتى وصلت إلى صخرة عالية، ثم اتجهت صوب نبع ماء، فتهيأ لرميها، ولكنها تحولت إلى السيدة العذراء، أشارت إليه بيد تشع بالنور قائلة: «لن تقتلني يا (جوستينيان) بل ستشيد لي كنيسة على هذه الرابية». ثم تلاشت الرؤيا. وحينما لم يجمع المهندسون على مخطط للبناء، ظهرت السيدة العذراء ثانية له في المنام، وأرشدته إلى التصميم. وبعد انتهاء البناء، أصبحت أخت الإمبراطور رئيسة للدير.

يأتي هذا الدير بعد (القدس) بعدد الزوار، لأنه يحتوي على واحدة من الأيقونات الأربعة التي رسمها القديس (لوقا الإنجيلي). وهي محفوظة في كهف صغير يدعى (الشاغورة)، أو (الشاهورة) أي المشهورة باللهجة (السريانية). وكان (فرسان الهيكل) الصليبيون يحملون الزيت الذي يرشح منها كذخيرة مقدسة إلى كنائس (أوروبا) للتبرك. وصلت هذه الأيقونة مع حاج آت من (فلسطين)، كانت رئيسة الدير قد كلفته بشراء واحدة من (القدس). لاحظ

خلال سفره بأن للأيقونة قيمة قدسية، لأنها حمته من الوحوش واللصوص. لذا حاول الاحتفاظ بها، زاعماً لرئيسة الدير بأنه لم يشترها. لكنه حينما حاول الخروج من الدير، منعته قوة خفية من ذلك، فاضطر مرغماً أن يعطي الأيقونة لرئيسة الدير.

هدمت الحروب والزلازل أبنية الدير الأصلية، وأعيد بناؤه وأضيفت إليه أبنية أخرى مما جعله خليطاً من الهندسة المعمارية. يوجد في الدير أيقونات قديمة من القرون (5 و 6 و 7). كما يوجد قناديل زيتية من الذهب والفضة ونذور ثمينة. وفي مكتبة الدير مخطوطات قيمة. والدير مقدس لدى المسيحين كما المسلمين. ويقال بأن السلطان (سيف الدين) أخو (صلاح الدين الأيوبي)، شفي من مرضه وهو في هذا الدير. فصار يرسل له كل عام (50) كيلة من زيت الزيتون. كما كانت شقيقته تحج إليه دوما، حاملة له الهبات السخية.

الدير رهبانية أرثوذوكسية تابعة لمركز بطريركية (أنطاكية) في (دمشق). ويأتيه الزوار في اليوم الثامن من أيلول في كل عام للاحتفال بعيد السيدة (العذراء). في الدير راهبات مع تلميذات مبتدئات وهن يتامى من مختلف الديانات والجنسيات. وكانت الصلوات تقام على سطوحه وحول قبابه أثناء الحروب والأوبئة والكوارث. وله أملاك في (سورية) و(لبنان).

طابع الدير من القرون الوسطى. وأبنيته من عهود مختلفة. مدخله محفور في الصخر، وقربه توجد مقبرة رومانية. وتحته توجد كهوف كانت أماكن عبادة للمسيحيين الأوائل. وحول الدير تنتشر كنائس، وأديرة، سميت بأسماء القديسين. وفي التلال المجاورة توجد قبور وآثار رومانية.

دير الشيروبيم:

(الشيروبيم) كلمة آرامية، معناها الملائكة (شيروب: ملاك) و (بيم علامة الجمع) ارتفاعه (2011 م) عن سطح البحر. يبعد عن (صيدنايا) حوالي (7 كم). ويقع على الجبل المطل عليها، بني بالحجر الأبيض في القرن الثالث الميلادي. وأصبح أنقاضاً في القرن السادس عشر، قربه نبع ماء. ذكره (شهاب

الدين العمري) في كتابه (مسالك الأبصار في جملة ديارات الشام) فقال: هو دير يقصد للتنزه. وأعيد بناؤه عام (1902 م) في عهد البطريرك (أغناطيوس الرابع هزيم)، بطريرك (أنطاكية) وسائر المشرق للروم الأرثوذوكس، على يد الأم الرئيسة (كاترين أبي حيدر) رئيسة الدير.

يضم قسمين الأول فيه مغاور محفوفة والثاني أبنية ضخمة. فيه طاقات تطل على (غوطة دمشق) وعلى كل (بعلبك) من جهة الشمال.

دير مار (توما):

أضخم الآثار الرومانية في المنطقة. يقع على الجبل المطل على (صيدنايا) من ناحية الشمال. يبعد حوالي (2 كم) فيه آثار ومدافن ومغاور. أهمها مغارة واسعة منقورة في الصخر. فيها أعمدة وطاقات، ومصاطب، ربما كانت مكاناً لاجتماع الرهبان. وكانت خزانة كتبهم وسجلاتهم. ولذلك سميت مغارة الديوان الكبير. بقي جزء من السور الخارجي، ودرجه محفورة بالصخر. على جدران الكنيسة بعض الرسوم والكتابات اليونانية.

دير القديس جاورجيوس (جورج) أو (الخضر):

كان خراباً فرمم، فيه كنيسة صغيرة مبنية بالحجر المنحوت. في جهتها الجنوبية دير صغير فيه أيقونةتمثل القديس (جاورجيوس) على حصانه يطعن تنيناً. يحتفل الناس بعيده في السادس من أيار كل عام. وهو عيد الشهداء.

دير التجلي:

يقع شمال (صيدنايا). أقيم في الثلاثينات من القرن العشرين. في عهد المطران (كيرلس رزق). تقوم على خدمته الراهبات الفرنسيسكانيات. وكان أول مدرسة ابتدائية في البلدة. حالياً فيه راهبات وروضة أطفال.

كنيسة القديسة (أجيا صوفيا):

اسمها أيضاً كنيسة المجامع. فيها عدد من الأيقونات الجميلة. لها بابان

ينزل واحد منها إليه بدرج. أما الثاني فيقع على الشارع العام.

كنيسة القديس (بطرس):

معبد روماني، وثني، من أقدم معابد (صيدنايا) القديمة. تشبه البرج المربع، حجارته صفراء ضخمة منحوتة. ويتألف من (12) مدماك. يحيط به درج له ثلاثة درجات. له باب صغير، وهناك درج حلزوني يقود إلى السطح. لا يوجد فيه ما يدل على تاريخ بنائه، أو زمن تحوله إلى كنيسة. كان مكرساً سابقاً للقديسين (بطرس) و (بولس). وكان بابه ضخم وعالٍ في الجهة الجنوبية. ولكن حينما أصبح كنيسة غطي الباب بحجر كبير نقر فيه باب صغير ارتفاعه متر واحد وعرضه (70 سم). مما يدل على أنه صار مركزاً حربياً.

كنيسة القديس (يوحنا):

بنيت على أنقاض معبد وثني في عهد (جوستينيان). تهدمت مع الأيام وأعيد بناؤها. قربها توجد مغارة (مار يوحنا) المنقورة في الصخر.

كنيسة القديس (جاورجيوس):

حديثة تقع وسط البلدة.

كنيسة التجلي:

شرق البلدة وهي بناء حديث أبيض.

كنيسة القديس (ديمتريوس):

إلى جانب الشاغورة. حوّلت إلى متحف فيه مقتنيات الدير.

كنيسة القديس (تادروس):

في حارة الراهبات داخل الدير.

كنيسة القديسة (بربارة):

شمال المدفن.

مقام القديس (نيقولاوس):

قرب كنيسة القديس (بطرس).

مقام القديس (أندراوس):

مقابل كنيسة القديس (جاورجيوس).

مقام القديس (موس):

قرب درج دير السيدة.

مقام القديس (سمعان):

وسط البلدة قرب الجامع. وهو خراب.

مقام القديس (إلياس):

قرب كنيسة القديسة (أجيا صوفيا).

مقام القديسة (تقلا) أو (أم البزيزات):

هو صدع في الجبل، يقع شمال دير السيدة، على شكل جدار ترشح منه قطرات من الماء. وسمي (أم البزيزات) تشبيهاً له بالحليب الذي يرشح من ثدي الأم. فيه أيقونة للقديسة (تقلا).

مقام القديس (سابا):

يقع شمال (دير السيدة). وكان معبداً وثنياً. والآن هو خراب.

مقام القديس (خريستوفورس):

ويقع خارج البلدة.

الضمير

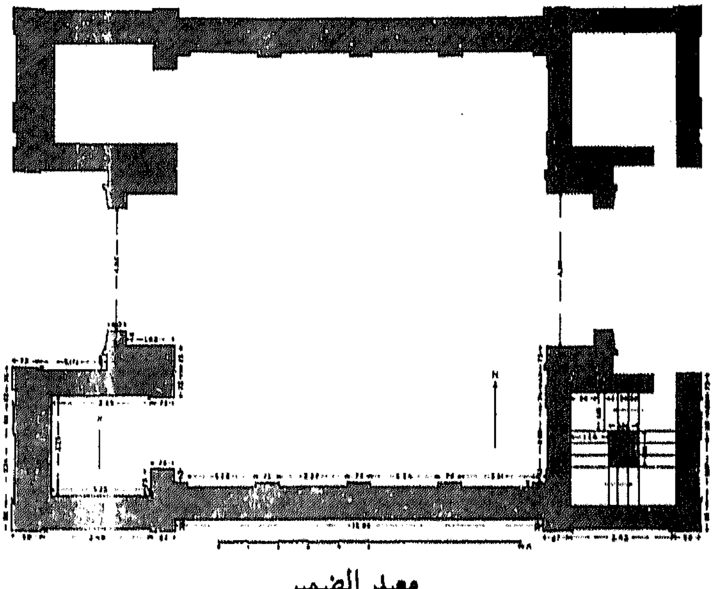
تبعد (40 كم) عن (دمشق) على طريق (تدمر). اسمها باللاتيني (تلساي) (Thelsae) أشهر ما فيها المعبد.

وصف المعبد:

هو روماني، كرس للإله (زيوس هبسيستوس) من عام (245 م) أي في عهد الإمبراطور (فيليب العربي)، الذي حكم بين (244 و 249 م). يتوسط (الضمير) القديمة. يعتقد بأنه أصلاً بناء نبطي يعود إلى (216 م) لذا تباينت هندسته من زمن إلى آخر. وجد محراب لعبادة الإله (بعل شامين)، مما يؤكد وجود بناء نبطي ديني كان في نفس الموقع سابقاً. سبب إقامة البناء الحالي غير معروف لأن تصميمه غير عادي. ولكن هندسته تدل على أنه كان لأغراض دنيوية ثم تحول إلى معبد ربما لربات الماء. أو قد يكون بحرة عامة أو قوس نصر أو مدخل بناء مهم أو تترابل حيث يلتقي طريقان متعامدان. ووجود الأبراج والسلالم التي تقود إلى السطح تدل على عبادة فينيقية قديمة. والمداخل الثلاثة قد تكون لتسهيل الطقوس الدينية. وقد سد العرب أحد الأقواس بأحجار وترك بينها فتحات للسهام.

باشرت التنقيب فيه (د. ألفريدا برمر) عام (1983). يقع المبنى فوق قاعدة صلبة على شكل مصطبة. ويتألف من (23) صف من الحجارة غطيت بعد البناء بطبقة من الطلاء. صحن المعبد، مربع الشكل، تعتمد جدرانه على المداميك الحجرية. في زاويا البناء الأربعة غرف صغيرة. على يمين المدخل الحالي غرفة لها باب من باحة لمعبد. الغرفة التي على اليسار لها بابان. واحد منها يؤدي إلى

باب درج يقود إلى السطح. وآخر يؤدي إلى غرفة منخفضة فيها باب مسدود، كان يؤدي إلى الخارج. أسقف هذه الغرف عبارة عن بلاطات حجرية طويلة.



معبد الضمير

الغرفة التي على يمين المدخل بابها من باحة المعبد، وهي من طابقين. فيها عمود مربع نقش على أحد وجوهه الربة (تيكة)، وعلى الآخر الإله (باخوس)، والثالث لربة ما. أما الجهة الرابعة فقد فقد النقش أثناء التنقيبات. وهناك جرن من الحجر البازلتي، وإسفين باب، وجدت جميعها حول المعبد. كما عثر على قطعة حجر عليها كتابات يونانية موضوعة حالياً على أرض الباحة.

تزخرف زوايا المعبد من الخارج تيجان كورنثية، وإيونية، وجملونات تزيينية. أرض المعبد من الخارج، مبلطة ومنخفضة عن مستوى الشارع الحالي، ويوجد قوسان على الجدارين الشرقي والغربي. وعلى طرفي المدخل الحالي، يوجد حجران عليهما كتابات يونانية.

توجد معابد مشابهة لمعبد (ضمير) في منطقة (القنوات). إلا أنه يختلف عنها بما يلي: لا توجد به أعمدة رئيسية، بل يعتمد البناء على أقواس، عليها

أقسام علوية وأشكال مسننة، قدس الأقداس غير موجود في المعبد واستعيض عنه بفجوات في الجدار.

طرطوس (أنترادوس)

هي المرفأ الثاني في (سورية) بعد (اللاذقية). تقع على ساحل (البحر الأبيض المتوسط.) تبعد (348 كم) عن (دمشق)، و (95 كم) عن (حمص)، و (38 كم) عن (بانياس)، و (52 كم) عن (جبلة). في عهد الإغريق سميت (أنترادوس) (Antradus). وأطلق الصليبيون عليها اسم (تورتاسا) (Tortasa).

لم تكن (طرطوس) مسكونة خلال ازدهار مدينة (ماراتوس) أي (عمريت). ولكن حينما تهدمت (ماراتوس) (عمريت) إثر حربها مع (أرواد). أسس الأرواديون مدينة (طرطوس) لتحل محلها. وذكر (بطليموس) اسم (طرطوس) في العهد الروماني، وكانت قد نمت وأصبحت أكثر أهمية من (أرواد) وغيرها. جعلها الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين) (306 - 337 م) مستقلة وسمح بحرية الديانة المسيحية. وجدد قسماً كبيراً من أبنيتها في عام (349 م). سماها (كونستانسيا) وشجع الديانة المسيحية فيها. وكان فيها أقدم مذبح مسيحي. وصارت محجاً للمسيحيين يأتونها للصلاة في كنيستها التي كرسها القديس (بطرس) للعذراء. وكان القديس (لوقا) قد وضع إيقونة (العذراء) فيها، والتي تدعى (صيدنايا) ملكيتها حالياً. أصيبت (طرطوس) عام (387) بالزلازل التي دمرت جزءاً كبيراً منها بما فيها الكاتدرائية، عدا المذبح والإيقونة.

احتلها العرب المسلمون في عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) عام (17 هـ = 636 م)، على يد حاكم (حمص) (عبادة بن الأنصاري). وحفظ فيها نسخة من مصحف الخليفة (عثمان). أما مصحف الخليفة (عثمان) فهو كما يلي: نزل

القرآن على شكل آيات متفرقة، وبدون ترتيب. وكان النبي (محمد) يتلقى أمر الله بموقع كل آية. وتتالى الوحي لمدة ثلاث وعشرون عاماً. ثم توفي النبي بعد (9) ليال من آخر سورة. ولأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب كان يحفظ الآيات الموحاة ويحفظّها لأتباعه. وأخذ بعضهم يكتبونها بأمر منه. وطلب (أبو بكر الصديق) جمع المصحف من (زيد بن ثابت) وذلك برأي من (عمر بن الخطاب) فصار يجمع ما كتب وما حفظ منه، وأقر صحته جميع الصحابة. احتفظ (أبو بكر الصديق) ثم (عمر بن الخطاب) بذلك المصحف. وعندما أشرف (عمر بن الخطاب) على الوفاة ودع المصحف عند ابنته (حفصة) وكانت زوجة الرسول. وفي عهد (عثمان) أخذ عنه عدة نسخ وزعت فيما بعد على البلدان الإسلامية لتكون مرجعاً للآيات قراءة وكتابة. فأرسل نسخاً إلى (مكة) و (الشام) و (اليمن) و (البحرين) و (البصرة) ، (الكوفة) وأبقى واحدة له.

احتل الإمبراطور البيزنطي (نكفوروس فوكاس) (طرطوس) عام (538 هـ = 968 م) غير أن الفاطميين حرروها منه عام (997 م) خلال حكم الخليفة (العزيز). ثم احتلها الصليبيون بقيادة الكونت (ريمون دي تولوز) في شباط عام (1099 م = 493 هـ). ثم استردها العرب. واستعادها (ريمون دي تولوز) عام (1102 م = 496 هـ) فحصنها وجعلها مقراً له ومركزاً للبطريركية. وولد له فيها ابنه (الفونس). ثم صارت (طرطوس) و (أرواد) للإمبراطور (ألكسيس توفين) بعد معاهدة بين الصليبيين والبيزنطيين. ثم انتقلت إلى كونت (طرابلس) وصارت (طرطوس) صلة وصل بين (أنطاكية) و (طرابلس). أمر ملك (القدس) الصليبي (بالدوين الرابع) في عام (1183 م = 579 هـ) أن تعطى (طرطوس) إلى فرسان الهيكل. فحصنوها وأصبحت بلداً صناعياً اشتهر بصنع الصوف المسمى (كاميلو)، وطريقاً تجارياً للقوافل، ولكن زلازل (1177) خربتها.

هاجمها (صلاح الدين) عام (1188) وكان قد انتصر على الصليبيين في

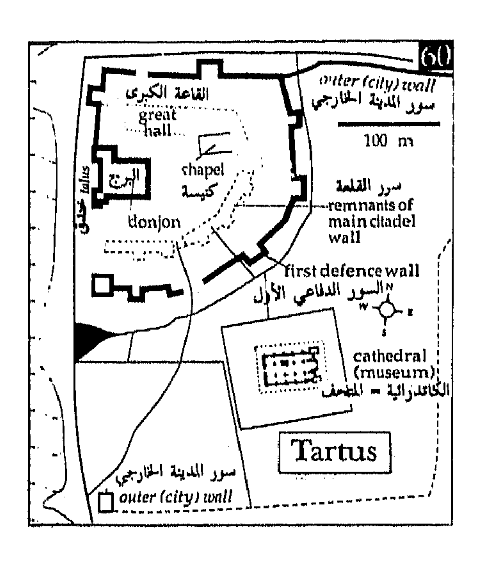
معركة (حطين) (بفلسطين). وبقي في (طرطوس) بين (3 و 8 تموز 1188) ولكنه لم يستطع احتلال السجن (Donjon) حيث اتخذه الفرسان ملجأ يحتمون به، فغادرها نحو الشمال ثم تعرضت للزلازل القوية ثانية عام (1202) التي قضت على معالمها.

دامت الحروب بين الصليبيين والمسلمين سجالاً في عهدي (نور الدين زنكي) و (صلاح الدين الأيوبي). أما السلطان (بيبرس) المملوكي فقد فشل في احتلالها في عامي (1267) و (1270) حتى أتى السلطان المملوكي (الناصر لدين الله قلاوون) في (3 آب 1291) فطرد الصليبيين إلى (أرواد) ثم إلى (قبرص) عام (1303) وكانت (طرطوس) آخر معاقلهم في (سورية). لكن الهجمات الصليبية استمرت من وقت لآخر على (طرطوس) بين (1300 و 1302). وفي عام (1367) احتلت القوات القبرصية وكان ملكهم (بيير الأول) (طرطوس) وأحرقها. وفي نهاية عام (1369) غزا ملك (قبرص) (فاماغوست) مدينتي (جبلة) و (طرطوس) وخربهما.

في عهد العثمانيين ثم الفرنسيين أهملت (طرطوس) وتضاءل شأنها. ولكنها بدأت تزدهر في عهد الاستقلال لتصبح المرفأ الثاني بسورية. وأصبحت الكاتدرائية متحفاً عام (1956). كما بنى في (طرطوس) مرفأ حديث مكان القديم الروماني. وارتبط المرفأ بخط حديدي عريض مع بقية المدن السورية.

أهم آثارها:

يحيط بمدينة (طرطوس) القديمة سوران وخندق ردم فيما بعد وصار طريقاً عاماً. السور الداخلي مبني بالأحجار الضخمة، في أسفله أقبية وسراديب وخزانات مياه. وفيه أبراج عديدة، تهدمت جميعها ولم يبق منها إلا قسم من برج ساحلي مربع الشكل يبعد حوالي (400 م) جنوب القلعة. سماكة أجزاء من جدران السور تبلغ (2.5 م). وكان حوله خندق محفور بالصخر ممتلىء بماء البحر. أما السور الداخلي فقد أزيلت معالمه جميعها ولم يبقَ منه إلا البوابة الشمالية ذات القوس الدائري.



مدينة طرطوس

قلعة فرسان الهيكل:

وهي من القرن (12) وبداية القرن (13). وتقع شمال غرب المدينة القديمة، وهي على شكل مثلث قاعدته نصف دائرية. يحيط بها خندق ثم سوران بينهما خندق آخر. وفي السورين عدد من الأبراج المربعة. يقود جسر له مدخل إلى بوابة القلعة وعرضها (3.10 م). وهي عبارة عن برج يقع في الجهة الشمالية. السور الأول ارتفاعه متران وسماكته (3 م)، وفيه أبراج ومرامي سهام، من الأمام والجوانب. وهي منخفضة على مستوى مرمى أكتاف العدو. يأتي بعده السور الثاني الذي يحيط بالقلعة وفيه قاعة كبيرة كان الفرسان يجتمعون فيها وأصبحت الآن ساحة عامة. وكان طولها (44 م) وفي منتصفها خمسة أعمدة تقسمها إلى قسمين. وهناك كنيسة عالية السقف لم يبقَ منها إلا آثارها. والسجن (Donjon) عبارة عن بناء مربع له برجان على الجانبين يواجه البحر. وفيه بوابة صغيرة تصله بالبحر. وكانت السفن الصليبية تزود القلعة بحاجتها من

المؤن والسلاح من خلاله، مما جعلها منيعة وعصية على (صلاح الدين). ومن هذه البوابة بالذات هرب الصليبيون (فرسان الهيكل) بزوارقهم إلى (قبرص)، حينما هاجمهم (قلاوون)، واستولى على القلعة عام (1291).

وكان البحر ملاصقاً للسجن والبوابة. ولكن مع الأيام انحسر وصار الكورنيش فاصلاً بينهما. حينما حفرت أساسات مدرسة حي (الحمرات) اكتشف في القلعة تابوت فيه هيكل عظمي.

الكاتدرائية (Notre Dame de Tartous):

هي بازليكا طرازها قوطي. حينما أدخل الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الأكبر المسيحية إلى (طرطوس) عام (346 م) أقيمت فيها كنيسة في القرنين (4) و (5)، على أنقاض معبد للربة (عشتار). جدد بناءها الصليبيون عام (517 هـ = 1123 م).

كرسها القديس (بطرس) للسيدة (العذراء). وأقام فيها أول صلواته وهو في طريقه من (القدس) إلى (أنطاكية). كما قدم لها القديس (لوقا) الإنجيلي أيقونة (العذراء) التي تدعى (صيدنايا) حيازتها. وكانت تلك الأيقونة قد نجت من دمار زلزال عام (387). وكانت محفوظة في محراب صغير في مذبح الكنيسة قبل بناء الكاتدرائية. وقيل أن الصليبيين حملوها معهم عند هربهم من (طرطوس) عام (1291).

كما أقيمت في هذه الكاتدرائية زيجات تاريخية هامة منها: حفل زواج أرملة ملك (قبرص) (أليس دي شامبانيه) على (بوهمند) الأنطاكي عام (1253).

كانت الكاتدرائية تابعة للكنيسة اليونانية في القرن (14 م). ولإرضاء الكنيسة اللاتينية، منح أحد أحبارها وهو من حاشية البابا واسمه (فاماغوستا)، لقب أسقف (طرطوس) عام (1328)، مما ضايق أتباع الكنيسة اليونانية. لذا أتى ملك (قبرص) (بيير) الأول في أيلول عام (1367) واحتل (طرطوس). ثم حوّل

الكاتدرائية إلى ترسانة بحرية. وقبل انسحابه أضرم فيها النار. وبذلك انتهت أهمية (طرطوس) وكاتدرائيتها.

وحينما غزا (بيبرس) الساحل السوري عام (1265). أراد الصليبيون هدم الكاتدرائية خوفاً من أن تصبح مركزاً حربياً للعرب. لكن البابا (كليمنت الرابع)، عارض الفكرة، وأمر بتقوية أطراف الكاتدرائية والجهة الخلفية للمذبح الكبير. كما أمر بتقوية البرجين اللذين حول الحنية، وإضافة حائط إلى جدار الهيكل. وبنى برجين صغيرين على الواجهة الأمامية للكاتدرائية فصارت قلعة حصينة. هذه التحصينات جعلت هجوم العرب المسلمين فاشلاً في عهدي (نور الدين زنكي) و (صلاح الدين الأيوبي). ولكن السلطان (قلاوون) حقق النجاح عام (1291). وطرد الصليبيين من (طرطوس) فهربوا عن طريق باب يؤدي إلى البحر. وكانت سفن (قبرص) في انتظارهم. وأخذوا معهم (أيقونة العذراء).

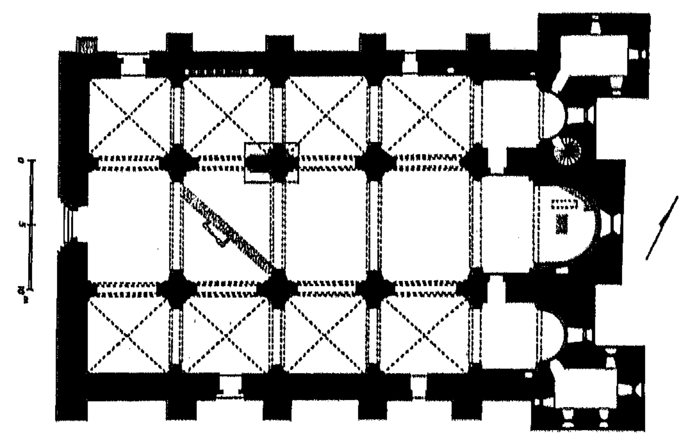
في العهد العثماني عام (1652) كانت (طرطوس) خراباً. استعمل ثلثي الكاتدرائية كإسطبل، والثلث الأخير (كمستودع)، وكان بينهما حاجز.

وفي عام (1681 م) أعيدت الكاتدرائية للصلاة وأصبحت (طرطوس) مدينة جميلة. لها كاتدرائية رائعة. ثم تحولت إلى جامع عام (1851) ثم أصبحت معسكراً للجنود العثمانيين عام (1914). وفي عام (1920) جعلها الحاكم الفرنسي مأوى للاجئين. أما في عام (1921) فقد صارت مستودعاً لمعدات المواصلات. ولكنها في عام (1922) ألحقت بمصلحة الآثار السورية. وأستعادت شكلها القديم. ثم صارت عام (1956) متحفاً، فيه آثار المحافظة، وأثار تل (سوكاس) و (بالاتوس) قرب (جبلة).

وصف الكاتدرائية:

طرازها قوطي على شكل (بازليكا). شيدت في عام (1145) كما يؤرخ نقش موجود في مقدمة البناء. ويعتقد بأن البناء حصل في عام (1200) على مراحل متبعاً نفس الأسلوب الهندسي. أطوالها (27 X 40 م) وارتفاعها (17 م). شيدت بحجارة جصية تشوبها مادة الحوار القاسي والسريع التفتت

لاحتوائه على تجاويف وعروق من الرمل، مما يضعف مقاومته. أخذت الأحجار من مقالع في شمال غرب (طرطوس). واستعملت عجينة من الحوار الأشقر بين الحجارة لدعمها. وهذه العجينة مشابهة للتي وجدت في قبرص من القرن (13).



طرطوس ــ الكاتدرائية والمتحف

تتألف الكاتدرائية من ثلاثة أروقة معقودة. يفصل بينها أعمدة تيجانها كورنثية، وقواعدها على شكل صلبان. في وسط التاج وردة أو رأس صغير لأحد القديسين أو لأبطال بعضهم مجنح. ويوجد تاجان أوراقها كثيرة التخاريم، أما الأغلبية فعريضة الأوراق. يوجد مثيل لهذه التيجان في معظم الأبنية الصليبية في (القدس) و (غزة) و (جبيل) و (الرملة) و (اللد) و (المرقب)، وفي أرجاء (فرنسا). ونجد على التيجان الأخرى ثلاث أو أربعة صفوف من الأوراق المحنية.

أما تيجان الأعمدة التي تعلو القاعدة المكعبة فتحمل الطابع الروماني وتشاهد عليها أقواس معقوفة. وكل تيجان الجهة الغربية تعود إلى القرن (13). وتيجان الرواق الشمالي هي أقواس معقوفة تنتهي بأزهار النسرين.

أما العمود القائم بين الرواقين الثاني والثالث فيتألف من قاعدة مكعبة

الشكل ضلعها (4 م). فيها ممر معقود. وهذه القاعدة تسند أعمدة تدعم السقف. وكانت هي المذبح الذي بناه القديس (بطرس)، وحيث وضع القديس (لوقا) (أيقونة العذراء). وكان هذا الموقع من الكاتدرائية كنيسة بيزنطية تعود إلى القرنين (12) و (13)، واستمرت حتى (1220) حيث ضمتا إلى الكاتدرائية عند تجديد بنائها.

يوجد في صدر الكاتدرائية ثلاث حنيات الوسطى أكبرها. يعتلي الحنية الشمالية نقش طير فقد رأسه يمثل (الروح القدس) ثالث الأقانيم المسيحية. وعلى جانب الحنيتين الأخريتين يوجد برجان مستطيلان استخدما للدفاع وللطقوس الدينية. كما يوجد سلم حلزوني، ودهليز في جدار الهيكل يقودان إلى البرج الشمالي الشرقي. وخلف الواجهة الشمالية، توجد غرفة معقودة في أعلاها نوافذ مستطيلة. فيها سلم يقود إلى سطح الكاتدرائية.

في الجناح الجنوبي يوجد خزان ماء مبني من الحجر. تصل المياه عبر ميازيب ممتدة على جدار الرواق، وفي قبة الهيكل الشمالي خمس صور منحوتة بشكل بارز. إحداها تمثل حمامة (الروح القدس). والأربعة الأخرى تمثل أصحاب الأناجيل الأربعة.

للكاتدرائية مدخل واحد في الجهة الغربية. وبرجان على جانبي الواجهة لم يبقَ سوى الأيسر وهناك مدخلان جانبيان غير متقابلان في كل من الجهة الشمالية والجنوبية ونافذة في كل جانب. فوق المدخل الرئيسي مباشرة توجد نافذتان تعلوهما ثالثة. وعلى جانبي المدخل يوجد نافذتان أخريتان وفوق كل واحدة نافذة صغيرة مستطيلة الشكل.

في السقف المعقود للكاتدرائية توجد نوافذ للإنارة تعود إلى القرن الثالث عشر. وعلى الجدران الشمالية والجنوبية والمحراب يوجد إطار نافر. وعلى القسم الأكبر من جدران الأروقة الجانبية يوجد شريط مزخرف.

آثار قرب (طرطوس):

هناك تلال أثرية بعضها يعود إلى العصر البرونزي الأول مثل تل (المنطار) وتل (سريان) وتل (طبقة الحمام). وتلال من عصور مختلفة منها تل (القوس) وتل (كرزل) وتل (الغمقة) وتل نهر (الحصين) وتل (مرقية). كما يوجد مدن ميتة عديدة منها (أوسلو) (عمريت أو ماراتوس) (بانياس أو بالانيا) و (كارنا) و (إيندرا) و (بيتت خيخي أي حصن سليمان). أما أهم القلاع التي حول (طرطوس): (القوز) و (المرقب) و (برج الصبي) و (يحمور) و (القدموس) و (الخوابي) و (العليقة) و (الكهف) و (العريمة) و (صافيتا). قرب قرية (بيت عليام) بمحافظة (طرطوس)، عثر على تابوت رخامي من العهد الفينيقي وهو أكبر حجماً من التوابيت الأربعة التي اكتشفت في نفس الموقع سابقاً، والتي كان مرسوماً على غطائها صورة المتوفي.

اكتشف حديثاً مواقع في محافظة (طرطوس) تعود إلى ما قبل الألف العاشر قبل الميلاد. وجدت فيها البعثة السورية الفرنسية أدوات حجرية، وبقايا مستحاثات. وهذه المواقع نادرة الوجود بتكويناتها ولقاها. كما عثر على آثار تعود لحضارة (الكباري) الموجودة في منطقتي وادي (الفرات) و (فلسطين). مما يدل على وحدة الحضارة في كل المنطقة منذ آلاف السنين.

عمريت (ماراتوس)

هي واحدة من المدن الفينيقية القديمة. وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. تقع على (البحر الأبيض المتوسط) على بعد (7 كم) جنوب (طرطوس) كا تبعد (700 م) من الساحل. (عمريت) اسمها الفينيقي وباليوناني (ماراتوس) (Marathus) و (ماراثياس) (Marathias) بالروماني. تأسست حوالي عام (2150 - 2000 ق. م) كمركز ديني وتجاري. وجاء ذكرها في كتابات (تل العمارنة) في (وادي النيل). كما ورد ذكرها لدى مؤرخي (الإسكندر المكدوني) الذي أمضى فيها بعض الوقت أثناء فتوحاته عام (330 ق. م) حينما هزم ملكها (ستراتو) واستقبل فيها مبعوثي الملك الفارسي (داريوس). كانت (عمريت) هي القسم القاري لجزيرة (أرواد) التي تبعد عن الساحل مسافة (2500 م) وبلغت أوجها في القرن (14 ق. م) إذ امتلكت أسطولاً كبيراً واشتهرت بالملاحة والتجارة.

في عهدي الإغريق والسلوقيين كانت مدينة للملاهي والمسارح وفيها المعابد والقصر الملكي. وضربت النقود الخاصة بها خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وبلغت أوج ازدهارها الاقتصادي بعد أن انفصلت عن (أرواد) خلال الحكم السلوقي عام (219 ق. م) فانتقم منها الأرواديون بتهديمها في القرن الثاني قبل الميلاد. فصارت (طرطوس) (Antradus) هي المركز التجاري الأهم. ثم فقدت أهميتها خلال الحكم الآشوري والفارسي والروماني. ومر بها القديس (بولس) الرسول وهو في طريقه إلى (روما). خلال الاحتلال الصليبي أخذوا حجارتها لإنشاء أبنية (طرطوس).

(عمريت) مثلها مثل المدن الفينيقية أثرت في جاراتها بلاد (الفرس) وبلاد

(اليونان) وبلاد (وادي النيل)، وتأثرت بهم. زارها بعض الرحالة ووصفوها في كتاباتهم.

بدأ التنقيبات فيها عام (1954) على يدي (موريس دونان) (Dunand). وآثارها تعود إلى ما بين القرنين (6 و 1 ق. م).

آثار (عمريت) تغطي مساحة ستة آلاف كيلو متر مربع أي (2 X 3 كم). عثر في مواقع مختلفة على ثمانية مدافن سميت بالمدافن المقببة. بناؤها مخروطي من حجارة صغيرة تنتهي بشكل مقبب. وحجارتها غير منحوتة. يتراوح عمقها بين (2.5 و 3.5 م) وأرضيتها غير مبلطة. يعود تاريخها إلى (1750 - 1350 ق. م).

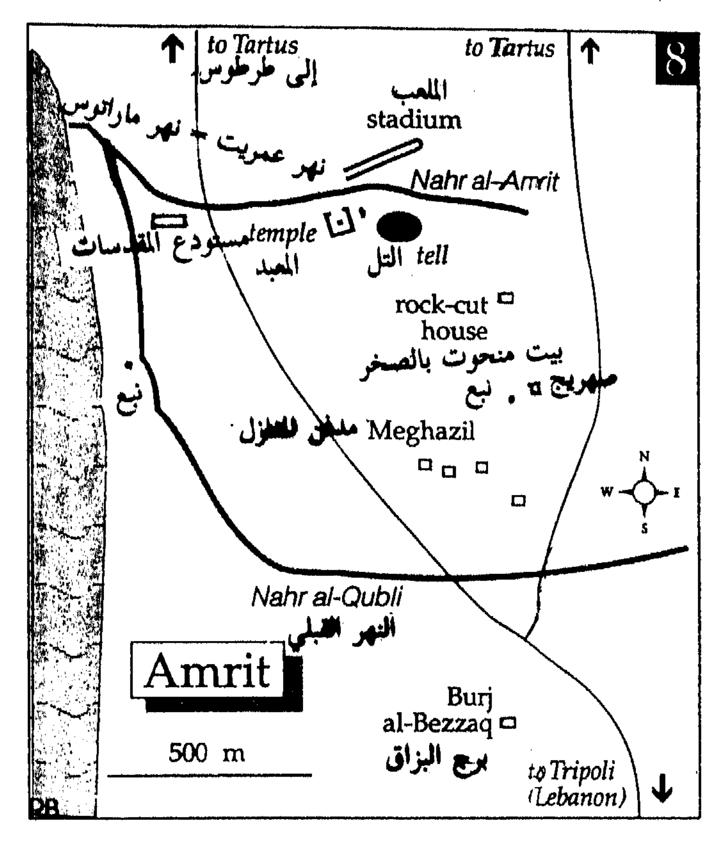
وجدت فيها أواني فخارية منوعة: أباريق، أكواب، دبابيس، مشابك، وفؤوس برونزية. وعثر على أقنية للمياه العذبة والمالحة ولها خمسة نماذج فخارية أو مبنية بالحجارة الكبيرة والصغيرة المنحوتة. وكان لها أغطية فخارية محكمة. وعمقها يصل حتى المترين تحت سطح الأرض. كما اكتشفت أرضية مبلطة بأحجار كبيرة منحوتة تحت مياه الشاطىء بجانب جدار المرفأ. يعتقد أنها أرضية حمام تغذية أقنية مائية متصلة بينابيع عذبة تقع في البحر مقابل المرفأ. وكانت مصدراً هاماً لمياه الشرب خلال الحروب والحصارات.

تل عمريت:

يقع شرق المعبد ويبعد (18 م) عن نهر (عمريت) في الجهة الشمالية منه. وهو قليل الارتفاع بالمقارنة مع التلال الموجودة في تلك المنطقة. سطحه مستو بسبب الزراعات المتكررة فوقه. أطواله (140 X 110 م). وارتفاعه (16.25 م) عن سطح البحر. شمال التل يوجد نبع (التل) الذي يرفد نهر (عمريت) بمائه. كما يوجد نبع آخر يبعد (8300 م) عن البحر واسمه نبع (الحيات) أو (النهر القبلي).

وجدت بيوت سكن قرب النهر على بعد (10 م) فوق هضبة صخرية.

كما وجدت بعض البيوت السكنية على جانب التل الشمالي. أهمها مسكن ناقص فيه عدد من الغرف، وباحة سماوية مبلطة. جدرانه مبنية من الحجارة العادية المتوسطة الحجم. عند الأبواب توجد أحجار منحوتة كزوايا للترابط. تبلغ سماكة الجدران الفاصلة بين (50 و 80 سم). أما الجدار الخارجي فسماكته تبلغ (120 سم).



عمريت

كما عثر في الجهة الغربية من التل على جدار اكتشف جزء منه سماكته حوالي (240 سم). قد يكون هو سور المدينة.

أجري سبر في الجانب الغربي من التل. عمقه حوالي (15 م) عثر فيه على

كسر فخارية من أواخر القرن (3 ق. م) أي (2150 - 200 ق. م). وهي الفترة التي قام العموريون بإنشاء المدن على الساحل. وهي أقدم مكتشفات ذلك العهد. كما عثر على آذان جرار رودوسية مختومة وسراج له ثقب من القرن الرابع قبل الميلاد. وفي هذا التل وجدت آثار فارسية وعمورية.

المدافن:

تقع على هضبة صخرية بين المقالع القديمة. وتغطي مساحة كبيرة لأنها كانت مدافن لمدينتي (عمريت) و (أرواد). أما الرومان فقد دفنوا موتاهم تحت الأرض حتى العصر البيزنطي. كما في (تدمر) و (جبل العرب) و (حوران).

هضبة البياض:

تقع شرق الملعب. وكان فيها مقبرة، تمتد حتى قرية (أبو عفصة). عثر فيها على أقنعة فخاريةصغيرة. وكانت القبور الفردية محفورة في الصخر الأبيض ولها شواهد صغيرة.

المدافن المغازل (Phallic):

وتتألف من مدفنين هما:

المدفن الهرمي:

ويقع في الجنوب الغربي من المعبد. ارتفاعه (4 م) أسطواني الشكل، قاعدته مكعبة لها خمسة جوانب فوقها طنف بسيط، فأسطوانة، فهرم مثمن القاعدة. ويقع درج المدخل في الجنوب. وهو منحدر منحوت بالصخر يقود إلى باب صغير يؤدي إلى غرفتين. على جوانب الغرفة الأمامية نحتت قبور فردية. وفي وسط الغرفة الثانية الداخلية مصطبة لوضع تابوت رب العائلة.

وجدت في هذا المدفن الهرمي لقى عديدة، كانت توضع مع الأموات. يعود تاريخها إلى ما بين القرن (5 و 1 ق. م).

المدفن القببي:

وهو من القرن (6 ق. م). ارتفاعه (9.5 م). وعرض قاعدته (5 م). ويقع إلى جوار المدفن الهرمي.

يتألف من قاعدة مربعة، تعلوها أسطوانة من أربع قطع، زينت أطرافها بأسود طرازها فارسي. يليها أسطوانة عليها زخارف حجرية ثم أسطوانة أصغر قطراً ولها نفس التزيينات وتنتهي على شكل قبة. لدرج المدفن منحدر ينتهي بثلاث درجات، وفسحة صغيرة، يليها باب يؤدي إلى داخل المدفن. وفيه غرفتان كما في المدفن الهرمي.

جرى ترميم المدفينين الهرمي والقببي بتاريخ (1976).

المدفن الأرضي (Hypogeum):

من القرن (4 ق. م). يقع شرق المدفن القببي على بعد (27 م) منه. يقود إلى درجات. الأول أقل عرضاً من الثاني ومجموع طوليهما (16 م). له غرفتان. الأمامية تضم أربعة قبور، والثانية لها مصطبة في الوسط لوضع تابوت رب العائلة.

استخدم هذا المدفن في العصر الهلنستي واكتشفت فيه لقى تعود إلى ما بين القرنين (4 و 1 ق. م). منها قدور وكسر وجرار وسُرج وبعض التعاويذ الخاصة بالخصب.

المدفن المكعب (النصب التذكاري) (Funerary Moumnemt):

إلى الشرق من مدافن المغازل. يعلوه نصب تذكاري مكعب الشكل مؤلف من كتلتين: الأولى لها طنف متأثر بفن (وادي النيل) فوقها الكتلة الثانية وهي مكعبة تنتهي بهرم زال قسمه الأعلى.

يشبه بشكل عام المدافن الهرمية والقببية ويعود إلى القرن (6 ق. م). فيه غرفتان للدفن.

يوجد إلى الجنوب منه بقايا مسلة (Obelisk) سقطت في مكانها.

برج البزاق (Snail Tower):

من القرنين (6 و 5 ق. م). وهو مدفن هرمي للملوك (أرواد). يقع على بعد (1.5 كم) جنوب غرب (عمريت). بني من الحجارة الكبيرة المنحوتة، بعضها أكثر من (5 م) طولاً و (2 م) ارتفاعاً. قاعدته صخرية مكعبة الشكل طول ضلعها (8.8 م). ارتفاع البرج (11 م) بما فيه الهرم المتهدم الذي كان يتوج سطحه. يتألف المدفن من طابقين لهما أبواب في الجهة الشمالية. الغرفة الأرضية فيها مصطبة أطوالها (1.72 X 4.68 X 5.37 م).

مستودع المقدسات:

يبعد (100 م) غرب المعبد. أقيم على هضبة معروفة الآن باسم (المقلع). أطوال هذه الهضبة (60 X 70 م) وارتفاعها (3 م). كانت تقطع منها الحجارة للبناء. أقيمت فوقها مبانٍ تعود إلى عهد المعبد (6 ق. م) لم يبقَ منها إلا حجارة كبيرة في الجهة الشمالية. وجدت فيها لقى عديدة منها: تماثيل مختلفة الأحجام من الحجر الكلسي الأبيض. بعضها يرتدي ثوباً فضفاضاً. تبدو عليها تأثيرات من فن (قبرص) و (وادي النيل). وأحدها يلبس (كوناكس) يشبه لباس (رمسيس) الثاني وآخر للبطل (هرقل). وكذلك تماثيل لرعاة يحملون رؤوس الماعز ليقدموها هدية للمعبد. كما وجدت رؤوس تماثيل مكللة بالغار، ودمى فخارية تمثل وجوهاً وفرساناً من القرنين (5 و 3 ق. م).

البيوت:

تقع شمال شرق المدافن والمغازل. منها بيت منحوت بالصخر يعرف باسم الكنيسة. طول واجهته الغربية (30 م). وارتفاعها (6 م). وسمك جدرانه (80 سم). يتألف هذا البناء من ثلاث غرف فواصلها من الصخر نفسه. جداره الشمالي وقسم من الجنوبي مبنيين بالحجارة التي لم يبقَ منها شيء. عثر بين أنقاضه على قطع من الرخام.

الملعب:

يقع شمال نهر (عمريت). وهو أحدث عهداً من المعبد. وكانت تقام فيه ألعاب منها: سباق الجري، سباق العربات وسباق الأكياس وغيرها. وهي أصل الألعاب الأولمبية التي انتقلت من (سورية) إلى (اليونان). والتي ابتدأت لأول مرة في ملعب (اليسيا) عام (776 ق. م).

نحت الملعب في الطبقة الصخرية. أبعاده حالياً (30 X 230 م). طرفه الغربي متآكل، أما الشرقي فينتهي بحنية، على جانبيها ممران لخروج المتسابقين من الملعب.

يستوعب الملعب حوالي (11) ألف متفرج. على جانبي الملعب يوجد سبع مدرجات لجلوس المتفرجين، عرض كل واحد منها (55 سم). وله باب منحوت في الجهة الجنوبية.

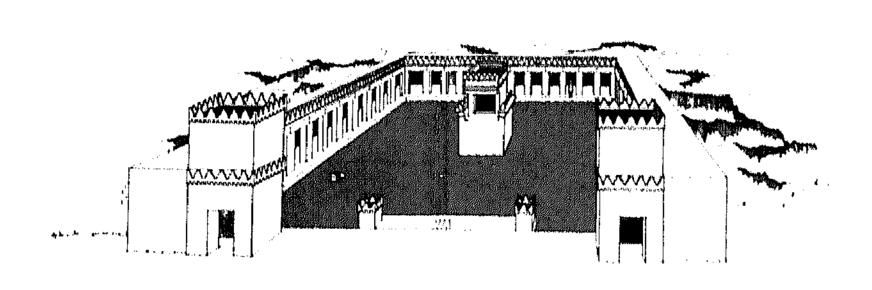
عند أطراف الملعب يوجد بعض القبور وأساسات لأبنية تهدمت.

المعبد:

يعود إلى القرن (6 ق. م). كرس لرب الشفاء (ملقارت) (Melqart). ويعادله الإله (هرقل) (Hercules) اليوناني و (أشمون) (Echmoun) من (وادي النيل). تأثر بناؤه بفن (اليونان) و (فارس) و (بلاد النيل).

بني وسط بركة ماء وهو شكل من المعابد نادر الوجود له شبيه فقط في (منبج) أي (هليوبوليس) من القرن (5 ق. م). نحت هذا المعبد كله في المنحدر الصخري الذي يطل على نهر (عمريت). مقاييس البركة هي (38 X 48 م) وعمقها (3 م) يحيط رواق حجري بثلاث من جهاتها الشرقية والغربية والجنوبية. وفيه أعمدة مستطيلة عالية كانت تزينها مثلثات حجرية (ميرلون). في الجانب الشمالي الغربي من البركة يوجد مصرف لإملائها وتفريغها من الماء. وفي الجدار الشرقي للمعبد توجد قناة تأتيها المياه من (النبع المقدس) الذي يقع على سفح التل شرق المعبد. وقد بني حاجز من الحجارة الكبيرة أمام القناة

لتحجز المياه، فترتفع حتى قناة صغيرة محفورة في الجدارين الشرقي والغرب وهي على مستوى يد الإنسان الواقف. كما حفرت قناة أخرى أكبر منها في أرض الرواق على مقربة من الجدران، ولها نفس اتجاه القناة الصغيرة. عثر على بقايا أباريق فخارية أتى بها الناس لملئها بالماء المقدس بقصد الشفاء.



معبد عمريت

وكان للمعبد باب كبير يقع في الجهة الشمالية مقابل باب الهيكل المركزي الذي في منتصف البركة. على جانبي الباب برجان يقودان إلى أروقة الملعب للطواف حول الهيكل المركزي بواسطة زوارق صغيرة. عرض هذه الأروقة (5 م)، وأرضيتها مرصوفة بالحجارة. أمام الباب الكبير يوجد مذبح صغير لتقديم الأضاحي. إلى جانبيه هيكلان صغيران. وأمامه مصطبة من صخرة كبيرة عند طرفها الشرقي درج صغير يؤدي إلى أرض البركة.

والهيكل المركزي (Sancuary) أي (Naos). بني في وسط البركة فوق قاعدة صخرية. غطيت من الأسفل بالحجارة المنحوتة لصيانتها من التآكل. له باب يقع في جهة الشمال. يعلوه سقف مكون من قطعة حجرية واحدة. حوله أفريز من فن وادي النيل، تزخرفه مثلثات (Merlons). وكان تمثال

(ملقارت) (Melqart) وهو الإله الشافي من الأمراض والحميات، يوضع في المحراب كما أشارت إلى ذلك كتابة فينيقية قرب الموقع.

عين دارا

في أقصى الشمال من (سورية)، تقع (عين دارا). تبعد (50 كم) شمال غرب (حلب). وفي وسط سهل (عفرين)، على الطريق الذي يصل (أنطاكية) بـ (سيروس) و (الفرات). سميت كذلك نسبة إلى نبع (عين دارا) الذي يبعد عنها (800 م) شرقاً. يعود سكن الموقع إلى العصر الحجري الحديث (8000 - 5000 ق. م) استقر الإنسان على تل في الجنوب حيث وجدت آثاره.

قد يكون اسمها باليونانية (غينداروس) (Gindaros). عاصرت العهد السلوقي والعرب ولكن هناك فجوة زمنية غامضة خلال العهد الروماني. (ابن آوى) هو الذي كشف أسرارها حينما حفر وكراً فيها فظهر رأس تمثال لأسد بازلتي وجده راعٍ فيما بعد عام (1954 م) وبدأ التنقيب فيها عام (1956) وأجريت في الموقع أسبار عديدة.

تتألف المدينة من قسمين: المدينة الفوقانية (أكروبولوس) وتقع على مرتفع يتألف من تلين متجاورين ومتلاصقين. أصغرهما أعلاهما يعود سكناها إلى الألف الرابع قبل الميلاد. مساحتها (60 X 125 م). ترتفع (30 م) عن حوض (عفرين). استمرت الحياة فيها بشكل مؤكد بين (140 و 75 ق. م).

المدينة التحتانية: وبنيت بعد الفوقانية وسكنت خلال العصر الآرامي حوالي (1200 - 740 ق. م). وتقع في الجزء المنخفض من شمال شرق التل العالي. أبعادها (170 X 270 م). أحيطت بسور آرامي، فيه أربعة بوابات واحدة في كل جهة. عند البوابة الغربية ساقية كانت تمد المدينة بالماء للسقي والري. وكانت تصل بين نبع (عين دارا) شرقاً ونهر (عفرين) الذي يمر غرب المدينة.

استمرت المدينة العليا بعد المدينة السفلى، ومرت بالعهود التالية:

1 ـ العصر الآرامي المتأخر، والبابلي الحديث (740 ـ 530 ق. م)، وجدت من هذا العهد، جرار للدفن، وأساسات بيوت غرب المعبد، وبعض الأختام والأواني.

2 ـ العصر الأخميني (530 ـ 330 ق. م). وجدت آثار أبنية فوق أنقاض المعبد، من الحجر المنحوت، وكذلك بقايا أبنية من اللبن، وعثر أيضاً على أوان فخارية، ودمى تمثل فرساناً، وتماثيل للربة (عشتار).

3 ـ العصر الهلنستي (330 ـ 64 ق. م). وجدت قطع من الفخار المستورد والمحلي، وأواني فخارية على شكل رأس إنسان، وأخرى مزينة بأشكال بشرية وحيوانية بارزة، وكميات كبيرة من النقود الفضية السلوقية.

4 ـ العصر الروماني (64 ق. م ـ 330 م). لم يعثر على أثر منه. ويبدو أن المدينة قد هجرت كغيرها، وانتقل سكانها إلى قرية (الباسوطة) التي ذكرت في العصر الروماني، وتقع جنوب تل (عين دارا)، على بعد كم واحد منها.

5 ـ العصران الأموي (661 ـ 749) والعباسي (749 ـ 969). دبت الحياة في (عين دارا) من جديد. وكان لها أزقة ضيقة على جانبيها بيوت زينت بزخارف جصية، وفي الزراعة استعملت المحراث الخشبي مع السكة الحديدية، الذي يجره الحيوان. كما شقت الأقنية للمياه المالحة. وصارت الحياة مرفهة وغنية. وجدت من هذه الفترة أواني فخارية جميلة وأدوات منزلية.

6 ـ العصر الحمداني (905 ـ 1003): خضعت (عين دارا) للحمدانيين، ثم غزاها (نكفور الأول) البيزنطي عام (969). واستمرت مزدهرة، فكانت بيوتها من الحجارة واللبن، وأسقفها من الخشب، وكان فيها معاصر زيتون، وأفران خبز، وأفران لصهر الحديد. وزرعت حقولها بالحبوب والأشجار المثمرة. وكان فيها كنيسة كبيرة، عثر فيها، كما في بعض البيوت، على صلبان برونزية، وعلى أجران معمودية، وأدوات القداس، كالمباخر، والأقداح، ومستلزمات الذبيحة الإلهية، ووجدت أيضاً في البلدة مناجل وفؤوس، ومعاول، وسكك حـ اثة، وأنوال خشبية، ورؤوس مغازل حجرية أو عظمية، ومقصات وكفات

موازين مع سلاسلها، وأهم المكتشفات، كانت كمية من النقود الذهبية، تفوق المئة، تعود للقياصرة (ميشيل السابع، دوكاس، قسطنطين الثامن، قسطنطين العاشر ورومان الرابع) وحصنت المدينة بسور مزدوج بني بالحجارة الكلسية الكبيرة المنحوتة مليء الفراغ بالحجارة العادية المخلوط مع الملاط الجصي. كما بني حصن منيع عند التل.

7 - العصر المملوكي السلجوقي (1075 - 1174). قضى المماليك السلاجقة على البيزنطيين عام (1086 م)، فعادت (عين دارا) تابعة (لحلب). وبنيت بيوت على أنقاض المدينة القديمة التي دمرتها الحرب. ولكن المنطقة هجرت بعد ذلك، وتحولت إلى حقول لزرع الحبوب حتى عام (1988)، ثم صارت واحدة من المواقع الأثرية الهامة في سورية.

معبد (عين دارا):

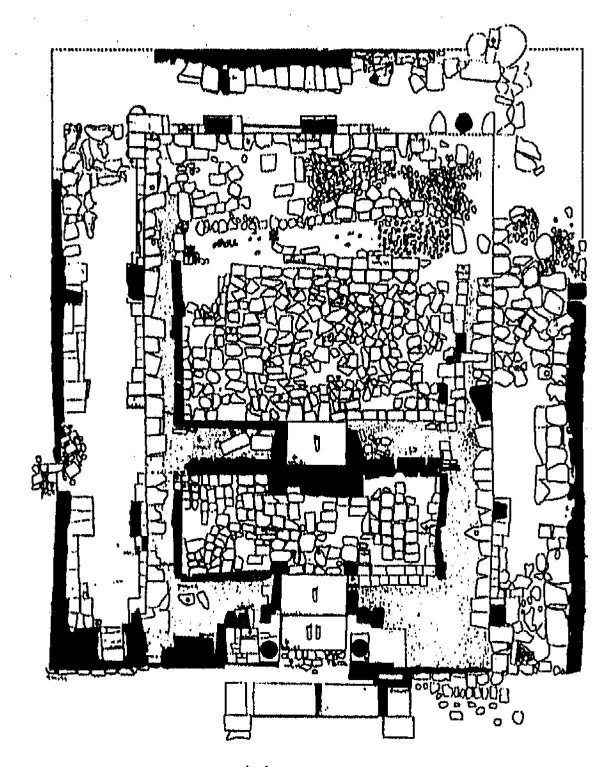
هو معبد آرامي من الألف الأول قبل الميلاد. ويعتبر فريداً في هندسته لا يشبهه إلا معبد تل (طعينات)، الذي يبعد (35 كم) غرب معبد (عين دارا). ظهر طراز هذا البناء في الألف الثالث قبل الميلاد في تل (خويرة)، حيث وجد (أنطون مورتكات) خلال خمسة معاب متوضعة فوق بعضها البعض. المعبد الثاني من الأعلى هو الطراز الأصلي لهذا النمط من الهندسة التي اتخذت لبناء معبد (عين دارا).

بعد معبد تل (خويرة) بخمسمائة عام بني في (إيبلا) معبداً له نفس الطراز. ثم وجد غيره في موقع (ممباقة) وتل (مسكنة) أي (إيمار) وغيرها. وقد أضيفت عناصر جديدة لهذه الهندسة.

كرس المعبد لربة الحب والجنس والحرب (عشتار) لوجود الأسد وأبو الهول وهما رمزاها.

و (عشتار) هي ربة (جبال الأمانوس) وسيدة جبال (بيشيشا) شمال (سورية). و (رب الجبل) واحد من أتباعها. و (عشتار) ربة الحب والجنس تهب ثدييها للآلهة الذكور وللأبطال من البشر رمزاً للعطاء الإلهي لاستمرار الوجود.

وهي أيضاً الربة المحاربة التي تدوس بقدميها على أعتى الجبابرة من الآلهة والبشر. ومعبد (عين دارا) يظهر أهمية هذه الربة. وإلى جانب (عشتار) هناك رموز تدل على آلهة قد يكونوا مشاركين لها في المعبد وهم: (حدد) إله الطقس والصواعق ورمزه الثور، وجد فوق الأعمدة في اللوحات، و(ملقارت) الفينيقي إله الشفاء، و(إله الجبل) لأن رسمه منقوش على نعلة المحراب. أقيم هذا المعبد خلال عصر الحروب التي قامت بين السكان وشعوب غريبة حوالي (1200 ق. م). كما اكتشف في منطقة (شرق الأبيض المتوسط) عدد من المعابد والقصور بنيت أثناء ذلك. أهمها إلى جانب (عين دارا)، معبد القصر في (تل حلف) الآرامي. ومعبد صغير في (كركميش) قرب (جرابلس) على الحدود التركية. ومعبد (طعينات) قرب (أنطاكية). وكلها مربعة الشكل تقريباً.



معبد عين دارا

وصف المعبد:

يقع في الطرف الشمالي الغربي للمدينة الفوقانية. يعود بناؤه الحالي إلى القرن (9 و 10 ق. م) جدد أو أعيد بناؤه أكثر من مرة. وقد جمع بين عناصر محلية ومجاورة لإبداع نمط هندسي فريد في خصائصه.

يتجه المعبد نحو الجنوب الشرقي وأبعاده (38 X 32 م). لم يعثر فيه على أية وثائق مكتوبة. بني المعبد فوق أنقاض أبنية قديمة من عدة طبقات ترتفع حوالي عشرين متراً فوق الأرض المجاورة. كان سور المدينة يحيط بالتل. وقد أقيم جزء كبير منه فوق أروقة المعبد. ولبناء أساسات المعبد جعلت حفره كبيرة في تل الأنقاض ثم دكت بالحجارة لتكون القاعدة وبعدها شيدت المصطبة وجعلت أعلى من سوية الأرض المجاورة. أما ارتفاع جدران المعبد فكانت (6 م) ومدخله من الجنوب.

في واجهة المعبد الأمامية لوحات سباع وأبي الهول، فوقها صف من الأسود الرابضة، ترتفع مترين ومن ثم الجدار اللبني. وتتوضع أعمدة خشبية بشكل أفقي تربط السباع مع الجدار اللبني. وكانت مزخرفة بصف من الورود الزرقاء مثبتة على حجارة كلسية مجوفة أو مربعة الشكل.

شكلت اللوحات في معبد (عين دارا) شريطاً متناغماً يحيط بالبناء. كل حيوان يبدو واقفاً يقابله آخر وهما متناظران تماماً إلا في حالتين إذ وضع حيوان منفرد بين اثنين متقابلين في الواجهة الرئيسية. ووضع أبو الهول بين زوجين في الواجهة الجنوبية الغربية. رؤوس الحيوانات ملتفتة إلى اليمين أو اليسار. أما أجسادها فهي جانبية.

أمامه ساحة مبلطة بحجارة كلسية وبازلتية منحوتة ومصقولة جيداً. كانت محاطة بسور لم يبقَ له أثر.

قرب الزاوية الشرقية للمعبد يوجد حوض ماء كبير من الحجر الكلسي أبعاده (2 X 3.5 م) وارتفاعه (70 سم) وعمقه (36 سم). إلى جانبه بئر عميق

تؤخذ منه المياه إلى الحوض فتحته مربعة طول كل ضلع متر واحد. وهو بئر ارتوازي فيه نبع عمقه حوالي (25 م). وكان على المتعبد أن يغتسل قبل الدخول إلى المعبد. ثم يصعد إليه بدرج عريض (11 م) وهو أعرض من المدخل للأبهة وفيه ثلاثة أقسام: الأوسط فيه خمس درجات والدرجان الجانبيان كل واحد فيه أربع درجات. تزخرف نعلات الدرج كله ضفائر تزيينية.

فيه عتبات تعلو الواحدة قليلاً عن الأخرى، نقش في وسط الأولى شكل قدمين بشريتين ضخمتين متجاورتين، وفي العتبة الثانية نقش شكل قدم يسرى ضخمة أيضاً. وفي عتبة الحرم في الداخل يوجد في وسطها شكل القدم اليمنى. هذه الأقدام قد تكون للرب صاحب المعبد، الذي زاره لتقديسه. أو قد تكون لإرشاد المتعبد إلى طقوس الدخول إلى المعبد.

المدخل:

يقع في الجنوب. يتألف المدخل من شرفتين بينهما ممر. رصفت الأرضية بالحجر الكلسي. وكان له باب ذي مصراعين. على جانبيه قاعدتان بازلتيتان كبيرتان بيضاويتان، كان يرتكز عليهما عمودان يدعمان الساكف الخشبي. أجزاء الجدار السفلية من الحجارة البازلتية الضخمة نقش عليها قوائم الأسود وأبي الهول. هناك أسدان يشكلان دعامتي الباب. خلف كل واحد منهما زعرور باب من الحجر البازلتي. وضع عميقاً في أرضية القاعة الأمامية ليصبح ثابتاً ومتيناً يتحمل ثقل الباب الخشبي المؤلف من درفتين ضخمتين. تزين جدران المدخل سباع وأبو الهول وأشكال إنسانية وحيوانية.

رواق المدخل:

عرضه (11 م) كعرض الدرج. وعمقه بطول الأسد الأيسر (2.33 م). يتألف صدر الرواق من ثمانية أسود أربعة على كل جانب من جانبي الباب. تقف هذه الأسود فوق مدماكين من الحجارة البازلتية المنحوتة.

الرواق:

كان المعبد محاطاً من الجانبين والخلف برواق أضيف إلى المعبد في وقت لاحق. أساسات الرواق غير مرتبطة بأساسات المعبد بل هي ملتصقة بها على نفس الارتفاع. ترتفع أرضية الرواق (1.5 م) عن الأرض المجاورة للمعبد. عرض الرواقين الجانبيين (5.40 م) أما الرواق الخلفي فعرضه (4.70 م) لأن الفراغ بين المعبد وطرف التل تحكّم بتصغير العرض.

كسيت قاعدة الرواق الخارجية بنعلة من الأحجار البازلتية المكعبة المنحوتة والصقيلة. فوقها صف من اللوحات البازلتية ارتفاعها (1.3 م) نقش عليها سباع وعدد من أبي الهول. كان للرواق مدخلان في الواجهة الرئيسية. برزا قليلاً عن الواجهة. لم يبقَ منهما سوى الأيسر الذي سد فيما بعد بلوحة سبع. كان لكل مدخل درج على جانبيه لوحة لأبي الهول، وباب مؤلف من مصراعين. وقد غطيت عتبة كل مدخل ببلاط من الحجر الكلسي. وإلى اليسار توج ثلاثة سباع ضخمة. أما على اليمين فيوجد سبع واحد. كانت لبعض السباع رؤوس بشرية.

داخل الجناح الأيسر للرواق توجد خمسة قواعد من كل جانب تماثيل متناظرة تبرز متراً واحداً إلى الأمام. وهي من الحجر الكلسي المنحوت. تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة (3.7 م). وكانت تحمل تماثيل أشخاص تقدم القرابين. لم يبقَ منها سوى ساقا رجل، وقوائم ثور على واحدة من هذه القواعد. وأقدام إنسان على قاعدة أخرى.

أنصاب الطرف الأيمن داخله جزئياً في الجدار المعبد وهي أقل ارتفاعاً. بينها بلاطات كلسية مصقولة. أما أنصاب الطرف الأيسر فكانت تحمل سقف الرواق الذي كان أخفض من سقف المعبد. وبين هذه الأنصاب كانت هناك لوحات بازلتية، على وجهها الداخلي أشكال منقوشة كالثور مثلاً. أما الخارجي فنقشت عليه أشكال نوافذ وهمية كما في داخل المعبد.

في الرواق الخلفي المواجه للمدخل العام، يوجد خمسة أنصاب إلى اليمين ومثلها إلى اليسار. لم يبقَ منها سوى اثنين على اليمين بينهما بلاطات

كلسية. على النصب الأول رسم ملك جالساً على كرسيه لم يبقَ من جسده إلا أطرافه السفلى. يرتدي ثوباً مزخرفاً بزهرات وخطوط منكسرة وأخرى شاقولية متوازية. ولم يبقَ من الكرسي سوى قوائمه التي على شكل قوائم سبع.

أما النصب الثاني فكان عليه نقش شجرة نخيل. وقد وجدت بعض النصب مقلوبة ومحطمة. ويبدو أن التشابه كان كاملاً بين أجنحة الرواق كلها.

وقد وجدت نقوش للآلهة (عشتار) على لوح بازلتي تبدو فيه ملتفتة نحو اليسار. فوق كتفها الأيسر ريش أجنحة أو حزمة من الأسهم. وتمسك بيدها اليسرى سارية مستندة على الأرض. أما اليد اليمنى فمثنية على صدرها، تمسك بها قضيباً. ساقها اليسرى عارية تماماً أما اليمنى فمغطاة بالثوب المزخرف بالدوائر والمثلثات. ولبست (عشتار) فوق الثوب رداء يشبه العباءة. على الجانب الأيسر خطوط وعلى الأيمن مربعات.

القاعة الأمامية:

قاعة مستطيلة أبعادها (6 X 15.5 م). رصفت أرضيتها بأحجار شبه منحرفة ذات أحجام مختلفة. وضعت فوقها طبقة طينية. القسم الأسفل من الجدران مغطى بلوحات بازلتية كبيرة شبه مكعبة منحوتة ومصقولة تمثل (رب الجبل) أمام نافذة وهمية يحيط بها شريطان مضفوران ومتوازيان للزينة. فوق هذه اللوحات توجد جدران من اللبن.

المصلى:

يرتفع المصلى (70 سم) عن القاعة الأمامية. بينهما درج عرضه (3.8 م) فيه ثلاث درجات بازلتية منحوتة ومصقولة، زخرفت بالضفائر. على جانبي الدرجة الأولى توجد بلاطتان فيهما تجويفان كانتا قاعدتين لعناصر زخرفية من الخشب أو الحجر. بعد الدرج توجد العتبة نقشت عليها القدم اليمنى، كما ذكر سابقاً، وعلى جانبي العتبة سبعان بازلتيان يليهما صف من خمسة سباع رابضة على كل جانب، ارتفاعها (2 م). قاعدة الجدران بازلتية نقش عليها موكباً

لأرباب الجبل يقدمون طقوس عبادة لرب أكبر مفقود ربما رسمه كان على لوحة بازلتية موجودة في الفراغ بين لوحة النافذة الوهمية وجدار المصلى. ويزيد طوله على المتر. وجدت عضادات من الخشب شاقولية لدعم الجدران. الأرضية حيث يقف المصلون، كانت مكسوة بالحجارة الكلسية، وفوقها طبقة من الطين.

كان في صدر المصلى منصة لوضع تماثيل الآلهة يصعد إليها بدرج على الجانبين. وفيها محراب مكسو بنعلة بازلتية عليها أشكال دينية. جدران المنصة مزينة من الداخل بألواح خشبية، فيها آثار تجاويف في أساسات الجدران، وكانت لتثبيت الأعمدة الخشبية التي كانت إطاراً لتلك الألواح.

كان سقفا المصلى والمنصة مختلفي الارتفاع مما سهّل دخول النور عبر نوافذ علوية موجودة بين سويتي السقفين. زخرفت قواعد المصلى والقاعة لوحات فيها عناصر هي (رب الجبل) والإنسان الذي نصفه الأعلى ثور (متحف حلب)، والإنسان المجنح وله رأس سبع يرتدي قميصاً قصيراً. أما (رب الجبل) فقد وضع تاجاً عالياً مزيناً بالقرون وارتدى مئزراً تزخرفه حراشف أو حلقات درعية. (رب الجبل) والإنسان الثور والإنسان الأسد والإنسان النسر كلهم واقفون يرفعون أيديهم نحو الأعلى دلالة على درجتهم الدينية الأدنى لأنهم على مستوى الجبل الذي تقف عليه (عشتار) سيدة الجبال، عادة ما تكون (عشتار) مع رمزها (الأسد) كلاهما في لوحة واحدة، إلا في لوحات معبد (عين دارا) كل واحد في لوحة.

قصر ابن وردان

يقع شمال شرق (حما). على بعد (63 كم) منها، وقرب (السلمية). أنشيء فوق أنقاض أبنية قديمة. ويعود إلى القرن السادس الميلادي (561 م و 564 م)، حسبما تؤرخ اثنتين من الكتابات فيه. تسميته أتت بعد بنائه بفترة طويلة، و (ابن وردان) هو شخصية بدوية من عرب (العنزة). اتخذ القصر نزلاً له، أثناء موسم الرعي. وبذلك سمي باسمه فيما بعد. وكانت المنطقة الشرقية خاضعة لنفوذ عشيرة (العنزة)، منذ أن هاجروا من السعودية في القرن (18 م).

القصر:

من عهد (جوستينيان). يقع شرق الكنيسة، مساحته حوالي ألفي متر مربع، بني من الآجر، وغطي من الداخل بالمرمر. وهو مربع الشكل، تتوسطه باحة سماوية، كل ضلع فيها (25.5 م)، تطل عليها غرف أجنحة القصر الأربعة. جعل البناء من طابقين على شكل صليب. وهو عبارة عن مستطيلين متعامدين متساويين طولاً وعرضاً. وله مدخلان.

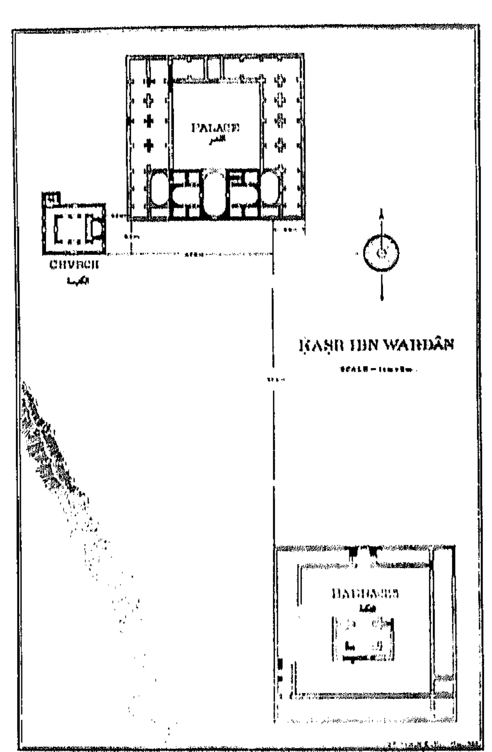
على ساكف مدخله الكبير كتابة يونانية تتألف من سطرين، في منتصف السطر الأول صليب ضمن مربع، وصليب آخر بالوسط ضمن دائرة، وأحرف الكتابة نافرة، وترجمتها العربية هي: «في شهر تشرين الثاني من الخمس عشرين الثالثة عشر (وهي وحدة زمنية مؤلفة من (15) سنة. كانت تستعمل لدى الرومان) من سنة (876) يونانية أي (564 م)، الكل لعظمة الله».

المداخل غنية بالزخارف الكتابية اليونانية والنباتية المؤلفة من أوراق الكرمة وعناقيدها، تنمو في إنائين جانبيين. كما توجد انحناءات، وأقراص، ذات طابع محلي، كما في منطقة (الأندرين).

في البناء، تتناوب صفوف القرميد مع ثلاثة صفوف من الحجارة البازلتية، وهذا الطراز يسمى (الإبلق). أرضية بعض الغرف من الفسيفساء الحجرية، والأخرى من البلاط البازلتي، وثالثة من الحجارة الجيرية ذات الهندسة الرائعة، وبعضها من الرخام والحجارة الملونة.

نوافذ القصر لها أطر من الحجارة الكلسية، تعلوها أقواس آجرية. ويوجد فوق كل مدخل ثلاثة نوافذ من الحجارة الكلسية المحاطة بالقرميد. مداخل ونوافذ الطابق العلوي من حجر جيري كبير الحجم.

زخرفت الواجهات والسقوف بالجص والفسيفساء الحجرية والزجاجية والفخارية والفريسكو. وقباب القصر عالية، مبنية بالآجر. تعتمد على قناطر، أما السقوف فهي مقببة.



قصر ابن وردان

وفي القصر أبراج مربعة، ومستطيلة، تزيينية، استخدمت لتصريف مياه الأمطار شتاء، وتنقية الهواء صيفاً، وهو تصميم محلي، كما في واجهة مسجد (قرطبة).

وفي القصر ثلاثة آبار مياهها عذبة.

الكنيسة:

تقع غرب القصر. وتعود إلى عهد (جوستينيان) (Justinian) (561 - 564 م) مهندسها هو (إيسودوروس).

والبناء مستطيل أطواله (15 X 18.5 م). ويصبح الشكل مربعاً، إذا ضم إليه برج الدرج البارز عنه عند الزاوية الشمالية الغربية. صحن الكنيسة مستطيل أطواله (6.65 X 10.5 م). في نهايته الشرقية حنية الهيكل الدائرية وتتوضع ضمن الجدار. حول الصحن رواق، فوقه قبة، مثمنة العنق، ارتفاعها (20 م). أقيمت على أقواس تحملها أعمدة وجدران الرواقين. السقف مزخرف بالرسوم الملونة، والأرضية موصوفة بالرخام. أما أعمدة رواق الصحن، فمستديرة، ولها تيجان رخامية مزخرفة.

في الجهة الغربية للصحن بهو (نارتيكس) تعلوه شرفة للنساء (تريفورم). تبرز فوق الصحن،ولها خمسة أقواس.

زخرفت الكنيسة بأشكال الطيور واليمام والحمام والحملان لصلتها الرمزية بالمسيح. ونقش الصليب بين الكتابات أو بمفرده، كما نقشت عروق نباتات متسلقة تبرز من الآنية.

مدخل الكنيسة في الجهة الجنوبية. على ساكفه كتابة يونانية تؤرخ البناء بعام (564 م). تتوسطها دائرة تضم صليباً له ثمانية أذرع.

وتوجد زخارف هندسية ونباتية وكتابات عربية متأخرة العهد إلى جانب حمل وإناء. تقول: «هذا هو الباب الذي صنعه الله وسيلج منه كل الصالحين».

واجهات الكنيسة من الداخل مغطاة بالفسيفساء الحجرية والزجاجية الملونة بالذهب.

الثكنة العسكرية:

تقع مقابل القصر والكنيسة في الجهة الجنوبية الشرقية، وأسلوب بنائها يشبه أسلوب الكنيسة والقصر. وتتألف من طابقين، فيها أقواس عريضة وعقود كثيرة. وباحة مكشوفة مربعة أطوالها تقريباً (38 X 36 م). مدخل الثكنة في الجهة الشمالية. عرضه (275 سم)، وارتفاعه (4 م). فوقه قوس بازلتي نافر. على الجانبين برجان، وعلى المدخل كتابة ترجمتها ما يلي: «شيد هذا الساكف الحالي في مكانه في سنة (873) يونانية في العشرين من شهر (Dies) من الخمس عشرية في شهر تشرين الثاني (561 م) ».

تاريخ إنشاء الثكنة سبق تاريخ إنشاء القصر والكنسية. لأن كل معسكر بيزنطي كان يزود بمكان للعبادة. لذا بنيت الكنيسة بعد الثكنة.

شمال القصر توجد مساحة كبيرة لصنع القرميد، وجدت فيها بقاياه. كما وجد بئر ماء خاص بها. جلبت الأحجار البازلتية من هضبة قلعة (الرحبة) جنوب غرب (ابن وردان) على بعد (20 كم) من القصر. وكانت تنحت قرب الثكنة العسكرية جنوب القصر. أما الحجارة البازلتية الصغيرة فكانت من هضبة (عيزة). شمال القصر على بعد (10 كم)، وكانت تنحت وتصقل شمال القصر. والحجارة الكلسية كانت من مقلع خاص يقع شرق القصر على بعد (600 م).

وقطعت الأخشاب من غابات جبل (بلعاس)، أما المواد الأخرى كالرخام وزجاج الفسيفساء فهي من خارج المنطقة.

آثار قرب ابن وردان:

على بعد (10 كم) توجد (عنتر) وفيها أبراج.

على بعد (15 كم) من (عنتر) توجد أنقاض (أندرين) (Androna). وفيها أسوار، وكنسيتين، وبناء مربع، وجدار طوله (80 م)، وكان فيها خزان ماء. وقد دمر البيزنطيون (أندرين) عام (600 م).

قصر الحير الغربي والشرقي

كان الخلفاء الأمويين الأوائل يحنون للبداوة، لذا كانوا يتركون العاصمة (دمشق) ويذهبون إلى البادية للصيد ولإتقان اللغة العربية، وللبعد عن الحياة المدنية السهلة. و (هشام بن عبد الملك) كان أكثرهم حباً للإعمار، ولإظهار إمكانية الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف وكان يعهد بالبناء إلى أهم مهندسي ذلك العصر وهم (حسان بن ماهويه) و (سليمان بن عبيد) و (ثابت بن أبي ثابت).

تأثرت العمارة العربية من أنماط الهندسة المعمارية المحيطة بها لدى البيزنطيين والرومان والفرس. ويعتبر قصرا (الحير الغربي والشرقي) نتاجاً مهماً في تاريخ العمارة المدنية. حيث مزج بين الحجر والآجر في بناء الجدران.

وصمم القصر على شكل مربع أو شبه مربع، له سور، فيه أبراج نصف دائرية للتدعيم والتحميل وليس للغايات العسكرية. وله باحة مركزية ومدخل واحد. حول الباحة بيوت متناظرة تقريباً وفيها زخارف منوعة.

ونظمت السقاية في القصر وجددت آبار الدير البيزنطي. وأحيط القصرين بالأراضي الزراعية، هندسة البناء في البادية كانت تقتصر على سرادق. ثم صارت تضم إليه فيما بعد الحمام والمسجد والقصر. وقد أوضح (هرزفيلد) أن بناء الحمام والمسجد سبق بناء القصر. وجمعت المرحلتان في بناء قصري الحير مرة واحدة.

قصر الحير الشرقي

يبعد (105 م)، شمال شرق (تدمر). إلى الغرب من قرية (الطيبة). بناه (هشام بن عبد الملك) عام (728 م = 110 هـ). وأشرف على البناء (سليمان بن عبيد) الحمصي. وهو مزيج من الهندسة المعمارية البيزنطية، والفارسية والرافدية والمحلية. ويبدو أن القسم الآجري فيه شيده العباسيون وكانوا يبنون به قصورهم. إلا أن القصر هجر فيما بعد وترك لعبث البدو فيه. ثم سكنه أقوام في القرن (11 م) حتى القرن (13 م) حيث هجر نهائياً أثناء غزو (المغول).

يتألف البناء من قصرين مربعين، وحمام، وبستان، وقناة جر ماؤها من سد (الكوم) على بعد (30 كم) الشمال الغربي.

القصران من الحجر الكلسي. يبعد الواحد عن الآخر (40 م). بينهما مئذنة، ولكل منهما مدخل على جانبيه برجان مستديران. أحيط القصران بحديقة واسعة أبعادها (3 X 6 كم)، لها سور أطواله (2 X 3 كم)، ويبعد مسافة (5 كم) عن القصرين. ويحيط بالقصرين على مسافة (200 م) سور آخر.

القصر الصغير:

فيه كتابة، تؤرخ اسم بانيه، وعام بنائه، أبعاده (70 X 70 م)، له سور ارتفاعه (12 م)، وسماكته (2 م)، من الآجر والجبس والحجر. في سوره (12) برجاً نصف دائري. أما أبراج الزوايا فدائرية وفي أعلاها ممرات وغرف للحراسة. مبنية بالحجر الكلسي بالتناوب مع مداميك من الآجر. ومزينة بزخارف جصية.

له مدخل في جهة الغرب على كل جانب برج من الأبراج الاثني عشر. وهي مزينة بالزخارف الجصية. وله ساحة غير متساوية أقصى أبعادها (28 X 36

م). فيها بركة لحفظ الماء. وحولها رواق ذو أعمدة تفتح عليه أبواب (12) من غرف القصر. مسقوفة بالآجر. يعلوها طابق آخر ربما كانت سقوفه من الخشب. وهناك بقايا درج في الزاوية الشمالية من الرواق الغربي يؤدي إلى الطابق الثاني.

كانت الغاية في البداية من بناء هذا القصر كي يكون خاناً للقوافل ثم صار للغايات العسكرية بسبب تحصيناته ومدخله الوحيد.

القصر الكبير:

أبعاده (170 X 170 م) بني بالحجر الكلسي الطري وأيضاً بالقاسي المنحوت. له سور، ارتفاعه (3 م). وسماكته (2 م) وهو من الآجر والجبس والحجر. كان فيه (28) من الأبراج النصف دائرية. بينما أبراج الزوايا دائرية تماماً. في أعلاها غرف للحراسة. على اثنين من الأبراج كتابة فيها يرد اسم (هشام بن عبد الملك).

وللقصر أربع مداخل، واحد في كل ضلع. تتصل هذه المداخل بشوارع متعامدة، تقود إلى باحة مركزية في وسط القصر. المدخل الشرقي يقابل المئذنة التي بين القصرين كما يقابل مدخل القصر الصغير. وله برجان مستديران على الطرفين يحيط بالباحة رواق فيه أعمدة. في منتصف الباحة صهريج ماء واسع، سعته ثلاثة آلاف متر مكعبة، بني بالقرميد وهو مسقوف. في الزاوية الجنوبية الشرقية من القصر توجد آثار جامع (هشام). وهو صورة مصغرة عن الجامع الأموي في دمشق.

وتوجد أيضاً دار الإمارة ومعصرة للزيتون وستة من البيوت المتشابهة للسكن وثلاثة للخدمات، وحول القصر حديقة واسعة، لها سور، أطواله (3 X 2 كم).

كما اكتشفت حمامات بين أسوار القرين والأسوار الخارجية في الجهة الشمالية. أما المئذنة التي بين القصرين فهي ثالث أقدم مئذنة في الإسلام، ورغم عدم وجود جامع متصل بها إلا أنها قد تكون لها صلة بجامع القصر الكبير.

ويبدو أن هذين القصرين كانا مصيفاً ومركزاً تجارياً للحبوب والمحاصيل. وقد نقبت فيها بعثة أميركية برئاسة (غرابر) (Graber .O) بين عامي (1964 و 1972). واتضح أن القصر كان على الطريق الروماني الرئيسي (Strada Diocletana) الذي امتد بين (تدمر) و (وسورا) على الفرات. وبقي هذا الطريق بين (حلب) و (البصرة) قيد الاستعمال حتى افتتاح (قناة السويس).

وكان في موقع القصر حصن تدمري من القرن الثاني الميلادي، كما تدل بعض التيجان والزخارف والكتابة التدمرية واليونانية التي وجدت فيه وقد يكون اسم هذا الموقع هو (أدادا) (Adada).

الحمام:

يقع شمال القصرين. أبعاده (30 X 50 م). يتألف من ثلاثة أقسام: البارد والدافيء والحار وهو فوق بيت النار، الذي أساساته من حجر، وأجزاؤه العلوية من القرميد المغطى بالجص. كان الرخام يغطي أرضية الحمام. وقسماً من جدرانه.

البستان:

يقع شمالي القصرين، يبلغ محيطه (16 كم)، طوله (6 كم)، وعرضه (3 كم). له سور من الحجر المنحوت المدعم بأبراج نصف دائرية. وله باب غربي وآخر شرقي. لا تزال أساساته وأقسام من زاويته الجنوبية الشرقية باقية.

القناة:

تمتد (30 كم) من قرية (الكوم) على امتداد وادي (السوق)، بنيت من الحجر المنحوت. كانت تأتي بالمياه إلى قصر (الحير الشرقي). فتسقي البستان والسكان. كما كانت تدير طاحونة عند دخولها إلى البستان من الزاوية الشمالية.

قصر الحير الغربي

يبعد (130 كم) عن مدينة (حمص). و(70 كم) جنوب غرب (تدمر).

أقام التدمريون أول سكن في ذلك الموقع في القرن الأول الميلادي. ولكنهم هجروه بعد ثورتهم ضد الرومان عام (273 م).

وفي عهد (جوستينيان) البيزنطي سكنت القبائل الغسانية الموالية له تلك المنطقة عام (559). وابتنوا ديراً فيه.

وفي العهد الأموي بنى الخليفة (هشام بن عبد الملك) الذي دام حكمه بين (724 و 743) قصراً في ذلك الموقع. وكان عند التقاء طريقين هامين، الأول: طريق (تدمر)، والثاني طريق (حمص ـ الجوف) وهو أقدم من الأول. وأشرف عليه المهندس (ثابت بن أبي ثابت) عام (109 هـ = 727 م).

استعمل الأيوبيون ومن بعدهم المماليك ذلك المكان لأسباب دفاعية. ولكنه هجر بعد غزو المغول في القرن (13 م). وتضم أطلاله: القصر، الخان، الحمام، البستان وسد (حربقة) الذي يبعد (17 كم) جنوب القصر.

بني القصر على شكل حصن لوجوده في البادية حيث الحروب والوحوش. وكانت الغاية منه الصيد، والاصطياف، وتحضير البدو للاستفادة منهم، وإمدادهم بما يحتاجونه. تأثر طراز البناء بالهندسة اليونانية والرومانية والبيزنطية والفارسية. زخارفه هندسية، ونباتية، وإنسانية، وحيوانية. علماً بأن الدين الإسلامي نهى عن التماثيل التي لها ظل لأبعاد الناس عن عبادة الأصنام. مما جعل الزينة تقتصر على ما سبق من زخارف دون التماثيل.

القصر مربع الشكل تقريباً. أبعاده (70 X 70 م). أقسامه تتوزع حول

الباحة الداخلية. في القسم الأسفل من البناء وعلى ارتفاع مترين بني بالحجر الكلسي المنحوت. والأعلى بالطوب الذي تتخلله صفوف من الآجر المشوي والعوارض الخشبية. في كل زاوية منه عدا الشمالية الغربية برج نصف دائري مُليء بالأتربة. وكان للزينة وليس لغاية عسكرية. أما برج الزاوية الشمالية الغربية فإنه يرتفع ثلاث طوابق، بينما البقية فمن طابقين.

للقصر مدخل في منتصف ضلعه الشرقي، وعلى كل جانب منه برج، الواجهة مزينة بمعينات تحصر أشكالاً بشرية ونباتية. وبعضها تعود للخلفاء أنفسهم. كما توجد زخارف هندسية ونباتية. بنيت هذه الواجهة عام (727)، ونقلت إلى متحف دمشق الوطني عام (1936). ورممت عام (1950) وثانية بألوان ترابية في عام (1998).

للقصر مدخل في منتصف ضلعه الشرقي. أمامه فسحة مبلطة بالحجر. سويتها مرتفعة كي تمنع المياه من دخول القصر. وهناك دهليز واسع محمول على قنطرتين مستندتين من كل جهة على دعامتين. وعلى طرفي الدهليز مصاطب لجلوس الخدم. وله باحة تنخفض عن سوية الغرف، محاطة بالأروقة المعمّدة. لم يبق من الأعمدة إلا قواعدها القديمة التي تعود إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي. في وسط الباحة حوض أتت مياهه من (سد حربقة). كما يوجد آبار متفرقة في أنحاء القصر.

القصر من طابقين، في كل واحد ستة بيوت، اثنان في كل من الجهتين الشرقية والغربية. وواحد في كل من الجهتين الجنوبية والشمالية. في كل بيت (8 - 13) غرفة. والقصر من طابقين، في كل واحد ستة بيوت متناظرة، يوجد اثنان في كل من الجهتين الشرقية والغربية وواحد في كل من الجهتين الجنوبية والشمالية. وفي كل بيت يوجد (8 - 13) غرفة. تتصل بكل قاعة أربع حجرات صغيرة متقابلة اثنتان من كل طرف. ودورات المياه توجد في إحدى حجرات

البيوت الأخيرة. أبواب الغرف فوقها أقواس مزخرفة بالمرخمات (كلوستر) للتهوية. وللقوس وظيفتان جمالية وتدعيمية. ويرتكز على أربعة أعمدة رخامية لم يبقَ منها إلا تيجانها وقواعدها. ويعلو الباب ساكف مستقيم أي بلاطة كبيرة ركبت عليه قنطرة مزخرفة. جدران البناء مدهونة كالرخام. وخالية من النوافذ الخارجية لضرورة الأمن وتجنباً للعوامل الجوية القاسية. وللإضاءة كان للبيوت كوات صغيرة مستطيلة وعالية.

استمد القصر مياهه من أنبوب فخاري متصل بقناة مربعة الشكل، كانت تمر تحت جدار القصر. قام بالتنقيب في هذا القصر الأستاذ الفرنسي (دانييل شلومبرجيه) (Schlumberger) في عام (1936) حتى (1938). واكتشف في الزاوية الشمالية الغربية بقايا دير من القرن السادس الميلادي. وعلى بعد (20 كم) من القصر يوجد برج وسد بيزنطيان استفاد العرب من مائه للري.

الحمام:

يقع شمال القصر من الخارج. وهو شبه مستطيل أحجاره من الجص. ويتألف من حار وبارد. البارد فيه أربعة حجرات والحار فيه ثلاثة، إضافة إلى حجرتين لتسخين الماء وحجرة للوقود. ويتغذى بمياه قناة متفرعة عن القناة الرئيسية الممتدة إلى سد (حربقة).

الخان:

يبعد (10 كم) عن القصر. إلى جانبه توجد بركة ماء تتزود بواسطة قناة من مياه سد (حربقة). لم يبق من الخان سوى بوابته المنحوتة. (أعيد بناؤها في حديقة متحف دمشق) وعلى كل جانب برج نصف دائري. عليها كتابة عربية كوفية. تؤرخ اسم بانيها (هشام بن عبد الملك) بعام (109 هـ = 272 م). والمهندس هو (ثابت بن أبي ثابت). في وسط الخان باحة سماوية مربعة تقريباً. محاطة بأروقة محمولة على أعمدة خشبية قواعدها حجرية. وفيه أربعة أجنحة،

يتألف كل جناح من قاعة طويلة جداً لها بابان باستثناء الجناح الشرقي وفيه ستة من الغرف الصغيرة.

البستان:

طوله (1050 م) وعرضه (442 م). وكان محاطاً بسور أساساته من الحجر الجصي المنحوت. وأجزاؤه العلوية من الآجر المشوي. تدعمه أبراج. وفيه مدخلان رئيسيان: واحد في الزاوية الشمالية وعلى جانبيه برجان صغيران. والثاني في الجهة الشمالية الشرقية.

تأتيه المياه بواسطة قناة ممتدة من سد (حربقة). تتوزع إلى أربع قنوات صغيرة على شكل رقع الشطرنج ضمن البستان.

سد حربقة (وتعني الأرض الصلبة):

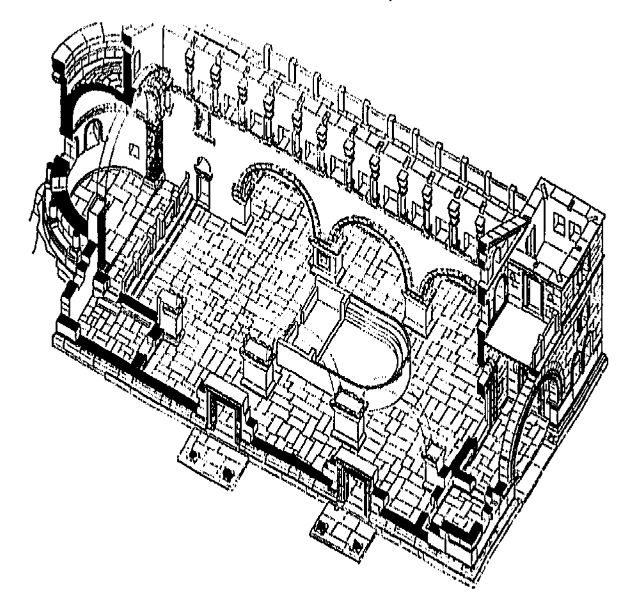
هو سد تخزيني لمياه الأمطار والسيول. بني خلال القرون (1 و 2 و 3 م) في عهد الرومان. يبعد (16.5 كم) جنوب غرب القصر. أبعاده (800 X 1500 م). وارتفاعه (4 م). ويستوعب (8) ملايين متر مكعب. رمم خلال القرن (6 م). ورمم ثانية في القرن (8 م). في العهد الأموي.

للسد فتحات ثلاث تخرج منها أقنية إحداها حجرية والبقية فخارية تصب جميعها في بحيرة أمامه. امتلأت الآن بالأتربة وصارت أرضاً زراعية. طولها حوالي (1550 م) وعرضها حوالي (800 م). تخرج منها قناة رئيسية كانت تحت الأرض تتفرع عنها قناة صغيرة تسير إلى الحمام والقصر. والقناة الرئيسية تنتهي في بركة مربعة ضلعها (60 م) وعمقها (3.65 م). يخرج منها أنبوبان يصبان في خزان كبير. أما القناة الرئيسية فتتابع تحت الأرض متجهة نحو البستان. ويخرج منها فرع صغير يمر على الطاحونة ليديرها.

قلب اللوزة

قرية تقع على قمة جبل (الأعلى) وبنيت من حجارته. سكانها من الدرورز. تبعد (25 كم) عن (حارم) و (45 كم) عن (إدلب). وارتفاعها (150 م) عن سطح البحر.

فيها كنيسة قديمة تم بناؤها بين (469 و 480 م). وتعتبر واحدة من أهم الأبنية في (سورية). لأنها نموذج لنمط بناء الكنائس السورية التي أصبحت أروقتها عريضة والتي تركت النموذج البيزنطي فخرجت الحنية عن مستطيل الكنيسة. أطوالها (15 X 25 م).



كنيسة قلب اللوزة

والكنيسة إيوانية فيها ثلاثة أروقة، تفصلها أعمدة مزخرفة بالنباتات البارزة. تقع بوابة المدخل في الغرب بين برجين. كل واحد مؤلف من ثلاث طوابق فيها نوافذ. بين البرجين قوس ضخم فوقه تراس يوصل ما بينهما. عرض كل من الواجهتين الشمالية والجنوبية (25 م). في الجهة الشمالية بابان وفي الجنوبية ثلاثة، جميعها مزخرفة.

بعض بلاطات سقف الرواقين الجانبيين لا تزال في أماكنها. وهي طويلة توضعت فوق مساند خشبية، وتغطت بالقرميد. بينما غطي سقف الرواق الأوسط بالخشب والقرميد.

ترتكز ثلاثة أقواس فوق دعامتين من كل جانب لتفصل بين أروقة الكنيسة الثلاثة. وفوق هذه الأقواس أعمدة صغيرة موجودة بين النوافذ التي تنير الكنيسة. والقوس والدعامتان مزينة كلها بالميداليات والشعارات الدينية.

في الجهة الشرقية حنية تخرج عن مستطيل الكنيسة، يحيط بها صفان من الأعمدة التزيينية وتغطيها نصف قبة. وهذا نموذج آخر لتطور العمارة في الكنائس. وترتفع الحنية فوق مصطبة ولها خمس درجات. على جانبيها غرفتان (Prothesis) وهي على يمين المذبح. والغرفة الثانية (Diacomicon) على يسار المذبح. وكلتاهما للاستعمالات الدينية. كما يوجد في الكنيسة (بيما) وهي مصطبة على شكل نعل حصان مرفوعة يجلس عليها كبير الكهنة وحوله رجال الدين. والمصلون يقفون خارجها. وتوجد بالكنائس البيزنطية.

كنائس جبل باريشا:

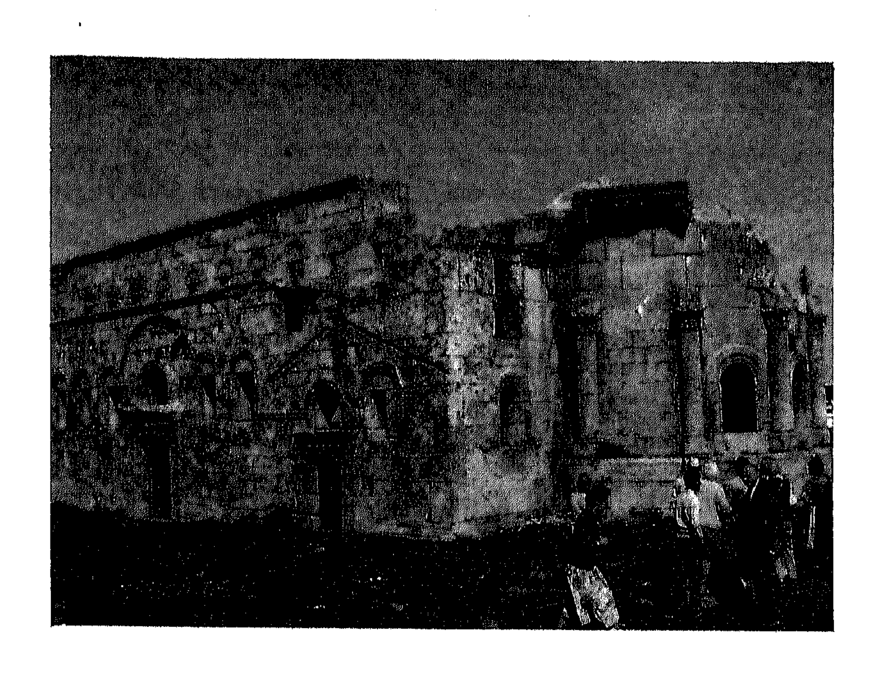
تميزت كنائس جبل (باريشا) بالخصائص التالية:

في الهيكل ثلاثة أقسام: المذبح ـ غرفة الشهداء ـ غرفة الكاهن. المذبح للتعميد، والشهداء للملابس والثالثة للكاهن.

ساد هذا التصميم في القرن (4 م) في شمال (سورية). وتبنى بالحجارة البيضاء. وفيها الحنية حيث المذبح. وشكلها نصف دائري. وللحصول على

القيمة الجمالية إضافة للدينية مع الاحتفاظ بالمذبح فقد وجدوا حلاً وهو الشكل البسيط للقواطع وإحداث قواطع مستقيمة. وبالرغم من أن لهذا التصميم ميزات عملية إلا أنه لم ينتشر عالمياً.

أشهر هذه الكنائس هي: كنيسة (قلب اللوزة).



كنيسة قلب اللوزة

قلعة جعبر

كنبات فطر كبير، تبدو قلعة (جعبر)، محاطة بمياه بحيرة (الأسد) الزرقاء. وتقع شمال سورية. ومنها يمتد لسان بري فيه طريق معبد، يصل القلعة بمدينة (الثورة) التي تبعد عنها (15 كم). منهم (12) منذ انعطاف الطريق العام. وكانت ساسقاً تبعد (40 كم) عن نهر (الفرات). إلا أن بحيرة (الأسد) التي شكلها سد (الفرات)، قصرت المسافة إلى (10 كم) قط. وتعلو (347 م) عن سطح البحر. كما أحاطت القلعة بمائها وجعلتها شبه جزيرة عائمة. تتربع هذه القلعة فوق هضبة كلسية إهليلجية الشكل. تآكلت قاعدتها بسبب الرياح والأمطار. أقصى أبعادها (170 X 320 م).

يرجع تاريخ بنائها إلى ما قبل الإسلام. وسميت (بالدوسرية) نسبة إلى (دوسر) غلام (النعمان بن المنذر) ملك (الحيرة). بناها حينما تركه (النعمان) على أفواه (الشام). كما ذكر (ياقوت الحموي) و (ابن خلكان) في (وفيات الأعيان). ولكنها تعود إلى ما قبل (النعمان بن المنذر) بقرون. لم تذكر في العهد الإسلامي الأموي والعباسي باسم (دوسر) ولا باسم (جعبر) بل جاء ذكرها في عهد (المرداسيين) أمراء (حلب). في أوائل القرن الخامس الهجري. ثم صارت (للنميريين) حكام (الرقة). وكان (شبيب بن وثاب النميري) يسيطر عليها. وهو حليف (المرداسيين) لأن أخته (علوية) تزوجت من (نصر بن صالح بن مرداس)، وحكم بين (420 و 429 هـ). اشترك (شبيب) و (نصر) في قتال أمير الجيوش المصرية (أنوشتكين) غرب (السلمية) وهُزما. وقُتل (نصر) وأُخذ رأسه إلى (أنوشتكين) عام (429 هـ). وكان (ثمال) أخو (نصر) معهما. إلا أنه هرب مع (شبيب) إلى (حلب). ولاحقهم (أنوشتكين) فهربا ومعهما (علوية)

زوجة (نصر) وأولادها إلى (الرقة). حينما مات (شبيب)، خاف (أنوشتكين) من (ثمال بن صالح المرداسي) الموجود في (الرقة). وحكمها بين (434 و 449 هـ). فاشترى قلعة (دوسر) أي (جعبر) لتكون بينهما، يستعملها للدفاع عن نفسه. ولكن (أنوشتكين) مات في (حلب) عام (433 هـ). فاستلم (ثمال بن صالح المرداسي) (حلب) بقرار من (المستنصر) الفاطمي (بالقاهرة). وأعطى (ثمال) (الرقة) إلى (منيع بن شبيب النميري).

استلم القلعة بعد ذلك (سالم بن مالك العقيلي). وكان (العقيليون) قد أسسوا دولة لهم في (الموصل). تبعت بنفوذها حكام (العراق) عام (386 - 489 هـ) وانتهى عهد (العقيليون) على يد (السلجوقيين).

أصبحت القلعة أيام السلاجقة، ولمدة قصيرة، تحت تصرف أمير (جعبر) واسمه (سابق الدين القشيري). وكان عجوزاً أعمى، له ولدان يقطعان الطرق على المسافرين، وينهبان أموالهم. مات عام (470 هـ)، وبقيت لأولاده، حتى استولى عليها السلطان السلجوقي (ملكشاه بن ألب أرسلان) من (أصفهان) عام (479 هـ = 1086 م). وكان في طريقه إلى (حلب) لاحتلالها. فحاصر القلعة وقتل (سابق) بإلقائه من أعلى القلعة. ويقال بأن زوجته رمت بنفسها بعده. وحينما وصل (حلب) استلم المدينة بكاملها عدا قلعتها. وكانت بيد (سالم بن مالك بن بدران العقيلي). ولكنه تنازل عنها فيما بعد لـ (ملكشاه) مقابل قلعة (جعبر) وأراضي (الرقة) وعدة ضياع.

في عام (597 هـ) احتل الصليبيون (الرها) أي (أورفه) مدينة (الرقة) وقلعة (جعبر) وكانت بيد (سالم بن مالك) الذي أغرى في عام (502 هـ) أمير السلاجقة (جادلي السقا) التركي بالمال، فأعاد له (الرقة) و (جعبر). وبعد موت (سالم) عام (519 هـ = 1125 م) صارت (جعبر) لابنه (مالك) وكانت في عهدي (سالم) وابنه (مالك) ملاذاً لكثير من أمراء ورؤساء ذلك العهد.

قال (أسامة بن المنقذ) في كتابه (الاعتبار) تحت عنوان (إفرنجية تؤثر أن تكون زوجة اسكاف): «إن الله ساق لهم سبياً، ورأى والده بينهن جارية مليحة

بين جواريه، فسيرها إلى الأمير (شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك) صاحب قلعة (جعبر)، وكان صديقه، فوافقته وأعجبته، واتخذها لنفسه، فولدت ولداً أسماه (بدران)، وجعله أبوه ولي عهده. وكبر، ومات والده، وتولى (بدران) البلد والرعية، وأمه الآمرة الناهية، فواعدت قوماً وتدلت من القلعة بحبل ومضى بها أولئك إلى (سروج) وهي إذ ذاك للإفرنج، فتزوجت بها إفرنجياً إسكافياً، وابنها صاحب قلعة (جعبر) ».

بعد (بدران) حكم القلعة (علي بن مالك بن سالم) في عام (541 هـ = 1146 م).

كان (عماد الدين الزنكي) عام (521 هـ) أتابك أي مربي لولدي السلطان (محمود بن ملكشاه) السلجوقي. فمنحه ولاية (بغداد) و (الموصل). وفي عام (539 هـ = 1144 م) استولى (عماد الدين زنكي) على منطقة (الفرات). وحاول فتح (جعبر) وكان أميرها (سيف الدولة أبو الحسن علي بن سالم العقيلي). وكاد (عماد الدين زنكي) أن يستولي عليها، إلا أن خادمه (برتقش) اغتاله، وهو في خيمته بتاريخ (15 أيلول 1146 م = 541 هـ). فدفن في (القرة) وقيل في (صفين) الموجودة في السهل المقابل لقلعة (جعبر) حينئذٍ. كان ابنه (نور الدين محمود) في الحملة معه. ففك الحصار وذهب ليستولي على (حلب) ويحكمها.

مرة كان (شهاب الدين بن مالك بن علي العقيلي) يتصيد، فقبض عليه بنو (كلاب)، وأخذوه إلى (نور الدين) الذي تفاوض معه على القلعة لأخذها منه وإعطائه (سروج) وأعمالها، وكذلك (ملاحة الجبول)، و (باب بزاعة) في شمال (حلب) وعشرين ألف دينار، لقاء ذلك. وحينما سُئل (شهاب الدين) أيهما أحب إليك، القلعة أم هذا العوض؟ فأجاب: «هذا أكثر مالاً، وأما العز ففقدناه بمفارقة القلعة».

انتهت الدولة الأتابكية عام (451 هـ - 577 هـ) على يد الأيوبيين. ودخلت (جعبر) في أملاكهم بعد أن استولى (صلاح الدين الأيوبي) على

منطقة (الفرات) واحتل مدنها وأخذها من الصليبيين. وبعد وفاته عام (589 هـ = 1193 م) قسمت مملكته بين أولاده وأخوته. وكانت (جعبر) وبلدان أخرى من نصيب أخيه (العادل). ومن بعده لابنه (الحافظ نور الدين أرسلان ملكشاه) وبقيت معه لمدة (42) عاماً، ثم تنازل عنها لأخته (ضيفة خاتون) صاحبة (حلب). فعوضته عنها بـ (إعزاز) وبلاد أخرى.

وفي عام (658 هـ = 1260 م) عبر (هولاكو) المغولي نهر (الفرات) قاصداً مدينة (حلب)، تاركاً وراءه الدماء والدمار في قلعة (جعبر). وبقيت مهملة حتى عهد (المماليك)، حيث أضيفت إلى (دمشق)، في عهد السلطان (ناصر محمد بن قلاوون) عام (735 هـ = 1334 م) على يد الأمير (سلف الدين أبو بكر الباشري) الذي بعث من قبل الأمير (تنكز) حاكم الشام. فأعاد أعمارها وكلفته أموالاً طائلة. وصارت النيابة الثانية من ثلاث تقع جميعها شرقي (الفرات). كما نظم البريد بينها وبين بقية (بلاد الشام). وحفر لها قناة من نهر (الفرات). وفتح طرقاً من (حمص) عبر (السلمية) ثم إلى (بغيدير) ثم إلى (أسريا)، (فالحص) (فجعبر). ومن حلب إلى (الجبول) ثم إلى (بالس) (فجعبر). وبعد ذلك صارت (جعبر) تابعة (لحلب). وبقيت بيد (المماليك) حتى انتهاء دولتهم عام (923 هـ = 1517 م) على يد السلطان العثماني (سليم).

أخذت أهمية (جعبر) تضمحل تدريجياً، فجاءت العشائر البدوية تسكنها وانتهى الأمن بها. ولكن فخذ (أبو رسلان) وهم من عشائر الجزيرة ومن سكان تلك المنطقة هاجموهم فهجروها وشكلوا في منبج عشيرة (الجعابرة).

قرب قلعة (جعبر) يوجد قبر (سليمان شاه) جد القبيلة العثمانية. وكان قد أتى عام (611 هـ) مع أولاده الثلاثة. فوصلوا نهر (الفرات) قرب القلعة. خاضوا الماء ليعبروا النهر إلا أن (سليمان شاه) غرق فدفنوه بالقرب من القلعة. تحرسه ثلة من الجنود. ويزوره الأتراك للبركة.

وعندما أنشى السد كان لا بد من إنقاذ آثار (الفرات) فقامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بحملة دولية لإنقاذ آثار (الفرات). وكانت (جعبر) من ضمنها. فرممت أسوارها وأبراجها. وأجريت فيها بعض الحفريات الأثرية. كما نقل قبر (سليمان شاه) قرب قلعة (نجم).

آثارها:

موقع القلعة استراتيجي، لأنها تشرف على ممر (الفرات) المائي فتحرسه وتسيطر عليه. يحيط بها خندق وسوران وعدد من الأبراج تزيد على الخمسة والثلاثين. يقود إلى مدخلها الرئيسي جسر، بني على قواعد حجرية ضخمة. لم يبقَ منه إلا قسمه الأسفل.

بعد البوابة الرئيسية، يظهر برج (علياء) المربع الذي يطل على وادي (الفرات) من الجهة الجنوبية الغربية. وبرج (علياء) أهم وأضخم أبراجها. يضم حالياً متحف القلعة.

بعد المدخل الحجري، يوجد ممر ملتوٍ منحوت في الصخر ومبطن بالآجر. يقود إلى الأعلى.

تظهر الأبراج الآجرية على السور. فهي إما دائرية ذات قواعد مضلعة، أو مضلعة ذات قواعد دائرية. وفيها فتحات لرمي السهام، كما زينت بالزخارف الهندسية البسيطة.

في أعلى القلعة يوجد المسجد الجامع. وهو بناء مستطيل من الآجر والحجارة الجيرية. طليت جدرانه بالجص. بناه (نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي). وهدمه (المغول) عام (658 هـ = 1260 م) له مئذنة من الآجر عالية، شكلها أسطواني تقوم على قاعدة مربعة. في أعلاها نص يذكر اسم بانيها (نور الدين زنكي).

لهذه المئذنة نظيران اثنان فقط هما: مئذنة جامع (الرقة) ومئذنة (أبي هريرة) التي نقلت إلى مدينة (الثورة). وكلتاهما من القرن السادس الهجري

والثاني عشر الميلادي. وكانت هذه المئذنة العالية منارة، استخدمت لإرسال الإشارات الضوئية عند الخطر.

في الجهة الشمالية من المسجد، تقع الخزانات التي كانت تغذي الجامع بالمياه. وهي محفورة في الصخر، جدرانها مبطنة باللبن والآجر. ومطلية بالجص منعاً لتسرب المياه. كانت مسقوفة، لها فتحتان لأخذ المياه منها. سطح هذه الخزانات كانت باحة، رصفت أرضيتها بالبلاط الحجري. وبنيت حولها غرف للسكن. في الغرفة الشرقية، يوجد مستودعان للماء صغيران على شكل دائرة. طليت جدرانهما من الداخل بالجص. وأسفل كل منهما توجد قناة صغيرة تتجه نحو الخزانات غرباً.

في الجهة الجنوبية الغربية للقلعة، توجد مساكن الأمير وحاشيته. بقي منها إيوان ضخم بني بالآجر. كما يوجد مبنى واسع، فيه عدة غرف وممرات مبنية بالآجر، متصلة بعضها ببعض. أرضياتها مرصوفة بالآجر والحجارة على شكل زخارف هندسية بسيطة. وزعت فيها أقنية المياه والمجاري بشكل متقن.

في السفح الغربي من القلعة، يوجد مدفن واسع. طوله سبعة عشر متراً وعرضه تسعة أمتار. تحيط به تسعة إيوانات محفورة في الصخر. رسم الصليب على واجهاتها.

وفي الجهة الغربية بئر منحوتة في الصخر. وجدت مليئة بكسر من الخزف الإسلامي رمم منها حوالي ثلاثين آنية مختلفة الأشكال. تعود واحدة منها إلى القرن (7 هـ = 13 م). وهي ذات بريق معدني، تزخرفها نقوش نباتية، وتبدو الشمس فيها على شكل وجه إنسان، وتشبه الرسوم التي على نقود السلطان السلجوقي (كيخسروا الثاني) ابن (كيقباذ الأول) (1236 - 1246 م) وهي الآن في متحف (حلب).

المتحف:

في السابع عشر من نيسان عام (1983) افتتح رسمياً متحف (جعبر).

وهو مؤلف من قسمين رئيسيين: الأول برج (علياء) وعرضت فيه اللقى المكتشفة في القلعة ذاتها. أما القسم الثاني فيقع في أحد الأقبية، عند مدخلها. وفيه آثار من منطقة (الغمر) بحوض (الفرات) تعود لعصور سبقت العهد الإسلامي.

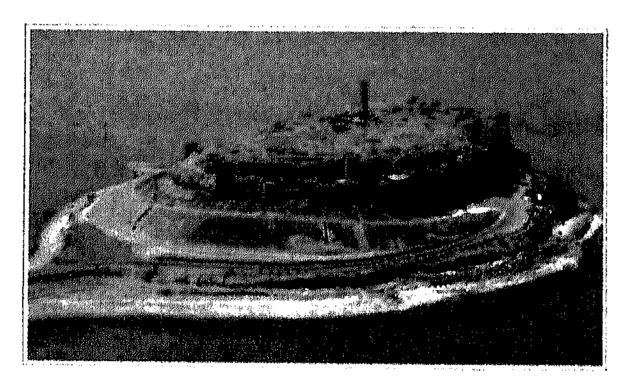
وفي نهاية القاعة يوجد المدفن الروماني الذي اكتشف عام (1971) في (تل عناب السفينة)، الذي يقع على الضفة اليسرى لنهر (الفرات). ويبعد (50 كم) شمال غرب قلعة (جعبر).

المدفن الروماني:

مبني بالحجارة الكلسية. ويتكون من غرفتين رئيسيتين، فيهما خمس واجهات للدفن.

في الغرفة الأولى اثنتان في كل منهما قبران. أحدهما فوق الآخر. زال القبر العلوي ولم يبق إلا السفلي. في كل واجهة وعلى جانبي القبرين يوجد تمثال (سفينكس) على شكل امرأة مجنحة، لها جسم لبوة، ترتكز على القائمتين الأماميتين. والـ (سفنكس) رمز الموت الشرس. يحرس القبر ويبعد عنه الشر.

وفي الغرفة الثانية ثلاث واجهات ولكن بدلاً من الـ (سفنكس) يوجد تمثالان لـ (بسيشة) آلهة الحزن اليونانية الرومانية وهي رمز النفس الحزينة تتطهر بالألم. وتظهر على شكل امرأة مجنحة حزينة الملامح، ترتكز على مذبح صغير.



قلعة جعبر

قلعة الحصن

هي قلعة عربية ـ صليبية من العصور الوسطى أي القرنين الثاني والثالث عشر. طراز الهندسة (هوسبيتاليرز) وهي التي طورت النماذج البيزنطية التي كانت هندسة القلاع متأثرة بها في ذلك الحين. تبعد (223 كم) عن (دمشق) و (65 كم) عن (حمص) و (75 م) عن (طرطوس). وترتفع (750 م) عن سطح البحر. كانت واحدة من سلسلة القلاع المبنية على الساحل السوري. شيدت على هضبة صخرية بركانية في جبل (كلخ). واستعملت الأحجار الكلسية الضخمة المنحوتة في بنائها.

انتهى بناء القلعة الداخلية عام (1170). أقطارها حوالي (130 X 200 م) أي حوالي (3 هكتار). موقعها استراتيجي يشرف على الممر بين (البقاع) والبحر (الأبيض المتوسط) غرباً وسهول (حمص) شرقاً. كما تقع سلسلة جبال (لبنان) جنوبها. وأعلى قممها (القرنة السوداء) (3088 م). ويمر النهر (الكبير الجنوبي) بين جبال تلك المنطقة قرب (حمص) ويشكل حدوداً طبيعية بين (سورية) و (لبنان).

كانت قلعة (الحصن) تتواصل بالإشارات الضوئية مع قلعة (عكار) في (لبنان) وقلعة (صافيتا) أي (القلعة البيضاء) وقلعة (المرقب) على الساحل السوري. اعتمدت قلعة (الحصن) على مياه الأمطار التي نقلت عبر أقنية موزعة بانتظام إلى خزانات باطنية لتجمع فيها. كما كان الماء يأتيها من هضبة مجاورة بواسطة قناة محمولة على قناطر. وفي القلعة (21) مستودع ماء. أعمقها حوالي (8 م). وكان لها سبعة جسور معلقة، في جدارها الخارجي وثلاثة جسور معلقة في جدارها الداخلي.

في قرية (الحصن) مئذنة من القرن (14 م).

تاريخها:

كان اسمها حصن (السفح) ثم حصن (الأكراد) ثم أصبح قلعة (الفرسان) وأخيراً قلعة (الحصن) على اسم القرية المجاورة لها. لم يعرف اسم أول من بنى قلعة في مكانها. ولكن من المؤكد أن تاريخ ذلك يعود إلى عدة قرون قبل الميلاد. أعاد بناءها أمير (حمص) (شِبل الدولة نصر بن مرداس) عام (1031 م = 433 هـ). ووضع بها حامية من الأكراد. احتلها الصليبيون بقيادة (ريموند سانت جيلز) (كونت تولوز) عام (1099 = 493 هـ) ثم استعادها أمير (حمص) ودافع عنها. ولكن حاكم (أنطاكية) (تانكريد) (Tancred) احتلها نهائياً عام (1109 م = 503 هـ) ثم أعطاها إلى (كونت طرابلس) (ريموند الثاني) (Raymond II). الذي منحها بدوره عام (1142) لفرسان المستشفى (هوسبيتاليرز) (Hospitaliers) وهي فرقة عسكرية دينية صليبية.

كلمة (Crac) أو (Krac) حرفت من كلمة (أكراد) (Akrad)، أو ربما أخذت عن اسم المدينة الأردنية (كَرَكْ) التي بنيت على (البحر الميت). وسميت (Le Crac de Montreal).

تعود أهمية القلعة إلى:

1 ـ موقعها قرب قلعة (صافيتا) وقلعة (عكار) شمال (لبنان) للهيمنة على تلك المنطقة الساحلية وعلى طريق الحج من (أوروبا) إلى (القدس).

2 ـ السيطرة على الطريق الحيوي بين الساحل والداخل. والإشراف عليه عند المنخفض بين الجبال التي تقع (حمص) قبالته. ولحماية وادي (البقاع) الخصب.

3 ـ حماية طريق (حمص) الذي يجتازه المسلمون لمقاتلة الصليبيين.

4 ـ قاعدة صليبية أمنية كانت تدّعي حماية السكان المسيحيين المحيطين بها.

بقيت القلعة بيد الصليبيين حتى حاصرها (الظاهر بيبرس) عام (1271) لمدة شهر وأخذها منهم.

بنى الصليبيون القلعة على مراحل. وكانوا يرممون ما تهدم منها بسبب الحروب أو الزلازل. إذ أصيبت القلعة بزلازل هدامة في أعوام (1157) و (1169) و (1200).

وكانت تأوي حامية صليبية مؤلفة من ألفي مقاتل مع خيولهم ومؤنهم وعتادهم. وكانت حصينة جداً. حتى أن العرب حاولوا مرارا أخذها ففشلوا كما حاول ذلك (نور الدين زنكي) بين عامي (1163 و 1167) وكان ملك (حلب) وكان موال (للفاطميين). ثم أتاها (صلاح الدين) عام (1188) بعد انتصاره في (حطين) فحاصرها ليوم واحد ثم تابع السير إلى مواقع أخرى. ثم (الظاهر بيبرس) عام (1267) و (1269) عندما قصفها بالمنجنيق في (21 شباط 1271). وأمر بحفر فتحة في البرج الجنوبي الغربي مكان برج (الظاهر بيبرس) حالياً. واستطاع أخذ القلعة من الصليبيين في السابع من نيسان.

كان للقلعة شأن على مدى العصور ولكنها أهملت في العهد العثماني، فسكنها القرويون وتم إخلاؤها عام (1934) لتصبح مقراً للفرنسيين في عهد الانتداب، بين (1939) و (1946) بعد ترميم ما تخرب منها. وبعد الاستقلال عام (1946) أصبحت موقعاً سياحياً هاماً.

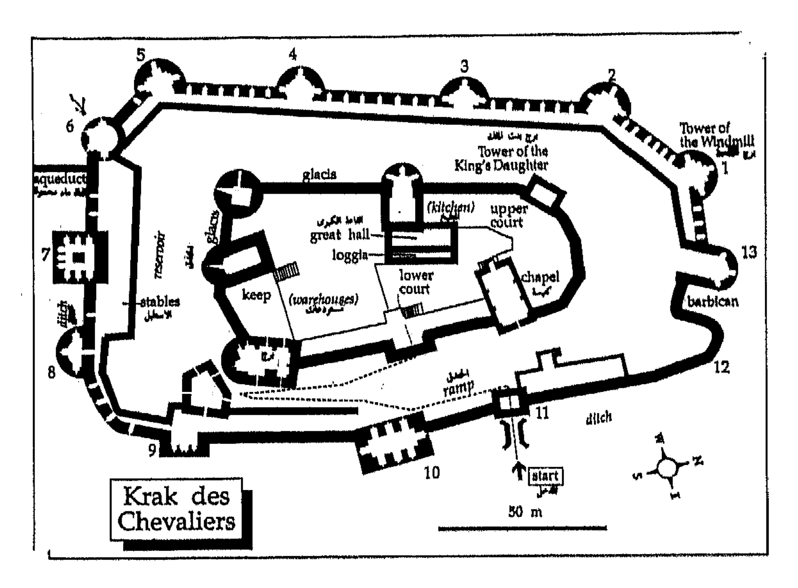
وصف القلعة:

لم يبقَ أي أثر من (قلعة الأكراد)، ولا من (القلعة الصليبية) التي أنشئت قبل عام (1144). القلعة الحالية بناها (الهوسبيتاليرز) الصليبيون على ثلاثة مراحل: بين عامي (1144 و 1170) بنوا الأسوار الداخلية، والسور الشمالي، والكنيسة. وفي نهاية القرن (12) وبداية القرن (13) بنوا معظم الأسوار الخارجية. والسور الغربي والجنوبي في القلعة الداخلية.

وبعد عام (1250) بنوا الجهة الشرقية والممر المنحدر إلى داخل القلعة والبرج المزدوج في الجهة الشمالية، والمستودعات، والإسطبلات.

وأضاف المماليك ثلاثة أبراج في السور الخارجي وفي الجهة الجنوبية والأقسام الخارجية من البرجين الشماليين اللذين يشكلان البرج المزدوج.

وكذلك الأبراج المربعة الثلاثة في الجهة الشرقية التي تحيط بالمدخل مع ممره والإسطبلات.



قلعة الحصن

تتألف القلعة من حصن داخلي وآخر خارجي يفصل بينهما خندق ماء عريض، كما كان هناك خندق آخر يحيط بالقلعة من الخارج.

يوجد في الحصن الخارجي (13) برجاً يقع معظمها في الجهة الجنوبية، لأنها غير محصنة طبيعياً مثل الجهات الأخرى التي تحيط بها وديان عميقة.

وكان للقلعة من الخارج جسر خشبي متحرك يقود إلى مدخلها، استعيض عنه حالياً بجسر حجري. يقع المدخل الرئيسي في الجهة الشرقية. فوقه توجد كتابة عربية متآكلة، على جانبيها أسدين، تؤرخ تجديد القلعة: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتجديد هذا الحصن المبارك في دولة مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين وذلك بتاريخ نهار الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة تسع وستين وستمائة». أي حوالي (1271 م). وباب القلعة حديدي

عربي. ويوجد باب آخر في الجهة الشمالية على جانبيه برجان حصينان. يتصل بنفق محفور في الصخر يؤدي إلى الخندق الداخلي.

الحصن الخارجي:

يتألف من عدة طبقات. وفيه (13) من الأبراج المربعة والمستطيلة والمستديرة. يحيط به من الخارج خندق ويفصله عن الحصن الداخلي خندق آخر.

الحصن الداخلي:

يوجد دهليز طويل يوصل بين البوابة الرئيسية في الحصن الخارجي والبوابة الرئيسية في الحصن الداخلي. ولهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق الداخلي.

أبراج الحصن الداخلي عالية وذات طوابق متعددة. وأسواره سميكة مدعومة بجدران خارجية مائلة لتقاوم الزلازل وقصف المنجنيقات. وفيه عدة أبواب لها جسور معلقة وأبواب سرية تتصل بسراديب ضيقة تؤدي إلى الخارج.

يتألف هذا الحصن من طابقين:

الأرضي: ويضم باحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات والكنيسة والمطعم والفرن ومعاصر الزيتون.

العلوي: وفيه الأسطحة والمهاجع والثكنات والأبراج وأعالي الأسوار المزودة بالشرفات ومرامي السهام.

وصف جولة القلعة:

بعد المدخل توجد غرف للحراس ثم ممر طوله (130 م). وله درجات عريضة قليلة الارتفاع، مبلطة بحجارة طبيعية غير منحوتة تتمكن الخيول من صعودها دون تزحلق. في الممر فتحات للرمي والنور وأبراج وأبواب لعرقلة المهاجمين.

على اليسار برج مملوكي، مستطيل للحراسة فيه خمسة مرامي، على كل جانب غرفة للحرس. ثم إسطبل صغير. في نهاية الممر توجد فسحة مكشوفة هي عبارة عن فخ يحصر العدو بين باب الممر والبرج المملوكي الذي يليه، فيقصفهم المدافعون من الأبراج المطلة على الفسحة.

في هذه الفسحة ينعطف الممر يميناً نحو الأعلى. أما البرج الذي يلي الفسحة فمتين جداً لأنه يقع بين سوري الحصن الخارجي والداخلي. بابه مطل على الخندق. وسماكته (5 م). وله مصراعان. يليه باب سحاب ينزلق نحو الأسفل ضمن مجريين في الجدارين. وفوقه فتحات يمكن منها صب الزيت والسوائل المغلية على العدو. فوق الباب من الخارج يوجد نحت بارز لأسدين متقابلين صليبيين.

بعد البرج هذا يبدأ الخندق الداخلي وهو محفور في الجبل ومبطن بالحجارة المنحوتة. تصل إليه المياه بواسطة قناة محمولة على قناطر.

إلى اليسار يوجد الحمام العربي وهو أخفض من مستوى الخندق ليتزود منه بالماء. للحمام قبب صغيرة فيها قمريات زجاجية.

في الحصن الخارجي برج له مدخل واسع. في الداخل باب يعلوه قوس عربي، عتبته عالية فيبدو كنافذة تشرف على خارج القلعة وكان هذا الباب متصلاً بجسر نصف ثابت والآخر متحرك. يوصل إلى الخندق الخارجي ومنه إلى سرداب فباب سري يقود إلى الخارج.

بعده يأتي إسطبل كبير أطواله (10 X 60 م). سقفه معقود لا يستند على أية دعامة. وجدرانه قصيرة. سعته (150) حصاناً. حفرت مسكات في أحجار الجدران لربط الخيل بها.

في منتصف الإسطبل باب يقود إلى برج السلطان (قلاوون) نسبة إلى السلطان المملوكي (الناصر سيف الدين قلاوون) الذي شيده عام (1285 م = 684 هـ) وفيه باب سري يقود للخارج.

يوجد خارج الإسطبل برج مستدير بناه الملك (الظاهر بيبرس) على

أنقاض برج مربع. فيه دعامة مثمنة لها إطار عريض عليه كتابة ورد فيها ذكر الملك (الظاهر) وابنه (السعيد). وكان قد شاركه في حصار عام (1271 م = 660 هـ). على جانبي الكتابة أسدين، والأسد شعار الملك (الظاهر). تحمل هذه الدعامة السقف المعقود. وفي كل جدار ثلاثة مرامي. وبالسقف (3) كوات للإنارة.

خارج هذا البرج يوجد درج يؤدي إلى السطح. ويمكن رؤية القناة المحمولة منه. أبراج الجهة الغربية أربعة جميعها دائرية الشكل. تطل على وادي عمقه (300 م). في السور مماشي للحراس مسقوفة ومزودة بمرامي النبال. كما توجد شرفات دفاعية لصب السوائل المغلية والقذائف الحارقة. والأبراج الداخلية صليبية سقوفها معقودة لا تعتمد على أية دعامة. وفيها فتحات لرمي النبال، وشرفات دفاعية. مثل هذه المرامي والشرفات تتواجد على طول السور الغربي وتتناوب بشكل منتظم.

في واجهة الحصن الداخلي تحصينات ومرامي وشرفات وأبواب معلقة كانت لها سلالم متحركة. زينت الأبواب بإطارات من الزخارف الهندسية الجميلة. ويبدو برج (بنت الملك) من الخارج وفيه (12) شرفة لصب السوائل المغلية والمقذوفات الحارقة في مجرى بين جدارين. وفي البرج من الخارج ثلاثة أقواس. القسم الأسفل من البرج يعود إلى القرن (12). أما الأعلى والذي فيه فتحات لصب السوائل فهو عربي.

بعد البرج يبدو باب ثان من أبواب الحصن الداخلي الذي يفتح على الخندق الداخلي. ثم يبدو الباب الثالث الذي يقود إلى داخل الحصن الداخلي. كان هذا الباب مُعلقاً يُصعد إليه بسلم متحرك واستبدل فيما بعد بدرج حجري. وهو محصن بباب حديدي، ينزلق من الأعلى للأسفل، ويليه باب له مصراعان.

بعد الباب يبدو ممر معقود. على يساره برج مستطيل حصين. وانكسار الممر الفجائي يعيق حركة المهاجمين. وتوصل درجات قليلة إلى باب محصن

على جانبيه غرفتان صغيرتان للحراس. لكل منهما نافذة للمراقبة والرمي.

يلي الباب ردهة واسعة، ثم باحة سماوية فيها صهريج ماء. يطل على هذه الباحة ثلاثة أبنية هامة هي: القبو وقاعة الاجتماعات والكنيسة.

القبو:

جناح واسع جداً. فيه أروقة لها أقواس واسعة. سقفه معقود ومحمول على دعائم ضخمة. وله عدد من فتحات النور. في قسمه الغربي توجد بقايا موائد حجرية تدل على أنه كان مطعماً للجنود. يوصل هذا القبو إلى الفرن والمعصرة والمراحيض.

قاعة الاجتماعات:

تتألف من رواق أمامي له بابان وخمس نوافذ مزخرفة بالعمد والأقواس المنحوتة نحتاً نافراً بأسلوب قوطي. علىالنافذة الشمالية كتابة يونانية.

خلف الشرفة توجد قاعة الاجتماعات. أطوالها (7.5 X 27 م) لها باب كبير ونافذتان تطلان على الرواق. والسقوف معقودة وفيها عروق وأقواس نافرة وتيجان رائعة. زينت النوافذ والأبواب بزخرفة جميلة. تعطي فكرة شاملة عن فن العمارة القوطية التي انتشرت في أوروبا بالقرن الثامن عشر.

وقد اكتشف في هذه القاعة ثلاثة مدافن أثرية فيها هياكل عظمية وأسلحة وسيوف وتروس.

من باب داخلي في قاعة الاجتماع يمكن الوصول إلى جناح طوله (120 م). على يمينه توجد مراحيض قديمة وعلى اليسار يوجد فرن. ومنه يمكن الدخول إلى قبو آخر معقود بدون دعائم.

بينهما برج مربع مؤلف من (3) طوابق يفصل بين أجنحة الخدمات والمستودعات. ومنه إلى مستودع حيث توجد خوابي الزيت الكبيرة وفيها تحفظ مؤونة الحامية. فمستودع آخر توجد فيه آثار معصرة قديمة وخوابي زيت

وصهريج ماء. في هذا المستودع يوجد منفذ يؤدي إلى سراديب تطوف مع السور. وهي عبارة عن ممشى مسقوف مزود بالمرامي والشرفات يتجول فيه الحراس للمراقبة والدفاع.

الكنيسة:

هي كنيسة صليبية ثم أصبحت جامعاً أيام المسلمين. فيها محرابان ومنبر.وفيها حنية لها نافذة. لها بابان يقودان إلى قاعة الخدمات أحدهما مغلق. أرض الكنيسة والردهة مرصوفة بالبلاط الأصلي. للكنيسة مدخلان رئيسيان. واحد تحت الدرج والآخر يطل على الباحة. في جدار الكنيسة الخارجي كانت فيه لوحة فريسكو تمثل السيدة (العذراء) وهي تحمل السيد (المسيح) بين ذراعيها وبرفقتهما القديس (سمعان) نقلت لإصلاحها وترميمها. بني ضمن جدار الزاوية الشمالية الشرقية من الباحة إلى جانب ردهة الكنيسة درج لولبي يقود إلى الأعلى. وتوقف العمل به لأن الصليبيين بنوا درجين آخرين للصعود إلى الطابق العلوي بشكل أسهل. واحد قرب الكنيسة وآخر فوق مدخل الفسحة السماوية.

يقود هذا الدرج إلى باحة سماوية كانت توضع فيها آلات الدفاع. وفيها مهاجع للجنود. وفيها آثار لطاولة مستديرة حجرية. وفيها أيضاً الطابق الثاني من برج يتضمن بهو واسع تنيره نوافذ مزدوجة لها مصاطب حجرية. زود بمرحاض وباب يقود إلى السطح.

وعبر ممر ضيق يحاذي السور المطل على الخندق الجنوبي يمكن الوصول إلى بهو مهدم. فيه باب لدرج لولبي يقود إلى الطابق العلوي لبرج (الملك) المستدير وهو من عام (1260 م).

في البرج قاعة صغيرة مزينة بزخارف وأقواس وتيجان قوطية الطراز. وهي الأجمل بين قاعات القلعة لأنها كانت مسكناً لقائد الحامية أو أميرها. فيها نافذة لها مقاعد حجرية تطل على الخندق والمناظر الطبيعية البعيدة.

من القاعة يوصل نفق إلى ممشى الحرس حيث كان القائد يراقب منه ما يجري في القلعة وما حولها. ويؤدي الدرج اللولبي إلى سطح البرج. وهو أعلى نقطة في القلعة.

وبالرجوع إلى أول فسحة سماوية يوجد على اليسار برج يبدو مستطيل الشكل ليصبح دائري من الخارج. في واجهته ثلاث نوافذ مزدوجة وفي داخله مرمى على الخندق المفتوح. سماكة جدرانه حوالي (8 م). وفيه دهليز يؤدي إلى مرحاض. وفي السقف المعقود يوجد منور مفتوح بشكل مائل.

بعده يوجد برج الملك وله درج حلزوني من الحجر وأمامه بهو متهدم. في الطابق الثاني توجد غرفة واسعة معقودة من (1260 م) زينت بزخارف من الورد وتيجان وأقواس على الطراز القوطي وفيه مرامي ونافذة عميقة تطل على الجهة الغربية وفيها مقاعد حجرية. وفيه بابان واحد إلى داخل البرج والآخر يقود عبر درج إلى السطح حيث منظر المنطقة الرائع.

قلعة صلاح الدين

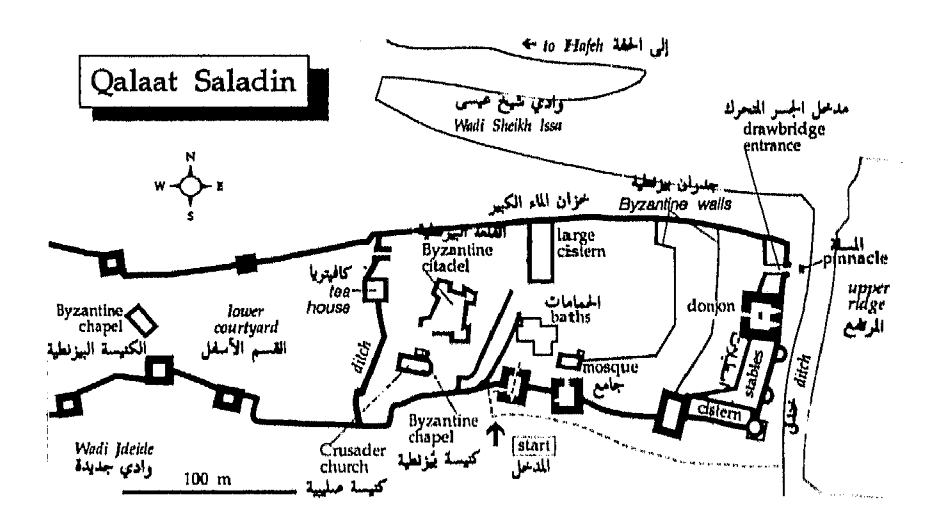
تعتبر من أجمل القلاع العربية من حيث الهندسة والعمران. وسميت سابقاً قلعة (صهيون). بنيت على سفح جبل (داريوس) (Darius). تبعد (35 كم) عن اللاذقية. وتقع على طريق هام بين الداخل والساحل. وترتفع (410 م) عن سطح البحر.

هي قلعة قديمة جداً لا يمكن تتبع تاريخها. ولكن من المؤكد أنها كانت قلعة فينيقية من أوائل الألف الأول قبل الميلاد، تابعة لـ (ارواد). حينما غزاها (الإسكندر المكدوني) عام (333 ق. م). تداولتها الأيدي حتى أصبحت للبيزنطيين في القرن العاشر. ولكن (سيف الدولة الحمداني) احتلها بين عامي (945 و 949). ثم استرجعها البيزنطيون في عهد إمبراطورهم (جون زيميتزس) عام (975, 676). رممها وحصنها ووضع فيها حامية عسكرية. ثم أصبحت تحت حكم الصليبيين حوالي (1119 م). وكانت عائدة إلى أمير (أنطاكية) (روجر)، الذي منحها إلى شخصية محلية هو (روبرت صهيون) وكان غنياً بناها وحصنها وصارت في أحسن حال وسميت باسمه. جرى بناؤها بين (1100 و 1188 م). بعد ذلك جاء (صلاح الدين الأيوبي) ليحاصرها مع ابنه (الظاهر الغازي) صاحب (حلب) في (27 تموز 1188 م)، وكان السكان قد لجأوا إليها. فثبت (صلاح الدين) ستة من المنجنيقات في الكهوف الغربية، التي يفصلها عن القلعة وادي ضحل، وأخذ يقصفها بالحجارة. بينما استخدم ابنه (الظاهر غازي) منجنيقاً قرب سورها الشرقي وأخذ يقصفها أيضاً بالحجارة. وبفضل القصف العنيف استسلمت في (29 تموز 1188 م) أي بين (29) جمادى الأولى و (2) جمادى الآخرة من عام (584 هـ). وبعد أن احتلها

(صلاح الدين) افتدى الرجل من الصليبيين نفسه بـ (10) دنانير والمرأة بـ (5) دنانير والطفل بـ (2.5) دينار.

أشرفت على القلعة بين عامي (1188 و 1272) أسرة محلية هي أسرة الأمير (ناصر الدين مانغوريريس) ثم أعطيت إلى السلطان (بيبرس) كمساعدة لمقاومة الصليبيين. وفي عهد المماليك أصبحت تابعة للثائر (سنقر الأشقر). الذي كان حاكماً سابقاً لـ (دمشق) وكان صهراً للسلطان (قلاوون). وبقيت معه بين (1280 و 1287) حتى استولى عليها السلطان المملوكي (قلاوون) بعد حصار شديد. وبقيت مأهولة حتى أواخر العهد المملوكي. وكانت تحرس الطريق بين نهر (العاصي) ومدينة (أنطاكية). ولكنها فقدت أهميتها مع الأيام. وبدأ فيها الخراب.

وحينما أصبحت تحت إشراف مديرية الآثار عام (1957) تغير اسمها من قلعة (صهيون) إلى قلعة (صلاح الدين) وذلك تخليداً لذكرى ذلك البطل الصنديد.



قلعة صلاح الدين

أطوال القلعة حوالي (120 X 700 م). وكان يحيط بها خندق عرضه يتراوح بين (14 و 20 م) وطوله (156 م). تتميز هذه القلعة بالمنحدرات الطبيعية التي تحيط بها. وعند نقطة ضعفها الوحيدة في الجهة الشرقية، شق الصليبيون ممراً عريضاً وعالياً في الجبال وتركوا به ركيزة ارتفاعها (28 م) كان يستند عليها جسر متحرك يقود إلى مدخلها القديم.

أما مدخل القلعة الحالي فيقع ضمن برج يقود إلى الساحة. على يساره تقع الحمامات والجامع ومدرسة القرآن الكريم والمرافق، وآثار من العهد البيزنطي. أما على يمينه فتبدو آثار عهد الصليبيين.

آثار القلعة:

البيزنطية:

في القرن العاشر بنى البيزنطيون قلعة بقيت بعض آثارها، وكنيسة في الجزء المنخفض من القلعة في منطقة السكن. وكان مدخل القلعة في عهدهم من الشرق، على جانبيه برجان. كما بنوا سورين شبه متوازيين في الجهة الشرقية. وعلى السور الخارجي من نفس الجهة بنوا ثلاثة أبراج مستديرة رممها وحصنها الصليبيون فيما بعد.

الصليبية:

وهي من القرن الثاني عشر بنى الصليبيون ثلاثة أبراج سمك حيطانها (5 م) وارتفاعها (24 م) وهي: برج المدخل الحالي وعلى بابه الثاني بلاطة حجرية طولها (3.25 م). وإلى جواره برج ثانٍ. كلاهما كانا للمراقبة والحراسة.

أما البرج الثالث فمن طابقين الأول فيه غرفتان، في جدران البرج فتحات لرمي السهام. ودرج يقود إلى سجن انفرادي، إلى جانب السجن مباشرة يوجد خزان ماء وإسطبل. وهو قاعة واسعة بيزنطية الأصل رممها الصليبيون واستعملوها كمستودع للأسلحة. كما بنى الصليبيون برجاً في الجهة الشرقية وهو من طابقين فوقهما شرفة. الطابق الأول ارتفاعه (11 م)، فيه فتحات لرمي

السهام، ، والثاني فيه ثلاثة نوافذ. وكان البرج للمراقبة ومقراً للملك، له بابان، أولهما لصب السوائل المغلية على الأعداء. في مركز البرج عمود ضخم يستند السقف عليه. بداخله ممر سري. يبدأ ضيقاً من الأعلى ويقود درج لولبي إلى غرفة تتسع لخمسة أشخاص ثم يتابع الدرج إلى ممر بطول (85 م) ثم إلى باب يقود إلى الوادي. وطول الممر كله حوالي (250 م).

بنى الصليبيون أيضاً خزانين للماء، أبعاد الأول (32 م) طولاً و (10 م) عرضاً و (6 م) عمقاً. تأتيه مياه الأمطار من قناة جانبية ويعتقد بوجود نبع صغير فيه. سعته حوالي (5000 م^3). أما الخزان الثاني فيقع قرب السجن.

وأنشأ الصليبيون أيضاً في القسم المنخفض من القلعة أبراجاً وأسواراً أقل ضخامة من التي في القسم المرتفع. وذلك بسبب الحاجة السريعة للأمن والحماية.

والبرج الذي فيه الكافتيريا الحالية صليبي دفاعي، تحته خندق يفصل القسم العلوي من القلعة عن القسم السفلي. ومن هذا الخندق دخل (صلاح الدين) القلعة.

توجد كنيسة صليبية قرب القلعة، قسمها الشمالي كان كنيسة بيزنطية صغيرة.

كانت القلعة محصنة طبيعياً من كل جانب عدا الجهة الشرقية. لذا فصل البيزنطيون القلعة عن الهضبة المجاورة بممر وسّعه وعمقه الصليبيون. أطواله الحالية (156 م) طولاً و (14 - 20 م) عرضاً. وتركوا ركيزة على شكل مسلة ارتفاعها (28 م) تقابل مدخل القلعة القديم. وجعلوا عليها جسراً خشبياً متحركاً. وبذلك تم لهم الأمان الكامل.

العربية:

وهي من القرن الرابع عشر حينما رمم العرب القلعة وأبراجها وتحصيناتها. وبنوا بعض المرافق فيها. كما شيد السلطان (قلاوون) وحكمه كان بين (1280

- 1290 م) جامعاً له مئذنة مربعة ومدرسة لتعليم القرآن.

والقصر من القرن (12 م) وأوائل (13). له باحة وأربعة إيوانات. مدخله مزين بالمقرنصات. وأرضيته من الرخام. بقي منه حمام فيه ثلاثة أقسام: بارد ودافىء وحامي. مدخله هو القسم البارد وفيه بحرة ماء مثمنة على شكل نجمة. ثم الدافىء وسقفه مليء بالقمرات الزجاجية كذلك على شكل نجمة. وفيه قنوات فخارية تزوده بالماء الساخن والبارد. أما القسم الحامي فيتألف من غرفتين للاستحمام وأخرى صغيرة للبخار.

قلعة المرقب

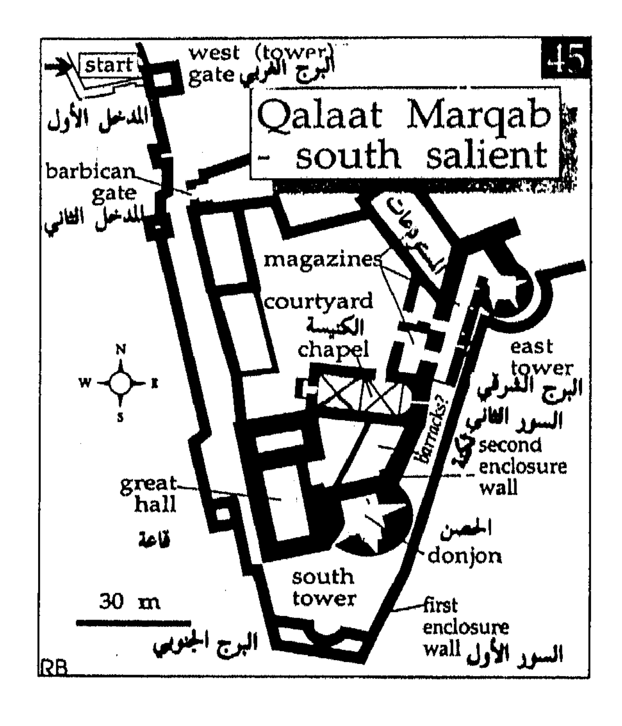
تشرف على مدينة (بانياس) بناها الفينيقيون، تبعد عنها حوالي (5 كم). وكانت (بانياس) تدعى (بالانيا) (Balanea) لدى اليونان والرومان والبيزنطيين وصارت مركز بطريركية فيما بعد. شيدت القلعة فوق قمة جبل بازلتي بركاني. وهي مثلثة الشكل يقع راس المثلث في جهة الجنوب. وترتفع (362 م) عن سطح البحر. وتقع جبال العلويين شرقها. تهيمن على السهول الساحلية الضيقة وتوصل (آسيا الصغرى) بالأراضي المقدسة. كانت لها أسماء مختلفة منها (ماركابوس) و (ماركابان). وسماها الصليبيون (مارغانت) و (مارغانوس) و (مارغات) و (ميرغاتم). اسمها لدى العرب كان (المرقب). وجاء ذكرها في عدد من كتب المؤرخين.

يقال بأن باني القلعة الحالية هو (رشيد الدين سنان). وهو زعيم الإسماعيليين والمعروف باسم (شيخ الجبل). وكان ذلك في عام (1062). حاول (البيزنطيون) احتلالها عام (1104) فصارت القلعة بين عامي (1116 و 1117)، تارة للعرب وتارة للبيزنطيين. حينما احتلها الصليبيون بقيادة أمير (أنطاكية) واسمه (روجر) عام (1118)، وضعت تحت إمرة أسرة (منسوير) (Mansoer) الإقطاعية التابعة لإمارة (أنطاكية) بين عامي (1117 و 1186) وحينما أصبحت الأسر الإقطاعية ضعيفة في (أوروبا)، باعها الأمير (برتراند) عام (1186) لفرسان القديس (يوحنا) (Hospitaliars). وبين عامي (1186 و 1203) رمموها من خراب الزلزال الذي كان قد هدمها عام (1170). وحصنوها بشكل جيد وتجنبوا الهندسة البيزنطية التي كانت متبعة في بناء قلاعهم خلال النصف الأول من القرن (12). ثم صارت تابعة لـ

(طرابلس)، يحميها أسطول ملك (صقلية) القريب من الساحل السوري. وحينما حاول (صلاح الدين) عام (1188) المرور بجيشه أمام أسوارها، بعد أن خرّب (طرطوس)، متجنباً مهاجمة قلعة (المرقب) لرغبته باحتلال المواقع الضعيفة أولاً؛ حاصره الصليبيون برماة النبال من القلعة شرقاً، وبستين مركباً للملك (صقلية) (وليم الثاني) وتحت قيادة الأميرال (مارغاريت) غرباً. ومع ذلك استطاع اجتياز الطريق فرداً فرداً والوصول إلى غايته. وفي عام (1205) أي (601 هـ)، هاجمها الملك (الظاهر غازي) سلطان (حلب). فخرّب السور وكاد أن يستولي عليها، ولكن جيشه انسحب بعد أن قُتل قائد الحملة. وكانت القلعة حينئذ قوية، مجهزة بألف محارب مع ألف حصان. وفي عام (1267) وعام (1271) عقد فرسان القديس (يوحنا) (Hospitaliars) هدنة مع السلطان (بيبرس)، وكان قد احتل قلعة (الحصن) وأعلنوا له الولاء. ودفعوا الجزية، وتنازلوا عن نصف أراضيهم، وتعهدوا بعدم إقامة منشآت جديدة في القلعة. ولكن المعاهدة نقضت عام (1281) وبدأت الحرب ثانية بين المسلمين والصليبيين، فأتى الأمير (سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري)، حاكم قلعة (الحصن)، وحاصر (المرقب) دون جدوى. وفي (17 نيسان 1285) أي (10 صفر 684 هـ) حاصر السلطان (قلاوون) قلعة (المرقب) من الجهة الجنوبية، وهي أضعف نقاط القلعة، رغم وجود أضخم أبراج القلعة الصليبية فيها. وشن عليها هجوماً بكافة أنواع الأسلحة فتهدمت أجزاء من أسوارها، وانهار برجها الكبير. واستسلمت في (25 أيار 1285) بعد أربعين يوماً من الحصار، وانسحب فرسان القديس (يوحنا) إلى (طرطوس) و (طرابلس) و (عكا). بعد ذلك ترك فيها حامية كبيرة تزيد على (1000) مقاتل و (400) عامل و (550) من المماليك البحرية. إضافة إلى الأمراء. وسجل ذلك الانتصار على البرج الأمامي الجنوبي كما يلي: «غزا هذه القلعة (المحروسة) وبنى هذا البرج المقدس السلطان... (قلاوون) في أشهر سنة (684 هـ = 1285 م) ». وقد أشرف الأمير (سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري) حاكم قلعة (الحصن) على ترميم هذا البرج، كما أصلحت تحصينات القلعة. وأصبحت مركز انطلاق العمليات الحربية

الدائمة ضد الصليبيين. بعد ذلك استخدمها السلطان (قلاوون) عسكرياً، وأصبحت مركزاً لولاية ربطت بإمارة (طرابلس).

في القرن (15) منحت القلعة استقلالاً خاصاً. فكان قائدها لا يخضع لأي من حكام ومتصرفي الولايات المجاورة. وزودت بالمطاحن والآبار والمخازن والأسلحة والنفط والعسل والماشية. ثم أصبحت في أيام العهد العثماني بين (1516 و 1918) سجناً. وكانت تحت إشراف قواد موالين للسلطان العثماني. وبعد إخلائهم، اعتصمت قوات الشيخ (صالح العلي) فيها. إلا أن قوات الاحتلال الفرنسية هاجمتها بالمدافع الرشاشة. واحتلتها في تشرين الأول (1920). وبعد الاستقلال صارت تحت إشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف. واعتبرت موقعاً سياحياً هاماً في (سورية).



قلعة المرقب

وصف القلعة:

حجارة البناء بازلتية تزينها حجارة بيضاء. في الباحة خندق يفصل القلعة عن المنطقة السكنية في الشمال. يحيط بها سوران وخندق. الجهتان الشمالية والجنوبية ضعيفتان دفاعياً لذا تركزت الأبنية الدفاعية فيها. في الأسوار حوالي (14) برج مربع أو مستدير. تقع على مسافات بين (20 و 30 م). يقود إلى مدخل القلعة درج حجري. توضّع السكان في الجهة الشمالية والشرقية من القلعة. ويوجد بها مقبرة قريبة، وبقايا خان عثماني.

البرج الغربي:

بني عام (1270). مدخل القلعة الرئيسي يوصل إلى برج مربع، تعلو بابه مرامي وشرفات وفتحات لصب الزيوت أو المياه المغلية والأجسام الحارة. وله باب حديدي منزلق. والبرج المربع هو البهو، ويتألف سقفه من عقود متصالبة من الحجر المنحوت. يستند على ركائز موشورية فوق دعامات. لهذا البهو قوسان كبيراً مفتوحان إلى الجنوب والشمال. وفيه درج معقود في الجهة اليمنى. يؤدي إلى القسم الشمالي من القلعة. لا يوجد ما يوصل بين هذا البهو وطابق البرج العلوي.

أما الطابق الثاني من البرج، ففيه قاعة واسعة على سوية السور الداخلي للقلعة. تنيرها نافذة واسعة، تطل على الجهة الجنوبية. وضعت في هذه القاعة الآليات التي كانت تحرك الباب المنزلق والذي كان يسد المدخل الرئيسي. وفيها أيضاً ممر ضيق يؤدي إلى غرفة رمي المنجنيقات والسوائل الحارقة.

الكنيسة:

تقع إلى الجنوب من البرج المربع في ساحة سماوية تحولت في عهد المسلمين إلى مسجد. وهي مستطيلة الشكل، تعود إلى نهاية القرن (12). من عهد الصليبيين (Hospitaliars). هندستها صليبية تأثرت بالقوطية الفرنسية، لها ست نوافذ سد معظمها فيما بعد. أبعادها (9.9 X 23.64 م). تتألف الكنيسة

من ردهتين مرتفعتين، تنتهيان عند الحنية المستديرة. يفصل بين ردهتي صحن الكنيسة قوس خالٍ من الزينة، يتصل بالحيطان ويرتكز على عمودين أقيما فوق دعامتين قويتين تيجانهما كورنثية الشكل. ولعدم وجود أعمدة وسط الكنيسة تبدو أكثر اتساعاً. أرض الحنية ترتفع (40 سم) عن البهو. ولها درجتان وفي الجهة الشرقية عند طرفي الحنية، بابان يؤديان إلى غرفتين جانبيتين صغيرتين بنيتا في الجدار السميك. وفيهما مرامي للسهام. وللكنيسة بابان رئيسيان متشابهان تماماً في الغرب والشمال. مزخرفان لم يبقَ سوى الشمالي منهما. أمام الباب الغربي فسحة صغيرة مبنية فوق قنطرة يرتكز عليها درج عريض. وبوساطتها يمكن الدخول إلى الأقبية. عرض الباب (3 م) فوقه قوس فيه عدة أقواس متلاحقة يرتكز على أربعة أعمدة رخامية. لم يبقَ سوى تيجانها وقواعدها. ويعلو الباب ساكف (أي بلاطة كبيرة) مستقيم ركبت عليه قنطرة مزخرفة. في الطابق العلوي للكنيسة توجد آثار برج الفانوس الذي تحول إلى مئذنة فيما بعد.

في جنوب درج الكنيسة يوجد بناء مؤلف من طابقين تنيره نوافذ ذات أقواس. يتألف كل طابق من قاعة واسعة، لها ممر يقود إلى البرج الكبير. وقد جعل هذا البناء فوق مستودع ماء يغذي القلعة. القسم الجنوبي منه مفقود وكان متصلاً بأبنية تلتصق بالبرج المركزي.

البرج الكبير المركزي الجنوبي:

بني بين (1186 و 1203). ارتفاعه حوالي (21 م)، قطره (29 م) وسماكة جدرانه (5 م) أحجاره بازلتية كبيرة الحجم، وهو حصين جداً، يتقدمه ممر اجتيازه صعب. يتألف البرج من طابقين فيهما مرامي للسهام على مستويات ثلاثة ولهذا البرج باب يؤدي إلى السور. في سقف كل طابق من البرج فتحات مستديرة كانت لنقل الصوت أو الماء أو كليهما تشرف على الجهة الجنوبية من القلعة. فيه درج يقود إلى الطابق العلوي من البرج، وآخر يؤدي إلى السطح الذي هو على سوية البناء الملاصق له.

الأبنية المجاورة للبرج الكبير المركزي الجنوبي:

ربما كانت لسكن الجنود. وتقع بين الكنيسة والبرج المركزي. وهي من طابقين. وتتألف من بهو كبير يليه بهو آخر. ويوجد تحته أقبية واسعة.

وهناك أبنية مهدمة، تحولت إلى أسطبلات بعد أن كانت للمؤونة في العهد الصليبي. وتقع شمال شرق الكنيسة. إلى جانب هذه الأبنية توجد قاعة كبيرة موازية للسور الشرقي، لها قبة، وعقود، ومواقد كبيرة، وبقايا فرن واسع. ويبدو أن الأفران والمواقد أضيفت بعد بناء القلعة.

البرج المستدير:

لهذا البرج باب يؤدي إلى السور الأول وفيه مرامي للسهام. يتألف الرواق المجاور لهذا البرج من قاعة كبيرة لها نوافذة واسعة. كان هذا الرواق مسكناً لحامية القلعة. كما يوجد أقبية واسعة مؤلفة من طابقين تحت هذا الرواق.

القاعة الكبيرة:

بنيت بين (1186 و 1203). استعملت مركزاً للاجتماعات، أطوالها (4 X 6 م). وتقع على يمين الداخل إلى الباحة. جنوب غرب الكنيسة. بنيت بالحجر الغرانيتي فوق مستودع للماء. وهي من ثلاث طوابق. وتتألف من عدد من الأروقة. استندت أقواسها على مساند في الجدران من جهة وعلى دعامة مركزية من الجهة الأخرى. لم يبقَ منها أثر. وكانت الجدران مكسوة برسوم جدارية. القسم الجنوبي من هذا البناء مفقود. وكان متصلاً بأبنية تؤدي إلى البرج المركزي (Donjon).

في شمال الكنيسة وجنوبها أبنية كانت مهاجع للجنود.

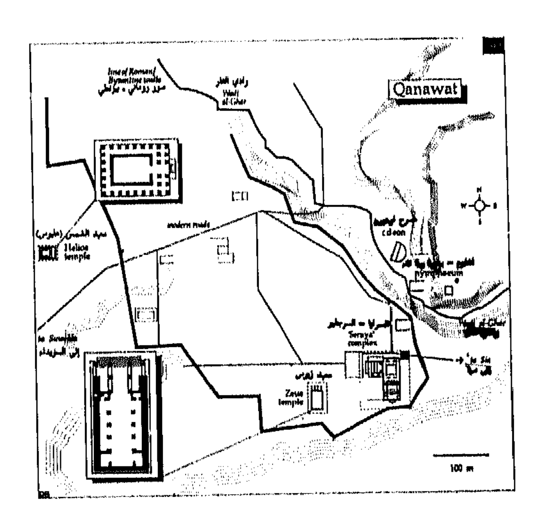
برج الصبي أو برج المراقبة:

بني في نهاية القرن (12 م) وبداية القرن (13 م). يقع قرب (قلعة المرقب). في الجهة الجنوبية الغربية. والغاية من بناء مثل هذ البرج الصغير هي

المراقبة وحماية الطريق الساحلي. والبرج مرتفع ومعزول وهو مربع الشكل، حجارته بازلتية. ضلعه (15 م). زواياه مبنية من أحجار كبيرة ضخمة، يشبه بناؤه بناء أبراج القلعة وخاصة برج المدخل الأمامي. له باب في الجهة الجنوبية الغربية، يعلوه ساكف مستقيم. سقف البرج معقود، وفي جدرانه فتحات للرمي. على يمين الباب درج مزود بالمرامي يؤدي إلى الطابق العلوي. يحمي السطح إطار من المرامي والمساند. وهو من طابقين وقبو.

القنوات

تبعد (100 كم) عن (دمشق). تقع على بعد (7 كم) شمال غرب (السويداء). وترتفع (900 م) عن سطح البحر. يعود منشأها إلى القرن الأول الميلادي. من عهد الإمبراطور (هيرود أغريبا). كانت واحدة من أهم المدن العشرة في الاتحاد الذي كانت تترأسه (دمشق) في عهد (تراجان) بين (98 و 117)، وكان اسمه (Decapolis). ويعطي هذا الاتحاد حرية معينة للحكم المحلي. وفي نهاية القرن الثاني الميلادي انضمت إلى المقاطعة العربية. اسمها بالنبطي والروماني في القرن الأول (كناثا). وفي عهد (سبتيموس سفيروس) في القرن الثاني صار اسمها (سيبتيما كاناتا) (Septima Kanata). ثم صارت (كنات) (Qenat).



مدينة القنوات القديمة

حينما انتشرت المسيحية في القرن (4 و 5)، أصبحت (القنوات) مركزاً للأبرشية. ثم أخذها العرب عام (637 م) وتضاءلت أهميتها مع الأيام. فيها آثار رومانية ومسيحية.

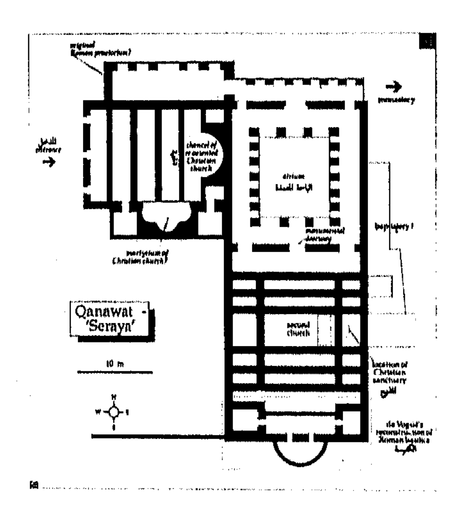
الآثار الرومانية:

سورها وفيه أبراج، وله أربعة أبواب لم يبقَ منه إلا أجزاء بسيطة: بوابة وجزء من السور الجنوبي.

السراجيليو (Seraglio) السرايا:

وتتألف من كنيستين وباحة. وهي أبنية رومانية من القرن (2 م)، تتوضع في أعلى مكان (بالقنوات). استعملها المسيحيون للعبادة في القرنين (4 و 5).

الكنيسة الغربية من النصف الثاني من القرن (2). تمتد من الشمال إلى الجنوب. في جهتها الشمالية رواق معمّد. صار اتجاهها من الشرق إلى الغرب في القرنين (4 أو 5)، ووضع المذبح عند الحائط الشرقي. في الحائط الجنوبي ثلاثة محاريب نصف دائرية أضيفت إلى البناء في أوائل القرن (3 م).



القنوات ـ السراجيليو

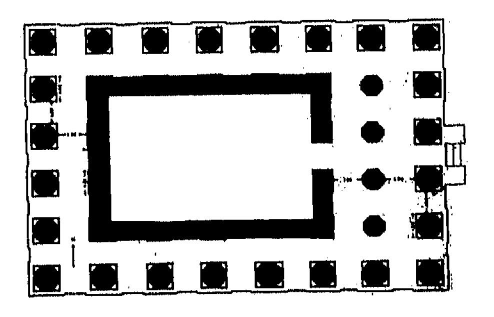
الباحة والبناء الجنوبي كانا باحة كبيرة في القرن (3 م). أبعادها (18.5 X 57 م) وكان اتجاهها من الشمال إلى الجنوب. محاطة بأعمدة وأضيف لها حنية في الجنوب على جانبيها غرفتان. وفيها حوض للتعميد. ولكن هذه الباحة قسمت في القرن (4) أو (5) بجدار إلى قسمين. وفي هذا الجدار ثلاثة من المداخل المزخرفة. وأصبح القسم الجنوبي كنيسة مذبحها في الجهة الشرقية. ولم تعرف أسباب هذه التغييرات.

كانت الجهة الشمالية الشرقية من (السرايا) وخلال العهد المسيحي ديراً أو قصراً للبطريرك. وفي نفس العهد أضيف لهذه الأبنية برجاً، حينما صارت الأبراج مألوفة في الأديرة المسيحية التي أقيمت في شمال (سورية).

تجاور الباحة مقبرة الأساقفة وهي من القرن (4 م).

معبد إله الشمس (Heliopolis):

يقع خارج سور المدينة إلى الشمال الغربي منها. وهو معبد مصغر عن معابد (تدمر) و (بعلبك). بني في القرن الثاني. يحيط به رواق فيه (31) عموداً تيجانها كورنثية منها (12) على صفين في الجهة الشرقية. وكان للمعبد مدخل له درج. وضعت بعض من أعمدته في الساحة العامة للمدينة.



القنوات ـ معبد إله الشمس (Heliopolis)

معبد زيوس (Zeus):

يقع جنوب المدينة. وهو من أواخر القرن الثاني الميلادي. لمدخله درج.

وفيه هيكل (Cella)، أمامه بهو فيه (8) أعمدة على صفين. داخل الهيكل صفان من الأعمدة في كل واحد ستة، تيجانها كورنثية، والمحراب (Senctuary) مستطيل الشكل ويقع في الجهة الجنوبية.



القنوات ـ معبد زيوس

معبد أو بحرة ربة الماء (Nymphaeum):

من القرن الثاني الميلادي. يقع قرب السرجيليو والمسرح.

الفوريوم (الأغورا):

وهي الساحة العامة أرضها معبدة بالحجارة. وفيها بقايا أعمدة.

حمامات القنوات:

مهدمة، أخذت حجارتها لبناء مدرسة فيها. تشبه حمامات (شهبا) ولكنها أصغر. لها طريق مرصوف بالحجارة.

مسرح (Odeon):

بني على ضفة الوادي. يتسع لألفي متفرج. نحت أكثره في الصخر. قطره (46 م). قيه تسع مدرجات.

كما يوجد في (القنوات):

- بقايا قناة ماء محمولة على أعمدة (Aqueduct).
- أساس برج مربع بقيت منه زاويته الشمالية الشرقية.
- أساس برج مستدير.

ـ وخزان ماء قرب معبد (زيوس)، عمقه (7 م) وأضلاعه (17 م). ويعتمد سقفه على (18) قوس بازلتي. في داخله خزان آخر، وتأتي المياه من (وادي الغار).

الآثار المسيحية:

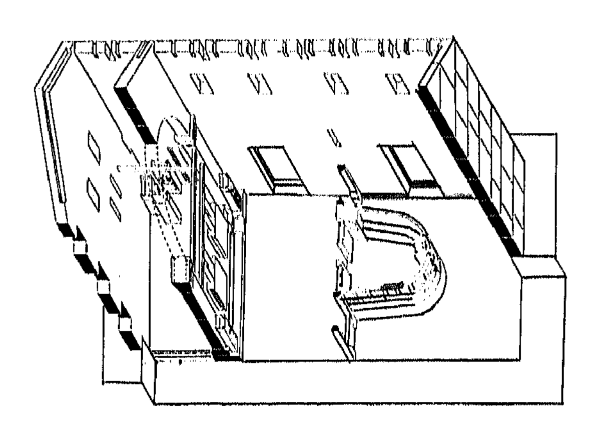
كنيسة (بازليكا) (Basilica) من القرن الخامس. بنيت على أنقاض معبد وثني. لها ثلاثة أبواب. الأوسط هو الرئيسي. زينت الأبواب والقبة بنقوش من الثمار والعنب والرمان والبلوط والأغصان. أخذت من بقايا المعبد الوثني السابق.

وتوجد في (قنوات) أيضاً مقابر مسيحية بيزنطية.

كيرك بيزا

تقع على جبل (باريشا) وبنيت بحجارته الرمادية. تبعد (40 كم) عن (إدلب) و (65 كم) عن (حلب) وترتفع (600 م) عن سطح البحر. تغطي مساحة (3000 $م^2$). وهي رومانية. بيوتها من طابق أو طابقين.

آثارها:



كنيسة كيرك بيزا

الكنيسة:

من أواخر القرن (3 م) ومطلع القرن (4). وتعتبر من أولى الكنائس التي بنيت في (سورية). وهي مستطيلة الشكل لها بابان، مزينة بسواكف ذات زخارف هندسية وعناقيد عنب. وهي عبارة عن رواق واحد. فيها (بيما) مقعدها حجري زخرف بالورود وكان لاستعمال الأسقف، وأمام المذبح

(Abse) حاجز للإيقونات (Iconostase). توجد فيها حجارة مجوفة كانت تحفظ فيها مدخرات وبقايا شهداء المسيحية. يوجد رواق يوازي الكنيسة فيه ستة أعمدة وفي آخره غرفة الشهداء على محاذاة المذبح. يتعامد هذا الرواق مع آخر فيه أربعة أعمدة، وبداخله قبر. يشكل الرواقان ضلعي باحة فيها خزان لجمع مياه المطر.

يلاصق الكنيسة ڤيلا بنيت على مراحل بين القرنين (5 و 6).

وهناك عدد من البيوت القروية القديمة البسيطة.

اللاذقية

اللاذقية هي مرفأ (سورية) الأول. تقع على البحر (الأبيض المتوسط). تبعد (341 كم) عن (دمشق) و (186 كم) عن (حلب). وكانت تدعى (أياريموتا). حوّرها الإغريق إلى (راميتا) (Ramitha). ثم صار اسمها (مازابدا) (Mazabda) ثم (لوك آكته) (Leuke Akte).

بدأ السكن فيها منذ العصر الآشوري حينما أخذ الإنسان يستخدم الحجر ثم الفخار. وقد وجدت آثاره في منطقة (اللاذقية) على ضفاف (النهر الكبير الشمالي). وتعود إلى (10) آلاف سنة. ووجدت آثار تعود إلى مليون عام في (ست مرخو) التي تبعد (10 كم) عن (اللاذقية).

كانت (اللاذقية) في الألف الثاني جزءاً من مملكة (أوغاريت) الفينيقية. وفي الألف الأول قبل الميلاد كانت جزءاً من المملكة الآشورية. وفي عام (604 ق. م)، أعاد بناءها (سلوقس نيكاتور) (Seleucus Nicator) الفينيقي الأصل وحكمه دام بين (281 و 311 ق. م). وأطلق عليها اسم أمه (لاوديسيا) (Laodicia). وكانت واحدة من خمس مدن بناها في (سورية)، وجعلها مرفأ لمدينة (أفاميا) (Aphamea) وخصها بامتيازات تجارية. وكانت المصدّر الأول للخمور. وقد ذكر (سترابو) (Strabo) ذلك الأمر في كتاباته. ثم أصبحت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية عام (64 ق. م). وأصبح اسمها (لاوديسيا البحر) (Laodicia Mare). ثم منحها (مارك أنطونيو) مركزاً أفضل، وأعفاها من الضرائب. كما زارها القديس (بطرس) مع أتباعه وبقي فيها فترة من الزمن. وجعلها (سبتيموس سڤيروس) (Septimus Severus) عاصمة له حوالي عام (200) وزين شوارعها بالأعمدة والنصب التذكارية.

استولت الملكة (زنوبيا) عليها لتكون مرفأ لمدينة (تدمر) عام (272) مما أغضب (روما) واسترجعتها فيما بعد. ولكن (اللاذقية) تهدمت بسبب الزلازل في عامي (494 و 555). وأعاد بناءها الإمبراطور البيزنطي (جوستينيان) (Justinian) الذي دام حكمه بين (527 و 565).

في عام (636) فتحها العرب المسلمون بقيادة (عبادة بن الصامت) وسميت (باللاذقية). ولكن البيزنطيون استعادوها في عام (968) وجعلوها مرفأً هاماً. ثم سقطت بيد الصليبيين جزئياً عام (1097) وأسموها (لاليش) (Laliche). وذلك قبل سقوط (أنطاكية). وكان البيزنطيون والصليبيون يتنافسون عليها ويتبادلون حكمها. ثم أرجعها (تانكريد) لحكم (أنطاكية) عام (1102). وكانت مع (جبلة) جزءاً من مهر الأميرة (أليس) ابنة ملك (القدس) (بالدوين) (Baldwin).

ثم أصبحت (اللاذقية) مركز كرسي البطريركية اللاتينية عام (1108). وتعرضت للزلازل في أعوام (1170 و 1287 و 1796 و 1822). وكانت تتهدم في كل مرة وهذا هو السبب في غياب آثار كثيرة كانت فيها.

احتلها (صلاح الدين الأيوبي) عام (1188) ثم خسرها أمام الصليبيين. وفي عام (1260) هاجمها (المغول) ثم عادت إلى إمارة (أنطاكية) تحت حكم (بوهموند السادس) (Bohemond) حتى بعد سقوط (أنطاكية) عام (1268).

وحينما دمرها زلزال (1287) حاصرها واستولى عليها السلطان (قلاوون) ودمر قلعتها. ثم هاجمها الصليبيون القبارصة بقيادة الملك (بيتر الأول) عام (1367) وحرقها. ثم سكنها تجار من (ڤينيسيا) من عام (1229) حتى عام (1436).

حينما استولى عليها السلطان (بارسباي) المملوكي كانت قرية صيد بسيطة، لها مرفأ صغير. لا يتجاوز عدد سكانها (7000) نسمة.

ثم احتلها العثمانيون عام (1516)، ثم الفرنسيون عام (1920). وبعد الاستقلال عام (1946) أصبحت عاصمة لمحافظة (اللاذقية)، والمرفأ الأول في (سورية).

مساحة مرفأ (اللاذقية) (45) ألف هكتار. فيه منطقة حرة مساحتها (75) هكتار. وهي أضخم المناطق الحرة في (سورية). يمر (باللاذقية) خط حديدي يربطها بالمدن الكبرى الأخرى منذ عام (1976).

كما جُرّت إليها مياه نبع (السن) للشرب والري. ويوجد قربها مطار (حميميم) الداخلي.

شرقها تقع جبال (النصيرية). وتتراوح ارتفاعات قممها بين (1200 و 1562). ويمر النهر (الكبير الشمالي) قربها. ويصب رافده جنوبها بعد أن يمر بـ (الحفة) ثم (الصلنفة) ثم (سلمى).

يوجد في محافظة (اللاذقية) (13) سداً تخزن حول (267.6) مليون متر مكعب. وهي: سد 16 تشرين ـ سد بللوران ـ سد كرسانا ـ سد الجوزية ـ سد خربة الجوزية ـ سد الحفة ـ سد القنجرة ـ سد دبيل ـ سد الحويز ـ سد السفرقية ـ سد البسيط ـ سد بيت ريحان ـ سد خليفة.

تغطي النباتات ثلث مساحة المحافظة أي (90 ألف هكتار)، وفيها شجر الشوح والسنديان والأرز والصنوبر. وأشهر غاباتها (الفرلق أو الفرنلق).

آثارها:

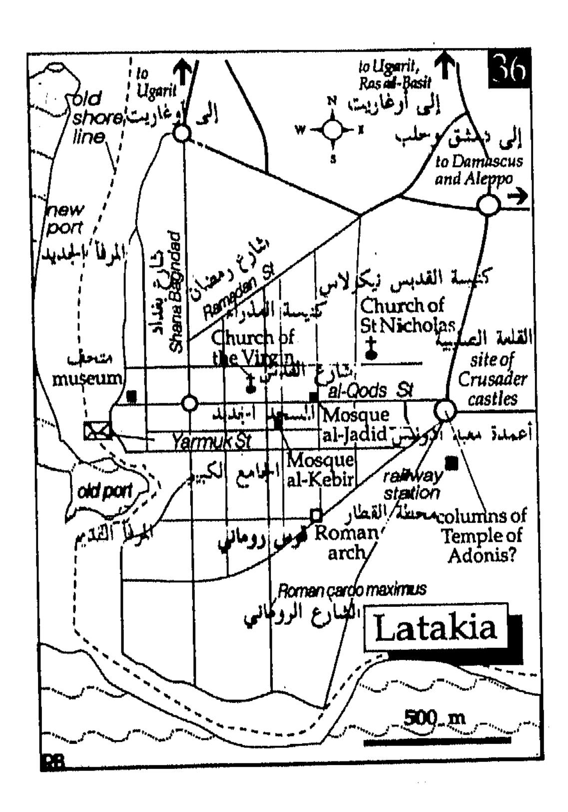
لم يبقَ منها إلا القليل لتعرضها لزلازل عديدة هدمتها ومحت آثارها. منها أعمدة متفرقة في أرجاء المدينة، وأعمدة غرانيتية كانت جزءاً من أعمدة الطريق الروماني. وأخرى تزين مدخلها الشرقي وعددها (13) عموداً.

كان لها سور تلاصقه قلعة لم يبقَ منها إلا بقايا قاعدة أحد الأبراج، وباب يستند على تلك القاعدة. ويقال بأن نفقاً كان يوصل بين طرفي تل القلعة الغربي.

قوس النصر أو التترابورتيكوس (البوابة ذات المداخل الأربع) أو تترابيلون:

يعود إلى القرن (8 م). وهو بناء مربع على شكل مكعب حجري لا مثيل له. أقيم فوق دعامات ضخمة. تزينه من الخارج أربعة أعمدة تيجانها كورنثية

وفوقها أربعة أقواس. وله أربع فتحات. أكثرها ارتفاعاً الشمالية والجنوبية. وأجملها الشرقية والغربية. وفوق كل فتحة عقد حجري يرتكز على عمود. للأعمدة أفاريز وأطناف. فوق الواجهة الشمالية نتوء على شكل مثلث متساوي الساقين قاعدته بطول الواجهة.



مدينة اللاذقية القديمة

السقف من الداخل على شكل قبة أصلية. تعتمد على شكل مثمن. وهو بدوره يعتمد على البناء المربع. أما من الخارج فهو مكعب عادي من طابقين وزخارف بسيطة، تعلوه قبة مثمنة الزوايا. ويقع هذا القوس (Tetrapylon) على تقاطع الشارعين الرئيسيين في المدينة القديمة. وهما الشارع من الشرق إلى

الغرب (Decumanus) ومن الشمال إلى الجنوب (Cardo) وكان مطموراً تحت الأرض. استخدم مسجداً بعد أن سدت فتحاته فيما بعد.

معبد أدونيس:

ويقع عند تقاطع طريق (دمشق) والطريق الذي يقود إلى (أوغاريت). لم يبقَ منه إلا أربعة أعمدة كورنثية تنتهي بسطح مزخرف.

بوابة صليبية:

ويقع بين شارع (الغافقي) وسوق (بيت الداية). وهي قنطرة حجرية مدببة الرأس. بجانبها مصطبة حجرية. .أزيلت هذه البوابة منذ فترة وبنيت في مكانها عمارة حديثة.

ميدان السباق:

روماني. ويقع عند السفح الغربي لتلة (الطابيات). بناه الإمبراطور (أوكتاڤيوس). لم يبقَ منه إلا أساسات ودرجات صخرية.

الملعب:

وهو كبير أولمبي. ساحته واسعه بقاياه في منطقة (سندكلس أو عين سنكلست).

المسرح:

روماني وكان مبنياً على إحدى التلتين قرب (الجامع المغربي).

ميناء اللاذقية القديم:

كان مستديراً يحرسه برجان بينهما سلسلة تمنع دخول أو خروج السفن. وأحد البرجين كان يدعى (برج الحمام) وفيه قنديل كمنارة للسفن. بين هذين البرجين كان يوجد برج ثالث بني وسط البحر وقام مقام القلعة. تهدم الكثير من هذه الأبنية بسبب زلازل عام (686 هـ = 1287). وجدد بناء الميناء في عهد

الملك (الظاهر جقمق). ولكن البرجان والسلسلة اختفت جميعها في العهد العثماني عام (1822 م).

المتحف:

افتتتح يوم السبت (19 نيسان عام 1986). وهو بناء عثماني من القرن (19) كان خاناً لبيع التبغ واسمه (خان الدخان) فيه مخازن لتخزين التبغ ومن ثم لتصديره بحراً. يبعد عن المرفأ حوالي (200 م). ثم صار (دار المندوبية) للحاكم الفرنسي في بداية القرن العشرين. بعد ذلك اشترته إدارة المتاحف وحولته إلى متحف يضم الأجنحة التالية:

الشرقي القديم: وفيه آثار أوغاريت ـ رأس البسيط ـ رأس ابن هانىء،

آثار هلنستية ـ يونانية ورومانية وبيزنطية.

آثار إسلامية.

جناح الفن الحديث.

وفيه مستودعات للآثار ودراستها. وفي حديقته بعض الآثار.

الجوامع:

تقع في شرق وجنوب شارع (القدس). أمر ببناء أول جامع في (اللاذقية) (عبادة بن الصامت) في بداية الفتح الإسلامي عام (15 هـ) أي (636 م).

الجامع الكبير المنصوري:

بني عام (607 هـ = 1210 م) ويقع في محلة (الصباغين) أي سوق (بيت الداية) وهو أقدم الجوامع الموجودة حالياً. له باب في الجهة الجنوبية. إلى يمين الباب يوجد دهليز صغير معقود ينتهي ببابين، الأيمن يوصل إلى حرم الجامع

والأيسر إلى صحن الجامع.

والصحن ساحة سماوية مربعة الشكل مبلطة بالحجر الرملي المنحوت. في وسطها بئر ماء خرزته على شكل تاج عمود تزينه زخارف نباتية.

كان هذا الجامع بدون مئذنة إلا أن الملك (الظاهر غازي) ابن (صلاح الدين الأيوبي) أمر ببناء واحدة،وأدخلت على الجامع تعديلات كثيرة.

وافتتح (محمد خورشيد باشا) مدرسة الجامع. وكانت أول واحدة فتحت (باللاذقية). وكان عدد تلامذتها (150) طالباً. وأول الأساتذة كان الشيخ (عبد الفتاح محمودي) ويوجد نقش على الواجهة القبلية للمدرسة من الخارج يذكر أمر التشييد واسم الباني وتاريخ البناء.

الجامع المغربي:

وهو من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

المسجد الجديد:

من القرن (18). بناه (سليمان باشا العظم).

بناء قديم مجهول أو مسجد القبة:

يقع غرب كنيسة العواميد. وهو بناء مربع الشكل يقال بأنه كان حابورة لليهود، تحول إلى كنيسة فيما بعد. ويدل على ذلك نافذتان على شكل صليب واحدة في الواجهة الشرقية والثانية في الغربية. صارت مسجداً اسمه (مسجد الشحادين).

في واجهته الشرقية آثار قنطريتين كبيرتين مسدودتين بالحجارة. واحدة إلى اليمين تعلوها نافذة صغيرة شاقولية، والثانية إلى اليسار فوقها نافذة على شكل صليب تنتهي أطرافه الأربعة بأنصاف دوائر.

في الواجهة الغربية قنطرتان أيضاً. اليمينية مفتوحة تستعمل كمدخل للبناء. واليسارية مسدودة بالحجارة.

تعلو قنطرة المدخل أربع نوافذ أكبرها النافذة الجنوبية. ثم نافذة شاقولية فنافذة على شكل صليب والأخيرة نافذة شاقولية تشبه الأولى. فوق الصليب حجر مستطيل.

الواجهة الشمالية كانت قنطرة كبيرة سدت بالحجارة وفيها باب. تطل هذه الواجهة على فسحة سماوية. وتعلو الواجهة الجنوبية نافذة كبيرة تحتها نافذة ثانية. وعلى جانبي القنطرة نافذتان كبيرتان بارزتان عليهما شبك معدني. فوق هذا البناء قبة فيها (12) نافذة. لذا أطلق على هذا البناء اسم (مسجد القبة).

وهناك عدد من الجوامع ترجع للعهد العثماني.

الكنائس:

كنيسة السيدة:

لا يعرف تاريخ بنائها ربما من زمن البيزنطيين. ولكنها رممت في (8 كانون الثاني عام 1721 م = 1134 هـ). وزينت بالزخارف كما غطيت أرضيتها بالرخام. وفتح لها باب جديد بين البابين الأصليين. ولكن هذه الكنيسة تعرضت للخراب مع الزمن.

كنيسة العذراء:

تعود إلى العهد البيزنطي. فيها محراب واحد. أضيف لها حاجز إيقونات من الرخام في القرن (18). وفيها كنيسة صغيرة (Chapel) تحتفظ بإيقونة العذراء التي تتميز بالأعمال العجائبية.

كنيسة مار موس الحبشي (Moses the Ethiopian .ST):

وهي كنيسة سريانية بنيت في القرن السادس الميلاد. تهدمت بسبب

الزلازل. ولكن بناءها جدد في تموز (1845 م)، بعد أن دمجت مع كنيسة (مارنيكولاس). في الكنيسة لوحة رخامية نقشت عليها أبيات شعرية تؤرخ ذلك البناء.

كنيسة القديس نيكولاوس:

تقع في شارع (ميسلون) شمال شارع (القدس). فيها مجموعة إيقونات من المدرسة السورية، تعود للقرنين (17 و 18). وتاج من خشب الأبنوس يعود إلى (1721).

كنيسة القديس (أندرو) (Andrew .ST):

يوجد موزاييك وأعمدة رخامية.

وشمال اللاذقية قرب البحر تمتد مقبرة (Necropolice) مسافة نصف ميل. اكتشفت فيها توابيت وأسد حجري كان يزين قبراً (متحف دمشق).

رأس (ابن هانىء) ويبعد (8 كم) عن (اللاذقية) . عند بناء فندق (المريديان) عام (1975) اكتشفت بعض من آثاره.

وهناك بقايا قلعتان صليبيتان متصلتان ببعضهما.

ويوجد دير (الفاروس) شمال (اللاذقية).

ماري

تبعد (12 كم) عن (أبو كمال) والحدود السورية العراقية، كما تبعد (125 كم) عن (دير الزور). وتقع على يسار الطريق العام الذي يصل (دير الزور) بـ (أبو كمال)، فوقها غطاء وضع خوفاً عليها من العوامل الجوية لأنها حضارة من تراب وطين سهلة الحت التفتيت.

ورد ذكرها في رقم (نيبور) (Nipur) من عهد ما قبل (سرجون) أي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وكذلك في رقم (كيش) من عصر (سرجون) وكان اسمها (مارات) (Marat)، في كتابات الملك الآشوري (نوكولتي - نيفورنا) الأول وحكم بين (1260 و 1232 ق. م) وذكرت مع (عانة) و (رابيكو) وهما على (الفرات).

تقع (ماري) فوق تل (الحريري) الذي يحتوي في أعماقه على مدن متراكمة أقدمها يعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وكانت إحدى الممالك الهامة لموقعها الاستراتيجي على نهر (الفرات) الذي يوصل الخليج بالبحر الأبيض المتوسط. كما كانت محطة حيوية على (طريق الحرير)، وفي منتصف الطريق من (بابل) إلى (البحر الأبيض المتوسط)، وكان لها نشاطات حربية إلى جانب التجارة، كما اشتهرت بالنحت وزخرفة الخشب وصناعة المعادن. وكانت محاصيلها الزراعية وافرة لخصوبة أرضها ووفرة مياه (الفرات). وكانت تتبادل التجارة مع (أوغاريت) وتستورد منها الخشب، واستوردت (ماري) (اللازورد) (لابيس لازولي) لصياغة الحلي والمجوهرات وعيون التماثيل. ووجدت كميات كبيرة منه في مستودعاتها، كما كانت تستورد القصدير لصناعة البرونز. وكان لديها مناجم فضة وذهب.

ووصلت أوج ازدهارها في مرحلتين: الأولى في الألف الثالثة والثانية في الألف الثاني قبل الميلاد. إذ كانت عاصمة لمملكة عمورية أكادية بين (3100 و 29000 ق. م) تحكمها السلالة الملكية العاشرة بعد الطوفان. حكم ملوكها أراضي (ما بين الرافدين) أيضاً، ولكنها خضعت في فترة ما لحكم (أناتوم) ملك (لاغاش). ثم دمرها ملك (أوروك) السومري (لوغا لزاغ غيرزي) في منتصف الألف الثالث. ولكنها نهضت وازدهرت من جديد.

ثم استولى الأكادي (سرجون ـ أغاريا) ومن بعده حفيده (نارام سن) عليها. وأسس سلالة من الملوك عددها (11) ملك. حكموا (ماري) بين (181 و 197) من الأعوام . امتدت فترة حكمهم بين (2450 ق. م) و (2280 ق. م).

بعد ذلك حكمها العموريون. وتذكر أقدم النصوص من عام (1980 ق. م) أن الأمير (باجيت ـ ليم) كان يحكمها. وبعده أتى ابنه (يحدون ليم)، الذي وصلت قواته حتى البحر الأبيض المتوسط. ولكن الآشوري (شمسي حدد) (181 و 1782 ق. م) استولى على (ماري)، وقتله مع أفراد عائلته، ولم يفلت من المجزرة سوى ابنه (زيمري ـ ليم)، الذي هرّبه أحد رجال البلاط إلى (يمحاض) أي (حلب)، والتجأ إلى ملكها (ياريم ـ ليم). كما نجا ثلاثة من أخواته، خبأهن الأصدقاء من المذبحة. واستطاع أسر اثنتين من أخوات (زيمري ـ ليم). وأرسلهما إلى العاصمة (آشور) ليجعل منهما مغنيات وعازفات في بلاطه. وانتهت بذلك أخبارهن. بعد (شمسي ـ حدد)، صار (يشمخ ـ حدد) ملكاً على (ماري).

أقام (زيمري ـ ليم) عشرون عاماً في (حلب). وتزوج من (شيبتو) ابنة الملك (ياريم ـ ليم). واستطاع بعد ذلك استعادة عرش (ماري)، وحكم بين (1775 و 1760 ق. م) فظلت (ماري) في حالة استقرار وسلام. أثناء ذلك جدد الملك (زيمري ـ ليم) القصر ومعابد الآلهة.

كانت العلاقات بين (زيمري ـ ليم) ملك (ماري) و (حمورابي) البابلي جيدة وحكم (حمورابي) بين (1792 و 1750 ق. م) وذلك حسب الرسالة

التالية التي أرسلها (حمورابي) إلى (زيمري - ليم): «أرسل لي جنوداً من عندك لأبلغ غايتي. وأنا سأرسل لك جنوداً من عندي لتبلغ غايتك». ولكن حينما وسّع (حمورابي) دولة (بابل) نحو الشمال، كان لا بد من ابتلاع (ماري). فاكتسحها مرتين. الأولى في السنة الثانية والثلاثين من حكمه أي عام (1759 ق. م) والمرة الثانية بعد سنتين فهدّم (ماري) وأحرق قصر (زيمري - ليم)، ولا يعرف ما حل بالملك وأفراد أسرته. وانتهت (ماري) حوالي (1750 ق. م) ومجدت كتابات انتصارات (حمورابي) على (ماري) و (ماليجيا) وأنه دمر أسوارهما بأمر من الإله (أنو وانيل). كما استولى على بلاد الآشوريين وقضى على (اسم - دجن) ملكهم، وأنهى بذلك سلالة (شمسي - حدد) أيضاً.

ومضت فترة لم يسمع شيء عن (ماري) ثم ظهرت أخبار ملوك صغار مثل (إيشار - ليم) و (إيكيش - دجن) على بعد حوالي مئة كيلو متر من (ماري) في مدينة (عانة) على (الفرات). وكانت مع (ماري) تشكلان مملكة واحدة، احتلها (الكاشيون) و (سلالة بلاد البحر). وأصبحت (ماري) بعد ذلك مستعمرة آشورية يحكمها الملك (شمش - رش - أوزور) وكان مسالماً يزرع النخيل والثمر ويربي النحل ومع ذلك لم يهمل (ماري).

بعد الآشوريين أتى البابليون الجدد. ولم يكتشف أي نص في (ماري) يشير إليهم. ولكن وجدت لوحة في المتحف البريطاني تؤرخ سقوط (نينوى) بـ (612 ق. م) أي نهاية العهد الآشوري، لأن (نينوى) سقطت إثر هجوم (البابليين) و (الميدين) و (السكيت). وكان البابليون تحت قيادة (نابور - بولاسار). وعثر على تماثيل لملوك (ماري) في (بابل) مما يدل على أنها كانت إما هدايا أو أسلاب حرب ظافرة.

وفي عام (312 ق. م) استولى السلوقيون عليها وصار اسمها (ميرحان) وهو اسم أخذ عن (مير) رب العاصفة في (ماري). وبنوا مدينة (دورا أوروبوس) على مسافة قريبة منها. وانتهى عهد السوقيين في (دورا أوروبوس) و (ماري) عام (256 ق. م) بعد هزيمتهم أمام (الفرس البارثيين).

على بعد أقل من كيلو متر واحد غرب (ماري) يوجد (تل مدكوك)، مخروطي الشكل. هو قبر من العهد الأحدث. قد يكون قبر (غورديون الثالث).

نقل عدد من تماثيل (ماري) إلى (المتحف البريطاني) و(متحف أستانبول)، أثناء الانتداب الفرنسي على (سورية)، وفي أوائل آب (1933)، كان ضابط المصالح الخاصة الفرنسي في (أبي كمال)، واسمه (كايان)، يتجول قرب (ماري)، فرأى جمعاً من الفلاحين يحفرون لاستخراج حجر، لوضعه كشاهدة لقبر، وكان ذلك الحجر تمثالاً ضخماً من الحجر الأبيض. يمثل إله الشمس (شمش) حامي (ماري). وزنه (300 كغ) تقريباً. نصفه الأسفل مخروط الشكل، وهو مزين بحزوز كحراشف السمك. وكانت على الصدر بقايا لحية طويلة مجعدة، لكن الرأس كان مفقوداً.

وعلى التمثال كتابة مسمارية ترجمتها: (يسمح - حدد) (Yasmach Adad) ابن الملك (شمشي - حدد) ملك (آشور) نصب هذا التمثال. ويدعو الرب (شمش) أن يسحق كل من يزيل اسمه ليكتب اسمه بدلاً عنه (متحف اللوثر). وتحت التمثال وجدت آثار معبد. ولم يعرف اسم تلك المدينة حتى اكتشف تمثال ملك (ماري) (لونجي - ماري) (Mari - Loungi) وفي أعلى كتفه العاري وجد نص يشير إلى اسم الملك واسم المدينة وكان الملك قد قدم تمثاله نذراً لمعبد (عشتار).

وبدأ دراسة الموقع (أندريه بارو) (Andre Parrot) عام (1933) حتى (1974) وبعدها استمرت التنقيبات تحت إدارة (مارغويرون) (J. C. Margueron) وعثر في الموقع على (20) ألفاً من الرقم باللغة البابلية الأكادية المسمارية (Cuneiform) غطت تاريخ المنطقة في القرنين (19 و 18) قبل الميلاد. وكشفت عن أسرار تلك المرحلة، وكان في الرقم مواضيع دينية واقتصادية وعسكرية وأدبية وقانونية وضرائبية وإدارية وتقارير ومهمات ملكية. بعض الرقم كانت توضع في محفظة طينية، ينقش عليها نص الرقيم ذاته، تختم المحفظة بخاتم مرسلها. فيعرف المرسل إليه محتويات الرقيم دون كسر المحفظة. وإن شك بالتزوير يكسرها ليتمكن من قراءة الرقيم الداخلي الأصلي. وهذه الرقم المكتشفة مهمة جداً لأنها سجلات ملكية تؤرخ أحداثاً حصلت في ذلك

الزمن الغابر. وتعرفنا على أشخاص وأمور مهمة، وتعطينا فكرة عن سياسة وديانة وجغرافية وأحوال ذلك الزمن. بعض هذه الكتابات كانت باللغة التدمرية والهلنستية والبارثية والرومانية.

كشفت الحفريات عن طبقتين حضاريتين. الأولى أكادية من عهد ما قبل (سرجون). والثانية عمورية من عهد (زيمري - ليم) (Zimri - Lim)، وحمورابي البابلي (1782 - 1759 ق. م). في عهد ما قبل (سرجون)، كانت الكتابة نادرة في (ماري) ، لذا وجدت رقم قليلة في القصر الأعلى، فيها بيانات وحسابات للحياة اليومية، تتعلق بالقمح والزيت والأغنام.

كانت (ماري) محطة على طريق الحرير، وكان يتفرع منه طرق رئيسية منها:

1 - طريق يمر (بالطيبة)، (الكوم)، (السخنة)، (تدمر).

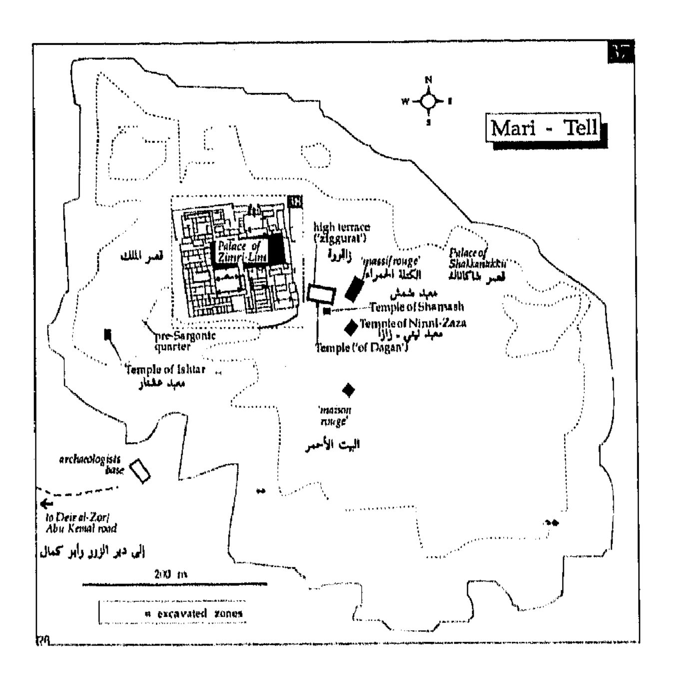
2 - وآخر يمر (بحلب)، فالساحل.

3 - وآخر إلى (الخابور) (فكركميش) و (الأناضول).

وصف المدينة:

تقع على تل بيضاوي يرتفع (4.5 م) عن الأرض المجاورة. أقصى طول له من الشمال إلى الجنوب (1.2 كم) ونفس الشيء من الغرب إلى الشرق هندستها مشابهة للمدن الآشورية. كانت مستديرة تغطي هكتار ونصف، حولها سور وخندق. فيها قنال ماؤه من نهر (الفرات). مكّن السفن من الدخول إليها. لنقل البضائع إضافة إلى تزويد المدينة بالمياه للشرب، ومراقبة الملاحة في نهر (الفرات). ثم تغير شكلها وصارت أقطارها حوالي (1000 X 600 م).

بنيت (ماري) بالآجر، لعدم توفر الأحجار في منطقتها. فيها أحياء سكنية عديدة، زودت بالمرافق والخدمات العامة ودورات المياه. وفيها معابد، وأكثر من (650) مدفناً. كما شقت قناة ماء ملاحية طولها (120 كم) تصل بين نهر (الخابور) ونهر (الفرات).



مدينة ماري

قصر (زيمري ـــ ليم):

الوصف التالي هو لما وجد عليه القصر عند اكتشافه. ولكن العوامل الجوية غيرت من معالمه فيما بعد.

ويعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، اكتشف عام (1934). أول من بناه كان (شاك كاناك إيشتوب إيلوم) أي (الملك إيشتوب إيلوم) الذي بنى أيضاً (الزاقورة) ومعبد (دجن). كان الملوك يجددون القصر ويضيفون إليه أبنية أخرى حتى صار من أشهر قصور ذلك العصر. وحمل اسم آخر من سكنه وهو الملك (زيمري ـ ليم)، وكان أحد أعاجيب ذلك العهد، لذا أرسل ملك (أوغاريت) ابنه لزيارته والتفرج عليه. ولكن (حمورابي) البابلي دمره حوالي عام (1750 ق. م).

مساحته (2.5 م) هكتار. وهو شبه مستطيل أقصى أبعاده (120 X 200

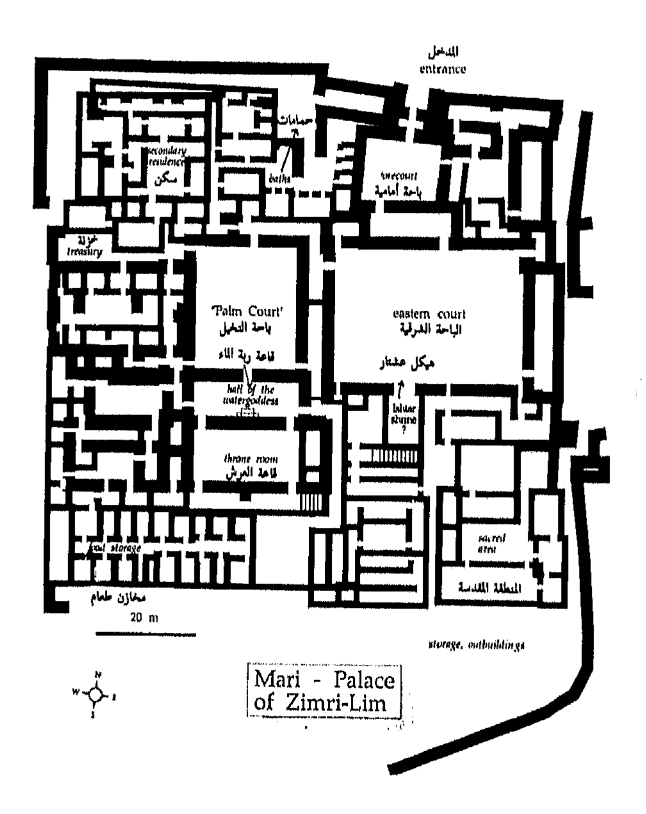
م). ويتألف من كتل معمارية من طابقين ويضم حوالي (260) قاعة وباحة و (40)ممراً. هندسته سومرية. وكان مبنياً باللبن ومطلياً بالطين المخلوط بالتبن. أساساته من الحجر والآجر. ليس له نوافذ، وأبوابه خشبية، وسقوفه من جذوع الأشجار. كسوة الجدران الخشبية كانت محفورة ومدهونة بالألوان الزاهية. والعضائد الجدارية كانت مزخرفة بالجص والألوان. غرفه لها أفاريز مزينة بأشكال هندسية. ارتفاع جدرانه بين (1.80 و 5 م).

مدخله الرئيسي كان في الشمال الشرقي، عرضه (5 م) وعلى جانبيه برجان يتقدمه درج مبلط بالحجارة. والقصر كان محاطاً بسور منيع. وارتفاعات أسطحته متفاوتة. وفيه باحات صغيرة وممرات متعرجة للدفاع. وكان فيه قاعات، وباحات، وحمامات، ومغاطس، وبيوت نار، وأحواض ماء، بارد وساخن، وأوعية لتسخينها ودورات مياه. وفيه مستودعات للمؤن والملابس والأثاث وأدوات الطبخ والعدد وأيضاً للمجوهرات وأدوات الزينة. كما يوجد مطابخ وأفران خبز وكعك، وكانت تصنع في قوالب مختلفة الأشكال. وكانت القدور والأواني والأدوات تصنع من المعادن أو الفخار في القصر نفسه. كما وضعت المؤونة في جرار ضخمة كالقمح والزيت والخمر لحمايتها من التلوث والقوارض. وفي القصر دوائر حكومية، ومدارس، ومصانع، ومعابد، وحصن، وغرف للإدارة. أما الوثائق والرقم المكتوبة فقد كانت توضع في مستودعات لأبوابها أقفال، والقفل مربوط بخيط ومعقود بكتلة من الطين مختومة بختم أسطواني. وكلما فتح الباب نزعت الكتلة الطينية وفك الخيط. وعند الإغلاق لا بد من كتلة طينية وختم جديدين.

وكان الملك يستطيع أن يتنقل بين سكنه وقاعة العرش وقاعة الجلسات والأجنحة المهمة في القصر دون أن يراه غريب. وكانت الدهاليز متفاوتة الأطوال ومتعرجة دائماً لإعاقة المهاجمين.

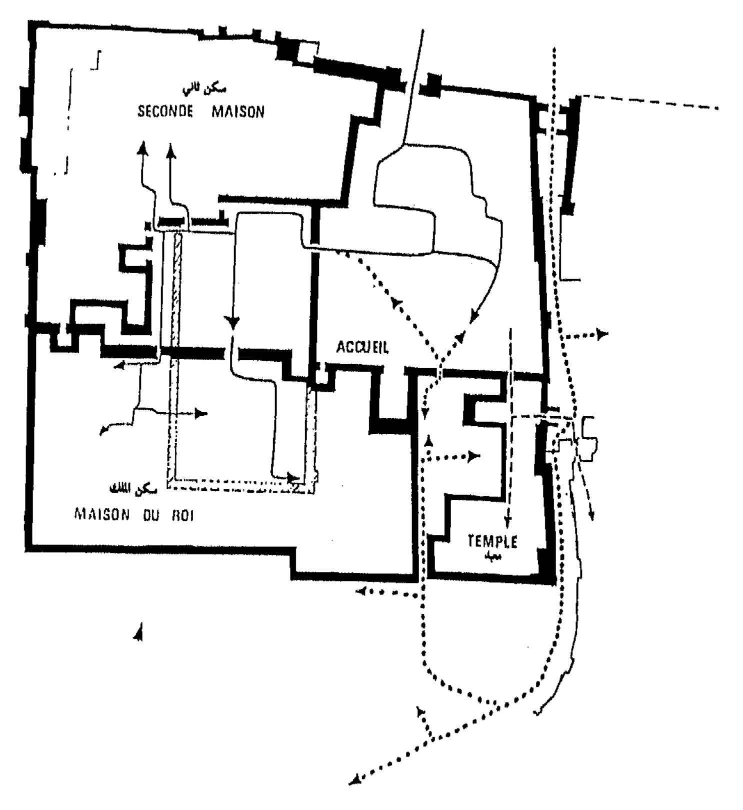
احتل البابليون (ماري) مرتين. الأولى سنة (33) والثانية سنة (35) من حكم (حمورابي). ودمروا الواجهة الشرقية. لذلك نجد شكلين من البناء:

الإتقان في المداميك السفلية القديمة، والعكس في المداميك العلوية الحديثة. لأن الملك (زيمري - ليم) اضطر للإسراع بالبناء وإصلاح المتهدم من الجدران تحسباً من هجوم جديد.



ماري ـ قصر زمري ليم

في القصر بئر قطره (2.8 م) من الآجر والحجر يقع على حافة السور الشرقي. وخزان ماء. في الجهة الشمالية الشرقية من القصر يوجد مرآب لعربات الملك. أما في الجهة الجنوبية المهدمة فكان من المحتمل أن يوجد ممر لتأمين المواصلات إلى منطقة المخازن، حيث المستودعات والمشاغل.



ماري ـ قصر زمري ليم كما هو الآن

باحة النخيل:

باحة سماوية أطوالها (33 X 49 م). كانت مركز الحياة الرسمية والإدارية في المملكة. وهي مبلطة بآجر مربع عدا منطقة صغيرة في وسطها. وحولها توضعت الغرف واسمها كما أتى في إحدى اللوحات هو (باحة النخيل) ربما لوجود شجرات النخيل فيها. بعض جدرانها كان مدهوناً على شكل المرمر. وبعضها كان مخدداً.

قاعة جلسات الملك:

تقع جنوب باحة النخيل حيث كان الملك يستقبل زواره وموظفيه. يقود إليها درج فخم من الآجر نصف دائري. يتألف من ثلاث درجات، أعلاها تشكل عتبة المدخل، باب القاعة عريض حوالي (4.5 م). والقاعة مستطيلة. كان فيها منصة منخفضة ترتفع درجة واحدة، تستند على الحائط الجنوبي حيث موضع العرش.في القاعة زخارف جدارية تعطينا فكرة عن مراحل تقديم الأضاحي الملكية وهي الإراقة والنار. والمشهد يمثل مارداً يمد ذراعيه إلى سماء مرصعة بالنجوم.

في القصر باحة أخرى فخمة كانت للاحتفالات الدينية، أبعادها (29 X 26 م). أرضيتها مفروشة بعدسة ملساء. وجدرانها مغطاة بالجص، وعليها لوحات تصويرية كبيرة.

كما وجد في أحد أحواضها رأس ربة الينبوع.

وجد على يمين الباب بين الباحة ذات العدسة وقاعة المنصة وعلى مستوى العين مشهداً يمثل (زيمري - ليم) في الوسط، يمسك العصا والحلقة أي رمز السلطة اللتين تعطيهما له الربة (عشتار). وخلف الملك ربّة وخلف (عشتار) الهة. وتحت هذا المشهد يوجد آخر وفيه ربتا الينبوع. تحيط بهما أمواج مليئة بالسمك. رمز الخصب والرفاه. وأسلوب هذين المشهدين سومري. وعلى طرفي المشهدين السابقين يوجد مشهدان متماثلين في كل واحد منهما نوعان من الشجر شجرة نخيل واقعية وشجرة بأسلوب هندسي. يتسلق رجلان شجرة النخيل وعلى رأسيهما طير أزرق تهيأ للهرب. بينما يحرس الشجرة ذات الأسلوب الهندسي ثلاثة من الأسود المجتمعة لدرء الأذى. وفي الزاويتين السفليتين وقفت ربتان في حالة تضرع وابتهال. إلى جانب مشهد التنصيب يوجد مشهدان يمثلان تقديم الأضحية حيث يتقدم الملك الحاشية ويصحبه كاهن يسوق الثيران للأضحية.

وهذه المشاهد تعود إلى القرنين (19 و 18 ق. م) وتوزعت بين متاحف

(دمشق) و (حلب) و (اللوفر). وعثر على عدد كبير من المشاهد في قاعة بالقصر. كما وجدت مشاهد تخلد انتصارات (زيمري ـ ليم) على أعدائه.

قاعة المنصة:

يمكن الوصول إليها من الباحة الثانية. وفيها منصة مجهزة بدرج مزدوج. وسطحها العلوي من حجر يشبه المرمر. تستند على قاعدة مذبح دمره الحريق.

قاعة العرش:

وهي بعد قاعة المنصة. مستطيلة الشكل أبعادها (6.35 X 11.70 م). عند الضلع الصغير الغربي بلاطة من الجص هي موضع العرش. وعلى الضلع الشرقي سدة أبعادها (25 .5.40 X2م) وارتفاعها (1.68 م) تؤدي إلى درج مؤلف من (11) درجة آجرية. وجد تمثال (إيشتوب إيلوم) أسفل هذه السدة. إلى جانب هذا التمثال وجدت عدة قواعد صغيرة كانت تحمل تماثيل أخرى ولكنها فقدت.

وتمثال (إيشتوب ـ إيلوم) سليم عدا الأنف فهو مهشم. ارتفاعه (1.52 م) وأسلوبه سومري جديد واقعي. وهو من البازلت. ووجد أيضاً تمثال (ربة الينبوع) وهو من الحجر الأبيض اللين. وكان مكسوراً إلى قطعتين وجدتا أسفل السدة أيضاً. أما الرأس فقد وجد في حوض بالباحة ذات الأرض المفروشة بالعدسة الملساء.

مصلى من عهد ما قبل سرجون:

فيه قاعة صغيرة مبلطة ببلاط جميل من الفخار المشوي من عهد (زيمري ـ ليم). وكان فيها مذبحاً من اللبن من القرن (20) أو (19) قبل الميلاد. واجهة المذبح مزينة بخمسة محاريب مستطيلة. إلى جانبه درجات صغيرة من الطين.

تحت هذا المذبح وجد آخر. له درج على طرفه الجنوبي. وهو من (2000 ق. م). واجهته ليس لها محاريب ولا عضائد.

وهناك مذبح ثالث تحت هذا المذبح وله أيضاً درج. أرضه جصية. وجد فيه صندوق بداخله بعض من خرزات عقد. يعود إلى عام (2500 ق. م). وهو على مستوى القصر العلوي من عهد ما قبل (سرجون). تحته منصة منخفضة مطلية من الأعلى بالجص حولها وجدت خرزات الكورفالين واللازورد والذهب. ووجد في أسفل هذا المذبح صندوق مبني بقي منه بعد نهبه بضع خرزات من عقد ووجدت خرزة كبيرة من الذهب على قاعدة من الزفت في حفرة هناك.

يوصلها بالقاعة الكبرى باب عرضه (3.90 م) وهو من أضخم أبواب القصر. أغلقت في وقت ما بجدار من اللبن لمنع الدخول إليها ربما لأنها أصبحت المدفن الملكي للسلالة العاشرة بعد الطوفان. وقد دفن فيها الملك لأنها مقدسة. وفيها مذابح متراكبة منذ بداية عهدها حتى فترة (زيمري ـ ليم) لسبعة قرون. كما يمكن حماية المدفن بسبب السور المبني من اللبن بجوارها.

القاعة الكبرى من عهد ما قبل سرجون:

أطوالها (7.5 X 23 م) وهي من أكبر وأجمل قاعات ذلك القصر. فيها بابان يؤديان إلى الباحة في الجهة الشمالية. وآخران في الجهة الجنوبية. وباب الجهة الغربية يؤمن حركة الاتصال مع باقي أجزاء القصر. وفي الجهة الشرقية يوجد مصلى من عهد ما قبل سرجون أيضاً.

قصر الألف الثالث قبل الميلاد، عهد ما قبل (سرجون):

تحت قصر (زيمري ـ ليم) وهو من الألف الثاني قبل الميلاد، يوجد قصر آخر يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد أي عهد ما قبل (سرجون). وجد فيه قبر آشوري مزدوج، وضعت الجرتان فيه متقابلتين كي تتسع للميت. وتحت القبر وجدت منشآت تعود إلى ملوك حكموا قبل (زيمري ـ ليم). وكانت قصوراً متطابقة بعضها فوق بعض. اكتشف منها اثنان متراكبان من عهد ما قبل (سرجون). كان القصر الأسفل والأقدم أكثر إتقاناً بعمارته من الأعلى. ولا

يعرف سبباً لهجره وبناء الجديد فوقه. غطى هذان القصران مساحة كبيرة تحت قصر (زيمري - ليم). هندستها عبارة عن كتل مؤلفة من باحة تحيط بها غرف مبنية باللبن. وجدرانها مغطاة بالطين الممزوج بالتبن. وطرشت بالكلس الأبيض ثم زينت بالزخارف الهندسية على شكل ضفائر كما في معبدي (عشتارات) و (نيني زازا). واعتمدوا النواتىء والغوائر كزينة للجدران. والأبواب ضيقة لحفظ البرودة صيفاً والحرارة شتاءً. واستعمل الآجر المشوي والقار في بناء الصهاريج والأحواض والسطوح المربعة. أساسات الأبنية من الحجر الكلسي المنحوت بشكل بسيط. ووجد جدار ضخم واحد فقط مبني من الحجر ولا يعرف سبب بنائه. وهو أحدث عهداً من قصر الألف الثالث قبل الميلاد.

وكانت الأبنية مقسمة إلى الحي الرسمي والقطاع الديني. فالحي الرسمي له باحة، بابها كبير أمامه منصة. يدخل منه الملك ليقف فوق المنصة مستقبلاً زواره. أما القطاع الديني، فيوجد على الجدار الشرقي من باحته مذابح متراكبة مبنية من اللبن، وهي من الأعلى إلى الأسفل.

مستوى عهد (ياهون - ليم). والد (زيمري - ليم).

ثم مستوى (أور) الثالثة.

ثم مستوى ما قبل (سرجون) من عهد القصر.

في كل مستوى مذابح من اللبن مزينة بأحد عشر محراب مبنية فوق أرضية من الجص. عند أسفل المحاريب توجد قوارب مخصصة لجمع السوائل.

وتحت هذا المستوى العميق يوجد القصر الأسفل. وفيه توجد فسحة صغيرة أمام الجدار، فيها ثلاث بلاطات من الحجر الكلسي، مجهزة بمجاري لتفريغ السوائل التي تصب عند طرف البلاطة في قوارب من الجص أو البرونز. وعلى نفس السوية توجد منصات قرابين وصناديق مطلية الجوانب محفورة في الأرض.

في أرضية الباحة توجد ودائع مدفونة، وهي ثلاثة مسامير مثبتة في حلقات مسطحة كلها من البرونز. وإلى جانبها ثلاث لوحات من اللازورد

والفضة والرخام الأبيض السادة، وهي قرابين لا بد من وضعها قبل استعمال المكان. والبناء مجهز بأبواب عديدة تسهل الحركة في الاحتفالات الدينية. كما أن الممرات الثلاثة مطلية بالقار تجنباً للوحل.

وفي هذه الباحة كانت تقام احتفالات يجري فيها الاغتسال لوجود حوض كبير مبني على حافة الممشى المزفت. ثم تبدأ المواكب لتقديم فروض الطاعة للملك الحي أو لجثمانه في القاعة الصغيرة.

وجد في هذه الباحة (12) صندوق، ستة في كل جهة عند الأبواب المؤدية إلى القاعة الكبرى من الجهة الجنوبية من الباحة. كما وجدت في الباحة أيضاً جرار برونزية كبيرة. وكانت االجرار والصناديق منهوبة.

في الزاوية الشمالية الغربية من القصر توجد أجنحة لسكن الأسرة المالكة. اختيرت في هذه الزاوية لبعدها عن الضجة. ولتوفر الأمان فيها، لأن سماكة السور حوالي (13 م). تشكل هذه الأجنحة 20/1 من مساحة القصر. كانت مؤلفة من (23) غرفة، متوضعة حول باحة مكشوفة، أبعادها (12.5 X 9.3 م)، أرضيتها من الجص الأبيض.

غرفة الملك مبلطة بآجر جميل، وفيها لوحة مزخرفة. وغرفة الملكة بسيطة. لها حمام فيه مغطسين، وسخان ماء، ومصطبة لها مساند ملساء.

وجعلت الباحة للاسترخاء والراحة. أرضها من الجص الأبيض. وصورت لعبة (حجرة الرمل) ذات التسع تربيعات، الأرض والحيطان ونعلة الممر و(حجرة الرمل) دهنت بدهان يشبه المرمر.

ويمكن الوصول إلى قاعة الاستقبال في جناح سكن الأسرة المالكة عبر باب ذي مصراعين. وكانت مزخرفة حتى ارتفاع المترين بإفريز تتكرر فيه جديلة مزدوجة ذات لون أزرق كوبالتي، منزلة بين فواصل لونها أبيض ضمن شرائط مستطيلة متوازية. وهي تزيينات وجد مثلها في بعض الغرف الأخرى.

في إحدى قاعات الجناح الملكي عثر على (11) جرة آذانها ملتصقة بالرقبة و (56) جرة آذانها ذات فصين و (29) رقبة لهذه الجرات وأذنان مختلفتان.

جناح الموظفين:

ويقع في المنطقة الغربية. كل غرفة فيه مبلطة ولها حمام فيه مغطسان من الخزف على قاعدة من الآجر المطلي. في الزاوية مرحاض بني من الآجر المطلي. وفي الجدران خزن وصناديق صغيرة وجد في واحدة منها طاسة من الخزف لغرف الماء من المغطس.

في الزاوية الجنوبية الغربية مدخنة على شكل أنابيب من الطين المشوي متصلة ببعضها البعض. يزداد الأنبوب اتساعاً باتجاه الأسفل ليستوعب الذي يليه، وهكذا حتى تصبح المدخنة من الأسفل على شكل وجاق فوق الموقد.

نحو الجنوب توجد باحة مبلطة كانت لاستخدام وكيل القصر. ثم يأتي جناح المطابخ وفيه فرن دائري كان مقبباً.

في نهاية القصر كتلة معمارية تشبه السوق تتألف من ممشى على جانبيه مشاغل ومخازن.

المنطقة الشرقية الشمالية:

وفيها حوالي عشر غرف وباحة. خصصت للمسافرين والسعاة الذين يأتون بالبريد، إذ كان على القصر أن يقدم لهم السكن والطعام. وجد في المواقد بقايا من الفحم الخشبي. وعثر على أكثر من (50) قالباً خزفياً لصنع المعجنات.

الزاوية الجنوبية الشرقية:

في الباحة يوجد طريق صاعد طويل، يقود موكب الطواف إلى معبد صغير، وهو مصلى أكثر منه هيكل، كانت تقام فيه طقوس العبادة، فيه قاعتان

صغيرتان تؤلفان بهو مقدس فيه منصة. ولقد وضعت تماثيل ملوك (ماري) في صندوق الأساس المصنوع من بلاطات حجرية جميلة في المدخل. هذا الجناح يقع في ذروة منحدر التل حيث أكملت العوامل الجوية ما بدأه جنود (حمورابي) من خراب.

المدرسة:

كان في القصر الملكي مدرستان في الزاوية الشمالية الغربية لقاعة النخيل. بين الجناح الملكي والجناح الرسمي. بعيدتان عن الجناح الملكي وقريبتان من جناح الموظفين تقابلهما الباحة التي تقود إلى قاعة التسجيلات. وتعتبر أقدم مدرسة عثر عليها علماء الآثار. فيها عدة صفوف من المصاطب الصغيرة المبنية من اللبن استعملت كمقاعد للطلاب. ووجدت ألواح من الطين بين المقاعد. كانوا يستعملونها لتعلم الكتابة والحساب. كما عثر على زوارق لوضع أدوات الكتابة كانت لا تزال تحتوي على أصداف صغيرة بيضاء قد تكون لتعليم الحساب. وكان لمن يتقن الكتابة والقراءة مستقبل عظيم، إذ يصبح موظفاً أو كاتباً أو معلماً في القصر، أو مستشاراً لتجارة الناس وحساباتهم ومراسلاتهم وأعمالهم. وكانت الدراسة على مرحلتين: الابتدائية وعدد التلامذة كبير يملؤون قاعة المدرسة. والمتوسطة وعددهم أقل لذا يستخدمون الغرفة الصغيرة. وكان على التلامذة إتقان (600) إشارة مسمارية كتابة وقراءة. وبعدها يتعلمون الحساب واللغة السومرية القديمة.

في المدرسة قاعتان تضم الكبرى (45) مقعداً مختلفة في أطوالها. وتضم الصغرى (23) مقعداً. والقاعتان مبلطتان بالآجر الجميل. وغطيت الجدران بالطين المخلوط مع التبن. ما تزال عليها آثار الحريق الذي حصل في القاعتين والذي التهم درجاً خشبياً كان يؤدي إلى السطح. كما وجدت قاعة كبيرة جنوب قاعة الجلسات. تتألف من ثلاث صفوف من المقاعد متساوية المقاييس.

وتختلف عن المدرستين الأخريتين إذ لا يوجد بها زوارق أدوات الكتابة ولا لوحات ولا أصداف. بل فيها ثلاث جرار كبيرة وثلاث جرار صغيرة مبعثرة عند المداخل وبين المقاعد. تشبه المعمل أو الفرن. وتجهيزاتها بوتقات لمعالجة فلزات المعادن الثمينة. كما وجد فيها بقايا رماد فحم خشبي.

سور القصر:

يحيط بالبناء سور من جهات ثلاث هي الغربية، الجنوبية، والشرقية. والسور عبارة عن جدران شاهقة وسميكة. ارتفاعه حوالي (2.2 م). ولم يكن متماثلاً في كل أقسامه من حيث السماكة إذ يتراوح بين (1.8 م) و (15.3 م). وكان الأسمك في الزاوية الشمالية الغربية حيث غرفتا الملك والملكة. الجانب الشرقي من السور مواز للجدار الكبير من سور قصر (زيمري ـ ليم). والسور من اللبن المنضد والمطلي بطبقة ملساء من الطين. في الزاوية الشمالية الغربية أبراج مراقبة تؤدي إلى السطح. ولا يعرف إن كانت الزاوية الجنوبية الغربية مماثلة لأنها تهدمت تماماً. إن كانت مماثلة تكون أبعاد ضلعا القصر (237 و 148) والضلعان الآخرين (135 و 155 م). ومحيطه حوالي (675 م) وبذلك يكون أكبر مساحة قصر من الألف الثاني قبل الميلاد في منطقة الشرق الأوسط. تحت السور هذا يوجد جدار لقصر أقدم ارتفاعه (1.5 م). وتحته جدار لأعتق قصر وارتفاعه (2.8 م). فيكون الارتفاع الكلي (6.50 م). مادة البناء كانت من اللبن والحجر والآجر. وبنيت أساسات وقواعد الجدار الشمالي من الحجر الكلسي. وهناك بناء من الحجر المنحوت في الزاوية الشمالية الغربية، في أحد أطرافها كتلةضخمة هي حجر الزاوية في المبنى. يتراكب فوق هذا السور سور قصر (زيمري ـ ليم).

المعابد:

يوجد عدد من المعابد في (ماري) فوق بعضها. الأول من الألف الثالث وعلى أنقاضه بني المعبد الثاني ثم الثالث من عهد (زيمري ـ ليم). هدّمه جيش

(حمورابي) وهناك نوعان من المعابد تمثل نمط المعابد السورية تحرسها لبوات برونزية وهي: معابد مربعة. لها أدراج مثل معبد (نينهورساغ). ومعابد برجية (الزاقورة). كما وجد في (ماري) معابد مؤلفة من قوس واحد كما في معبدي (نيني زازا) و (عشتارات) وقدسان كما في معبد (عشتار) جميعها كانت مزينة، مليئة بالتماثيل التي وهبت للآلهة. وكانت النذور توضع في الأقداس كما تقام فيها الشعائر. وكان للمعبد كتبة تسجل صادراته ووارداته من أموال الجباية. كما كان في باحات المعابد منصات لتقديم الأضاحي في أسفلها قوارب لجمع الدماء.

عبد سكان (ماري) حوالي عشرين إلهاً أشهرها:

(عشتار) أو (عشتارات) (Ishtarat) ربة الحب والجمال والحرب. وكانت تعبد في معظم بلاد ما بين النهرين، وهي ربة آشورية، بابلية فارسية.

(نيني زازا) (Zaza - Nini) ربة سومرية.

(دجن) (Dagan) إله الحبوب. وكان معبوداً فيها منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

(شمش) (Shamash) إله الشمس.

(نينهورساغ (Ninhurasag)).

(أنو وانيل) و (أشنان).

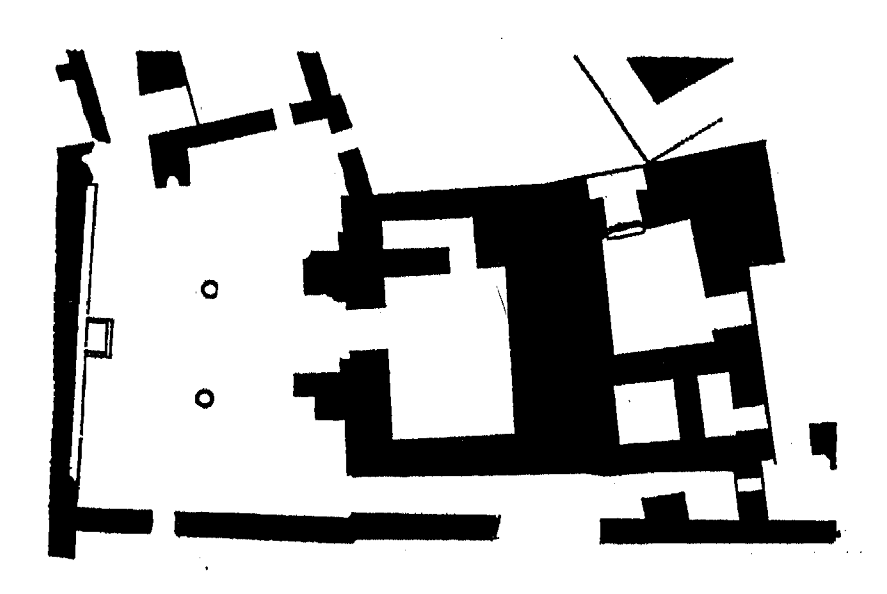
معبد (عشتار) أو (عشتارات):

هي ربة الحرب والخصب والحب. هندسته مشابهة لمعبد مدينة (آشور). ويقع قرب السور. هدّمه (سرجون ـ أغاديا) وشوّه تماثيله. وجد فيه حوالي (300) تمثال صغير. من بينها تمثال الملك (لونجي - ماري) (Mari - Longi). وكذلك تماثيل صغيرة للمتعبدين لتنوب عنهم بالصلاة عند غيابهم عن المعبد. كتب الاسم على الأكتاف مع بعض الشروح باللغة المسمارية (Conceiform) وجميعها من الألف الثالثة قبل الميلاد. يرتدي المتعبد عادة جلد الخروف الطويل

(كوناكس)، ويكون حافياً واضعاً يديه على صدره ورأسه حليقاً. والعظماء لهم لحى. العيون من عاج. والبؤبؤ من اللازورد (Lapis Lazuli).

معبد نينهورساغ (Ninhorsag):

كشف عن باحته. وبقيت قاعة الهيكل مختفية تحت معبد الأسود الذي بناه الملك (أيشتوب - ايلوم) وهوسلف (زيمري - ليم) وهو من عهد (أور) الثالثة أي الألف الثاني قبل الميلاد.



ماري ـ معبد نينهورساغ

الزاقورة (ساكورا) أو الكتلة الحمراء:

وهي معبد برجي يرمز إلى الصلة بين الأرض والسماء. ونمطه سومري - بابلي. من عهد (أور) الثالثة أي بداية الألف الثاني قبل الميلاد أي في عهد (زيمري - ليم). بنيت الزاقورة وسط التل، لونها أحمر لأنها نصف مشوية.

وغلفت باللبن الرمادي. وهي بدروها مبنية فوق بناء أقدم عهداً. أبعادها (25 X 42 م) ارتفاعها (14.55 م). واجهاتها الشمالية والغربية زينت بأكملها بمحاريب ونتوءات مضاعفة متتالية. في قاعدة الزاقورة مجموعة من الهياكل الصغيرة فيها عضادات وفجوات عليها بعض التقدمات من صفائح صدفية وقناع مذكر وفخار ونذور. تهدم أعلى (الكتلة الحمراء) بسبب العوامل الجوية ولا يمكن التعرف على المعبد المقام عليها حيث يضع الرب القادم من مقر الآلهة، قدمه على الأرض للصعود إلى الأعلى. بنيت الجدران على شكل مدرج بدون درجات. مركز (الكتلة الحمراء) أقدم من بقية البناء، ويعود إلى عهد (ما قبل سرجون). وجد فيه ودائع أساسية وهي مسمار مغروز في حلقة مسطحة وكلاهما من البرونز، ومعه ثلاث لوحات غير منقوشة من اللازورد والفضة والحجر الأبيض. و(الزاقورة) تغطي كامل القسم الديني من معبد (دجن) وهو من عهد (ما قبل سرجون).

معبد الأسود أو معبد دجن:

كان لعبادة إله الحنطة (دجن) بناه الملك (إيشتوب - إيلوم) حوالي عام (2100 ق. م). تحرس مدخله أسود برونزية وضعها الملك (زيمري - ليم) وهو خلف الملك (إيشتوب - إيلوم). عثر في المعبد على لقى كثيرة منها: أسد برونزي، تماثيل عديدة، نقوش جدارية ملونة.

نقل تراب (الكتلة الحمراء) لردم معبد (دجن) من عهد (ما قبل سرجون) وذلك لإعداد ساحة فخمة (للزاقورة).

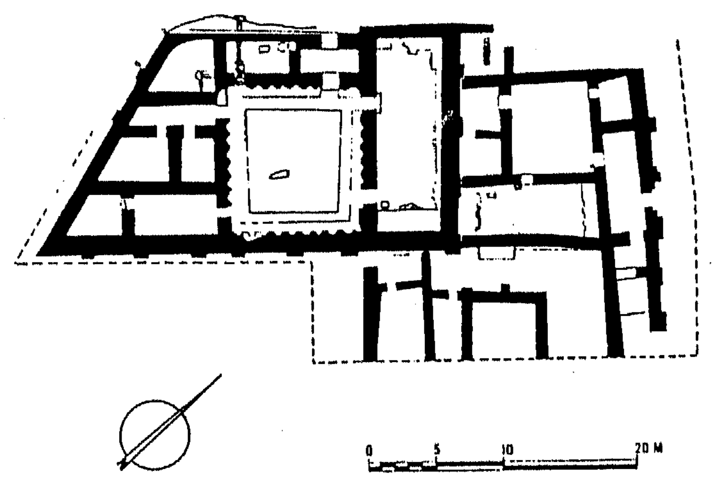
اكتشف إلى الشرق من معبد (الأسود) بناء يبدو أنه كان مقر قائد الحامية الأجنبية. ولا إثبات على ذلك.

معبد (شمش) (Shamash):

كشف عن باحته. وجد فيها جدار ذو بروزات وتدعيمات. ومزود بقوارب من الطين. فيها باب يؤدي إلى حفرة لا تعرف وظيفتها. وجدت فيها قطع خزفية رمادية عليها زخارف محفورة من الألف الرابع قبل الميلاد.

معبد (نيني زازا):

اكتشف عام (1935). فيه ممر للطواف قبل الدخول إلى قاعة قدس الأقداس. تحيط بالباحة أرضية مطلية بالقار. وجدرانه مزينة بتجاويف يحيط بها من الطرفين عضادات. في الوسط نصب هو عبارة عن حجر بازلتي كبير على شكل مخروط.



ماري ـ معبد عشتارات ونيني زازا

قبور ما قبل عهد (سرجون):

كانت قبور (ماري) في بداية الألف الثاني بسيطة. يسجى الميت في وعاء من الفخار، أو في جرة كبيرة توضع عمودية مع ميل بسيط، وكان الأثاث الجنائزي عبارة عن جرار فيها المؤونة سواء منها الصلبة أو السائلة. بعض هذه الجرار كانت تحمل تزيينات محفورة أو نافرة. على واحدة منها مشهد ديني فيه يقدم أحد المؤمنين عنزة إلى إله جالساً على كرسي دون مساند وعلى رأسه قرنان كاملان وهما رمز الألوهية. والمشهد كله بين أسدين نافرين.

وكانت الأطفال تدفن في أوان فخارية ذات أغطية متحركة. وجد بعض منها مرصوفة أسفل جدار في إحدى الغرف. وكانت سليمة لفقرها.

وأحياناً كان الميت يوضع في قبر من الآجر. وهو امتياز للملوك والأمراء والأغنياء. وقد وجدت بعض هذه القبور وهي من الألف الثالث. والملوك كانت قبورهم من الأحجار الكبيرة. وجد فيها ثلاثة من الشمال الشرقي من (الزاقورة)، وهي عبارة عن بناء من بلاطات كبيرة من الجص مسقوفة بكتل حجرية ضخمة، تحملها دعائم مائلة لها أربعة جدران، وجدار في الوسط يقسمها إلى قسمين متشابهين. وكان المدخل في جدار سد بحائط هدمه اللصوص ونهبوا القبر. ولم يبقَ من الأثاث الجنائزي إلا قطع فخار مكسرة، وبضعة خرزات كريستال صخري، وبقايا عقد وبعض التمائم.

كما وجد قرب معبد (عشتار) ثلاثة بنود حجرية من نفس الطراز منهوبة أيضاً. ودفنت عامة الشعب دون تابوت في تراب الأرض، وأحيطت بجرار صغيرة هي كل الأثاث الجنائزي.

قبور الآشوريين:

أقام الآشوريون مقبرتهم في الباحتين الكبيرتين في قصر (زيمري - ليم). وكذلك في الأحياء الواقعة شمال (الزاقورة). وكانت سليمة غير منهوبة.

هناك عدة أنماط من المدافن: يوضع الميت بوضعية الجنين في رحم أمه على جنبه ويدفن هكذا تحت التراب. أو يكون الميت بوضعية الجنين داخل جرتين كبيرتين من الفخار متلاصقتين عند القاعدة، واتجاه الجرار غير مهم. وتوجد أيضاً قبور لنساء النبلاء والضباط. كما تترك قطع من الأثاث الجنائزي بالقرب من الميت سواء كان قد دفن في التراب أو في الجرار.

ووجدت قطع هامة وغنية من الأثاث الجنائزي في عدة قبور منها: فخار منوع، أواني من مسحوق الزجاج اللامع على شكل علب ملبس لها أغطية، حبابات، كؤوس، جرار وأقداح. كما وجدت علبة ملبس مضلعه من الألباستر. ذات غطاء مزين بوردات متحدة المركز. وعلب خشبية ذات شكل مماثل، وقطع

برونزية منها أساور وخواتم ومرآة وجعبة مع سهامها الحديدية. كما وجدت ثلاثة أقنعة لرجال مرد من مسحوق الزجاج لها زوائد متطاولة تمثل الأذنين، وهي مثقوبة بثلاثة ثقوب تمرر منها خيوط لتثبت القناع على صدر الميت. قد تمثل ملاكاً حارساً شاباً عديم الجنس يرمز إلى الشباب والخلود. وعقد من الكورنالين والعنبر المرصع، وعقد آخر من الكورنالين على شكل الرمان. وحلق ومخارم من الذهب.

وجدت هذه القبور جميعها سليمة لم تنهب رغم قربها من سطح الأرض.

قبور البابليون:

ترك البابليون الجدد في (ماري) بعض القبور المماثلة لقبور الآشوريين أي: جرتان كبيرتان، متلاصقتان عند القاعدة لتستوعب الميت. ووضعيته تختلف عن الآشوريين لأن الجسد كان ممدداً على ظهره دون ثني. ويدل الأثاث الجنائزي على أن أحوالهم المادية كانت ضعيفة.

قبور السلوقيين:

وجدت قبور سلوقية في (ماري) وهي عبارة عن خوابي كبيرة طويلة وعريضة قطعت منها قطعة عند بطنها وتدخل الجثة في الخابية ثم تعاد القطعة إلى مكانها لتغطي الجسد الميت كله. ووجدت هذه القبور في حيين من المدينة: شمال شرق وجنوب شرق الكتلة الحمراء (الزاقورة) وهي سليمة رغم قربها من سطح الأرض. ولم تنهب لأنها فقيرة جداً. في واحد من القبور الخابية الفخارية وجدت جثة امرأة ترقد على ظهرها. وضع على صدرها قربانان هما سلة مستديرة من القصب المجدول فوقها صندوق خشبي. كما وجدت جثث ملفوفة بأكفان من القماش أو الجلد لتحمي الرأس والساقين وهي بحالة جيدة. أما الأثاث الجنائزي فكان عبارة عن أباريق فخارية لها آذان. وأقراط فضية، وأساور برونزية، مزينة برؤوس أفاعي.

فن النحت في ماري:

اشتهرت (ماري) بمدرسة خاصة للنحت والتصوير والرسوم الجدارية. انتشرت حتى إلى الممالك المجاورة. كانت تماثيلها إما بالحجم الطبيعي أو من حجوم صغيرة متعددة. كان بعضها لأغراض تجارية، تباع كنذور إلى جانب المعبد. وبعضها الآخر له صفة خاصة مثل تمثال (أورنينا) المغنية أو الراقصة في المعبد وفي بلاط الملك (أبلون - إيل). وحينما هدّم حمورابي مدينة (ماري) انتقلت مدرستها للرسوم الجدارية إلى (دورا - أوروبوس) ومنها إلى (تدمر) حيث نقلها (الرومان) إلى (أوروبا). وقد وجدت رسوم على الجدران، وعلى قوالب الحلوى الفخارية، بأشكال إما هندسية أو طيور وحيوانات.

من أشهر تماثيل (ماري):

ربة الينبوع:

وجد مكسوراً إلى قسمين. واحد منهما وجد أسفل السدة، وكان الرأس في حوض بالباحة للسخرية. أنفها مهشم وعيناها خاويتان من تنزيلاتهما. شفتيها فاتنتين. وتمثل فتاة بالحجم الطبيعي تحمل جرة مائلة إلى الأمام لسكب الماء. وهي من حجر (الألاباستر) الأبيض الصافي، وزنه (200 كغ). ويعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. ترتدي ثوباً طويلاً تزينه سمكات صغيرة صاعدة وهابطة.وتمثل الأسماك الصغيرة الخير الوفير. تنساب غدائرها علىظهرها وكتفيها. لها قرنان يلتفان إلى الأمام وهي إشارة إلى أن صاحبة التمثال ربة. وهذا الرمز منحدر من اعتقادات قديمة حينما كان الإنسان يعبد (الطوطم) وهو حيوان خاص بالقبيلة. كان المشرفون على المعبد يوصلون التمثال بمصدر ماء، ويراقب المتعبدون معجزة سيلان الماء من الجرة (متحف حلب).

تمثال إيشتوب إيلوم:

وهو ملك (ماري) من الحجر البازلتي (الديوريت) الأسود اللماع. وهو

أكبر التماثيل، الأنف مهشم. له لحية طويلة. ويلبس ثوباً طويلاً وقبعة سومرية. يبدو الملك واقفاً يضم يديه بوضعية الخشوع. كتب على كتفه الأيمن اسمه (إيشتوب ـ إيلوم) ومعناه: (الإله منحه الحياة).

تمثال أورنينا:

مغنية أو راقصة المعبد وبلاط الملك (أبلون ـ إيل). رغم صغره إلا أنه متقن فنياً ورائع جمالياً (متحف دمشق).

تمثال شيبوم:

عثر عليه في معبد (نيني زازا). كان التمثال هدية للملك (إيكوشاماغان).

تمثال عشتار:

ربة الحب والجمال والحرب. ترتدي قبعة عالية (كولوس).

تمثال إله الشمس (شمش):

من الحجر. ينقصه الرأس والأطراف السفلية. وهو بحالة متآكلة (متحف حلب).

وجد في حفريات (ماري) الكثير من التماثيل الصغيرة للمتعبدين. وهي تماثيل من حجر الألباستر في وضعية التعبد. تحمل على أكتافها أسماء أصحابها واسم المعبد الذي قدمت له. أهمها:

تمثال ملك (ماري) (إيدي ناروم):

وهو هدية إلى معبد (عشتار) (متحف حلب).

تمثال ملك (ماري) (لجي ــ ماري):

يتميز بأن رداء (كوناكس) يستر كتفه الأيسر فقط. ويسير مبتسماً بوداعة، (متحف حلب).

تمثال مقدم القربان:

وهو شخص يحمل خروفاً ضمه إلى صدره، (متحف حلب).

كنز أور:

هو كنز ملك (ماري) واسمه (كانو). يتألف من جرة فيها نقود ذهبية. وحجر لازوردي مثمن. كتب عليه بالمسمارية: «من (ميدا نينبادا) ملك (أور) إلى صديقه (كانو آد أنود) ملك (ماري) ». وكان في الجرة تماثيل وأدوات لطقوس العبادة، وأختام أسطوانية، وحلي وأدوات زينة، وتمثال من البرونز والذهب،وعقد ذهبي فيه حجر كبير ثمين، ودبابيس لشبك الملابس، وأساور ذهبية، ونسر كبير فارداً جناحيه.

وفي (ماري) وجدت قوالب حلوى من الفخار. كما وجدت آثار صدفية وعاجية. وكلها موجودة في متاحف (حلب) و (دمشق) و (اللوفر) في (باريس).



ماري ـ تمثال أورنينا

معلولا

تبعد (55 كم) عن (دمشق) و (30 كم) عن (صيدنايا) و (5 كم) عن (جبعدين) و (7 كم) عن (بخعة). تقع في النهاية الجنوبية لسلسلة جبال (لبنان) الشرقية. هي قرية من العهد الآرامي تعود إلى القرن (10 و 9 ق. م). أي الألف الأول قبل الميلاد. معنى اسم (معلولا) في المعجم (السرياني) (معلا) تعني (مدخل). (معليا) تعني (مرتفع سام، عال، رفيع...) وتعني أيضاً الهواء العليل.

كان اسمها قديماً (بنكرابوليس). وفي العصر (الهلنستي) كانت تسمى (سلوقية القلمون).

يتكلم أهل (معلولا) اللهجة العربية الآرامية التي تكلم وبشّر وصلّى بها السيد (المسيح). كما استعملها المسيحيون للصلاة في كل أنحاء العالم القديم. حالياً توجد أربع قرى في العالم كله تتكلم آرامية (المسيح) وجميعها في (سورية) وهي (جبعدين) و (بخعة) و (معلولا) و (قلدون).

سكانها الحاليون مسلمون ومسيحيون (روم أرثوذوكس) و (روم كاثوليك). بنيت بيوتها على سفح الجبل. وكثير من غرفها كانت كهوفاً حفرت قديماً في الصخور. وفيها فجّان: شرقي عند دير (تقلا)، وغربي عند دير (سركيس). ولجمال (معلولا) وغرابة تشكيلها العمراني، يقصدها الفنانون ليستوحوا منها رسوماً رائعة. كما يقام فيها احتفالات (عيد الصليب) في الرابع عشر من كل أيلول حيث يأتيها الناس ليستمتعوا بالعيد وأفراحه. و(عيد الصليب) هو تخليد لذكرى الإمبراطور (قسطنطين) حينما أرسل والدته (القديسة هيلانة) فيما بعد إلى (القدس) لتفتش عن الصليب الذي صلب عليه

السيد (المسيح). وحينما وجدته في (الجليل) أشعلت النيران فوق قمم الجبال لإعلام ابنها بنجاح مسعاها. ومنذ ذلك الحين أصبح إشعال النيران تقليداً لهذا العيد. وهناك عيد (القديسة تقلا) في (24 أيلول). وعيد القديسين (سرجيو) و (باخوس) في (7 تشرين الأول).

لا تزال بعض الأماكن في منطقة (معلولا) تحتفظ بأسمائها الآرامية. (سهل النضوب) - (يشبو) - (رحولوا = رحولايه) - (ريحا = ريح) - (بيل ترترو = بين الدردار) - (حكل لكليسيا = حقلة الكنيسة) - (سيل لصليبا = وادي الصليب) - (كومتشا) - (لبريصا) - (نخوتلوا) - (بتموثا) - (حرتيشا) - (بحصوصا - (يشبو).

سكن إنسان ما قبل التاريخ هذه المنطقة منذ (50 أو 60) ألف سنة. ووجد الكثير من أدواته في منطقة (معلولا) وتعود إلى العصر الحجري القديم والحديث.

في العهد الروماني كانت بلدة (معلولا) مبنية فوق الجبل الذي بين هضبتي (القلمون) الثانية والثالثة. وكان الناس يسكنون المغاور التي ينحتونها في الصخر. وجعل للبيت ردهة مستطيلة، قسمها الداخلي أعلى من الخارجي بدرجة.

في جنوب القرية توجد مغاور مصطفة ومتراكبة، بعضها يتصل بالبعض الآخر.

في العهد البيزنطي سكن الأهالي في فتحة الفج قرب المياه. وبنوا بيوتهم فوق سفح المنحدر وأحاطوها بسور. ولكن البلدة بدأت تتوسع واستعملت المغاور كمستودعات وأسطبلات غنم.

في واحدة من المغاور نقش باسم (سحيم بن ديودورس بن فيليبيون) وتاريخ (509) سنة سلوقية و (سحيم) كان أحد الأمراء. وفي مغارة أخرى واسعة يوجد اسم السيد (المسيح) وتمجيد انتصاره على الوثنية بأحرف يونانية حمراء كبيرة. وفيها باب يقود إلى غرفة داخلية تشبه المذبح في الكنائس

اليونانية ذات الحنيات الثلاث. إلى جوار هذه المغارة، توجد كتابة تؤرخ عام (494) سلوقية. ذكر معها اسم ملكهم (سمسيغراموس).

هناك أساطير حول ما يدعى (بالمشنقة) وإلى جانبها صخرة (المحكمة) في محلة (شارونايا). وكان رجال القضاء يقفون عليها لإعلان حكم الإعدام. وكان الملك يقف على رأس الصخرة المقابلة للتصديق على الحكم. وهناك ما يماثلها عند الفج من الناحية الشرقية.

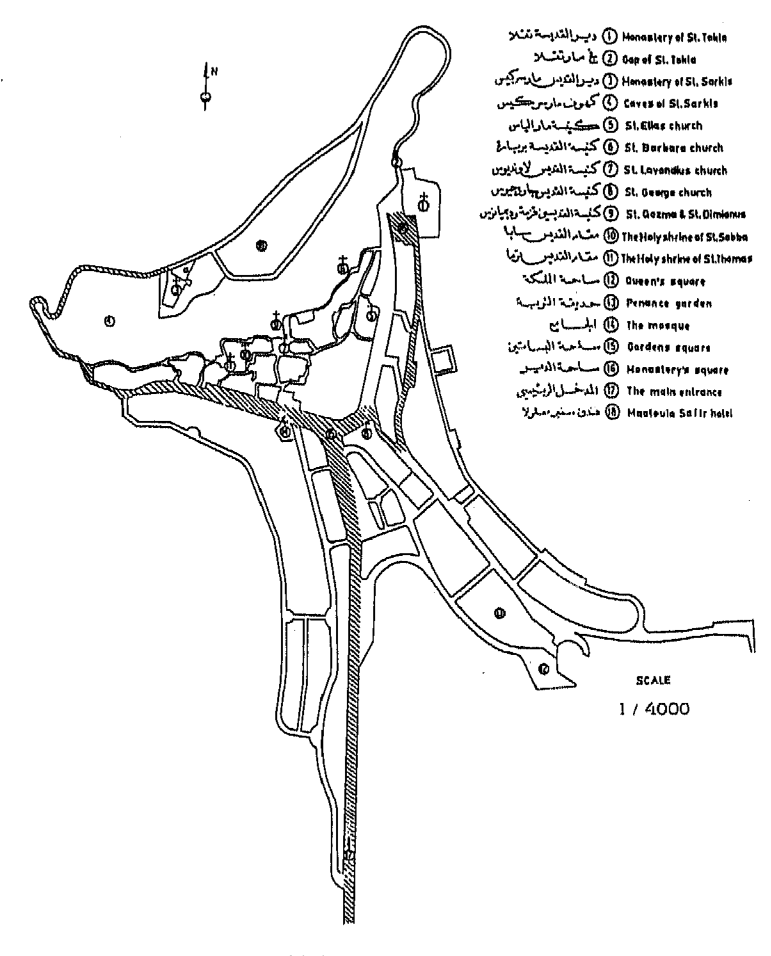
فيها بيوت تعود إلى أكثر من خمسة آلاف عام. كان الملك (بيلوس) وممن جاء قبله وبعده يسأل كل شاب على وشك الزواج إن كان قد حفر بيتاً في الصخر ليسمح له بالزواج إن فعل، ويمنعه إن لم يفعل. ونادراً ما لا يكون في البيت كهفاً.

يوجد قرب دير (مار سركيس) كهف جنائزي واسع تزينه أعمال فنية منحوتة على السقف والجدران منها: نحت يمثل (السيدة العذراء) والطفل (يسوع المسيح)، ونحت روماني يمثل نسراً باسطاً جناحيه. ونحت نسر في سقف الكهف. وكتابة مسيحية باللغة اليونانية من عام (175 ق. م).

هناك أسطورة تقول بأن سرداباً يبدأ من رأس (الفج الشرقي) وينتهي (بالفج الغربي) قرب دير (القديس سركيس) لحمايته نقشت على باب السرداب حية ضخمة كتعويذة. كان الأهالي يلجأوون إليه عند الخطر لحصانته. وجعلوا له قناة ماء للشرب. ويقال بأن فيه كنز تركه البيزنطيون عند هروبهم من العرب المسلمين. وكان الرهبان والفلاحون والمزارعون والمتعبدون يقيمون فيه. كما يوجد حول (معلولا) صوامع للرهبان وآثار كثيرة أغلبها منقورة في الصخر وتعود إلى ما قبل المسيح.

كانت المدافن المحفورة بالأرض لعامة الناس. أما المنقورة في حائط الجبل الصخري ولها أقواس تزيينية فهي للنخبة. وفيها نقوش تمثل طقوس الديانات الوثنية القديمة، ربما كانت هذه القبور تغطى ببلاطات حجرية. وتشبه مغارة الأصنام في (صيدنايا). إلا أن قبور (معلولا) محفورة في العراء. وقبور (صيدنايا) محفورة داخل المغارة. وهي على شكل جسد الإنسان دائرية عند

الرأس، ومستطيلة عند الجذع والساقين ولكن في (معلولا) هي مستطيلة الشكل كلها. وهناك كهف قديم يعود إلى العصر الهلنستي أقام فيه الأمير (فيليب) وزوجته معبداً وثنياً عام (175 ق. م). كما وجدت في كهوف جبله كتابات يونانية. وفي أسفل البلدة يوجد معبد روماني يدعى (حمام الملكة). كان الوثنيون يمارسون فيه شعائر خليعة. ثم أتاهم رجل صالح يدعوهم للتوبة فلم يطيعوه. فأهلكهم الله جميعاً. وتحول المعبد إلى كنيسة في العهد البيزنطي.



مدينة معلولا

وفي الفج نقرت بالجدار الصخري قناة لجر المياه إلى البلدة.

في العهد العثماني لجأ إلى (معلولا) أمير (بعلبك) (محمد حرفوش) وأخيه (عساف) عام (1850) عندما تمردا على السلطة العثمانية. وفي عهد الانتداب الفرنسي، لجأ الثائرون إلى (معلولا) عند مقاومتهم للاستعمار الفرنسي. الآن (معلولا) واحدة من الأماكن الأثرية الهامة التي يقصدها السواح والمواطنين لزيارتها والتمتع بجمالها، وبسبب مزاراتها التي أقيمت منذ بدء انتشار المسيحية، إضافة إلى أن سكانها ما زالوا يتكلمون الآرامية لغة (السيد المسيح). .

آثار معلولا:

دير القديسة (تقلا):

أرثوذوكسي.

تقول الأسطورة أن (تقلا) ولدت عام (9 م) ونشأت في (قونية) (بآسية الصغرى. وكانت ابنة أحد أمراء السلوقيين. وكانت تلميذة لتعاليم القديس (بولس) فتركت الوثنية واعتنقت المسيحية. وهجرت أبويها وخطيبها (ثاميريس) (Thamyris)، وتبعت القديس (بولس) إلى (أنطاكية). ثم عادت إلى مسقط رأسها وعملت على إقناع والدتها باعتناق الدين المسيحي. ثم ذهبت إلى (سلوقية). وبدأت التبشير بين الناس. وصارت ترشد النساء وصار الناس يأتونها بقصد الشفاء، فغضب أبوها منها، ووضعها في حفرة أفاعي، إلا أنها نجت منها وهربت بعيداً. فسارت جنوباً إلى (سورية). حتى وصلت إلى جبل عال، وقفت أمامه عاجزة، تبتهل إلى الله وتستجير به. فانشق الجبل عن فج عبرته إلى الطرف الثاني ونجت من المطاردين الذين أرسلهم والدها للقبض عليها. لجأت إلى مغارةٍ يرشح منها الماء واتخذتها سكناً، وابتنت ديراً قربها.

وكان الأول في المسيحية، وصارت هي أول رئيسة له، وسمي الدير والفج باسمها.

يضم الدير رفات القديسة (تقلا) التي يعتبرها سكان (معلولا) شفيعة قريتهم وحاميتها. كما يعتقدون بأن الماء الذي يرشح من سقف كهف صخري صغير قرب قبرها، له صفات عجائبية. لذا يشربونه طلباً للشفاء والتبرك. وينذرون النذور، إسلاماً كانوا أو مسيحيين، ولطالما تحققت الأماني.

يعود الدير حالياً لطائفة (الروم الأرثوذوكس) ويرتفع حوالي (1600 م) عن سطح البحر. توسع وتجدد بناء الدير على مراحل. فيه مكتبة غنية تعرضت للكوارث. بقيت منها: كتب خاصة بالطقوس الكنسية للدير كالأناجيل الأربعة. والألحان الكنسية وتفاسير الإنجيل. بعض هذه الكتب تعود إلى (1600 م). منها ما جلد بدفتين من الخشب خيطت بما يشبه الحبال. وبعضها قديم جداً، لا يمكن قراءة تاريخه. أو تالف في المقدمة والنهاية.

معظم هذه الكتب مخطوطات. منها مخطوطة (الليكلوس) الذي يفسر وقوع الفصح المؤرخ في (7202) (لآدم). ومخطوطة (الأفخولوجي) المنقولة عن اليونانية عام (1633) بيد (ملاتيوس) مطران (حلب). وهناك عدد من كتب العهد القديم والجديد بأعمار مختلفة بعضها مطبوع وبعضها مخطوط.

الفج:

هو ممر صخري عمقه عشرات الأمتار. طوله (200 م) وعرضه بين (1 و 3 م).

دير القديس سركيس (سرجيوس):

هو دير للروم الكاثوليك، ويرتفع (1622 م) عن سطح البحر.

يعود بناء الدير إلى أوائل القرن الرابع الميلادي وكان معبداً وثنياً. ويؤكد هذا التارخي الفحص الكربوني الذي أجري على باب الكنيسة والأعمدة الخشبية الداعمة للأقواس. إضافة إلى أن بلاطة مذبح الهيكل كانت مصممة للمعبد الوثني، ولكن بالانتقال إلى المسيحية لم يتم صنعها فلم تزخرف حافتها ولم تثقب بالوعتها لجمع دماء الأضاحي. وقد بطل استعمال المذبح ذو الحافة عام (325). وأصبح هذا المعبد الوثني كنيسة هندستها بيزنطية، جدرانها مزينة بالفريسكو، بقيت منه قطعة صغيرة لا تزال تحتفظ برونق ألوانها لها قبة وأقواس، وتيجان أعمدتها إيونية الطراز. الهيكلان الصغيران مفصولان تماماً عن الهيكل الكبير الموجود بينهما، ويوجد مدفن للمطارنة مدخله تحت المذبح الأوسط. وكان للدير قديماً باب أقل ارتفاعاً من قامة الإنسان. وتحت الكنيسة يوجد خزان لجمع مياه الأمطار. وكرست هذه الكنيسة لشفيع (معلولا) (القديس سركيس).

يوجد في الكنيسة ايقونة (السيد المسيح) جالساً على طرف طاولة العشاء الأخير بدلاً من وسطها. وأخرى يبدو جرحه عند صلبه في الجانب الأيمن بدلاً من الأيسر. وتوجد أيقونة للسيدة العذراء (ماري) كنبع للحياة. منها يأتي الماء وهو رمز لمولد (السيد المسيح). وأيقونة العذراء (ماري) ومعها (السيد المسيح) عمرها حوالي (700 عاماً). وأيقونة القديس (يوحنا المعمدان) جزلاً كاشفاً عن ساقيه وهو أمر غريب على الأيقونات. ويزين حاجز المذبح مجموعة من الأيقونات رسمها (ميخائيل الكريتي) عام (1813). وأيقونتان بولونيتان من القرن (17) أهداهما الجنرال (أندرس) للدير.

حول الدير توجد آثار ومدافن وكهوف. وهذا الدير كان يخص الرهبانية المخلصية في (لبنان). وكان له أسقف حتى عام (1724). ثم ألحق بمطرانية (صيدنايا) ثم بأسقفية (يبرود) عام (1894). حافظ الرهبان على الدير منذ القرن

الثامن عشر. وبنوا غرفاً حول الكنيسة للسكن. واشتروا أملاكاً للدير من مالهم وأتعابهم.

كنيسة التوبة:

كانت كنيسة كبيرة، تقع في ساحة معلولا، وكان الحجاج يزورونها وهم في طريقهم إلى (القدس). أنقاضها مدفونة تحت كنيسة (القديس جاورجيوس) حيث وجدت أعمدتها. في مكانها الآن (حديقة التوبة).

كنيسة القديس (لاونديوس):

وهي للروم الكاثوليك. من القرن الخامس الميلادي. تقع في وسط (معلولا)، كانت مقاماً ثم جددت. حفرت في الصخر وبنيت بالحجر الكلسي. فيها هيكل رخامي من صنع فنان دمشقي. أما حاجز الأيقونات فهو من الرخام.

كنيسة مار (إلياس):

للروم الأرثوذوكس. من القرن الرابع الميلادي. خلال التنقيب فيها عام (1925) اكتشفت أعمدة وفسيفساء، أشهرها لوحة (تابوت العهد)، وهي رسم على التابوت الذي على طرفيه حارسان وحوله غزلان. وقد سرقت هذه الفسيفساء فيما بعد. كما يوجد جرن للتعميد وعدد من الأيقونات.

كنيسة القديسة (بربارة):

كانت معبداً وثنياً. والدليل هو أن هيكلها في الغرب وليس في الشرق كبقية الكنائس، في وسطه شكل دائري يرمز للشمس مما يدل على أنه كان (لإله الشمس). كانت أكبر من حجمها الحالي. جددت وسورت ورممت.

كنيسة القديس (جاورجيوس):

كان معبداً وثنياً في العصر الروماني. تحول إلى مزار في العصر البيزنطي.

ثم بنيت كنيسة بجوار المقام القديم. تصميمه مشابه لكاتدرائية (يبرود). يوجد في باحتها مذبح قديم. يرتكز على أربعة أعمدة ضخمة.

وتوجد في (معلولا) بقايا كنيستين هما: كنيسة القديس (نيقولاوس) وكنيسة القديس (شربين).

مزار (مار قزما ودميانوس):

جدد حديثاً. وهو ملاصق للجبل. فيه مغارة ارتفاعها (20 م) منحوتة بالصخر. على بابها كتابة يونانية متآكلة لم يعرف مضمونها.

مزار (مار سابا):

كان معبداً وثنياً، وتحول إلى مزار. رمم واكتشفت فيه أعمدة رومانية لها تيجان وقواعد مزينة.

هناك عدد من المزارات منها: مزار (مار توما)، ومزار (مار سمعان)، ومزار (مار شربل). وجميعها في البلدة القديمة.

دير البنات:

حالياً محله توجد مساكن. كان ديراً ضخماً دمرته الزلازل. والتسمية ربما لأنه كان ديراً للراهبات المبتدئات.

حمام الملكة:

كان معبداً وثنياً. لم يبق منه إلا بضعة أحجار كبيرة تدل على ضخامته.

جامع معلولا:

حديث يقع قرب الساحة العامة والينبوع. له مئذنة مربعة.

ينابيع معلولا:

يوجد واحد في (الفج الأول) وآخر في (الفج الثاني). أما الثالث فهو في ساحة المدينة. تصب هذه الينابيع في ساقيتين. تتجه كل واحدة عكس الأخرى. وكانت المياه توزع على السكان في أوقات معينة.

أسطورة أوروبا (عروبة)

تقول الأسطورة:

ملك صور (أجينور) أي (أشنار) ابن إله البحر (بوزيدون) أي (يم) من زوجته (ليبيا) كان له ابنة جميلة هي (أوروبا) أي (عروبة). أفاقت من نومها إثر كابوس مزعج وجدت نفسها فيه تتنازع ملكيتها قارتان على هيئة امرأتين، واحدة هي (آسيا) تقول (إني أملكها لأني أنا التي ولدتها). والأخرى (مجهولة الاسم) تقول أنها ستملكها لأن الإله (زيوس) وعدها بذلك. وكانت الآلهة عادة تحقق أحلامها. فخافت ونادت صديقاتها لتخرج معهن إلى الحدائق على شط البحر. وكانت (أوروبا) أجمل الفتيات وسلة أزهارها أروع من سلالهن. وكان (زيوس) مستلقياً في الأعالي يراقب الأرض وما يجري عليها. وحينما شاهد (أوروبا) رماه كل من (أفروديت) و (إيروس) أي (كيوبيد) بسهم حب في قلبه فتعلق بالفتاة. وكانت زوجته (هيرا) الغيورة التي تنتقم من الكثيرات بسببه، غافلة عما حصل.

تقمص (زيوس) شكل ثور وديع جميل كستنائي اللون. حول قرنيه دوائر من فضة وذهب إليهن. فتجمعت الفتيات حوله يداعبنه، ويتشممن رائحته العطرية السماوية التي هي أزكى من عطور الأزهار. وحينما اقتربت (أوروبا) منه ولمسته أصدر خواراً موسيقياً كان أجمل من عزف القيثار. وانحنى أمامها فامتطته فنهض فجأة وقفز إلى البحر، وأخذ يركض فوق أمواجه وكأن البحر سهل واسع. استقبلته جوقة من آلهة البحر تمطي الدلافين وتعزف بالأبواق. وكان في مقدمتهم (بوزيدون) إله البحر وشقيق (زيوس).

خافت (أوروبا) من البحر ومما رأت فتشبثت بقرن الثور ورجته أن لا يسقطها في المياه فكلمها قائلاً: «أنا (زيوس) أعظم الآلهة، وحبي لك دفعني لأصنع ما ترين»، ثم ذهب إلى جزيرة (كريت) وهي المكان الذي خبأته أمه فيه عندما هرّبته من أبيه (كرونوس) إله الزمن، وكان من عادته أن يقتل أولاده.

وزفت (أوروبا) إلى (زيوس) في حفل رائع. وأنجبت منه أولاداً منهم (مينوس) و (أردانتوس) اللذين اشتهرا بالعدل. وكانا يقومان بمحاكمة الأموات.

حينما اختطف (زيوس) (أوروبا) جمع أبوها (أجينور) أولاده (فينقس) و (قدموس) و (كيليكس)، وأمرهم بالبحث عن أختهم. وألا يعودوا من دونها فأخذوا يبحثون عنها حتى يئسوا. فاستقر (كيليكس) في أرض ما يسمى (كيليكيا) اليوم. بينما استقر (فينيقس) على الساحل ونسبت إليه بلاد (فينيقيا). أما (قدموس) فلم ييأس بل ذهب إلى معبد (دلفي) لاستشارة الإله (أبولو)، فنصحه أن يكف عن البحث، وأن يؤسس لنفسه مدينة، وأنه حالما يخرج من المعبد سيجد (عِجْلَة) عليه أن يتبعها إلى حيث تتوقف عن المسير، وهناك يبني تلك المدينة.

وهكذا أسس (قدموس) مدينة (ثيبا) (Thebes) أي (طيبا) في عام (2100 ق. م). وهي أقدم مدينة يونانية. فيها قلعة (قدميا) (Cadmea) التي نسبت إليه، والتي دمرت عام (1230 ق. م) وسميت تلك المنطقة باسم (بيوثيا) أي بلاد (العِجلة) أو (البقرة). وهي بلاد (اليونان) حالياً.

أراد (قدموس) أن يقدم (العِجْلَة) ذبيحة للآلهة لكنها في الحقيقة كانت جنية فاختفت. وأرسل رفاقه ليحضروا الماء من نبع قريب، ولكن تنيناً كان يحرس النبع قتلهم جميعاً، وبقي (قدموس) وحيداً فنازل التنين وصرعه.

أعطته الربة (أثينا) بعض التعليمات والنصائح، فحرث الأرض بأنياب التنين، وخرج من الأخاديد رجال متوحشون مسلحون اسمهم (أسبارطيون) يريدون قتاله فرمى (قدموس) حجراً بينهم فتحولوا عنه واقتتلوا فيما بينهم فلم يبقَ منهم سوى خمسة، انضموا إلى (قدموس) وساعدوه في بناء (قدميا) قلعة

(طيبة) والتي أصبحت مدينة عظيمة فيما بعد.

من أجل سفك الدماء كان على (قدموس) أن يكفّر عن خطاياه لمدة ثمانية أعوام.

بعد ذلك زوجته الآلهة من (هرمونيا) (Harmonia) ابنة (أريس) و (أفروديت) وكرمته الآلهة بحضورها زفافه ومباركتها له. وكانت هدية الزفاف رداء وعقد صنع في (أثينا). وآخر صنعه الإله (هيفاستوس) وهو (هاين الكنعاني). وكان (هيفاستوس) صانعاً لآلهة الأوليمب. وكان هذا العقد مشؤوماً سبب المآسي للأجيال القادمة رغم مصدره الإلهي.

ولدت (هرمونيا) ابناً هو (بوليدوروس) وأربع بنات هن (إينو) و (أفتونوي) و (أغافي) و (سيميلي).

(إينو) كانت زوجة والد (فريكسوس) وهو الصبي الذي أنقذه (الكبش ذو الجرة الذهبية). أصيب زوجها بالجنون فقتل ابنهما (مليكرتس) فرمت نفسها محتضنة ابنها بالبحر لكن الآلهة أنقذتهما. وصارت هي من ربات البحر. وأنقذت (أوديسيوس) من الغرق عندما انشطر مركبه بعد حرب (طروادة). كما صار ابنها من آلهة البحر أيضاً.

و (أغافي) قادها (ديوفيوس) أي (السكر) إلى الجنون فتصورت ابنها (بنتيوس) أسداً وقتلته بيديها.

و (أفتونوي) فقدت ابنها الشاب الذي كان في رحلة صيد وعطش، فدخل مغارة فيها جدول ماء عذب فأغرته المياه الصافية بالاستحمام. وكان لا يعلم بأنه المكان الذي كانت تستحم فيه (أرتميس) عارية. فرشت وجهه بالماء المسحور، وتحول وعلاً، وصار قلبه قلب غزال جبان بعد أن كان قوياً وصلباً فهرب. رأته كلابه ولكنها لم تعرفه فجرت وراءه ثم قتلته.

طغت المآسي على حياة (قدموس) و (هرمونيا) وسحقتهما الأحزان فهربا من (طيبا) إلى (الليريا) هرباً من الكوارث. ولكنها لحقت بهما لأن الآلهة مسختهما وصار كل منهما أفعى.

والحكمة من هذه الأسطورة: (أن عقل الإنسان محدود لا يدرك غايات الآلهة).

وجدت في (طيبا) عدة أختام بابلية بالطبقة المحروقة وتعود إلى القرن (14 ق. م). ويرجح أنها لعائلة (قدموس) الملكية.

كما أدخل (قدموس) عبادة (أثينا) إلى بلاد (اليونان) وأقام لها مذبحاً في (طيبا). وكتب الكاهن البيروتي (سنكن يتن) كما ذكر (فيلو الجبيلي) أن الربة (البتول أثينا) هي ابنة (إيل) مثل (البتول عناة) المحاربة. ومن هذا يستدل أن الميثولوجيا الإغريقية هي من وحي الأدب الفينيقي.

(قدموس) أدخل الأبجدية الفينيقية، ويقول المؤخرون أنه أدخل ستة عشر حرفاً فقط والأبجدية تتألف من (22) حرفاً. وعندما اقتبسها الإغريق كتبوها من اليمين إلى اليسار مثل الفينيقيين.

و (ليبيا) هو الاسم الذي أطلق على شمال (أفريقيا) ثم على القارة كلها وحالياً على (الجمهورية الليبية) فقط.

وحالياً هناك بلدة (قدموس) القريبة من الساحل السوري.

برج بابل

كان سكان (بلاد الرافدين) بين (2200 و 500 ق. م) يبنون معابدهم على شكل أبراج لها طوابق عديدة عرفت (بالزاقورات). وبرج بابل هو (زاقورة) من سبع طوابق (اسمها) (أي ـ تمن ـ آن ـ كي) أي (معبد أسس السماء والأرض).

وجدت مدينة (بابل) بالقرن (18 ق. م) وخرّبها الملك الآشوري (سنحريب) (705 ـ 681 ق. م) ثم أعاد بناءها (نبوبولاصر) الكلداني (625 ـ 605 ق. م)، وأتمها ابنه (نبوخذ نصر) (605 ـ 562 ق. م) وهو الذي دمر (أورشليم) وسبى اليهود في عام (586 ق. م).

وحينما احتل الفرس الزرداشتيين الزاقورة عام (539 ق. م) دمرها. وسمحوا لليهود بالعودة إلى بلادهم، وكان منهم (أحبار) اشتركوا في وضع النصوص النهائية للتوراة ومنها قصة (بابل).

وحينما احتل (الإسكندر المكدوني) (بابل) وجد (الزاقورة) مهدمة، فحاول ترميمها ولا تزال آثار ذلك ظاهرة حتى اليوم.

يرجح أن البرج الأول بني في القرن (18 ق. م) أيام (حمورابي البابلي) وعندما جدد البناء (نبوبولاصر) خلده بالكلمات التالية: «عندما أمرني (مردوخ) أن أبني برج (بابل)، الذي أضعفه الزمن وتساقط متهدماً، أمرني أن أجعل أساس قاعدته راسخة على صدر العالم السفلي، بينما ذراه شامخة مرتفعة نحو السماء». وكتب ابنه (نبوخذ نصر): «كي أرفع قمة (أي ـ تمن ـ آن ـ كي) حتى تناطح السماء، مددت يدي».

كان طول كل جهة من القاعدة (8.8 م) وعلو البرج (88 م). وفيه سبع طبقات ارتفاع الأولى (32 م) والثانية (17 م) وبقية الطبقات ارتفاع ا لواحدة (6 م). وكان معبد (مردوخ) فوق الجميع.

وفيه أهم آلهة (البانثيون البابلي). وكانت جدرانه مزينة بصفائح الذهب وبالقرميد الملون بالأزرق السماوي اللامع. ويشرف على مساحات واسعة من الأرض.

كلف بناؤه (58) مليون قرميدة، وقدّر (هيرودوتس) عام (458 ق. م) أي بعد (150) عاماً من بناء البرج بأن وزن تمثال (مردوخ) الذي كان في الطابق الأسفل بـ (26) طناً من الذهب.

ومعبد (مردوخ) الذي في القمة لم يكن فيه تمثال بل أريكة فخمة وطاولة وأجمل امرأة كانت هناك لتلبي طلبات الإله. ولا يدخل المعبد بشر سواها وكان الحجاج يطوفون حول البرج.

وكان للكهنة نفوذ كبير فهم الذين كانوا يتوجون الملوك. ولكل مدينة بابلية كبيرة زاقورتها المفخمة.

والعبرة هي أن غطرسة الإنسان واعتداده بإمكاناته جعلته يشيد بناء شامخاً ظاناً بنفسه القدرة على أن يطال السماء.

أسطورة (أحيقار)

(أحيقار) (Ahiqar) الحكيم كان مستشار الملك الآشوري (سنحريب) (705 ـ 681 ق. م) ثم مستشار ابنه «أسر حدون» (680 ـ 668 ق. م). وهبه الله الحكمة والمال وتزوج من (60) امرأة، دون إنجاب، فتبنى ابن أخته (نادان) ومنحه ثروته، ولكنه صار سيء السيرة، فاسترد (أحيقار) الميراث منه وأعطاه لأخيه الأصغر (بنوزروان). فحقد عليه (نادان). ودبر له مكيده، فزور رسائل موجهة باسم خاله إلى ملك النيل وفيها تواطؤ لقلب نظام الحكم. وجعلها تقع بيد الملك الآشوري. (أسرحدون). فحكم على (أحيقار) بالموت. ولكن الجلاد، وكان صديقاً له، خبأه في بيته.

وحينما طلب ملك (النيل) من ملك (آشور) أن يرسل له حكيماً يجيب على أسئلته وألغازه، أسف الملك لقتل (أحيقار) وكانت مناسبة لظهوره، واستعادة مكانته. وذهب إلى (بلاد النيل) وأجاب على أسئلة الملك. وعاد بالهدايا الثمينة وألقي القبض على (نادان)، فقيد بالسلاسل، ووضع في مكان مظلم في بيت خاله، الذي جعل غذاءه الخبز والماء، وكان يجلده جلداً مبرحا قائلاً: «قيل بالأمثال من لا يسمع من أذنيه أسمعوه من قفاه»، وبقي هكذا حتى مات.

ذكر اسم (أحيقار) في العهد القديم، وكانت الفلاسفة (إيزوب) و (تيوافراستوس) و (ديموقريطوس) على إطلاع على حكمه.

وأقدم نص ذكر (أحيقار) كان آرامياً كتب على ورق البردي. وذكر فيه الملكين (سنحريب) و (أسر حدون) كما ذكر اسما (نادان) و (نبوزردان) الذي

أصبح ضابطاً في جيش (سنحريب). وهذا النص هو أصل لترجمات بعدة لغات. ويوجد في (كمبردج) و (برلين) و (المتحف البريطاني) وفي (أورميا) و (دير السيدة) بالقرب من (الغوش) مخطوطات قديمة بالنص الآرامي، وهي المجموعة الرابعة للأمثال زمنياً بعد حكم (وادي النيل) و (بلاد الرافدين) وأمثال العهد القديم.

وكان النص بالآرامية وكتب في نحو (550 ق. م) وكانت الآرامية واسعة الانتشار في (بابل) و (آشور)، قبل الحكم الكلداني (612 - 539 ق. م). وسادت فيما بعد على جميع اللهجات العربية القديمة.

الخلفاء الراشدون:

أبو بكر الصديق	11	632
عمر بن الخطاب	13	634
عثمان بن عفان	23	644
علي بن أبي طالب	40-35	661-656

الخلفاء الأمويون:

	هـ	م	حكم
1 ـ معاوية بن أبي سفيان	41	661	19
2 ـ يزيد بن معاوية	60	680	3
3 ـ معاوية بن يزيد	64	683	0
4 ـ مروان بن الحكم	64	683	2
5 ـعبد الملك بن مروان	65	685	20
6 ـ الوليد بن عبد الملك	86	705	10
7 ـ سليمان بن عبد الملك	96	715	2
8 ـ عمر بن عبد العزيز	99	717	3
9 ـ يزيد بن عبد الملك	101	720	4
10 ـ هشام بن عبد الملك	105	724	19
11 ـ الوليد بن يزيد	125	743	1
12 ـيزيد بن الوليد	126	744	0
13 ـ إبراهيم بن الوليد	126	744	0
14 ـ مروان بن محمد	127 ـ 132/ 744 ـ 749		

(استولى العباسيون على الحكم واستمر الأمويون في الأندلس)

الخلفاء العباسيون:

1 ـ أبو العباس عبد الله السفاح	132	749
2 ـ أبو جعفر عبد الله المنصور	136	754
3 ـ أبو عبد الله محمد المهدي(بن المنصور)	158	775
4 ـ أبو محمد موسى الهادي(بن المهدي)	169	785
5 ـ أبو جعفر هارون الرشيد (بن المهدي)	170	786
6 ـ أبو موسى محمد الأمين بن هارون	193	809
7 ـ أبو جعفر عبد الله المأمون بن هارون	198	813
8 ـ أبو إسحق محمد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد	218	833
9 ـ أبو جعفر هارون الواثق بالله ابن المعتصم بالله	227	842
10 ـ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم بالله	232	847
11 ـ أبو جعفر محمد المنتصر بالله ابن المتوكل على الله	247	861
12 ـ أبو العباس محمد المستعين بالله ابن المعتصم بالله	248	862
13 ـ أبو عبد الله محمد المعتز بالله ابن المتوكل على الله	251	866
14 ـ أبو إسحق محمد المهتدي بالله ابن الواثق بالله	255	869
15 ـ أبو العباس محمد المعتمد على الله ابن المتوكل على الله	256	870

16 ـ أبو العباس أحمد المعتضد بالله

ابن الموفق المتوكل على الله	279	892

17 ـ أبو محمد علي المكتفي بالله

ابن المعتضد بالله	289	902

18 ـ أبو الفضل جعفر المقتدر بالله

ابن المعتضد بالله	295	908

19 ـ أبو منصور محمد القاهر بالله

ابن المعتضد بالله	320	932

20 ـ أبو العباس أحمد الراضي بالله

ابن المقتدر بالله	322	934

21 ـ أبو إسحق إبراهيم المتقي بالله

ابن المقتدر بالله	329	940

22 ـ أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله

ابن المكتفي بالله	333	944

23 ـ أبو القاسم الفضل المطيع لله

ابن المقتدر بالله	344 ـ 363 / 946 ـ 974	

لم يضربوا النقود (مستقلين):

1 ـ أبو الفضل عبد الكريم الطايع لله

بن المطيع لله	363	974

2 ـ أبو العباس أحمد القادر بالله

بن إسحق بن المقتدر بالله	381	991

3 ـ أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله

بن القادر بالله	422	1031

4 ـ عبد الله المقتدي بأمر الله

حفيد القائم بأمر الله	467	1075
5 ـ أبو العباس أحمد المستظهر بالله		
بن المقتدي بأمر الله	487	1094
6 ـ أبو المنصور الفضل المسترشد بالله		
بن المستظهر بالله	512	1118
7 ـ أبو جعفر المنصور الراشد بالله		
بن المستظهر بالله	529	1135
8 ـ أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله		
بن المستظهر بالله	530	1136
9 ـ أبو المظفر يوسف المستنجد بالله	555	1160
10 ـ أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله		
بن المستنجد بالله	566	1170
11 ـ أبو العباس أحمد الناصر لدين الله		
بن المستضيء بأمر الله	575	1180
12 ـ أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله		
بن الناصر لدين الله	622	1225
13 ـ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله		
بن الظاهر بأمر الله	623	1226
14 ـ أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله		
بن المستنصر بالله	640 ـ 656	1242 ـ 1258

أمراء بنو الأغلب (أفريقية ــ تونس وصقلية):

1 ـ إبراهيم بن الأغلب	184	800
2 ـ أبو العباس عبد الللهُ بن إبراهيم	197	812

3 ـ أبو محمد زيادة الله بن إبراهيم 201 816
4 ـ أبو عقال الأغلب بن إبراهيم 223 837
5 ـ أبو العباس محمد بن الغلب بن إبراهيم 226 840
6 ـ أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب 242 856
7 ـ أبو محمد زيادة الله الثاني ابن محمد 249 863
8 ـ أبو عبد الله محمد الثاني ا بن أحمد 250 864
9 ـ أبو إسحق إبراهيم الثاني ابن أحمد 261 874
10 ـ أبو العباس عبد الله الثاني
ابن إبراهيم الثاني 290 902
11 ـ أبو منصور زيادة الله الثالث
ابن عبد الله الثاني 290 ـ 299 / 902 ـ 911

الأمراء الطولونيون:

1 ـ أحمد بن طولون التركي 254 868
2 ـ خمارويه بن أحمد أبو الجيش 270 883
3 ـ جيش بن خمارويه أبو العباس 282 895
4 ـ هارون بن خمارويه أبو موسى 283 896
5 ـ شيبان بن أحمد 292 905
(ثم حكم ولاة العباسيين)

الأمراء الإخشيديون:

1 ـ محمد الإخشيد
بن طغج أبو بكر 323 934
2 ـ النوجر بن الإخشيد أبو القاسم 334 946
3 ـ علي بن الإخشيد أبو حسن 349 960
4 ـ كافور أبو المسك 355 966

5 ـ أحمد بن علي أبو الفوارس 357 ـ 358 / 968 ـ 969
(استولى الفاطميون على الحكم)

الخلفاء الفاطميون:

1 ـ أبو محمد عبيد الله المهدي بالله	297	909
2 ـ أبو القاسم محمد القائم بالله	322	934
3 ـ أبو طاهر إسماعيل المنصور بالله	334	945
4 ـ أبو تميم معد المعز لدين الله	341	952
5 ـ أبو منصور نزار العزيز بالله	365	975
6 ـ أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله	386	996
7 ـ أبو الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله	411	1020
8 ـ أبو تميم معد المستنصر بالله	427	1035
9 ـ أبو القاسم أحمد المستعلي بالله	487	1094
10 ـ أبو علي المنصور الآمر بأحكام الله	495	1101
11 ـ أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله	524	1130
12 ـ أبو علي أحمد أبو القاسم المنتظر بأمر الله (حكم ضمن مدة الحافظ)	525	1131
13 ـ أبو المنصور إسماعيل الظافر بأمر الله	544	1149
14 ـ أبو القاسم عيسى الفايز بنصر الله	549	1154

15 ـ أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله 555 ـ 567 / 1160 ـ 1171

الأمراء الحمدانيون (الموصل وشمال سورية):

1 ـ أبو الهيجا عبد الله بن حمدان (الموصل) 293 ـ 301 / 905 ـ 913

2 ـ ناصر الدولة حسن بن حمدان (نائب الأمير في الموصل)	314	926

3 ـ ناصر الدولة حسن بن حمدان (وحده) 317 929

4 ـ ناصر الدولة حسن بن حمدان

(أمير الأمراء في بغداد) 330 ـ 331 / 941 ـ 942

5 ـ سيف الدولة أبو الحسن علي (حلب) 333 944

6 ـ سيف الدولة أبو المعالي شريف (حلب) 356 966

7 ـ سيف الدولة أبو الفضائل سعيد (حلب) 381 991

8 ـ أبو الحسن علي وأبو المعالي شريف

(حلب) 392 ـ 394 / 1001 ـ 1003

الأمراء الأتابكة:

1 ـ عماد الدين زنكي بن آق سنقر (سنجار) 521 1127

2 ـ نور الدين محمود بن زنكي (حلب) 541 1146

3 ـ الصالح إسماعيل (حلب) 569 ـ 577 / 1173 ـ 1181

السلاطين الأيوبيون:

سلالة صلاح الدين:

1 ـ الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب 569 ـ 589 / 1174 ـ 1193

فرع مصر:

1 ـ العزيز عماد الدين عثمان بن الناصر 589 1193

2 ـ المنصور محمد بن العزيز

(حكم بعده الملك العادل) 595 ـ 596 / 1198 ـ 1199

فرع دمشق:

1 ـ الأفضل نور الدين علي بن الناصر

(حكم بعده الملك العادل) 582 ـ 592 / 1186 ـ 1195

فرع حلب:

1 ـ الظاهر غياث الدين غازي بن الناصر 582 1186

2 ـ العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر 613 1016

3 ـ الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن العزيز 634 ـ 658 / 1236 ـ 1256

سلالة العادل:

1 ـ العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب 592 ـ 615 / 1196 ـ 1218

فرع مصر:

1 ـ الكامل محمد بن العادل 615 1218

2 ـ العادل الثاني سيف الدين أبو بكر بن الكامل 635 1238

3 ـ الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل 637 1240

4 ـ المعظم توران شاه بن الصالح 647 1249

5 ـ الأشرف موسى 648 ـ 652 / 1250 ـ 1254

فرع دمشق:

1 ـ المعظم شرف الدين عيسى بن العادل 615 1218

2 ـ الناصر الثاني صلاح الدين داوود
ابن المعظم 624 1227

3 ـ الصالح عماد الدين إسماعيل
ابن أبي بكر (الحكم الأول) 634 1236

4 ـ الأشرف موسى بن العادل 637 1237

5 ـ الصالح عماد الدين إسماعيل
ابن أبي بكر (الحكم الثاني) 637 ـ 643 / 1239 ـ 1245

المماليك البحريون (الأتراك):

وهم من المغول والترك وأتباع الصالح أيام الأيوبيين

1 ـ شجرة الدر 648 1250

2 ـ المعز عز الدين إيبك 648 1250

3 ـ المنصور نور الدين علي		
بن عز الدين	655	1257
4 ـ المظفر سيف الدين قطز	657	1259
5 ـ الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	658	1260
6 ـ السعيد ناصر الدين بركه قان أبو المعالي	676	1277
7 ـ العادل بدر الدين سلامش		
بن الظاهر بيبرس	678	1279
8 ـ المنصور سيف الدين قلاوون الألفي	678	1279
9 ـ الأشرف صلاح الدين خليل		
بن قلاوون الألفي	689	1290
10 ـ الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون		
(الحكم الأول)	693	1293
11 ـ العادل زين الدين كتبغا	694	1294
12 ـ المنصور حسام الدين لاجين	696	1297
13 ـ الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون		
(الحكم الثاني)	698	1299
14 ـ المظفر ركن الدين بيبرس	708	1309
15 ـ الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون		
(الحكم الثالث)	709	1310
16 ـ المنصور سيف الدولة ابن قلاوون		
أبو بكر	741	1341
17 ـ الأشرف علاء الدين كجك	742	1342
18 ـ الناصر شهاب الدين أحمد	742	1342
19 ـ الصالح عماد الدين إسماعيل أو الفدا	743	1342
20 ـ الكامل سيف الدين شعبان	746	1345

21 ـ المظفر سيف الدين حاجي	747	1346
22 ـ الناصر ناصر الدين حسن أبو المحاسن (الحكم الأول)	748	1347
23 ـ الصالح صلاح الدين صالح	752	1351
24 ـ الناصر ناصر الدين حسن أبو المحاسن (الحكم الثاني)	755	1354
25 ـ المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي	762	1361
26 ـ الأشرف ناصر الدين شعبان أبو المعالي	764	1363
27 ـ المنصور علاء الدين علي بن الأشرف شعبان	778	1377
28 ـ الصالح صلاح الدين حاجي بن الأشرف شعبان	783	1381
29 ـ عزل من قبل برقوق	784	1382
30 ـ عاد باسم المنصور ناصر الدين حاجي	791	1389
31 ـ عزل مرة ثانية	792	1390

المماليك البرجيون (الشراكسة):

وهم شراكسة من أتباع قلاوون:

1 ـ الظاهر سيف الدين برقوق (الحكم الأول)	784	1382
(الحكم الثاني)	791	1389
2 ـ الناصر ناصر الدين فرج أبو العادات (الحكم الأول)	801	1399
3 ـ المنصور عز الدين عبد العزيز أبو العز	808	1405

4 ـ الناصر ناصر الدين فرج أبو السعادات (الحكم الثاني)	809	1406
5 ـ المستعين بالله أبو الفضل عباس العادل	815	1412
6 ـ المؤيد سيف الدين شيخ أبو النصر	815	1412
7 ـ المظفر شهاب الدين أحمد أبو السعادات	824	1421
8 ـ الظاهر سيف الدين ططر أبو سعيد	824	1421
9 ـ الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	824	1421
10 ـ الأشرف سيف الدين برسباي الأقماتي أبو النصر	825	1422
11 ـ العزيز جمال الدين يوسف أبو المحاسن	841	1438
12 ـ الظاهر سيف الدين جقمق العلائي أبو أسعد	842	1438
13 ـ المنصور فخر الدين عثمان أبو السعادات	857	1453
14 ـ الأشرف سيف الدين إينال العلائي أبو النصر	857	1453
15 ـ المؤيد شهاب الدين أحمد أبو الفتح	865	1461
16 ـ الظاهر سيف الدين خوشقدم أبو سعيد	865	1461
17 ـ الظاهر سيف الدين بلباي أبو النصر	872	1467
18 ـ الظاهر تمر بغا أبو سعيد	872	1467
19 ـ الأشرف سيف الدين قايتباي	872	1468
20 ـ الناصر الثاني ناصر الدين محمد بن قايتباي أبو السعادات	901	1496

21 ـ الظاهر قانصوه أبو سعيد	904	1498
22 ـ الأشرف جانبلاط أبو النصر	905	1500
23 ـ العادل سيف الدين طومان باي	906	1501
24 ـ الأشرف قانصوه الغوري	906	1501
25 ـ الأشرف طومان باي	922	1516

السلاطين العثمانيون (923 هـ = 1516 م):

1 ـ عثمان الأول	699	1299
2 ـ أورخان بن عثمان	727	1326
3 ـ مراد بن أورخان	762	1360
4 ـ بايزيد بن مراد	791	1388
5 ـ محمد بن بايزيد	816	1413
6 ـ مراد الثاني بن محمد	824	1421
7 ـ محمد الثاني إبن مراد الثاني (الفاتح)	855	1451
8 ـ بايزيد الثاني إبن محمد الفاتح	886	1481
9 ـ سليم الأول ابن بايزيد الثاني (ياور سليم)	918	1512
10 ـ سليمان الأول ابن سليم الأول (القانوني)	926	1519
11 ـ سليم الثاني ابن سليمان الأول	974	1566
12 ـ مراد الثالث ابن سليم الثاني	982	1574
13 ـ محمد الثالث ابن مراد الثالث	1003	1594
14 ـ أحمد الأول ابن محمد الثالث	1012	1603
15 ـ مصطفى الأول ابن محمد الثالث	1026	1617
16 ـ عثمان الثاني بن أحمد الأول	1027	1617
17 ـ مصطفى الأول ابن محمد الثالث	1031	1621

18 ـ مراد الرابع ابن أحمد الأول	1032	1622
19 ـ إبراهيم ابن أحمد الأول	1029	1639
20 ـ محمد الرابع ابن إبراهيم	1058	1648
21 ـ سليمان الثاني ابن إبراهيم	1099	1687
22 ـ أحمد الثاني ابن إبراهيم	1102	1690
23 ـ مصطفى الثاني ابن محمد الرابع	1106	1694
24 ـ أحمد الثالث ابن محمد الرابع	1115	1703
25 ـ محمود الأول ابن مصطفى الثاني	1143	1730
26 ـ عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني	1168	1754
27 ـ مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث	1171	1757
28 ـ عبد الحميد الأول ابن أحمد الثالث	1187	1772
29 ـ سليم الثالث ابن مصطفى الثالث	1203	1788
30 ـ مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول	1222	1807
31 ـ محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول	1223	1808
32 ـ عبد المجيد بن محمود الثاني	1255	1839
33 ـ عبد العزيز بن محمود الثاني	1277	1860
34 ـ مراد الخامس ابن عبد المجيد	1293	1876
35 ـ عبد الحميد الثاني ابن عبد المجيد	1293	1876
36 ـ محمد الخامس ابن عبد المجيد	1327	1909
37 ـ محمد السادس ابن عبد المجيد		
(وحيد الدين)	1337	1918
38 ـ عبد المجيد الثاني ابن عبد العزيز	1341 ـ 1342	1922 ـ 1924
ثم أعلنت الجمهورية التركية عام	1343	1924

مسافات

أرواد:

أرواد ـ طرطوس 3 كم

إزرع :

إزرع ـ دمشق 80 كم

إزرع ـ السويداء 35 كم

أفاميا:

أفاميا ـ شيزر 25 كم

أفاميا ـ خان شيخون 40 كم

أفاميا ـ حما 60 كم

أفاميا ـ مشتى الحلو 77 كم

أفاميا ـ إيبلا 100 كم

أفاميا ـ حلب 130 كم

أفاميا ـ اللاذقية 130 كم

أوغاريت:

(ترتفع عن سطح البحر 850م)

أوغاريت ـ الميريديان 4 كم

أوغاريت ـ اللاذقية الحديثة 8 كم

أوغاريت ـ اللاذقية القديمة 11 كم

إيبلا:

إيبلا ـ أفاميا 100 كم

إيبلا ـ حلب 60 كم

إيبلا ـ خان شيخون 40 كم

إيبلا ـ الطريق العام 2 كم

بانياس:

بانياس ـ جبلة 24 كم

بانياس ـ القدموس 32 كم

بانياس ـ اللاذقية 52 كم

بانياس ـ دمشق 270 كم

بانياس ـ طرطوس 40 كم

بصرى:

بصرى ـ السويداء 35 كم

بصرى ـ قنوات 40 كم

بصرى ـ درعا 40 كم

بصرى ـ صلخد 63 كم

بصرى ـ شهبا ـ دمشق 130 كم

بصرى ـ درعا ـ دمشق 143 كم

تدمر:

تدمر ـ قصر الحير الغربي 85 كم

تدمر ـ حمص 155 كم

تدمر ـ دير الزور 210 كم

تدمر ـ الصحراء ـ دمشق 240 كم

تدمر ـ مشتى الحلو 238 كم

تدمر ـ ماري 326 كم

تدمر ـ حمص ـ دمشق 335 كم

مدينة الثورة:

الثورة ـ مفرق الرصافة. 22 كم

الثورة ـ الرصافة 65 كم

جبلة:

جبلة ـ بانياس 24 كم

جبلة ـ اللاذقية 28 كم

جعبر:

(ترتفع عن سطح البحر 347م)

جعبر ـ الطريق العام 15 كم

جعبر ـ مدينة الثورة 18 كم

جعبر ـ الرقة 50 كم

جعبر ـ الرصافة 70 كم

حصن سليمان:

سليمان . مشتى الحلو 20 كم

سليمان ـ دريكيش 20 كم

سليمان ـ الساحل 30 كم

سليمان ـ طرطوس 50 كم

حلب:

(ترتفع عن سطح البحر 300م)

حلب ـ شيزر 25 كم

حلب ـ سمعان 35 كم

حلب ـ باب الهوى 60 كم

حلب ـ إيبلا 60 كم

حلب ـ عفرين 60 كم

حلب ـ سراقب 60 كم

حلب ـ أريحا 72 كم

حلب ـ قلب اللوزة 75 كم

حلب ـ دريكيش 75 كم

حلب ـ أنطاكية 95 كم

حلب ـ أسكندرون 130 كم

حلب ـ سد الفرات 134 كم
حلب ـ حما 147 كم
حلب ـ الطبقة 140 كم
حلب ـ جعبر 160 كم
حلب ـ اللاذقية 185 كم
حلب ـ حمص 193 كم
حلب ـ مفرق الرصافة 195 كم
حلب ـ مشتى الحلو 200 كم
حلب ـ دير الزور 330 كم
حلب ـ البوكمال 455 كم
حلب ـ القامشلي 570 كم
حلب ـ تل كوجاك 660 كم

حما:

(ترتفع عن سطح البحر 38م)

حما ـ حمص 47 كم
حما ـ ابن وردان 62 كم
حما ـ مشتى الحلو 64 كم
حما ـ بانياس 90 كم
حما ـ اللاذقية 140 كم
حما ـ حلب 147 كم
حما ـ دمشق 209 كم

حمص:

حمص ـ حما 47 كم
حمص ـ قلعة الحصن 65 كم
حمص ـ صافيتا 78 كم
حمص ـ مشتى الحلو 83 كم
حمص ـ طرطوس 96 كم
حمص ـ تدمر 155 كم
حمص ـ دمشق 160 كم
حمص ـ حلب 185 كم
حمص ـ اللاذقية 186 كم

درعا:

درعا ـ تل شهاب 16 كم
درعا ـ مزيريب 20 كم
درعا ـ بصرى 40 كم
درعا ـ دمشق 100 كم

دمشق:

(ترتفع عن سطح البحر 750م)

دمشق ـ دوما 13 كم
دمشق ـ صيدنايا 30 كم
دمشق ـ معلولا 60 كم
دمشق ـ قطيفة 40 كم

دمشق ـ جيرود 60 كم
دمشق ـ النبك 80 كم
دمشق ـ يبرود 90 كم
دمشق ـ حمص 160 كم
دمشق ـ الرستن 180 كم
دمشق ـ حما 209 كم
دمشق ـ أدلب 335 كم
دمشق ـ حلب 355 كم
دمشق ـ أفاميا 252 كم
دمشق ـ سمعان 401 كم

* * *

دمشق ـ القريتين 128 كم
دمشق ـ الحير الغربي 166 كم
دمشق ـ تدمر 240 كم
دمشق ـ دير الزور 450 كم
دمشق ـ الحسكة 595 كم
دمشق ـ أبو كمال 515 كم
دمشق ـ الرقة 550 كم
دمشق ـ القامشلي 680 كم
دمشق ـ تل كوجك 765 كم

* * *

دمشق ـ ميلسون 28 كم
دمشق ـ جديدة يابوس 41 كم
دمشق ـ عنجر 60 كم
دمشق ـ شتورة 75 كم
دمشق ـ بيروت 110 كم
دمشق ـ بعلبك ـ زحلة 155 كم

* * *

دمشق ـ إزرع 80 كم
دمشق ـ الشيخ مسكين 80 كم
دمشق ـ شهبا 91 كم
دمشق ـ درعا 100 كم
دمشق ـ السويداء 122 كم
دمشق ـ شهبا ـ بصرى 200 كم
دمشق ـ درعا ـ بصرى 150 كم

* * *

دمشق ـ قطنا 25 كم
دمشق ـ قعلة جندل 40 كم
دمشق ـ عرنة 51 كم
دمشق ـ القنيطرة 67 كم

* * *

دمشق ـ قعلة الحصن 220 كم
دمشق ـ صافيتا 240 كم
دمشق ـ مشتى الحلو 235 كم

دمشق - دريكيش	255 كم
دمشق - طرطوس	230 كم
دمشق - بانياس	270 كم
دمشق - جبلة	294 كم
دمشق - اللاذقية	348 كم
دمشق - البسيط	375 كم
دمشق - الصلنفة	382 كم
دمشق - جسر الشغور	387 كم
دمشق - كسب	410 كم

* * *

دمشق - جرش	220 كم
دمشق - عمان	235 كم
دمشق - مادبا	268 كم

* * *

دمشق - دمر	8 كم
دمشق - الهامة	10 كم
دمشق - عين الخضرة	22 كم
دمشق - عين الفيجة	23 كم
دمشق - مضايا	44 كم
دمشق - بقين	45 كم
دمشق - الجرجانية	46 كم
دمشق - الزباداني	47 كم
دمشق - بلودان	55 كم

دورا أوروبوس:

دورا - البوكمال	12 كم
دورا - ماري	30 كم
دورا - دير الهور	105 كم

دير الزور:

دير الزور - دورا	105 كم
دير الزور - الرقة	160 كم
دير الزور - ماري	138 كم
دير الزور - السبخة	138 كم
دير الزور - الطبقة	190 كم
دير الزور - الصالحة	203 كم
دير الزور - تدمر	210 كم
دير الزور - حلب	320 كم

الرصافة:

الرصافة - الطريق العام	27 كم
الرصافة - الرقة	60 كم
الرصافة - جعبر	70 كم
الرصافة - الحير الشرقي	75 كم
الرصافة - حلب	195 كم
الرصافة - دير الزور	203

الرقة:

(ترتفع عن سطح البحر 0م)

الرقة ـ مفرق الرصافة 29 كم

الرقة ـ الثورة 60 كم

الرقة ـ الرصافة 61 كم

الرقة ـ دير الزور 130 كم

السويداء:

(ترتفع عن سطح البحر900م)

السويداء ـ شهبا 15 كم

السويداء ـ قنوات 19 كم

السويداء ـ صلخد 25 كم

السويداء ـ إزرع 35 كم

السويداء ـ دمشق 122 كم

شهبا:

(ترتفع 1000م عن سطح البحر)

شهبا ـ القنوات 7 كم

شهبا ـ السويداء 27 كم

شهبا ـ دمشق 90 كم

صافيتا:

(ترتفع 419م عن سطح البحر)

صافيتا ـ مشتى الحلو 25 كم

صافيتا ـ طرطوس 28 كم

صافيتا ـ اللاذقية 123 كم

صلنفة:

صلنفة ـ سلمى 12 كم

صلنفة ـ اللاذقية 54 كم

صيدنايا:

(ترتفع عن سطح البحر بين «1200 و 1400م»)

صيدنايا ـ دمشق 30 كم

الضمير:

الضمير ـ دمشق 50 كم

طرطوس:

طرطوس ـ المرقب 4 كم

طرطوس ـ صافيتا 28 كم

طرطوس ـ بانياس 40 كم

طرطوس ـ جبلة 52 كم

طرطوس ـ الحصن 75 كم

طرطوس ـ مشتى الحلو 80 كم

طرطوس ـ حمص 95 كم

طرطوس ـ اللاذقية 90 كم

طرطوس ـ دمشق 230 كم

عمريت:

عمريت ـ طرطوس 8كم

عمريت ـ مشتى الحلو 74كم

قلعة الحصن:

الحصن ـ مشتى الحلو 35كم

الحصن ـ صافيتا 35كم

الحصن ـ حمص 60كم

الحصن ـ طرطوس 75كم

الحصن ـ أوغاريت 176كم

الحصن ـ دمشق 220كم

قلعة سمعان:

(ترتفع عن سطح البحر بين «564 و 660م»)

سمعان ـ قلب اللوزة 45كم

سمعان ـ حلب 35كم

قعلة شيزر:

(ترتفع عن سطح البحر 300م)

شيزر ـ حما 25كم

شيزر ـ أفاميا 30كم

شيزر ـ البحر 80كم

قلعة صلاح الدين:

(ترتفع عن سطح البحر 410م)

صلاح الدين ـ اللاذقية 35-65كم

قلب اللوزة:

(ترتفع عن سطح البحر 750م)

قلب اللوزة ـ حارم 25كم

قلب اللوزة ـ إدلب 45كم

قلعة المرقب:

(ترتفع عن سطح البحر بين «362 و 500م»)

المرقب ـ بانياس 5كم

المرقب ـ اللاذقية 40كم

المرقب ـ مشتى الحلو 120كم

قنوات:

(ترتفع عن سطح البحر بين «900 و 1200م»)

قنوات سويداء 19كم

كيرك بيزا:

(ترتفع عن سطح البحر 750م)

كيرك ـ إدلب 40كم

كيرك ـ حلب 65كم

كسب:

(ترتفع عن سطح البحر 750م)

كسب ـ اللاذقية 65 كم

اللاذقية:

اللاذقية ـ أوغاريت 11 كم

اللاذقية ـ جبلة 30 كم

اللاذقية ـ المرقب 40 كم

اللاذقية ـ بانياس 52 كم

اللاذقية ـ صلنفة 54 كم

اللاذقية ـ كسب 56 كم

اللاذقية ـ الحدود التركية 60 كم

اللاذقية ـ ق صلاح الدين 65 كم

اللاذقية ـ طرطوس 90 كم

اللاذقية ـ مصياف 102 كم

اللاذقية ـ العريضة 120 كم

اللاذقية ـ صافيتا 123 كم

اللاذقية ـ أفاميا 130 كم

اللاذقية ـ الاسكندرون 175 كم

اللاذقية ـ حمص 182 كم

اللاذقية ـ حلب 186 كم

اللاذقية ـ بيروت 250 كم

اللاذقية ـ دمشق 360 كم

مشتى الحلو:

(ترتفع عن سطح البحر 650م)

مشتى الحلو ـ الدبوسية 37 كم

مشتى الحلو ـ العريضة 62 كم

مشتى الحلو ـ السلمية 123 كم

مشتى ـ قصر ابن وردان 130 كم

مصياف:

(ترتفع عن سطح البحر 530م)

مصياف ـ مشتى الحلو 30 كم

مصياف ـ حما 43 كم

مصياف ـ بانياس 50 كم

مصياف ـ جسر الشغور 90 كم

مصياف ـ اللاذقية 102 كم

ماري:

ماري ـ البوكمال 11-15 كم

ماري ـ دورا أوروبس 30 كم

ماري ـ دير الزور 125 كم

ماري ـ الرقة 339 كم

معلولا:

(ترتفع عن سطح البحر 1600م)

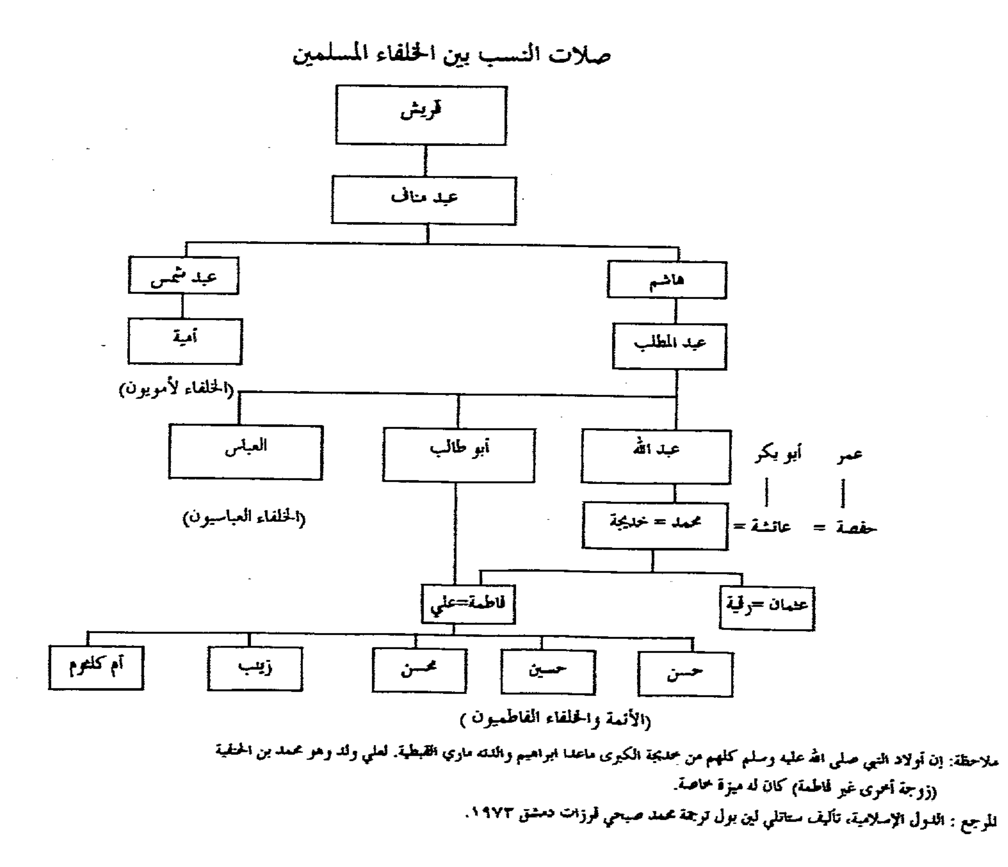
معلولا ـ صيدنايا 25 كم

معلولا ـ دمشق 60 كم

المسافات بالكلم بين مراكز المحافظات

المدن	دمشق	حلب	حمص	حماه	اللاذقية	دير الزور	ادلب	الحسكة	الرقة	السويداء	درعا	طرطوس	القنيطرة
دمشق	–	٣٥٥	١٦٢	٢٠٩	٣٤٨	٦٩١	٣٣٥	٨٦٦	٥٤٧	١٢٤	١٠١	٢٥٨	٦٧
حلب	٣٥٥	–	١٩٣	١٤٦	١٨٦	٣١٧	٥٩	٥١١	١٩٢	٤٧٩	٤٥٦	٢٧٦	٤٢٢
حمص	١٦٢	١٩٣	–	٤٧	١٨٦	٥٢٩	١٧٣	٧٠٤	٣٨٥	٢٨٦	٢٦٣	٩٦	٢٢٩
حماة	٢٠٩	١٤٦	٤٧	–	١٤٥	٤٨٢	١٢٦	٦٥٧	٣٣٨	٣٣٣	٣١٠	١٦١	٢٧٦
اللاذقية	٣٤٨	١٨٦	١٨٦	١٤٥	–	٥١٣	١٢٧	٦٩٧	٣٧٨	٤٧٢	٤٤٩	٩٠	٤١٥
دير الزور	٦٩١	٣١٧	٥٢٩	٤٨٢	٥١٣	–	٣٨٩	١٧٧	١٣٨	٨١٣	٧٩٢	٥٩٣	٧٥٨
إدلب	٣٣٥	٥٩	١٧٣	١٢٦	١٢٧	٣٨٩	–	٥٧٠	٢٥١	٤٥٩	٤٣٦	٢١٧	٤٠٢
الحسكة	٨٦٦	٥١١	٧٠٤	٦٥٧	٦٩٧	١٧٧	٥٧٠	–	٣١٩	٩٩٠	٩٦٧	٧٨٧	٩٣٣
الرقة	٥٤٧	١٩٢	٣٨٥	٣٣٨	٣٧٨	١٣٨	٢٥١	٣١٩	–	٦٧١	٦٤٨	٤٦٨	٦١٤
السويداء	١٢٤	٤٧٩	٢٨٦	٣٣٣	٤٧٢	٨١٣	٤٥٩	٩٩٠	٦٧١	–	٦٨	٣٦٤	٩٨
درعا	١٠١	٤٥٦	٢٦٣	٣١٠	٤٤٩	٧٩٢	٤٣٦	٩٦٧	٦٤٨	٦٨	–	٣٥٠	٧٦
طرطوس	٢٥٨	٢٧٦	٩٦	١٦١	٩٠	٥٩٣	٢١٧	٧٨٧	٤٦٨	٣٦٤	٣٥٩	–	٣٢٥
القنيطرة	٦٧	٤٢٢	٢٢٩	٢٧٦	٤١٥	٧٥٨	٤٠٢	٩٣٣	٦١٤	٩٨	٧٦	٣٢٥	–

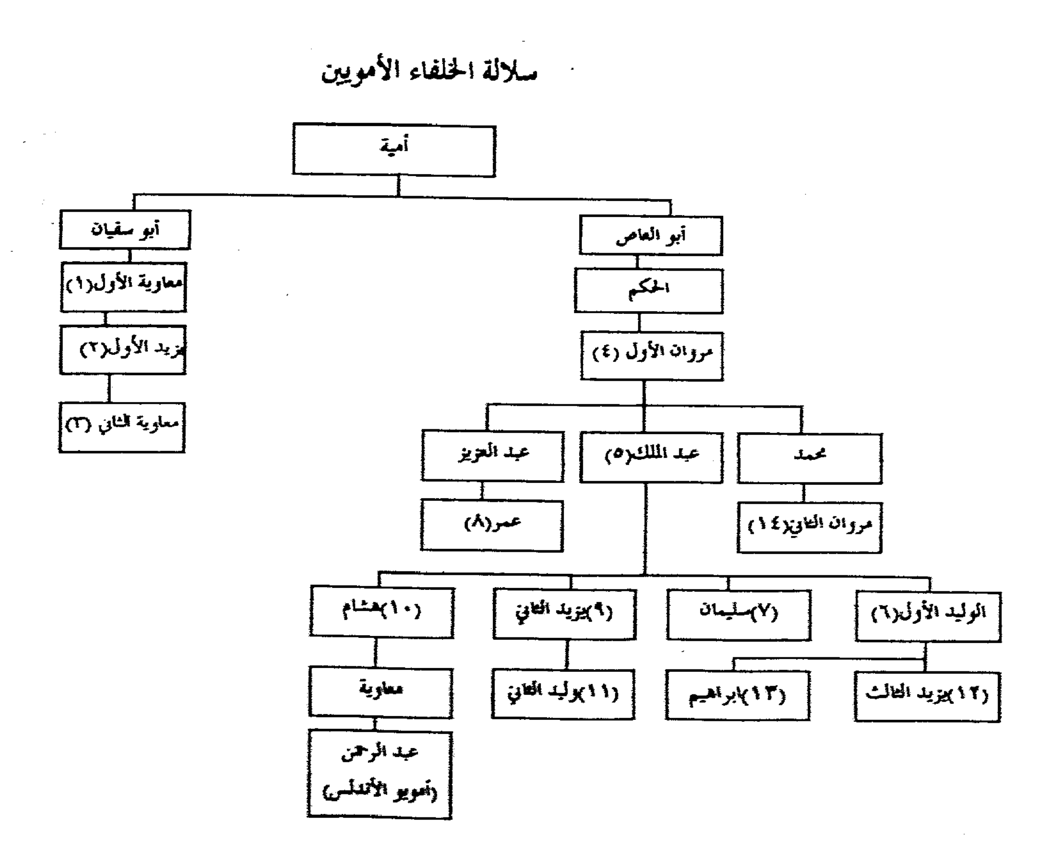
صلات النسب بين الخلفاء المسلمين



ملاحظة: إن أولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم من خديجة الكبرى ماعدا ابراهيم والدته ماري القبطية. لعلي ولد وهو محمد بن الحنفية (زوجة أخرى غير فاطمة) كان له ميزة خاصة.

المرجع : الدول الإسلامية، تأليف ستانلي لين بول ترجمة محمد صبحي فرزات دمشق ١٩٧٣.

سلالة الخلفاء الأمويين



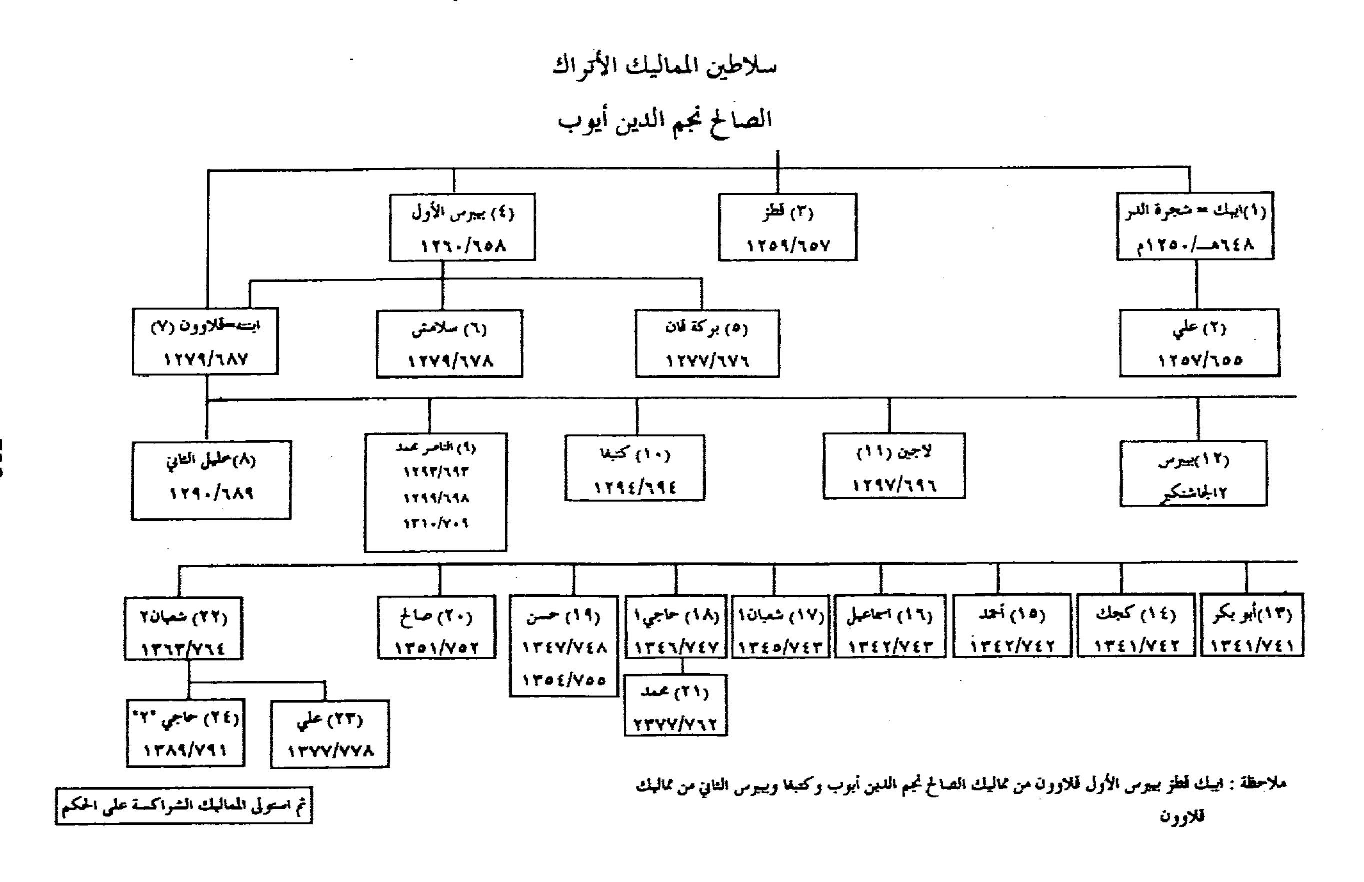
سلالة الأيوبيين في مصر ودمشق وحلب

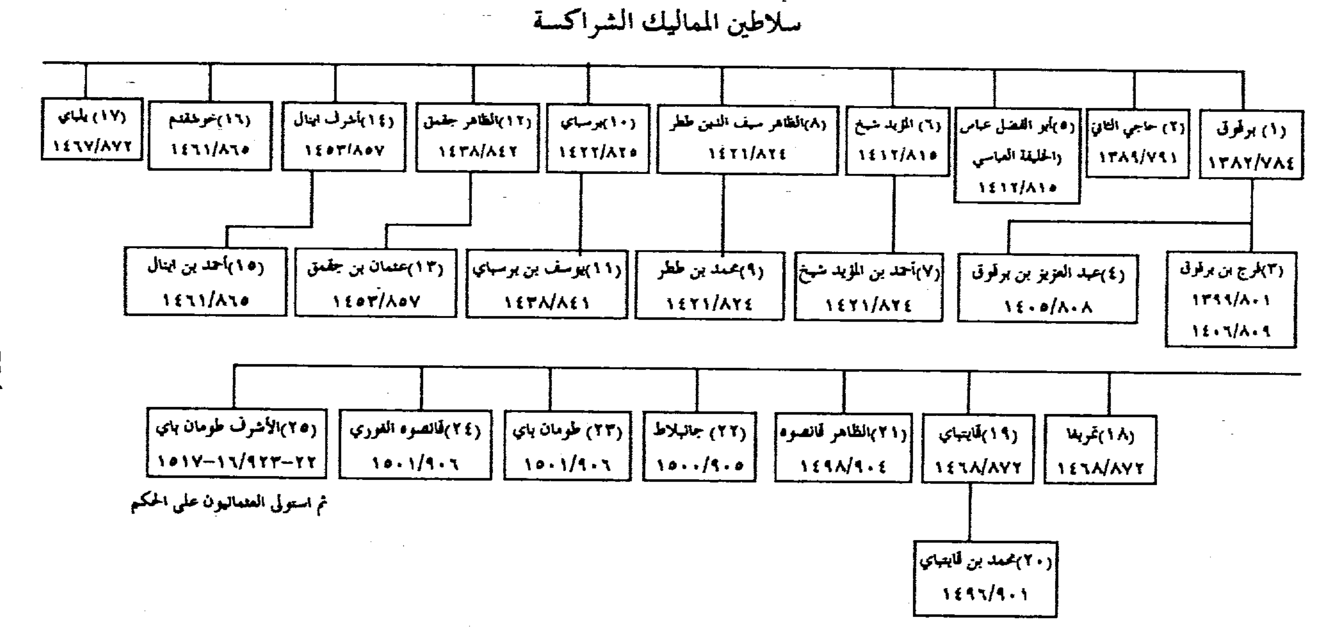
أيوبيو حلب (* ** *** ****)

أيوبيو دمشق (1 , 2 , 3 , 4 ... 10)

- شادي بن مروان
  - أسد الدين شيركوه
  - نجم الدين أيوب
    - نور الدين شاهنشاه
    - المعظم توران شاه
    - العادل الأول أبو بكر (٤) (2)
      - المعظم يحيى (3)
        - الناصر داوود (4)
      - الأشرف موسى (5)
      - الصالح اسماعيل (6)
      - (٥) الكامل محمد (7)
        - العادل الثاني (8)
          - المغيث عمر
        - (٧) الصالح أيوب (9) – شجرة الدر (٩)
          - (٨) المعظم توران شاه (10)
        - المسعود يوسف
          - الأشرف موسى (١٠)
      - (٦) المعظم عيسى
      - مودود
        - الجواد يونس
    - (١) صلاح الدين يوسف *
      - الظاهر غازي **
        - العزيز محمد ***
          - الناصر يوسف الثاني ****
      - (1) الأفضل علي
      - العزيز عثمان (٢)
        - المنصور محمد (٣)

ملاحظة : بعد وفاة صلاح الدين مخلفاً ١٧ ولداً توزع الحكم بين أولاده وأخوته وأولادهم في مصر ودمشق وحلب وحمص وميافارقين وحصن كيفا واليمن وبعلبك والكرك واكتفينا بالسلالات الحاكمة في مصر ودمشق وحلب .


سلاطين المماليك الأتراك
الصالح نجم الدين أيوب
(١)ايبك = شجرة الدر
٦٤٨هـ/١٢٥٠م
(٣) قطز
١٢٥٩/٦٥٧
(٤) بيبرس الأول
١٢٦٠/٦٥٨
(٢) علي
١٢٥٧/٦٥٥
(٥) بركة قان
١٢٧٧/٦٧٦
(٦) سلامش
١٢٧٩/٦٧٨
(٧) قلاوون
١٢٧٩/٦٨٧
(١٢)بيبرس
الجاشنكير
(١١) لاجين
١٢٩٧/٦٩٦
(١٠) كتبغا
١٢٩٤/٦٩٤
(٩) الناصر محمد
١٢٩٣/٦٩٣
١٢٩٩/٦٩٨
١٣١٠/٧٠٩
(٨)خليل الثاني
١٢٩٠/٦٨٩
(١٣)أبو بكر
١٣٤١/٧٤١
(١٤) كجك
١٣٤١/٧٤٢
(١٥) أحمد
١٣٤٢/٧٤٢
(١٦) اسماعيل
١٣٤٢/٧٤٣
(١٧) شعبان١
١٣٤٥/٧٤٣
(١٨) حاجي١
١٣٤٦/٧٤٧
(١٩) حسن
١٣٤٧/٧٤٨
١٣٥٤/٧٥٥
(٢٠) صالح
١٣٥١/٧٥٢
(٢٢) شعبان٢
١٣٦٣/٧٦٤
(٢١) محمد
٢٣٧٧/٧٦٢
(٢٣) علي
١٣٧٧/٧٧٨
(٢٤) حاجي "٢"
١٣٨٩/٧٩١
ثم استولى المماليك الشراكسة على الحكم
ملاحظة : ايبك قطز بيبرس الأول قلاوون من مماليك الصالح نجم الدين أيوب وكتبغا وبيبرس الثاني من مماليك قلاوون



ملاحظة : نبين تسلسل السلاطين الشراكسة لأن أكثرهم مماليك .

المراجع

1 ـ د. علي أبو عساف ـ معبد عين دارا ـ مطابع ألف باء الأديب.
2 ـ د. علي أبو عساف ـ الآثار في جبل حوران ـ محافظة السويداء ـ مطابع ألف باء الأديب ـ الطبعة الأولى ـ 1997 .
3 ـ أ. شفيق الإمام ـ دليل قصر العظم ـ مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف.
4 ـ د. أندريه بارو ـ ماري ـ ترجمة د. رباح نفاخ ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق 1979.
5 ـ د. وديع بشور ـ سومر وأكاد ـ دمشق 1981.
6 ـ الروائع الأثرية المكتشفة حديثاً ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف.
7 ـ د. وديع بشور ـ الميثولوجيا السورية ـ أساطير آرام ـ طبعة ثانية ـ 1974.
8 ـ البعثة الفرنسية المنقبة ـ رأس الشمرة ـ ترجمة أ. فهمي الدالاتي ـ مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1980.
9 ـ د. عدنان البني + أ. خالد الأسعد ـ تدمر ـ مطابع وزارة الثقافة ـ دمشق ـ 1979.
10 ـ د. عدنان البني ـ أبولودور الدمشقي ـ مطابع وزارة الثقافة ـ دمشق 1995.
11 ـ د. عدنان البني + أ . نسيب صليبي ـ رأس ابن هانيء أثرياً وتاريخياً ـ دمشق 1987 .
12 ـ د. فيليب حتي ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ ترجمة د. جورج حداد و أ. عبد الكريم رافق ـ دار الثقافة ـ بيروت 1958 .
13 ـ أ. عبد الله الحجار ـ معالم حلب الأثرية ـ مطابع مؤسسة جورج ومتيلد سالم الخيرية ـ طبعة ثانية 1997 .

14 ـ أ. أحمد فايز الحمصي ـ قلعة المرقب ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1982.
15 ـ أ. محمد وحيد خياطة ـ حلب في التاريخ.
16 ـ أ.دوبون ـ سومر ـ الآراميون ـ دار الأماني ـ طبعة أولى 1988 .
17 ـ أ. أنور الرفاعي ـ قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير ـ منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة ـ دار الفكر ـ دمشق 1973 .
18 ـ مجموعة من كبار علماء التاريخ والآثار ـ تعريب قاسم طوير ـ أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام ـ مطبعة عكرمة ـ دمشق 1989 .
19 ـ أ. عبد القادر الريحاوي ـ قلعة الحصن ـ مطبعة الحكومة ـ الطبعة الثانية ـ 1962.
20 ـ أ.عبد القادر الريحاوي ـ مدينة دمشق ـ دمشق 1969 .
21 ـ أ. عبد الرزاق زقزوق ـ متحف أفاميا للفسيفساء ـ مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ1982 .
22 ـ أ. عبد الرزاق زقزوق ـ قلعة جعبر ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1984.
23 ـ أ. أحمد وصفي زكريا ـ الريف السوري ـ محافظة دمشق.
24 ـ أ.بشير زهدي ـ الرصافة ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1984.
25 ـ أ. بشير زهدي ـ معلولا ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1987.
26 ـ د. أحمد داوود ـ تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير ـ دار المستقبل ـ دمشق الطبعة الأولى 1986 .
27 ـ د. أحمد داوود ـ تاريخ سوريا الحضاري القديم «المركز» ـ الطبعة الأولى ـ دار المستقبل 1994 .
28 ـ د. أحمد داوود ـ العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود ـ دار المستقبل ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ كانون الثاني ـ 1991 .
29 ـ أ. أكرم ساطع ـ القلاع والحصون في سورية ـ دار دمشق ومكتبة أطلس ـ

دمشق.
30 ـ أ. أحمد غسان سبانو ـ تاريخ دمشق القديم ـ منشورات دار قتيبة.
31 ـ أ. جبرائل سعادة ـ القديس اليان الحمصي ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.
32 ـ إيڤا شترومينغر ـ ماري ـ تعريب أ. قاسم طوير ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1983.
33 ـ أ. كامل شحادة ـ الفن العمراني في فسيفساء متحف المعرة ـ معهد الفن المقدس ـ الكسليك 1997.
34 ـ أ. كامل شحادة ـ متحف معرة النعمان ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1987.
35 ـ أ. كامل شحادة ـ قصر ابن وردان ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1982.
36 ـ أ. كامل شحادة ـ قلعة شيزر ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1985.
37 ـ أ. شوقي شعث ـ قلعة سمعان ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1984.
38 ـ أ. شوقي شعث و أ. محمود حريتاني . قلعة حلب ـ مطبعة الشرق ـ حلب.
39 ـ د. قتيبة الشهابي ـ أبواب دمشق ـ منشورات وزارة الثقافة.
40 ـ إ.ش. شيغمان ـ مجتمع أوغاريت ـ ترجمة د. حسان مخائيل إسحق ـ الأبجدية للنشر ـ دمشق الطبعة الأولى 1988 .
41 ـ إ. ش. شيفمان ـ ثقافة أوغاريت ـ ترجمة د. حسان مخائيل إسحق ـ الأبجدية للنشر ـ الطبعة الأولى ـ دمشق 1988 .
42 ـ أ.نسيب صليبي ـ عمريت ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1984 .
43 ـ أ. قاسم طوير ـ إيبلا ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1982 .

44 ـ أ.غالب عامر ـ شهبا ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق 1982 .

45 ـ أ. أبو الفرج العش ـ آثارنا في الإقليم السوري ـ المطبعة الجديدة ـ دمشق 1960 .

46 ـ د. علي القيم ـ الموسيقا تاريخ وأثر ـ دار الشيخ 1988.

47 ـ د. علي القيم ـ إمبراطورية إبلا ـ الأبجدية للنشر ـ الطبعة الأولى ـ دمشق 1989.

48 د. علي القيم ـ متحف الطب والعلوم عند العرب.

49 ـ باولو ماتييه ومجموعة باحثين إيبلا (عبلاد) ـ ترجمة قاسم طوير ـ مطبعة سورية ـ دمشق 1984.

50 ـ د. عيد مرعي ـ إيبلا، تاريخ وحضارة ـ أقدم مملكة في سورية ـ الأبجدية للنشر ـ الطبعة الأولى ـ دمشق 1996.

51 ـ د. سلطان محيسن ـ بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ ـ المزارعون الأوائل ـ الأبجدية للنشر ـ دمشق ـ الطبعة الأولى 1994.

52 ـ كارل ولتسينجر، كارل واتسينجر ـ الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ـ تعريب عن الألمانية ـ أ. قاسم طوير ـ تعليق د. عبد القادر الريحاوي ـ الطبعة المعربة مطبعة سوريا ـ دمشق 1984.

53 ـ د. توفيق سليمان و أ. محمد رئيف هيكل ـ دليل متحف طرطوس والكاتدرائية ـ دار المجد ـ دمشق.

54 ـ أ. عبد القادر عياش ـ حضارة وادي الفرات ـ مدن فراتية، القسم السوري.

55 ـ أ. سليمان عبد الله المقداد ـ بصرى دليل أثري وتاريخي ـ مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1981.

56 ـ أ. راما الياس كرياكي ـ صيدنايا ـ تاريخ وآثار

57 ـ أ. راما الياس كرياكي ـ معلولا ـ تاريخ وآثار

58 ـ أ. رياض المقداد و أ. فلمنج لند و ميخائيل مانيكة ـ بصرى الإسلامية معهد اللآثار الألماني دمشق 1995.

59 ـ د. قتيبة الشهابي. أبواب دمشق وأحداثها التاريخية. مطابع وزارة الثقافة.

60 ـ أ. نور الدين عقيل ـ يبرود تاريخ وحضارة ـ العربي للنشر والطباعة والتوزيع 1996.

61 ـ أ. سمير عبده ـ صحيفة الشرق الأوسط ـ لندن (20/ أيار /1999).

62 ـ د. عدنان البني ـ جريدة الحياة ـ العدد 13147 ـ 6 آذار 1999.

1 - Antoine Quine, Guide to Syria, Alef - ba Al Adib Press - Damascus - First Edition 1976.

2 - K. Assaad and O. Taha, Palmyra - Al Incha Press - Damascus 1966.

3 - Ross Burns, Monuments of Syria, Isbin - Printed and bound in Great Brithain by WBC LTD. - Puplished in 1994 by I.B. Touris and Co. LTD.

4 - Mussee du Petit Palais, Au Pays de Baal et d'Astarte - Ministere des Relations Exterieures - Association Fransais d'Action Artistique.

5 - Sulaiman Mougdad - Bosra - Damascus 1978.

الفهرس